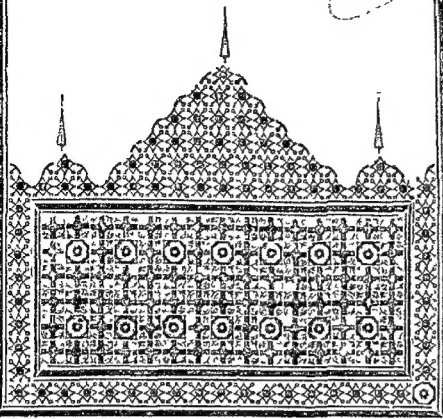


قال العوفي عن ابن عباس نزلت سورة النساء بالمدينة وكذا روى ابن مزيه عن عبد الله بن الزبير وزيد بن ثابت وروى من طريق عبد الله بن أبي عيسى عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حبس وقال الحاكم في مستدرر كنه حديثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حديثنا أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاذان خذ شاذان بن بشر العبدي حديثنا سعد بن كدام عن معن بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد الله بن مسعود قال ان في سورة النساء خمس آيات ما يسرفني ان يقرأها الدنيا وما فيها ان الله لا ينظم لمثقال ذرة الآية وان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه الآية وان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤا إلى آية ثم قال هذا اسناد صحيح ان كان عبد الرحمن سمع من أبيه فقيد اختلف في ذلك وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن ابن مسعود قال خمس آيات من النساء إلهن أحب الى من الدنيا جميعا ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه تكفر عنكم سيئاتكم وقوله وان تك حسنة بضاعفها وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله ينج الله غفورا رحيميا رواه ابن جرير ثم روى من طريق صالح



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة المائدة) *

هي مائة وثلاث وعشرون آية قال القرطبي هي مكية بالاجماع وبه قال قتادة وعن محمد ابن كعب القرظي قال انها نزلت في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وأخرج ابو عبيد عن حمزة بن حبيب وعطية بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المائدة من آخر القرآن تنزيلا فأحلوا حلالها وأحرموا حرامها وعن عمر بن شرحبيل قال لم ينسخ من المائدة شيء وقال الشاذلي هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتحلوا أشعار الله ولا المشرك الحرام ولا الهندي ولا القلاندي وزاد ابن عباس فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم قال مسروق ان الله أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما ينزلها في غيرها من سور القرآن وهي قوله والمختصة الى قوله اذا حضر أحدكم الموت

(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يا أيها الذين آمنوا) هذه الآية التي افتتح الله تعالى بها هذه السورة الى قوله ان الله يحكم ما يريد فهمان البلاغة ما يتقاصر عنده القوى البشرية مع شمولها الاحكام عدة منها الوفاء بالعقود ومنها تحليل حجة الانعام ومنها استثناء ما يستلزم بالاحكام ومنها تحريم المسد على المحرم ومنها اباحة الصيد لمن ليس بعمى وقد حكى النقاش ان أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا آية الحكم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال نعم اعمل مثل

المري عن قتادة عن ابن عباس قال ثمانى آيات نزلت في سورة النساء خبر هذه الأمة عما طاعت عليه الشمس وغربت وأولهن يريد الله
 ليسن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون
 الشيطان أن يتوبوا ولا يعظما والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثم ذكر قول ابن مسعود وسواء يعنى في
 الخمسة الباقية وروى الحاكم من طريق أبي نعيم عن سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن أبي ريد عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس
 يقول عن سورة النساء فاني قرأت القرآن وأصاب غيري ثم صحیح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٣)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي

خلقكم من نفس واحدة وخلق

منها أزواجها وبث منهن جارا كثيرا

ونساء واتقوا الله الذي تسمعون

به والأرحام إن الله كان عليكم

رقيبا يقول تعالى أمر أخلقه

بقوام وهي عبادته وحده لا شريك

له ومنها لهم على قدر بقية التي جعلهم

بها من نفس واحدة وهي آدم عليه

السلام وخلق منها رجا ورجلا

حواء عليا السلام خلق من

ضلعه الأيسر من خلقه وهو ناني

فاستمطق فرباها فأعجبني فاني

المها وأنست اليه وقال ابن أبي

حاتم حدثنا في حديثنا محمد بن

مقاتل حدثنا وكيع عن

أبي هلال عن قتادة عن ابن عباس

قال خلقت المرأة من الرجل فجعلت

نمتهما في الرجل وخلق الرجل من

الأرض فجعلت نمته في الأرض

فاحبسوا نساءكم وفي الحديث

الصحيح إن المرأة خلقت من ضلع

وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه فإن

ذهبت به تقيمه كسره وإن استمعت

بها استمعت بها وفيما أعوج وقوله

بعضه فأعجب يا أما كسيرة ثم خرج فقال والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد أنى فحبت
 المصحف فخرجت سورة المائدة فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحال
 تخاملا عما تم استثنى بعد استثناء ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين ولا يقدر أحد أن
 يأتي بهذا (أوفوا) يقال أوفى ووفى العتق والوفاء القيام بعوجب العقد وكذا الأفاء
 (بالعقود) العهود وأصلها الرابطة وأصلها العقد يقال عقدت الجبل والعهد فهو
 يستعمل في الاجتماع والمعاني وإذا استعمل في المعاني كما هنا أفاد أنه شديد الأحكام قوى
 التوثيق قيل المراد بالعقود هي التي عقدتها الله على عباده وألزمتهم بها من الأحكام
 وقيل هي العقود التي يستقيدونها بيمينهم من عقود المعاملات والأمانات ونحوها والأولى
 شمول الآية للأمرين جميعا ولا وجه للتخصيص بعضها دون بعض قال الزجاج المعنى أوفوا
 بعقد الله عليكم وبعقدكم بعضكم على بعض انتهى والعقد الذي يجب الوفاء به ما وافق
 كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن خالفهما فهو رد لا يجب الوفاء به ولا يحمل
 قال ابن عباس أوفوا بالعقود أى ما أحل الله وما حرم وما فرض وما أحسن في القرآن كله
 لا تغدروا ولا تشكروا وعن قتادة قال هي عقود الجاهلية الخلف عنه قال ذكر لنا أن نبي
 الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول أوفوا بعقد الجاهلية ولا تتحدوا عقدا في الإسلام
 وقال ابن جريج الخطاب لاهل الكتاب أى العقود التي عهدتها إليكم في شأن محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم والإيمان به وما أتبعه وقيل هو خطاب للمؤمنين وهذا هو الظاهر والعقود
 نجس عقد الامين وعقد النكاح وعقد العهد وعقد البيع وعقد الشركة وزاد بعضهم
 وعقد الخلف قال الطبري وأولى الأقوال ما قاله ابن عباس وقد تقدم لأن الله تعالى أتبعه
 بالبيان عما أحل لعباده وحرم عليهم فقال (أحلت لكم بهيمة الأنعام) الخطاب للذين
 آمنوا خاصة والبهيمة اسم لكل ذى أربع من الحيوان لكن خص في التعارف بماعدا
 السباع والذوارى من الوحوش وأما سميت بذلك لاجتماعها من جهة نقص نطقها
 وفهمها وعقلها ومنه باب مهم أى مغلق وليل بهم وبهيمة للشجاع الذى لا يدرى من أين
 يؤتى وحلقته مهمة لا يدرى أين طرفها قال الزجاج كل شئ لا يعرفه فهو بهيمة والأنعام اسم
 للابل والبقر والغنم سميت بذلك لثاني مشبهها من اللين وقيل بهيمة الأنعام وحشها كالظباء
 وبقرة الوحش والجر الوحشية وغير ذلك قاله الكلبى وحكاها ابن جرير الطبري عن قوم

وبث منهن رجلا كثيرا ونساء أى وذرا منهن ما أى من آدم وحواء رجلا كثيرا ونساء ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم
 وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ثم أتبع بعد ذلك المعادي والمحشر ثم قال تعالى واتقوا الله الذي تسمعون به والأرحام أى واتقوا الله
 بطاعتكم إياه قال إبراهيم ومجاهد والحسن الذي تسمعون به أى كما يكال أسألك بالله وبالرحم وقال الخليل واتقوا الله الذي
 تعادون وتعاهدون به واتقوا الأرحام أن تقطعوهما ولكن برها واصلوها قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والجسن والخليل
 والزبيح وغير واحد وقرأ بعضهم والأرحام بالخفض على العطف على الضمير في أى تسمعون بالله والأرحام كما قال مجاهد وغيره

وقوله ان الله كان عليكم رقيباً هو امر اقب لجميع احوالكم واعمالكم كما قال والله على كل شيء شهيد وفي الحديث الصحيح
اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك وهذا ارشاد و امر بمراقبة الرقيب ولهذا ذكر تعالى ان أصل النطق من آب واحد
وام واحدة ليعطف بعضهم على بعض ويشتبه على ضعفائهم وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله الجبلي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه أولئك النفر من مضر وهم يجثوا للتمار أي من عربهم وقرهم قام فخطب الناس بعد صلاة
الظهر فقال في خطبته أيها الناس اتقوا ربكم (٤) الذي خلقكم من نفس واحدة حتى ختم الآية ثم قال أيها الذين آمنوا

اتقوا الله ولتتقن نفس ما قدمت
لغصنم حصهم على الصدقة فقال
تصدق رجل من بني نزار من درهه
من صاع بره من صاع غيره وذو كرام
الحديث وهكذا رواه أحمد وأهل
السنن عن ابن مسعود في خطبة
الحاجة وفيها ثم بقر ثلاث آيات
هذه منها أيها الناس اتقوا ربكم
الآية (و اتقوا البتاي أموالهم ولا
تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا
أموالهم إلى أموالكم انه كان
حواكياً كبيراً وان خفتم الا تقسطوا
في البتاي فانكم اموالكم
من النساء منى وثلاث ورابع فان
خفتم الا تبدلوا فواحدة أو
ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى
ألا تقولوا أو اتقوا النساء صدقاتهن
نحلة فان طين لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه خيراً منى يا امر
تعالى بدفع أموال البتاي اليهم
اذ بلغوا الحلم كاملة موفرة وبهي
عن أكلها رخصها إلى أموالهم
ولهذا قال ولا تبدلوا الخبيث
بالطيب قال سفيان الثوري عن
أبي صالح لا تبجل بالرزق الحرام
قبل ان تأتاك الرزق الحلال الذي

وحكاك غيره عن السدي والريبع وقتادة والضحاك قال ابن عطية وهذا قول حسن
وذلك ان الانعام هي الثمانية الأزواج وما انضاف اليها من سائر الحيوانات يقال له انعام
مجموعة معها أو كأن المفترس كالأسد وكل ذئب ناب خارج عن حد الانعام ولا يدخل فيها
ذوات الحوافر في قول جميع أهل اللغة فبهجة الانعام هي الراعي من ذوات الأربع وقيل
بهجة الانعام ما يمكن صيده الان الصيد يسمى وحشاً لا بهجة وقيل بهجة الانعام الاجنة
التي تخرج عند الذبح من بطون الانعام فهي تؤكل من دون ذكاة قاله ابن عباس وعلى
القول الاول أعني تخصيص الانعام بالابل والبقرة والغنم تكون الاضافة بأنته من
اضافة الجنس الى اخص منه وهي بمعنى من لان البهجة أعظم فاضيف الى اخص كثوب
خز قاله الكرخي والاول أولى ويلحق بها ما يحصل مما هو خارج عنها بالقياس بل
وبالنصوص التي في الكتاب والسنة كقوله تعالى لا لأحد فيما أوجب الى محرماً على طاعهم
يطعمه الا ان يكون ميتة الآية وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يحرم كل ذئب ناب من السبع
ويحلب من الطير فإنه يدل بفهمه على ان ما عداه حلال وكذلك سائر النصوص الخاصة
بنوع كافي كتب السنة المظهرة (الامايي علىكم) في القرآن تحريره استثناء من قوله
أحلت لكم بهجة الانعام أي الامدلول ما تبلى عليكم فإنه ليس بحلال والمتلوه هو ما نص
الله على تحريره فقولته تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به
وذلك عشرة أشياء ولها الميتة وآخرها ما ذبح على النصب قال ابن عباس هذا ما حرّم الله
من بهجة الانعام ويلحق به ما صرح بالسنة بتحريمه وهذا الاستثناء يحتمل أن يكون المراد
به الامايي عليكم الآن ويحتمل أن يكون المراد به في مستقبل الزمان فيدل على جواز
تأخير البيان عن وقت الحاجة ويحتمل الامر من جميعاً (غير محلى الصيد) ذهب
المصريون الى ان قوله الاول استثناء من بهجة الانعام وقوله غير محلى الصيد استثناء
آخر منه أيضاً فالاستثناء أن جميعاً من بهجة الانعام والتقدير أحلت لكم بهجة الانعام
الامايي عليكم الا الصيد وأنتم محرمون وقيل الاستثناء الاول من بهجة الانعام
والثاني هو من الاستثناء الاول ورد بأن هذا يستلزم باحة الصيد في حال الاحرام لانه
مستثنى من المحظور فيكون مباحاً وقيل التقدير أحلت لكم بهجة الانعام غير محلى الصيد
أي الاصيدا في البر وأكل صيده ومعنى عدم احلاله لم تقر بحرمته علا و اعتقاداً

قدرلك وقال سعيد بن جبير لا تبدلوا الحرام من أموال الناس بالحلال من أموالكم يقول لا تبدلوا أموالكم
الحلال وتأكلوا أموالهم الحرام وقال سعيد بن المسيب والزهري لا تعط مهزولاً وتأخذ منى وقال ابن ابي عمير والنخعي والبخاري
لا تعط زبواً وتأخذ جبداً وقال السدي كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة
بشاة يأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم وقوله ولا تأكلوا أموالكم الى أموالكم قال مجاهد وسعيد
ابن جبيرة وابن سيرين ومقاتل بن حيان والسدي وسفيان بن حسين أي لا تخطئوا هافئاً كلوها جميعاً وقوله انه كان حواكياً كبيراً

قال ابن عباس أي اعماء كبير اعظموا وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله حوبا كبيرا قال
اعما كبيرا ولكن في اسناده محمد بن يوسف الكندي وهو ضعيف وروى هكذا عن مجاهد وعكرمة وسعد بن جبير والحسن وابن
سيرين وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وأبي مالك وزيد بن أسلم وأبي سنان مثل قول ابن عباس وفي الحديث المروى في سنن
أبي داود اغفر لنا حوبا وخطايانا وروى ابن مردويه باسناده إلى واصل مولى بن عينة عن ابن سيرين عن ابن عباس أن أبا أيوب
طلق امرأته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب إن طلاق أم أيوب كان (٥) حوبا قال ابن سيرين الحوب الاثم ثم قال

ابن مردويه حدثنا عبد الباقي
حدثنا بشر بن موسى حدثنا هودة
ابن خليفة حدثنا عوف عن أنس
أن أبا أيوب آزاد طلاق أم أيوب
فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان طلاق أم أيوب لحوب
فامسكها ثم روى ابن مردويه
والحاكم في مستدركه من حديث
علي بن عاصم عن جندب الطويل
سمعت أنس بن مالك أيضا يقول
أراد أبو طلحة أن يطلق أم سليم
امرأته فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان طلاق أم سليم لحوب
فكف والمعنى أن كلكم أموالهم
مع أموالكم اثم عظيم وخطأ
كبير فاحتنبوه وقوله وان خفتم
ألا تقسطوا في السباي فانكحوا
ما طاب لكم من النساء مثنى أي
إذا كنتم تحت جبراً أحدكم بتيممة
وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها
فلم يعدل إلى ما سواها من النساء
فانهم كثير ولم يضيّق الله عليه
وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن
موسى حدثنا هشام عن ابن جريج
أخبرني هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة ان رجلاً كانت له تيممة

وهو شائع في الكتاب والسنة ونصب غير على الحال من ضمير لكم وعليه كلام الجمهور
وزهد اليه الزمخشري وتعب وأجيب وعنى هذا التقييد أي (وأنتم حرم) ظاهر
عند من يخص بهجة الانعام بالحیوانات الوحشية البرية التي يحل أكلها كانه قال
أحل لكم صيد البر الا في حال الاحرام وأما على قول من يجعل الاضافة بيانية فالعنى
أحل لكم بهجة هي الانعام حال تحريم الصيد عليكم بدخولكم في الاحرام لكونكم
محتاجين إلى ذلك فيكون المراد بهذا التقييد الامتنان عليهم بتجليل ما عدا ما هو محرم
عليهم في تلك الحال والمراد بالخرم من هو محرّم بالحج أو العمرة أو بهما أو سعى محرّم لكونه
يحرم عليه الصيد والطيب والنساء هكذا وجد تسمية الحرم حرما والاحرام احراما
(أن الله يحكم ما يريد) من الاحكام المخالفة لما كانت العرب تعتاده فهو مالك الكل يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا اعتراض عليه لا ما يقوله المعتزلة من مراعاة
المصالح قاله أبو حيان (يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله) الشعائر جمع شعيرة على
وزن فعبلة قال ابن فارس ويقال للواحدة شعارة وهو أحسن ومنه الأشعار للهدى
والمشاعر للعالم واحد هامش شعر هي المواضع التي قد اشعرت بالعلامات قبل المراد بها هنا
جميع مناسك الحج وقبل الصنفا والمروة والهدى والبدن والمعنى على هذين القولين
لا تحلوا هذه الامور بأن يقع منكم الاخلال بشئ منها أو بأن تحولوا بينها وبين من اراد
فعلها ذكر سبحانه النهي عن ان يحلوا شعائر الله عقب ذكره تحريم صيد الحرم واشعار
الهدى ان يطعن في صفة سنام المعبر بمحذية حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة هدى
وهو ستة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه أحاديث صحيحة في كتب السنة المطهرة
وقيل المراد بالشعائر هنا فرائض الله ومنه ومن يعظم شعائر الله وقيل هي حرمان الله
وقال ابن عباس هي أن تصيدوا وتحرم وقبل شرائع الله ومعالم دينه ولا مانع من حل
ذلك على الجميع اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا بما يدل عليه السياق
(ولا الشهر الحرام) المراد به الجنس فيدخل في ذلك جميع الاشهر الحرم وهي أربعة
ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب لا تحلوا بها القتال فيها وقيل المراد به هنا شهر الحج فقط
وقيل ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير والاول أولى (ولا الهدى) هو ما هدى إلى
بيت الله من ناقة أو بقرة أو شاة الواحدة هدية نهاهم سبحانه عن أن يحلوا حرمه الهدى بأن

فتركها وكان لها عقد وكان يسكنها عليه ولم يكن لها من نفسه شئ فنزلت فيه وان خفتم ألا تقسطوا أحسبه قال كانت شريكته
في ذلك العقد وفي ماله ثم قال البخاري حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال
أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في السباي قالت يا ابن أبي عتيق هذه التيممة تكون في
حجر وليها تنسرك في ماله ويحبه ماله وجمالها فريدولها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فتهرب أن
ينكحوهن إلا أن يقسطوا اليهن ويلغوا بهن أعلى سنهن في الصداق وأمره وأن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال

عروة قالت عائشة وإن الناس استنفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده هذه الآية فأنزل الله ويستفتونك في النساء قالت عائشة وقول الله في الآية الأخرى وترغبون أن تنكحوهن رغبت أحدكم عن بغيته إذا صكك قلبه المال والجمال فمروا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالتسليم من أجل رغبتهن عنهن إذا كن قليات المال والجمال وقوله لمثنى وثلاث ورباع أي أنكحوا من شئت من النساء أو من شاء أحدكم ثنتين وإن شاء ثلاثا وإن شاء أربعاً كما قال الله تعالى جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع (٦) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ولا يبقى ما عد ذلك في الملائكة دلالة الدليل عليه

بخلاف قصر الرجال على أربع فن هذه الآية كما قال ابن عباس وجهور العلماء لأن المقام مقام امتنان وإباحة فلا كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره قال الشافعي وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الميعة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة وهذا الذي قاله الشافعي يجمع عليه بين العلماء إلا ما حكى عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع وقال بعضهم بلا حصر وقد يثبت بعضهم بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح وأما إحدى عشرة كما قد جاء في بعض ألفاظ البخاري وقد علقه البخاري وقد روي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بخصم عشرة امرأة ودخل بهن ثلاث عشرة واجتمع عنده إحدى عشرة ومات عن تسع وهذا عند العلماء من خصائصه

بأخذ وعلى صاحبه أو يحولوا بينه وبين المكان الذي هم بدي إليه وعطيف الهدى على الشعاع ثم دخله تحتها لقصده التنبه على مزيد خصوصيته والتشديد في شأنه (ولا القلائد) جمع قلادة وهي ما تقلده الهدى من نعل أو نحوه وما تشد في عنق البعير وغيره وأحلالها بأن تؤخذ غصبا وفي النهي عن إحلال القلائد كيد للنهي عن إحلال الهدى وقيل المراد بالقلائد المقلدات بها ويكون عطفه على الهدى لزيادة التوصية بالهدى والأول أولى وقيل المراد بالقلائد ما كان الناس يتقلدونه أمانة لهم فهو على حذف مضاف أي ولا أحجاب القلائد وقيل أراد بالقلائد نفس القلائد فهو نهى عن أخذها مشجر الحرم حتى يتقلده طلبا للامر قاله مجاهد وعطاء وغيرهما (ولا آتين البيت الحرام) أي قاصديه من قولهم أمت كذا أي قصده والمعنى لا تفتهوا من قصد البيت الحرام لحج أو عمره أو ألبسكن فيه وقيل لا تحلوا قتال قوم أو أذى قوم آتين وقال ابن عباس سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يحجون ويعفرون ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر ويخرون في حجهم فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنزلت هذه الآية إلى آخرها فيكون ذلك منسوخا بقوله اقتضوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقرروا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله صلى الله عليه وسلم لا يحجن بعد العام مشركا وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقناة وأكثر المفسرين وقال قوم الآية محكمة وهي في المسلمين قال الواحدى وذهب جماعة إلى أنه لا منسوخ في هذه السورة وإن هذه محكمة وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم والظاهر ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الآية لاجتماع العلماء على أن الله تعالى قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها وكذلك اجتمعوا على منع من قصد البيت بجميع أوعرته من المشركين والله أعلم (يتبعون فضلا من ربهم ورضوانا) قال جمهور المفسرين معناه يغنون الفضل والرزق والأرباح في التجارة ويتبعون مع ذلك رضوان الله تعالى وقيل كان منهم من يطلب التجارة ومنهم من يتبع بالحج رضوان الله ويكون هذا الابتغاء للرضوان بحسب اعتقادهم وفي ظنهم عند من جعل الآية في المشركين وقيل المراد بالفضل هنا الثواب لا الأرباح في التجارة (وإذا سلمتم فاصطادوا) هذا نصريح بما أفاده مفهوم وأنتم حرم أباح لهم الصيد بعد أن خطر عليهم لزوال

دون غيره من الأمة كما سنده من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع ولتذكر الأحاديث في ذلك قال السبب الإمام أحمد حدثنا اسمعيل ومحمد بن جعفر قالوا حدثنا معمر بن الزهري قال ابن جعفر في حديثه أن أبا ناس شهاب عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أحقرنهن أربعاً فلما كان في عهد عمر طلق نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عرف فقال لى لائن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقد فقه في نفسك ولعلك لا تلبث الا قليلا وإيم الله ليراجع نساءك وليرجعن مالك أولا ورتهن منك ولا أمرن بقبرك فيرجن قبري أي رغال وهكذا رواه الشافعي

والترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وغيرهم من طرق عن اسمعيل بن علية وغندرو بن زيد بن زريع وسعيد بن ابى عروبة
وسفيان الثوري وعيسى بن يونس وعبد الرحمن بن محمد الحاربي والفضل بن موسى وغيرهم من الحفاظ عن معمر بن اسنادهم له الى
قوله اخترتمهن اربعا وباقى الحديث فى قصة عمر من افراد آجد وهى زيادة حسنة وهى مضغعة لما علل به البخارى هذا الحديث
فما حكاه عنه الترمذي حيث قال بعد روايته لسمعت البخارى يقول هذا الحديث غير محفوظ والصحيح ما روى شعيب وغيره
عن الزهري حدثت عن محمد بن أبى سويد بن الثقفى ان غيلان بن سلفة فذكره قال (٧) البخارى وانما حديث الزهري عن سالم عن

السبب الذى حرم لأجله وهو الاحرام ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى
الارض والامر للاباحة لان الله حرم الصيد على المحرم حالة الاحرام بقوله غير محلى الصيد
وانتم حرم وأباحه اذا حل من احرامه بقوله واذا حلتم فاصطادوا وانما قلنا أمر اباحه
لانه ليس بواجب على المحرم اذا حل من احرامه أن يصطاد وقرئ أحلتم وهى لغة فى حل
يقال أحل من احرامه كما يقال حل (ولا يجوز منكم) تأمل هذا النهى فان الذين صدوا
المسلمين عن دخول مكة كانوا كفارا حريين فكيف ينهى عن التعرض لهم وعن مقاتلتهم
فلا يظهر إلا أن هذا النهى منسوخ ولم أر من نبه عليه أو يقال ان النهى عن التعرض لهم
من حيث عقد الصلح الذى وقع فى الحديبية فسيده صاروا مؤمنين وحينئذ فلا يجوز
التعرض لهم ولم أر من نبه على هذا أيضا قال ابن فارس جرم وأجرم ولا جرم بمعنى قولك
لا بدوا للحالة وأصلها من جرم أى كسب وقيل المعنى لا يحملككم قاله الكسائى ونعذب
وهو يتعدى الى مفعولين يقال جرمنى كذا على بغضك أى جلتى عليه وقال أبو عبيدة
والفراء المعنى لا يكسبككم بغض قوم ان تعتدوا والحق الى الباطل والعبد الى الجور
والجريمة والخارجة عن الكسب والمعنى فى الآية لا يحملككم بغض قوم على الاعتداء
عليهم ولا يكسبككم بغضهم اعتداءكم الحق الى الباطل ويقال جرم يحرم جرم ما اذا قطع
قال على بن عيسى الرمانى وهو الاصل جرم بمعنى جلت على الشئ لقطعهم عن غيره وجرم
بمعنى كسب لا لقطعا على الكسب وجرم بمعنى حق لان الحق يقطع عليه قال الخليل
معنى لا جرم أن لهم النار لقد حق أن لهم النار وقال الكسائى جرم وأجرم لغتان بمعنى
واحد أى اكسب وقرأ ابن مسعود لا يجوز منكم بضم الياء والمعنى لا يكسبككم ولا يعرف
البصريون أجرم وأجرم يقولون جرم لا غير (شما أن قوم) مصدره مضاف لمفعوله لا الى
فاعله كقيل والشما ان الغض يقال شئت الرجل أشمؤه شمؤا وشمؤا شمؤا كل ذلك اذا
أبغضته وقد أنكر أبو حاتم وأبو عبيدة شما تابسكون النون لان المصادر انما تأتى
فى مثل هذا متحركة وخالفهما غيرهما فقال ليس هذا مصدرا ولكنه اسم فاعل على وزن
كسلان وغضبان وقيل سمعنا يخالف للقياس من وجهين تعدى فعله وكسر عينه لانه
لا يقياس الا فى مفتوحها اللازم (أن صدوكم) بفتح الهمزة مفعول لأجله أى لأن صدوكم
وهى قراءة واضحة والمعنى على قراءة الشرطية بكسر الهمزة لا يحملككم بغضهم ان وقع

أي أنه ان رجلا من ثقفى طلق نساه
فقال له عمر لتراجعن نساءك أو
لأرجن قبرك كما رجم قبر أبى رغال
وهذا التعليل فيه نظر والله أعلم
وقدر واه عبد الرزاق عن معمر
عن الزهري مرضى سلا وهكذا رواه
مالك عن الزهري مرضى سلا وقال أبو
زرعة هو أصح وقال البيهقي ورواه
عقل عن الزهري بلغنا عن عثمان
ابن محمد بن أبى سويد عن محمد بن
يزيد وقال أبو حاتم وهذا وهم انما
هو الزهري عن محمد بن أبى سويد
بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكره قال البيهقي ورواه
يونس وابن عيينة عن الزهري عن
محمد بن أبى سويد وهذا كما عاله
البخارى والاسناد الذى قدمناه
من مسند الامام أحمد رجاله ثقات
على شرط الشيخين ثم روى من غير
طريق معمر بن ابي الزهري قال
البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ
حدثنا أبو على الحافظ حدثنا أبو
عبد الرحمن النسائى ويزيد بن عمر
ابن يزيد الجرمي أخبرنا يوسف
ابن عبيد الله حدثنا سائر بن محشر
عن أيوب عن نافع وسالم عن ابن

عمر أن غيلان بن سلفة كان عنده عشرة نسوة فأسلم وأسلم معه فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار بمنهن أربعاً هكذا أخرجه
النسائى فى سننه قال أبو على بن السكن تفرده سائر بن محشر وهو ثقة وكذا وقع ابن معين قال أبو على وكذلك رواه السعيد بن
وهب عن سائر قال البيهقي وروى يانم حديث قيس بن الحرث أو الحرث بن قيس وعروة بن مسعود الثقفى وصفوا بن أمية بمعنى
حديث غيلان بن سلفة فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ لرسول الله صلى الله عليه وسلم سائرهن
فى بقاء العشرة وقد أسلم فلما أمره بأمره بالاربع وفاق سائرهن دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال فاذا كان هذا

في الزوام في الاستئناف بطريق الأول والله سبحانه أعلم بالصواب حديث آخر في ذلك روى أبو داود وابن ماجه في سننهم ما من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن جحصة بن الشمر دل وعنده ابن ماجه باب الشمر دل وحكي أبو داود ان منهم من يقول الشمر دل بالذال المججمة عن قيس بن الحرث وعندي داود في رواية الحرث بن قيس أن عميرة الأسدي قال أسأت وعندي عثمان نسوة فدكرت للذي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني من أربعا وهذا الاسناد حسن وهذا الخلاف لا يضر مثله لما للحدث من الشواهد حديث آخر في ذلك قال الشافعي في مسنده (٨) أخبرني من سمع ابن أبي الزناد يقول أخبرني عبد الحميد عن ابن سهل بن

عبد الرحمن عن عوف بن الحرث عن نوفل بن معاوية الديلي قال أسأت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اخترا ربعا أيتهن شئت وفارق الأخرى فعمدت الى أقدمهن صحبة عجوز عاقرة معي منذ ستين سنة فطلقتها فهذه كلها شواهد لحديث غيلان كما قاله البيهقي وقوله وان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم أي ان خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما قال تعالى ولن تستطعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجوارى السرارى فإنه لا يجب قسم بينهما ولكن يستحب فمن فعل خف من ومن لا فلا حرج وقوله ذلك أدنى ألا تعدلوا قال بعضهم ذلك أدنى ان لا تكثر عبا لكم فإنه زيد بن أسلم وسفيان ابن عيينة والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى وان خفتم عيلة أي فقر افسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال الشاعر

فيا بدري الفقير متى عناه

منهم الصديقكم (عن المسجد الحرام ان تعبدوا) أي على الاعتداء عليهم بالقتل وأخذ المال قال النحاس وأما ان صدقكم بكسر ان فالعلماء الجدل بالحق والحدوث والنظر يعنون القراءة في الأشياء فمن شأن الآية تزات عام الفتح سنة عثمان وكان المشركون صدوا المؤمنين عام الحديبية سنة ثنت فاصدا كان قبل الآية ولما نهى الله عن الاعتداء أمرهم بالتعاون على البر والتقوى فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) أي ليعن بعضكم بعضا على ذلك وهو يشمل كل أمر يصدق عليه انه من البر والتقوى كأننا ما كان قبل ان البر والتقوى لفظان لمعنى واحد وكررنا كيد وقال ابن عطية ان البر يتناول الواجب والمنسحب والتقوى يختص بالواجب وقال الماوردي ان في البر رضا الناس وفي التقوى رضا الله فمن جمع بينهما فقد تمت سعادته قال ابن عباس الرما أمرت به والتقوى ما نهيت عنه (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) أي لا يعن بعضكم بعضا على ذلك والاثم كل فعل أو قول يوجب اثم فاعاله أو فاقاله والعدوان التعدي على الناس عافيه ظلم فلا يقي نوع من أنواع الموجبات للاثم ولا نوع من أنواع الظلم للناس الا هو داخل تحت هذا النهي لصدق هذين النوعين على كل ما يوجب عفا معناه ما وقيل الاثم هو الكفر والعدوان هو الظلم وقيل الاثم المعاصي والعدوان البدعة والاول أولى وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه عن ابنة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له البر ما طمأن اليه القلب واطمأن اليه النفس والاثم ما حالف في القلب وتردد في الصدر وان أثنك الناس وأثرتك وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الادب وسلم والترمذي والحاكم والبيهقي عن النواس بن سمعان قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حالف في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي أمامة ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الاثم فقال ما حالف في نفسك فدعه قال فما الايمان قال من ساءه سيئته ومرة حسنته فهو مؤمن (واقبوا الله ان الله شديد العقاب) أمر سبحانه بالبر والتقوى وتوعده من خالف ما أمر به فتركه وأخالف ما نهى عنه ففعله ففعله ففعله عظيم وعبد شديد (حرمت عليكم) هذا شروع في تفصيل الحرمات التي أشار اليها سبحانه بقوله الا ما تبلى عليكم بالاجال وحاصل ما ذكر في هذا

وما يدري الغنى متى يعيل وتقول العرب عال الرجل يعيل عيلة اذا افتقر ولكن في هذا

التفسير ههنا نظر فإنه كما يخشى كثرة العائله من تعداد الخرائر كذلك يخشى من تعداد السرارى أيضا والصحيح قول الجمهور ذلك أدنى ألا تعدلوا الى لا تجوزوا يقال عال في الحكم اذا قسط وظلم وخال وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة * عيونا قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل وقال هشيم عن أبي اسحق كتب عثمان بن عفان الى أهل الكوفة في شيء عاتوه فيه اني استعير ان أعول رواد ابن جزي و قد روى ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن حبان في صحيحه من طريق عبد الرحمن بن أبي ابراهيم

وختم جده ثامنا محمد بن شعيب عن عمرو بن محمد بن زيد عن عبد الله بن عمر بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أدنى ألا تقولوا قال لا تجزروا قال ابن أبي حاتم قال أي هذا خطأ والصحيح عن عائشة موقوف قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عباس وعائشة ومجاهد وعكرمة والحسن وأبي مالك وأبي رزين والخبزي والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني وقادة والسدي ومقاتل بن حيان أنهم قالوا لا عملوا وقد امتشهد عكرمة بسبب أبي طالب الذي قدمناه ولكن ما أشده كاهو المروى في السيرة وقد رواه ابن جرير ثم أنشده جديدا واختار ذلك وقوله تعالى (٩) وأول النساء صدقاتهن نحلة قال علي بن أبي

طلحة عن ابن عباس النخلة المهر وقال محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن عائشة نخلة فريضة وقال مقاتل وقادة وابن جرير نخلة أي فريضة زاد ابن جرير صميمة وقال ابن زيد النخلة في كلام العرب الواجب يقول لا تسكعها إلا بشئ واجب لها وليس ينبغي لأحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكع امرأة إلا بصدق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمة الصداق كذا يغيب حق ومضون كلامهم أن الرجل يجب عليه دفع الصداق إلى المرأة حقا وأن يكون طيب النفس بذلك كما يخرج النخلة ويعطي النخلة طيبا بها كذلك يجب أن يعطي المرأة صداقها طيبا بذلك فإن طابت هي له بعد تسمة أمته أو عن شيء منسه فلما كاه حلالا طيبا ولهذا قال فإن طبن لاسكم عن شيء منسه نفسا فكلوه هئامرينا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهاد عن سفيان عن السدي عن يعقوب بن المغيرة ابن شعيب عن علي قال إذا استسكى أحدكم شأ فليسال امرأته ثلاثة

البيان أحد عشر شيا كلها من قبيل المطعوم إلا الأخير وهو الاستقسام بالازلام (الميتة) المزايا البهية التي توت حقا بغير أي أكلها (والدم) وما هنامن تحريم مذاق الدم مقيد بكونه مسبقا كما تقدم جلاله طلق على المقيد وقد ورد في السنة تخصيص الميتة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال أخرجه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي وفي استادهم قال ويقويه حديث هو الطهور وماؤه الحلى ميتته وهو عندنا جد وأهل السن وغيرهم وصححه جماعة منهم ابن خزيمة وابن حبان وقد أطال الشوكلي الكلام عليه في شرحه للمتنق (ولحم الخنزير) قيل كذب نجس وانما خص اللحم لأنه معظم المقصود بالكل (ومأهل لغير الله) أي ما ذكر على ذبحه أو عند ذبحه غير اسم الله تعالى والإسلا رفع الصوت لغير الله كان يقول باسم اللات والعزى ونحو ذلك فخرمه الله بهذه الآية وقوله ولأنما كلوا مما يذكر اسم الله عليه قال شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على هذه الآية أن ظاهرها ما ذبح لغير الله سواء فظها ولم يلفظ بتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه وقال فيه باسم المسيح ونحوه كان ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أركى مما ذبحناه اللحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله بالصلاة والسلام له أعظم من الاستعانة باسمه في فواحش الأمور والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله فاذبح لغير الله متقربا إلى المحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة ممن منافق هذه الأمة وإن كان هو لا مر تدن لتباج ذبحهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعات ومن هذا ما يفعل عكة وغيرهما من الذبح انتهى وكلامه في هذا الباب واسع جدا وكذلك كلام غيره من أهل العلم ولا حاجة بنا هنا إلى تكرير ما قد أسلفناه في سورة البقرة من أحكام هذه الأربعة فليس مالا يحتاج الناظر فيه إلى غيره (والمنخقة) هي التي توت بالخلق وهو حبس النفس سواء كان ذلك بقلها كان تدخل رأسها في جبل أو بين عودين أو بفعل آدمي أو غيره وقد كان أهل الجاهلية يخفون الشاة فإذا ماتت أكلوها والفرق بينهم أن الميتة توت بلا سبب أحد والمنخقة توت بسبب الخلق (والموقوذة) هي التي تضرب بحجر أو عصا حتى توت من غير نكبة يقال وقذه وقذه وقذا فهو وقيدوا وقد شدة الضرب حتى يسترخي ويشرف

(٢ - فتح البيان ثالث) دراهم أو نحو ذلك فليتعهم عسلا ثم ليأخذها منها فيجتمع هئامر ثاشاء منار كما قال هشيم عن سيار عن أبي صالح كان الرجل إذا زوج بنته أخذ صداقها دونها فهاهم الله عن ذلك ونزل وأول النساء صدقاتهن نحلة رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الجدي حدثنا وكيع عن سفيان عن غير الخنعمي عن عبد الملك بن المغيرة الطائفي عن عبد الرحمن بن مالك الجلباني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأول النساء صدقاتهن نحلة قالوا يا رسول الله فما العلائق بينهم قال ما رآني عليه أهلوهم وقد روى ابن مردويه من طريق ججاج بن أوطاة عن عبد الملك بن

المغيرة عن غيد الزحني عن السلمي عن عمر بن الخطاب قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استمعوا لآيائكم ثلاثا فقام
 البرجل فقال يا رسول الله خالنا لثقت بينهم قال متراخي عليهما فلوهم ان السلمي ضعيف ثم فيه انقطاع ايضا (ولا تقولوا
 السفهاء) واما الحكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها وكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا الساعي حتى اذا بلغوا
 النكاح فان اسلمتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تأكلوها سرا فافا وبدا ان يكرهوا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان
 فقيرا فليأكل كل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم (١٠) اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا) ينهي سبحانه وتعالى عن تمكين السفهاء

من التصرف في الاموال التي
 جعلها الله للناس قياما أي تقوم
 بها عيادتهم من التجارات وغيرها
 ومن ههنا يؤخذ الجرح على السفهاء
 وهم اقسام فتارة يكون الجرح للصغر
 فان الصغير يساوب العبارة وتارة
 يكون الجرح للجنون وتارة لسوء
 التصرف لنقص العقل أو الدين وتارة
 للفلس وهو ما اذا حاطت البدون
 برجل وضاق ماله عن وفائها فاذا
 سأل الغرماء الجباكم الجرح عليه
 جرحه عليه وقال الضحاك عن ابن
 عباس في قوله ولا تقولوا السفهاء
 اموالكم قال هم بئسوا والسفهاء
 وكذا قال ابن مسعود والحكم بن
 عيسى بن الحسن والضحاك هم
 النساء واليهيمان وقال عبيد بن
 جبير هم الساعي وقال مجاهد
 وعكرمة وقنادة هم النساء وقال
 ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا
 هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد
 حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن
 علي بن يزيد عن القاسم عن أبي
 أمامة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان النساء سفهاء الا التي
 أطاعت قبيها ورواه ابن مردويه

على الموت وبه وعد وشاة موقرودة قتلت بالخشب وفلان وقيد أي خشن ضربا وقد كان
 أهل الجاهلية يفعلون ذلك فيضربون الانعام بالخشب لا يهتمهم حتى يموت ثم يأكلونها
 قال ابن عبد البر واختلف العلماء قديما وحديثا في الصيد بالنقد والجحر والمعراض
 ويعني بالنقد قوس البندق والمعراض السهم الذي لا ريش له أو العصا التي رأسها
 محدد ود قال خن ذهب إلى أنه وقيد أي يحجزه الاما درك ذكره على ما روى عن ابن عمر وهو
 قول مالك وأبي حنيفة وأصحابه والثوري والشافعي وخالفهم الشافعي في ذلك قال
 الاوزاعي في المعرض كالهزق أو لم تحزق فقد كان أبو الدرداء وفضالة بن عبيد وعبد الله
 ابن عمر ومكحول لا يرون به بأسا قال ابن عبد البر هكذا ذكر الاوزاعي عن عبد الله بن عمر
 والمعروف عن ابن عمر ما ذكر مالك عن نافع قال والاصل في هذا الباب والذي عليه العمل
 وفيه الحجة حديث عدي بن حاتم وفيه ما أصاب بعرضه فلا تأكل فانه وقيد انتهى (قلت)
 والحديث في الصحيحين وغيرهما عن عدي قال قلت يا رسول الله اني أرى بالمعرض الصيد
 فاصيب فقال اذا رميت بالمعرض فخرق فكله وان أصاب بعرضه فامتنع وقيد فلا
 تأكله فقد اعتبر صلى الله عليه وآله وسلم الخرق وعدمه فالحق انه لا يحل الا ما خرقت لا
 ما صدم فلا بد من التدكك قبل الموت والا كان وقيدا قال الشوكاني وأما البنادق
 المعروفة الآن وهي بنادق الحديد التي يجعل فيها البار ودور الرصاص ويرمي بها فلها حكم
 على ما أشل العلم لتأخر حداثتها فلم يتصل إلى الديار المنيمة الا في المائة العاشرة من
 الهجرة وقد سألني جماعة من أهل العلم عن الصيد بها اذا مات ولم يتمكن الصائد من
 تذكيته حيوا الذي يظهر لي انه حلال لانهم لم يخرقوا وتدخل في الغالب من جانب منه
 وتخرج من الجانب الآخر وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح السابق
 اذا رميت بالمعرض فخرق فكله فاعتبر الخرق في تحصيل الصيد انتهى والحاصل ان
 جلا ما يحل الصيده من الالات هذه البنادق الجديدة التي يرمي بها البار ودور الرصاص
 فان الرصاصة يحصل بها خرقة رائدة على خرقة السهم والرمح والسيف ولها في ذلك عمل
 يفوق كل آلة ويظهر لك ذلك بانك لو وضعت ريشا ونحوه فوق رصاصة دقيقة أو تراب دقيق
 وغرزت فيه شيئا يبرأ من أضالهم ضربتها بالسيف الخدود ونحو ذلك من الالات لم
 يقطعها وحشي على هذه الحالة ولو رميتها بهذه البنادق لقطعها فلا وجه لجعلها قاتلة

مطلولا وقال ابن أبي حاتم ذكر عن مسلم بن ابراهيم حدثنا حارب بن شرح عن معاوية بن قرة عن أبي هريرة
 ولا تقولوا السفهاء اموالكم قال هم الخدم وهم شياطين الانس وقوله وارزقوهم فيها وكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقال
 علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لا تعتمد الى مالك وما خولك الله وجعل لك معيشة فقطعها امرأته أو بنتك ثم تنظر الى ما في
 أيديهم ولكن اسلك مالك واصلمه وكن أنت الذي تنفق عليهم من كبوتهم وموئنتهم ورزقهم وقال ابن جرير حدثنا ابن المنني
 حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شاذلية عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل

له امر أمة سيرة الخلق فلم يطقها ورجل أعطى ماله سفها وقد قال لا توف السفها مائة و الكرم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه وقال مجاهد و قولوا لهم قولوا غرو يعني في البر والصله وهذا لا يتركه تضيقت الأحسان إلى العائلة ومن تحت الحجر بالفعل من الاتفاق في الكسوى والأرزاق بالكلام الطيب وتحسين الأخلاق وقوله تعالى وابتلوا السابى قال ابن عباس ومجاهد والحسن والسدي ومقاتل أى اختبروهم حتى إذا بلغوا النكاح قال مجاهد يعني الحلم قال الجهم و روى العلماء البلوغ في الغلام تارة يكون بالحلم وهو أن يرى في منامه ما ينزل به الماء الدافى الذى يكون منه الولد وفى (١١) سنن أبى داود وعن على قال حفظت

من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد احتلام ولا صمات يوم إلى الليل وفى الحديث الآخر عن عائشة وغيرهما من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع العلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتم وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفسق أو يستكمل خمس عشرة سنة وأخذوا ذلك من الحديث الثابت فى الصحاح عن ابن عمر قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وأبى أربع عشرة فلم يجزى وعرضت عليه يوم الخندق وأبى ابن خمس عشرة سنة فأجازنى قال عمر بن عبد العزيز لما بلغه هذا الحديث أن هذا الفرق بين الصغير والكبير واختلاف فى نبات الشعر أنخن حول الفرج وهى الشعرة فلم يدل على بلوغ أم لا على ثلاثة أقوال يفرق فى الثالث بين صبيان المسلمين فلا يدل على ذلك لاحتمال المعالجة وبين صبيان أهل الذمة فيكون بلوغاً فى حقهم لأنه لا يتجمل بها إلى ضرب الجزية عليه فلا يعالجها والصحح أنهم بالبلوغ فى الجميع لأن هذا امر جليل يستوى فيه الناس واحتمال المعالجة بعيد

بالصدم لا من عقل ولا من نقل من النبي عن كل ما روى بالبندقة كما فى رواية من حديث عدى بن حاتم عند أحمد بلفظ ولأن كل من البندقة إلا ما ذكر كيت فالمراد بالبندقة هنا هى التى تتخذ من طين فترى بها بعد أن يس وفى صحيح البخارى قال ابن عمر فى المنة متولة بالبندقة تلك الموقوفة وكرهه سالم والقاسم ومجاهد وأبراهيم وعطاء والحسن وهكذا ما صيد بحصى الخذف فقد ثبت فى الصحاح وغيرهما من حديث عبد الله بن المغفل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف وقال إنما الاتصه صيدوا ولا تنكئ عدوا لكنها تنكسر السن وتنفق العير ومثل هذا ما نقل بالرى بالحجارة غير المحدودة إذا لم تحرق فإنه وقيد لا يخل وأما إذا خرقت حل (والمتردية) هى التى تردى من علوكا لسطح والجبل ونحوهما إلى سفل فتموت من غير فرق بين أن تردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها والتردى مأخوذ من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها أو رداها غيرها (والتنطجة) هى فعله به بمعنى مفعولة وهى التى تنطعها أخرى فتموت من دون تذكرة وقال قوم إن فعله به معنى فاعله لأن الدابتين تتناطحان فتموتان وقال نطجة ولم يقل نطج مع أنه قياس فعمل لأن لزوم الخذف مختص بما كان من هذا الباب صفة لموصوف مذكور فان لم يذكر ثبت التناطح للنقل من الوصفية إلى الاسمى وفى القاموس نطجه كمنعه وضربه أصابه بقرنه (وما كل السبع) أى ما اقترب منه منه ذناب كالأسد والنمر والذئب والفهد والضبع ونحوها والمراد هنا ما كل بعضه السبع لأن ما أكله السبع كله قد فنى فلاحكم له وإنما الحكم لما بقى منه والسبع اسم يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والذئب فيقتل بسببه ومن العرب من يخص اسم السبع بالأسد وكانت العرب إذا أكل السبع شاة ثم خصلوها منه أكلوها وان ماتت ولم يذبحوها (الاماذ كيت) استثناء متصل عند الجهور وهو راجع على ما أدركت ذكرناه من المذكورات سابقا وفيه حكمة وقال المديون وهو المشهور من ذهب مالك وهو أحد قولى الشافعى أنه إذا بلغ السبع منها إلى الملاحية معه فأنه لا تؤكل وحكامه فى الموطاع عن زيد بن ثابت وأبيه ذهب السبع القاضى فيكون الاستثناء على هذا منقطع أى حرمت عليكم هذه الأشياء لكن ما ذكيت فهو الذى يجل ولا يحرم والأول أولى والذكاة فى كلام العرب الذبح قاله قطرب وغيره وأصل الذكاة فى اللغة القتل أى تسلل استكمال القوة والذكاة حادة القلب

ثم قد دلت السنة على ذلك فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن عطية القرطى قال عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قرظنة فأمر من ينظر وأمن أن يثبت فكان من أنبت قتل دون لم ينبت خلى سبيله فكنت فمين لم ينبت نخل سبيل وقد أخرجه أهل السنن الأربعة بنحوه وقال الترمذى حسن صحيح وإنما كان كذلك لأن سعد بن معاذ كان قد حكم فيهم بقتل مقاتلته وسبى الذرية وقال أبو عبيد فى الغريب حديث ابن عباس عن اسماعيل بن أفضة عن محمد بن يحيى بن جحان عن عمران غلاما بهت جارية فى شعره فقال انظر واليه فلم يوجد أنبت فدرأ عنه الجدة قال أبو عبيد بهت رهاى قذفيها والابتهار أن يقول فعلت بها وهو كاذب فان كان صادقا فهو والابتهار

قال الكعب في شعره

فجعل على نعم الفتاة

وقوله عز وجل فان أنتم

منهم رشتا قال سعيد بن جبير يعني صلاحاً في دينهم وحفظاً لأموالهم وكذا روى عن ابن عباس والحسن البصري وغير واحد من الأئمة وهكذا قال الفقهاء إذا بلغ الغلام من حاله ما لا يملكه والده فبذل ما له الذي تحت يده وقوله ولأننا كلوا من أسرافا وندار أن يكبروا يعني تعالى عن كل أموال السامع من غير حاجة ضرورية أسرافا وندار أن يبادر قبل بلوغهم ثم قال تعالى ومن كان غنيا فليستعفف (١٤) عنه ولأننا كل منه شيئا وقال الشعبي هو عليه كلبية والدم ومن كان فقيرا فليأكل كل

بالمعروف قال ابن أبي حاتم حديثنا
الشيخ حدثنا عبد الله بن سليمان
حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة
ومن كان غنيا فليستعفف زلت
في مال التيمم وحدثنا الشيخ
وهرون بن اسحق قال حدثنا عبد
الله بن سليمان عن هشام عن أبيه عن
عائشة ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف زلت في والي التيمم الذي
يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجا
أن يأكل منه وحدثنا في حديثنا
محمد بن سعيد الأصبهاني حديثنا
علي بن مسهر عن هشام عن أبيه
عن عائشة قالت أئذت هذه الآية
في والي التيمم ومن كان غنيا
فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف بقدر قيامه عليه ورواه
البخاري عن اسحق بن عبد الله
ابن عمر عن هشام به قال الفقهاء
له أن يأكل أقل الأمرين أجرة
منه أو قدر حاجته واحتقروا كل
يردا إذا أسير على قولين أحدهما
لأنه أكل بأجرة عمله وكان فقيرا
وهذا هو الصحيح عند أصحاب
الشافعي لأن الآية أباحت الأكل
من غير بدل قال أحمد حديثنا

وسيرة القطة والذ كاهما نذكر في سنه النار ومنه أذ كت الحرب والنار وقد تم بها
فذكر اسم الشجر والمراد حينا الاما ذكر كذ كاهه على التمام والذ كيه في الشرع
عبارة عن انهار الدم وقرى الادواح في المذوح والعرق في المنحور والعرق في غير المقذور
مقروا بالاصد لله وذ كاهه عليه وأما الآلة التي يقع بها الذ كاهه فذهب الجمهور إلى
أن كل ما من به الدم وقرى الادواح فهو آلة الذ كاهه ما خلا السن والعظم وبهذا جاءت
الاحاديث الصحيحة (و) حرم (مما يوجب على النصب) أي ما قصد به نصبه النصب ولم يذكر
اسمه اذ يوجب به بل قصد تعظيمها اذ يوجب به فعله بمعنى اللام فليس هذا مكر رافع ماسبق اذ
ذال فيقيد كعند يوجب اسم النصب وهذا فيما قصد به تعظيم النصب من غير ذكره وقال
ابن فارس النصب حجر كان نصب فيعبد ونصب عليه دماء الذبايح والنصاب نجارة تنصب
حوالي شفير البئر فتجعل عظامه وقيل النصب جمع واحد نصاب كحمار وجر وقرأ
الجذرى للخلل والجلل والجمع انصاب كالأحوال والاجال قال مجاهد في نجارة كانت
حوالي مكة يذبحون عليها قيل كان حول الكعبة ثلثمائة وستون حجرا منصوبة قال
ابن عباس عن الاصنام المنصوبة قال ابن جرير كانت العرب تذبح بمكة وتضج بالدم
ما أقبل من البيت ويشرحون اللحم يضعونه على النجارة فلما جاء الإسلام قال المسلمون
لنبي صلى الله عليه وسلم نحن احق أن نعظم هذا البيت بهذه الافعال فانزل الله وما ذبح
على النصب والمعنى والتبذير ذلك تعظيم النصب لان الذبح عليها عرجا وبهذا قيل
ان على معنى اللام أي لاجلها قاله قطرب وهو على هذا داخل فيما أحل به غير الله وخصص
بالذ كاهه كيد يحترقه ويدفع ما كانوا يظنون منه أن ذلك ينسرف البيت وتعظيمه
(وأن تستقيموا بالازلام) وهي قداح المسير واحد هازم والازلام العرب ثلاثة أنواع
أحدها مكتوب فيه افعل والآخر مكتوب فيه لا تفعل والثالث مهملة لاشي عليه
فيعملها في خر يطمع به فإذا أراد فعل شيء أدخل يده وهي متشابهة فأخرج واحدا
منها فان خرج الاول فعل ما عزم عليه وان خرج الثاني تركه وان خرج الثالث أعاد
الضرب حتى يخرج واحدا من الاولين وأما قيل لهذا الفعل استقسام لانهم كانوا
يستقسمون به الرزق وما يردون فعله كما يقال استسقى أي استسقى السقيما فالاستقسام
طلب القسم والنصيب والحكم من القداح ووجه قداح المسير عشرين أو ثلاثين

عبد الوهاب حديثنا جابر بن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ليس لي مال ولني يتيم فقال كل من مال يملك غير مسرف ولا مبدر ولا متائل مالا ومن غير أن تقي مالا أو قال تقدي مالا كماله شيخ
حسين وقال ابن أبي حاتم حديثنا أبو سعيد الأشج حديثنا أبو خالد الأحمر حديثنا حسين المكتوب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده
قال جابر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان عذبي يتما عذبه مال وليس لي مال آكل من ماله قال كل بالمعروف وغير
مسرف ورواه أبو داود والبيهقي وابن ماجه من حديث حسين المعلم وروى ابن حبان في صحيحه وابن مردويه في تفسيره من

حدثني يعلى بن ميمون عن جعفر بن سليمان عن أبي عامر الخزاز عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله عن رجل قال يا رسول الله مما أنشرب
 ينمي قال مما كنت خارباً منه ولا تغربوا في مالك ولا تأكل منه مما لا قال جابر حدثنا الحسن بن يحيى أخبرنا عبد الرزاق
 أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء اعرابي إلى ابن عباس فقال ان في حجرى أيتاماً وإن لهم إبلًا وإبلًا
 وأنا أنضح من إبلها فراقوا فإذا جعل من إبلها ثم اقتبل ان كنت تبغى ضالها أو تهملها فراقها أو تبيعها فراقها فاشرب
 مضر بنسلك ولا تأكل في الحلب ورواه مالك في موطنه عن يحيى بن سعيد (١٣) وهذا القول وهو عدم أداء المذلل يقول

بعض القرض قال وروى عن عبيدة وأبي العالية وأبي وائل وسعيد بن جبلة في إحدى الروايات ومجاهد والضحاك والسدي نحو ذلك وروى من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فلما كل بالمعروف قال يأكل بثلاث أصابع ثم قال حدثنا أحمد بن سنان حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس ومن كان فقرا فلما كل بالمعروف قال يأكل من ماله بقوت على نفسه حتى لا يحتاج إلى مال اليتيم قال وروى عن مجاهد وميمون بن مهران في إحدى الروايات والحاكم نحو ذلك وقال عامر الشعبي لا يأكل كل منه إلا أن يضطر إليه كما يضطر إلى الميتة فإن كل منه قضاء رواد ابن

أبي حاتم وقال ابن وهب حدثنا قعنب بن أبي نعيم القاري قال سألت يحيى بن سعيد الأنصاري ورعيه عن قول الله تعالى ومن كان فقيراً فليأكل مما بالعرفان الآية فقال ذلك في التيمم كان فقيراً لا يملك عليه بقدر فقره ولا يمكن الأولى منه شيء وهذا بعيد من السابق لأنه قال ومن كان غنياً فليستغفر يعني ومن الأولياء ومن كان فقيراً أي منهم فليأكل كل بالعرفان أي بالشيء أحسن كما قال في الآية الأخرى ولا تقربوا مال التيمم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده أي لا تقربوه إلا بالصلح له فإن احتجبت اليد كلمته من المعروف وقوله فإذا دفعتم إليهم أموالهم (١٤) يعني بعد دفعهم إلى مالهم وإنسهم إلى رشدتهم فحينئذ سألوا إليهم أموالهم فإذا

دفعتم اليهم أموالهم فأشبهوا عليهم
وهذا أمر من الله تعالى لا ولا
يشهدوا على الأيتام إذا بلغوا الحلم
وسلو اليهم أموالهم لتلايق من
بعضهم بخود وانكار لما قبضه
ونسلمه ثم قال وكفى بالله حسيباً
وكفى بالله حاسباً وشاعداً ورقياً
على الأولياء في حال نظرهم للأيتام
وحال تسليمهم لأموالهم هل هي
كاملة موفرة أم مقوصة بخوصة
مخرج حسابها لمسلم أمورها
الله عالم بذلك كله ولهذا ثبت في
صحیح مسلم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا أيها الرائي أراكَ
ضعتفا وإني أحب بك ما أحب
لنفسى لأفامر على اثنين ولا تلبس
مال يتيم (لأرجال انصبت محاربه
الوالدان والأقربون والنساء انصبت
محاربه الوالدان والأقربون محاربه
نفسه أو كثر نصيبها من ماله وإذا
حضر للقبعة أو لأول القري والمساكين
والمساكين فإن زوجه منته وقولوا
لهم قولاً معروفاً وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضغافاً
خافوا عليهم فليستقوا الله وليقولوا
قولا سديداً أن الذين ما يكون

أموال المتلحق ظلماً عاماً تكون في بطونهم ثاراً وسبباً لصون شعرا) قال سعيد بن جبير وقتاده كلان المشركون يجمعون آية المال للرجال الكبار ولا يورثون النساء إلا الأطفال شيئاً فأنزل الله للرجال نصيب مما تركوا والآلاد والاقربون الآية أي الجميع فيه سواء في حكم الله تعالى يستورون في أصل الزنا وإن تفاوتوا بحسب ما فرض الله لكل منهم مما يليق به إلى الميت من قرابة أو زوجة أو أولاد فإنه حجة كحكمة النبي وورثي ابن مردويه عن طريق ابن هروسة عن مشيكان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال أتت أم الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن ابنتي قد ماتت أوهاها وليس لهما شيء فأنزل الله تعالى للرجال

[illegible]

ملكية ان أمه بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والقاسم بن محمد أخبره ان عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن وعاشت حية فلم يدع في الدار مكيلا ولا ذقرا بل الأعطاء من ميراث أبيه قالوا ولا واذ حضر القسمة أو لا القربى قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما ذاب يس ذلك له نعم ذلك الى الوصية وانما هذه الآية في الوصية يريد الميت يوصي لهم رواه ابن أبي حاتم وذكره من قال ان هذه الآية منسوخة بالكلية قال سليمان الثوري عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس واذ حضر القسمة قال منسوخة قال اسمعيل بن مسلم المكي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال في هذه الآية

وإذا حضر القسمة أولو القربى نسختها الآية التي بعدها وبضيمكم الله في أولادكم وروى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية وإذا حضر القسمة أولو القربى كان ذلك قبل أن تنزل القرأض فأنزل الله بعد ذلك القرأض فاعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمي المتوفى رواه ابن مردويه وقال ابن أبي خاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين نسختها آية الميراث فجعل لكل انسان نصيبه مما ترك الولدان والأقربون مما قل (١٦) منه وأكثر وحدثنا أسيد بن عاصم حدثنا سعيد بن عامر عن همام حدثنا قتادة

عن سعيد بن المسيب أنه قال أنها منسوخة قبل القرأض كان ما تركه الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمساكين وذوى القربى إذا حضر والقسمة ثم نسختها الموارث فالحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرباته حيث شاء وقال مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب هي منسوخة نسختها الموارث والوصية وهكذا روى عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم ابن محمد وأبي صالح وأبي مالك وزيد بن أسلم والأضمال وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنهم قالوا أنها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة وأصحابهم وقد اختار ابن جريج ههنا نقولا غير ما جحدوا وحاصله أن معنى الآية عندنا: إذا حضر القسمة أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أو لوقربة الميت فأزقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين إذا حضروا قولنا معروفاً هذا معنى ما حاولوا بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر والله أعلم

والفرق بين الميراثين والكلام في ذلك يطول ويستدعي استغراق الأوراق الكثيرة وهو مبسوط في مواضعه وفيما ذكرنا منقطع وبالله التوفيق وفي الآية دلالة على بطلان القياس وعلى أنه تعالى قد نص على الحكم في جميع الوقائع الذوقية بها ما غير مبين الحكم لم يكن الدين كاملاً وإذا حصل النص في جميع الوقائع فالقياس أن كان على وفق ذلك النص كان عبثاً وإن كان على خلافه كان باطلاً وقد أجاب مبتدو القياس عن هذا بما لا يكتفي في الجواب والله أعلم بالصواب (وانتم عليكم نهي) بأكمال الدين المشتمل على الأحكام ويفتح مكة وقهر الكفار وإياهم عن التلذذ بكم كما وعدتكم يقولون ولا تم نعمتي عليكم وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة (ورضت لكم الإسلام ديناً) أي أخبرتكم برضائي به لكم فالجنة مستأنسة لا معطوفة على أكملت والا كان مفهوماً ذلك أنه لم يرض لهم الإسلام ديناً قبل ذلك وليس كذلك فإنه سبحانه لم يزل راضياً لامة بنيه صلى الله عليه وآله وسلم بالإسلام فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كثير فائدة أن جعلناه في ظاهره ويحتمل أن يريد برضت لكم الإسلام الذي أنتم عليه اليوم ديناً باقياً إلى انقضاء أيام الدنيا ويأمنتمص على التميز ويجوز أن يكون سفعولاً نانياً قال ابن عباس أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الأيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أنتم فلا ينقص أبداً وقد رضى فلا يسخط أبداً وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن طارق بن شهاب قال قالت اليهودية ما تركت تفرقوني في كأكم لم علينا معشر اليهود نزلت لأخذنا ذلك اليوم عيسداً قال وأى آية قالوا اليوم أكملت لكم دينكم قال عروا الله إلى لاعلم اليوم الذي نزل فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والساعة التي نزلت فيها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشية عرفت في يوم الجمعة أشار عروا إلى أن ذلك اليوم يوم عبد لنا قال ابن عباس فكنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول هذه الآية أحد أوثانين يوم ماتم قبضه الله إليه أخرجه البيهقي ومات صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين الثاني خلتا من ربيع الأول وقيل لانتى عشر ذله وهو الأصح سنة إحدى عشرة من الهجرة قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة أعياد يوم الجمعة ويوم عرفت عيديد اليهود وعيديد النصارى وعيديد العجوس ولم يتجمع أعياد لأهل المال في يوم واحد قبله ولا بعده (فن اضطر في شخصه) هذا متصل بذكر المحرمات وما بينهما مما اعتراض أي

عن سعيد بن المسيب أنه قال أنها منسوخة قبل القرأض كان ما تركه الرجل من مال أعطى منه اليتيم والفقير والمساكين وذوى القربى إذا حضر والقسمة ثم نسختها الموارث فالحق الله بكل ذي حق حقه وصارت الوصية من ماله يوصي بها لذوي قرباته حيث شاء وقال مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب هي منسوخة نسختها الموارث والوصية وهكذا روى عن عكرمة وأبي الشعثاء والقاسم ابن محمد وأبي صالح وأبي مالك وزيد بن أسلم والأضمال وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنهم قالوا أنها منسوخة وهذا مذهب جمهور الفقهاء والأئمة الأربعة وأصحابهم وقد اختار ابن جريج ههنا نقولا غير ما جحدوا وحاصله أن معنى الآية عندنا: إذا حضر القسمة أي وإذا حضر قسمة مال الوصية أو لوقربة الميت فأزقوهم منه وقولوا لليتامى والمساكين إذا حضروا قولنا معروفاً هذا معنى ما حاولوا بعد طول العبارة والتكرار وفيه نظر

والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس وإذا حضر القسمة هي قسمة الميراث وهكذا قال غير واحد والمعنى على هذا من لاعلى ما سلكه ابن جريج والله بل المعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يربون واليتامى والمساكين قسمة مال جري فإن أنفسهم تشوق إلى شيء منه إذا رأوا وأخذوا يأخذوه إذا أخذوا يأخذوه بالناس لأنهم يعطونه فأمر الله تعالى وهو الرؤف الرحيم أن يرضي لهم شيء من الوسط يكون براهم وصدقة عليهم واحساناً إليهم وجبر الكسرهم كما قال الله تعالى كما ومن ثمرة إذا أثر وألوا حقه يوم حصاده ودم الذين يتقون المال خفية خفية أن يطلع عليهم المحابيح وذو النفاق كما أخبر به عن أصحاب الجنة

إذا أقسموا بالعصر منهم ماصبحين أي بليل وقال فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلوها اليوم عليكم مسكين قد مر الله عليهم وللكافرين أمثالها فمن يجد حتى الله عليه عاقبه في أعز ما يملك ولو لم يجدوا في الحديث ما خاطبت الصدقة ما لا الأقدار أي منعها يكون سبب محق ذلك المال بالكلية وقوله تعالى ولجنس الذين لوثر كوا من خلقهم الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هذا في الرجل يحضره الموت فيسمع رجل يوصي بوصية تضرب رثته فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتق الله ويوقفه ويسدده للصواب فينظر لو رثته كما كان يجب أن يصنع برثته إذا خشى عليهم الضيعة وهكذا (١٧) قال مجاهد وغير واحد وثبت في الصحيحين أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل على سعد بن أبي وقاص يعودوه قال يا رسول الله اني ذو مال ولا يرثني الا ائمة أفأصدق بئلي مالي قال لا قال فليطرق قال لا قال فالتفت قال الثلث والثلث كثير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس

وفي الصحيح عن ابن عباس قال لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير قال الفقهاء ان كان ورثته الممت أغنياء استحب الممت أن يستوفي في وصيته الثلث وان كانوا فقراء استحب أن ينقص الثلث وقيل المراد بالآية فليتبوا الله في مباشرة أموال التباي ولا يأكوها سرافاً وبدارا حكاه ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس وهو قول حسن أنه أيد بما بعده من التهديد في كل أموال التباي ظلم أي كاتحب أن تعاصر ذريته من بعده فعامل الناس في ذرايتهم اذا وليتهم ثم أعلمهم أن من أكل

من دعتة الضر ورة في محضة أي جماعة إلى أكل الميتة وما بعد ما من المحرمات والنقص ضمور البطن ورجل خبيص وخصان واحراً فخيرتة ومونة أخص القدم لدقتها وهي صفة محمود في النساء يستعمل كثير في الجوع وقعت هذه الآية هنا وفي البقرة الانعام والنحل ولم يذ كر جواب الشرط الا في البقرة فيقدر في غيرها وهو فلا اثم عليه (غير متجانف لاثم) الخلف الميل والاثم الحرام أي حال كون المضطر في محضة غير مائل لاثم وهو بمعنى غير باغ ولا عاد وكل مائل فهو متجانف وجنف وقرئ يتجنف وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق قال ابن عطية وهو أبلغ من متجانف وقيل المعنى غير متعرض لمعصية في محضة وهو قول فقهاء الجواز وقال ابن عباس غير متعمد لاثم (فان الله عفو رحيم) به لا يؤاخذ به ما أخطأ اليه الضر ورة في الجوع مع عدم ميله بأكل ما حرم عليه الى الاثم بأن يكون باغياً على غيره أو متعمداً للمعاداة اليه الضر ورة حسبما تقدم وهذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومصلحة بهم اومر قوله ذلكم فسق الى هما اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيدهما تقدم ذكره في معنى التحريم لان تحريره هذه الخبائث من جملة الدين الكامل (يسألونك ماذا أحل لهم) هذا شروع في بيان ما أحل الله لهم من الطعام بعد بيان ما حرمه الله عليهم والمعنى أي شئ أحل لهم أو ما الذي أحل لهم من الطعام اجمالاً ومن الصيد ومن طعام أهل الكتاب ومن نسايتهم (قل أحل لكم الطيبات) وهي ما يتلذذوا به ويستطيها أصحاب الطباع السليمة مما أحله الله لعباده أو مما لم يردنص بتحريمه من كتاب أو سنة أو إجماع عند من يقول بحجته ولا قياس كذلك وقيل هي الحلال وقد سبق الكلام في هذا وقيل الطيبات الذبائح أي ما ذبح على اسم الله عز وجل لانها طابت بالتذكية وهو تخصيص للعام بغير محض والسبب والسماق لا يصلحان للثأل والعرة في الاستطابة والاستئذان باهل المروءة والاخلاق الجيلة من العرب فان أهل البادية منهم يستطيعون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم لقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الخبث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة ضافياً يحل ويحرم من الاطعمة (وما علمتم من الجوارح) أي أحل لكم صيدها علمتم وقرأ ابن عباس ومحمد بن الحنفية علمتم بضم العين وكسر اللام أي علمتم من أمر الجوارح والصيد بها قال القرطبي وقد ذكر

(٣ - فتح البيان ثالث) أموال التباي ظلماً فانما يأكل في بطنه نارا ولهذا قال ان الذين يأكلون أموال التباي ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً أي اذا أكلوا أموال التباي بالاسباب فانما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتمعوا السبع الموتى قبل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربوا وكل مال التيمم والتولي يوم الرسف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا

احسن بن ابراهيم بن زيد حدثنا
أحمد بن عمر وحدثنا عقبه بن بكر
حدثنا أبو نوس بن بكر حدثنا زياد
ابن المنذر عن نافع بن الحرث عن
أبي بزة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يعث يوم القيامة
القوم من قبورهم تأجج أفواههم
نارا قيل يا رسول الله من هم قال
ألم تر أن الله قال ان الذين يأكلون
أموال الناس ظلما الآية رواه
ابن أبي حاتم عن أبي زرعة عن
عنه بن بكرم وأخرجه ابن خبان
في صحيحه عن أحمد بن علي بن
المنني عن عقبه بن بكرم قال ابن
مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر
حدثنا أحمد بن عصام حدثنا
أبو عاصم العدي حدثنا عبد الله
ابن جعفر الزهري عن عثمان بن
محمد عن المقبري عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخرج مال الضعيفين المرأة
والميتى أي أوصيك باحتساب ما لهم
وتقدم في سورة البقرة من طريق
عطاء بن السائب عن سعد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما تزات ان الذين يأكلون

عبيدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي حدثنا أبو هريرة العدي عن أبي سعيد الخدري قال قلنا يا رسول الله ما رأيت
لسدا أسرى بك قال انطلقني الى خلق من خلق الله كثير رجال كل رجل منهم مشفر بشفر البعر وهو موكل بهم رجال يشكون
لحاء أحدهم ثم يحيا بصخره من نار فتدق في فأحدهم حتى يخرج من أسفلهم جوارح فتأكل يا جبريل من هؤلاء قال
هؤلاء الذين يأكلون أموال الناس ظلما الآية يا كلون في بطونهم نار اوسلصون سعيها وقال السدي يعث أكل مال اليتيم يوم
القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن (١٨) مسامعه وانفه وعينه يعرف كل من رآه بأكل مال اليتيم وقال ابن مردويه حدثنا

بعض من صنف في أحكام القرآن أن الآية تبدل على ان الاباحية تناولت ما علمنا من
الجوارح وهو يظلم الكلب وسائر جوارح الطير وذلك يوجب اباحية سائر وجوه
الاتقاع فدل على جواز بيع الكلب والجوارح والاتقاع بمساير وجوه المنافع الا
ما خصه الدليل وهو الاكل والجوارح الكواصب من الكلاب وسباع الطير قال أجمعت
الامة على ان الكلب اذا لم يكن أبود وعله مسلم ولم يأكل من صيده الذي صاده وأثر فيه
يجرح أو تيبب وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند ارساله ان صيده صحيح يؤكل بلا خلاف
فان انخرم شرط من هذه الشرط ودخل الخلاف فان كان الذي يصاد به كلب كافره
وما أشبه ذلك وكالبازي والصقر ونحوهما من الطير فجهرت الامة على ان كل ماصد
بعد التعليم فهو جوارح كسب يقال جرح فلان واجترح اذا اكتسب ومنه الجارحة
لانها يكتب فيها ومنه اجترح السيات ومنه قوله تعالى ويعلم ما لم يحتسب بالانهار وقوله
أم حسب الذين اجترحوا السيات (مكئين) المكاب مع الكلاب كالكيفية الاصطبات
وهو بها ومضربها بالصيد وخص معلم الكلاب وان كان معلم سائر الجوارح مثله لان
الاصطبات الكلاب هو الغالب ولم يكتف بقوله وما علمت من الجوارح مع ان التكليف هو
في اللغة التعليم لقصد التأكيلا لبدنه من التعليم وفسره في الجلالين بالارسل
فليتأمل مستنده في هذا التفسير والتفسير فسرته بالتعليم وفائدة التقيد بالماتعة في
التعليم لما ان اسم المكاب لا يقع الاعلى النحر في علمه وقيل ان السبع يسمى كلبا فيدخل
فيه كل سبع يصاد به لقوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك قال
في الكشف فأكله الاسد قال الطيبي هذا حديث موضوع قال الخفاجي وليس كما قال
بل هو حديث صحيح أخرجه الحارثي في المستدرک من حديث أبي نوفل قال الحارثي
وهو صحيح الاسناد (قلت) وليس حكم الحارثي بالجملة حكم عند الحفاظ ما لم يحكم تأقده
منهم بجملة فليست في سند وقيل ان هذه الآية خاصة بالكلاب وقد حكى ابن المنذر عن
ابن عمر أنه قال ما يصاد بالزاة وغيرهما من الطير فأدركت ذكاه فهو لك حلال والا فلا
تطعمه قال ابن المنذر وسئل أبو جعفر عن الباري هل يحل صيده قال لا الا أن تدرأه
ذكاه وقال الفخاكي والسدي وما علمت من الجوارح مكئين هي الكلاب خاصة فان
كان الكلب الاسود بهما فكه صيده الحسن وقتاده والنخعي وقال أحمد ما أعرف أحدا

أموال الناس ظلما الآية انطلق من كان عنده يتم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرابه فجعل يفضل
الشيء فيحس له حتى يأكله أو يصد فاشد ذلك عليهم فذكر واذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله وبأسألك عن الناس
قل اصلاح لهم خيرا لا يخطوا طعامهم بطعامهم وشراهم بشراهم (وصيكم الله في اولادكم للذك كمثل حظ الاثنين فان كن
لسا فوق الاثنين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلهما النصف ولا يؤيه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولدان لم
يكن له ولدو ورثة أبواه فلا منه الثلث فان كان له احوه فلا منه السدس من بعد وصيه يوصي بها أو دين أبواؤكم وأبناؤكم لا تدرون

أهم أقروا لكم تنعافرضمن الله ان الله كان عليا حكيماً) هذه الآية الكريمة والتي بعدها ولا تية التي هي خاتمة هذه السورة
هن آيات علم القرائض وهو مستنبط من هذه الآيات الثلاثة ومن الاحاديث الواردة في ذلك مما هو كالتفسير لذلك ولند كرمنها ما هو
متعلق بتفسير ذلك وأما تقرير المسائل ونصب الخلاف والادلة والحجج بين الائمة فوضعه كتب الاحكام والله المستعان وقد ورد
الترغيب في تعلم القرائض وهذه القرائض الخاصة من أهم ذلك روى أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن زياد بن أنعم
الافريقي عن عبد الرحمن بن رافع التميمي عن عبد الله بن عمرو بن فوعا العلم ثلاثة (١٩) وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة

قائمة أو فرضة عادلة وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعاروا القرائض وعلموه
الناس فانه نصف العلم وهو ينسى
وهو أول شيء ينزع من أمتي رواه
ابن ماجه وفي اسناده ضعف وقد
روى من حديث ابن مسعود وأبي
سعيد وفي كل منهما منظر قال ابن
عميرة انما سمى القرائض نصف
العلم لانه ينسى به الناس كلهم وقال
البخاري عند تفسير هذه الآية
حديث ابن ابراهيم بن موسى حدثنا
هشام ان ابن جريج أخبرهم قال
أخبرني ابن المنكدر عن جابر بن
عبد الله قال عاذني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأبو بكر بن سلة
ماشين فوجدني النبي صلى الله
عليه وسلم لا عقل شياً فإدعاهما
فتوضأ منه ثم رش علي فافقت
فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي
يا رسول الله فزلت بوصيكم الله
في أولادكم لك كرم مثل حظ الانثيين
وكذا رواه مسلم والنسائي من
حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج
به ورواه الجماعة كلهم من حديث
ابن عيينة عن محمد بن المنكدر عن

يرخص فيه اذا كان بهيما وبه قال ابن راهويه فأما علم أهل العلم بالمدينة والكوفة
فبرون جواز صيد كل كلب معلوم واجتنب منع من صيد الكلب الأسود بقوله صلى الله
عليه وآله وسلم الكلب الأسود شيطان أخرجه مسلم وغيره والحق أنه يحل صيد كل
ما يدخل تحت عموم الجوارح من غير فرق بين الكلب وغيره وبين الأسود وغيره وبين الظير
وغيره ويؤيد هذا أن سبب نزول الآية سؤال عدى بن أبي حاتم عن صيد المازي
(تعلمون) أي تعلمون الجوارح الاصطيد وتؤيدون والجله مستأنفة أو حالية ومنعه
أبو البقاء وأعتراضه (مما) أي من آداب الصيد (عليكم الله) أي مما دار كفه
بما خلقه فيكم من العقل الذي تم تدوينه بالي تعليمها وتدريبها حتى يصير قابلاً للمسائل
الصيد عند ارسالك لها (فكلوا مما أسكن عليكم) الفاء للقرع والجله متفرعة على
ما تقدم من تحليل صيد ما علم ومن الجوارح ومن في محل التبعض لان بعض الصيد
لا يؤكل كالجلد والعظم والدم والقرث وما أكله الكلب وقصوه وفيه دليل على أنه لا بد
أن يسكنه على صاحبه فإن أكل منه فأما أسكنه على نفسه كما في الحديث الثابت في
الصحيح وقد ذهب الجمهور إلى أنه لا يحل أكل الصيد الذي يقصده الجارح من ثقله الله
من غير ارسال وقال عطاء بن أبي رباح والاوزاعي وهو مروى عن سلمان الفارسي وسعد
ابن أبي وقاص وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وروى عن علي وابن عباس والحسن البصري
والزهري وريعة بن مالك والشافعي في القديم أنه يؤكل كل صيده ويرد عليهم قوله تعالى
مما أسكن عليكم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم
وذكرت اسم الله عليه فكل مما أسكنك عليك وهو في الصحيحين وغيرهما وفي لفظ لهما
فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون أسكنك على نفسه وأما ما أخرجه أبو داود
باسناد جيد من حديث أبي ثعلبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أرسلت
كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وإن أكل منه وقد أخرجه أيضاً باسناد جيد من
حديث عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده وأخرجه أيضاً النسائي فقصه جمع بعض
الشافعية بين هذه الاحاديث بأن أن كل عقب ما أسكنه فإنه يحرم لحديث عدى بن أبي
حاتم وإن أسكنه ثم انتظر صاحبه فطال عليه الانتظار وجاع فأكل من الصيد بلجوعه
لا لكونه أسكنه على نفسه فإنه لا يؤثر ذلك ولا يحرم به الصيد وجاوع على ذلك حديث

جابر حديث آخر عن جابر بن سبب نزول الآية قال أحمد حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبد الله بن عمرو بن جابر بن محمد
ابن عقيل عن جابر قال جاءت امرأتان من بني النضير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله هاتان بنتا سعد بن الربيع
قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدا وإن غنهما أخذما لهما فلم يدع لهما مالا ولا نكحاً لهما مال قال فقال يقضي الله في ذلك
فتزات آية الميراث فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عهما فقال أعط ابنتي سعد المئين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك وقد رواه
أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل به قال الترمذي ولا يعرف الا من حديثه والظاهر أن حديث

جابر الاول انما نزل بسببه الآية الاخيرة من هذه السورة كما سيأتي فانه انما كنهه اذ ذاك اخوات ولم يكن له بنات وانما كان يرث كلاله ولكن ذكرنا الحديث حينئذ تعالى البخاري فانه ذكره هنا والحديث الثاني عن جابر اشبهه بيزول من هذه الآية والله اعلم بقوله تعالى بوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين أي باهر كما يعدل فيهم فان اهل الجاهلية كانوا يجمعون جميع الميراث للذكور دون الاناث فاهم الله تعالى بالتسوية بينهم في اصل الميراث وقاوت بين الصنفين بفعل للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لاحتياج الرجل الى مؤنة الفتى ومعاونة التجارة والتكسب (٢٠) وتحمل المشاق فتاب أن يعطى ضغى ما تأخذ اذ لا ترضى وقد استنبط بعض

الاذكاء من قوله تعالى بوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين انه تعالى ارحم بخلقهم من الوالدة يولدها حات أوصى الوالدين باولادهم فعلم أنه ارحم بهم منهم كما جاء في الحديث الصحيح وقد روى امرأته من السبي فرق بيننا وبين ولدها فقلت تدور على ولدها فلما وجدتته من السبي أخذته فأنصفته بصدرها وأرضته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه آتون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك قالوا لا يا رسول الله قال فوالله الله ارحم بعباده من هذه يولدها وقال البخاري هيئنا حديثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن ابن أبي نجيم عن عطاء عن ابن عباس قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث وجعل للزوجة الثمن والرابع وللزوج الشطر والرابع وقال العوفي عن ابن عباس قوله بوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

أي تعلية انثى وحديث عمرو بن شعيب وعذابي حسن وقال آخرون انه اذا اكل الكلب منه حرم طيبت عدي بن حاتم وان اكل غير لم يحرم للعديين الاخرين وقيل يحمل حديث أبي تعلية على ما اذا أسكه وخلاه ثم عاد فأكل منه وقدمت كثر من أهل العلم طريق الترجيح ولم يسلكوا طريق الجمع لما فيه من المبعد والوا وحديث عدي بن حاتم ارجح لكونه في الصحيحين وقد قررنا الشك في هذا المسلك في شرحه للمتنى عياريد الناظر فيه بصيرة (وأذكر وأمر الله عليه) الضمير في عليه يعود الى ما علم أي حواء عليه عند ارساله أو لما أسكن عليكم أي حواء عليه اذا أردتم ذكره وقيل يعود على المصدر المفعول من الفعل وهو الاكل كانه قيل اذكروا اسم الله على الاكل وفيه بعد وقد ذهب الجوزي الى وجوب التسمية عند ارسال الجاهل واستدلوا بهذه الآية ويؤيده حديث عدي بن حاتم الثابت في الصحيحين وغيرهما بلفظ اذا أرسلت كذا فاذكروا اسم الله واذكرتم بهم فاذكروا اسم الله وقال بعض أهل العلم ان المراد التسمية عند الاكل قال القرطبي وهو الاظهر واستدلوا بالحديث التي فيها الارشاد الى التسمية وهذا خطأ فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد روى التسمية بارسال الكلب وارسال السهم ومشر وعبد التسمية عند الاكل حكم آخر ومثله غير هذه المسئلة فلا وجه لجل ما ورد في الكتاب والسنة مما على ما ورد في التسمية عند الاكل ولا ملجئ الى ذلك وفي لفظ في الصحيحين من حديث عدي ان أرسلت كذا وسجيت فأخذ فكل وقد ذهب جماعة الى أن التسمية شرط وذهب آخرون الى أنها سنة فقط وذهب جماعة الى أنها شرط على اذا كرا الناس وهذا أقوى الأقوال وأرجحها (وانقوا الله) فيما أحل لكم وحرم عليكم واحذروا مخالفة أمره في هذا كنه (ان الله سريع الحساب) أي حسابه سبحانه سريع آتيا دون كل آت قريب وفيه تنخوف لمن خالف أمره وفعل ما نهى عنه (اليوم أحل لكم الطيبات) هذه الجملة مؤكدة للجملة الاولى وهي قوله أحل لكم الطيبات وقد تقدم بيان الطيبات ويحتمل أن يراد اليوم اليوم الذي أنزل فيه أو اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم ينس واليوم أكلت وقيل ليس المراد اليوم يومنا وقال أبو السعد المراد بالانام الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد ولا اختلاف في الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره وقال القرطبي أعاد ذكر

وذلك انه لما نزلت القرأن التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم وغلوا اليوم تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء احدي قاتل القوم ولا يجوز العجة استكسوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينسأد أو يقول له فيغيره قالوا يا رسول الله تعطى الجارية نصف ماله أو بها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ويعطى الصبي الميراث وليس يغني شأوا كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون الميراث الا لمن قاتل القوم ويعطونه الا كبر فالأكبر وادان أي حاتم وابن جري أيضا وقوله فان كن نسافقوا فثنتين فليكن ثلثا ما نزل قال

بعض الناس قوله فوق زائدة وتقدیره فان كن نساء اثنتين كافي قوله فاضربوا فوق الاعتاق وهذا غير مسلم لاهنا ولا هنا لأنه ليس في القرآن شيء زائد لأفائدة فيه وهذا مجتمع ثم قوله فلن نلثما ماترك لو كان المراد ما قالوا لمقاتل فلهما ثلثا ماترك وإنما استفيد كون للبتين الثلثين من حكم الاختين في الآية الأخيرة فإنه تعالى حكم في الاختين بالثلثين وإذا ورث الاختان الثلثين فلا يرث البنتان الثلثين بالطريق الأولى وقد تقدم في حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لابنتي سعد بن الربيع بالثلثين فدل الكتاب والسنة على ذلك وأيضا فإنه قال وإن كانت واحدة قلها النصف فلو (٢١) كان للبتين النصف لنص عليه أيضا فلما

حكم به للواحدة على افتراء هادل على أن البنتين في حكم الثلاث والله أعلم وقوله تعالى ولا يورثه لكل واحد منهما السدس إلى آخره إلا وإن أهما في الإرث أحوال أحدهما أن ينجبوا مع الأولاد فيفرض لكل واحد منهما السدس فان لم يكن للميت ابنت واحدة فرض لها النصف وللأبوين لكل واحد منهما السدس أخذ الأب السدس الآخر بالتعصيب فيجمع له والحالة هذه بين الفرض والتعصيب الحال الثاني أن يفرد الأبوان بالمراث مفرض للام الثلث والحالة هذه يأخذ الأب الباقي بالتعصيب المحض فيكون قد أخذ ضعتي ما يحصل للام وهو الثلثان فلو كان معها زوج أو زوجة أخذ الزوج النصف والزوجة الربع ثم اختلف العلماء ماذا تأخذ الأم بعد ذلك على ثلاثة أقوال أحدها أنها تأخذ ثلث الباقي في

اليوم تأكيذا وقيل أشار به كاليوم إلى وقت محمد كما تقول هذه أيام فلان أي هذا أو أن ظهوركم انتهى وفيه بعد (وطعام الذين أوتوا الكتاب خسل لكم) بخلاف الذين تمسكوا بغير التوراة والإنجيل كعصف إبراهيم فلا تحل ذبايحهم والحاصل أن خسل الذبيحة تابع لحل المباحة على التفصيل المقرر في القروع والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبايح وذهب أكثر أهل العلم إلى تخصيصه هنا بالذبايح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل على أن جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين العم وغيره حلال للمسلمين وإن كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبايحهم وتكون هذه الآية بتخصيصه للعموم قوله ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهر هذا أن ذبايح أهل الكتاب حلال وإن ذكر اليهودي على ذبيحته اسم عزيز وذكر النصراني على ذبيحته اسم المسيح واليه ذهب أبو الدرداء وعبادة ابن الصامت وابن عباس والزهري وسئل الشعبي ومكحول وقال علي وعائشة وابن عمر إذا سمعت الكفاي يسمي غير الله فلا تأكل وهو قول طاوس والحسن وعسكوا بقوله تعالى ولأننا كلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضا قوله وما أهل به لغير الله وقال مالك أنه يكره ولا يحرم وسئل الشعبي وعطاء عنه فتأجل على أنه قد أحل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف إذا علمنا أن أهل الكتاب ذكروا على ذبايحهم اسم غير الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الكيا الطبري وابن كثير الإجماع على حلها هذه الآية ويسأورد في السنة من أكله صلى الله عليه وآله وسلم من الشاة المصلية التي أخذتها إليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب النخع الذي أخذ به بعض الصحابة من خير وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الصحيح أيضا وغير ذلك والمراد بأهل الكتاب هنا اليهود والنصارى وقيل ومن دخل في دينهم من سائر الأمم قبل بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأما من دخل بعده وهم متضرع والعرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحتهم وبه قال علي وابن مسعود ومذهب الشافعي أن من دخل في دين أهل الكتاب بعد نزل القرآن فإنه لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا بأس بها ثم قرأ ومن يتولهم فليكن منهم وبه قال الحسن وعطاء بن أبي رباح والشعبي وعكرمة وهو مذهب أبي حنيفة وأما الجحوس فذهب الجمهور إلى أنها لا تؤكل ذبايحهم ولا تنكح نسائهم لأنهم ليسوا بأهل كتاب على المشهور وعند أهل العلم وكذا سائر أهل الشرك

قول عمر وعثمان وأصح الرايتين عن علي وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت وهو قول الفقهاء السبعة والائمة الأربعة وجهور العلماء والثاني أنها تأخذ ثلث جميع المال للعموم قوله فإن لم يكن له ولد ورثته أو أهله فلازمه الثلث فان الآية أعمن أن يكون معها زوج أو زوجة وألا وهو قول ابن عباس وروى عن علي ومعاذ بن جبل نحوه وبه يقول شرح وداد الظاهري واختاره أبو الحسن ابن البان البصري في كتابه الإيجاز في علم الفرائض وهذا فيه نظر بل هو ضعيف لأن ظاهر الآية إنما هو إذا استبدأ بجميع التركة وأما هنا فبأخذ الزوج أو الزوجة الفرض ويبقى الباقي كآب جميع التركة فلتأخذ ثلثه والقول الثالث أنها تأخذ ثلث جميع المال

في مسئلة الزوجة خاصة فلما تأخذ الربع وهو ثلاث من اثني عشر وتأخذ الام الثلث وهو أربع فبقي خمسة للاب وامأى مسئلة
الزوج فما أخذت الباقي لثلاث تأخذ أكثر من الاب لو أخذت ثلث المال فتكون المسئلة من ستة للزوج النصف ثلاثة وللأم
ثلث الباقي بعد ذلك سهم وللأب الباقي بعد ذلك وهو سهمان ويحكى هذا عن ابن سيرين وهو مروي عن كعب بن القزوين الأولين وهو ضعيف
أيضا والصحيح الأول والله أعلم والحال الثالث من أحوال الأولين وهو اجتماعهم مع الأخوة سواء كانوا من الأبوين أو من الأب
أو الأم فلهم لا يرون مع الأب شيئا ولكنهم (٢١) مع ذلك يحبون الأم عن الثلث إلى السدس فيقرض إياهم وجودهم السدس

فإن لم يكن وارثا وسواها سوى الأب
أخذ الأب الباقي وحكم الأخوين
فما ذكرنا تحكم الأخوة عند
الجهور وقد روى البيهقي عن
طريق شعبة مولى ابن عباس عن
ابن عباس أنه دخل على عثمان
فقال إن الأخوين لا يران الأم
عن الثلث قال الله تعالى فإن كان
له أخوة فالأخوان ليسا بلسان
قومك أخوة فقال عثمان لا استطع
تغيير ما كان قبلي ومضى في
الامصار ورواهه الناس وفي صحة
هذا لا يترقب فان شعبة هذا تكلم
فيه ما للابن أنس ولو كان هذا
صحيحا عن ابن عباس لأذهب إليه
أصحابه الإخفاء به والمقول عنه
خلافه فقد روى عبد الرحمن بن
أيوب الزناد عن خارجة بن زيد عن
أبيه أنه قال الأخوان تسمى أخوة
وقد أفردت لهذه المسئلة جرحا على
سدة وقال ابن أيوب حاتم حدثنا
أبي حنيفة عبد العزيز بن المغيرة
حدثنا يزيد بن زريع عن سميعة بن
قتادة نحوه وقوله فإن كان له أخوة
فلاهم السدس أضرب بالأم ولا
يرون ولا يحجبها الأخ الواحد عن

الثلث ويحبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون أنهم انما يحبوا أمهم عن الثلث إن أباهم إلى انكاحهم وذكرهن
ونفقة عليهم دون أمهم وهذا كلام حسن لكن روى عن ابن عباس باسناد صحيح أنه كان يرى ان السدس الذي يحبونه عن أمهم
يكون لهم وهذا قول شاذ رواه ابن جرير في تفسيره فقال حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عبد الله بن زريق أخبرنا عمر بن ابن طاوس
عن أبيه عن ابن عباس قال الذي حجبته الأخوة لأمهم انما يحبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أبيهم ثم قال ابن جرير وهذا قول
مخالف لجميع الأمة وقد حدثني يونس أخبرنا سفيان أخبرنا عمر وعنه الحسن بن محمد عن ابن عباس أنه قال الكلال من لا ولده

ولا والدوقوله من بعد وصية يوصي بها أودين أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية وذلك عند اتمام النظر بينهم من خوى الآية الكريمة وروى أحمد والترمذي وابن ماجه وأصحاب التفسيرين حديث ابن اسحق عن الحرث ابن عبد الله الاور عن علي بن أبي طالب قال انكم تقرؤون من بعد وصية يوصي بها أودين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية وإن أعيان بني الامية واران دون بني العلات يرث الرجل أخاه لاسيه وأمه دون أخيه لاسيه ثم قال الترمذي لانه عرفه الامن حديث الحرث وقد تكلم فيه بعض أهل العلم (قلت) (٤٣) لكن كان حافظاً للفرأض معتنياً بها

وبالحساب فآله أعلم وقوله آتواكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي انما فرضنا للآباء والأبناء وسواهم ما بين الكل في أصل الميراث على خلاف أمر الجاهلية وعلى خلاف ما كان عليه الامر في اثناء الاسلام من كون المال للولد وللأبوين الوصية كما تقدم عن ابن عباس انما نسخ الله ذلك الى هذا ففرض لهؤلاء ولأولادهم بحسبهم لان الانسان قد بدأ بآية النفع الذنوي أو الاخرى أو ههنا من آية ما لا آية منه ابنه وقد يكون بالعكس ولذا قال آتواكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي كان النفع متوقع ومرجوم هذا كما هو متوقع ومرجوم الآخر فلها فرضنا لهذا وهذا وسواهم ما بين القسمين في أصل الميراث وآله أعلم وقوله فريضة من الله أي هذا الذي ذكرناه من تفصيل الميراث واعطاء بعض الورثة أكثر من بعض هو فرض من الله حكم به وقضاه والله عليم حكيم الذي يضع الاشياء في محالها ويعطي كل ما يستحقه

وذكرهن نوطه وهذه القوله (والمحصنات من الذين أنزوا الكتاب من قلكم) والمراد بهن الحرائر قاله ابن عباس دون الاماء فلا تدخل الامه المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجاز بشرطين خوف العنت وعدم طول الحره هكذا قال الجمهور وحكي ابن جرير عن طايفة من السلف أن هذه الآية تعم كل كفاية حره أو أمة وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العنات قبل المراد بأهل الكتاب هذا الاسرائيليات وبه قال الشافعي وهو تخصيص بغير المحصن وقال عبد الله بن عمر لا تحل النصرية قال ولا أعلم شر كأصكبر من أن تقول ربها عيسى وقد قال الله تعالى ولا تتسكعوا المشركات حتى يؤمن الآية ويوجب عنه بأن هذه الآية مخصوصة للكليات من عموم المشركات فينبغي العام على الخاص وقد استدل من حرم نكاح الاماء الكليات بهذه الآية لانه جعلها على الحرائر وبقوله تعالى فيما ملكت أيمانكم من قياتكم المؤمنات وقد ذهب الى هذا كثير من أهل العلم وخالفهم من قال ان الآية تعم أو تخص العنات كما تقدم والحاصل انه يدخل تحت هذه الآية الحره العفيفة من الكليات على جميع الاقوال الاعلى قول ابن عمر في النصرية ويدخل تحتها الحره التي ليست بعفيفة والامة العفيفة على قول من يقول انه يجوز استعمال المشرك في كلامه عنيه وأما من لم يجوز ذلك فإن جعل المحصنات هنا على الحرائر لم يقبل بجواز نكاح الامه عفيفة كانت أو غير عفيفة لا بدليل آخر ويقول بجواز نكاح الحره عفيفة كانت أو غير عفيفة وان حل المحصنات هنا على العنات قال بجواز نكاح الحره العفيفة والامة العفيفة دون غير العفيفة منهم ما مذنب أي خيفة انه يجوز الزواج بالامة الكفاية لعموم هذه الآية (إذا آتيتوهن أجورهن) أي مهرهن وهو العوض الذي يبذل للزوجة من جواب اذا أخذت أي فهن حلال أو هي ظرف لخبر المحصنات المقدر أي حل لكم وهذا الشرط بيان للاكل والاولى لانه العدة اذا تسوق على دفع المهر ولا على التزامه كما لا يخفى (محصنين) أي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله (غير محصنين) أي غير مجاهرين بالزنا (ولا متخذين أخدان) اخذن يقع على الذكر والانتى وهو الصديق في السر والجمع أخذان أي لم يتخذوا معشر فاق فقد شرط الله في الرجال العفة وعدم المجاهرة بالزنا وعدم اتخاذ أخدان كما شرط في النساء أن يكن محصنات (ومن يكفر بالايمان) أي بشرائع

بحسبه ولهذا قال ان الله كان عليهما حكما ولكم نصف ما تركا وصيكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أودين ولهذه الآية الكريمة انكم ولدتان فان كان لكم ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصي بها أودين وان كان رجل يورث ثلاثة أو امرأه أو أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أودين غير مضاف وصية من الله والله عليم حكيم يقول تعالى ولكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم اذا من غير ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية والدين وقد تقدم ان الدين يقدم

على الرخصة ثم الرخصة ثم الميراث وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء وحكم أولاد البنين وإن سفلوا وحكم أولاد الصلب ثم قال ولبن الربع مما تركتم إلى آخره وسواء في الربع أو الثلث الزوجة والزوجة إن ائتمنت والثلاث والرابع يشتركن فيه وقوله من بعد وصية الخ الكلام عليه كما تقدم وقوله تعالى وإن كن رجل يورث كلاله الكلاله مشتقة من الاكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد ثمانية من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلاله فقال أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ (٢٤) ففي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه الكلاله من لا ولده ولا والد فلما ولى

عمر قال اني لا أستحي أن أخالف أبابكر في رأيي رآه كذا رواه ابن جرير وغيره وقال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا محمد بن يزيد عن سليمان بن سليمان الأحول عن طاوس قال سمعت ابن عباس يقول كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعت به يقول القول ما قلت وما قلت وما قلت قال الكلاله من لا ولده ولا والد وهكذا قال علي وابن مسعود وصح عن غير واحد عن ابن عباس وزيد بن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة تجهو بالسلف والخلف بل جمعهم وقد حكى الإجماع عليه غير واحد وردي فيه حديث مرفوع قال ابن اللبان وقد روى عن ابن عباس ما يخالف ذلك وهو أنه من لا ولده ولا الصحيح عنه الأول ولعل الراوي ما فهمه عنه ما أراد وقوله تعالى وأخت أي من أم كما هو في قراءة بعض السلف منهم سعد بن أبي وقاص وكذا أفسرها أبو بكر الصديق فيما رواه قتادة عنه

الاسلام والبايع عن أي يرتد والمراد بال كفر هنا الارتداد (فقد حبط عمله) أي بطل فلا يعتبه ولو عاد إلى الاسلام ولا يشاب عليه (وهو في الآخرة من الخاسرين) إذا مات عليه يعني أن تزوج المسلمين إياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) أي إذا أردتم القيام تغييراً بالسبب عن السبب كما في قوله وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله لأن القيام متسبب عن الإرادة والارادة سبب عنه والمراد بالقيام الاشتغال به أو التلبس به من قيام أو غيره وقد اختلف أهل العلم في هذا الأمر عند ارادة القيام إلى الصلاة فقالت طائفة هو عام في كل قيام اليأساء كان القائم متطهراً وأبو محمد فأنه ينبغي له إذا قام إلى الصلاة أن يتوضأ وهو مروي عن علي وعكرمة وهذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية والله ذهب داود الظاهري قال ابن سيرين كان الخلفاء يتوضئون لكل صلاة وقالت طائفة أخرى إن هذا الأمر خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ضعف فإن الخطاب للمؤمنين والأمر لهم وقالت طائفة الأمر للنبي طلباً للفضل وقال آخرون إن الوضوء لكل صلاة كان فرضاً عليهم بهذه الآية ثم نسخ في فتح مكة وقال جماعة هذا الأمر خاص بمن كان محدثاً وقال آخرون المراد إذا قمتم من النوم إلى الصلاة فيم الخطاب كل قائم من نوم وقد أخرج أحمد ومسلم وأهل السنن عن بريدة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح توضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عماريا رسول الله إنك فعلت شيئاً لم تكن تفعله فقال عمد افعلته يا عمار وهو مروي من طرق كثيرة بالفاظ متفقة في المعنى وأخرج البخاري وأحمد وأهل السنن عن عرو بن عامر الأنصاري سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ عند كل صلاة قال قلت فأنتم كيف كنتم تصنعون قال كنا نصل الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث فتقرربا ذكر أن الوضوء لا يجب إلا على المحدث وبه قال جمهور أهل العلم وهو الحق وقد جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الخندق أربع صلوات بوضوء واحد وفي الباب أحاديث والتقدير إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر وهذا أحد اختصارات القرآن وهو كثير جداً وفروض الوضوء في هذه الآية أربعة الأول قوله (فاغسلوا وجوهكم) الوجه في اللغة ما خوذ من المواجهة وهو عضو شتمل على أعضاء وله طول

فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وأخوة الأم يخالفون بقية الورثة من وجوه واحدتها وعرض انهم يرثون مع من أدلوا به وهي الأم والثاني أن ذكرهم وأنهم في الميراث سواء والثالث لا يرثون إلا إن كان ميتهم يورث كلاله فلا يرثون مع أب ولا جد ولا ولد إن الرابع انهم لا يرثون على الثلث وإن كثروهم وأنهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن الزهري قال قضى عمر أن ميراث الأخوة من الأم ميتهم المذكور من حظ الأنثى قال الزهري ولا أدري عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الآية هي التي قال الله تعالى فيها فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث

واختلف العلماء في المسئلة المشركة وهي زوج وأم واحدة وإن كان من ولد الأم وواحدًا أو أكثر من ولد الأبوين فبعضهم يقول الجهور
لزوج النصف وللأم أو للجدة السدس ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو أخوة الأم
وقد وقعت من أمير المؤمنين في هذه المسئلة زمان عرفا على الزوج النصف والأم السدس وجعل الثلث لولد الأم فقال له ولاد
الأبوين بأمر المؤمنين هب أن أبانا كان جارا ألسنا من أم واحدة فشارك بينهم وصح التشارك عن عثمان وهو إحدى الروايتين
عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس رضي الله عنهم به يقول سعيد (٢٥) بن المسيب وشريح القاضي ومسروق

وطاوس ومحمد بن سيرين وبرايم
التخعي وعمر بن عبد العزيز
والثوري وشريك وهو مذهب
مالك والشافعي وأحق بن راهويه
وكان على بن أبي طالب لا يشارك
بينهم بل يجعل الثلث لولد الأم
ولاشي لا لولد الأبوين وإحالة هذه
لأنهم عصبة وقال وكيع بن
الجراح لم يختلف عنه في ذلك
وهذا قول أبي نعيم وأبي موسى
الاشعري وهو المشهور عن ابن
عباس وهو مذهب الشعبي وابن
أبي ليلى وأبي حنيفة وأبي يوسف
ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد
وزفر بن الهذيل والأمام أحمد ويحيى
ابن آدم ونعيم بن حاد وأبي ثور ودود
ابن علي الظاهري واختاره أبو الحسين
ابن اللسان القرضي رحمه الله في كتابه
الايجاز وقوله من بعد وصية
يوصي بها أو دين غير مضار أي
تكون وصيته على العدل لا على
الاضرار والجور والحيف بأن
يحرم بعض الورثة أو ينقصه أو
يزيده على ما فرض الله لمن القرصة
فن سعي في ذلك كان كمن ضاد الله
في حكمه وشريعته ولهذا قال ابن

وعرض في هذه الظول من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى العين وفي العرض من الأذن
إلى الأذن وقد ورد الدليل بتحليل الجبهة واختلاف العلماء في غسل ما استوسل والكلام
في ذلك مبسوط في مواضعه وقد اختلف أهل العلم أيضا هل يعتبر في الغسل الدليل باليد أم
يكفي أمر الماء والخلاف في ذلك معروف والمرجع اللغة العربية فإن ثبت فيها أن الدليل
داخل في معنى الغسل كان معتبرا والأفلا قال في شمس العلوم غسل الشيء غسلًا إذا
أجرى عليه الماء وذلك انتهى وأما المضمضة والاستنشاق فإذا لم يكن لفظ الوجه يشتمل
باطن الفم والأنف فقد ثبت غسلها بالسنة الصحيحة والخلاف في الوجوب وعدمه
معروف وقد أوضح الشوكاني ما هو الحق في مؤلفاته وقد استدلل الشافعي على وجوب
النسبة عند غسل الوجه بهذه الآية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم إنما الأعمال بالنيات لأن
الوضوء مأمور به وكل ما مأمور به يجب أن يكون سنويا ويدل له قوله تعالى وما أمرنا
إلا بالعباد والله مخلصنا له الدين والإخلاص عبادة عن النسبة الصالحة واستدل
أبو حنيفة بعدم وجوب النسبة فيه لأن الله أوجب غسل الأربعة في هذه الآية ولم يجب
النسبة فيها فأجابها زيادة على النص وهي نسخ ولا يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس
والجواب أن إيجابها بدلالة القرآن كما تقدم والجواب عن الزيادة والنسخ قد ذكرناه في
حصول المأمول فليرجع إليه والقرض الثاني قوله (وأيد بكم إلى المرافق) إلى الغاية
وأما كون ما بعده داخل فيما قبلها فبطل خلاف وقد ذهب سيبويه وجاعة
إلى أن ما بعده أن كان من نوع ما قبلها دخل والأفلا ويعزى إلى العباس وقيل أنها
بمعنى مع وذهب قوم إلى أنها تفيد الغاية مطلقا وأما الدخول وعدمه فأمر يدور مع
الدليل وقيل أن ما بعده لا يدخل فيما قبلها قال سليمان الجلي وهو الأصح عند النخبة
انتهى وهذه الأقوال دلالتها في كتاب شرح التسهيل وقد ذهب الجهور إلى أن المرافق
تغسل واستدلوا بما أخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إذا توضأ أدار الماء على مرققه وفيه القاسم وهو مرقو وجده
عبد الله بن محمد وهو ضعيف والمرق بالكسر هو من الإنسان أعلا الذراع وأسفل العضد
والقرض الثالث (واستحوأ برؤسكم) قيل الباء زائدة والمعنى استحوأ رؤسكم
وذلك يقتضي تعميم المسح لجميع الرأس وقيل هي للتبعض وذلك يقتضي أنه يجزئ

(٤ - فتح البیان ثالث) أي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر الدمشقي القرايبي حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند
عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاضرار في الوصية من الكبائر وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن
المغيرة هذا وهو أبو حنيفة بصري سكن المصصة قال ابن عساكر وروى عنه غير واحد من الأئمة وقال
فيه أبو حاتم الرازي هو شيخ وقال علي بن المديني هو مجهول لا عرفه لكن رواه النسائي في سننه عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن
داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا الاضرار في الوصية من الكبائر وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن

عائدين حبيب عن داود بن أبي هند ورواه ابن جرير من حديث جماعة من الحفاظ عن داود عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً
بعضها ويقرأ ابن عباس غير مضار قال ابن جرير والصحیح الموقوف ولهذه الاختلاف الأربعة في الإقرار بالوأن هل هو صحيح
أم لا على قولين أحدهما لا يصح لأنه مظنة التهمة وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله قد
أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة والقول القديم للشافعي رحمه
الاقرار وهو مذهب طائوس وعطاء والحسن وعمر بن عبد العزيز وهو (٢٦)

الله وذهب في الحديث إلى أنه يصح
اختاره أبي عبد الله البخاري
في صحيحه وأحمد بن رافع بن خديج
أوصى أن لا تكتشف القسارية
عما غلق عليه بابها قال وقال
بعض الناس لا يجوز أن قرأه لسوء
الظن بالورثة وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم إياكم والظن
فإن الظن أكذب الحديث وقال
الله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا
الامانات إلى أهلها فلم يخص
وارثاً ولا غيره وإنه ما ذكره في
كان الاقرار بمحاصطاً بقا للمنافي
نفس الامر جرى فيه هذا الخلاف
ومتى كان حيلة ووسيلة إلى زيادة
بعض الورثة ونقصان بعضهم فهو
حرام بالاجماع وينص هذه الآية
الكريمة غير مضار وصيقتن الله
والله عليهم حليم ثم قال تعالى
(ذلك حسد الله ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك
الفوز العظيم ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً
خالداً فيها له عذاب مهين) أي
هذه القرائن والمقادير التي جعلها
الله للورثة بحسب قربهم من الميت

مسح بعضه واستدل القائلون بالتعميم بقوله تعالى في التيمم فامسحوا بوجوهكم ولا
يجزى فيه مسح بعض الوجه اتفاقاً وقيل إنها اللامصاق أي الصقوا أيديكم برؤسكم وهو
مذهب سيديويه وبه قال الزنجشيري لكن في شرح المذهب عن جماعة من أهل العربية أن
الباء إذا دخلت على متعدي كافي الآية تكون للتبعض أو على غير متعد كافي وليطوفوا
بالبيت تكون للامصاق وعلى كل حال فقد ورد في السنة المطهرة بما يفيد أنه يمكن مسح
بعض الرأس كما أوضحناه في مؤلفاتنا فكان هذا دلالة على المطلوب غير محتمل كاحتمال
الآية على فرض أنها محمولة ولا شك أن من أمر غيره بأن مسح رأسه كان ممثلاً لغيره
ما يصدق عليه مسمى المسح وليس في لغة العرب ما يقتضي أنه لا بد في مثل هذا الفعل من
مسح جميع الرأس وهكذا سائر الأفعال المتعدية نحو اضرب زيداً أو اطعنه أو ارجعه فانه
يوجد المعنى العربي بوقوع الضرب والظعن والرحم على عضون أو أعضائه ولا يقول قائل
من أهل اللغة أو من هو عالم بها الله لا يكون ضارباً إلا باقاع الضرب على كل جزء من أجزاء
زيد وكذلك الظعن والرحم وسائر الأفعال عارفة هذا حتى يتبين لك ما هو الصواب من
الاقوال في مسح الرأس فإن قلت يلزم مثل هذا في غسل الوجه واليدين والرجلين (قلت)
ملتزم لولا البيان من السنة في الوجه والتحديد بالغاية في اليدين والرجلين بخلاف الرأس
فانه ورد في السنة مسح الكل ومسح البعض والفرق الرابع قوله (وأرجلكم) قرأ
نافع وابن عامر والكسائي وحفص بنص الأرجل وهي قراءة الحسن البصري
والاعشى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحزق بن الجار وقراءة النصب تبدل على أنه يجب غسل
الرجلين لأنهما معطوفة على الوجه وإلى هذا ذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين
فمن بعدهم والأئمة الأربعة وأصحابهم وقراءة الجردل على أنه يجوز الاقتصار على مسح
الرجلين لأنهما معطوفة على الرأس والسبب ذهب ابن جرير الطبري وبه تعلق وهو يرى
عن ابن عباس قال ابن العربي وانفتحت الامة على وجوب غسلها وما علمت من رد
ذلك إلا الطبري من فقهاء المسلمين وأرافضة من غيرهم وقيل أنه منصوب في المعنى عطفاً
على الأيدي المنعولة وانما خفض على الجوار وهذا وإن كان وارداً الآن التخريج
عليه ضعف لضعف الجوار من حيث الجملة وأيضاً فانخفض على الجوار أعانور في
التع لافي العطف وقد ورد في التوكيد قليلاً في ضرورة الشعر وقيل إنها انما جارت

واحتياجهن إليه وقد علمه عند عدمه هي حدود الله فلا تعتدوها ولا تجاوزوها ولهذا قال ومن يطع الله
ورسوله أي فيها فلم يرد بعض الورثة ولم تقص بعضها بحيلة ووسيلة بل تركهم على حكم الله وفرضه وقسمته يدخله جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالد فيها له عذاب مهين أي
ليكون غير ما حكم الله به وضاد الله في حكمه وهذا لما يصد عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به ولهذا يجازى بها لاهاته في العذاب
الإليم المقيم قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اُؤضى وحاف في وصيته فيختم له بشراً فليدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخيراً فليدخل الجنة قال ثم يقول أبو هريرة أفروا ان شئتم ذلك حدوا الله الى قوله عذاب مهين قال أبو داود وفي باب الاضرار في الوصية من سنته حدثنا عبد بن عبد الله أخبرنا عبد الصمد حدثنا نصر بن علي الحارثي حدثنا الاشعث بن جابر الحارثي حدثني شهر بن حوشب ان ابا هريرة حدثنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل أو المراءاة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما (٢٧)

لهم النار وقال قرأ على أبو هريرة من ههنا من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار حتى بلغ ذلك القور العظيم وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أشعث وأكمل به وقال الترمذي حسن غريب وسياق الامام أجمداً ثم اكل (واللاقي)

بأربعين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً والذان يأتيناها منكم فآتوهما فان تابا وصليا فاعرضوا عنهما ان الله كان تواباً رحيماً كان الحكم في استدعاء

الاسلام ان المرأة اذا ثبت زناها بالبينه العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه الى أن تموت ولهذا قال واللاقي بأتين الفاحشة يعني الزنا من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً فالسبيل الذي جعله الله هو التامع لذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان الحكم كذلك حتى

للتبعية على عدم الاسراف في استعمال الماء فيها لانها مفسدة لصب الماء كبرافعة على المصوح والمراد غسلها وبالله ذهب الزنجشري وقيل انها مجرورة بحرف ج رد عليه المعنى ويتعلق هذا الحرف بفعل محذوف تقديره وافعلوا بأرجلكم غسل قال أبو البقاء وحذف حرف الجر وابقا الجرازة وقيل انه معطوف على رؤسكم لفظاً ومعنى ثم نسخ ذلك بوجوب الغسل وهو حكم باق وبه قال جماعة ويحمل مسح الارجل على بعض الاحوال وهو ليس الخف ويعزى للشافعي قال القرطبي قدرى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسلاً ومسحاً قال وكان عكرمة يمسح برجليه وقال ليس في الرجلين غسل انما نزل فيه ما مسح وقال عامر الشعبي نزل جبريل بالمسح قال وقال قتادة فترض الله غسليتين ومسحتين قال وذهب ابن جرير الطبري والحسن البصري الى أن فرضهما التخيير بين الغسل والمسح وجعل القراءة كالرواية وقواه الخاس وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما قول الحق ان الدليل القرآني قد دل على جواز الغسل والمسح لثبوت قراءة التصب والجر ثبوت التاكيد وقد تعسف القائلون بالغسل فخلوا بالجر على الجوار وانهم ليس للعطف على مدخول الباء في مسح الرأس بل هو معطوف على الوجوه فلما جاوز الجور والجرير وتعسف القائلون بالمسح فخلوا بقراءة التصب على العطف على محل الجوار والجرور في قوله برؤسكم كما ان قراءة الجر عطف على لفظ الجر ووركل ذلك ناشئ عن عدم الانصاف عند عرض الاختلاف ولو وجد أحد القائلين باحد التاويلين اسماً مجروراً في رواية ومنصوباً في أخرى بما يمتلئق به الاختلاف ووجد قبله منصوباً لفظاً ومجروراً لما شئت ان التصب عطف على المنصوب والجر عطف على الجرور واذ تقررك هذا كان الدليل القرآني قاضياً بغيره وعية كل واحد منهما على انفراده لا على مشروعية الجمع بينهما وان قال به قائل فهو من الضعف بمكان لان الجمع بين الامرين لم يثبت في شيء من الشريعة انظر الاعضاء المتقدمة على هذا العضو من أعضاء الوضوء فان الله سبحانه نشرع في الوجه الغسل فقط وكذلك في البدن وشعره في الرأس المسح فقط ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد بين للامة ان المفروض عليهم هو غسل الرجلين لأمسحهم فثارت الاحاديث عن الصحابة في حكاية وضوءه صلى الله عليه وآله وسلم وكلها مصرية الغسل ولم يأت في شيء منها المسح الا في مسح الخفين فان كانت الآية مجملة في الرجلين باعتبار

أنزل الله سورة النور فتسحها بالجلد أو الرجم وكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقاتدة وزيد بن أسلم والاضحالة انها مندوخة وهو أمر متفق عليه قال الامام أحمد حدثنا شيخنا جعفر حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن خطاب بن عبد الله الرقاشي عن عباد بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي أترع عليه وكرب ذلك وتغير وجهه فانزل الله عليه عز وجل ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً النبي بالنيب والبكر النبي جلد مائة وتروجم مائة بالجملة والنيب جلد مائة ثم نفي سبته وقدره واستلم وأخطأ السن من طرق عن قتادة عن الحسن عن خطاب

عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولتقله خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن مبارك بن فضالة عن
الحسن عن خطاب بن عبد الله القاشي عن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الوحي عرف ذلك في وجهه
فأنزلت أو يجعل الله لهن سبيلا فلما ارتفع الوحي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا خذوا قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر
جلد مائة ونفى سنة والثيب بالثيب جلد (٢٨) مائة ورجم بالجماعة وقد روى الامام أحمد أيضا هذا الحديث عن وكيع بن

احتمالها للغسل والمسح فالواجب الغسل بما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من البيان
المستخرج عن عمر بن الخطاب كان ذلك لا يوجب الإجماع فقد ورد في السنة الأمر بالغسل ووردا
ظاهرا وثبت بالأحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله غسل الرجلين
فقط وثبت عنه أنه قال ويل للأعقاب من النار ويل للعراقيب من النار أخرجه مسلم
من حديث أبي هريرة وأحمد وابن ماجه من حديث عائشة وابن ماجه أيضا من حديث
جابر والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وأحمد والبخاري
ومسلم أيضا من حديث أبي هريرة فأقاد وجوب غسل الرجلين وأنه لا يجزئ مسحهما لأن
شأن المسح أن يصيب ما أصاب ويخطئ ما أخطأ ولا سيما المواضع الخفية كالأعقاب
والعراقيب فالوكان مجزئاً لما قال ويل للأعقاب من النار ولما وقع منه صلى الله عليه وآله
وسلم ذلك وقد ثبت عنه أنه قال بعد أن توضأ وغسل رجله هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة
إليه أخرجه الطبراني من حديث معاوية بن قرة عن أبيه عن جده والدرقطني من
حديث ابن عمر وأبي هريرة وزيد بن ثابت وابن ماجه من حديث ابن عمر وأبي بن كعب
وابن السكن من حديث أنس وابن أبي حاتم من حديث عائشة وفي جميع الطرق
المذكورة مقال لكنها أقوى بعضها بعضاً وقد ثبت في صحيح مسلم وغيره أن رجلاً توضأ
فقرأ على قدمه مثل موضع الظفر فأبصره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ارجع
فاحسن وضوءك فخرج فتوضأ ثم صلى ومن ذلك أيضاً أحاديث الأعرابي الذي أمره
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعادة الوضوء لما رأى عقبه جافاً بلوح ومنها الأمر بتخليل
الأصابع فإنه يستلزم الأمر بالغسل لأن المسح لا تخليل فيه وبهذا يقرر أن الحق ما ذهب
إليه الجمهور من وجوب الغسل وعدم أجزاء المسح وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اجتمع
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غسل القدمين وأما المسح على الخفين
فهو ثابت بالأحاديث المتواترة وهو يدل عن الغسل لأن المسح (إلى الكعبين)
أي معهما كما كانت السنة والكلام فيه كالكلام في قوله إلى المرافق وقد قيل في وجهه جمع
المرافق وتسمية الكعب أنه لما كان في كل رجل كعبان ولم يكن في كل يد الا فرق واحد
ثبتت الكعبان تنبيهاً على أن لكل رجل كعبين بخلاف المرافق فإنها جمعت لأنهما كان في
كل يد فرق واحد ولم يتوهم وجود غيره ذكر معنى هذا ابن عطية وقال الكواشي ثني

الجراح عن الحسن حدثنا الفضل
ابن دلهيم عن قبيصة بن حرب عن
سلمة بن المحبق قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوا عني
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة
والثيب بالثيب جلد مائة والرجم
وكذا رواه أبو داود مطولاً
من حديث الفضل بن دلهيم ثم قال
وليس هو حافظ كان قصاباً بواسط
(حديث آخر) قال أبو بكر بن
مرويه حدثنا محمد بن أحمد بن
إبراهيم حدثنا عباس بن حمران
حدثنا أحمد بن داود حدثنا عمرو بن
عبد الغفار حدثنا أسعيل بن أبي
خالد عن الشعبي عن مسروق
عن أبي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البكران
يجلدان ويثيبان والثيبان يجلدان
ويرجمان والثيبان يجرمان
هذا حديث غريب من هذا الوجه
وروى الطبراني من طريق
ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن
لهيعة عن عكرمة عن ابن عباس
قال لما نزلت سورة النساء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا حبس بعد سورة النساء وقد ذهب الامام أحمد بن حنبل الى القول بمقتضى هذا الحديث وهو الجمع بين الجلد
والرجم في حق الثيب الزاني وذهب الجمهور الى أن الثيب الزاني أعجزهم فقط من غير جلد قالوا لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم
مأعزاً والغامدية واليهوديين ولم يجلد بهم قبل ذلك فدل على أن الرجم ليس يحتمل هو منسوخ على قولهم والله أعلم وقوله تعالى
واللذان يأبئان بمنكهم فآذوهما أي واللذان يفعلان الفاحشة فآذوهما قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة وغيرهما
أي بالستم والتعير والضرب بالنعال وكان الحكم كذلك حتى نسخته الله بالجلد والرجم وقال عكرمة وعطاء بن الحسن وعبد الله بن

كثير تزلت في الرجل والمرأ اذا نيا وقال السدي نزالت في القتيان من قبل ان يتزوجوا وقال مجاهد نزالت في الرجلين اذا فعلا لا يكتفي وكأنه يريد اللواط والله أعلم وقد روى أهل السنن من حديث عمرو بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى يتوه يعمل عمل قوم لوط فاقنوا الفاعل والمفعول به وقوله فان تابوا وأصلحوا أتى قلعنا ومن تاب عما كان عليه وصلى أعمالهما وحسنت فأعرضوا عنهم ما أتى لا تعفوهما بكلام قبيح بعد ذلك لان التأنيب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان توابا رحيمًا وقد ثبت في الصحيحين اذا زنت أمة أحكم فليجلدها (٢٩) الحد ولا يثرب عليها أي لا يعثرها بما صنعت بعد الحد الذي هو كفارة

لماصنعت (أنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله علما حكيما

وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك أعتدنا

لهم عذابا أليما) يقول سبحانه وتعالى أنما يقبل الله التوبة عن عمل السوء بجهالة ثم يتوب ولو بعد معاشة الملك بقبض روحه قبل الغرغرة قال مجاهد وغير واحد كل من عصي الله خطأ أو عذفو

جاهل حتى ينزع عن الذنب وقال قتادة عن أبي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبيد فهو جهالة رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي الله به فهو جهالة عدا كان أو غيره وقال ابن جرير أخبرني عبد الله بن كنعان عن مجاهد

الكعبيين وجع المرافق لئني توهم ان في كل واحدة من الرجلين كعبيين وانما في كل واحدة كعب واحدة طرفان من جانبي الرجل بخلاف المرفق فهي أبعد عن الوهم انتهى وفي هذه الآية دليل قاطع على وجوب غسل الكعبيين والمعنى اغسلوا أرجلكم مع الكعبيين والكعبان هما العظامان الثانتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم واليه ذهب جمهور العلماء من أهل اللغة والفقه وهذان العظامان من الساق وبي من فرائض الوضوء النية والتسمية وليذ كرافى هذه الآية بل وردت بهما السنة وقيل ان في هذه الآية ما يدل على النية لأنه قال اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم كان تقدير الكلام فاغسلوا وجوهكم لها وذلك هو النية المعتبرة وقد أشرنا اليه فيما تقدم والفصل بين الأيدي والرجل المغسولة بالرأس الممسوح بيقيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الاعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات وقد ورد في صفة الوضوء وفضله من الأحاديث الصحيحة الكثير الطيب لا تطول بذكرها هنا (وان كنتم جنبا فاطفروا) أي فاغسلوا بالماء وقد ذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود الى أن الغناب لا يقيم التيمم بل يدع الصلاة حتى يجد الماء استدلالا بهذه الآية وذهب الجمهور الى وجوب التيمم للجنابة مع عدم الماء وهذه الآية هي الواجد على ان التطهر هو اعم من الحاصل بالماء أو بما هو عوض عنه مع عدمه وهو التراب وقد صرح عمر وابن مسعود الرجوع الى ما قاله الجمهور وللأحاديث الصحيحة الواردة في تيمم الغناب مع عدم الماء وقد تقدم تفسير الغناب في النساء والمراد بالجنابة هي الحاصلة بدخول خشقة أو نزول منى وهذا هو حقيقتهما الشرعية وانظر لم يجعواها شاملة للحيض والنفاس مع أنه أقيد وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يفرغ بينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء يخلل بهم أصول شعره ثم يصب على رأسه ثلاث غرقات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده أخرجه الشيخان (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من

الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا غيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) قد تقدم تفسير هذا وأحكامه في سورة النساء مستوفى ومن في قوله منه لا بداء الغاية وقيل للتبويض قيل ووجه تكرير هذا هو استيفاء الكلام في أنواع الطهارة وفيه دليل

قال كل عامل بعصاة الله فهو جاهل حين علمها قال ابن جرير وقال في عطاء عن أبي رباح فشوه وقال أبو صالح عن ابن عباس من جهالة عمل السوء وقال لي ابن أبي طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال ما ينسبه وبين ان ينظر الى ملك الموت وقال الضحاك ما كان دون الموت فهو قريب وقال قتادة والسدي ما دام في صحته وهو مريض عن ابن عباس وقال الحسن البصري ثم يتوبون من قريب بالمرفغر وقال عكرمة الدنيا كلها قريب (ذكر الأحاديث في ذلك) قال الامام أحمد حدثنا علي بن عباس وعصام بن خالد قال حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جابر بن نفير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم

يفرغ رور واه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به وقال الترمذي حسن غريب ووقع في سنن ابن
 ماجه عن عبد الله بن عمرو وهو وهم انما هو عبد الله بن عمر بن الخطاب حديث آخر قال ابن مردويه حدثنا محمد بن معمر حدثنا
 عبد الله بن الحسن الخزازي حدثنا يحيى بن عبد الله البالي حدثنا أيوب بن نعيم الحلي سمعت عطاء بن أبي رباح قال سمعت
 عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر الا قبل الله منه اذن من ذلك
 عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن يتوب قبل الموت بشهر الا قبل الله منه اذن من ذلك
 وقبل موته يوم وساعة يعلم الله (٣٠) منه التوبة والاخلاص اليه الا قبل منه حديث آخر قال أبو داود الطيالسي

على انه يجب مسح الوجه والدين بالصعيد وهو التراب (ما يريد الله ليجعل عليكم من
 خرج) أي ما يريد بأمركم بالطهارة بالماء أو بالتراب التضييق عليكم في الدين ومنه قوله
 تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج والجعل هنا بمعنى الإيجاد والخلق ومن مزينة فيه
 أو غنى التصريح ثم قال (ولكن يريد تطهرتم) من الذنوب والخطايا لأن الوضوء كغيرها
 وقيل من الحديث الأصغر والكبير (وليس نعمته عليكم) أي بالترخيص لكم وأتيم
 عند عدم الماء أو بما شرعه لكم من الشرائع التي عرّفكم بها للثواب وما تحتاجون اليه
 من أرض دينكم قال سعيد بن جبيرة نعمتكم دخول الجنة بتم نعمته على عبد لم يدخل
 الجنة (لعلكم تشكرون) نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين وقد
 اشتملت هذه الآية على سبعة أمور كلها من طهارات أصل وبدل والأصل اثنان
 مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح واعتبار المحل
 محدود وغير محدود وأن أتم ما مانع وجامد وموجب ما حدث أصغر أو أكبر وأن
 المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سقر وإن الموعود عليها تطهير الذنوب وإتمام النعمة
 قاله السباوي وذكر ما أبو السعود قال الخفافى الأصل الماء والبديل التراب
 والمستوعب الغسل وغيره والحدود بقوله إلى المرافق وإلى الكعبين وغيره ما سواه
 وهذا ظاهر (وإذا كروا نعمه الله عليكم) يعني ما أتم به عليكم من النعم كلها وقيل هي
 الاسلام (وميثاقه الذي أوثقكم به) الميثاق العهد قيل المراهبة هنا مأخوذة على بني آدم
 كما قال وإذا أخذ ربك من بني آدم الأية قال فجاءه وغيره ونحن وإن لم نذكره فقد أخبرنا
 انه به وقيل هو خطاب لليهود والعهد مأخوذة عليهم في التوراة وذهب جمهور المفسرين
 من السلفين بعدهم إلى أنه العهد الذي أخذته النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة
 عليهم وهو السمع والطاعة في المنشط والمكروه وأضاف تعالى إلى نفسه لأنه عن أمره
 وأذنه كما قال انما يابعون الله (أذلقتم) للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين يابعتوه
 (سمعنا وأطعنا) أي وقت قولكم هذا القول (واتقوا الله) فيما أخذكم من الميثاق
 فلا تقضوه (إن الله علم بذات الصدور) وهي ما تخفيه الصدور لكونها مختصة
 بها لا يعلمها أحد ولهذا أطلق عليها ذات التي بمعنى صاحب وإذا كان سبحانه عالما بها
 فكيف بما كان ظاهرا جليا (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين) قد تقدم تفسيرها

حدثنا شعبة عن إبراهيم بن مهينة
 وأخبرني رجل من لجان يقال له
 أيوب قال سمعت عبد الله بن عمرو
 يقول من تاب قبل موته بعام تيب
 عليه ومن تاب قبل موته بشهر تيب
 عليه ومن تاب قبل موته بجمعة
 تيب عليه ومن تاب قبل موته
 يوم تيب عليه ومن تاب قبل
 موته بساعة تيب عليه فقلت
 له انما قال الله انما التوبة على الله
 للذين يعملون السوء بجهالة ثم
 يتوبون من قريب فقال انما
 أحدث ما سمعته من رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه
 أبو داود الطيالسي وأبو عمر
 الخوصي وأبو عامر العقدي عن
 شعبة حديث آخر قال الامام
 أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا
 محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم
 عن عبد الرحمن بن السلمي قال
 اجتمع أربع من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال أحدهم
 سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول ان الله يقبل توبة
 العبد قبل ان يوت يوم فقال
 الآخر أنت سمعت هذا من

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال نعم قال وانما سمعت رسول الله
 العبد قبل ان يموت نصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانما سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانما سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم فقال الخامس أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانما سمعت رسول الله
 منصور عن الدراوردي عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن السلمي قال فذكر في سنة حديث آخر قال أبو بكر بن مردويه

حدثنا يحيى بن ابراهيم بن زيد حدثنا عمران بن عبد الرحيم حدثنا عثمان بن الهيثم حدثنا عوف بن محمد عن سير بن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغفر (أحاديث في ذلك مرسله) قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر هذا مرسل حسن عن الحسن البصري رحمه الله وقد قال ابن جرير أيضا رحمه الله حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن العلامة بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغفر وحدثنا ابن

بشار حدثنا عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن عباد بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذ كرمه حديث آخر قال قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو داود حدثنا عمران بن قتادة قال كاعند أنس بن مالك وثم أبو قلابه حدث أبو قلابه فقال ان الله تعالى لما لعن ابليس سأله النظره فقال وعزتك وجلالك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله عز وجل وعزتي لأنيعنه التوبة مادام فيه الروح وقد ورد هذا في حديث مرفوع رواه الامام أحمد في مسنده من طريق عمرو ابن أبي عمرو وأبي الهيثم العتوري كلاهما عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ابليس يارب وعزتك لا أزال أغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال اغفر لهم ما استغفروني فقد دلت هذه الأحاديث على ان من تاب أتى الله عز وجل وهو رجو الحياة

في النساء وصيغة المبالغة في قوامين تفيد أنهم مأثورون بان يقوموا بها أتم قيام (الله) أي لأجل تعظيم الامر وطعماني توبه (شهادة بالقسط) أي العدل (ولا يحرم منكم شتان قوم) أي لا يحرم منكم بغض قوم أو يكسبكم وهما متقاربان قبل الخطاب مختص بقرش لانها نزلت فيهم وعليهم جرى القاضي كالكتافي وغيره ما على أن الخطاب عام وهو الجاق لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال عبد الله بن كثير نزلت في يهود خيبر ذهب اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستعينهم في دية فقهوا أن يقتلوه فذلك قوله ولا يحرم منكم شتان قوم الآية (على أن لا تعذبوا) أي على ترك العدل فيم لعداوتهم وكنتم الشهادة وقد تقدم الكلام على ذلك المستوفى (اعذبوا) أمر بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصدق والعدل وتصريح بوجوبه بعد ما علم من النبي عن تركه التزاما (هو) أي العدل المدلول عليه بقوله اعذبوا (أقرب للتقوى) التي أمرتم بها غير مرة أي أقرب لان تقوى الله وألان تقوى النار (واتقوا الله ان الله خير بما تعملون وعبدوا الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي وفوا بالله وودوا العموم أولى (لهم مغفرة وأجر عظيم) هذه الجملة في محل نصب على أمه المفعول الثاني لقوله وعد على معنى وعدهم أن لهم مغفرة أو وعدهم مغفرة فوقعت الجملة بموقع المفعول فاعتبت عنه وذلك الجمل والرحم شري في الآية احتمالات آخر لا نطول بذكرها وإذا وعدهم أن يجز لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد والاجر العظيم هو الجنة (والذين كفروا كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي ملأ بسواها والجملة مستأنفة أي بها اسمية دالة على الثبوت والاستقرار ولم يثبت بها في سياق الوعيد كما في الجملة قبلها في سياق الوعد حسما جازم وهذه الآية نص فاطع في ان الخلود في النار ليس الا للكفار لان المصاحبة تقتضي الملازمة (يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذهبهم قوم أن يسطوا اليكم أيديهم) يعني بالقتل والبطش بكم يقال بسط اليه يده اذا بطش بهو بسط اليه لسانه اذا شتمه وذكرهم بالايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها (فكيف أيديهم عنكم) أي صرفهم عنكم وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم أخرج عبد الرزاق وعبد بن حنبل وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا يفتقر الناس في العشاء يستطلون تحتها فعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي الى

فان توبته مقبولة ولهذا قال الله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليا حكيمنا وأما متى وقع الاياس من الجنايا فوعاين الملك وخرجت الروح في الجلق وضاق بها الصدر وبلغت الحلقوم وغرغت النفس صاعدة في الغلاصم فلا توبة مقبولة وحينئذ ولات حين مناص ولهذا قال وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وهذا كما قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحمده لا يتنفع نفسا اجمعان لم تكن آمنتم من قبل أو كسبت في ايمانكم اخيرا الآية وقوله من مغربهم في قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا يتنفع نفسا اجمعان لم تكن آمنتم من قبل أو كسبت في ايمانكم اخيرا الآية وقوله

ولا الذين يدينونهم كنفار يعني ان الكفار اذا مات على كفره وشركه لا يسقعه ندمه ولا يؤتبه ولا يقبل منه فدية ولو عمل الارض قال
ابن عباس واولو العالة والريبع بن انس ولا الذين يؤمنون وهم كنفار قالوا انزات في أهل الشرك وقال الامام احدث حدثنا سليمان بن
داود قال حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان حدثني أبي عن مكحول أن عمر بن نعيم حدثه ان أبا ذر جدهم أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله يقبل فوبقه عبده ويغفر لعبده ما لم يقع الحجاب قبل وما وقع الحجاب قال يخرج النفس وهي مشركة
ولهذا قال الله تعالى أولئك اعتدنا لهم عذابا اليما أي موجعا شديدا مقبها (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم ان تروا

النساء كرها ولا تعاضواهن لتهبوا
بعض ما يتبعوهن الآن يأتين
بناحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف
فان كرهتموهن فبعي ان تكرهوا
شأن يجعل الله فيه خيرا كثيرا
وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج وانتم احدثه فظننا
فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه
بهتاناً وانما بينا وكيف تأخذونه
وقد أفضى بعضكم الى بعض
وأخذن منكم ميثاقا عظيما
ولانكحوا ما نكح آبائكم من
النساء الا ما قد سلف انه كان
فأحشة ومقتا وساء سبيلا
قال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل
حدثنا أسباط بن محمد حدثنا
الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس
قال الشيباني وذكره أبو الحسن
السوائي ولا ظنه ذكره الامام
ابن عباس يا أيها الذين آمنوا
لا يجعل لكم ان تروا النساء كرها
قال كانوا اذا مات الرجل كان
أولياؤه أحق بامرأته ان شاء
بعضهم تزوجها وان شاء تزوجها
وان شاءوا لم يزوجوها فهم أحق

سقيمه فأخذوا له ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من يمنعك مني قال
الله قال الاعرابي مررت بأوثلا ثامن يمينك مني والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله
نظام الاعرابي السيف فديع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضاه فأخبرهم بصنيع
الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه قال معمر وكان قتادة يذكره خوفاً يذكر أن قوما
من العرب ارادوا أن يقتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأرسلوا هذا الاعرابي
وأخرج الحماكم وصححه عنه بنحوه وذكر ان اسم الرجل غورث بن الحرث وانما قال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم الله سقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقال من يمنعك مني قال كن خيرا أخذ قال فشمه بأن لاله الا الله وأخرج أبو نعيم في
الدلائل عن ابن عباس ان بني النضير هموا أن يطرحوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ومن معه فاجبريل فأخبرهم بما عموافقام ومن معه فزلت انهم قوم وقصة الاعرابي
وهو غورث ناسبة في الصحيح (واتقوا الله) فيما أمركم به ونهاكم عنه (وعلى الله)
لا على غيره (فليستكوا المؤمنين) فانه هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها
(ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) كلام مستأنف يتضمن ذكر بعض ما صدر من بني
اسرائيل من الحيافة وقد تقدم بيان الميثاق الذي أخذه الله عليهم وان الميثاق هو العهد
المؤكداً باليمين واستاد الاخذ الى الله من حيث انه أمرهم بموسى والا فلا تأخذوه موسى
بأمر الله بذلك (وبعضنا منهم اثني عشر نجيباً) اختلف المفسرون في كيفية بعث هؤلاء
النقباء بعد الاجماع منهم على ان النقيب كبير القوم القائم بأمورهم الذي ينقب عنها وعن
مصالحهم فيها والنقاب الرجل العظيم الذي هو في الناس على هذه الطريقة ويقال نقيب
القوم لشاهدهم وضمينهم والنقيب الطريق في الجبل هذا أصله وسمي به نقيب القوم لانه
طريق الى معرفة أمورهم والنقيب أعلاما ثامن العريف وقيل مشتق من التقيب وهو
التفتيش ومنه فبقوا في البلاد فتقبل المراد بعث هؤلاء النقباء انهم بعثوا على الاطلاع
على الجبارين والنظر في قوتهم ومنعتهم فساروا واختبروا حال من بهما وتجبروا بذلك
فاطلعوا من الجبارين على قوة عظيمة وظنوا أنهم لا يقبل لهمسها فتعاقدوا بينهم على أن
يحققوا ذلك عن بني اسرائيل وان يعلوا به موسى عليه السلام فلما انصرفوا الى بني
اسرائيل خان منهم عشرة فأخبروا قرايتهم فقسا الخبر حتى بطل أمر الغزو وقالوا اذهب

بها من أهلها فزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم ان تروا النساء كرها هكذا ذكره البخاري وأبو داود
والنسائي وابن مردويه وابن أبي حاتم من حديث أبي اسحق الشيباني واسمه سليمان بن أبي سليمان عن عكرمة عن أبي الحسن السوائي
وانه عطاء كوفي أعجى كلاما عن ابن عباس بما تقدم وقال أبو داود حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت الروزي حدثني علي بن حسين
عن أبيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس قال لا يجعل لكم ان تروا النساء كرها ولا تعاضواهن لتهبوا بعض ما يتبعوهن
الآن يأتين بناحشة مبينة وذلك ان الرجل كان يرث امرأته في بعض أهلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم الله تعالى عن

واحد عن ابن عباس بنحو ذلك وروى وكيع عن سفيان عن علي بن زينة عن مقسم عن ابن عباس كانت المرأة في الجاهلية اذا توفي عنها زوجها جاز رجل فأتى عليها ثوبا كان أحق بها فنزلت أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تزوا النساء كرها وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تزوا النساء كرها قال كان الرجل اذا مات وترك جارية أتى عليها جميعه ثوبه فقتلها من الناس قال كانت جميلة تزوجها وان كانت ذميمة حبسها حتى تموت فيزنها وروى الهوفي عن ذلك الرجل من أهل المدينة اذا مات حبي (٢٣)

نكاحها ولم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تنتدى منه بفدية فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن تزوا النساء كرها وقال زيد بن أسلم في الآية كان أهل يثرب اذا مات الرجل منهم في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله وكان بعضها حتى يرثها أو يزوجه من اراد وكان أهل تهامة نسي الرجل صحبة المرأة حتى يطلقها أو يشترط عليها ان لا تنكح الا من اراد حتى تنكح من يشاء بعض ما أعطاها فهي الله المؤمنين عن ذلك رواء ابن أبي حاتم وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا شاموس بن ابي حاتم حدثنا علي بن المذخر حدثنا محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبي امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما في أبو قيس بن الاسلت أراد ان ينكح امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية قالزل الله لا يحمل لكم أن تزوا النساء كرها ورواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل بن عمرو بن طريق بن

أنت وربك فقاتلا وقيل ان هؤلاء النقباء كئل كل واحد منهم على سبطه بان يؤمنوا ويتقوا الله وهذا من بنوهم وقيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين فيهم عوج بن عتيق وكان كذا وكذا وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين والمحققين من أهل الحديث على أنها الأصل لها ولا عوج ولا عتيق وقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الامين الكليل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم والمعاني متقاربة (وقال الله اني معكم) أي قال ذلك انبي اسراييل وقيل للنقباء وهو الاولى والمعنى اني معكم بالنصر والعون (لئن) اللام هي الموطنة للقسيم أي والله لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي تأخير الايمان عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مع كونهم آمنوا من الفروع المرتبة عليهم لما أنهم كانوا معترفين بوجوبها مع ارتكابهم تكذيب بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام (وعزروهم) التعزير التغظيم والتوقير ويطلق التعزير على الضرب دون الحد والرد يقال عزرت فلانا اذا أدبته وورده عن القبيح والمعنى غطوه قهروهم على الاول أو رددتهم عنهم اعداءهم ومنعقوهم على الثاني وقال ابن عباس أي أعفوههم وقال مجاهد نصر قهروهم (وأقرضتم الله قرضا حسنا) أي أنفقتم في وجوه الخير والحسن قيل هو ما طابت به النفس وقيل ما بقي به وجه الله وقيل الحلال وقيل اراد بالزكاة الواجبة وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها بالزكاة شرفها (لا كفرن عنكم بها) إشارة الى إزالة العذاب (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) إشارة الى اصال الثواب (فن كفر بعد ذلك) الميثاق (منكم) أو بعد الشرط المذكور (فقد ضل سوا السبيل) فقد اخطأ وسط الطريق المستقيم (فبما نقضهم ميثاقهم) الباء للسببية وما زائدة أي بسبب نقضهم قال ابن عباس هو ميثاق أخذ الله على أهل التوبة فنقضوه (لغناهم) أي طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا ومنحناهم وأضر بنا عليهم الجزية وحقيقة الله في اللغة الطرد والابعاد فاستعمله بالمعنيين الآخرين كما فعل البضاوي وأبو السعود محاز باستعماله في لازم معناه وهو الحفارة بما ذكره لكن لا قرينة في الكلام عليه (وجعلنا قلوبهم قاسية) أي صلبة لا تعي خيرا ولا تعقله وغلظت آياته لائلا ولا رجعة فيها الا بالقسوة خلاف الرقة وقيل المعنى ان قلوبهم ليست خالصة

(٥ - فتح ليان ثالث) جريح قال أخرني عطاء أن أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل وترك امرأته حبسها أهلها على الصبي يكون فيهم فنزل لا يحمل لكم أن تزوا النساء كرها الآية وقال ابن جرير قال مجاهد كان الرجل اذا توفي كان ابنه أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذ لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه وقال ابن جرير قال عكرمة نزلت في كيشة بنت معين بن عاصم بن الاوس توفي عنها أبو قيس بن الاسلت فجح عليها ابنه فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا تأنا ورثت زوجي ولا تأثر كت فانكحها فانزل الله هذه الآية وقال السدي عن أبي مالك كانت المرأة في الجاهلية اذا مات زوجها

جاء وليه فأتى عليها فأتى ابن صغيراً وأخ حسبها حتى يشباً وتموت ففريها فان هي انفلتت فأتت أهلها وأبناها فأتى بها
 فأتى الله لا يحل لكم أن تزوا النساء كرها وقال مجاهد في الآية كان الرجل يكون في حجره البتة هو ولي أمرها فحبسها
 رجاء أن تموت أمرها فميت زوجها وأبناها فأتى حاتم ثم قال وروى عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وأبي مجاز وأخناك
 والزهرى وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان نحو ذلك قلت فالآية تعم ما كان يفعله أهل الجاهلية وما ذكره مجاهد ومن وافقه وكل
 ما كان فيه نوع من ذلك والله أعلم وقوله (٢٤) ولا تعضلوهن لتذهبن ما ينفقوهن في العسر ولتتزلزلن

الايمن بل متو بتالكفر والنفاق (بحرفون الكلم) الذي في التوراة من نعت محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم وغيره (عن مواضع) جله مستأنفة لبيان حالهم وأحوالهم
 سيدلونه بغية أو يتاولونه على غير تأويله وقيل يلونه ويكيلونه قال ابن عباس
 يعني حسدوا الله قال عبد الرحمن بن خالد بن قيس كتاب العبر وأما ما يقال من
 ان علماءهم يدلون مواضع من التوراة بحسب أغراضهم في ديانتهم فقد ذل ابن عباس
 على ما نقل عنه الجناري في صحيحه ان ذلك بعدد وقيل معاذ الله ان تعد بمائة من الامم الى
 كتابها المنزل على نبيها قبله أو ما في معناه قال واتعبدلوه وحرفوه بالتأويل ويشهد لذلك
 قوله تعالى وعندهم التوراة فيها حكم الله وليدوا من التوراة الفاظها لم يكن عندهم
 التوراة التي فيها حكم الله وما وقع في القرآن من نسبة التحريف والتبديل فيها اليوم فاعلموا
 المعنى به التأويل اللهم الآن بطرقها التبديل في الكلمات على طريق الغفلة وعدم
 الضبط وتحريف من لا يحسن الكتاب بنسخها فذلك يمكن في العادة لاسيما وملكمهم قد
 ذهب وجماعتهم انتشرت في الاتفاق واستوى الضابط منهم وغير الضابط والعالم والجاهل
 ولم يكن وازع يحفظ لهم ذلك لذهاب القدرة بذهاب الملك فطرق من أجل ذلك الى حذف
 التوراة في الغالب تبديل وتحريف غير معدة من علماءهم وأخبارهم ويمكن مع ذلك
 الوقوف على الصحيح منها اذا تحرى القاصد ذلك بالبحث عنه انتهى والحاصل أنهم
 يقولون ان أمر محمد بما أنتم عليه فاقبلوه وان خالفكم فاحذروا (ونسوا حظما
 ذكروا به) أي الكتاب وما أمروا به من الايمان بحمد صلى الله عليه وآله وسلم ويأت
 نعتهم وصفتهم (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
 والخائنة الخيانة وقيل انتقدت فرقة خائنة وقد يقع للمبالغة نحو علامة ونسابة اذا
 أردت المبالغة في وصفه بالخيانة وقيل خائنة موصية قاله ابن عباس قال مجاهد
 بنود نزل الذي هو ما به من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم دخل عليهم فحاطهم وقال
 فتاة خائنة كذب وخجور (الافلا منهم) يعني أنهم لم يخشوا ولم ينقضوا العهد وهم
 عبد الله بن سلام وأصحابه ولم يؤمنوا بمذنباتهم فامرهم الله أن يعف عنهم ويصفح فقال
 (فاعف عنهم واصفح) ثم نسخ ذلك في براءة فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر الآية وقيل هو خاص بالمعاهدين وانهم اغيروا منه نسخة (ان الله يحب المحسنين)

ما أصدقتهم أو بعضه أو سقامن
 حقوقها علم ذلك أو شيأ من ذلك على
 وجه القهر لهار الاضطراب وقال
 علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
 في قوله ولا تعضلوهن يقول
 ولا تفرهن من تذهبوا ببعض
 ما أتفقوهن يعني الرجل تكون
 له المرأة وهو كاره لعصتها ولها عليه
 مهر فبضرها لتفتدي به وكذا
 قال النخعي وقتادة وغير واحد
 واختاره ابن جرير وقال ابن المبارك
 وعبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني
 سماعة بن النضر عن ابن السلمي
 قال نزلت هاتان الايتان احدهما
 في أمر الجاهلية والاخرى في أمر
 الاسلام قال عبد الله ابن المبارك
 يعني قوله لا يحل لكم أن تزوا
 النساء كرها في الجاهلية
 ولا تعضلوهن في الاسلام وقوله
 الا أن يأتين بنا حشة مبينة قال
 ابن سعد وابن عباس وسعيد بن
 المسيب والشعبي والحسن البصري
 ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبر
 ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني
 والنخعي وأبو قتادة وأبو صالح
 والسدي وزيد بن أسلم وسعيد بن

أبي هلال يعني بذلك الزنا يعني اذا نزلت فالت أن تسترجع منها الصداق الذي أعطيت وتضاجر حتى تركه لك
 ويتخالفها كما قال تعالى في سورة البقرة ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيئاً الا أن يخافن لا يبقيا حدود الله الآية وقال
 ابن عباس وعكرمة والنخعي الفاحشة الميسنة القشور والعصيان واختار ابن جرير أنه نعم ذلك كله الزنا والعصيان والقشور وبنا
 اللسان وغير ذلك يعني أن هذا كله يبيح مضاجرتهم حتى تبرئة من حقها أو بعضه ويقارفوا وهذا جحد والله أعلم وقد تقدم فيما رواه
 أبو داود، نفر داه من طريق يزيد الخوي عن عكرمة عن ابن عباس في قوله لا يحل لكم أن تزوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبن

بعض ما أتتوهن الآن تأمين بها خشية مية قال وذلك ان الرجل كان يرث امرأته في قرآنه فيصليها حتى تموت أو ترد إليه
صد أقها فأحكم الله عن ذلك أي نهي عن ذلك قال عكرمة والحسن النصري وهذا يقتضي أن يكون النسيك كله كان في أمر
الحاجة ولكن نهي المسلمون عن فعله في الاسلام وقال عبد الرحمن بن زيد كان العضل في قرآنه يشكككم الرجل المرأة
الشريعة فعلها لا توافق مؤنسا رها على أن لا تزوج الاذنه فيأت بالشهود فيكتب ذلك عليها ويثم عد فاذا جاء الخطاطب فان
أعطته وأرضته أذن لها والاعضاء قال فهذا قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض (٢٥) قوله ما أتتوهن الآية وقال مجاهد في

قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض
ما أتتوهن هو كاله ضل في سورة
البقرة وقوله تعالى وعاشروهن
بأنعروهن أي طيبوا أنو لكم
ليس وجسروا أنعاصكم
وهما فكم بحسب قدرتم كما
تجب ذلك من أفاعل أتت بها مثله
كما قال تعالى ولهن مثل الذي
عليهن بالمعروف وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم
لاسله وأخيركم لاهله وكان من
اخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه
جعل العشرة دأما البشر يداعب
أهله ويلطف بهم ويوسعهم نفقته
ويضاحك نساءه حتى انه كان
يسابق عائشة أم المؤمنين رضى الله
عنها يتودد اليها بذلك قالت سابقني
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسبقته وذلك قبل ان أحل اللحم ثم
سابقته بعد ما حلت اللحم فسبقني
فقال هذه نكاح ويجمع نساءه كل ليلة
في بيت التي يبيت عندها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبا كل معهن
العشاء في بعض الأحيان ثم تصرف
كل واحدة الى منزلها وكان ينام
مع المرأة من نساءه في شعار واحد

أي اذا عفوت عنهم فانك تحسن وعو يجب أهل الاختنان (ومن الذين قالوا ان انصاري
أخذنا من انهم) أي في التوحيد والايان بعمد صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به قال
الكوفيون الضعيف في شياقهم راجع الى بنى اسرائيل أي أخذنا من انصاري مثل ميثاق
الذي كورين قبلهم من بنى اسرائيل وقال من الذين قالوا ان انصاري ولم يقل من انصاري
للايدان بأنهم كانوا في دعوى النصرانية وانهم أنصاريه ولأنهم الذين أتدعو هذا
الاسم وسواها أنفسهم لان الله سماهم به (ففسوا) من الميثاق المأخوذ عليهم (حظا) أي
نصيادوا فراعقب أخذه عليهم (عاهد كروا به) من الايمان بعمد صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم (فاغرينا) أي ألصقنا ذلك بهم سم مأخوذ من الغري وهو ما يلقى الشيء بالشيء
كالصمغ وشبهه يقال غري بالشيء يغري غرا يغري أي ألعبه حتى كانه صار ملتصقا به
ومثل الاغراء التحريش وأغريت الكلب أي ألعبته بالصيد المراد بقوله (بينهم اليهود
والنصارى لتقدم ذكركم جميعا) وقيل بين النصارى خاصة لأنهم أقرب مذكور وذلك
لأنهم اقترقوا الى العقريسية والتسطورية والمكائنية وكثر بعضهم بعضا وظاهروا
بالعداوة في ذات بينهم قال الخبي أغري بعضهم بعضا لخصومات والجدال في الدين
قال النحاس ومن أحسن ما قيل في معنى أغريناهم (العداوة والبغضاء) ان الله
عز وجل أمر بعداوة الكفار وبغاضهم فكل فرقة سامورة بعداوة صاحبها وبغاضها
(اليوم القيامة) بالادواء المختلفة (وسوف ينهم اليه جمعا كانوا يصعبون) أي
يسبقون جراه نقض الميثاق وفيه تهديد لهم ووعيد (بأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا)
الالف واللام في الكتاب للجنين والخطاب لليهود والنصارى (بين لكم كثيرا ما كنتم
تخفون) كآية الرجم وقصة أصحاب السبت للمسوخين قرودة (من الكتاب) أي
التوراة والابحيميل (وبعدون عن كثير) مما تخفونه فيتركه بانه لعدم اشتغاله على
ما يجب بيانه عليه من الاحكام الشرعية فان ما لم يكن كذلك لا فائدة لتعلق ببيانه الانجرد
اقتضاء حكمه وقيل المعنى بعدون عن كثير فتجاوزوه ولا يخبركم به وقيل يعفون عن كثير منهم
فلا يؤخذكم بما يندرونكم قال قتادة يعفون عن كثير من الذنوب (قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين) آية الله مستقلة على بيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد تضمنت
بعثته فوارث غير ما تقدم من مجرى البيان قال الزجاج النور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل

بضع عن كنفه الرذاة ونام بالازار وكان اذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام رؤا منهم بذلك صلى الله
عليه وسلم وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. وأحكام عشرة النساء ما يتعلق بتفصيل ذلك موضوعة كتب
الاحكام والله الحمد وقوله تعالى فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيم خيرا كثيرا أي فمسي أن يكون صبركم
في امساكنهم مع الكراهة فيسبب خيرا كثيرا لكم في الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس في هذه الآية عوان يعطف عليهم فيرزق
منه اولاد ويكون في ذلك اولاد خير كثير وفي الحديث الصحيح لا يفرك مؤمن مؤمنة ان محط من اخلاقه ارضى منها آخر وقوله

تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيم احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا الاية أى اذا أراد أحدكم أن ينفار
 امرأ أو يستبدل مكانها غير خلافا بأخذها كان أصدق الأولى شيأ ولو كانت قطارا من المال وقد قدمنا في سورة آل عمران
 الكلام على القطار بعائنه كناية عن اعادته ههنا وفي هذه الآية دليل على جواز الاضداد بالمال الخزيل وكان عمر بن الخطاب
 يهز عن كثرة ثم يرجع عن ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن خديشة سأل عن علقمة بن محمد بن سيرين قال سئلت عن أبي العجفاء
 السلمي قال سمعت عمر بن الخطاب يقول (٢٦) لاتعاولوا في صدقات النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا ونقوى عند الله

كان أولاكم بها النبي صلى الله عليه
 وسلم ما أصدق رسول الله صلى الله
 عليه وسلم امرأة من نساءه ولا
 أصدق امرأة من بناته أكثر من
 اثنتي عشرة أوقية وان كان الرجل
 ليتلي بصدقة امرأته حتى يكون
 لها عداوة في نفسه وحتى يقول
 كلفت اليك علق القرية ثم رواه
 الامام أحمد وأهل السنن من طرق
 عن محمد بن سيرين عن أبي العجفاء
 واسمه هرم بن سبب البصري وقال
 الترمذي هذا حديث حسن صحيح
 طريق أخرى عن عمر قال الحافظ
 أبو يعلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا
 يعقوب بن ابراهيم حدثنا أبي
 عن ابن اسحق حدثني محمد بن
 عبد الرحمن عن خالد بن سعيد عن
 الشعبي عن مسروق قال ركب
 عمر بن الخطاب منبر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها
 الناس ما كنتم في صدق
 النساء وقد كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه وأصدقات
 فيما بينهم أربع مائة درهم فنادون
 ذلك ولو كان الاكثر في ذلك تقوى
 عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها

الاسلام والكتاب المدين القرآن فانه المدين والضمير في (يعبدى به الله) راجع الى الكتاب
 أو اليه والى التوراة لكونهما كالشيء الواحد (من أسع رضوانه) أى ما رضى به وهو دين
 الاسلام (سبل السلام) طرق السلامة من العذاب الموصلة الى دار السلام المترجمة عن
 كل لغة وقيل المراد بالسلام الاسلام وعن السدي قال سبل السلام هي سبل الله الذي
 شرعه لعباده ودعاهم اليه وبعث به رسوله وهو الاسلام (ويضرحهم من الظلمات) أى
 الكفر (الى النور) أى الاسلام (ويهمهم الى صراط مستقيم) أى الى طريق
 يتوصلون بها الى الحق لا عوج فيها ولا تخافة وهذه الهداية غير الهداية الى سبل السلام
 وانما عطف عليها تارة بلا تنكير الوصف بمنزلة التغاير الذاتي (لقد كفر الذين قالوا ان الله
 هو) ضمير النقص يقيد الحصر (المسيح من مريم) قيل وقد قال بذلك بعض طوائف
 النصارى وقال ابن عباس هو لا نصارى نجران وهو مذهب يعقوبية والملكية
 من النصارى وقيل لم يقل به أحد منهم ولكن استأنم قولهم أن الله هو المسيح لأغلبية
 وقدمه في آخرة سورة النساء ما يكتفي ويغنى عن التكرار (قل في ذلك من الله شيئا)
 الاستهتاهم للتوبيخ والتقريع والمنايا الضبط والحفظ والقصد من قولهم ملكك على
 فلان أمره أى قدرت عليه أى فمن يقدر أن يمنع (ان أراد أن يملك المسيح من مريم وأمه)
 واذ لم يقدر أحد أن يمنع من ذلك فلا اله الا الله ولا رب غيره ولا معبود بحق سواه ولو كان
 المسيح الها كما يزعم النصارى لكان له من الامر شئ ولقد درأ أن يدفع عن نفسه أقل حال ولم
 يقدر على أن يدفع عن أمه الموت عند نزوله بها وتخصيصها بالذريع دخولها في عموم (ومن
 في الارض جها) لكون الدفع منه عنها أولى وأحق من غيرها وهو اذ لم يقدر على
 الدفع عنها أعجز عن أن يدفع عن غيرها وذ كرم في الارض للدلالة على شمول قدرته وأنه
 اذا أراد شيئا كان لا معترض له في أمره ولا مشار له في قضائه (ولله ملك السموات
 والارض وما بينهما) أى ما بين النوعين من المخلوقات فانها ملكه وأهلها عبيده وعيسى
 وأمه من جله عبيده (يخلق ما يشاء) جله نساء أنفسه مسوقة لسان أنه سبحانه خالق
 الخلق بحسب مشيئته من غير اعراض عليه فيما يخلق لانه خلق آدم من غير آب وأم
 وخلق عيسى من أم بلا أب وخلق سائر الخلق من آب وأم (والله على كل شئ قدير)
 لا يصعب عليه شئ (وقال اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) أثبت اليهود

عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها
 فلا عرف من زاد رجب في صدقات امرأته على أربع مائة درهم قال ثم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال وأى
 بأمر المؤمنين نعت الناس أن يزدوا في مهر النساء على أربع مائة درهم قال ثم فقالت أما سمعت ما أنزل الله في القرآن قال وأى
 ذلك فقالت أما سمعت الله يقول وأتيم احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا قال نعم ثم رجع فركب المنبر
 فقال أيها الناس اني كنت أتمسككم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مائة درهم فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب قال
 أبو يعلى وأفضله قال في غلبت نفسه فليفعل اسناده جيد قوى طريقة أخرى قال ابن المنذر حدثنا اسحق بن ابراهيم عن

عبد الرزاق عن قيس بن ربيع عن أنس بن حصين عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قال عمر بن الخطاب لا تغالوا في مهور النساء فقالت
أمرأة ليس ذلك يا عمر إن الله يقول وأنتم أحدهن قطار من ذهب قال وكذلك هي في قرامة عبد الله بن مسعود فلا يحل
لكم أن تأخذوا منه شيئا فقال عمران أمرأته خاضعت غرضه طريقت أخرى عن عمر بن الخطاب قال الزبير بن بكار حدثني
عمى مصعب بن عبد الله عن جدي قال قال عمر بن الخطاب لا تزيدوا في مهور النساء وإن كانت بثني القصة يعني بن يدين
الحديث الحديث في زاد القصة الزيادة في بيت المال فقالت امرأة من صفه (٢٧) النساء طوله في أنها فطس ما ذلك

قال ولم قالت إن الله قول وأنتم
أحداهن قطارا الآية فقال عمر
أمرأة أصابت ورجل أخطأ ولهذا
قال منكرها وكيف تأخذونه وقد
أفضى بعضهم إلى بعض أي وكيف
تأخذون الصدق من المرأة وقد
أفضيت إليهم وأفضت إليك قال
ابن عباس ومجاهد والسدي وغير
واحد يعني بذلك الجماع وقد ثبت
في الصحيحين أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال للملأعنين
بعد فراغهما من ثلاث ما الله يعلم
أن أحدكما لكاذب قول منكم كاتب
قالها ثلاثا فقال الرجل يا رسول
الله مالي يعني ما صدقتها قال لا مال
لأن كنت صدقت فهو بما
استحللت من فرجها وإن كنت
كذبت عليها فهو أبعد لك منها وفي
سنن أبي داود وغيره عن نضر بن
أبي نضر أنه تزوج امرأة بكر في
خدرها فإذا هي حامل من الزنا
فأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له ففضى لها
بالصدق وفرق بينهما وأمر بحلها
وقال الولد عبدك ذلك والصدق في
مقابلة البضع ولهذا قال تعالى

لا تنفهما ما أتيتهنه من زرع ربهن الله وأتت النصارى لانفسهما ما أتيتهنه
للمسيح حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل هو على حذف مضاف أي نحن أتباع أنس الله
وقيل أنس الله ونظيره أن الذين يسيرونكم أناس يسيرونكم الله قاله الكرخي
وهكذا أتبعوا لانفسهم أنهم أحب الله بغير دالة على الباطل والأمانى العاطلة فامر
الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرده عليهم فقال (قل فم بعد بكم بنو بكم)
أي إن كنتم تكثرتمون فبالله بعد بكم بما ترفقونه من الذنوب بالقتل والمسيح وبالنار في يوم
القيامة كما تترفقون بذلك بقولكم لمن نمتنا النار إلا أياما معدودة فإن الابن من جنس
أبيه لا يصدر عنه ما يستحل على الأب وأنتم تذنون والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم
تعدون فهذا يدل على أنكم كاذبون في هذه الدعوى وهذا البرهان هو المسمى عند
الحديثين ببرهان الخلف وأخرج أحمد في مسنده عن أنس قال مر النبي صلى الله عليه
وآله وسلم في نفر من أصحابه وصلى في الطريق فلما رأته القوم خشيت على ولدها أن
يوطأ فأقبلت تسمى وتقول يا بني فأسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه
لثاني ابنها في النار فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا والله لا يلقي حبيبه في النار واستاده
في المسند هكذا حدثنا ابن عدي عن حميد عن أنس فذكره ومعنى الآية ينشر إلى معنى
هذا الحديث ولهذا قال بعض مشايخ الصوفية لبعض الفقهاء أين تجد في القرآن أن
الحبيب لا يعذب حبيبه فلم يرده على قتلا الصوفي هذه الآية وأخرج أحمد في الزهد عن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا والله لا يعذب الله حبيبه ولكن الله قد
يبتليه في الدنيا (بل أنتم بشر من خلق) عطف على مقدر يدل عليه الكلام أي فلستم
حينئذ كذلك بل أنتم بشر من جنس من خلقه الله تعالى يحاسبهم على الخير والشر
ويجازي كل عامل بعمله (يقول لمن يشاء يعذب من يشاء) قال السدي أي يهدي منكم
من يشاء في الدنيا فيغفر له ويميت من يشاء منكم على كفره فيعذبه لا اعتراض عليه لأنه
القادر الفاعل بالاختيار (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما) من الموجودات
لا شريك في ذلك فيعارضه وفيه دليل على أنه تعالى لا أول له لأن من ملك السموات
والأرض يستحيل أن يكون له شبهة من خلقه أو شريك في ملكه (والله المصير) أي
تصيرون إليه وحده عند انتقالكم من دار الدنيا إلى دار الآخرة (يا أهل الكتاب قد
جاءكم رسولنا بين يديكم على قرة من الرسل) المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى

وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضهم إلى بعض وقوله تعالى وأخذ منكم ميثاقا غليظا روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن
جبير أن المراد بذلك العقد وقال سفيان الثوري عن جيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله وأخذ منكم ميثاقا غليظا قال
امساك بجمع روف أو ترسح باحسان قال ابن أبي حاتم وروى عن عكرمة ومجاهد وأبي العلاء والحسن وقادة ويحيى بن أبي كثير
والفخار والسدي نحو ذلك وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في الآية هو قوله أخذتوهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله فإن كلمة الله هي التسمية في الخطبة قال وكان فيما ألقى النبي صلى الله عليه وسلم إليه أسرى به قاله وجعلت أمهاتكم

لا يجوز عليهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى رواه ابن أبى خاتم فى صحيح مسلم عن جابر بن خطبة حجة الموداع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيها واستوصوا النساء خيرا فانكم أخذتوهن بامانة الله واستحلتهم فروجهن بكاهة الله وقوله تعالى ولا تشكروا ما أنعم الله عليكم من النساء الا ما بهتكم منه فى زواج الا ما تمكر منه لهم واعظاما واحتراما ان توطأ من بعده حتى انها التحزن على الاين يجد العدة عليها وهذا امر يجمع عليه قال ابن أبى خاتم حدثنا ابى سعد شاما بن اسمعيل حدثنا قيس بن الربيع حدثنا أشعث بن سوار عن عدى بن ثابت (٢٨) عن رجل من الانصار قال لما فرغ أبو قيس من معنى ابن الاسلم وكان من صالحى

الانصار فخطب ابنه قيس امرأته فقالت انما أعدك ولدا وانت من صالحى قومك ولكنى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان انا قيس لوفى فقال مسيرا ثم قالت ان الله قيسا خطبتهنى وهو من صالحى قومه وانما كنت أعدده ولذا فأتى فقال لها الرجعى الى بيتك قال فزلات ولا تشكروا ما أنعم الله عليكم من النساء الا ما بهتكم منه فى زواج وقال ابن جبر حدثنا القاسم حدثنا حسين حدثنا جراح عن ابن جريح عن عكرمة فى قوله ولا تشكروا ما أنعم الله عليكم من النساء الا ما بهتكم منه فى زواج قال فى قيس بن الاسلم خلف على أم عبيد الله خنزة وكانت تحت الاسلم وفى الاسود بن خلف وكان خلف على ابنة أبى طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار وكانت عند أبيه خلف وفى نخعة ابنة الاسود بن المطالب بن أسد كانت عند ابنة بن خلف خلف لها صنفون بن أمية وقد زعم السهيلي ان نكاح نساء الاءاء كان معمولا بى الخاطلة ولهذا قال الامام قدس

والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمبين من مباشرة الله لعباده وحذف العلم به لان بعثة الرسل انما هى بذلك والفترة أصلها السكون يقال فتر الشئ سكن وقيل هى الانتطع قاله أبو عبيد القاسم وغيره ومنه فتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى البهونة وفتر الرجل عن عمله اذا انقطع عما كان عليه من الجدية وامرأة فطرة الطرف أى مستطعة عن خدة النظر والمعنى أنه انقطع الرسل قبل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم مدة من الزمان واختلف فى قدمدة تلك الفترة قال سلمان فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ستمائة سنة أخرجه البخارى قال قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد ستمائة سنة وما شاء الله من ذلك وعنه قال خمسمائة سنة وستون سنة وعن الكلبي خمسمائة سنة وأربعون سنة وقال ابن جريح كانت خمسمائة سنة وقال الفخال وكانت أربع مائة سنة ونصفا وثلاثين سنة وعن ابن عباس قال كان بين موسى وعيسى ألف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما فترة قاله أرسى بنهم ما ألف نبي من بنى اسرائيل سوى من أرسى من غيرهم وكان بين ميلاد عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خمسمائة سنة ونسبع وستون سنة بعث فى أولها ثلاثة أنبياء كما قال تعالى اذ أرسلناهم اثنتين فكذبوهما فقررنا بالثالث والذى عز به شيعون وكان من الحواريز وكانت الفترة التى لم يبعث الله فيها رسولا أربع مائة وأربعة وثلاثين سنة وقد قيل غير ما ذكرناه قال الرازى والقائدية فى بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند فترة الرسل هى أن التحريف والتفسير قد كان تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقدم عهد هذا وطول زمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب الصادق فصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادات لان لهم أن يقولوا يا الله ما عرفنا الله لادين عبادته ولا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله فى هذا الوقت محمد صلى الله عليه وآله وسلم لازالة هذا العذر فذلك قوله تعالى (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فاعللى لى الرسول بالبيان على حين فترة أى كرهة أن تقولوا هذا القول معتدين عن تقرير بطيكم ومن زائدة للمبالغة فى نفي الجوى والفاء فى قوله (فقد جاءكم) هى النصيحة (بشير ونذير) وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم لازالة هذا العذر (والله على شئ قدير) ومن جملة مقدماته ارسال رسوله على فترة من الرسل (واذ قال موسى لقومه) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت

قال وأتجمعوا بين الاثنين الامام قدس قال وقد فعل ذلك كنه من خزيمة تزوج بأمرأة أبيه فأولادها ابنة الضرب كنه قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح قال قد عل على أنه كان ساءا لعلهم ذلك فأراد أنهم كانوا يعدونه نكاحا فقد قال ابن جبر حدثنا محمد بن عبد الله الخنزرى حدثنا اقراد حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امرأة الاب والجمع بين الاثنين فانزل الله تعالى ولا تشكروا ما أنعم الله عليكم من النساء وأن يجهنوا بين الاثنين وهكذا قال عطاء وقتاده ولكن فيما نقله السهيلي من قصة كاهة نظر والله أعلم وعلى كل تقدير

فهو خرام في هذه الامة بمشع غايه التبشع ولهذا قال تعالى انه كان فاحشة ومقتوا ساسيلا وقال ولا تقرنوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن وقال ولا تقرنوا الزنا له كان فاحشة وساسيلا فزاده هنا وقتا أي بغض أي هو امر كبير في نفسه ويؤدى الى مقت
الابن اياه بعد ان يتزوج بامرأه فان الغالب أن من تزوج بامرأة يغض من كان زوجها قبله ولهذا حرمت أمهات المؤمنين على
الامة لانهن أمهات لكنهن من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو كالاب بل حقه أعظم من حق الابا بالاجماع بل حجه مقدم
على حب النفوس صلوات الله وسلامه عليه وقال عطاء بن أبي رباح في قوله (٣٩) ومقتا أي عنت امة عليه وساسيلا

أي ويؤس طرية قال من سلمه من
الناس فن تعامله بعد هذا فقد ارتد
عن دينه فمقتل ويصبر ماله فيأ
لبت المال كزاره الامام أحمد
وأهل السنن من طريق عن البراء بن
عازب عن حاله أن برده وفي رواية
ابن عمر وفي رواية عن عماره بعنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
رجل تزوج امرأه أي به من بعده
ان يقتله وياخذ ماله وقال الامام
أحمد حدثنا شعيم حدثنا أشعث
عن عدي بن ثابت عن البراء بن
عازب قال مررت على الخرج بن
عمر ومعه لواء قد عقد له النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت له أي عم
أين بعثك النبي صلى الله عليه
وسلم قال بعثني الى رجل تزوج
امرأه أي به فأمرني ان أضرب
عنقه ومثله وقد أجمع العلماء
على تحريم من رطأ الأب بتزويج
أولئك أو شبهة واختلنوا فبين
بأمرها بشهوة دون الجماع أو نظر
الى ما لا يحل له النظر اليه منها ولو
كانت أجنبية فعن الامام أحمد
رضه الله انها تحرم أيضا بذلك وقد
روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة

ما فعلت بنو اسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم واذا نصب على أنه مقبول الفعل مقدر خو طوب
به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطريقين تلويح الخطاب وصرقه عن أهل الكتاب ليعدد
عليهم ماصد عن بعضهم من الجنائيات أي واد كر لهم وقت قول موسى اتومعه ناصحنا لهم
ومستقيلهم باضافتهم اليه (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وقرأ ابن كثير يا قوم بنهم المية
وكذا قرأ قيس أشبهه تقديره يا أيها القوم اذكروا نعمة الله عليكم وقت هذا الجدل وايدع
الذكر على الوقت مع كون التصود ما وقع فيه من الحوادث لا بد من الغلة لان الارسية كالوقت
أمر به كما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشغل على ما وقع فيه تصديلا فاذا
استحضرت ما وقع فيه حاضر بتفاصيله كانه شاهد عيانا (اذ جعل فيكم أنبياء) أي
اذ كروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله اذ كروا نعمته كانه عاينكم في وقت جعله
فيما بينكم من أثر بانكم أنبياء نؤى عدد كثير وأولى شأن خطير حيث لم يبعث من أمة
من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) أي فيكم ومنكم وانما
حذف الظرف لظهور أن معنى الكلام على تقديره ويمكن أن يقال ان منصب النبوة
كان أعظم قدره وجلالة مرتبته بحيث لا ينسب الى غير من هوله قال فيه اذ جعل فيكم أنبياء
ولما كان منصب الملك مما يجوز نسبته الى غير من قام به كايه يقول قرأه الملك نحن الملوك قال
فيه وجعلكم ملوكا وقيل المراد بالملك أنهم ملكوا أمرهم بعد ان كانوا عموكين للقرعون فهم
جماهم أولئك المعنى وقيل معناه أنه جعلهم ذوي منازل لا يدخل عليهم سيم غيرهم الا باذن
وقيل غير ذلك قال قتادة ملكهم الخدم وكان أول من ملك الخدم ولم يكن ان قبلهم خدم
وقال ابن عباس كان الرجل من بني اسرائيل اذا كانت له الزوجة والخدم والدار يسمى
ملكاً وعنه قال الزوجة والخدم والبيت وعنه قال المرأة والخدم وقال الخليل
كانت منازلهم واسعة فيها امسا جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ما جارفهوا لك
وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال
كانت بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا وأخرج ابن جرير
والبربر بكار عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان له بيت
وخادم فهو ملك وأخرج أبو داود في مراسيد عن زيد بن أسلم في الآية قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم زوجة ومسكن وخدم وعن ابن عمر بن العاص أنه سأل

خديج الجني مولى معاوية قال اشترى لمعاوية جارية بيضاء جميلة فأدخلها عليه مجردة ويده قضيب فجعل يهرى به الى متاعها
ويقول نعم المتاع لو كان له متاع اذهب بها الى زيد بن معاوية ثم قال لا ادع لي ريعتين عمرو الحرسي وكان فقيها فدخل عليه
قال ان هذا ما أتيت به مجردة فأنت منها ذاك وذلك وانى أردت أن أبعث بها الى زيد فقال لا تتسعل يا أمير المؤمنين فأنما الاتصل له
ثم قال نعم ملأيت ثم قال ادع لي عبد الله بن مسعدة الفزاري فدعوته وكان آدم شديد الامة فقال ذلك هذه بيض بها ولذلك قال
وكان عبد الله بن مسعدة هذا وجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فربته ثم اعتقته ثم كان بعد ذلك معاوية

عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ (حُرِّمَ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْأَخِ وَنِسَاءُ الْأَخِي
وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي جُحُورِكُمْ مَنْ نَسَأْتُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ
بِهِنَّ فَإِنَّكُمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَالمَحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلْنَا لَكُمْ مَا وَرَدَ لَكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَقْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ (٤٠) فَأُولَئِهِنَّ أَجُورُهُنَّ قَرْضَةٌ لَكُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاثُمْتُمْ بِهِمْ بَعْدَ الْفَرِضَةِ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا هَذِهِ
الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ آيَةُ تَحْرِيمِ
الْمَحَارِمِ مِنَ النَّسَبِ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ
الرِّضَاعِ وَالْمَحَارِمِ بِالْهَجَرِ كَمَا قَالَ ابْنُ
أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ
حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ
عَنْ سَفْيَانَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ سَعِيدِ
ابْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ سَبْعُ نِسَاءٍ وَسَبْعُ صِهْرٍ
وَقُرَأَ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ إِلَّا
وَحَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ بْنُ جَبْرِ عَنْ سَعِيدِ
حَدَّثَنَا أَبُو أُجْدَةَ حَدَّثَنَا سَفْيَانُ
عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَجَاءٍ
عَنْ عَبْدِ رِمْوِيِّ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ قَالَ يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ سَبْعٌ
وَمِنَ الصَّهْرِ سَبْعٌ ثُمَّ قُرَأَ حُرِّمَتْ
عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَنِسَاءُ الْأَخِ
وَنِسَاءُ الْأَخْتِ فَهِنَّ النَّسَبُ وَقَدْ
اسْتَدَلَّ جَهْلُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى تَحْرِيمِ
الْمَخْلُوقَةِ مِنْ مَاهِ الزَّانِي لِمَا بِهِ بَعْمُومُ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَبَنَاتُكُمْ فَانَّهُمَا بَنَتُ
فَقَدْ شَخِلَ فِي الْعَوَمِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ
أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَجْدَنَ حَنِبَلٍ
وَقَدْ حَكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ شَيْءٌ فِي ابْتِهَانِهَا

رَجُلٌ أَلْسَنُ مِنْ فَقْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ قَالَ أَلَا أَمْرُ أُمَّ تَأْوِي إِلَيْهَا قَالَ نَعَمْ قَالَ أَلَا مَسْكَنٌ قَالَ نَعَمْ
قَالَ فَانْتِ مِنَ الْأَعْيَادِ قَالَ إِنْ لِي خَادِمٌ قَالَ فَانْتِ مِنَ الْمَوْلَى وَقَالَ مُجَاهِدٌ جَعَلَ لَهُمْ
أَزْوَاجًا وَخَدَمًا وَمِثْلَ مَا وَقَدْ نَبَتْ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ أَصْحَابِكُمْ مَعَانِي فِي جَسَدِهِ أَمَّا فِي
سِرِّهِ عِنْدَهُ قَوْلُهُ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِجَدِّهَا فَيُرَاهَا وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَةِ الْمَلِكُ
الْحَقِيقِيُّ وَلَوْ كَانَ مَعْنَى آخِرِهَا كَانَ لِلْإِمْتِنَانِ بِهِ كَثِيرٌ مَعْنَى فَإِنْ قَالَتْ قَدْ جَعَلَ غَيْرَهُمْ مَوْلَاكُمْ كَمَا
جَعَلَهُمْ قَالَتْ قَدْ كَثُرَ الْمَوْلُوكُ فِيهِمْ كَمَا كَثُرَ الْأَنْبِيَاءُ فَهَذَا وَجْهُ الْإِمْتِنَانِ (وَأَمَّا كَمَا مَلَكَتْ بَنَاتُكُمْ أَحَدًا
مِنَ الْعَالَمِينَ) أَيُّ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّوْدِيِّ وَالْجَرِّ وَالْعَمَامِ وَكَثُرَ الْأَنْبِيَاءُ وَكَثُرَ الْمَوْلُوكُ وَفُلُقُ الْبَحْرِ
وَالْأَعْلَاقُ عَدُوُّكُمْ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَالْمُرَادُ عَالَمِي زَمَانِهِمْ أَوَّالًا لِمَا خَالَفَتْهُ إِلَى زَمَانِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ
الْخُطَابَ هَهُنَا لِأَمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عُدُولٌ عَنِ الظَّاهِرِ لَغَيْرِ مُوجِبٍ
وَالصَّوَابُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَهْلُورُ الْمُنْسَرِّينَ مِنْ أَنَّهُمْ مِنْ كَلَامِ مُوسَى أَقْوَمُهُ وَخَاطِبُهُمْ بِهَذَا
الْخُطَابِ نَوْطَةٌ وَتَهْنِئَةٌ لِلْمَا بَعْدَهُ مِنْ أَمْرِهِ لَهُمْ بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ (يَا قَوْمُ ادْخُلُوا
الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) أَيُّ الْمُطَهَّرَةِ وَقِيلَ الْمُبَارَكَةُ قَالَ الْكَلْبِيُّ صَعْدَ إِبْرَاهِيمُ جَبَلِ لِسَانٍ فَقِيلَ
لَهُ انْظُرْ فَإِنَّكَ بَصُرْتَ فَهُوَ مُقَدَّسٌ وَهُوَ مِيرَاثُ نَبِيِّكَ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي تَعْيِينِهَا فَقَالَ
قَتَادَةُ هِيَ الشَّامُ كَمَا هِيَ وَقَالَ مُجَاهِدٌ الطُّورُ وَمَا حَوْلَهُ وَقَالَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ هِيَ مَا بَيْنَ
الْعَرِيشِ إِلَى الْفَرَاتِ وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُمَا هِيَ أَرْضُهَا وَقَالَ الزَّجَّاجُ دِمَشْقُ
وَفِلَسْطِينَ وَبَعْضُ الْأَرْدَنِ وَقَوْلُ قَتَادَةَ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَقْوَالُ الْمَذْكُورَةَ بَعْدَهُ (الَّتِي
كَتَبَ اللَّهُ) أَيُّ قِسْمِهَا وَقَدْ رَأَى (لَكُمْ) فِي سَابِقِ عَنِّهِ وَجَعَلَهَا مَسْأَلَةً لَكُمْ وَقَالَ السُّدِّيُّ
الَّتِي أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِهَا وَقَالَ قَتَادَةُ أَمَرَ الْقَوْمَ بِهَا كَمَا أَمَرَ وَابِلَاةً وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ
وَقَالَ الْكُرْخِيُّ أَمَرَكُمْ بِدُخُولِهَا أَوْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمُحْفُوظِ أَنَّهَا لَكُمْ أَنْ أَمَرْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
فَلَا يَنْفِيهِ قَوْلُهُ فَانَّهُمَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً لِأَنَّ الْعُدْمَ شَرْطُ بَقِيَّةِ الطَّاعَةِ فَلَمَّا
لَمْ يَوْجِدِ الشَّرْطَ لَمْ يَوْجِدِ الْمَشْرُوطَ (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ) أَيُّ لَا تَرْجِعُوا عَنْ أَمْرِي
وَتَرْتَدُّوا وَطَاعَتِي وَمَا أَوْجِبْتُهُ عَلَيْكُمْ مِنْ قِتَالِ الْجَبَارِينَ جَبْنًا وَفَشَلًا (فَتَقْتُلُوا)
بِسَبَبِ ذَلِكَ (خَاسِرِينَ) تَخْصِيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ)
قَالَ الزَّجَّاجُ الْجَبَارُ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ الْعَالِي وَهُوَ الَّذِي يُجِيرُ النَّاسَ عَلَى مَا يَرِيدُ وَأَصْلُهُ عَلَى هَذَا
مِنَ الْجَبَارِ وَهُوَ الْأَكْرَاهُ فَانَّهُ يُجِيرُ غَيْرَهُ عَلَى مَا يَرِيدُ يُقَالُ أَجْبَرَهُ إِذَا كَرِهَهُ وَقِيلَ

لَا نَهَى لَيْسَتْ بِنِسَاءٍ عَنْهُ فَكَانَ لَمْ يَدْخُلْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى يَوْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَمُنْ لِحُظِ الْأَنْفِيْنِ فَانَّهُمَا لَارْتِثَ بِالْأَجَاعِ هُوَ
فَكَذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَاللَّهُ عَالِمُ قَوْلِهِ تَعَالَى وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخْوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ أَيُّ كَمَا يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ أُمَّتُكُمْ
الَّتِي وَلَدَتْكُمْ كَذَلِكَ يَحْرُمُ عَلَيْكُمْ أُمَّتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْتُمْ وَلِهَذَا نَبَتْ فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ حَرْمٍ عَنْ عُمَرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الرَّضَاعَةَ تَحْرُمُ
مَالِحَةً الْوِلَادَةِ وَفِي لَفْظِ الْمُسْلِمِ يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ وَقَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ كُلُّ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ

الأربع صور وقال بعضهم ست صورة هي مذكورة في كتب الفروع والتحقيق أنه لا يستقنى شيء من ذلك لأنه لو وجد مثل بعضها في الثوب وبعضه في الغماجر لم يحرم من جهة المهر فلا يرعى الحديث شيء أصلاً والله الجدودية الثقة ثم اختلف الأئمة في عدد الرضعات المحرمة فذهب ذاهبون إلى أنه يحرم مجرد الرضاع لعموم هذه الآية وهذا قول مالك وروى عن ابن عمر وأبو حنيفة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري وقال آخرون لا يحرم أقل من ثلاث رضعات لما ثبت في صحيح مسلم من طريق هاشم بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم (٤١) المصاة والمصتان وقال قتادة عن أبي الخليل

عن عبد الله بن الحارث عن أم الفضل قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان والمصصة والمصتان في لفظ آخر لا تحرم الاملاجة ولا الاملاجتان رواه مسلم وعنه ذهب الى هذا القول الامام أحمد ابن حنبل واسحق بن راهويه وأبو عبيد وأبو ثور وروهمروى عن علي وعائشة وأم الفضل وابن الزبير وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير رحمهم الله وقال آخرون لا يحرم أقل من خمس رضعات ما في يخرج من لم يدرى ما له عن عبد الله بن أبي بكر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نضح بخمس معلومات فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن وروى عبد الرزاق عن عمر عن الزهري عن عروة عن عائشة نحوه وفي حديث سهل بنت سهيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن ترضع سالماً ولى

هو ما خوذ من جبر العظام فأصل الجبار على هذا المصلح لآخر نفسه ثم استعمل في كل من جر
الى نفسه نفعه بما جئى أو باطل وقبل ان جبر العظم راجع الى معنى الاكراه قال القراء
لم اسمع فقال من افعمل الا في حرفين جبار من اجبر ودر الزمن أدرك والمراد هنا منهم قوم
عظام طوال متعاطلون قيل هم قوم من بقية قوم عاد وقيل هم من ولد عيص بن اسحق
وقيل هم من الروم وبنا ان الله عوج بن عتيق المشهور بالطول المفرط وعتيقت آدم
قيل كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً وثلاث ذراعاً قال ابن كثير
وهذا شيء يستحي من ذكره ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً ثم يزل الخلق ينقص ثم قدح كروان
هذا الرجل كان كافراً وان كان ولد زينة وانه امتنع من ركوب السفينة وان الطوفان لم يصل
الى ركبته وهذا كذب واقترا فان الله ذكر ان نوحاً دعا على أهل الارض من الكافرين
فقال رب لا تدركنى الارض من الكافرين دياراً وقال تعالى فانجيئنا ومن معى في الفلك
المشركون ثم أغرقنا بعد الباقين وقال تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وادنا
كان ابن نوح الكافر غرق فكيف ينجى عوج بن عتيق وهو كافر ولد زينة هذا الابو غ في
عقل ولا شرع في وجود رجل يقال له عوج بن عتيق ونظر والله أعلم انه كلامه قلت لم يأت
في أمر هذا الرجل ما يقتضى تطويل الكلام في شأنه وما هذه باول كذبة اشهرت في الناس
واسنابلز ومن بدفع الكاذب التي وضعها القصاص ونفقت عندهم لا يميز بين الصحيح
والسقيم فكيف بطون دفاتر التفاسير من الكاذب وبلايا وقاصيص كذا في حديث
خرافة وما أحق من لا يميز عنده لحن الرواية ولا معرفة ان يدع التعرض لتفسير كتاب الله
ويضع هذه الحماقات والاضحوكات في المواضع المناسبة لها من كتب القصاص وهي في
الطراز أيضاً عفا الله عنا وعنه (وانا لن أدخلها حتى يخرج جوامعنا) من غير صنع من قبلنا
فانه لا طاقة لنا بآخراجه منهم (فان يخرج جوامعنا) بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا
بها (فاناداخلون) حينئذ هذا انصرح بحماه ومتهوم من الجلالة التي قبل هذه الجلالة
ليبان ان امتناعهم من الدخول ليس الا لهذا السبب وقد اخرج ابن جرير وابن أبي حاتم
عن ابن عباس أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين فسار عن معه حتى نزل قرياس من
المدينة وهي أريحا فبعث اليهم اثني عشر عيسياً كل سبط منهم عين لياً ومجبر القوم

(٦ - فتح البیان ثالث)
 أي حادثة خمس رضعات وكانت عائشة تأمر من يريد أن يدخل
 عليها أن يرضع خمس رضعات وبهذا قال الشافعي وأصحابه ثم لم يلبث أن تكون الرضاعة في سن الصغير دون الحولين على قول
 الجمهور وقد قدمنا الكلام على هذه المسئلة في سورة البقرة عند قوله بضع أولادهن حولين كاملين إن أراد أن يتم الرضاعة
 ثم اختلفوا هل يحرم لبن الثعلب كما هو قول جمهور الأئمة الأربعة وغيرهم وإنما يختص الرضاع بالأم فقط ولا ينتشر إلى ناحية
 الأب كما هو قول بعض السلف على قولين نذكر بهذا كله في كتاب الأحكام الكبير وقوله وأمهات نسائكم وربكم اللائي

من النبأ فعمدة أبو الحسن اسجد بن محمد بن الضاوي فمات قبله الزافي عن العبادي وقدرى عن ابن مسعود أنه لم يرجع عنه قال
الطبراني حدثنا اسحق بن ابراهيم الذي حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن أنس فروقه عن أنس وعروا الشيباني عن أنس مسعود أن
رجلا من بني كنانة من فزارة تزوج امرأة رأى أمها فاجتبه فاستقوى ابن مسعود فامرهم أن ينفار قها ثم يزوج أمها فزوجهوا وولدت
له اولاد ثم أتى ابن مسعود والمدة تسعة أشهر عن ذلك فاخبرهم أنه لا يحل له أن يرجع الى الكوفة قال الرجل انما عليك حرما فنفار قها
وجهور العلماء على أن الربيعة لا تحرم بالعقد على الام بخلاف الام فانها تحرم (٤٢) بمجرد العقد قال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر

ابن محمد حدثنا عثرون بن عروة حدثنا
عبد الوهاب عن سماعة عن قتادة
عن عكرمة عن ابن عباس انه كان
يقول اذا طلق الرجل المرأة قبل أن
يدخل بها وأما لم تحل له أمها الله
قال ابن مسعود ففكرها ثم قال
وروى عن ابن مسعود وعمران بن
حصين ومسر وقوطاوس وعكرمة
وعطاء والحسن ومكحول وابن
سيرين وقتادة والزهرى نحو ذلك
وهذا مذموب الاثمة الاربعة
والفقهاء النبعة وجهور الفقهاء
قد عينا وحديثا والله الحمد والممنة قال
ابن جرير والصواب قول من قال
الامن المبهمات لان الله لم يشترط
معهن الدخول كما اشترطه مع
امهات الربائب مع ان ذلك أيضا
اجماع اللجنة التي لا يجوز خلافها
فما جاء به ثقة عليه وقدرى
بذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه
وسلم خبر غريب وفي اسناده نظر
وهو ما حدثني به ابن المثنى حدثنا
حسان بن موسى حدثنا ابن المبارك
أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو
ابن شعيب عن أبيه عن جده عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن

انان يدخلها) وكان هذا القول منهم فشبلا وجبا أو عناد أو جراءة على الله ورسوله
(أبدا) يعني مدة حياتنا فعلى النبي المؤكد بالدهر المتناول (ماداموا قها) بيان
للأبد أي مقعنين فيها (فأذهب أنت وربك فقاتلا) قالوا هذا جهلا بالله عز وجل وبصفاته
وكثيرا عما يجب له وأسم الله بالله ورسوله وقيل أرادوا بالذهب الارادة والقصد وقيل
أرادوا بالهرب هرون وكان كبرن موسى وكان موسى بطيعة والاولى أولى (اناهما)
قاعدون) أي لانهم حقهما لا يتقدم معن ولا تأخر عن هذا الموضع وقيل أرادوا بذلك
عدم التقدم لعدم التأخر (قال) موسى (رب انى لأملك الانفسى) يحتمل أن يعطف
(وأخى) على نفسى وان يعطف على الضمير في انى أي انى لأملك الانفسى وان أخى
لا يملك الانفسى وفيه ستة أوجه ذكرها السمين قال هذا تحسر أو تحزن أو استجبالا للنصر
من الله عز وجل وانما قال وأخى وان كان معن طاعته أو شيع بن نون وكالب بن يوفنا
لاختصاص هرون به ولمزيد الاعتناء بأخيه أو المعنى وأخى في الدين والاولى أولى (فأفارق
بدشاو بين القوم الفاسقين) أي افضل بينهما يعنى نفسه وأخاه وبينهم وميزنا عن جلتهم
ولا يلحقنا بهم في العقوبة وقيل المعنى فاقض بدشاو بينهم وقيل انما أراد في الآخرة
(قال فانها) أي الارض المقدسة (محرمه عليهم) أي على هؤلاء العصاة بسبب
امتناعهم من قتال الجبارين (أربعين سنة) ظرف للتحريم أي انه محرم عليهم دخوله اهل هذه
المدة لا زاد عليها فلا يخالف هذا التحريم ما تقدم من قوله انى كتب الله لكم فانها
مكتوبة لمن بقي منهم بعد هذه المدة وقيل ان لم يدخلها أحد من قال انان يدخلها فيكون
توقيت التحريم بهذا المدة باعتبار ذرايرهم وقيل ان أربعين سنة ظرف لقوله (يتيمون في
الارض) أي يتيمون هذا المقدار فيكون التحريم مطلقا والمؤقت هو التيميم وهو في اللغة
الخيرة يقال منعه ناديت به تيمما أو تيمما اذا تحير فاعنى بخير وفي الارض قبل ان هذه
الارض التي تهاو فيها كانت صغيرة فموسى فراعح كانوا يمسكون حيث أصبحوا
و يصحون حيث أمسوا وكانوا سيرة مستقرين على ذلك لا قرار لهم وقيل ستة فراعح
في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراعح في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل
واختلف أهل العلم هل كان معهم موسى وهرون أم لا فقيل لم يكنوا معهم لان التبع عقوبة
وقيل كانا معهم لكن سهل الله عليهم ما ذلك كاجعل النار بردا وسلاما على ابراهيم وقد

يتزوج أمها يدخل بالنسأ ولم يدخل فاذا تزوج بالام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شامتزوج الابنة ثم قال وهذا المنبر وان كان في اسناده
ما فيه فان في اجماع اللجنة على صحة القول به مستغنى عن الاستمهاده على صحته بغيره وأما قوله تعالى ورباكم اللاتي في جواركم
فالجهرى على أن الربيعة حر ام سواء كانت في حجر الرجل أو لم تكن في حجره فالواو هذا الخطاب خرج من مخرج الغالب فلا مضموم له لقوله
تعالى ولا تذكر هو اقبائكم على البغاء ان أردن تحصن او في الصحبين ان ام حبيبة قالت يا رسول الله انكبه أخى بنت أبي سفيان وفي
لفظ لم لم عزه بنت أبي سفيان قال وأتحسين ذلك قالت نعم لست بك بمخيلة وأحب من شاركني في خير أخى قال فان ذلك لا يحصل لي

قالت فانما حدث انك تريد ان تتكلم بنت أي سلة قال بنت أم سلمة قالت نعم قال انهم لم تكن ربي في حجري ما حلت لي انهم يأتون
أخي من الرضاة أرضعتني وأما سلة فوسيلة فلا تعرض علي بئس تكن ولا أخواتك وفي رواية البخاري اني لو لم أتزوج أم سلمة ما حلت
لي فغلل المناط في التحريم مجرد تزوجه أم سلمة وحكم بالتحريم بذلك وهذا هو مذهب الأئمة الاربعة والفقهاء السبعة وسجور
الخطف والسلف وقد قيل بالله لا تحرم الرية الا اذا كانت في حجر الرجل فاذا لم تكن كذلك فلا تحرم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى ان ابا ناهشام يعني (٤٤) ابن يوسف عن ابن جريح حدثني ابراهيم بن عبيد بن رفاعه أخ جريح مالك

ابن أوس بن الحسن قال كانت
عندي امرأة فتوفيت وقد ولدت
لي فوجدت عليها فلقمني على ثوب
أي طالب فقال مالك فقلت توفيت
المرأة فقال علي لها نسوة قلت نعم
وهي بالطائف قال كانت في حجرك
قلت لاهي بالطائف قال فانكيتها
قلت فإني قول الله ورباً يسكن
اللاتي في حجورك قال انهم لم تكن
في حجرك انما ذلك اذا كانت في
حجرك هذا السناد قوي ثابت الى
علي بن أبي طالب على شرط مسلم
وهو قول غريب جدا راي هذا
ذهب داود بن علي الظاهري
واصحابه وحكاها أبو القاسم الرافعي
عن مالك رحمه الله واختاره ابن
حزم وسكني شيخنا الحافظ أبو
عبد الله الذهبي أنه عرض هذا
على الشيخ الامام تقي الدين ابن تيمية
رحمه الله فاستشكله وتوقف في
ذلك والله أعلم وقال ابن المنذر
حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا
الاثرم عن ابي عبيدة قوله اللاتي
في حجورك قال في بيوتكم وأما
الريبة في ملك المين فقد قال الامام
مالك بن انس عن ابن شهاب ان عمر

ابن الخطاب سئل عن المرأة وبنتي من ميث المين وطأ احداهما بعد الاخرى فقال عمر ما احب الا احبهما
جميعا يريدان أطأهما جميعا ملك يعني وهذا استقطع وقال سنيد بن داود في تفسيره حدثنا أبو الاحوص عن طائفة عن طائفة
عبد الرحمن عن قيس قال قلت لابن عباس يقع الرجل على امرأة أو بنته على كنهه فقال احلتم ما آتاهم منكم ما آتاه الله ولم يكن
لا فعله وقال الشيخ ابو عمر بن عبد البر رحمه الله لا خلاف بين العلماء أنه لا يحل لاحد ان يطأ امرأته أو بنتها من ملك المين لان الله
حرم ذلك في التسكاح قال وامهات نساءكم ورباً بكم اللاتي في حجورك من نساءكم وملك المين عندهم تبع للتسكاح الاماري

عن عمرو بن عباس وليس على ذلك أحد من أمته القتوي ولا من تبعهم وزوي هشام عن قتادة بنت الربيع وبنت أبيها لا تصلح
وان كانت اسفل يطون كثيرة وصكا قال قتادة عن أبي العالية ومعنى قوله الاتي دخلتم بهن أي نكحتهن وهن قاله ابن عباس
وغير واحد وقال ابن جريج عن عطاء هو ان تهدي اليه فيكشف ويفتش ويجلس بين رجلين اقلت ارايت ان فعل ذلك في بيت اهلها
قال هو سواء وحسبه قد حرم ذلك عليه ابنتها وقال ابن جريج وفي اجماع الجميع ان خلو الرجل بامرأه لا يحرم ابنته عليه اذا
طلقتها قبل مسيما وامباشرتها وقبل النظر الى فرجها بشهوة ما يدل على ان معنى (٤٥)

يقصد بالقراب قال الجمهور ومن العناية فمن بعدهم اسمها قاييل وهابيل (بالحق) أي
تلاوة تلبس بالحق واختاره الرخشي أي وبنا متلبسا بالحق (أذكر يا قايانا) القراب اسم
لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة أو ذبيحة أو نكاح أو غير ذلك مما يقرب به قاله
الرخشي وقيل مصدرا أطلق على الشيء المتقرب به قاله أبو علي الفارسي وكان قربان
قاييل حرمته من سنبل لانه كان صاحب زرع واختاره من أردا زرعته حتى انه وجد فيها
سنبله طيبة ففكر كهاوا كاهوا وكان قربان هابيل كبش لانه كان صاحب غنم أخذته من
أجود غنمه (مقبول) القراب (من أحدهما) وهو هابيل فرفع الى الجنة فظل يزل برعى فيها
الى ان فدي به الذبيح عليه السلام كذا قال جماعة من السلف وقيل زلت نار من السماء
فا كثر قربانه (ولم يقبل من الآخر) أي قاييل فحسده وأضر الحسد في نفسه الى ان
حج آدم (قال لا تقتلن) قيل سبب هذا القراب ان حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا
وأني الا شئنا عليه السلام فانها ولدت منه فزادوا وكان آدم عليه السلام يزوج الذكر من هذا
البطن بالأنثى من الآخر ولا تحل له أخته التي ولدت معه فوادت مع قاييل أخت جسد له
واسمها اقليما ومع هابيل أخت ليست كذلك واسمها الودا فلما أراد آدم تزويجها قال
قاييل أنا الحق باسخت فأمره آدم فلما تزوجها فلم يزل جرحا فافقه قوا على القراب وانه يتزوجها
من تقبل قربانه قاله ابن عباس قال ابن كثير في تفسيره اسنادا مجيد وكذا قال السبيوطي
في الدر المنثور (قال انما يقبل الله من المتقين) استئناف كالاول كانه قيل فاذا قال الذي
يقبل قربانه فقال قال الخ وانما للحصر اي انما يقبل القراب من المتقين لامن غيرهم وكأنه
يقول لآخيه انما أتيت من قبل نفسك لامن قبلي فان عدم تقبل قربانك بسبب عدم تقوالك
وان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال وعن ابن عباس قال كان من شأن بني آدم
انه لم يكن مسكين يصدق عليه وانما كان القراب يقرب به الرجل فبينما ابنا آدم قاعدان
اذ قالوا قربنا قربانا ثم ذكر ما قربانه (لئن بسطت اليك يديك لتقتلني) أي لئن قصدت قتلي
واللام هي الموطئة للقسيم (مأنا يا بسط يدي اليك لا تقتلن) هذا استسلام للقتل من
هابيل كما ورد في الحديث اذا كانت الفتنة فكان كغير ابني آدم وتلا النبي صلى الله عليه
وآله وسلم هذه الآية قال مجاهد كان القرص عليهم حيثئذ ان لبس أحد منهم قباوان
لا يمنع من يري قتله وعن ابن جريج يشوه قال القرطبي قال علموا بذلك مما يجوز زوروا

تعالى وحلائل ابناؤكم الذين من
أصلابكم أي وحرمات عليكم
زوجات آبائكم الذين ولدتموهم
من أصلابكم يحترز بذلك عن
الادعاء الذين كانوا يتبعونهم في
الحاجة كما قال تعالى فلما قضى
زيد منهم ما طرأ زوجنا كهالكه
يكون على المؤمنين حرج في ازواج
ادعائهم الآية وقال ابن جريج
سألت عطاء عن قوله وحلائل
ابناؤكم الذين من أصلابكم قال
كأن تحدث والله أعلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما نكح امرأة
زيد قال المشركون بمكة في ذلك
فأنزل الله عز وجل وحلائل
آبائكم الذين من أصلابكم
وزلات وما جعل ادعاءكم آباءكم
وزلات ما كان محمد ابنا أحد من
رجالكم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
ابو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر
المقدسي حدثنا خالد بن الحرث عن
الاسعث عن الحسن بن محمد أن
هؤلاء الآيات مبهات وحلائل
ابنائكم وامهات نسائكم ثم
قال وروي عن طاوس وابراهيم
والزهري ومكحول نحو ذلك (قلت)

معنى مبهات أي عام في المدخول به او غير المدخول فقهر مجرد العقد عليه او هذا متفق عليه فان قيل فن ابن تحريم امرأة ابنته من
الرضاعة كما هو قول الجمهور وروى من الناس من يسكنها اجناتا وليس من صلبه فالجواب من قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب وقوله تعالى وان تتجملوا بين الاختين الا ما قد سلف الآية أي وحرم عليكم الجمع بين الاختين معاني التزويج
وكذا في ملك البين الا ما كان منكم في جاهليتهكم فقد عفوانه وغفرنا فدل على انه لا مشبهة فيما يستقبل لانه استثنى مما سلف
كما قال لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى فدل على أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدا وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين والائمة

قديمار وحيد يسألي أنه يحرم الجمع بين الاختين في الشكاح ومن أسلم ويحتمه اختان خير فميكك احداهما ويطلق الاخرى للاحالة
قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجشاني عن الفضل بن قير وز عن ابيه قال اسألت وعندي
امرأتان أختان فامرني النبي صلى الله عليه وسلم ان اطلق احداهما ثم رواد الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن
لهيعة وأخرجه ابو داود والترمذي أيضا من حديث يزيد بن أبي حبيب كلاهما عن أبي وهب الجشاني قال الترمذي واسمه دليم بن
اليوشع عن الفضل بن قير وز الدبلي (٤٦) عن ابيه به وفي النسخ الترمذي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخترا بينهما شئت

ثم قال الترمذي هذا حديث حسن
وقد رواه ابن ماجه أيضا سناد آخر
فقال حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة
حدثنا عبد السلام بن حرب عن
اسحق بن عبد الله بن أبي فروة عن
أبي وهب الجشاني عن أبي خراش
الرمياني قال قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعندي أختان
نزلت عليهما في الجاهلية فقال اذا
رجعت فطلق احداهما قلت فيحمل
ان أبا خراش هذا هو الضحالك بن
فروز ويحمل ان يكون غيره
فيكون أبو وهب قد رواه عن اثنين
عن فروز الدبلي والله أعلم وقال
هردويه حدثنا عبد الله بن يحيى
ابن محمد بن يحيى حدثنا أحمد بن
يحيى الخولاني حدثنا هيثم بن خارجة
حدثنا يحيى بن اسحق عن اسحق
ابن عبد الله بن أبي فروة عن زبن
حكيم عن كثير بن مرة عن الدبلي
قال قلت يا رسول الله ان تحتي أختين
قال طلق أيهما شئت فالدبلي المذكور
أولاهو الضحالك بن فروز الدبلي
رضي الله عنه وكان من جله الامراء
بالعين الذين زلوا قتل الاسود العنسي
المتني لعنه الله وأما الجمع بين

التعبه الآن في شرعنا يجوز دفعه اجاعا وفي وجوب ذلك عليه خلاف والاصح وجوب
ذلك لما فيه من النهي عن المنكر وفي الحشو بيقوم لا يجوزون للمصول عليه الدفع
واحتجوا بحديث أبي ذر روجه العلماء على ترك القتل في القشة وكف اليد عند الشبهة على
ما يفاده في كتاب التذكرة اه كلامه وحديث أبي ذر المشار اليه هو عند مسلم وأهل السنن
الا نسائي وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا أبا ذر رأيت ان قتل الناس بعضهم
بعضا كيف تصنع قلت الله ورسوله أعلم قال اعقد في بيتك وأغلق عليك بابك قال فان لم
أترك قال فأت من أت منهم فكيف فيهم قال فأت خذ سلاحي قال اذن تشاركهم فيما هم فيه
ولكن ان خشيت ان يروعك شعاع السيف فألق طرف رداك على وجهك كحي يومئذ
وأنت وفي معناه أحاديث عن جماعة من الصحابة وقيل معناه ما كنت بمبتدئ بالقتل
(أني أخاف الله) في بيطيدي اليك ان بسطت القتل ان يعاقبني على ذلك (رب العالمين)
قيل كان المقتول أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه يخرج عن قتل أخيه فاستسلم له
خوفامن الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت (أني أريد أن تبوء بائني وأنت) هذا
تعليل ثان لا متناعه من المقابلة بعد التعليل الاول واختلاف المفسرون في المعنى فقيل
أراد هابيل اني أريد أن تبوء بالام الذي كان يلحقني لو كنت حر يصا على قتلك وبائك الذي
تحملة بسبب قتلي وقيل المراد بائني الذي يختص بي بسبب سيأتي فيطرح عليك بسبب
ظلمك لي وتبوء بائني في قتلي وهذاوافق معناه معنى ما ثبت في صحيح مسلم من قوله صلى الله
عليه وسلم يؤتي يوم القيامة الظالم والمظلوم فيؤخذ من حسنات الظالم فتزاد في حسنات
المظلوم حتى ينتصف فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فطرح عليه ومثله
قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وقيل المعنى اني أريد أن لا تبوء بائني
وأنت كما في قوله تعالى والتي في الارض رواي أن عبيدكم أي ان لا تمتد بكم وقوله ليس بين
الله لكم ان نضلو أي ان لا تضلوا وقال أكثر العلماء ان المعنى اني أريد أن تبوء بائني أي بائني
قتلك لي وأنت الذي قد صار عليك ذنبك من قتل قتلي قال النعيلي هذا أقول عامة
المفسرين وقيل المعنى ان تبوء بعقاب أي وأنت غشفت المضاف وقيل هو على وجه
الانكار كقوله تعالى وتلك نعمة أي أولئك نعمة قاله القشيري ووجهه بان ارادة القتل
معصية وسئل أبو الحسن بن كيسان كيف يريد المؤمن أن يأثم أخوه وان يدخل النار فقال

الاختين في ملك اليقين فقام أيضا لعدم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن
اسماعيل حدثنا جاد بن سلمة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة وعتبة عن ابن مسعود انه سئل عن الرجل يجمع بين الاختين
فكرهه فقال له يعنى السائل يقول الله تعالى الامام ملكك أيما كنتم فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وبغير لعن لعمرك
يملك وهذا هو المشهور وعن الجمهور والائمة الاربعة وغيرهم وان كان بعض السلف قد توقف في ذلك وقال الامام مالك عن ابن
شهاب عن قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان بن عفان عن الاختين في ملك اليقين هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتم سماء

وحرمتها آية وما كنت لأمنع ذلك فخرج من عند فلق رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن ذلك فقال لو كان لي من الأمر شيء ثم وجدت أحد أفعل ذلك لوجدته نكالا وقال مالك قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال وبلغني عن الزبير ابن العوام مثل ذلك قال ابن عبد البر القري رحمه الله في كتاب الاستدراك أنما كني قصبة بن ذؤيب عن علي بن أبي طالب لعبدته عبد الملك بن مرقان وكانوا يتفقون ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قال أبو عمرو حدثني خلف بن أحمد قراءة عليه أن خلف ابن مطرف حدثهم حدثنا أيوب بن سليمان وسعيد بن سليمان ومحمد بن عمر بن (٤٧) إجابة قالوا حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن

أبراهيم حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن موسى بن أيوب الغافقي حدثني عبيد الله بن عامر قال سألت علي بن أبي طالب فقلت ان لي أختين مما لم يكتب عليي اتخذت احداهما سيرة فولدت لي اولادا ثم رغبت في الأخرى فأصنع فقال علي رضي الله عنه تعق التي كنت تطأ ثم تطأ الأخرى قلت فان ناسا يقولون بل تزوجها ثم تطأ الأخرى فقال علي إرايت ان طلقها وزوجها او مات عنها انيس ترجع اليك لان تعقها أسلم لك ثم أخذ علي يدي فقال لي انه يحرم عليك مما لم يكتب عليك ما يحرم عليك في كتاب الله عز وجل من الحرام الا بالعدد أو قال الا بالربع ويحرم عليك من الرضاع ما يحرم عليك في كتاب الله من الذنب ثم قال أبو هرثمة

الحديث

رحله ولم يصب من أقصى المغرب والمشرق الى مكة غيره لما خابت رحلته قلت وقد روى عن علي نحو ما روى عن عثمان وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم

وقعت الإرادة بعد ما بطلت به السبب بالقتل وهذا بعد جدواو ذلك الذي قبله وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الإرادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلب اللثوب فكأنه صار يريد القتل مجازا وان لم يكن مراد بالحقيقة انه وأصل ما يرجع الى المباءة وهي المنزل وباو اغتصب من الله أو رجعوا (فتسكون من أصحاب النار) أي الملائكة لها (وذلك جزاء الظالمين) أي جهنم جزاء من قتل أخاه طالبا (فطوعت له نفسه) أي سهلت نفسه عليهما لهما وشجعت وزينت له وصورت له ان (قتل أخيه) طوعه سهلا عليه يقال تطوع الشيء أي سهل واتقاد وطوعه فلان له أي سهله قال الهروي طوعت وطاوعت واحد يقال طاع له كذا إذا أتاه طوعا وفي ذكر تطويع نفسه له بعد ما تقدم من قول قاتل لا تقتل وقول هليل لا تقتل دليل على أن التطويع لم يكن قد حصل عند تلك المفاوضة (فتقدم) قال ابن جرير ومجاويع غيرها يرى انه جهل كيف يقتل أخاه فجاءه باليس بطائر أو حيوان غيره فجعل يشدخ رأسه بين حجرين ليقتله به فأيال ففعل وقيل غير ذلك مما عجم الى تصحيح الرواية أخرجه ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في الآية قالوا انطبل عليه فراغ الغلام منه فدرس الجبال فانه يومئذ الامام وهو يرى غنما له وهو قائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه الغراء ولا يعلم كيف يدفنه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس طالبا الا كان على ابن آدم الاول كندل من دمها لانه اول من سن القتل واختلف في موضع قتله فقال ابن عباس علي جبل نود وقيل على عقبة حرة او قيل بالبصرة عنده سجدها الاعظم وكان عمر هابل يوم قتل عشرين سنة (فأصبح من الغاسرين) قال ابن عباس خسر ديناه وآخرته اماناه فأسخط والدته وبني بالأح واما آخره فأسخط به وصار الى النار (فبعث الله غرابا يبحث في الأرض) أي يبحثها ويشتريها ويشتريها ويشتريها ويرجعها ويرجعها على غراب ميت معه حتى واره (ليريه) الله وألغراب (كيف يوارى سواء أخيه) أي عورته وحقيقته وما لا يجوز أن يشك من جسده قبل ان يقتل لأنه لم يدرك كيف يواريه لكونه اول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابين أخوين فاقفلا فقتل احدهما صاحبه فخففه ثم حثي عليه فلما رآه قايل (قال يا ليتنا) كلمة تحسروا ونحزن وتؤلف وجزع والاف بدل من ياء

حدثنا محمد بن العباس حدثني محمد بن عبد الله بن المبارك الختري حدثنا عبد الرحمن بن غزوان حدثنا سفيان بن عروبة بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال قال علي بن أبي طالب حرمتها آية وأحلتموها آية يعني الاختين قال ابن عباس يحرم علي قرابتي ممنه ولا يحرم من قرابة بعضهم من بعض يعني الاماء وكانت الجاهلية يحرمون ما تحرمون الاماء والاب والجميع بين الاختين فلما جاء الاسلام أنزل الله ولا تتكلموا ما تكلم آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يعني في النكاح ثم قال أبو عمر وروى الامام احمد بن حنبل حدثنا محمد بن سلمة عن هشام بن عمار عن ابن سيرين عن ابن مسعود قال يحرم من الاماء ما يحرم

من الحرام الا العذر وعن ابن مسعود الشعبي نحو ذلك قال ابو عمرو وقد روي مثل قول عثمان عن طايفة من السلف منهم ابن عباس
ولكن اختلف عليهم ولم يثبت الى ذلك احد من فقهاء الامصار والجزائر والعراق ولا ما وراءها من المشرق ولا بالشام والمغرب
الامن شذعن جماعةهم بتابع الظاهر وفي القياس وقد تزلزل من يعمل ذلك ظاهرا ما اجتمعنا عليه وجماعة الفقهاء متفقون على انه
لا يحل الجمع بين الاختين تلك العين في الوطء كما لا يحل ذلك في النكاح وقد اجمع المسلمون على ان معنى قوله حرمت عليكم امهاتكم
وبنائتكم واخواتكم الى آخر الآية ان النكاح ومك العين في هؤلاء كهن سواء وكذلك يجب ان يكون نظرا وقياسا للجمع بين
الاختين وامهات النساء والازواج وكذلك (٤٨) هو عند جمهورهم وهم الحجة المحجوج بها من خالفها وشذعنها وقوله تعالى والجهة مات

من النساء الامام ملكة أي ما ملككم
أي وحرمت عليكم من الاجنيات
المحصنات وهن المزوجات الامام ملكة
أي ما ملككم يعني الامام ملكة وهن
بالسبي فانه يحل لكم وطؤهن اذا
استبرأوا وهن فان الآية تزلزلت في
ذلك وقال الامام احمد حدثنا
عبد الرزاق اخبرنا سفيان هو
الثوري عن عثمان البتي عن أبي
الخليل عن أبي سعيد الخدري
قال اصنافنا من سبي أو طاس
ولهن أزواج فكرهنا ان تقع
عليهن ولهن أزواج فسالنا النبي
صلى الله عليه وسلم فزلزلت هذه
الآية والمحصنات من النساء الا
ما ملكت أي ما نكحتم فاستحللنا
فزوجهن وهكذا رواه الترمذي عن
احمد بن منيع عن هشيم ورواه
النسائي من حديث سفيان الثوري
وشعبة بن الجراح ثلاثتهم عن
عثمان البتي ورواه ابن ماجه من
حديث أشعث بن سوار عن
عثمان البتي ورواه سلمى في صحيحه
عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل
صالح بن أبي مريم عن أبي سعيد
الخدري فذكره وهكذا رواه

عبد الرزاق عن معمر بن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري به وروى من وجه آخر عن
أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبياء يوم أُوطاس لهن
أزواج من أهل الشرك فكان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ما كفوا من غشيانهن قال قتادة هذه الآية
في ذلك والمحصنات من النساء الامام ملكة أي ما نكحتم وهكذا رواه سلمى ورواه النسائي من حديث سعد بن أبي عروة وزاد سلم
وشعبة ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ثلاثتهم عن قتادة باسناده مشهور وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم ان

الملككم كما تدهوا بلبته ان تحضر في ذلك الوقت وتزنيه وقال الكرخی ای باهلا کی
تعال والو له الهلكة وتسمعمل عند وقوع الداهية العظيمة وفيه اعتراف على نفسه
باستحقاق العذاب وأصل النداء ان يكون لمن يعقل وقد سادى ما لا يعقل مجازا (أعزرت
ان اكون مثل هذا الغراب) الذي وادى الغراب الآخر والكلام خارج مخرج التجبي
منهم من عدم اهتدائهم لمواراة أخيه كما اهتدى الغراب الى ذلك (فاورى سوا أختي) يعني
فاسترجعته وعورته عن الاعين (فاصبح من النادمين) قيل لم يكن يذمه بدم وبه بل يذمه
لثقله لا على قتله وقيل غير ذلك روى انه لما قتله اسودت جسده وكان ابيض فالسودان من
ولده وكان آدم يومئذ بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحضت الفواكه فقال آدم قد
حدث في الارض حدث فاني اشد فوجدا قايلا قد قتل هابيل قال الرخشي وروي
انه رثاه بشعره وهو كذب بحت وما الشعر الا محمول لمخون وقد صرح ان الانبياء عليهم السلام
معصومون من الشعر قال الرازي ولقد صدق صاحب الكشف فيما قال فان ذلك
الشعر في غاية الزكاء لا يلبق بالاجتماع من المتعان فكيف ينسب الى من جعل الله عليه
حجة على الملائكة (من اجل ذلك) القاتل وجررته وبسبب معصيته وقال الزجاج اي من
جنابته قال يقال اجل الرجل على اهله شرا يا اجل اجل اذا احق مثل اجلنا خذ اجلنا
(كتمان على بني اسرائيل) اي فرضنا واجتماعهم يعني ان تبأ بني آدم هو الذي نسب
عنه الكتب المذكور على بني اسرائيل وعلى هذا جمهور المفسرين وخص بني اسرائيل
بالذكر لان السياق في تعداد جناباتهم ولاهم اول امة نزل الوعيد عليهم في قتل الانبياء
ووقع التغليب فيهم اذ ذلك اكثر من سفكهم للدماء وقتلهم للانبياء وهذا مشكل لانه لا يناسبه
بين واقعة قايلا وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرائيل قال بعضهم هو من
تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل
هابيل ولم يوارده وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويحمله من تمام الكلام
الاول فعلى هذا قول الاشكال ولكن جمهور المفسرين واحباب المعاني على انه ابتداء
كلام متعلق بكتبتنا فلا يوقف عليه وفي السدعي الكشف وخص بني اسرائيل مع ان
الحكم عام لكثرة القتل فيهم حتى انهم تجرأ على قتل الانبياء اه وقيل غير ذلك (آية
من قتل نفسا) واحدة من هذه النفوس ظلم (بغير نفس) بوجوب القصاص

من النساء الامام ملكة أي ما ملككم
أي وحرمت عليكم من الاجنيات
المحصنات وهن المزوجات الامام ملكة
أي ما ملككم يعني الامام ملكة وهن
بالسبي فانه يحل لكم وطؤهن اذا
استبرأوا وهن فان الآية تزلزلت في
ذلك وقال الامام احمد حدثنا
عبد الرزاق اخبرنا سفيان هو
الثوري عن عثمان البتي عن أبي
الخليل عن أبي سعيد الخدري
قال اصنافنا من سبي أو طاس
ولهن أزواج فكرهنا ان تقع
عليهن ولهن أزواج فسالنا النبي
صلى الله عليه وسلم فزلزلت هذه
الآية والمحصنات من النساء الا
ما ملكت أي ما نكحتم فاستحللنا
فزوجهن وهكذا رواه الترمذي عن
احمد بن منيع عن هشيم ورواه
النسائي من حديث سفيان الثوري
وشعبة بن الجراح ثلاثتهم عن
عثمان البتي ورواه ابن ماجه من
حديث أشعث بن سوار عن
عثمان البتي ورواه سلمى في صحيحه
عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل
صالح بن أبي مريم عن أبي سعيد
الخدري فذكره وهكذا رواه

عبد الرزاق عن معمر بن قتادة عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري به وروى من وجه آخر عن
أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد الخدري ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابوا سبياء يوم أُوطاس لهن
أزواج من أهل الشرك فكان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ما كفوا من غشيانهن قال قتادة هذه الآية
في ذلك والمحصنات من النساء الامام ملكة أي ما نكحتم وهكذا رواه سلمى ورواه النسائي من حديث سعد بن أبي عروة وزاد سلم
وشعبة ورواه الترمذي من حديث همام بن يحيى ثلاثتهم عن قتادة باسناده مشهور وقال الترمذي هذا حديث حسن ولا أعلم ان

احداث كرايا علقمة في هذا الحديث الاماذ كرهام عن قتادة كذا قال وقد ابعه سعيد وشعبة والله اعلم وقد روى الطبراني في حديث الضحالة عن ابن عباس انها نزلت في سبايا خيبر وذكروا حديث ابن سعيد وقد ذهب جماعة من السلف الى ان بيع الامة يكون طلاقا لها من زوجها اخذ بعموم هذه الآية وقال ابن جرير حدثنا ابن مني حديثنا جعفر عن شعبة عن معيرة عن ابراهيم انه سئل عن الامة تساع ولها زوج قال كان عبد الله يقول بيعها طلاقها ولا يهذه الآية والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايما نكحكم وذكروا هسفيان عن منصور ومغيرة والاعشى (٤٩) عن ابراهيم عن ابن مسعود قال بيعها طلاقها وهو منقطع ورواه سفيان الثوري

عن خليفه عن ابي قتادة عن ابن مسعود قال اذا بيعت الامة ولها زوج فسيدها أحق ببيعها ورواه سعيد بن قتادة قال ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس قالوا بيعها طلاقها وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن خليفه عن عكرمة عن ابن عباس قال طلاق الامة ست (١) بيعها طلاقها وعقته طلاقها وهبتها زوجها طلاقها وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب قوله والمحصنات من النساء قال هذه ذوات الازواج حرم الله نكاحهن الا ما ملكت عيشت فيبيعها طلاقها وقال معمر وقال الحسن مثل ذلك وهكذا رواه سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايما نكحكم قال اذا كان لها زوج فبيعها طلاقها وروى عوف عن الحسن يبيع الامة طلاقها وبيعها طلاقها هذا قول هؤلاء من السلف وقد خالفهم الجمهور

فيخرج عن هذا من قتل نفسا بنفس قصاصا وقد تقر بأن كل حكم مشروط بتحقيق أحد شيئين فمقتضيه مشروط باتفاقهما معا وكل حكم مشروط بتحقيقهما معا فمقتضيه مشروط باتفاق أحدهما ضرورة أن تقيض كل شيء مشروط بتقيض شرطه (أو فساد في الأرض) فيستحق به القتل وقد اختلف في هذا الفساد المذكور في هذه الآية ما ذهب إليه هو الشرع والكفر بعد الإيمان وقيل قطع الطريق وظاهر النظم القرآني أنه ما يصدق عليه أنه فساد في الأرض فالشرع فساد في الأرض وقطع الطريق فساد في الأرض وسفك الدماء وهتك الحرم ونهب الأموال فساد في الأرض والبيع على عباد الله بغير حق فساد في الأرض وهدم البنيان وقطع الأشجار وتغيير الإيمان فساد في الأرض فعرفت بهذا أنه يصدق على هذه الأنواع منها فساد في الأرض وهكذا الفساد الذي يأتي في قوله ويسعون في الأرض فسادا يصدق على هذه الأنواع وسأيت تمام الكلام على معنى الفساد قريبا (فكأنما قتل الناس جميعا) أي في الذنب قاله الحسن واختلف المفسرون في تحقيق هذا التشبيه للقطع بأن عقاب من قتل الناس جميعا أشد من عقاب من قتل واحد منهم فروى عن ابن عباس أنه قال المعنى من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا (ومن أحياءها) بأن شدة عذبه ونصره (فكأنما أحياء الناس جميعا) أي في الاجر قاله الحسن وروى عن مجاهد أنه قال المعنى أن الذي يقتل النفس المؤمنة معصدا جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما فلو قتل الناس جميعا لم يزد على هذا قال ومن سلم من قتلها فلم يقتل أحد فأنكأ أحياء الناس جميعا وقال ابن زيد المعنى أن من قتل نفسا فيلزمه من القود والقصاص ما يلزمه من قتل الناس جميعا ومن أحياءها أي من عفا عن وسبب قتله فلم يمتثل الثواب مثل ثواب من أحياء الناس جميعا وحكى عن الحسن أنه ألغى بعد القدرة يعني أحياءها وروى عن مجاهد أن أحياءها المنجوا هم من غرق أو حرق أو هدم أو هلكة وقيل المعنى أن من قتل نفسا فالمؤمنون كلهم خصماؤه لانه قد وتر الجميع ومن أحياءها فكأنما أحياء الناس جميعا أي وجب على الكل شكره وقيل المعنى أن من استحل واحدًا فقد استحل الجميع لانه أنكر الشرع ومن تورع عن قتل مسلم فكأنما تورع عن قتل جميعهم فقد سلموا منه وعلى كل حال فالأحياء هنا عبارة عن الترك والانتفاء من هلكة فهو مجاز إذا المعنى الحقيقي مختص بالله عز وجل والمراد بهذا التشبيه في جانب القتل تمهيد

(٧ فتح البيان ثالث)

قد عاوا وحيد شافرا وأن يبيع الامة ليس طلاقا لها لان المشتري نائب عن البائع والبائع كان قد أخرج عن ملكه هذه المنفعة وباعها مساوية عنها واعتمدوا في ذلك على حديث برة المخرج في الصحيحين وغيرهما فان عائشة أم المؤمنين اشترتها وابتاعته لم ينسخ نكاحها من زوجها مغيب بل خيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بن الفسخ والبقاء فاخترت الفسخ وقصتها مشهورة فلو كان يبيع الامة طلاقا كما قال هؤلاء لما خيرها النبي صلى الله عليه وسلم فلما خيرها دل على (١) قوله ست المعدود خمسة فلتحذر الرواية اه معصمه

بقاء النكاح وأن المراد من الآية المسيات فقط والله أعلم وقد قيل المراد بقوله المخصات من النساء يعني العفاف حرام عليكم حتى تمكوا وعصمهن بشكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً وأربعاً محكاه ابن جرير عن أبي العباس وطائفة وغيرهما وقال عمرو عبيدة والمخصات من النساء أعدد الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيما كنكم وقوله تعالى كذب الله عليكم أي هذا التحريم كذب الله عليكم يعني الأربع فالزموا كتابه ولا تخرجوا عن حدوده والزمووا شرعه وما فرضه وقال عبيدة وعطاء والسدى في قوله كذب الله عليكم (٥٠) يعني الأربع وقال إبراهيم كذب الله عليكم يعني ما حرم عليكم وقوله تعالى

وأحل لكم ما وراء ذلكم أي ما عدل
من ذكر من المحارم من لكم حلال
قاله عطاء وغيره وقال عبيدة
والسدى وأحل لكم ما وراء ذلكم
مادون الأربع وهذا بعيد والصحيح
قول عطاء كما تقدم وقال قتادة وأحل
لكم ما وراء ذلكم يعني ما ملكت
أيما كنكم وهذه الآية هي التي احتج
بها من احتج على تحليل الجمع بين
الاختين وقول من قال أحلها ما آية
وحرمتها آية وقوله تعالى إن
تبغوا باموالكم مخصنين غير
مسافحين أي تحصوا باموالكم من
الزوجات إلى أربع أو السراي
ما شئتم بالطريق الشرعي ولوذا قال
مخصنين غير مسافحين وقوله تعالى
فما استمتعتم به منهن فآتوهن
أجورهن فريضة أي كما تستمتعون
بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة
ذلك كما قال تعالى وكيف تأخذونه
وقد أفضى بعضكم إلى بعض
وصك قوله تعالى وأتوا النساء
صدقاتهن مخلة وكقوله ولا يحل
لكم أن تأخذوا مما آتيتوهن شيأ
وقد استدل بمعموم هذه الآية على
نكاح المتعة ولا شأن له كان

أمر القتل وتعظيم أمره في النفوس حتى يترجم عنه أهل الجسرة والجسرة في جانب
الاحياء الترغيب في العفو عن الجناة واستنقاذ المتورطين في الهلكات ولذلك صدر النظم
الكرام بضمير الشأن المنهي عن كمال شهرته وبنايته وتبادره إلى الأذهان مثل الحسن بن
هذه الآية أي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال أي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني
اسرائيل أكرم على الله من دمائنا (ولقد جاءتهم) أي بني اسرائيل (رسلاً بالبينات)
الدلالات الواضحات جله مستقلة مؤكدة باللام الموطئة للقسم متضمنة للأخبار بأن
الرسول عليهم الصلاة والسلام قد جاءوا العباد بما شرعه الله لهم من الاحكام التي من
جلتها أمر القتل وتعمي قوله (ثم أن كثير منهم) للتراخي الرتب والاستبعاد العقلي (بعد
ذلك) أي ما ذكرهما كتبه الله على بني اسرائيل من تحريم القتل (في الأرض لمسرفون)
في القتل لا ينفون عنه أو لجأوا زوروا الحق لا يبالون بغمته (انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله) قد اختلف الناس في سبب نزول هذه الآية فذهب الجمهور إلى أنها نزلت في
العربيين وقال مالك والشافعي وأبو ثور وأصحاب الرأي أنها نزلت فيمن خرج من المسلمين
بقطع الطريق ويسعى في الأرض بالفساد قال ابن المنذر قول مالك صحيح قال أبو ثور وخلفاء
لهذا القول ان قوله في هذه الآية إلا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم يدل على أنها نزلت
في غير أهل الشرك لأنهم قد أجعوا على أن أهل الشرك اذا وقعوا في أيدي منافقوا ان
دماءهم تحرم فدل ذلك على ان الآية نزلت في أهل الاسلام انتهى وهكذا يدل على هذا
قوله تعالى قل لا الذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله صلى الله عليه وآله
وسلم الاسلام يهدم ما قبله أخرجه مسلم وغيره وحكي ابن جرير الطبري في تفسيره عن
بعض أهل العلم ان هذه الآية أعني آية المحاربة نسخت فعل النبي صلى الله عليه
وآله وسلم في العربيين ووقف الامر على هذه الحدود وروى عن محمد بن سيرين أنه قال
كان هذا قبل أن ينزل الحد ويحكي فعله صلى الله عليه وآله وسلم بالعربيين وهذا قال
جماعة من أهل العلم وذهب جماعة آخرون إلى ان فعله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
بالعربيين منسوخ بنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المشركين والقائل بهذا
مطالب ببيان تأخر النسخ والحق ان هذه الآية تم المشرك وغيره ممن ارتكب ما تضمنته
ولا اعتبار بخصوص السبب بل الاعتبار بعصم اللفظ قال القرطبي في تفسيره

مشروعاً في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى انه أجمع ثم نسخ ثم أجمع
ثم نسخ مرتين وقال آخرون أكثر من ذلك وقال آخرون أجمعاً مرة ثم نسخ ولم يبع بعد ذلك وقد روى عن ابن عباس وطائفة من
الحنابلة القول بإباحته للضرورة هرواية عن الامام أحمد وكان ابن عباس وأبى بن كعب وعبيد بن جبر والسدى يقرؤونها
استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة وقال مجاهد نزلت في نكاح المتعة ولكن الجمهور على خلاف ذلك

والعدة مائة في الخمسين عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة وعن لحوم
الحمار الأجلية يوم خيبر ولهذا الحديث ألفاظ مقررته هي في كتاب الأحكام وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبيبة من معبد الجهمي
عن أبيه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقال يا أيها الناس اني كنت أدنت لكم في الاستمتاع من النساء وان
الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سيده ولا تأخذوا بما يتقوهن شيئا وفي رواية لمسلم في حجة الوداع
وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام وقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما (٥١) تراضيت به من بعد الفريضة من حل هذه الآية

على نكاح المتعة الى أجل مسمى قال
لا جناح عليكم اذا انقضى الأجل
ان تراضوا على زيادته وزيادته للجعل
قال السدي ان شاء الله أرضاهما من
بعد الفريضة الاولى يعني الأجر
الذي أعطاه على تمتعه بها قبل
انقضاء الأجل بينهما فقال اتفق
منذ أيضا بكذا وكذا فان زاد قبل
أن يستبرئ رجها يوم تنقضي المدة
وهو قوله تعالى ولا جناح عليكم
فيما تراضيت به من بعد الفريضة
قال السدي اذا انقضت المدة
فليس له عليها سبيل وهي منه بريئة
وعليها أن تستبرئ ما في رجها
وليس بينهما ميراث فلا يرث واحد
منهما صاحبه ومن قال بهذا القول
الأول جعل معناه كقوله وآؤا
النساء صدقاتهن لحله الآية أي
اذا فرضت لها صدقا فابرا ذلك منه
أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا
عليها في ذلك وقال ابن جرير حدثنا
محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعمر بن
سلمان عن أبيه قال زعم الحضرى
أن رجلا كانوا ينسرون المهر ثم
عسى أن يدركوا أحدهم العسرة
فقال ولا جناح عليكم أيها الناس

ولا خلاف بين أهل العلم في أن حكم هذه الآية مرتب في الحارمين من أهل الاسلام وان
كانت نزلت في المرتدين أو اليهود انتهى ومعنى قوله مرتب أي ثابت قبل المراد بمجارية
الله المذكورة في الآية هي مجاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومجاربة
المسلمين في عصره ومن بعد عصره بطريق العبارات دون الدلالة ودون القياس لان ورود
النص ليس بطريق المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميم
الخطاب لغيرهم الى دليل آخر وقيل انها جعلت مجاربة المسلمين مجاربة لله ورسوله أكارا
لغيرهم وتعطيلها لغيرهم لان الله سبحانه لا يحارب ولا يغالب والاولى ان تفسر مجاربة الله
سبحانه بجميعه ومخالفة شرعته ومجاربة الرسول فعمل على معناها الحقيقي وحكم أمته
حكمه وهم أسوته (ويسعون في الأرض فسادا) يحمل السلاح والخروج على الناس
وقتل النفس وأخذ الأموال وقطع الطريق والسعي فيها فسادا يطلق على أنواع من الشرك
كما قد مضى وما انتصاب فسادا على المصدية أو على أنهم يفعلون له اى الفساد أو على الخلل
بالتأويل أي مفسدين قال ابن كثير في تفسيره قال كثير من السلف منهم سعيد بن
السبيد ان قرض الدراهم والله نائير من الفساد في الأرض وقد قال تعالى واذا قرى سعى
في الأرض ليقصد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد انتهى واذا قررت
ما قررناه من عموم الآية ومن معنى المجاربة والسعي في الأرض فسادا فاعلم ان ذلك يصدق
على كل من وقع منه ذلك سواء كان مسلما أو كافرا في مصر أو غير مصر في قليل وكثير
وتخيل وحقر وان حكم الله في ذلك هو ما ورد في هذه الآية من القتل أو الصلب أو قطع
الأيدي والأرجل من خلاف أو التوقيف في الأرض ولكن لا يكون هذا حكم من فعل أي
ذنب من الذنوب بل من كان ذنبه هو التعدى على دماء العباد وأموالهم فيما عدا ما قد ورد
له حكم غير هذا الحكم في كتاب الله أو بسنة رسوله كسرقة وما يجب فيه القصاص لانا
نعلم انه قد كان في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم من تقع منه ذنوب ومعاصي غير ذلك
ولا يجزى عليه صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحكم المذكور في هذه الآية وبهذا
يعرف ضعف ما روى عن مجاهد في تفسير المجاربة المذكورة في هذه الآية انها الزنا
والسرقة ووجه ذلك ان هذين الذنوب قد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
وآله وسلم اهما حكم غير هذا الحكم واذا عرف ما هو الظاهر من معنى هذه الآية على

فيما تراضيت به من بعد الفريضة يعني ان وضعت لك منه شيئا فله ما سأل وأختار هذا القول ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس ولا جناح عليكم فيما تراضيت به من بعد الفريضة والتراضي ان يوفيهما صداقتها ثم يخبرها يعني في المقام أو الفراق وقوله
تعالى ان الله كان علما حكما مناسدا ذكر هذين الوصفين عند شرح هذه الحرمات (ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح
الخصينات المؤمنات فاعلم انكم من قبيحتكم المؤمنات والله أعلم بما تكتب بكم بعضكم من بعض فأنكحوهن باذن أهلهن
وأولهن أجورهن بالمعروف بحصنات غير مسافحات ولا متخذات أصدقاء فإذن ين بها حشنة فعلمن نصف ما على

الخصيات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا وحملكم والله غفور رحيم يقول تعالى ومن لم يجد منك
 طولا أى سعة وقدرة أن يملك الحصان المؤمنات أى الحرث والعنات المؤمنات وقال ابن وهب أخبرني عبد الجبار عن ربيعة
 ومن لم يستطع منك طولا أن يملك الحصان قال ربيعة الطول الهوى بمعنى يملك الامه اذا كان هو فيها روادا أى خاتم
 وابن جرير ثم أخذ يشنع على هذا القول ويرده فاما ملك أيمانكم من قياتكم المؤمنات أى قتر وجواسن الائمة المؤمنات
 والاني يملك من المؤمنون ولهذا قال من (٥٢) قياتكم المؤمنات قال ابن عباس وغيره فليست من امة المؤمنين وكذا

مقتضى لغة العرب التي أعمرنا أن نفسر كتاب الله وسنة رسوله ما افاياك أن تغرب شي من
 التفاصيل المروية والمذاهب المحكية إلا أن يأتيك الدليل الموجب لتخصيص هذا
 العموم أو تقييد هذا المعنى المفهوم من لغة العرب فانت وذلك اعمل به وضعه في موضعه
 وأما ما عداه
 فدد عنك بما صبح في جحرته * وهات حديثا ما حديث الرواحل
 على اناسند كرم من هذه المذاهب ما سمعته اعلم أنه قد اختلف العلماء فمن يصدق اسم
 الحاربة فقال ابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وبرايم
 الخفي والضحاك وأبو ثور ان من شهر السلاح في قبة الاسلام وأخاف السيل ثم طفره
 وقدر عليه فامام المؤمنين فيه بالخيار ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله
 وبهذا قال مالك وضرخ بن الحارث عنده من حل على الناس في مصر أو في برباء وكأبرهم
 على أنفسهم وأوالهم دون نائرة ولا دخل ولا عداوة قال ابن المنذر اختلف على مالك في
 هذه المسئلة فانت الحاربة في مصر مرة وثني ذلك أخرى وروى عن ابن عباس غير ما تقدم
 فقال في قطع الطريق اذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا
 ولم يصلبوا واذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف واذا أخافوا
 السيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وروى عن أبي مجز وسعيد بن جبير وبرايم
 الخفي والحسن وقادة السدي وعطاء على اختلاف في الرواية عن بعضهم وخكاه ابن
 كثير عن الجمهور وقال أيضا وهكذا عن غير واحد من الساف والائمة وقال أبو حنيفة
 اذا قتل قتل واذا أخذ المال ولم يقتل قطع يده ورجله من خلاف واذا أخذ المال وقتل
 فالسلطان مخير فيه ان شاء قطع يده ورجله وان شاء لم يقطع وقته وصلبه وقال أبو يوسف
 القتل يأتي على كل شيء ونحوه قول الاوزاعي وقال الشافعي اذا أخذ المال قطعت يده اليمنى
 وحسنت ثم قطعت رجله اليسرى وحسنت وخلى لان هذه الجناية زادت على السرقة
 بالحاربة واذا قتل قتل واذا أخذ المال وقتل قتل وصلب وروى عنه أنه قال يصلب لائمة أيام
 وقال أجد ان قتل قتل وان أخذ المال قطعت يده ورجله كقول الشافعي ولا أعلم لهذه
 التفاصيل دليلا لان كتاب الله ولا من سنة رسوله الامارواه ابن جرير في تفسيره ونحوه

قال السدي ومقاتل بن حيان ثم
 اعترض بقوله والله أعلم بما بينكم
 بعضكم من بعض أى هو العالم
 بحقائق الامور وسراها وانما
 لكم أيها الناس الظاهر من الامور
 ثم قال فانكم ومن باذن أهلهم
 قتل على ان السيد هوولى أمته
 لا تزوج الاذنه وكذلك هوولى
 عبد ليس له ان يتزوج بغير اذنه كما
 جاء في الحديث أيما عبد تزوج بغير
 اذن مولاه فهو عاهر أى زان فان
 كان مالك الامة امرأه تزوجها من
 يزوج المرأه فانها المساجاة في الحديث
 لا تزوج المرأه للمرأة ولا المرأة نفسها
 فان الزانية هى التي تزوج نفسها
 وقوله تعالى واتوهن أجورهن
 بالمعروف أى وادفعوا مهرهن
 بالمعروف أى عن طيب نفس منكم
 ولا تبصوا منه شيئا استهانة بهن
 لكونهن اماء مملوكات وقوله تعالى
 محصنات أى عنائف عن الزنا
 لا يماطنه ولهذا قال غير مسافحات
 وهن الزواني اللاتي لا يتعن من
 ارادهن بالقاحشة وقوله تعالى ولا
 متخذات أخدان قال ابن عباس
 المسافحات هن الزواني المعلنات

يعنى الزواني اللاتي لا يتعن أحد ارادهن بالقاحشة وقال ابن عباس ومتخذات اخدان يعنى اخلاء
 وكذا روى عن أبي هريرة ومجاهد والشعبي والضحاك وعطاء الخراساني ومجس بن أي كثير ومقاتل بن حيان والسدي قالوا
 اخلاء وقال الحسن البصري يعنى الصديق وقال الضحاك أيضا ولا متخذات أخدان ذات الخليل الواحد المقر بنبى الله
 ذلك يعنى تزويجهما مادامت كذلك وقوله تعالى فاذا أحصن فان اثنين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اختلف
 القراء في أحصن فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد مبنى لما لم ينسم فاعله وقرى بفتح الهمزة والصاد فعمل لازم ثم قيل يعنى

القراءتين واحدواختلفوا فيه على قولين أحدهما أن المراد بالاحصان ههنا الاسلام وروى ذلك عن عبد الله بن مسعود وابن عمر وأنس والاسود بن يزيد وزين جبير وسعيد بن جبير وعطاء وابراهيم النخعي والشعبي والسدي وروى نحوه الزهري عن عمر ابن الخطاب وهو منقطع وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي في رواية الربيع قال وانما قلنا ذلك استدلالا بالسنة واجماع أكثر أهل العلم وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا مرفوعا قال حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله حدثنا أبي عن ابيه عن أبي حمزة عن جابر عن رجل عن أبي (٥٣) عبد الرحمن عن علي بن أبي طالب قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم فإذا أحصن قال احصانها اسلامها وعفافها وقال المراد به ههنا التزويج قال وقال عنى اجلدهن ثم قال ابن أبي حاتم وهو حديث منكروى اسناده ضعف وفيه من لم يسمه ومثله لا يقوم بهجة وقال القاسم وسالم احصانها اسلامها وعفافها وقيل المراد به ههنا التزويج وهو قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطاوس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم ونقله أبو على الطبري في كتابه الايضاح عن الشافعي فيما رواه أبو الحكم بن عبد الحكم عنه وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال احصان الامهات ينكحها الحر واحصان العبدان ينكح الحرة وكذا روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس رواهما ابن جرير في تفسيره وذكره ابن أبي حاتم عن الشعبي والنخعي وقيل معنى القراءتين متباين فنقرأ أحصن بضم الهمزة فراه التزويج ويحرم قرأ بفتحها فراه الاسلام اختاره أبو جعفر بن جرير في تفسيره وقرره ونصره والظاهر والله أعلم ان المراد بالاحصان

برأيه فقال حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن حبيب ان عبد الملك بن مروان كتب الى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب اليه يخبره ان هذه الآية نزلت في أولئك النفر العرنيين وهم من جبيشة قال أنس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعى واستاقوا الابل وأخافوا السبيل وأصابوا القرح الحرام فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عن القضاء فمن حارب فقال من سرق وأخاف السبيل فاقطع يده لسرقته ورجله بأخافته ومن قتل فاقطعه ومن قتل وأخاف السبيل واستحل القرح الحرام فاصله وهذا مع ما فيه من الشكارة المشددة لا يدري كيف صحته قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكره كرمشي من هذه التفاصيل التي ذكرناها ما لفظوه يشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره ان صح سندته ثم ذكره (ان يقتلوا) التفصيل الكثير وهو هنا باعتبار المعلق أى يقتلوا واحد ابعد واحد (أو يصلبوا) ظاهرا منهم يصلبون أحياء حتى يموتوا لأنه أحد الأنواع التي خيرا لله بينها وقال قوم الصلب انما يكون بعد القتل ولا يجوز ان يصلب قبل القتل فيجوز بيننا الصلابة والاكل والشرب ويجب ان هذه عقوبة شرعها الله سبحانه في كتابه لعبادته (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) ظاهره قطع إحدى اليدين وأحدى الرجلين من خلاف سواء كانت المقطوعة من اليدين هي اليمنى أو اليسرى وكذلك الرجلان ولا يعتبر الا ان يكون القطع من خلاف اما يني اليدين مع يسرى الرجلين أو يسرى اليدين مع يمنى الرجلين وقيل المراد بهذا القطع اليد اليمنى والرجل اليسرى فقط (أو ينفوا من الأرض) اختلف المفسرون في معناه فقال السدي هو ان يطلب بالخيول والرجل حتى يؤخذ فيقام عليه الحد أو يخرج من دار الاسلام هربا وهو يحكى عن ابن عباس وأنس ومالك والحسن البصرى والسدي والضحاك وقتادة وسعيد بن جبير والربيع بن أنس والزهري حكاها الماني في كتابه عنهم وحكى عن الشافعي أنهم يخرجون من بلد الى بلد ويطلبون لتقام عليهم الحد ودوبه قال الميث بن سعد وروى عن مالك انه يتنق من البلد الذي أحدث فيه الى غيره ويحبس فيه كالزاني ورجحه ابن جرير والقرطبي وقال الكوفيون نقيم سجنهم فينق من سعة الدنيا الى ضيقها والظاهر من الآية انه يطر من الارض التي وقع منه فيها وقع من غير سجن ولا غيره والذي قد يقع بمعنى الاهلال وليس هو مرادنا قال مكحول ان عمر بن الخطاب

ههنا التزويج لان سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم والآية الكريمة سياقاتها في الفتيات المؤمنات فتعين ان المراد بقوله فإذا أحصن أى تزوجن كما فسرهم ابن عباس وغيره وعلى كل من القولين أشكال على مذهب الجمهور وذلك أنهم يقولون ان الامهات اذ زنت فعليها خمسة جلدات سواء كانت مسلمة أو كافرة من وجه أو بكر امع أن مفهوم الآية يقتضى انه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الامهات وقد اختلفت أحوالهم عن ذلك فاما الجمهور فقالوا الاشك ان المنطوق مقدم على المفهوم وقد وردت أحاديث عامة في

أما عليه السلام فقد مناه على مفهوم الآية بأن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه أنه سخط فقال يا أيها الناس أقبلوا الحدة على أمانكم من أحسن منهن ومن لم يحرص فإن أمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجعلها فاذا هي حديدته عهد بناس فخشيت أن جلدتم بالان أقدمها فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسفت أتركها حتى تتقابل وعند عبد الله بن أحمد عن غيره فاذا تعفت من تفاسيها فأجلدها خنسين وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا زنت أمة أحكمك فتين (٥٤) زناها فأجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثانية فليجلدها الحد ولا

يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتين زناها فليبعها ولو رجل من شهر ولمسلم إذا زنت ثلاثا فليبعها في الرابعة وروى مالك بن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس بن أحمد بن عيسى الخضر النخعي قال أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا من ولائها الأمازة خنسين خنسين من الزنا الجواب الثاني جواب من ذهب إلى أن الأمة إذا زنت ولم تحصل فلا حد عليها وإنما ضرب تاديبا وهو المحكي عن ابن عباس رضي الله عنه والذهب طائفة وسعيد بن جبير وأبو عبد القاسم ابن سلام وداود بن علي الظاهري في رواية عنه وعلمتهم مفهوم الآية وهو من ذفاهم الشرط وهو حجة عندنا كغيرهم فقدم على العموم عندهم وحديث أبي هريرة وزيد ابن خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصل قال ان زنت فجلدها ثم ان زنت فأجلدها ثم يبعها ولو بضفر قال ابن شهاب لا أدرى بعد الثالثة أو الرابعة أخرجه في

أول من حبس في السجون يعني من هذه الأمة وقال أحسبه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه إلى بلد آخر فيؤذيهم وقال الكرخي سفوان الأرض إلى مسافة قصر فأنفقها لأن المقصود من التوبة والرجوع إلى الله والوطن فإذا عين الإمام جهة فليس للمنى طلب غيرها ولا يعين الحبس (ذلك) إشارة إلى ما سبق ذكره من الأحكام (لهم) أي للمحاربين (خرى في الدنيا) الخزي النذل والفضيحة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذا الوعيد في حق الكفار الذين زنت الآية فقيم وأما المسلم فإنه إذا أقيم عليه الحد في الدنيا سبناه في الآخرة (الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) استثنى الله سبحانه التائبين من عموم العقوبات السابقة والظاهر عدم الفرق بين الدماء والأموال وبين غيرهما من الذنوب الموجبة للعقاب المعينة المحدودة فلا يطالب بالتب قبل القدرة بشئ من ذلك وعليه عمل العصاة وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يسقط القصاص وسائر حقوق الأدميين بالتوبة قبل القدرة والحق الأول وأما التوبة بعد القدرة فلا يسقط بها العقوبة المذكورة في الآية كما يدل عليه ذكره قبل أن تقدروا عليهم قال القرطبي وأجمع أهل العلم على أن السلطان ولي من حارب فإن قتل محارب أو أباة في حال المحاربة فليس إلى طالب الدم من أمر المحاربة بشئ ولا يجوز عقو ولي الدم (فاعلموا أن الله غفور رحيم) بهم غير بذلك فلا تقتدوهم ليقيد أنه لا يسقط عنه ثبوته الأحذود الله دون حقوق الأدميين قال السيوطي كذا ظهر لي ولم أرى من تعرض له والله أعلم انتهى أي من حيث فهمهم من الآية وإن كان في نفسه مظاهرا أخرجه أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال زنت في المشركين فمن تاب منهم قبل أن يقدر عليه لم يكن عليه سبيل وليس تحرز هذه الآية الرجل المسلم من الحدان قتل أو أفسد في الأرض أو حارب الله ورسوله وعنه عند ابن جرير والطبراني في الكبير فإن جاء تابا فدخل في الإسلام قبل منه ولم يؤخذ بعصا فلف وأخرج ابن مردويه عن سعد بن وقاص أن هذه الآية نزلت في الحرورية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس أن نفر من عكل قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلموا وأخبروا المدينة فامرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأبوا أهل الصدقة فيشربوا من آبوا لها وألبأثم اقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلبهم فاقفة فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ولم

البيهقيين وعند مسلم قال ابن شهاب الضفير الحبل قالوا في وقت فيه عدد كما أتت في الحصنة وكما وقت

في القرآن بنصف ما على الحصنات فوجب الجمع بين الآية والحديث بذلك والله أعلم وأصرح من ذلك ما رواه سعيد بن منصور عن سفيان عن مسعر عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أمة جد حتى تتعفن يعني تزوج فإذا أحصنت بزواج فعليها نصف ما على الحصنات وقدره ابن خزيمة عن عبد الله بن عمر أن العابد عن سفيان

يجمعهم

به من فوجا وقال رفعه خطا انما هو من قول ابن عباس ويكذروا الهيثمي من حديث عبد الله بن عمر ان قال مثل ما قاله ابن خزيمة قالوا وحديث علي وعمر قضا أعيان وحديث أبي هريرة عنه أجوبة أحد هان ذلك محمول على الامة المزوجة جمعائنه وبين هذا الحديث الثاني ان لفظة الخندق قوله فليقم عليها الحسد مقبلة من بعض الرواة بدليل الجواب الثالث وهو ان هذا من حديث يحيى بن زكريا من رواية أبي هريرة فقط وما كان عن اثنين فهو أولى بالتقديم من رواية واحد وأيضاً فقد رواه الترمذي بأسناد على شرط (٥٥)

يجمعهم وتركهم حتى ماؤا فانزل الله انما جاء الذين يحاربون الله في سبيلهم عن أنس انما سلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولئك لانهم جعلوا عين الرعاء وعن الشعبي قال كان حارثة بن برد التيمي من أهل البصرة قد أفسد في الأرض وحارب فكام رجالا من قريش ان يستأمنوا له على افاوا فأتى سعيد بن قيس اليهم مداني فأتى عليا فقال يا أمير المؤمنين ما جاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا قال ان يقاتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ثم قال الا الذين نالوا من قبل ان تقدروا عليهم فقال سعيد وان كان حارثة بن برد قال وان كان حارثة ابن برد قال هذا حارثة بن بدر قد جاء تأييدهم وأمن قال نعم قال فجاه اليه وقبل ذلك منه وكتب له أمانا (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي خافوا الله بترك المنهيات (وابغوا اليه) أي اطلبوا اليه لا الى غيره (الوسيلة) فعياله من توسلت اليه اذا تقربت اليه فالوسيلة القرية التي ينبغي ان تطلب وبه قال ابو وائل والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وروى عن ابن عباس وعطاء بن عبد الله بن كثر قال ابن كثر في نفسه وهذا الذي قاله هؤلاء الاثلة لا خلاف بين المفسرين فيه والوسيلة أيضا درجة في الجنة تخصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو انه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرين سالوا الى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبيد من عباد الله وأرجوان يكون هو في سأل الى الوسيلة حطب عليه الشفاعة وفي الباب أحاديث والعطف على أيها الذين يقيسون الوسيلة بغير التقوى وقيل هي التقوى لانها جارية الامر وكل الخير فتكون الجلة الثانية على هذا مفسرة للجهة الاولى والظاهر ان الوسيلة التي هي القرية تصدق على التقوى وعلى غيرهما من نجس الخصال التي تقرب بها العباد الى ربهم وقيل معنى الوسيلة المحبة أي تحببوا الى الله والاول أولى (وجاءه في سبيله) من لم يقبل دينه وقيل أعداء البارزة والكامنة (لعلكم تفلحون) أي لكي تسعدوا

ولا ينبغي ضربها تأديفاه وكقول ابن عباس رضي الله عنه ومن تيسر في ذلك والله أعلم الجواب الثالث ان الآية بدلت على ان الامة الحصنة تمتد نصف حد الحر فاما قبل الاحصان فعمومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلد هامة تقول تعالي الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وتحدت عبادة بن الصامت خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الكبير بالبرك جلد مائة وتغريب عام والنيب بالنيب جلد مائة وربها بالجاردة الحديث في صحيح مسلم وغير ذلك من الاحاديث وهذا القول هو

المشهور عن داود بن علي الظاهري وهو في غاية الضعف لان الله تعالى اذا كان امر بجلد المحصنة من الاماء نصف ما على الجرة من العذاب وهو خسون جلد فكيف يكون حكمها قبل الاخضاع أشد منه بعد الاخضاع وقاعدة الشرعية في ذلك عكس ما قال وهذا الشارح عليه السلام سأل أئمة الجاهلية عن الاماء اذا زنت ولم تحصن فقالوا جلدوها ولم يقل مائة فلو كان حكمها كما زعم داود لوجب بيان ذلك لهم لانهم اعلموا ان ذلك لعدم بيان حكم جلد المائة بعد الاخضاع في الاماء والافاضة الفائدة في قولهم ولم تحصن لعدم الفرق (٥٦) بينهم ولم تكن الآية ترتب لكن لما عملوا أحد الحكمين سألوا عن

بالسواد في جنسه لان الفلاح اسم جامع للخلاص من كل بكر وهو الفوز بكل محبوب (ان الذين كفروا وأن لهم ما في الارض) كلام مبني على مسوق لرب الكفار وترغيب المسلمين في امتثال أوامره الله سبحانه أي لو أن لهم ما في الارض من أصناف أموالها وذخائرها ومنافعها طامطة وقيل المراد لكل واحد منهم ليكون أشد تنويعا ولو ان كان الظاهر من ضمير الجمع خلاف ذلك (جميعا) تأكيد (ومثله معه) أي ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها (ليقتد ربه) أي ليجعلوا كلامه مبادية لانفسهم من العذاب وأقر الضمير اما لكونه راجعا الى المذكور او لكونه بمنزلة اسم الإشارة أي ليقصدوا بذلك (من عذاب يوم القيامة ما قبيل منهم) ذلك القداء (ولهم عذاب اليم) أي لازم ولا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه من الوجوه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك وتعالى لاهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كما أكنت مقتديا بهم فيقول نعم فيقول قد أردت منك أسير من هذا وأنت في صلب آدم ان لا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة قايت الا لشركك هذا اللفظ مسلم وفي رواية البخاري يجاب الكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كان لك مثل الارض ذهبا كنت تقتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو اسير من ذلك ان لا تشرك بي (يريدون ان يخرجوا من النار) هذا استئناف ياتي كانه قيل كيف حالهم فيما هم فيه من هذا العذاب الاليم فقيل يصعدون الخروج من النار وطلبونه او يتمنون (وما هم بخارجين منها) أي لا يستطيعون ذلك وحلها النصب على الحال وقيل انها جلة اعتراضية (ولهم عذاب مقيم) أي دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابد الخرج مسلم وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يخرج من النار قوم فيدخلون الجنة قال يزيد الفقير قلت لجابر يقول الله يردون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال اول الآية ان الذين كفروا الآية لانهم الذين كفروا وأوغن عكرمة ان نافع بن الأزرق قال لابن عباس ترعمن ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ابن عباس ويحك اقرأ ما فوقها هذه لكفار قال الله تعالى في الكسافي بعد ذكره لهداه الله عما فقهه المحبة انتهت وبالله العجب من رحيل لا يشرق

الاخر فينبه لهم كافي الصحاح انهم لما سألوه عن الصلاة عليه فذكرها لهم ثم قال والسلام ما قد علمت في انزل الله قوله تأبها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك وذكر الحديث وهكذا هذا السؤال الجواب الرابع عن مفهوم الآية جواب أبي ثور وهو أعرب من قول داود من وجوه وذلك انه يقول فاذا احصن فان عليهن نصف ما على المحصنات المزوجات الرجيم وهو لا يتناصف فيجب ان ترجم الامة المحصنة اذا زنت واما قبل الاخضاع فيجب جلدها خمسين فاختطأ في فهم الآية وخالف الجمهور في الحكم بل قد قال أبو عبد الله الشافعي رحمه الله ولم يختلف المسلمون في أن لارجهم على مملوك في الزنا وذلك لان الآية دللت على ان عليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والالف واللام في المحصنات للعهد وهن المحصنات المذكورات في أول الآية ومن لم يستطع منكم طولا ان يتكلم المحصنات المؤمنات والمراد

بهن الحر ارفق من غير تعرض للزوج بحجة وقوله نصف ما على المحصنات من العذاب يدل على ان المراد من العذاب الذي يمكن تبغيضه وهو الجلد لا الرجم والله أعلم وقد روي أحمد حديثا في رد مذهب أبي ثور بن رواية الحسن بن سعيد عن أبيه ان فضيلة كانت قد زنت برجل من الجنس فولدت غلاما فداعاه الزاني فاختصمه الى عثمان فرفعهما الى علي بن أبي طالب فقال علي أقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد للفراس وللاهار الحجر وجلدهما خمسين خمسين وقيل بل المراد من المفهوم التنبية بالإعانة على الادنى أي ان الاماء على البصيف من الحر اتر في الحدود وان كن محصنات وليس عليهن رجم أصلا لا قبل النكاح

ولا بعده وإنما علم الجهاد في الحالين بالسنة قال ذلك صاحب الانصاح و ذكره ذاعن الشافعي في عيار واد ابن عبد الحكم وقد ذكر
 البیهقي في کتاب السنن والاکثر عنه وهو بعيد من لفظ الآية لاننا استغفنا تنصيف الحد من الآية لامن سواها فكيف يشتم
 منها التنصيف فاعادها وقال بل اريد بانها في حال الاحسان لا يقيم الحد عليها الا لامام ولا يجوز لسيد خادامة الحد عليها والحالة
 هذه هو قول في مذهب آجدرجه الله فاما قبل الاحسان فذلك والحد في كلا الموضوعين نصف حد الحر وهذا ايضا بعيد لانه ليس
 في الآية ما يدل عليه ولولا هذه لم ندر ما حكم الامام في التنصيف ولوجب (٥٧) دخوله في عموم الآية في تكميل الحد مائة

أورجهن كما ثبت في الدليل عليه وقد
 تقدم عن علي أنه قال إنما الناس
 أقدموا الحد علي أرفألكم من
 أحسن منهم ومن لم يحسن وعموم
 الأحاديث المتقدمة ليس فيها
 تفصيل بين المزوجة وغيرها الحديث
 أي هريرة الذي احتج به الجهم وإذا
 زنت أمية أحدكم تقب زينها
 فليجلدها الحد ولا يثرب عليها
 منخص الآية أنها إذا زنت أقوال
 أحدها تجلد خمسين قبل الاحسان
 وبعدها هل تنفي فيه ثلاثة أقوال
 أحدها أنها تنفي عنه والثاني لا تنفي عنه
 مطلقا والثالث أنها تنفي نصف سنة
 وهو نصف في الحر وهذا الخلاف
 في مذهب الشافعي وأما أبو حنيفة
 فعنده ان الذي تعزير ليس من تمام
 الحد وإنما هو رأى الامام ان شاء
 فعله وان شاء تركه في حق الرجال
 والنساء وعند مالك ان الذي اتاهو
 على الرجال وأما النساء فلا ذلك
 ضد لصلواتهن وما ورد في من تنفي
 في الرجال ولا النساء نعم حديث عبادة
 وحديث أبي هريرة ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قضى فين زنى ولم
 يحسن ينفي عام وباقامة الحد عليه

بين أسمع الصحيح وبين أ كذب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعرض للكلام
 على ما لا يعرفه ولا يدري ما هو وقد وثقوا في الأحاديث وأثر الأيماني على من لاد في المام يعلم
 الرواية بان عصاة الموحدين يخرجون من النار قرأ أنكر هذا فليس باهل المناظرة لانه
 أنكر ما هو من ضروريات الشريعة (والسارق والسارقة فاقطعوا) لما ذكر كسجهما حكم
 من يأخذ المال جهارا وهو المحارب عقبه بذكر من يأخذ المال خفية وهو السارق وذكر
 السارقة مع السارق لزيادة البيان لان غالب القرآن الاقتصار على الرجال في تشريع
 الاحكام وقد اختلف أئمة الحنفى في خبر السارق والسارقة هل هو مقدر أم فاقطعوا فذهب
 الى الاول سيبويه وقال تقديره فيما فرض عليكم أو فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي
 حكمهما وذهب المبرد والراجح الى الثاني ودخول النساء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
 والسارقة بكسر الراء اسم الشيء المسروق والمصدر هو السرقة من سرق يسرق سرقا قاله
 الجوهري وهو أخذ الشيء خفية من الاعين ومنه استرق السمع وسارقة النظر والقطع
 معناه الابانة والازالة وقدم اسارق هنا لزيادة في آية الزنا لان الرجال الى السرقة أميل
 والنساء الى الزنا أميل (أي بينهما) أي عين كل منهما من الكوع وجمع الابدى لكراهة
 الجمع بين التثنية وقيل لانه أراد عينا من هذا وعينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان
 الا عين واحدة وكل شيء موحدين اعضاء الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع
 والمراد باليدن اليمين قاله الحسن والشعبي والسندي وكذلك هو في قراءة ابن مسعود
 فاقطعوا ايأمنهما وقيل الحارحة وحدها عند جهور أهل اللغة من رؤس الاصابع الى
 الكوع فيجب قطعها من الكوع وقد ثبتت السنة المطهرة ان موضع القطع الرسغ وقال
 قوم يقطع من المرفق وقال الخوارزمي من المنكب والسرقة لابد أن تكون ربع دينار
 فصاعدا ولا بد أن تكون من حرز كذا وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وقد ذهب الى اعتبار
 الحرز ويرجع اليه شار الجهم وذهب قوم الى التقدير بعشرة دراهم وقال الحسن المصري
 اذا جمع الثياب في البيت قطع وقد أطلق الكلام في بحث السرقة أئمة الفقه وشرح
 الحديث بما لا يأتى التطويل به هنا بكثرة فائدة وأوضح الجص في ذلك في شرحه بلوغ
 المرام (جزاء كسبا) أي ذلك القطع جزاء على فعلهم (تكالامن الله) أي عقوبة منه
 تقول نكلت به اذا فعلت به ما يجب ان يشك به عن ذلك الفعل وعن قتادة قال لا تروا

(٨ فتح البيان ثالث) رواه البخاري وذلك مخصوص بالمعنى وهو ان المقصود من النفي الصون وذلك مقتود في نفي النساء والله
 أعلم والثاني ان الامة اذا زنت فليخلصن بعد الاحسان وتضرب تأديغا غير محدود وبعدها محصور وقد تقدم ما رواه ابن جرير عن
 سعيد بن جبيرة انها لا تضرب قبل الاحسان وان اراد نفيه فيكون مذهبنا بالتأويل والا فهو كالقول الثاني القول الآخر انها تجلد
 قبل الاحسان مائة وبعدها خمسين كما هو المشهور عن داود وهو أضعف الأقوال انها تجلد قبل الاحسان خمسين وترجم بعده وهو
 قول أبي ثور وهو ضعيف ايضا والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم أي انما يحياح نكاح

الامام الشرط المتقدم لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا وشق عليه الصبر عن الجماع وعنت نسب ذلك كله فله حشد
 أن يتزوج بالامانة وان ترك تزوجها وجاهد نفسه في الكف عن الزنا فهو خير له لأنه اذا تزوجها جاء اولاده ارقاء السيدها الا ان
 يكون الزوج غريباً فلا تكون اولادهم ارقاء في قول قديم للشافعي ولهذا قال وان نصبر واخبر لكم والله غفور رحيم ومن
 هذه الآية الكريمة استدلل جمهور العلماء في جواز نكاح الاماء على انه لا يضمن عدم الطول لنكاح الحرة ومن خوف الغت
 لما في نكاحهن من مفسدة رق الاولاد (٥٨) ولم يفتن من الزنا في العدول عن الحرة الى الرق وخالف الجمهور

لهم فيه فانه امر الله الذي امر به قال وذ كرنا ان عمر بن الخطاب كان يقول استندوا على
 القساق واجعلواهم يدايد اورجلارجلالا (والله عزير) غالب في انتقامه من عصاة لا يعارض
 في حكمه (حكيم) فيما اوجه من قطع يد السارق (فن تاب من بعد ظلمه) السياق يقيد ان
 المراد بالظلم هنا السرقة في فن تاب من بعد سرقة (واصلح) امره ولكن اللفظ عام فيقبل
 السارق وغيره من المذنبين والاعتبار بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب (فان الله يتوب
 عليه) اي يغفر له ويتجاوز عنه ويقل بوبته (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) رحمه وقد
 استدلل بهذا عطاء ومجاعة على ان القطع بسقط التوبة وليس هذا الاستدلال بصحيح لان
 هذه الجلة الشرطية لا تفيد الجرح بقول التوبة وليس فيها ما يفيد انه لا قطع على التائب
 وقد كان في زمن النبوة يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وجب عليه خذاً تباع
 الذنب الذي ارتكبه طال بالالتصير ما لم يحد فحده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد روى عن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال السارق بعد قطعه تب الى الله ثم قال تاب الله عليك
 اخرج الدارقني من حديث أبي هريرة وأخرج احمد وغيره ان هذه الآية ترات في المرأة
 التي كانت تسرق المتاع ما قالت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد قطعها هل لي بوبه وقد ورد
 في السنة المطهرة ما يدل على ان الحدود اذا رفعت الى الائمة ونجت وامنع اسقاطها وان
 عقابه قبل الرفع الى الامام سقط القطع وعليه الشافعي (الم تعلم ان الله له ملك السموات
 والارض) هذا الاستفهام للانكار مع تقرير العلم وهو كالعنوان لقوله (بعد من يشاء)
 اي من كان له ملك السموات والارض فهو قادر على هذا التعذيب الموكول الى المشيئة
 والمغفرة الموكولة اليها والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع الناس
 وقيل الخطاب لكل فرد من الناس (ويغفر لمن يشاء) وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في
 مقابلة السرقة المقدمة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم وجوب
 الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الآية دالة على ان التعذيب والرحمة مقضيان الى
 المشيئة والوجوب ينافي ذلك (والله على كل شئ قدير) لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه
 (يا أيها الرسول) هذا خطاب تشریف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بآياتها
 التي في مواضع من كتابه وبآيات الرسول في مواضعين هذا أحد دعما والاخر قوله تعالى
 يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك (لا يهزئك الذين يسارعون في الكفر) اي لا تهتم

أبوحنيفة وأصحابه في اشتراط
 الامر من فقالوا متى لم يكن الرجل
 من زوجا بجزء جازل نكاح الامانة
 المؤمنة والكفاية أيضا سواء كان
 واجد الطول حرة أم لا وسواء
 خاف الغت أم لا وعدهم فيما
 ذهبوا اليه قوله تعالى والمحصنات
 من الذين أووا الكتاب من قبلكم
 اي العفاف وهو يوم الحرة والامانة
 وهذه الآية عامة وهذه ايضا ظاهرة
 في الدلالة على ما قاله الجمهور والله أعلم
 (يريد الله ليسن لكم ويريدكم سنن
 الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله
 عليم حكيم) والله يريد ان يتوب
 عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات
 أن يتوبوا ميسلا عظيما يريد الله أن
 يخفف عنكم وخلق الانسان
 ضعيفا) يخبر تعالى انه يريد أن يبين
 لكم أيها المؤمنون ما احل لكم
 وحرم عليكم مما تقدم ذكره في هذه
 السورة وغيرها ويريدكم سنن الذين
 من قبلكم يعني طرائقهم الحيدة
 واتباع شرائع التي يحبها ويرضاها
 ويتوب عليكم اي من الاثم والمحرم
 والله عليم حكيم اي في شرعه وقدره
 وأفعاله وأقواله وقوله ويريد الذين

يتبعون الشهوات أن يتوبوا ميسلا عظيما أي يريد أن يتابع الشياطين من اليهود والنصارى والزنادقة أن يتبعوا عن
 الحق الى الباطل ميسلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم اي في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم ولهذا آياح الامام بشرط كما
 قال مجاهد وغيره وخلق الانسان ضعيفا فافسده الخفيف الضعيف في نفسه وضعف عزمه وهنمه وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن
 اسماعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن طاووس عن أبيه وخلق الانسان ضعيفا اي في أمر النساء وقال وكيع يذهب
 عقده عندهن وقال موسى الحكيم عليه السلام لتبيننا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حين مر عليه راجعا من عند سدرة

المتنبي فقال له ماذا فرض عليكم فقال أحمر في خمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال له ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فاني قد باوت الناس قبلك على ما هو أقل من ذلك فحجزوا وان أمتك أضعف أضعافاً مضاعفة وأصاروا قلوباً فارجع فوضع عشرة ثم رجع الى موسى فلم يزل كذلك حتى بقيت خمسة الحديث (أيام الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تسألوا أنفسهم ان الله كان بكم رحيماً ومن يفعل ذلك عدواً وظالمات سوف تصلبه ناراً وكان ذلك على الله يسيراً ان يحببتوا بكراً ما فتنون عنه تكفروا عنكم سيئاتكم (٥٩) ويدخلكم مدخلا كريماً) ينهى تبارك

وتعالى عباده المؤمنين عن أن يأكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الخيل وان ظهرت في غالب الحكم الشرعي مما يعلم الله ان متاعها غير مرغوب فيه الخيلة على الربا حتى قال ابن جرير حدثني ابن المتني حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس في الرجل يشتري من الرجل الثوب فيقول ان رضىته أخذته والارددت معه درهماً قال هو الذي قال الله عز وجل فسه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب المصلي حدثنا ابن الفضل عن داود الايدي عن عامر عن عاتمة عن عبد الله في الآية قال انها محكمة ما نسخت ولا تنسخ الى يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون ان الله قد نهانا ان نأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل أموالنا فلا يحل لاحدنا ان يأكل عند

ولا تسألهم فاني ناصر لعلهم وكافيت شرهم والخرن والخرن خلاف السرور وحرن الرجل بالكسر فهو حرن وحرين وأخرنه غيره قال اليزيدي حرنه لغته قريش وأخرنه لغته تميم وقد قرئ بهما وفي الآية انتهى له صلى الله عليه وآله وسلم عن التأثر لتسارعة الكفرة في كفرهم تأثر بالبعاع الى بلغ وجهه وأكده فان النبي عن أسباب الشيء ومبادئه ينهى عنه بالطريق البرهاني وقطع له من أصله لان الله سبحانه قد وعد في غير موطن بالصر عليهم والمساومة الى الشيء الوقوع فيه سرعة والمراد هنا وقوعهم في الكفر بسرعة عند وجود فرصة وأثر لفظ في على لفظ الى للدلالة على استقراءهم فيه والمساورة هم اليهود قاله ابن عباس (من الذين قالوا) من بيانية وبالجملة مبينة للمساورة في الكفر وهؤلاء الذين قالوا (أمنابا فوهمهم) بالسنتهم (ولم تؤمن قالوهم) هم المنافقون قاله ابن عباس والمعنى ان المساورة في الكفر طائفة من المنافقين (ومن الذين هادوا) أي وطائفة من اليهود قال الزجاج الكلام ثم عند قوله هادوا ابتدأ الكلام بقوله (سماعون للكذب) وهذا راجع الى الفريقين أو الى المساورة واللام في قوله الكذب للتقوية أو لتضمين السماع معنى القول وقيل معناه من الذين هادوا قوم قاتلون الكذب من رؤسائهم المخربين للتوراة (سماعون) أي أكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاجل الكذب عليه (قوم آخرين) وجهوهم عيوناً وجوايس لهم لاجل ان يبلغوهم ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال القراء ويجوز سماعين كما قال ملعونين أي بائعاتهم والاصل ان هؤلاء القوم من اليهود ولهم صفتان سماع الكذب من اخبارهم ونقله الى عوامهم وسماع الحق منك ونقله الى اخبارهم ليحرفوه (لم يأتوا) صفة لقوم أي لم يحضر واجلسك وهم طائفة من اليهود كانوا ليحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تكبراً وتمرداً وقيل هم جماعة من المنافقين كانوا يتجنبون مجالس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (يحترقون الكلام) الذي في التوراة كآية الرجم أي يربونه ويعاقبونه ويتأولونه على غير تأويله والمخربون هم اليهود قال القسطلاني في ارشاد الساري وقد صرح كثير بان اليهود والنصارى بدلوا ألفاظاً كثيرة من التوراة والانجيل وأتوا بغيرها من قبل أنفسهم وحرفوا أيضاً كثيراً من المعاني تأويلها على غير الوجه ومنهم من قال انهم بدلوها كليها من ثم قيل باسمها ثم هو في نظر اذا الآيات والابحار كثيرة في انه بقي منها اشياء كثيرة لم تبدل منها الآية الذين يتبعون الرسول

أحد فكيف للناس فأنزل الله بعد ذلك ليس على الاعمى حرج الآية وكذا قال قتادة وقوله تعالى الآن تكون تجارة عن تراض منكم قرئ تجارة بالرفع والنصب وهو استثناء منقطع كأنه يقول لا تتعاطوا الاسباب المحرمة في اكتساب الاموال لكن المتساجر المشروعة التي تكون عن تراض من البائع والمشتري فافعلوها وتسيروا بها في تحصيل الاموال كما قال تعالى ولا تقاتلوا أنفسكم التي حرم الله الاباحق وكقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ومن هذه الآية الكريمة احتج الشافعي على انه لا يصح البيع الا بالقبول لانه يدل على التراضي فصالح خلاف المعاطاة فانها اقل لا تدل على الرضا ولا بدو خالف الجمهور في ذلك مالك وأبو حنيفة وأحمد

قرا وأأن الأقال كاتدل على التراضى فكذلك الأفعال تدل فى بعض المحال قطعاً فصحبوا بيع المعاطاة مطلقاً ومنهم من قال ببيع فى المحقرات وفيما بعده الناس بيعاً وهو احتياط نظراً من تحقيق المذهب والله أعلم وقال مجاهد الآن تكون بحارة عن تراض منكم بيعاً أو عطياً يعطيه أحد أو رواد ابن جرير قال واحدنا وكسج حدثنا أبي عن القاسم عن سليمان الجعفي عن إسماعيل بن ميمون بن مهران قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيع عن تراض والخيار بعد الصفة ولا يحل لمسلم أن يغش مسلماً أحد حدث مرسل ومن قام التراضى أثبت خيار (٦٠) المجلس كاتبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وفى لفظ البخارى إذا تباع

الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وذهب إلى القول بيقضى هذا الحديث أحد والشافعى وأصحابهما وجهور السلف واختلف ومن ذلك مشروعة خيار الشرط بعد العقد إلى ثلاثة أيام بحسب ما يتبين فيه مال البيع ولو إلى سنة فى القرية ونحوها كما هو المشهور عن مالك رحمه الله وصحبوا بيع المعاطاة مطلقاً وهو قول فى مذهب الشافعى ومنهم من قال يصح بيع المعاطاة فى المحقرات فيما بعده الناس بيعاً وهو اختيار طائفة من الأصحاب كما هو متفق عليه وقوله ولا تقتلوا أنفسكم أى بارتكاب محارم الله وتعاطى معاصيه وأكل أموالكم بينكم بالباطل أن الله كان بكم رحيماً أى فيأمركم بدونها كم عنه وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال لما بعته النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتملت فى ليلة ناردة شديدة

النبي الأحمى وقصة رجم اليهوديين وقيل التبدل وقع فى اليسير منه ما قيل وقع فى المعانى لافى الالفاظ وفيه نظر فقد وجدنى الكابن مالا يجوز أن يكون بهذه الالفاظ من عند الله أصلاً وقد نقل بعضهم الإجماع على أنه لا يجوز الاشتغال بالثورة ولا النجيل ولا كاتبت ما ولا نظرها وعند أحد والبراز واللفظ له من حديث جابر قال نسخ عمر كاتبت ما ولا نظرها به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يقرأ وأوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم صغير فقال له رجل من الأنصار ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فأنهم لن يهدوكم وقد ضلوا وأنكم أماناً تكذبون بحق أو تصدقوا بإباطل والله لو كان موسى بين أظهركم ما حله إلا ما عى وروى فى ذلك أحاديث أخر كلها ضعيف لكن مجموعها يقتضى أنها أصلاً قال الحافظ بن حجر فى الفتح ومنه نلصت ما ذكرته والذي يظهر أن كراهة ذلك للتسوية لا للحرز والاولى فى هذه المسئلة التفرقة بين من لم يتمكن ويصير من الراسخين فى الإيمان فلا يجوز له النظر فى شئ من ذلك بخلاف الراسخ فيه ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف وبدل له نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة والزمامم التصديق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بما يستخرجونه من كتابهم وأما الاستدلال بالحرز بما ورد من غضبه صلى الله عليه وآله وسلم فله قد ورد بأنه قد يغضب من فعل المكروه ومن فعل ما هو خلاف الأولى إذا صدر عن لا يملئ بذلك كغضبه من تطويل معاذ الصلاة بالقراءة انتهى أقول وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة فى سورة التوبة بطول من ذلك وقد قال جماعة من أهل المعرفة بالتجصيص بأن الحرز فى الواقع فى التوراة معنوى لا لفظى والله هذه خبر الامة وتزجج القرآن ابن عباس والشيخ ولوى الله المحدث الدهس لوى فى الفوز الكبير وغيرهما والله سبحانه أعلم (من بعد) كونه موضوعاً فى (مواضعه) أو من بعد وضعه فى مواضعه التى وضعه الله فيها من حيث لفظه أو من حيث بعناه أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأته زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تجدون فى التوراة قالوا نفضحهم ويحللون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فأو بالتوراة فذكرها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال عبد الله بن سلام أرفع يدك فرفعها فآية الرجم

البرد فاشفت ان اغتسلت أن أهلك فتمت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال يا عمر وصليت بأصحابك وأنت حنب قال قلت يا رسول الله انى احتملت فى ليلة باردة شديدة البرد فاشفت ان اغتسلت أن أهلك نذكر قول الله عز وجل ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً فتمت ثم صليت فبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً وهكذا رواه أبو داود ومن حديث يحيى بن أبوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضاً عن محمد بن أبى سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر بن الحزرت كلاهما عن يزيد بن أبى حبيب عن عمران بن أبى أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصبرى عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه وهذا والله أعلم أشبه بالصواب وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحمن بن محمد

ابن حامد البخني حدثنا محمد بن صالح بن سهل البخني حدثنا بن عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يوسف بن خالد حدثنا زياد بن سعد عن عكرمة عن ابن عباس أن عمرو بن العاص صلى بالناس وهو جيب فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا ذلله فذعاه فسأله عن ذلك فقال يا رسول الله خفت أن يقتلني البرد وقد قال الله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم الآية فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أورد ابن مردويه عن هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أي صالح عن أي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بجديدة فحديثة في يده يجأ به يوم القيامة (٦١) في نار جهنم خالد بن محمد فافيا أبدا ومن قتل نفسه

بسم تردى بفضمه في يده يتجأ به في نار جهنم خالد بن محمد فافيا أبدا وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بضمه وعن أي قلابه عن ثابت بن الضحالة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل نفسه بشي عذب به يوم القيامة وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أي قلابه وفي الصحيحين من حديث الحسن بن حنبل عن عبد الله الجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل من كان قبلكم وكان به جرح فاخذوا سكيناً فخرجه يده فخرقوا الدم حتى مات قال الله عز وجل عبدى يادري بنفسه حرمت عليه الجنة وله ذلك قال تعالى ومن يفعل ذلك عذبناه عذاباً عظيماً

فأما صدق فأمرهم ما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجوا وقال الحسن في الآية أنهم يغيرون ما يسعون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكذب عليه والاولى وأولى وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلام فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به وفيه بعد يقولون ان أو يتيم هذا الإشارة الى الكلام المحرف أي قال هو فذلك ليهود المدينة أو يتيم من جهة محمد بهذا الكلام الذي حرقت أداي الجلد (تفذه) واعلموا به (وان لم تؤنوه) بل جاءكم بغيره وأفتاكم بخلافه (فاحذروا) من قبوله والعمل به (ومن يرد الله فنتنه) أي ضلأته (فإن عظماء من الله شياً) أي فلا تستطيع دفع ذلك عنه ولا تقدر على نفعه وهذا يشهد هذه الجلة مستأنفة مقرر لما قبلها وظاهرها العموم ويدخل فيها هؤلاء الذين ساق الكلام معهم دخولا أولاً (أولئك) الإشارة الى من تقدم ذكرهم من الذين قالوا آمنا بأفواههم ومن الذين هادوا وما في اسم الإشارة من معنى البعد لا يذنبان يبعدهن لهن في الفساد الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم أي لم يرد نطهيرها من أرجاس الكفر والنفاق وخبث الضلالة كما ظهر قلوب المؤمنين والجملة استئناف معين لكون ارادة تعالى لقتلهم منوطه بسوء اختيارهم وقبح صنعهم الموجب لها والواقعة منه تعالى استدعاء وفي هذه الآية دلالة على أن الله تعالى لم يرد أسلام الكافر وأنه لم يظهر قلبه من الشرك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية من أشد الآيات على القدرة (لهم في الدنيا خزي) بظهور نفاق المنافقين وبضرب الجزية على الكافرين وظهور فقرهم وقبحهم وكتمهم لما أنزل الله في التوراة (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) يعني الخلو في النار (سماعون للكذب) كرهتاً كبد القبح وليكون كالمقدمة لما بعده وهو (أكلون السحت) وهو بضم السين وسكون الحاء المال الحرام وأصله الهلاك والشدة من سحته إذا هلكه ومنه فنيحتكم بعداب ويقال للمعاني سحت أي استأصل وسمى الحرام سحتاً لأنه يسحت الطاعات أي يذهبها يستأصلها وقال الفراء أصله كلب الجوع وقيل هو الرشوة والاولى وأولى والرشوة تدخل في الحرام دخولا أولاً وقد فسره جماعة بجمع من أنواع الحرام خاص كالهدية لمن يقضى له حاجة أو حلوان الكاهن والتعميم أولى بالصواب قال ابن عباس أخذوا الرشوة في الحكم وقضوا بالكذب وعن ابن مسعود قال السحت الرشوة في الدين وقال سفيان في الحكم وعن ابن عباس قال رشوة الحكم حرام وهي السحت الذي ذكر الله تعالى في كتابه

يحبثوا كآثر ماتنهن عنه تكفر عنكم سيا تكلم الآية أي إذا اجتنبت كآثر الام التي نهيت عنها كفرنا عنكم صغار الذنوب وأدخلناكم الجنة ولهذا قال وندخلكم مدخلا كريماً وقال الحافظ أبو بكر البرز حدثنا مؤيد بن هشام حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا خالد بن أيوب عن معاوية بن قرة عن أنس رفعه قال لم نرى مثل الذي بلغنا عن ربنا عز وجل ثم لم نخرج له عن كل أهل ومال ان تجاوز لنا عادون الكآثر يقول الله ان يحبثوا كآثر ماتنهن عنه تكفر عنكم سيا تكلم الآية وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلقد كرمها ما تيسر قال الامام أحمد حدثنا هشيم عن مغيرة عن أي معشر عن ابراهيم عن مربي عن الضبي عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أن تدري ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جبع الله فيه أباًكم قال لكن أدري

ما يوم الجمعة لا يظهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فيسبى حتى يقضى الامام صلواته ان كانت كفارة لما بينهما وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وقد روى البخاري من وجه آخر عن سلمان نحوه وقال ابو جعفر بن جرير حدثني المنني حدثنا اوصالح حدثنا الليث حدثني خالد بن سعيد بن ابي هلال عن نعيم المجر اخبرني صهيب مولى الصواري انه سمع ابا هريرة رآه باسعد بن قولا ان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم اقام قال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم اكب فاكب كل رجل منا بيكي لاندري ماذا حلف عليه ثم رفع رأسه وفي وجهه البشري فكان (٦٢) أحب اليان من جر التمع فقال ما من عبد لي في الصلوات الخمس ويصوم

وعن علي انه سئل عن السحت فقال الرشى فقبل له في الحكم قال ذلك الكفر وعن عمر قال ما بان من السحت يا كلهم الناس الرشى في الحكم وبهر الزانية وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تحريم الرشوة ما هو معروف وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعن الله الراشي والمرشئ في الحكم أخرجه الترمذي وأخرجه أبو داود عن ابن عمرو بن العاص (فان جأول فاحكمهم بينهم) وأعرض عنهم) فيه تحيير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الحكم بينهم والاعراض عنهم وقد استدلل به على ان حكم المسلمين مخير بين الامرين وقد أجمع العلماء على انه يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بين المسلم والمسلم والذي اذا ترافعا اليهم واختلفوا في أهل الذمة اذا ترافعوا فيما بينهم فذهب قوم الى التخيير وبه قال الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال أحمد وذهب آخرون الى الوجوب وقالوا ان هذه الآية منسوخة بقوله: وأن احكم بينهم بما أنزل الله وبه قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز والسدي وهو الصحيح من قول الشافعي وحكاة القرطبي عن أكثر العلماء وليس في هذه السورة منسوخ الا هذا وقوله ولا أمين البيت على من سبق (و) معنى (ان تعرض عنهم) ان اخترت الاعراض عن الحكم بينهم (قلن يضرنك شيئا) أي اذا عاودوك لا عراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس ولا سبيل لهم عليك لانه سبحانه حافظك وناصرك عليهم (وان حكمت) أي اخترت الحكم بينهم (فاحكمهم بينهم بالقسط) أي بالعدل الذي أمرك الله به وأمره عليك (ان الله يحب المقسطين) العادلين فيما ولوا وحكموا فيه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان المقسطين عبد الله على منابر من نور عن عيينة الرخن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا أخرجه مسلم (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فيه تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من تحكيمهم اياه مع كونهم لا يؤمنون به ولا بما جاء به مع ان يحكمونه فيه موجود عندهم في التوراة كالرحم ونحوه وانما يأتون اليه صلى الله عليه وآله وسلم ويحكمونه طمعاً منهم في ان يوافق تحريفهم وما صنعوا بالتوراة من التغير (ثم يقولون من بعد ذلك) أي من بعد تحكيمهم لك وحكمك الموافق لما في كتابهم (وما أولئك بالمؤمنين) بل أولئك بكتابهم كايديهم ويزعمون لا عراضهم عنه أولوا وعما يوافقونه ثانياً وهذا جلة

رمضان ويخرج الزكوة فيجب الكاثر السبع الا فتحت له أبواب الجنة قبل ان يدخل بسلام وهكذا رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث الليث بن سعد به ورواه الحاكم أيضاً وابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن ابي هلال بن م قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تفسير هذه السبع وذلك مما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم بن أبي النقيث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قبل يارسول الله وما هن قال اشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والسحر واكل الربا واكل مال اليتيم واتولى يوم الزحف وقذف الحصنات الغافلات المؤمنات طريق أخرى عنه قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا فهد بن عوف حدثنا ابو عوانة عن عمرو بن ابي سلمة عن ابيه عن ابي هريرة عن فوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكاثر سبع اولها الاشرك بالله ثم قتل النفس بغير حقها وأكل

الربا وأكل مال اليتيم إلى أن يكبروا والقرآن الزحف ورمي الحصنات والانقلاب الى الاعراب بعد الهجرة فالنص مقرة على هذه السبع بانها كائن لا يتي ما عداهن الا عند من يقول بجهوم القلب وهو ضعيف عند عدم القرينة ولا سيما عند قيام الدليل بالمنطوق على عدم انهموم كاستنوردهم من الاحاديث المتضمنة من الكاثر غير هذه السبع في ذلك ما رواه الحاكم في مستدركه حيث قال حدثنا أحمد بن كامل القاضي املاء حدثنا أبو قلابه عبد الملك بن محمد حدثنا معاذ بن هاني حدثنا حارث بن شداد حدثنا يحيى بن أبي كثير عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمر عن أبيه يعني عمر بن قنادة رضي الله عنه انه حدثه وكانت له حبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حبة الوداع ألا ان أولياء الله الصالحون من يقيم الصلوات الخمس التي كتب الله عليه ويصوم

رمضان ويحتسب صومه يرى أنه عليه حق ويعطى زكاة ما له يحتسبها ويحجب الكافر التي نهى الله عنها ثم
 يارسول الله ما لكائر فقال تسع (١) الشرك بالله وقتل نفس مؤمن بغير حق وفرا يوم الزحف وأكل مال اليتيم
 وقذف المحصنة وعقوق الوالدين المسلمين واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا لا يموت رجل لا يعمل هؤلاء الباطل
 ويقوم الصلاة ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار صانعاهما من ذهب هكذا رواه البخاري ثم مطولا وقد أخرجه أبو
 داود والنسائي مختصرا من حديث معاذ بن هاني به وكذا رواه ابن أبي (٦٣) حاتم من حديثه مبسوطا ثم قال البخاري كبرجالة
 كلهم يخرجهم في الصبحين إلا عبد
 الجيد بن سنان قلت وهو بخاري
 لا يعرف إلا بهذا الحديث وقد ذكره
 ابن حبان في كتاب الثقات وقال
 البخاري في حديثه نظر وقد رواه ابن
 جريح بن سليمان بن ثابت البخاري
 عن سالم بن سالم عن أيوب بن عتبة
 عن يحيى بن أبي كثير عن عبيد بن عمير
 عن أبيه فذكره ولم يذكر في الأسناد عبد
 الجيد بن سنان والله أعلم حديث آخر
 في معنى ما تقدم قال ابن مردويه
 حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا
 أحمد بن يونس حدثنا يحيى بن عبد
 الحميد حدثنا عبد العزيز بن مسلم
 ابن الوليد عن المطلب عن عبد الله
 ابن حنظلة عن ابن عمر قال سعد
 النبي صلى الله عليه وسلم المذنب فقال
 لا أقسم لأقسم ثم نزل فقال ابشروا
 ابشروا من صلي الصلوات الخمس
 واجتنب الكبائر السبع نودي من
 أبواب الجنة أدخل قال عبد العزيز
 لا أعلمه قال الإسلام وقال المطلب
 سمعت من سأل عبد الله بن عمرو
 سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسأله كره قال نعم عقوق الوالدين
 وأشر إلى الله وقتل النفس وقذف
 المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار

مقرر من مضمون ما قبلها (أنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) استئناف يتضمن تعظيم
 التوراة وتفخيم شأنها وان فيها بيان الشرائع والتبشير بمحمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وإيجاب اتباعه (يحكم بها النبيون) هم أنبياء بني إسرائيل وبه تمسك من ذهب
 إلى أن شريعة من قبلنا شريعة لنا لم نسخها والمراد بالنبين الذي يعثوا بعد موسى وذلك أن
 الله بعث فيهم أولوفان الأنبياء ليس معهم كتاب أتعثوا بأقامة التوراة وأحكامها وجل
 الناس عليها والجله أماما مستأنفة أو حالية (الذين أسلموا) صفحة مادية للنبين وفيه
 إرغام لليهود المعاصرين له صلى الله عليه وآله وسلم بأن أنبياءهم كانوا يذنبون بدين
 الإسلام الذي ادان به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقبل المراد بالنبين محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم وعبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الجمع تعظيما قال ابن الأنباري
 هذا رد على اليهود والنصارى لأن الأنبياء ما كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية
 بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لأمره ونهيه والعمل بكتابه (الذين هادوا)
 متعلق بحكمهم والمعنى أنه يحكم بها النبيون الذين هادوا قال الزجاج جائز أن يكون
 المعنى على التقديم والتأخير على معنى فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون
 الذين أسلموا واللام مالم يبان اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أم وعليهم كما أنه
 قيل لأجل الذين هادوا أو مالم لا يذنبون بغيره للمحكوم عليه أيضا باسقاط التبعية عنه واما
 للأشعار بكامل رضاهم به وافتقارهم له كأنه نافع للفرقيين فقيهه تعريض بالحرفين
 وقيل للذين هادوا وعليهم (والرانيون) العلماء الحكماء من ولده هرون الذين اتزمو
 طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وقال الحسن الفقهاء وقال مجاهد هم فوق الإخبار
 وقال الحسن الرانيون العباد والزهاد عن ابن عباس قال الرانيون هم المؤمنون
 والإخبار هم القراء وقد سبق تفسيره في آل عمران (والأخبار) العلماء مأخوذ من
 التعبير وهو التحسين فهم يحبرون العلم أي يحسنونه قال الجوهرى الخبر واحد أخبار
 اليهود بالفتح والكسر والكسر أقبح وقال القراء اتعاهو بالكسر وقال أبو عبيدة
 هو بالفتح (ما استخفظوا من كتاب الله) الباء السببية ومن البيان والمعنى أمره وبالحنظ
 أي أمرهم الأنبياء يحفظوا التوراة عن التفسير والتبديل والمسهة نحو المنحصرى أى
 يحكمون بها بسبب هذا الاستحفاظ فهم خلفاء ونواب عنهم في ذلك (وكانوا عليه) أى

من الزحف وأكل الربا حديث آخر في معناه قال أبو جعفر بن جرير في التفسير حدثنا يعقوب
 عن طلبه بن مينا قال كنت مع (٢) فاصب ذنوبا لأراها الأمن الكبار فقلت ابن عمر فقلت له أى أصبت ذنوبا
 لأراها الأمن الكبار قال ما هى قلت أصبت كذا وكذا قال ليس من الكبائر قال قال
 أنى لم يسمه طيلة قال هى تسع (٣) وسأعدهن عليك الأشرار بالله وقتل النفس بغير حقها والفرار من الزحف وقذف
 المحصنة وكل (١) قوله تسع الخ هكذا في النسخ وحرر العدد اه معججه
 (٢) بياض بالاصل اه معججه
 (٣) قوله تسع الخ حرر العدد والرواية أنهن معججه

الربا وأكل مال اليتيم ظلما والحداد في المسجد الحرام والذي يستخير وبكاء الوالد من العقوق قال زياد وقال طيلة لما رأى ابن عمر
 زورفي قال اتخاف أن تذهبا قلت نعم قال وتجب أن تدخل الجنة قلت نعم قال أي والدك قلت عند أي قال فوالله لا
 أنت أنت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخل الجنة المجتبت الموحبات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا سليمان بن نابي
 الجذري الواسطي أن أسامة بن سلام حدثنا أيوب بن عتبة عن طيلة بن علي النهدي قال أنت ابن عمر وهو في ظل الراب يوم عرفة
 وهو يصب الماء على رأسه ووجهه قلت (٦٤) أخبرني عن الكبار قال هي تسع قلت ما هي قال الأشرار بالله وقذف المحصنة

على كتاب الله والله حق (شهداء) أي رقباء يحمونه عن التغيير والتبديل هذه المراقبة (فلا
 تخشوا الناس) بأروساء اليهود فتكتموا ما أنزلت من نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 والرحم وغيرهما (واخشون) في كتمان ذلك (ولا تشعروا) أي لا تستبدلوا (بأياتي غفلا قللا)
 من الدنيا على أن تكتموا ما أنزلت وقال ابن زيد لا تأكلوا السحت على كتابي يعني الرشوة
 وقد تقدم تحقيقه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) لفظ من من صيغ العموم فبعد أن هذا غير
 مختص بطائفة معينة بل لكل من ولي الحكم وهو الأولي وبه قال السدي وقيل أنها مختصة
 بأهل الكتاب وقيل بالكفار مطلقا لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة قوله قال ابن عباس
 وقادة الضعفاء وقيل في خصوص بني قريظة والنضير وعن البراء بن عازب قال أنزل الله
 هذه الآيات الثلاث في الكفار أخرجه مسلم وقال ابن مسعود والحسن والتحي هذه
 الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الأمة فكل من ارتشى وحكم بغير حكم الله فقد
 كفر وظلم وفسق وهو الأولي لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل هو
 محمول على أن الحكم بغير ما أنزل الله وقع استخفا فلا واستحلالا أو سجدا قاله أبو السعد
 والاشارة بقوله (فاولئك) إلى من والجمع باعتبار معناه وكذلك ضمير الجماعة في قوله (هم
 الكافرون) ذكر الكفر هنا قاله أبو حيان قال ابن عباس يقول من يجحد الحكم بما أنزل
 الله فقد كفر ومن أقرب به ولم يحكم فهو ظالم فاسق وعنه قال أنه ليس بالكفر الذي يذهبون
 إليه وأنه ليس كفر ينقل من الله بل كفر دون كفر وقال عطاء هم الظالمون هم الفاسقون
 هم الكافرون قال كفرون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وعن ابن عباس قال
 نزلت في اليهود خاصة وقد روي نحوه هذه عن جماعة من السلف وعن حذيفة بن يمدني
 أن هذه الآيات نزلت في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الإخوة أكرمهم بنوا إسرائيل
 والفاسقون فقال رجل إن هذا في بني إسرائيل فقال حذيفة نعم الإخوة أكرمهم بنوا إسرائيل
 أن كان الحكم كل حال قوله - كل مرة كلا والله لتسلكن طريقهم فقد أشرار وعنه ابن
 عباس فسحوه وأقول هذه الآية وإن نزلت في اليهود لكنها ليست مختصة بهم لأن الاعتبار
 بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكلمة من وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم
 فهذه الآية الكريمة متناهية لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو الكتاب والسنة والمقلد

قلت مثل قتل النفس قال نعم
 ورغما قتل النفس المؤمنة والنار
 من الزحف والسحروا كل الربا
 وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين
 المسلمين والمجانين الحرام قبلتكم
 أحياء أو أمواتا هكذا رواه من هذين
 الطريقين وهو قونا وقد رواه علي بن
 الجعد عن أيوب بن عتبة عن
 طيلة بن علي قال أنت ابن عمر
 عشيمة عرفة وهو صحت ظل أراك
 وهو يصب الماء على رأسه فسأله
 عن الكفار فقال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول هن
 سبع قال قلت وما هن قال
 الأشرار بالله وقذف المحصنات
 قال قلت مثل الدم قال نعم ورغما
 وقتل النفس المؤمنة والفرار من
 الزحف والسحروا كل الربا وأكل
 مال اليتيم وعقوق الوالدين والحداد
 باليت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا
 وهكذا رواه الحسن بن موسى
 الأشيب عن أيوب بن عتبة اليماني
 وفيه ضعف والله أعلم حديث آخر
 قال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن
 عدى حدثنا بقة عن يحيى بن سعد
 عن خالد بن معدان أن أبا رهم السلمي
 حدثهم عن أبي أيوب قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من عبد الله لا يشرك به شيئا وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان واجتنب
 الكافر فدخل الجنة فسأله رجل ما الكافر فقال الشر بالله وقتل نفس مسلمة والفرار يوم الزحف ورواه أحمد
 أيضا والنسائي من غير وجه عن بقة حديث آخر روى ابن مردويه عن طريق سليمان بن داود الماني وهو ضعيف عن الزهري عن
 الحافظ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن كتابا فيه القرائن
 والسنة والنبات وبعث به مع عمرو بن حزم قال وكان في الكتاب أن أكبر الكبار عند الله يوم القيامة أشرار بالله وقتل النفس

المؤمنين بغزوة الزور قال الامام احمد حدثنا محمد بن حعفر حدثنا شعبة حدثني عبد الله بن ابي بكر قال سمعت انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفار ووسئل عن الكفار فقال الشرك بالله وقتل نفس وعقوق الوالدين وقال الانتم كنتم اكبر الكفار قلنا بلى قال الاشرار بالله وقول الزور وشهادة الزور أخرجه من حديث شعبة به وقدرناه ابن مردويه من طريقين آخرين غير يسين عن انس بخوه حديث آخر أخرجه الشيخان من (٦٥) حديث عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال

لا يدعي انه حكم بما أنزل الله بل يقر أنه حكم بقول العالم القلاني وهو لا يدري هل ذلك الحكم الذي حكم به هو من محض رأيه أم من المسائل التي استدلل عليها بالدليل ثم لا يدري أهو أصاب في الاستدلال أم أخطأ وهل أخذ بالدليل القوي أم الضعيف فأنظر رامسكين ماذا صنعت بنفسك فأنك لم يكن جهلك مقصورا عليك بل جهلك على عباد الله فأرت الدماء وأقت الخدود وهتك الحرم بما لا تدري ففبح الله الجهل بما أنزله واسماياذا جعل صاحبه شرعا ودينه وللسمكين فإنه طاعوت عند التحقيق وان ستر من التلبس بستر رقيق فأيها المقلد اخبرناي القضاة أنت من الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار فاما الذي في الجنة فمَنْ عرف الحق ففرض به ورجل عرف الحق فحارق الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار أخرجه أبو داود وابن ماجه عن بريدة فبالله عليك هل قضيت بالحق وأنت تعلم انه الحق ان قلت نعم فانت وسائر أهل العلم بشهدون بانك كاذب لانك معترف بانك لا تعلم ما الحق وكذلك سائر الناس يحكمون عليك به من غير فرق بين حجتهم ومقلدون قالت بل قضيت بما قاله امامي ولا تدري أحق هو أم باطل كما هو شأن كل مقلد على وجه الارض فانت باقرارك هذا أحد رجلين اما قضيت بالحق ولا تعلم انه الحق أو قضيت بغير الحق لان ذلك الحكم الذي حكمت به هو لا يخالفون أحد الامر من امان أن يكون حقا واما أن يكون غير حق وعلى كلا التقديرين فانت من قضاة النار بضع الصادق المختار وهذا ما أظن يتردد فيه أحد من اهل الفهم لاهرين أحد هما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل القضاة ثلاثة وبين صفة كل واحد منهم ببيان يفهمه المقصر والكامل والعالم والجاهل الثاني ان المقلد لا يدعي أنه يعلم ما هو حق من كلام امامه وما هو باطل بل يقر على نفسه انه يقبل قول الغير ولا يطالبه بحجة وانه لا يعقل الخجة اذا حاجته فافاد هذا انه حكم بشئ لا يدري ما هو وان وافق الحق فهو وقضى بالحق ولا يدري انه الحق وان لم يوافق الحق فهو وقضى بغير الحق وهذا ان هما القاضيان اللذان في النار فالقاضي المقلد على كل حال ية اب في نار جهنم كما قال فائق (١)

خذ ابطن هرشی أوقفاها قانما * کلا جانی هرشی اهن طریق

وَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ لَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ وَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ لَا يَنْجُو عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ

(٩ فح البيان ثالث) من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على امه وخالته وعمته غريب من هذا الوجه طريفة اخرى رواها الخافظ أبو بكر بن مردويه من حديث عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن داود بن صالح عن سالم بن عبد الله عن ابيه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وانا سامن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم اجتمعوا بعد وفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا اعظم الكبائر فلم يكن عندهم ما ينتمون اليه فاسألوني الى عبد الله بن عمرو بن العاص اسأله عن ذلك فاخبرني ان اعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فاجرتهم سم فانكروا ذلك فوثبوا اليه حتى اتوه في داره (١) هرشي ثنية في طريق مكة قريفة من الخفية يرى منها البحر ولها طرفان فكل من سايكها كان مصيبا اه تاج اللغات

فأخبرهم أنهم قد نزلوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملكا من بني إسرائيل أخذ رجلا بخير دين أن يشرب خيرا أو يقتل
نفسا أو يرنى أو يأكل لحم خنزير أو يقبله فأختر شرب الخمر وأتوا له لما شربهم لم يتبع من شيء أراد منه وأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لنا نبيا ما من أحد يشرب خمر إلا لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ولا يعوت الخفي مناته منها شيء إلا حرم الله عليه الجنة
فإن مات في أربعين ليلة مات مسترة حاشية هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وداود بن صالح هذا هو القمار المذني مولى الأنصار
قال الامام احمد لا يرى به بأس وذكره ابن (٦٦) حبان في الثقات ولم ارا هذا أخرجه حديث آخر عن عبد الله بن عمرو وفيه ذكر

النار فأيها القاضي المقلد ما الذي أوقعك في هذه الورطة وأجأك إلى هذه العهدة التي
صرت فم أعل كل حال من أهل النار إذا دمت على قضائك ولم تقب فإن أهل المعاصي
والبطالة على اختلاف أفعالهم أرواحهم أروحي لله منك وأخوف له لأنهم على عزم التوبة
والإقلاع ويؤمنون أنفسهم عنى ما فرط منها بخلاف هذا القاضي المسكين فإنه ينادى
الله في خلواته وبعد صلواته أن يديم عليه تلك العهدة ويحرسها عن الزوال حتى لا يتمكنوا
من فعله ولا يقدر روعي عزله وقد يبدل في استمراره على ذلك نفائس الأموال ويدفع الرشا
والبراطيل لمن كان له في أمره مدخل فيجمع هذا الاقتعال بين خسران الدنيا والآخرة
ونسحق نفسه جميعا في حصول ذلك القضاء فيستري به ما النار ولا يخرج عن هذه
الأوصاف الا القليل النادر والآيات الكريمة في هذا المبنى والأحاديث الصحيحة في هذا
المعنى كثيرة جدا ولو لم تكن من الزواجر عن هذا الاهذاه الآية وهذا الحديث المقتسم
لكفت فالمقلد لا يصلح للقضاء وإنما يصح قضاء من كان مجتهدا متورعا عن أموال الناس
عادلا في القضية حاكما بالآلوية ويحرم عليه الحريص على القضاء وطليعه ولا يحل للإمام تولية
من كان كذلك ومن كان متأهلا للقضاء فهو على خطر عظيم وله مع الإصابة اجران ومع
الخطا اجران لم يأل جهدا في البحث ويحرم عليه الرشوة والهبة التي احدثت اليه لاجل
كونه قاضيا ولا يجوز له الحكم حال الغضب وعليه التسوية بين الخصمين اذا كان
أحدهما كافرا والسمع منهم ما قبل القضاء وتسهيل الحجاب بحسب الامكان ويجوز له
اتخاذ الاعوان مع الحاجة والشفاعة والاستيعاضع والارشاد إلى الصلح وحكمه بشفط ظاهر
فقط فمن قضى له بشي فلا يحل له الا اذا كان الحكم مطابقا للواقع هذا ما ذكره الشوكلي
في القول المفيد واختصر المسمى بالدرر الهيمية فان قلت اذا كان المقلد لا يصلح للقضاء ولا
يحل له ان يتولى ذلك ولا غيره أن يولي غيره يقول في المفتي المقلد قلت ان كنت تسأل عن
القبيل والقال ومذهب الرجال فالكلام في شروط المفتي وما يعتبر فيه مبسوط في كتب
الأصول والفقه وقد أوضحها الشوكاني في ارشاد النحول ونيل الاوطار والحافظ بن القيم
رحمه الله تعالى في اعلام الموقعين عن رب العالمين بما يشي العليل ويروي الغليل فان شئت
الاطلاع والاستيفاء فارجع إلى هذه الكتب يتضح لك الحق من الباطل وانطأ من

اليمين الغموس قال الامام احمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن فراس عن الشعبي عن عبد الله
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اكبر الكبائر الاشرار بالله
وعقوق الوالدين او قتل النفس شعبة
الثالث واليمين الغموس ورواه
بخاري والترمذي والنسائي من
حديث شعبة وزاد البخاري وشيبان
كلاهما عن فراس به حديث آخر
في اليمين الغموس قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب
الليث حدثنا الليث بن سعد حدثنا
هشام بن سعد عن محمد بن يزيد بن
مهاجر بن قنفذ التيمي عن أبي امامة
الانصاري عن عبد الله بن أنس
الجهني عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اكبر الكبائر الاشرار بالله
وعقوق الوالدين واليمين الغموس وما
حلف حالف بالله يمين صبر فادخل فيها
مثل جناح البعوضة الا كانت وكفة
في قلبه إلى يوم القيامة وهكذا رواه
أحمد في مسنده وعبد بن حنبل في
تفسيره كلاهما عن نونس بن محمد
المؤدب عن الليث بن سعد به وأخرجه
الترمذي عن عبد بن حنبل وقال

حسن غريب وابو امامة الانصاري هذا هو ابن تلعبة ولا يعرف اسمه وقد روى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم التواب
أحاديث قال شيخنا الحافظ أبو الجراح المزني وقد رواه عبد الرحمن بن اسحق المدني عن محمد بن زيد عن عبد الله بن أبي امامة عن أبي
عن عبد الله بن أنس فزاد عبد الله بن أبي امامة (قلت) هكذا وقع في تفسير ابن مردويه وصحيح ابن حبان من طريق عبد الرحمن بن
اسحق كما ذكره شيخنا فصح الله في أجله حديث آخر عن عبد الله بن عمرو وفي التسبب إلى شتم الوالدين قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن
عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن سعد بن أبي ابراهيم عن محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو رفعه سفيان

الى النبي صلى الله عليه وسلم ووقفه مسعر على عبد الله بن عمرو قال من الكبار ان يشتم الرجل والديه قالوا وكيف يشتم الرجل والديه
قال يب الرجل بالرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه أخرجه البخاري عن أحمد بن يوسف عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن
عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمه جند بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
من أكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قال يب الرجل بالرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب
أمه وهكذا رواه مسلم من حديث سفيان وشعبة وزيد بن الهادي ثلاثتهم عن (٦٧) سعد بن إبراهيم بهر فوعا بنحوه وقال الترمذي

الصواب ولا تكن من المعمرين (وكتبتنا عليهم في حال النفس) تقتل (بالنفس) اذا
قتلها (والعين) تنقأ (بالعين والاتف) يجدد (بالاتف والاذن) تقطع (بالاذن
والسن) تقلع (بالسن) معطوف على آرائنا التوراة بين الله سبحانه في هذه الآية
ما فرضه على بني اسرائيل من القصاص في النفس والعين والاتف والاذن والسن
والجروح وقد استدل أبو حنيفة وجماعة من أهل العلم بهذه الآية فقيلوا انه يقتل المسلم
بالذي لانه نفس وقال الشافعي وجماعة من أهل العلم ان هذه الآية تخبر عن شرع من قبلنا
وليس بشرع لنا وقد قدمنا في البقرة في شرح قوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتل
ما فيه كفاية وقد اختلف أهل العلم في شرع من قبلنا هل يلزمنا أم لا فذهب الجوهري الى انه
يلزمنا اذ لم ينسخ وهو الحق وقد ذكر ابن الصباغ في الشامل اجماع العلماء على الاحتجاج
بهذه الآية على ما دلت عليه قال ابن كثير في تفسيره وقد اجمع الائمة كلهم على ان الرجل
يقتل بالمرأة لعوم هذا الآية الكريمة انتهى وقد اوضح الشوكاني ما هو الحق في هذا في
شرح على المتن وفي هذه الآية وتوجيه اليهود وتقرير لكونهم بخالفون ما كتبه الله
عليهم في التوراة كما حكاه هنا ويفاضلون بين الانفس كما سبق بيانه وقد كانوا يقيمون بني
النضير بن بني قريظة ولا يقيمون بني قريظة من بني النضير والظاهر من التلميح القرآني
ان العين اذا قُتلت حتى لم يبق فيها مجال للادراك انها تنقأ عين الباني بها والاتف اذا
جاءت جميعها فانها تجدد ع آف الجاني بها والاذن اذا قطعت جميعها فانها تقطع اذن
الجاني بها وكذلك السن فاما لو كانت الجناية ذهبت ببعض اذراك العين أو ببعض الاتف
أو ببعض الاذن أو ببعض السن فليس في هذه الآية ما يدل على ثبوت القصاص وقد
اختلف أهل العلم في ذلك اذا كان معلوم القدر يمكن الوقوف على حقيقته وكلامهم مدون
في كتب الفروع والظاهر من قوله والسن بالسن انه لا فرق بين الثنايا والانياب
والاضرار والرباعيات وانه يؤخذ بعضها ببعض ولا يفضل بعضها على بعض واليه ذهب
أكثر أهل العلم كما قال ابن المنذر وخالف في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن تبعه
وكلامهم مدون في مواطنه ولكنه ينبغي ان يكون المأخوذ في القصاص من الجاني هو
المماثل للسن المأخوذ من الجاني عليه فان كانت ذاهبة فإليها (والجروح) يشمل الاطراف
(قصاص) أي ذوات قصاص فيما يمكن ان يقتضيه والاف الحكومية عدل وهذا تعمير بعد

صحیح وثبت فی الصحیح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سباب
المسلم فسوق وقته كفر حديث
آخر في ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا
عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا جهم
حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا زهير
ابن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن
عن أبيه عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم
والسبتان بالسب هكذا روى هذا
الحديث وقد أخرجه أبو داود في كتاب
الادب من سننه عن جعفر بن مسافر
عن عمرو بن أبي سلمة عن زهير بن محمد
عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة
بهر فوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من أكبر الكبائر اسئطالة
الرجل في عرض رجل مسلم بغير
حق ومن الكبائر السبتان بالنسبة
وكذا رواه ابن مردويه من طريق
عبد الله بن العلاء بن زيد عن العلاء
عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر مثله
حدثنا آخر في الجمع بين الصلاتين
من غير عذر قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا عفيم بن حماد
حدثنا معمر بن سلمان عن أبيه عن

حنس عن عكرمة عن ابن عباس بهر فوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بلبا من أبواب
الكبائر وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن أبي سلمة يحيى بن خلف عن المعمر بن سليمان بهر فوعا قال حنس هو أبو علي الرحي وهو حسين
ابن قيس وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه احمد وغيره وروى ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا اسمعيل بن عتبة
عن خالد الحذاء عن جند بن هلال عن أبي قتادة يعني العدوي قال قرئ علينا كتاب عمر بن الخطاب بين الصلاتين يعني بغير عذر
والفرار من الزحف والتمه وهذا اسناد صحيح والغرض انه اذا كان الوعيد في جمع بين الصلاتين كان ظهروا العصر تقديمًا وتأخيرًا

وكذا المغرب والعشاء كالجمع بسبب شرعي في تعاطا بغير شيء من تلك الأسباب يكون من تكا كبير فحافظك بترك الصلاة بالكافية
وليذا روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة في السن من فروعهاته
عليه الصلاة والسلام أنه قال العهد الذي بيننا وبينهم ترك الصلاة من تركها فقد كفر وقال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله
وقال من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله حديث آخر فيه اليأس من روح الله والأمن من مكر الله قال ابن أبي حاتم
حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم حدثنا (٦٨) أي حديث شيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان متكئا فدخل عليه
رجل فقال ما لك بكائر فقال الشرك
بالله واليأس من روح الله والقنوط
من رحمة الله عز وجل والأمن من
مكر الله وهذا أكبر الكبائر وقد
رواه البزار عن عبد الله بن اسحق
الطار عن أبي عاصم النبيل عن
شيب بن بشر عن عكرمة عن ابن
عباس أن رجلا قال يا رسول الله
ما الكبائر قال الشرك بالله واليأس
من روح الله والقنوط من رحمة
الله عز وجل وفي أسناده نظر
والاشبه أن يكون موقفا فقد روى
عن ابن مسعود نحو ذلك وقال ابن
جرير حديثا يعقوب بن إبراهيم
حدثنا هشيم أخبرنا مطرف عن وبرة
ابن عبد الرحمن عن أبي الطفيل
قال قال ابن مسعود أكبر الكبائر
الاشتر بالله واليأس من روح الله
والقنوط من رحمة الله والأمن من
مكر الله وكذا رواه من حديث
الاعمش وأبي اسحق عن وبرة عن
أبي الطفيل عن عبد الله بن عمرو
من طرق عدة عن أبي الطفيل
عن ابن مسعود وهو صحيح إليه بلا
شك حديث آخر فيه سوء الظن بالله

الخصيص وقد ذكر أهل العلم أنه لا قصاص في الجروح التي يخاف منها التلف ولا فيما كان
لا يعرف مقداره عمقا أو طولاً وعرضاً وقد راعة الفقه ارض حراصة بمقادير معلومة
وليس هذا موضع بيان كلامهم ولا موضع استفتاء بيان ما ورد له ارض مقدرة وفيه دليل
على أن هذا الحكم كان شرعاً في التوراة في قال شرع من قبلنا بل مننا الامانة منسبه
بالتفصيل قال هي حجة في شرعنا ومن أنكركه قال انها ليست بحجة واختار الاول ابن
الحاجب وهو الحق وذهبت الاشاعة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الامدني
وقد أوضحنا هذا في كتابنا حصول المأمول (فن تصدق) من المستحقين للقصاص (به)
أي بالانصاف بان عقاب الجاني ولم يقتص منه (فهو كفارة له) أي للتمهة صدق يكفر الله
عنه بما ذنبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن وبديل
ما أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم يقول ما من مسلم يصاب بشيء في جسده فيصدق به الرفع الله به درجة وحط
عنه به خطيئة وعن أنس ماريات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع الله به شيء
قصاص الأثر فيه العفو أخرجه أبو داود والنسائي وقيل أن المعنى فهو كفارة للجراح
فلا يؤخذ بجانيته في الآخرة وبه قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل لأن العفو يشتم مقام
أخذ الحق منه والاول أرجح لأن الضمير يعود على هذا التفسير لا آخر الى غير مذكور قال
الحافظ بن القيم والتحقيق أن القاتل يتعلق به ثلاثة حقوق حق لله تعالى وحق للمقتول
وحق للولي فإذا أسلم القاتل نفسه طوعاً واختاراً الى الولي ندماً على ما فعل خوفاً من الله
وبه نصوحاً سقط حق الله بالتوبة وحق الاولياء بالاستيفاء أو الصلح أو العفو وبقي حق
للمقتول يعوضه الله عنه يوم القيامة عن عبد التائب ويصلح بينه وبينه انتهى وأما لو سلم
القاتل نفسه اختياراً من غير ندم ولا توبة أو قتل كرها فيسقط حق الوارث فقط وبقي حق
الله تعالى لانه لا يسقطه الا التوبة كما علمت وبقي حق المقتول أيضاً لانه لم يصل له شيء من
القاتل ويطلبه به في الآخرة ولا يقال يعوضه الله عنه مثل ما تقدم لان لم يصل نفسه تاباً
تأمل قاله سليمان الجمل عبارة الرمي على المنهاج والقود أو العفو أو أخذ الدية لا تبقى
مطالبة أخرى (ومن لم يحكم بما أنزل الله) قيل نزلت هذه الآية حين اصطلموا على
أن لا يقتل الشريف بالوضيع ولا الرجل بالمرأة (فأولئك هم الظالمون) ضمير الله الفصل مع

قال ابن مردويه حديثنا محمد بن إبراهيم بن بندار حديثنا أبو حاتم بكر بن عبدان حديثنا محمد بن مهاجر حديثنا
أبو حذيفة البخاري عن محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر أنه قال أكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل حديث غريب جداً
حديث آخر فيه التعريب بعد الهجرة قد تقدم من رواية عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً قال ابن مردويه حديثنا
سليمان بن أحمد حديثنا جدين رسل بن حديثنا عمر بن خالد الخزازي حديثنا ابن الهيثم عن زياد بن أبي حبيب عن محمد بن سهل بن أبي
خزيمة عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الكبائر سبع أن لا تؤمن بالله وتقتل النفس والفرار يوم

الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وقذف المحصنة والتعرب بعد الهجرة وفي استاده فطر ورفع غلط فاحش والصواب ما رواه ابن جرير حدثنا عيسى بن النضر حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن إسحاق عن محمد بن سهل بن أبي خزيمة عن أبيه قال قال النبي هذا المسجد مسجد الكوفة وعلى رضى الله عنه يحطب الناس على المنبر يقولون يا أيها الناس الكبار تسرع فاصاح الناس فاعادها ثلاث مرات ثم قال لم ألتأسلوني عنها قالوا يا أمير المؤمنين ما هي قال لا أشرب الماء والله وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم وأكل الربا الفرائض الزحف والتعرب بعد الهجرة فقالت (٦٩) لابي يا أبت التعرب بعد الهجرة كيف لحق ههنا قال وأكل الربا الفرائض الزحف والتعرب بعد الهجرة فقالت (٦٩) لابي يا أبت التعرب بعد الهجرة كيف لحق ههنا قال

حتى اذا وقع سهمه في التي ووجب
عليه الجهاد خاض ذلك من عنقه
فربح اعرابيا كما كان حديث آخر
قال الامام احمد حدثنا هشام حدثنا
أبو معاوية يعني سنان عن منصور
عن هلال بن سفيان عن سلمة بن
قيس الاشجعي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
الا انهن أربع لا تسركوا بالله شيئا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
الابالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا قال
فانابا بأشجع عليهن من شيء اذ سمعن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رواه احمد أيضا والنسائي وابن
مردويه من حديث منصور بن سادة
مثله حديث آخر تقدم من رواية
عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند
عن عكرمة عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الاضراب في الوصية من الكبر
والصحيح ما رواه غيره عن داود عن
عكرمة عن ابن عباس قال ابن أبي
حاتم هو صحيح عن ابن عباس من
قوله حديث آخر في ذلك قال ابن
جرير حدثنا أبو بكر ي حديثنا احمد

ابن عبد الرحمن حدثنا عباد بن عباد عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة ان أناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا الكبار وهو مكي فقال الشريك بالله وأكل مال اليتيم والفقرار من الزحف وقذف المحصنة وعقوق الوالدين وقول الزور والغلل والسهر وأكل الربا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإين تجعلون الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية في اسنادة ضعف وهو حسن (ذكر أقوال السلف في ذلك) عن عمرو بن علقمة في ضمن الأحاديث المذكورة قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عيسى عن ابن عوف عن الحسن ان أناسا قالوا لعبد الله بن عمرو بمصر فقالوا ترى أشياء من كتاب الله

اسم الإشارة وتعرف الخبر بـستفادتها ان هذا الظلم الصادر منهم ظلم عظيم بالغ الى الغاية
وذكر الظلم هنا مناسب لانه جاء عقب أشياء مخصوصة من أمر القتل والجرح فتناسب ذكر
الظلم للمنافى للقتصاص وعدم التسوية فيه وهذه الآية من الأدلة على اشتراط الاجتهاد
قائه لا يحكم بها أنزل الله الامن عرف التنزيل والتأويل وعميد على ذلك حديث معاذ بن
جبل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعثه الى اليمن بعث قاضيا قال أى احتمالاله
كيف تقضى اذا عرض لك قضاء قال أقضى بكتاب الله قال فان لم تجد في كتاب الله قال
فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فان لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال أجتهد رأيي ولا ألوأى لأقصر في الاجتهاد والتحرر للصواب قال أى الراوى
فضمير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما رضى به رسول الله رواه الترمذى وأبو داود والداريمى
وهو حديث مشهور وقد بين الشوكاني رحمه الله طرقه ومن خرجه في بحث مستعمل ومعلوم
ان المقلد لا يعرف كتابا ولا سنة ولا رأى له بل لا يدري بان الحكم موجود في الكتاب والسنة
فيقضى أو ليس موجود فيجتهد رأيه فاذا ادعى المقلد انه يحكم برأيه فهو يعلم انه يكذب على
نفسه لا اعترافه بانه لا يعرف كتابا ولا سنة فاذا زعم انه حكم برأيه فقد أقر على نفسه بأنه حكم
بالباطل وقد سئل القاضي الشوكاني هل الراجح جواز قضاء المقلد لما لا فاجاب بما للفظه
الان اصر القرآن سنة ليس فيها الأمر الحاكم بان يحكم بالعدل والحق وما أنزل الله وما أراه
الله ومن المعالم لكل عارف انه لا يعرف هذه الامور الا من كان مجتهدا اذ المقلد انما هو
قابل قول الغير دون حجة وليس الطريق الى العلم بكون الشيء حقا وعدلا الا بالحجة والمقلد
لا يعقل الحجة اذا جاءه فكيف يمتدى للاحتجاج بها ولذلك الاعلم عنده بما أنزل الله انما
عنده علم بقول من قلده فلو فرض انه يعلم بما أنزل الله وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم علما صحيحا لم يكن مقلدا بل هو مجتهد وهكذا الناظر للمقلد فاذا حكم بشئ فهو لم
يحكم بما أراه الله بل بما أراه امامه ولا يدري ذلك القول الذى قاله امامه موافق للحق أم
مخالفة له وبالجملة فالقاضي هو من يقضى بين المسلمين بما جاء عن الشارع كما جاء في حديث
معاذ المتقدم وهذا الحديث وان كان فيه مقال فقد جمع طرقه وشواهد الحافظين
كثيرة في جزء وقال هو حديث حسن مشهور اعمده عليه أئمة الاسلام وقد أخرج أيضا

عز وجل أمر أن يعمل به لا يعمل به فأردنا أن نأمر المؤمنين في ذلك فقدم وقدموا معه قلني عمر رضي الله عنه فقال متى قدمت فقال منذ كذا وكذا قال أيا ذلك قدمت قال فلا أدري كيف رد عليه فقال يا أمير المؤمنين إن الناس لا توفى بصرفة الوال إلا ترى أسبغ في كتاب الله أمر أن يعمل به لا يعمل به فأجروا إن يلقوا في ذلك قال فاجعهم في قال فجاءهم له قال ابن عوف أظنه قال في فأخذ في أدناهم رجلا فقال أنشدك بالله و بحق الإسلام عليك أقرأت القرآن كله قال نعم قال فهل أحصيته في نفسك فقال اللهم لا يزال ولوات نعم لخصه قال فهل أحصيته في بصرك (٧٠) فهل أحصيته في لفظك هل أحصيته في أثرك ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم

أحمد وابن عدى والطبراني والبيهقي ولا تعد الحديث فيه كلام طويل والحق أنه من الحسن لغیره وهو معمول به وقد دل هذا الحديث على أنه يجب على القاضي أن يقدم القضاء بكتاب الله تعالى ثم إذا لم يجد فيه قضى بسنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم إذا لم يجد فيها اجتمع دراؤه والمقتضى لا يمكن من القضاء بما في كتاب الله سبحانه لأنه لا يعرف الاستدلال ولا كيفية ولا يمكنه القضاء بما في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك ولا لا يميز بين الصحيح والموضوع والضعيف المعلن بأى علم ولا يعرف الاستسباب ولا يدري المتقدم والمتأخر والعام والخاص والمطلق والمقتضى والمجمل والمبين والتامخ والمبسوخ بل لا يعرف مفاهيم هذه الالفاظ ولا يتعقل معانيها فضلا عن أن يتمكن من أن يعرف أنصاف الدليل ببنى منها وبالجمله فالمقلد إذا قال صح عندي فلا عمنده وإن قال صح شرعا فهو لا يدري ما هو الشرع وغاية ما يمكنه أن يقول صح هذا من قول فلان وهو لا يدري هل هو صحيح في نفس الامر أم لا فهو لا ريب أحد قضاة النار لأنه أمان يصادف حكمه الحق فهو وحكم بالحق ولا يعلم أنه الحق ويحكم بالباطل وهو لا يعلم أنه باطل وكلا الرجلين في النار كما ورد بذلك النص من المختار وما قاضى الجنة فهو الذى يحكم بالحق ويعلم أنه الحق ولا شك أن من يعلم بالحق فهو مجتهد لا مقلد هذا يعرفه كل عارف فإن قال المقلد أنه يعلم أن ما حكم به من قول امامه حق لأن كل مجتهد مصيب نقول له هل أنت مقلد في هذه المسئلة أم مجتهد فإن كنت مقلدا في هذه المسئلة فقد جعلت ما هو محل النزاع دليلا لك وهو مصادرة باطله فإن لا تعلم بأنما حق في نفسه أفضلا أن تعلم بزيادة على ذلك وإن كنت مجتهدا فيها فكيف خفي عليك أن المراد بكون كل مجتهد مصيبا هو من الصواب لا من الاصابة كما أقر بذلك القائلون بتصويب المجتهدين وجرده في مؤلفاتهم المعروفة بالوجود بآيدي الناس وإذا كان ذلك من الصواب لا من الاصابة فلا يستفاد من المسئلة ما تزعمه من كونه مذهب امامك حقا فإنه لا ينشأ الخطأ ولهذا أصبح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال إذا حكم الحاكم فاجتهد أو أصاب فلا أجران وإذا حكم فاجتهد أو أخطأ فلا أجر واحد أخرجه الشيخان عن أبي هريرة وابن عمر وهو هذا لا يخفى الا على أعمى وإذا لم تتعقل الفرق بين الصواب والاصابة فاستر نفسك بالكوت ودع عنك الكلام في المباحث العلمية وتعلم من يعلم حتى تذوق حلاوة العلم فهذا حاصل ما دل في هذه المسئلة وإن كانت طويلة الذيل

فقال شككت أم عمر أنك قد نوت أنه يقسم الناس على كذب الله قد علم ربنا أن تكون لنا سمات قال وتلا ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه انكفروا عنكم سياكم الآية ثم قال هل علم أهل المدينة أو قال هل علم أحدكم ما قدمتم قالوا لا قال لو قدموا الوعظت لكم استاد صحيح ومن حسن وإن كان من رواية الحسن عن عن عرفها انقطاع الا أن مثل هذا اشتهر فكنتي شهرته وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا علي بن صالح عن عثمان ابن المغيرة عن مالك بن جرير عن حلى رضى الله عنه قال الكبار الاشرار بالله وقتل النفس وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة والسحر وعقوق الوالدين وأكل الربا وفراق الجماعة ونكت الصفقة وتقدم عن ابن مسعود انه قال أكبر الكبار الاشرار بالله والياس من روح الله والقنوط من رجسة الله والاثن من مكر الله عز وجل وروى ابن جرير من حديث الاعمش عن

أبي الضحى عن مسروق والاعمش عن ابراهيم عن علقمة كلاهما عن ابن مسعود قال الكبار من أول سورة النساء الى ثلاثين آية منها ومنه حديث سفيان الثوري وشعبة عن عاصم بن أبي الجود عن زرين حيش عن ابن مسعود قال أكبر الكبار من أول سورة النساء الى ثلاثين آية منها ثم لا نجتنبوا كبار ما تنهون عنه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا المذنبين شاذان حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا صالح بن جبان عن ابن بريدة عن أبيه قال أكبر الكبار الاشرار بالله وعقوق الوالدين ومنع فضول الماء بهد الري ومنع طروق الفعل الا يجعل وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنع فضل الماء ولا يمنع

الكلاب وفيها من النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولهم عذاب أليم رجل على فضل ما به
بالفساد يذنبه ابن السليل وذو كرم تمام الحديث وفيه سند الامام أحمد بن حنبل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً من منع
فضل الماء وفضل الكلالة منع الله فضل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شعبة الواسطي حدثنا أبو أحمد عن
سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عائشة قالت ما أخذ علي النساء من الكبار قال ابن أبي حاتم يعني قوله تعالى على
ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن الآية وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن (٧١) ابراهيم حدثنا ابن عليه حدثنا زياد بن مخرز

عن معاوية بن قرة قال أنبت أنس
ابن مالك فكان فيما يحدثنا قال لم
أرسل الذي أنانا عن ربنا لم
يخرج له عن كل أهل وما لم يمسك
خيمة ثم قال والله لما كافنا من ذلك
انه تجاوزنا عما دون الكبار وتلا
ان تجتنبوا كبار ما نهون عنه الآية
(أقوال ابن عباس في ذلك) روى
ابن جرير من حديث المعتمر بن
سليمان عن أبيه عن طاوس قال
ذكروا عند ابن عباس الكبار
فقالوا هي سبع فقال هي أكثر من
سبع وسبع قال سليمان فلا
أدري كم قالها من مرة وقال ابن أبي
حاتم حدثنا أبي حدثنا قيس بن
حدثنا سفيان عن ليث عن طاوس
قال جاء رجل الى ابن عباس فقال
السبع التي ذكر الله ما هن قال هن
الى السبعين أدنى منهن الى سبع
رواه ابن جرير عن ابن جبير عن
ليث عن طاوس قال جاء رجل الى
ابن عباس فذكر ما تقدم وكذا قال
أبو العالية الرباعي رحمه الله وقال
ابن جرير حدثنا المثنى حدثنا أبو
حديثه حدثنا شبل عن قيس عن
قيس بن سعد عن سعيد بن جبير

والخلاف فيها مدون في الاصول والقرووع ولكن السائل لم يسأل عن أقوال الرجال انما
سأل عن تحقيق الحق انتهى كلامه في ارشاد السائل الى دليل المسائل وقد حققنا ذلك
المقام في كتابنا الجنة في الاسوة الحسنة بالسنة وكشفنا القناع عن وجه التقليد والاتباع
فارجع اليه وعول في معرفة الحق عليه وبالله التوفيق وهو المستعان (وقمنا على
آثارهم عيسى بن مريم) هذا شروع في بيان حكم الانجيل بعد بيان حكم التوراة
أي جعلنا عيسى بن مريم بقوا آثارهم أي آثار النبيين الذين أسلموا من بني اسرائيل
أو آثار من كتب عليهم تلك الاحكام والاول أظهر لقوله في موضع آخر برسلنا يقال فقيته
مثل عقبيه اذا تبعته ثم يقال فقيته بفلان وعقبته به فيعدي الى الثاني بالياء والمفعول
الاول محذوف استغناء عنه بالظرف وهو على آثارهم لانه اذا قي به على أثره فقد قي به اياه
(مصدق لما بين يديه من التوراة) وهي حال مؤكدة قاله ابن عطية (وأيناه الانجيل فيه
هدى ونور) أي ان الانجيل أوتي به عيسى حال كونه مشتملاً على الهدى من الجهالة
والثور من عمى البصيرة (ومصدق لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة) أي مصدقاً
وهادياً واعظاً (للمتقين) وهذا ليس تكرار للاول لان في الاول اخبار بان عيسى
مصدق لما بين يديه من التوراة وفي الثاني اخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق
بينهما وانما خص المتقين بالذكر لانهم الذين يتفهمون بالمواعظ (وليحكم أهل الانجيل
بما أنزل الله فيه) هذا أمر لاهل الانجيل وهم النصارى بان يحكموا بما في كتابهم وهو
الانجيل فانه قبل البعثة المنجدية حق وأما بعده فقد أمر وفي غير موضع بان يعاملوا بما
أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن الناصح لجميع الكتب المنزلة قرئ
بمنصب المقل من ليحكم على ان اللام لا مكيمة ولا يجوز على ان اللام لا مرفعي الاول تكون
اللام متعلقة بقوله وأيناه الانجيل ليحكم أهلها بما أنزل الله فيه وعلى الثانية هو كلام
مستأنف قال مكي والاختيار الجزم لان الجماعة عليه ولان ما بعده من الوعيد والتهديد
يدل على انه الزام من الله تعالى لاهل الانجيل وقال النحاس والصواب عندى انهما
قراءتان حسنتان لان الله تعالى لم ينزل كتاباً الا لاهل عمل بما فيه (ومن لم يحكم بما أنزل الله)
أي عصى الكتاب العزيز والسنة المطهرة لقوله تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم الا توت القرآن ومثلهم معرواه أبو داود

ان رجلاً قال لابن عباس كم الكبار تسبع قال هن الى سبع ما نذكر الى سبع غير ان لا كبير مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار
وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث شبل به وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ان تجتنبوا كبار ما نهون عنه قال
الكبار كل ذنب خفيته الله بناراً وغضب ألعنه وأعداب رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا
ابن فضيل حدثنا شبيب عن عكرمة عن ابن عباس قال الكبار كل ذنب خفيته الله بنار كبيرة وكذا قاله سعيد بن جبير والحسن
البصري وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه أخبرنا أيوب عن محمد بن سيرين قال ثبت عن ابن عباس يقول كل ما نهى

الله عنه كبيرة وقد ذكرت المرفة قال في النظره وقال أيضا حدثنا أحمد بن حنبل بن حازم أخبرنا أبو نعيم حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي
الرياء قال سألت ابن عباس عن الكبار فقال كل شيء يعصى الله به فهو كبيرة (أقوال التابعين) قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم
حدثنا ابن عدي عن ابن عون عن محمد قال سألت عبيد عن الكبار فقال الأشربة بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حق إلا
بالحق والزنا والربح والزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربو البهتان قالوا يقولون عراصة بعد جرة قال ابن عون فقلت لمحمد فاستمر
قال قال ابن أبي عمير قال سألت عبيد عن الكبار فقال (٧٢) وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد النخاري حدثنا أبو الاحوص سلام

ابن سالم عن أبي إسحق عن عبيد
ابن عمير قال الكبار سبع ليس
منهن كبيرة إلا وفيها آية من كتاب
الله الأشربة بالله منهن ومن يترك
بالله فكما يتأخر من الدنيا فخطئته
الطير أو تموى بالريح الآيه والذين
يا كانوا أموال السحابة فلما انما
يا كانوا في بطونهم نارا والذين
يا كانوا الرابطة ومون الكا يقوم
الذي يضبطه الشيطان من المس
والذين يرون الحصنات الغفلات
المؤمنات والفرار من الزحف أياها
الذين آمنوا اذ القيمه الذين كفروا
زحنا الآيه والتعرب بعد الهجرة
ان الذين أرادوا على أديارهم من بعد
ما تبين لهم الهدى وقتل المؤمن ومن
يقتل مؤمنا عمدا جزاؤه جهنم
خالدا فيها الآيه وكذا رواه
وابن أبي حاتم أيضا في حديث أبي
إسحق عن عبيد بن عمر بنحوه وقال
ابن جرير حدثنا المتشني حدثنا أبو
حذيفة حدثنا شبل عن ابن أبي نعيم
عن عطية بن عيسى ابن أبي رباح قال
الكبار سبع قتل النفس وأكل
مال اليتيم وأكل الربو رمى الحصنة
وشهادة الزور وعقوق الوالدين

والداري وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب (فأولئك هم الفاسقون) الخارجون عن
الطاعة وذكر الفسق هنا مناسب لأنه خروج عن أمر الله اذ تقدم قوله ولجسكم أهل
الافضل وهو أمر قاله أبو حنبل وفي هذه الآيه والذين المتقدمين من الوعد والتمديد
مالا يتأقرو قدره وقد تقدم ان هذه الآيات وان نزلت في أهل الكتاب فليست مختصة بهم
بل هي عامة لكل من لم يحكم بما أنزل الله اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
ويدخل فيه السبب دخولا أولا وفيها دلالة على اشتراط الاجتهاد في القضية وأشار إلى
ترك الحكم بالتقليد فان قلت اذا كان الخصام ببلدة لا يوجد فيها ما يجتهد به هل يجوز
للمصنفين الترفع الى من بهما من القضاة المقلدين قلت اذا كان يمكن وصولهما الى فاض
يجتهد لم يجوز للمقلدان يقضى بينهما بل يرشدهما الى القاضي المجتهد أو يرفع القضية اليه
ليحكم فيها بما أنزل الله أو بما أراه الله فان كان الوصول الى القاضي المجتهد مستعذرا أو
مستعصرا فلا بأس بان يتولى ذلك القاضي المقلد فصل خصوماتهم ما كان يجب عليه ان
لا يدعي علم ما ليس من شأنه فلا يقول صح أو لم يصح شرعا بل يقول قال امامه كذا أو يعرف
الخصم ان الله يحكم بينهما الا بما قاله الامام الثلاثي وفي الحقيقة هو محكم لاحكامهم وقد ثبت
التحكم في هذه الشريعة الطاهرة كما جاء ذلك في القرآن الكريم في شأن الزوجين وأنه
يوكل الامر الى حكم من أهل الزوج وحكم من أهل المرأة وكما في قوله تعالى يحكم بقضايا
عدل بينهم وكما وقع في زمس السبوة والصحابة في غير قضية ومن لم يجتهدا فيهما بالتراب والعور
خير من العمى ولا يغتر العاقل بما يخرقه المقلدون ويعوون به على العامة من تعظيم شأن
من يقلدونه ونشر فضائله ومناقبته والموازنة بينه وبين من يبلغ رتبة الاجتهاد في عصر
هؤلاء المقلدين فان هذا سر وجع محل النزاع ومغالطة قبيحة وما أسرع نقاقها عند
العامة لان افهامهم قاصرة عن ادراك الحقائق والحق عندهم يعرف بالجال ولا موان
في صدورهم جلالة وتغامة وطباع المتلذذين قريسة من طبائعهم فهم الى قبول أقوالهم
أقرب منهم الى قبول أقوال العلماء المجتهدين لان المجتهدين قديما بنوا العامة وارتفعوا الى
رتبة تضيق أذهان العامة عن تصورهما فاذا قال المقلد مثلاً أنا أحكم بذهب الشافعي
وهو أمر من هذا المجتهد المعاصر لي وأعرف بالحق منه كانت العامة الى تصديق هذه المقالة
والاذعان لها أسرع من السيل المتحد وتنفعل أذهانهم لذلك أكل انفعال فاذا قال

والفرار من الزحف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو رعة حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن مغيرة قال كان يقال المجتهد
شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهم ما من الكبار قلت وقد ذهب طائفة من العلماء الى تكفير من سب الصحابة وهو رواية عن مالك بن
أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين ما طأن أحدنا بغض أبابكر وهو يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواد الترمذي وقال ابن
أبي حاتم أيضا حدثنا أبو إسحاق أخبرني عبد الله بن عياش قال زيد بن اسلم في قول الله عز وجل ان تجسبوا كبارا منهم
عنهم من الكبار الشربة بالله والكفر بآيات الله ورسوله السحر وقتل الاولاد ومن ادعى لله ولدا أو صاحبه ومثل ذلك من الاعمال

والقول الذي لا يصلح معه عمل وإنما كل ذنب يصلح معه دين ويقبل معه عمل فإن الله بغفر السيئات بالחסنات قال ابن جرير حدثنا بشر بن معاذ حدثنا يزيد بن عبد الله بن جابر عن قتادة بن أنس عن جابر عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتمعوا الكبار وسددوا وأبشروا وقد روى ابن مردويه عن طريق عن أنس وعن جابر مرفوعا شفاعتي لاهل الكبار في أمي ولكن في استنادهم جميع طرقه ضعف الامارواه عبد الرزاق أخيه نافع عنه عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبار من أمي فإنه (٧٣) اسناد صحيح على شرط الشيخين وقد رواه أبو عيسى الترمذي منفردا به من هذا الوجه عن ابن عباس الغبيري عن عبد الرزاق ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الصحيح شاهد لعناؤه وهو قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذكر الشفاعة أثر ونها المؤمنين المؤمنين لا ولكنهم الغاطين والمتلونين وقد اختلف علماء الأصول والقروغ في حد الكبرية فمن قائل هي ما عليه حدث في الشرع ومنهم من قال هي ما عليه وعبد مخصوص من الكتاب والسنة وقبل غير ذلك قال أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافي في كتابه الشرح الكبير الشهير في كتاب الشهادات منه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم في الكبار وفي الفرق بينها وبين الصغار وبعض الاحباب في تفسير الكبرية وجوه أحدها انها المعصية الموجبة للعد والثاني انها المعصية التي يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب أوسنة وهذا أكثر ما وجد لهم وإلى الاول أميل لكن الثاني أوفق لما ذكره عند تفسير الكبار

الجمعة مجيبا على ذلك المقلدان محل النزاع هو الموازنة بين وبينك لا بين وبين الشافعي فإني أعرف العدل والحق وما أنزل الله وأجتهد رأيي إذا لم أجد في كتاب الله وسنة رسوله نصا أو أت لا تعرف شيئا من ذلك ولا تقدر على أن تجتهد رأيك إذا لم تألف ولا اجتهدا لان اجتهد الرأي هو راجع الحكم إلى الكتاب والسنة بالمقاييس أو بعلاقة بسوغها الاجتهاد وأت لا تعرف كتابا ولا سنة فضلا أن تعرف كيفية الارجاع اليهما وجوه مقبولة كان هذا الجواب الذي أجابه المجتهد مع كونه حقا اجتاحت بعد اعان بفهمه العامة أو تدعى لصاحبه ولهذا ترى في هذه الازمان الفرية الشأن ما يقبله المقلد عن امامه أو وقع في النفوس مما يقبله المجتهد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وان جاء من ذلك الكثير الطيب وقد رأينا وسعنا ما لا يشك فيه انه من علامات القسامة على ان كثيرا من المقلدين قد ينقل في حكمه أو فتواه عن مقلد مثله قد صارت تحت اطاق الثرى وامامه عنه برا فيقول ويصول وينسب ذلك إلى مذهب الامام وينسب من يأتي بما يخالفه من كتاب أوسنة إلى الاستداع ومخالفة المذهب ومباينة أهل العلم وهو لو ارتفعت رتبته عن هذا الخوض قليلا لعلم أنه المخالف لامامه لا الموافق له ومن كان بهذه المنزلة فهو صاحب الجهل المرتب الذي لا يستحق أن يخاطب بل على كل صاحب علم أن يرفع نفسه عن مجادته ويصون شأنه عن مقاولته الآن يطلب منه أن يعلم بما عليه الله وبالله التوفيق (وأرسلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب) خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب القرآن والتعريف للعهد والتعريف في الكتاب الثاني للجنس أي أنزلنا إليك بالحق القرآن حال كونه متلبسا بالحق وحال كونه مصدقا لما بين يديه من كتب الله المنزلة لكونه بمسئلة على الدعوة إلى الله والامر بالخير والنهي عن الشر كما اشتملت عليه وأما ما يترامى من مخالفته في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليس بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلامنا تلك الاحكام حق بلاضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي يدور عليها أمر الشريعة وليس في المنقذ دلاله على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناس المتأخر وانما يدل على مشروعيةها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لمان النطق بصحة ما يستحقها فطبق بنسخها وزوالها (ومعنا عليه) الضمير عائدا إلى الكتاب الذي صدقه القرآن وهين عليه

(١٠ - فتح البيان ثالث) والثالث قال امام الحرمين في الارشاد وغيره كل بحجة تنفي بقله أكثر ان من تكلم بالدين ورقة الديانة فهي مطعنة للعدالة والرابع ذكر القاضي أبو سعيد الهروي ان الكبرية كل فعل نص الكتاب على تحريمه وكل معصية توجب في جنسها احدا من قتل أو غيره وترك كل فريضة مأمو ر بها على الفور والكذب في الشهادة والرواية واليمين هذا ما ذكره على من ينيل الضبط ثم قال يؤفصل القاضي الزياتي فقال الكبار سبع قتل النفس بغير حق والزنا والواطء وشرب الخمر والنسوة وأخذ المال غصبا والقذف وزاد في الشامل على السبع المذكورة شهادة الزور

وأضاف اليها صاحب العدة كل الربا والانطوار في رمضان بلا عذر والميمن الشجرة وقطع الرحم وعقوق الوالدين والقراري
الزنج وأكل مال اليتيم والحياينة في الكيل والوزن وتقديم الصلاة على وقتها وتأخيرها عن وقتها بلا عذر وضرب المسلم بالزنج
والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدواً بسبب أصحابه ركعتان الشهادة بلا عذر وأخذ الرشوة والقيادة بين الرجال
والنساء والسعاية عند السلطان ومنع الزكاة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن بعد تعلمه
والسماح بالحيوان بالنار واستناع (٧٤) المرأى من زوجها بلا سبب والياس من رحمة الله والأمن من مكر الله ويقال الواقعة

والميمن الرقب وقيل الغالب المرتفع وقيل الشاهد وقيل الحافظ وقيل المؤمن قال المنذر
أصله مؤمن أي يدل من الهمزة هاء كقيل في أرقق الماء هرق وبه قال الزجاج وأبو
الفارسي قال الجوهري هو من آمن غيره من الخوف وأصله آمن فهو مؤمن أي يقبل الدين
على الشيء يمين إذا كان له حافظ فهو يمين كذا عن أبي عبيد وقرأ مجاهد وابن محصن
مهيماً بفتح الميم أي يمين عليه الله سبحانه والمعنى على قرأناه بالجوهري أن القرآن صار له
بصفة الكتب المتزلة ومقرر لما فيها مما لم ينسخ وناسخاً لما فيه منه ما هو رقيباً عليه أو حافظاً
لما فيها من أصول الشرائع وغالبها لئلا يكون المرجع في المحكم منها والمنسوخ وموثقاً عليها
لكونه مثلاً على ما هو معمول به منها وما هو متروك (فاحكم بينهم) أي بين أهل
الكتاب عند تحكيمهم الدين وتقديم يمينهم للاعتناء ببيان نعيم الحكم لهم (بما أنزل الله)
أي بما أنزله الله في القرآن لاشتماله على جميع ما شرعه الله لعباده في جميع الكتب
السابقة عليه والاتفاق باظهار الاسم الجليل لترسيخ المهابة والاشعار بعلو الحكم
(ولا تتبع أهواءهم) أي أهواء أهل الملل السابقة وقال ابن عباس لا تأخذوا بها
في جلد المحصن (بما جاء من الحق) أي لا تعدلوا ولا تنصرف عما جاء من الحق متبعين
لأهوائهم ولا تتبع أهواءهم عادلاً أو منحرفاً عن الحق وفيه النهي صلى الله عليه وآله
وسلم عن أن يتبع أهوية أهل الكتاب ويعدل عن الحق الذي أنزله الله عليه فإن كل من
من الملل تهوى أن يكون الأمر على ما هم عليه وما أدركو عليه سلفهم وإن كان باطلاً
منسوخاً أو منحرفاً عن الحق الذي أنزله الله على الأنبياء كأوقع في الرجم وغيره مما خفف
من كتب الله وانطباع وإن كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لكن المراد به غيره لأنه صلى
الله عليه وآله وسلم لم يتبع أهواءهم (لكل جعلنا منكم) الخطاب للأمة الثلاثة
موسى وأمة عيسى وأمة محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين أول الناس أكفلكم
لأنهم موجودين خاصة بل الماضين أيضاً بطريق التغليب على وجه التلويح والاتيان
(شرعة ومنهاجاً) الشريعة والشرعة في الأصل الطريقة الظاهرة التي توصل بها إلى
المقام استعملت فيما شرعه الله لعباده من الدين والمنهاج الطريقة الواضحة البينة وقال
مجدد زيد المبرد الشريعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقر ومعنى الآية أنه جعل
التوراة لاهلها والإنجيل لاهلها والقرآن لاهلها وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن

في أهل العلم وحله القرآن وما
يعد من الكبار الظهار وأكل لحم
الخنزير والميتة إلا عن ضرورة ثم
قال الرافعي ولتوقف مجال في
بعض الاتصال قلت وقد صنف
الناس في الكبار مصنفات منها
ما جعده شيخنا الحافظ أبو عبد الله
الذهبي بلغ نحو من سبعين كبيرة
وإذا قيل إن الكبيرة ما نزل عليها
الشارع بالنار بخصوصها كما قال
ابن عباس وغيره وما يتبع ذلك
اجتمع منه شيء كثير وإذا قيل كل
ما نهى الله عنه فكثير جداً والله
أعلم (ولا تتبوا ما فضل الله به
بعضكم على بعض الرجال نصيب
بما كتبوا للنساء نصيب مما
اكتسبوا وأسألو الله من فضله إن
الله كان بكل شيء عليماً) قال الامام
أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة
يا رسول الله يغزو الرجال ولا تغزو
ولنا نصف الميراث فانزل الله
ولا تتبوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض ورواه الترمذي عن
ابن أبي عمير عن سفيان عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة

انها قالت قلت يا رسول الله فذكره وقال غريب ورواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة
قالت يا رسول الله فذكره ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحاكم في مستدرکهم حديث الثوري عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله ألا تقاتل قنستشده ولا تقطع الميراث فنزلت الآية ثم أنزل الله اني لأضيق على عامل
منكم من ذكر رأيتني الآية ثم قال ابن أبي حاتم وكذا روى سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح هذا اللفظ وروى يحيى القطان
وكيع بن الجراح عن الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله وروى عن مقاتل بن حبان

وخصيف نحو ذلك وروى ابن جرير عن حديث ابن جريح عن عكرمة ومجاهد أنهم ما قالوا أنزلت في أم سلمة وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن شيخ من أهل مكة قال نزلت هذه الآية في قول النساء ليتنا الرجال فجاهدوا كما يجاهدون ونغزو في سبيل الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي حدثنا أشعث بن إسحق عن جعفر بن أبي أنس في الغيرة عن سعد بن جبير عن ابن عباس في الآية قال أنت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لئلا ذكر مثل خط الاثنين وشهادة امرأتين برجل ونحو في العمل هكذا ان فعلت (٧٥)

فأنزل الله هذه الآية ولا تتنوا الآية فانه عدل مني وأنا صنعتها وقال السدي في الآية ان رجلا قالوا اننا نريد ان يكون لنا من الاجر الضعف على أجر النساء كذا في السهام سهمان وقالت النساء اننا نريد ان يكون لنا أجر مثل أجر الشهاد فانما لا نستطيع ان نقاتل ولو كتب علينا القتال لقاتلنا فأنى الله ذلك وأمكن قال لهم سألوني من فضلي قال ليس بعرض الدنيا وقد روى عن قتادة نحو ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال ولا يتنن الرجل فيقول ليت وان لي مال فلان وأهله فنبي الله عن ذلك ولكن يسأل الله من فضله وقال الحسن ومحمد بن سيرين وعطاء والضائل نحو هذا وهو الظاهر من الآية ولا يراد على هذا ما ثبت في الصحيح لاحسد الا في اثنين رجل آتاه الله ما فلاسلطه على اهله في الحق فيقول رجل لو ان لي مثل ما لفلان لعملت مثله فهم في الاجر سواء فان هذا شيء غير ما نعت عنه الآية وذلك

وأما بعده فلا شرعة ولا مناهج الاما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس في الآية سنة وسبيل وقال قتادة سبلا وسنة وقد وردت آيات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء وعلى حصول التباين بينهم والجمع بينهما ان الاولى في أصول الدين والثانية في فروعه وما يتعلق بظاهر العبادات والله أعلم (ولو شاء الله لعلكم امة واحدة) بشريعة واحدة وتكاتب واحد ورسول واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل (ولكن آتاكم) أي ولكن لم يشأ ذلك الاتحاد بل شاء الاستلاء لكم باختلاف الشرائع فيكون آتاكم متعلقا بمعدود في دل عليه سياق الكلام (فما آتاكم) أي فيما أنزل الله عليكم من الشرائع المختلفة باختلاف الاوقات والرسول هل تعملون بذلك وتذعنون له او تتركوه وتحالفون ما اقتضته مشيئة الله وحكمته ويميلون الى الهوى وتشترون الضلالة بالهدى وفيه دليل على ان اختلاف الشرائع هو لهذه العلة اعني الاستلاء والامتحان لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الاوقات والاشخاص (فاستبقوا الخيرات) أي اذا كانت المشيئة قد قضت باختلاف الشرائع فاستبقوا الى فعل ما امركم بفعله وترك ما أمركم بتركه أي فاستدروا امتياز الفرصة وحياة لفضل السبق والتقدم والاستباق المسارعة (الى الله) لا الى غيره (مرجعكم جميعا) وهذه الجملة كالعلة لما قبلها (فينبئكم بما كنتم فيمخضون) من امر الدين والدنيا فيفصل بين الحق والمطل والطائع والعاصي بالنواب والعقاب (وان احكم بينهم بما انزل الله) عطف على الكتاب أي انزلنا عليكم الكتاب والحكم بما فيه وقد استدلل بهذا على نسخ التخيير المتقدم في قوله أو أعرض عنهم وقد تقدم تفهيمه (ولا تتبع أهواءهم) أي فيما أمر ولهم وليس في هذه الآية تكرار المتقدم وانما أنزلت في حكمين مختلفين أما الآية الاولى فنزلت في شأن زعيم المحسن وان اليهود طالموه ان يحمله وهذه الآية نزلت في شأن الدماء والديارات حين تمسكوا اليه في امر قبيل كان بينهم (واحدزهم ان يقتلوا) اي يضاؤلك ويصرفوك بسبب أهواءهم التي يريدون منك ان تعمل عليها وتؤثرها (عن بعض ما نزل الله اليك) ولو كان اقل قليل تصوير الباطل بصورة الحق (فان تولوا) اي ان اعرضوا عن قبول حكمي بما انزل الله عليكم وارادوا غيره (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم) بالعقوبة في الدنيا (ببعض ذنوبهم) وعوذب التولي عنك والاعراض عما جئت به وانما عبر

ان الحديث حصص على مثل نعمة هذا والآية تهت عن غنى عن نعمة هذا يقول ولا تتنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض أي في الامور الدنيوية وكذا الدينية لحديث أم سلمة وابن عباس وهكذا قال عطاء بن أبي رباح نزلت في النبي عن غنى ما لفلان في غنى النساء ان يكن رجلا لا يغزون ورواه ابن جرير ثم قال لا لرجل نصيب مما اكتسبوا والنساء يربح مما اكتسبن أي كل له جزاء على عمله بحسبه ان خير خير وان شرفه هذا يقول ابن جرير وقيل المراد بذلك في الميراث أي كل يربح بحسبه راء الوالي عن ابن عباس ثم أرشدتهم الى ما يصلحهم فقالوا واستأوا الله من فضله لا تتنوا ما فضلنا به بعضكم على بعض فان هذا امر محتموم أي أن

التي لا يحذى شيئا ولكن سألني من فضلي أعظم فاني كرم وهاب وقد روى الترمذي وابن مردويه عن حديث جابر بن واقد
سبغت اسرا ئيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا الله من
فضله فان الله يحب أن يسئل وإن أفضل العباداة انتظار الفرج ثم قال الترمذي كذا رواه ابن جابر واقد وليس بالحافظ ورواه
أبو نعيم عن اسرا ئيل عن حكيم بن جبير عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم فحدثني أبي فعم أشبه أن يكون أصح وصكدا
رواه ابن مردويه عن حديث وكيع عن (٧٦) اسرا ئيل ثم رواه من حديث قيس بن الربيع عن حكيم بن جبير عن سعيد

بنك اإذا تابان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كال عظيمة واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم
للتولى (وان كثير من الناس النافقون) مقرون عن قبول الحق خارجون عن
الانصاف (أحكم الجاهلية يغنون) الاستفهام لانكاروا التوبى والمعنى أبغضون
عن حكمك بما أنزل الله عليك ويتولون عنه ويتغنون حكم الجاهلية التي هي متباعدة
الهيوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام واما اغل الجاهلية وحكمهم فهو ما كانوا
عليه من المفاضلة بين القتل من بني النضير وقرظة قال ابن عباس دوما كانوا عليه من
الضللال والخور في الاحكام وتحرفهم اياها عما امر الله به والاستفهام في (ورن أحسن
من الله حكيم القوم يوقون) لانكار ايضا لايكون احد حكمه احسن من حكم الله
أومساؤه عند أهل اليقين لا عند أهل الجهل والاهواء وان كان ظاهرا السك غير
متعرض لنفي المساواة وانكارها (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء)
الظاهر انه خطاب عام يعم حكمه كافة المؤمنين حقيقة وقيل المراد بهم المنافقون ووضفهم
بالايمان باعتبار ما كانوا يظهره وقد كانوا اولون اليهود والنصارى فتموا عن ذلك والاولى
ان يكون خطابا لكل من يتصف بالايمان أعم من ان يكون ظاهرا وباطنا وظاهرا فقط
فمدخل المسلم والمنافق ويؤيد هذا قوله فترى الذين في قلوبهم مرض والاعتبار بعدم
اللفظ قال ابن عباس اسلم عبد الله بن ابي ابن ساول ثم قال ان بيني وبين قرظة جلفا واني
أخاف الدوائر فارتد كافرا وقال عباد بن الصامت أبرأ الى الله من حلف قرظة والنضير
وأوفى الله ورسوله فترلت وبهذا تضح المراد والمراد من التهي عن اتخاذهم أولياء ان
يعاملوا معاملة الأولياء في المصادقة والمعاشرة والمناصرة (بعضهم أولياء بعض) المعنى
ان بعض اليهود أولياء لبعض الآخر منهم وبعض النصارى أولياء لبعض الآخر منهم
فليس المراد بالبعض احدى طائفتى اليهود والنصارى وبالبعض الآخر الطائفة الاخرى
للقطع بانهم في غاية من العداوة والشقاق وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت
النصارى ليست اليهود على شيء وقيل المراد ان كل واحد من الطائفتين يؤلى الاخرى
وتعاضدها وتناصرها على عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعداوة ما جاء به وان كانوا
في ذات بينهم متعادين متضادين ووجه تعليل التهي بهذه الجملة انها تنقض ان هذه
المواالهي شأن هؤلاء الكفار لاشانكم فلا تفتعلوا ما همون فعملهم فتكفروا بملهم

ابن جبير عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سألوا الله من فضله فان الله يحب
أن يسئل وإن أحب عباد الله الى
الله الذي يحب الفرج ثم قال ان
الله كان بكل شيء عليا أى هو عليا
عن يستحق الدنيا فيعطيه منها
ومن يستحق الفقر فيفقده وعليم
بن يستحق الآخرة فيفقد
لاعمالها وعن يستحق الخلد لان
فيخلذه عن تعاطي الخير وأسبابه
ولهذا قال ان الله كان بكل
شيء عليا (ولكل جعلنا موالى مما
تركوا والوالدان والاقرىون والذين
عقدت أيمانكم فأتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شيء شهيدا) قال
ابن عباس ومجاهد وسعد بن جبير
وأبو صالح وقناة وزيد بن أسلم
والسدي والضحاك ومقاتل بن
حبان وغيرهم في قوله ولكل
جعلنا موالى أى ورثة وعن ابن
عباس في رواية أى عصبة قال
ابن جرير والعرب تسمى ابن الم
مولى كما قال الفضل بن عباس
مهلب بن عمار ماله موالنا
لا يظهرون سينا ما كان مدفونا

قال ويعنى بقوله مما تركوا والوالدان والاقرىون من تركوا والديه وأقرىبه من الميراث فتأويل الكلام
ولكلكم أيم الناس جعلنا عصبة رثوته مما تركوا والذاه وأقرىبه من ميراثهم وقوله تعالى والذين عقدت أيمانكم فأتوهم
نصيبهم أى والذين تحالفتم بالايمان المؤكدة أنهم فأتوهم نصيبهم من الميراث كما وعدتوهم في الايمان المغلظة ان الله شاهد
بكم في تلك العهد والمعاقدات وقد كان هذا في ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك وأمر وأن يوفوا من عاقدوا ولا ينسوا بعد زول
هذه الآية معاقدة قال البخارى حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو امامة عن ادريس عن طلحة بن مصرف عن سعد بن جبير عن

ابن عباس ولكل جعلنا دوالي قال ورثة والذين عقدت أيمانكم كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرون الأنصاري
دون ذوي رجة للاخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا دوالي نسخت ثم قال والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر والرفادة والنصيحة وقد ذهب المغرثا وبوصى له ثم قال الأنصاري سمع أبو أسامة ادريس
وسمع ادريس بن طلحة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو أسامة حدثنا ادريس الأودي أخبرني طلحة عن سعيد
ابن جبيرة عن ابن عباس في قوله والذين عقدت أيمانكم الآية قال (٧٧) كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث

المهاجرون الأنصاري دون ذوي
رجة للاخوة التي آخى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت
ولكل جعلنا دوالي نسخت ثم قال والذين
والاقرئون نسخت ثم قال والذين
عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم
وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح
حدثنا ججاج عن ابن جريج
وعثمان بن عطاء عن ابن
عباس قال والذين عقدت
أيمانكم فآتوهم نصيبهم فكان
الرجل قبل الاسلام يعاقب الرجل
ويقول وترثني وأرثك وكان
الاحياء يعاقبون فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل حلف
في الجاهلية أو عقد أدركه الاسلام
فلا يرث به الاسلام الاشد ولا عقد
ولا حلف في الاسلام فنسختها
هذه الآية وأولو الارحام بعضهم
أولى ببعض في كتاب الله ثم قال
وروي عن سعيد بن جبيرة ومجاهد
وعطاء والحسن وابن المسيب
وأبي صالح وسليمان بن يسار
والشمسي وعكرمة والسدي
والضحاك والوقادة ومقاتل بن حيان
أنهم قالوا هم الخلفاء وقال الامام

واللهذا عقب هذه الجملة التعليقية بما هو كالنتيجة لها فقال (ومن يتولهم منكم) أي
ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين (فانه منهم) أي فانه من جلتهم وفي عداهم
لانه لا يولي أحد أحد الا وهو عند مرضا فاذ ارضى عنه رضى دينه فصار من أهل ملته
وهو وعد شديد فان المعصية الموجهة للكفر هي التي قد بلغت الى غاية ليس وراءها غاية
قال أبو السعود وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن
موالاة في الحقيقة انتهى وهذا اتعايم من الله تعالى وتسيديد عظيم في محاسبة اليهود
والنصارى وكل من خاف دين الاسلام وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
(ان الله لا يهدي القوم الظالمين) تعليل للجملة التي قبلها أي ان وقوعهم في الكفر هو
بسبب عدم هدايته سبحانه لمن ظلم نفسه بما يوجب الكفر كنز دوالي الكافرين قال
حديثه ليق أحسدكم أن يكون هو دنيا وأنصر أنا وهو لا يشعر وتلاهذه الآية وعن أبي
موسى قال قال لعمر بن الخطاب اني كنت أنصر انما فقال مالك وله قاتلك الله الا لا اتخذ
حسنا يعني مسلما أما سمعت قول الله وتلاهذه الآية قلت له دينه ولي كاتسه فقال
لا أكرههم اذا هانهم الله ولا أعزهم اذا ذلهم الله ولا أدنهم اذا بعدهم الله قلت انه لا يتم
أمر البصرة الآية فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه مات فإتصع بعده فإتعمله
بعدمونه فإتعمله الا أن واستغن عنه بغيره من المسلمين (فترى الذين في قلوبهم مرض)
ألفاء لاسبية وانخطاب الامار لرسول صلى الله عليه وآله وسلم أولكل من يصلح له أي
ما ارتكبه من الموالاة ووقعوا فيه من الكفر هو بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق
والسلك في الدين والرؤية ما قبلية أو بصرية وقرى قرى بالتحية واختاف في فاعله ما هو
فقبل هو الله عز وجل وقبل هو كل من يصلح منه الرؤية وقبل هو الموصول أي قرى القوم
الذين (يسارعون فيهم) أي في مودة اليهود والنصارى وموالاتهم ومناعتهم لأنهم كانوا
أهل ثروة يسار يتخاطبونهم ويعشونهم لاجل ذلك نزلت في ابن أبي المنافق وأصحابه
وجعل التسارعة في موالاتهم مسارعة فيهم لانه بالغ في بيان رغبتهم في ذلك حتى كانوا
مستقرون فيهم داخلون في عداهم (يقولون نخشى أن تصينادائرة) جملة مشتملة على
تعليل التسارعة في الموالاة أي ان هذه الخشية هي الحاملة لهم على التسارعة والدائرة
ما يدور من مكابرة الدهر ودوائر كالدولة التي تدور أي يقول المنافقون انما يتخاطب اليهود

أحمد حدثنا سعيد الله بن محمد حدثنا ابن عمر وأبو أسامة عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حلف في الاسلام وأيا حلف كان في الجاهلية لم يرده الاسلام الاشدق وهكذا رواه مسلم ورواه النسائي من حديث اسحق بن
يوسف الأزرق عن زكريا عن سعيد بن ابراهيم عن نافع عن جبيرة بن مطعم عن أبيه وقال ابن جبيرة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع
عن شريك عن سماعة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا أبو كريب حدثنا ماضع بن
المقدام عن اسير ابل عن يونس عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا شيم قال أخبرنا مغيرة عن أبيه عن شعبة بن التوام عن قيس بن عاصم أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الحلف فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به ولا حلف في الإسلام وكذا رواه شعبة عن مغيرة وهو ابن مقسم عن أبيه به وقال محمد بن اسحق عن داود بن الحصين به قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع مع ابن ابنها موسى بن سعد وكان يقيماني بخزائي بكر فقراءت عليها والذين عاقدت أيمانكم قالت لا ولكن والذين عقدت أيمانكم قالت إنما زلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبي أن يسلم حلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم حين حل على الإسلام بالسيف (٧٩) وأسر أن يورثه نصيبه ورواه ابن أبي حاتم وهذا قول غريب والصحيح الأول

وإن هذا كان في ابتداء الإسلام بنو ثور بن الحلف ثم نسخوا بقي تأثير الحلف بعد ذلك وإن كانوا قد أسروا إن يوفوا بالعهد ودوا للعتود والحلف الذي كانوا قد تعاقدوه قبل ذلك وتقدم في حديث جابر بن مطعم وغيره من الصحابة لا حلف في الإسلام وأما حلف سكان في الجاهلية لم يرزاه الإسلام الأشدة وهذا نص في الرد على من ذهب إلى التوارث بالحلف اليوم كما هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ورواية عن جابر بن خنبل والصحيح قول الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور وعنه ولهذا قال تعالى وكل جعلنا من آلها وترًا الوالدان والأقربون أي ورثة من قرابته من أبويه وأقربيه وهم بنو نه دون سائر الناس كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فإولوا رجل ذكر أي أقسموا الميراث على أصحاب الفرائض الذين ذكرهم الله في آية الفرائض

وهم قوم مسيلة الكذاب ونوا أسدوهم قوم طلحة بن خويلد وارتد سبع فرق في خلافة أبي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرينة سلمة القشيري ونوسليم قوم النخاعة بن عبد الباسل ونوير بن عوف قوم مالك بن بريدة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندي ونوبكر بن نائل قوم الخطمي ابن يزيد فكنى الله أمرهم على يد أبي بكر الصديق وفرقة واحدة ارتدت في زمن خلافة عمر ابن الخطاب وهم عنان قوم مجله بن الأهم فكنى الله أمرهم على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (فسوف يأتي الله بقوم) الماردين اقوم الذين وعد الله سبحانه بالآيات بهم هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحبيسه من الصحابة والتابعين الذين قاتل بهم أهل الردة ثم كل من جاء بعدهم من المقاتلين للمرتدين في جميع الزمن قال بعض الصحابة ما ولد بعد النبيين أفضل من أبي بكر لقد قام مقام نبي من الأنبياء قتال أهل الردة ولما هم أبو بكر يقتالهم كره ذلك بعض الصحابة وقال بعضهم هم أهل القبلة فتقلد أبو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدمان الخروج على أثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الاستدعاء ثم جددناه في الانتهاء وأخرج الحاكم والبيهقي وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال تليت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولكم يا أبا موسى أهل الجن وفي الباب روايات وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم الآية فقال هؤلاء قوم من أهل الجن ثم كندة ثم السكون ثم نجيب وعن ابن عباس هم أهل القادسية وقال السدي نزلت في الأنصار لأنهم هم الذين نصرنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعاقوه على أظهر الدين والأول أولي ثم وصف الله سبحانه هؤلاء القوم بالأوصاف العظيمة المشبهة على غاية المدح ونهاية الشناء فقال (يحبهم ويحبونه) من كونهم (أذلة على المؤمنين أعز على الكافرين) وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله يعني أنهم أرقاء رجاء أهل دينهم أشداء أقوياء غطاء على أعدائهم فاله على قال ابن عباس تراهم كالولود والود كالعبد لسيدوه في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته قال ابن الأباري أني الله عليهم بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا قالوا لهم ويعتقون الكافرين إذا لقوهم ولم يردل الهوان بل الشفقة والرحمة وأما أني بلفظة على ليدل على علو منتهى

فما بقي بعد ذلك فاعطوه للعصبة وقوله والذين عقدت أيمانكم أي قبل نزول هذه الآية فأنهم نصيبهم أي من الميراث فأما حلف عقد بعد ذلك فلا تأثير له وقد قيل إن هذه الآية تمسخت الحلف في المستقبل وحكم الحلف الماضي أيضًا فلا توارث به كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أمامة حدثنا إدريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنهم نصيبهم قال من النصرة والصيحة والرفادة ويوصي له وقد ذهب الميراث ورواه ابن جبير عن أبي كريب عن أبي أسامة وكذا روى عن مجاهد وأبي مالك نحوه ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله والذين عاقدت أيمانكم قال

كان الرجل بهما قد الرجل أعم مامت ورثه الآخر فانزل الله تعالى وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين
 والمهاجرين الآن تنقلوا الى أوليائكم معروفا يقول الآن توصوا لهم بوصية فهي لهم جائز من ثلث المال وهذا هو المعروف
 وهكذا نص غير واحد من السلفاء منسوخة بقوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين
 الآن تنقلوا الى أوليائكم معروفا وقال سعيد بن جبيرة فأتوهم نصيبهم أي من الميراث قال وعائد أبو بكر مولى فوره رواه
 ترك هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجلا غيبا ثلثهم
 (٨٠)

ابن جرير وقال الزهري عن ابن المسيب

يؤرثونهم فانزل الله فيهم فجعل
 لهم نصيبا في الرضعة ورد الميراث
 الى المولى في ذى الرحم والعصبة
 وأبي الله ان يكون للمعتن ميراثا
 من ادعاهم وتبعاهم ولكن جعل
 لهم نصيبا من الوصية رواه ابن
 جرير وقد اختار ابن جرير ان المراد
 بقوله فأتوهم نصيبهم أي من
 النصرة والنصيحة والمعونة لان
 المراد فأتوهم نصيبهم من الميراث
 حتى تكون الآية منسوخة
 ولأن ذلك كان حكما ثم نسخ بل
 انحلت الآية على الوفا بالخلف
 المعهود على النصرة والنصيحة
 فهي محكمة لمنسوخة وهذا
 الذي قاله فيه نظر فان من الخلف
 ما كان على المناصرة والمعاونة
 ومنه ما كان على الارث كما حكاه
 غير واحد من السلف وكما قال
 ابن عباس كان المهاجري يرث
 الانصاري دون قرأته وذوي رحمه
 حتى نسخ ذلك فكيف يقول ان
 هذه الآية محكمة غير منسوخة
 والله أعلم (الرجال قوامون على
 النساء بما فضل الله بعضهم على
 بعض وبما أنفق قوامون أموالهم
 فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي يحافظون بشهروهن فقظوهن واهجن وهن
 في المضاجع واضربوهن فان أطيعنكم فلا تعنوا عليهن سبيلا ان الله كان علما كبيرا) يقول تعالى الرجال قوامون على
 النساء أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ويؤيدها اذا اوجبت بما فضل الله بعضهم على بعض أي
 لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذا الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم
 لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأته رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه ركذا من نصيب القضاء وغير ذلك وبما أنفقوا

وفضلهم وشرفهم والاذلة جميع دليل لادلول والاعز جميع عز رأي يظهر ان السخوة والعطف
 والتواضع للمؤمنين ويظهر ان الشدة والغلظة والترفع على الكافرين (يجاهدون في
 سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) عدل عادل في نصرهم الدين أي يجمعون بين الجهاد في
 سبيل الله وعدم خوف الملامة في الدين بل هم متصابون لا يألون بما فعله أعداء الحق
 وحزب الشيطان من الاضرار باهل الدين وقلب محاسنهم مساوي ومناقبهم مغالبات حسدا
 وبغضا وكراهة للحق وأهله والاشارة بقوله (ذلك) الى ما تقدم من الصفات التي اختصهم
 الله بها (فضل الله) أي لطفه واحسانه (يؤتيه من يشاء والله واسع) الفضل وكثير
 الفضائل (عليه) بمن هو أهلها (انما وليكم الله وبرسوله والذين آمنوا الذين يقيمون
 الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) عن ابن عباس قال تصدق على بخاتم وهو راكع
 فانزل الله فيه هذه الآية وعنى على نحوه أخرجه أبو الشيخ وابن عساكر قلت لما فرغ
 سبحانه من بيان من لا يتحمل موالاة بين من هو الولي الذي يجب موالاة له والمراد بالركوع
 الخشوع والخضوع أي وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون وقيل يصنعون الركعة
 مواضع غير متكبرين على الفقراء ولا مترفعين عليهم وقيل المراد بالركوع على المعنى
 الثاني ركوع الصلاة ويدفعه عدم جواز اخراج الزكاة في تلك الحال (ومن يتول الله
 ورسوله والذين آمنوا) قال ابن عباس يريد المهاجرين والانصار ومن يأتي بعدهم
 (فان حزب الله) أي أنصار دينه (هم الغالبون) بالجنة والبرهان فانها مسخرة أبدا
 لا بالاله ولا بالصولة ولا لا فقد غلب حزب الله غير مرة حتى في زمن النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم قاله الكرخي وعد الله سبحانه من يتولى الله ورسوله والذين آمنوا بانهم الغالبون
 لعدوهم والحزب الصنف من الناس من قولهم حزب به كذا أي نابه فكان المتقربين
 مجتمعون كاجتماع أهل النابذة التي تنوب وحزب الرجل أصحابه والحزب الوردي الحديث
 فن فاته حزبهم من السبل وتخربوا اجتماعوا الاشرار الطوائف وقد وقع ولله الحمد ما وعد
 الله به أولياءه وأولياء رسوله وأولياء عبياده المؤمنين من الغلب لعدوهم فأنهم غلبوا اليهود
 بالسبي والقتل والاجلاء وضرب الجزية حتى صاروا العتق من الله أنزل الطوائف الكثيرة
 وأقلها شوكة وما زالوا تحت كاهل المؤمنين يظنونهم كيف شاءوا ويتمونهم كما يريدون
 من بعد البعثة الشريفة المحمدية الى هذه الغاية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا

دنياكم
 في المضاجع واضربوهن فان أطيعنكم فلا تعنوا عليهن سبيلا ان الله كان علما كبيرا) يقول تعالى الرجال قوامون على
 النساء أي الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ويؤيدها اذا اوجبت بما فضل الله بعضهم على بعض أي
 لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذا الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم
 لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأته رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه ركذا من نصيب القضاء وغير ذلك وبما أنفقوا

من أموالهم أي من المهور والنفقات والكف التي أوجبها الله عليهم لهن في كتابه وستة تنبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والافضل فناسب أن يكون قيسا عليها كما قال الله تعالى والرجال عليهن درجة الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرجال قوامون على النساء يعني أمر إيهن أي تطيعن فيما أمرها الله بهن طاعة وطاعته أن تكون محسنة لأمهات حافظة لأماله وكذا قال مقاتل والسيدي والضجالي وقال الحسن البصري جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم عز وجل الرجال قوامون على النساء تشكروا أن زوجواكم هاهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القصص فأنزل الله (٨١)

الآية فرجعت بغير قصاص ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق عنه وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جرير والسيدي وأورد ذلك كله ابن جرير وقد أسنده ابن مردويه من وجه آخر فقال حدثنا أحمد بن علي النسائي حدثنا محمد بن هبة الله الهاشمي حدثنا محمد بن محمد الأشعث حدثنا موسى بن اسمعيل بن موسى بن جعفر بن محمد قال حدثني أبي عن حمدي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال أي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجس من الانصار بأمر أمه فقالت يا رسول الله ان زوجها فلان بن فلان الانصاري وانه ضربه فأتني وجهها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له ذلك فأنزل الله تعالى الرجال قوامون على النساء في الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أردت أمر أو أراد الله غيره وكذلك أرسل هذا الخبر قتادة وابن جرير والسيدي وأورد ذلك كله ابن جرير وقال الشعبي في هذه الآية الرجل قوامون على النساء

ديسكم هزوا وابعاء هذا النبي عن موالاة المتخذين للذين هزوا ولعابهم كل من حصل منه ذلك من المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع المنتمين إلى الإسلام والبيان بقوله (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) لا ينافي دخول غيرهم تحت النبي إذا وجدت فيه العلامة المذكورة التي هي الباعثة على النبي (والكفار) المشركين والمنافقين (أو لياء) أي أنصارا لكم في الدين والدنيا (واتقوا الله) بترك موالاةهم وترك ما نهاكم عنه من هذا وغيره (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضي ذلك (وإذا نادى منكم إلى الصلاة) النداء الدعاء برفع الصوت ونداء مناداة ونداء صاحبه وتنادوا أي نادى بعضهم بعضا وتنادوا أي جلسوا في النداء (اتخذوها زواجعا) أي اتخذوا صلاتكم وقيل الضمير للمناداة المدلول عليها باندائهم وقيل وليس في كتاب الله تعالى ذكر الاذان الا في هذا الموضع وأما قوله تعالى في سورة الجمعة إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فهو خاص ببناء الجمعة وقد اختلف أهل العلم في كون الاذان واجبا أو غير واجب وفي الفاظه وهو مبسوط في موطنه (ذلك بانهم قوم لا يعبدون) الباء للسببية لان الهزوا والعبشان أهل السفه والخفة والطيش (قل يا أهل الكتاب هل تتقون منا) أي تكرهون من أوصافنا وأحوالنا فأمر بالجهود بـ كسر التانيق وقرئ بفحها وهاتان مفرعتان على الماضي وفيه لغتان التحيي نقيم بفتح التانيق بفتح الكسر هاهنا على والآخرى بعكس ذلك فيهما أحكاها الكسائي ولم يقرأ قوله وما نقيموا الا بالفتح وأصل نقيم أن يعتدي بعلى يقال ثبت على الرجل أنقم بالكسر فيه ما فانا نقيم اذا عتيت عليه وانعاعدي ههنا عن لتضمنه معنى تكرهون وتذكرون في الصحاح ما نقيمت منه الا الاحسان وقال لكسائي نقيمت بالكسر لغتة ونقيمت الامر أيضا ونقيمته اذا كرهته ونقيمت الله منه أي عاقبه والاسم منه النعمة والجمع نقيمت ونقيمت مثل لغة وكلمات وكلم وان شئت سكنت القف ونقلت حركاتها إلى النون فقلت نقيمت والجمع نقيمت مثل نعمة ونعم وقيل المعنى تسخطون وقيل تشكرون أي هل تعيبون أو تسخطون أو تشكرون أو تكرهون منا (الآن أما بالله وما أنزل البنا وما أنزل من قبل) أي الايمان بالله وبكتبه المنزلة وقد علمت باننا إلى الحق وهذا على سبيل التخييل من فعل أهل الكتاب والاستثناء مفرغ أي ليس هذا بما يشكر أو ينقم به (وإن كنتم فاسقون) بترككم للايمان والخروج عن امتثال أو امر الله

(١١ - فتح البيان ثالث) بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم قال الصادق الذي اعطاها لأتري لوقد فها الاعنوا لوقد فته جلدت وقوله تعالى فالصالحات أي من النساء قاتات قال ابن عباس وغير واحد يعني مطيعات لا زواجهن حافظات للغيب وقال السيدي وغيره أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وأمواله وقوله بما حفظ الله أي المحفوظ من حفظه الله قال ابن جرير حدثني المشي حدثنا أبو صالح حدثنا أبو معشر حدثنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأ إذا أطرت المهاسرتك وإذا أمرتها اطاعتك وإذا غبت عنها حفظت في نفسها

ومالك قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية إلى الجال قوامون على النساء إلى آخره ورواه ابن أبي حاتم عن يونس بن حبيب عن أبي داود الطيالسي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب عن سعيد المقبري به مثله سواء وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن ابي حنيفة حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن أبي جعفر أن ابن قارظ أخبره أن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلت المرأة خجها وامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت فتردني أجد من طريق عبد الله بن قارظ (٨٢) عن عبد الرحمن بن عوف وقوله تعالى واللاتي يتخافون نشرهن أي والنساء

اللاتي يتخوفون أن ينشرن عن أزواجهن والنشور هو الارتقاء فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها التاركة لأمره المعرضة عنه المغضلة غي ظهره منها أمارات النشور فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته وحرم عليها معصيته لماله عليها من الفضل والافضال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت آمر أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنته الملائكة حتى تصبح ورواه مسلم ولفظه إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ولهذا قال تعالى واللاتي يتخافون نشرهن فعظوهن وقوله واهجرهن في المضاجع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الهجر هو أن لا يجامعا ويضاجعا على فراشها وديها

أي ماتنقـ موتنا إلى الجمع بين إيماننا وبين عذركم ونزوحكم عن الإيمان وفسه ان المؤمنين لم يجتمعوا بين الأمرين المذكورين فإن الإيمان من جهتهم والتزود والخروج من التابق وقيل هو على تقدير محذوف أي واعتقادنا أن أكثركم فاسقون وقيل غير ذلك (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) بين الله سبحانه رسوله إن فيهم من الغيب ما هو أولى بالغييب وهو ما هم عليه من الكفر الموجب لعن الله غضبه ومنه المعنى هل أنبئكم أي اليهود بشر من نعمكم علينا أو بشر بما تريدون بشأن المكروه أو بشر من أهل الكتاب أو بشر من دينهم (منوبة عند الله) أي جزاءنا ما هو مخصص بالخبر كأن العقوبة مخصصة بالشروط وضعت هذا موضع العقوبة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم وهي منوبة على التميز بشر (من لعنه الله) أي عولعن من لعنه الله أو هودين من لعنه الله (وغضب عليه) أي انتقم منه لأن الغضب ارادة الانتقام من العصاة (و جعل منهم القردة والخنازير) أي مسح بعضهم قردة وبه ضم خنازير وهم اليهود فإن الله مسح أصحاب السبت قردة وكفار مائدة عيسى منهم خنازير وقال ابن عباس أن المسوخين كلاهما أصحاب السبت فبسببهم مسحوا قردة ومسحوا خنازير (وعبد الطاغوت) أي جعل منهم عبد الطاغوت بالإضافة عبد إلى الطاغوت والمعنى وجعل منهم من يبالغ في عبادة الطاغوت لأن فعل من صيغ المبالغة كقذر وقطن للتبليغ في الخلدن والظطنة وقرئ على أن عبد فعل ماض معطوف على غضب ولعن كأنه قيل ومن عبد الطاغوت وأمعطوف على القردة والخنازير أي وجعل منهم عبد الطاغوت جلا على لفظ من وقرأ ابن مسعود عبد الطاغوت جلا على معناها وقرأ ابن عباس عبد كأنه جمع عبد كما يقال سق وسقف ويجوز أن يكون جمع عبيد كغيف ورغيف أو جمع عابد كما زل ويزل وقرئ عباد جمع عابد بالمبالغة كعامل وعال وقرئ عبد على البناء المفعول والتقدير عبد الطاغوت فيهم وقرئ عبد الطاغوت على التوحيد وقرئ عبدة وأعبد الطاغوت مثل كاذب وأكاذب وقرئ وعبد عطف على الموصول وهي قراءة ضعيفة جدا ووجه القراءة في هذه الآية أربع وعشرون منها ثلثان سبعيتان والباقي شاذة ذكرها السمين والطاغوت الشيطان أو الكهنة أو المجلى أو الأخبار أو غيرهما بما تقدم مستوفى وجملة ان كل من أطاع أحدنا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت (أو لئلا)

أي ظهره وكذا قال غير واحد وزاد آخر من منهم السدي والضحاك وعكرمة وابن عباس في رواية ولا يكلمها مع ذلك ولا يجدها وقال علي بن أبي طلحة أيضا عن ابن عباس يعظها فإن هي قبلت والاهجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يردن كاحها وذلك عليه أشد يدو وقال مجاهد والشعبي وأبراهيم ومحمد بن كعب ومقسم وقتادة الهجر هو أن لا يضاجعها وقد قال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي هريرة القاشي عن عمه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فإن خفتم نشرهن فاهجرهن في المضاجع قال حماد يعني النكاح وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال

بارسول الله ما حق امرأه أهدأ عليه قال أن تطعمها إذا اطعمت وتكسوها إذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تنهجر
إلى البيت وقوله واضربوهن أي اذميرتدن بالموعظة ولأبالهجران فلكم ان تضربوهن ضربا غير مبرح كآبث في جميع
مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع وأتوا الله في النساء فانهن عندكم عوان ولكم عليهن أن لا يوطئن
فرشكم احداتكرهونه فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وكذا قال ابن عباس وغير
واحد ضرب باغير مبرح قال الحسن البصري يعني غير موزر قال التفهامة (٨٢) لا يكسر فيها عضوا ولا يؤثر شيئا وقال

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
يهجرها في المضجع فان أقبلت
والا فقد أذن الله لك أن تضربها
ضربا غير مبرح ولا تكسر لها
عظما فان أقبلت والافسد أحل
الله لك منها الفدية وقال سفيان
ابن عيينة عن الزهري عن عبد الله
ابن عبد الله بن عمر عن ابن عباس
عبد الله بن أبي ذئاب قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا تضربوا اماء
الله فجاء عمر رضي الله عنه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ذرت النساء على أزواجهن فخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ضربهن فاطاف بال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نساء كثير
يشتمكن أزواجهن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد أطف
بال محمد نساء كثير يشتمكن من
أزواجهن ليس أولئك بخجاركم
رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه
وقال الامام أحمد حدثنا سليمان
ابن داود عن أبي أباد الطيالسي
حدثنا أبو عوانة عن داود الأودي
عن عبد الرحمن السلمي عن الأشعث
ابن قيس قال ضرفت عمر رضي الله

أي الموصوفون بالصفات المتقدمة (شر) هنا على بابهم من التفضيل والتمنل عليه فيه
احتمالان أحدهما انهم المؤمنون والثاني انهم طائفة من الكفار و(مكانا) تمييز لان
مأواهم النار وجعلت الشرارة له مكان وهي لأهلها للمبالغة ويجوز أن يكون الاسناد
مجازيا (وأصل عن سوا السبيل) أي هم أصل من غيرهم عن الطريق بالمستقيم قيل
انتم في الموضوعين للزيادة مطلقا ولكونهم أشوأصل ممن يشاركم في اصل الشرارة
والضلال (واذا جؤكم) أي منافقوا اليهود (قالوا آمنا) أي اظهروا الاسلام
(وقد دخلوا بالكفر وهم قد خروا) جملتان حالتان أي جؤكم حال كفرهم قد
دخلوا عندئذ لم يتسبين بالكفر وخروا من عندئذ لم يتسبين بهم لم يؤثروا فيهم ما هم عوامك
بل نخر جؤا كما دخلوا (والله اعلم بما كانوا يكفون) عذ من الكفر والفساق وفيه وعيد
شديد وهؤلاء هم المنافقون وقيل هم اليهود الذين قالوا آمنا والذي أنزل على الذين آمنوا
وجه النار واكفروا آخره (وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم) الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والضمير في منهم عائذ الى المنافقين واليهود
أو الى الطائفتين جميعا وجه يسارعون في حمل النصب على الحال على ان الزوية بصرية
أو هو مفعول فان ترى على انما قلبية والمسارة في الشيء المبادرة اليه والاثم الكذب
او الشر والاحرام (والعدوان) هو الظلم المتعدى الى الغير ومحاربة الخد في الذنوب
(وأكلهم السحت) هو الحرام فعلى قول من فسر الاثم بالحرام يكون تكريره للمبالغة
(لبس ما كانوا يعملون) من المسارعة الى الاثم والعدوان واكل السحت وهو الرشا
وما كانوا يأكلونه من غير وجهه (لولا) أي هلا وهي هنا التخصيص والتوبيخ للملأهم
وعبادهم عن تركهم النهي عن المنكر (ينهاهم الربايون والاحبار) قال الحسن
الربايون علماء النصرى والاحبار علماء اليهود وقيل الكل من اليهود لان هذه الآيات
فيهم (عن قولهم الاثم) يعني الكذب (واكلهم السحت) أي الرشا والحرام (لبس
ما كانوا يصنعون) أي الاحبار والربان اذ لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا فيه زيادة
على قوله لبس ما كانوا يعملون لان العمل لا يبلغ درجة الصنع حتى يتدرب فيه صاحبه
ولهذا اتقول العرب سيف صنيع اذا جود عمله فله فالصنع هو العمل الجيد لا مطلق
العمل فويح سبحانه الخاصة وهم العلماء التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عنه فتناول امرأه فضر بها فقال يا أشعث احفظ عني ولا تلاحقظتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسأل الرجل فيمضرب
امرأته ولا تنم الاعلى وتروسي الثالثة وكذا رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي عن أبي
عوانة عن داود الأودي به وقوله تعالى فان أطعتم فلا تنفوا عليهن سيد لاى اذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريد منها
مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك وليس له ضربها ولا هجرانها وقوله ان الله كان عليا كبيرا ثم تبدل حال اذا بغوا
على النساء من غير سبب فان الله العلى الكبير ولهن وهو مستقيم ظلمهن وبغى عليهن (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله

وحكامهم أهلها ان يريد اصلاحا يوفق الله بينهم ما ان الله كان عليهما خيرا (ذكر الحال الاول وهو اذا كان التفويض للنسوة من الزوجة ثم ذكر الحال الثاني وهو اذا كان التفويض من الزوجين فقال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وقال الفقهاء اذا وقع الشقاق بين الزوجين أسكنهما الحاكم الى جنب ثقة تنظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فان تفاقم أمرهما وطالت خصوصتهما بعث الحاكم ثقة من أهل المرأة وثقة من قوم الرجل ليجتمعهما فاستنظر في أمرهما ويقضيا ما فسه المعطية بمارأته من التثريب (٨٤) أو التوفيق وتشوف الشارع الى التوفيق ولهذا قال تعالى ان يريد اصلاحا

يوفق الله بينهم - ما وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس أمر الله عز
وجل أن يبعثوا رجلا ضالحا من
أهل الرجل ورجلا من أهل
المرأة فيظن أن أيهما المسيء فإن
كان الرجل هو المسيء حببوا عنه
أمراته وقصره وعلى النفقة وإن
كانت المرأة هي المسيئة قصروها
على زوجها ومنعوها النفقة فإن
اجتمع رأيهم ما على أن يفرقا
أو يجمعهما فمرهما بما تفرقا رأيا
أن يجمعهما فرضي أحد الزوجين
وكره الآخر ثم مات أحدهما فإن
الذي رضى يرث الذي لم يرض ولا
يرث الكاره الراضى رواد ابن أبي
حاتم وابن جرير وقال عبد الرزاق
أخبرنا عبد مر عن ابن طاووس عن
عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال
بعثت أنا ومعاوية حكيمين قال
معه بلغني أن عثمان بعثهما وقال
لهم ما إن رأيتم أن يجمعكما فجمعوا وإن
رأيتم أن تفرقا ففرقا وقال أنسنا
ابن جريج حدثني ابن أبي ملكة
أن عقييل بن أبي طالب تزوج
فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت
تصبرني وأنت في عليك فكان إذا

الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله عز وجل لك وعلمك رواء ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير بن يعقوب عن ابن عتبة عن أنوب عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي بن مسleme ورواه من وجه آخر عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي بن مسleme وقد أجمع العلماء على أن الحكمين لهما الجمع والتفرقة حتى قال إبراهيم النخعي أن شام الحكمين أن يقر قايينهما بطلقة أو بطلقة من أو ثلاثا فعلا وهوراية عن مالك وقال الحسن البصري الحكمين يحكم في الجمع لا في التفرقة وكذا قال قتادة وزيد بن أسلم وبه قال أحمد بن حنبل وأبو ثور ودود ومأخذهم قوله تعالى أن يريد أصلا حقيقا لله فيلهمهما (٨٥) ولم يذكر التفرقة وأما إذا كانوا كليتين من جهة الزوجين فإنه ينفذ حكمهما في الجمع والتفرقة بخلاف وقد اختلف الأئمة في الحكمين هل هما منصوبان من جهة الحاكم فمحكمان وإن لم يرض الزوجان أو هما وكيلين من جهة الزوجين على قولين والجمهور على الأول لقوله تعالى فابتهوا لحكم من أهل وحقا من أهلها فسمها محكمين ومن شأن الحكم أن يحكم بغير رضا المحكوم عليه وهذا ظاهرا لاية واخذ من مذهب الشافعي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه الثاني منهم القول على رضى الله عنه للزوج حين قال الله التفرقة فلا فقال كذبت حتى تقر بما أقرب به

وقا أبعدهما والجواب عن الجواب الأول أن البدنة قاعة بذات الله وهي صفة سوى القدرة من شأن التكوين على سبيل الاصطفاء والذي يدل عليه أن الله تعالى أخبر عن آدم أنه خلقه بيده على سبيل الكرامة ولو كان معناه بقدرته أو نعمته أو ملكه لم يكن له خصوصية آدم بذلك وجهه مفهوم وامتنع كون آدم مصطفيا بذلك لأن ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من إثبات صفة أخرى ورواها لا يقع بها الخلق والتكوين على سبيل الاصطفاء وبه قال أبو الحسن الأشعري على ما نقله الرازي عنه وجماعة من أهل الحديث والجواب عن الجواب الثاني أن الاسم اذا نفي لا يؤدي في كلام العرب إلا عن اثنين باعتبار ما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس فثبت أن اليد صفة لله تعالى تليق بجلاله وأنها ليست بحارحة كما قالت النجيجة واليهود لا بشفعة وقدرة كما قالت المعتزلة ولما قالت اليهود ذلك أجاب سبحانه عليهم بقوله (غلت أيديهم) هذا دعاء عليهم بالخل فيكون الجواب عليهم مطابقا لما أرادوه بقوله سبحانه الله مغلول ويحجز أن يراد غل أيديهم حقيقة بالأسرى الدنيا أو العذاب في الآخرة ويقوى المعنى الأول أن الخل قد لم اليهود لروم الظل للشمس فلا ترى يهوديا وإن كان ماله في غاية الكثرة إلا وهو من أبخل خلق الله وقيل الجواز وفق بالمقام لمطابقة ما قبله عن ابن عباس قال قال رجل من اليهود يقال له السبا بن قيس إن ربك بخيل لا تنفق فانزل الله هذه الآية وعنه أنها نزلت في فخصاص اليهودى وعن عكرمة نحوه والمعنى أمسكت أيديهم عن كل خير قال الزجاج رد الله عليهم فقال أنا الجواد الكريم وهم الجبال لا أيديهم هي المسكنة (ولهنا وما قالوا) الباء سببية أى أبعدها من رحمة الله بسبب قولهم هذا فن لعنتهم انهم مسخوفوا في الدنيا فردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والحزينة وفي الآخرة قلهم عذاب النار هم والله سبحانه عليهم بقوله (بل يدها منسوطان) أى بل هو في غاية ما يكون من الجود ودكر اليمين مع كونهم لم يذكروا إلا اليد الواحدة سببا للغة في الرد عليهم بآيات ما يدل على غاية السخا فان نسمة الجود إلى اليمين أبغ من نسمة اليد الواحدة لافادة الكثرة اذ غاية ما يذله السخى من ماله أن يعطى بيده وهذه الجلة الأخرى معطوفة على جملة مقدرة يقتضيهما المقام أى كالبس الأمر كذلك بل يدها منسوطان يعنى هو جواد كريم على سبيل الكمال وحكى الاخفش عن ابن مسعود أنه قرأ بل يدها منسوطان أى منسوطتان ويد الله صفة من صفات ذاته كالسمع

نوكيل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وذو القربى والسامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب) يا مريم بارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فانه هو الخالق الرازق المفضل على خلقه في جميع الاوقات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل أتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال إن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال أتدري ما حق العباد على الله اذ فعلوا ذلك إن لا يعفبهم ثم أوصى بالاحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه

نوكيل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وذو القربى والسامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب) يا مريم بارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له فانه هو الخالق الرازق المفضل على خلقه في جميع الاوقات والحالات فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل أتدري ما حق الله على العباد قال الله ورسوله أعلم قال إن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال أتدري ما حق العباد على الله اذ فعلوا ذلك إن لا يعفبهم ثم أوصى بالاحسان إلى الوالدين فإن الله سبحانه

جاءه ما سبه الخرجك من العدم الى الوجود وكثيرا ما يقرن الله سبحانه بين عباده والاحسان الى الوالدين كقولته ان اشكر لى ولو الديك وكقولته رضى ربك ان لاتعبدا الا اياه والوالدين احسانا ثم عطف على الاحسان اليهما الاحسان الى القرابات من الرجال والنساء كما جاء في الحديث الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة ثم قال تعالى واليتامى وذلك لانهم فقدوا من يقول بصالحهم ومن يتفق عليهم فأمر الله بالاحسان اليهم والحق عليهم ثم قال والمساكين وهم المحرومون من ذوى الحاجات الذين لا يجيدون من يقوم بكفايتهم (٨٦) فأمر الله سبحانه بمساعدتهم بمعانتهم فكفايتهم وتزول به ضرورتهم وشيأى الكلام

والبصر والوجه فيجب علينا الايمان به والتسليم واثباته له تعالى وامرارها كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عين الرحمن وكلمة ايديه عين فالجارية مستقيمة في صفته عز وجل والجهمية أكثر رها وتأولوا بالنعمة والقدرة وهم المعطلة وهذا الانتفاء انما هو عند المؤمنين وأما اليهود فانهم مجمعة فيصعجل اليدهم على الجارية بحسب اعتقادهم الفاسد (يتفق كيف يشاء) جملة مستأنفة مؤكدة لكل حال جوده سبحانه اى انفاقه على ما تقتضيه مشيئته وحكمته فان شاء وسع وان شاء قتر لا اعتراض عليه فهو القابض الباسط فان قبض كان ذلك لما يقتضيه حكمته الباهرة لاشئ آخر فان خزان ملكه لا تنفى ومواد جوده لا تنتهى قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء وقال يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدا الله ملائى لا تغضب ما نفقة حواء الليل والنهار ارايت ما اتفق منذ خلق السموات والارض قائمه لم ينقص ما يدهم وكان عرشه على الماء ويده الميزان يرفع ويخفض آخرجه البخارى ومسلم وفى الباب احديث (وليزيدن) اللام هي لام القسم اى والله ليزيدن (كثيرا منهم) من علم اليهود والنصارى ورؤسائهم (ما نزل اليك) من القرآن المشتمل على هذه الاحكام الحسنة (من ربك طغيانا) الى طغيانهم (وكفروا) الى كفرهم عن قتادة قال جلهم حسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعرب على ان تركوا القرآن وكفروا بجمعه ودودينه وهم يمجذونه مكتوبا عندهم (وألقينا بينهم) اى بين طوائف اليهود (العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئية وبعضهم مشبهة أو بين اليهود والنصارى فهم فرق كالللكائنة واللاطورية واليعقوبية والماروانية لا يقال ان هذه المعنى حاصل بين المسلمين ايضا فكيف يكون عيبا عليهم لا على المسلمين لاننا نقول ان هذه البدع والافتراق لم يكن شئ مما حصل اليهم فى الصدر الاول وانما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسن جعل ذلك عيبا عليهم فى ذلك العصر الذى نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ابو حيان العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض وقديغض من ليس بعدو قاله الكرخى (كفأ وقودوا نار الحرب اطفاعا الله) اى كلما جعوا للحرب جعوا وعدوا له

على الفقير والمسكين فى سورة براءة وقوله والجار ذى القربى والجار الجنب قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس والجار ذى القربى يعنى الذى يملك وينسب قرابة والجار الجنب الذى ليس ينسب وينسب قرابة وكذا روى عن عكرمة ومجاهد وميمون بن مهران والضحاك وزيد بن اسلم ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال ابو اسحق عن نوف البكالى فى قوله والجار ذى القربى يعنى الجار المسلم والجار الجنب يعنى اليهودى والنصرانى رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقال جابر الجعفى عن الشعبي عن علي بن مسعود والجار ذى القربى يعنى المرأة وقال مجاهد اى ينافى قوله والجار الجنب يعنى الرقيق فى السفر وقد وردت الاحاديث بالوصايا بالجار فلنذكر منها ما تيسر وبالله المستعان الحديث الاول قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد ابن زيد انه سمع مجاهدا يحدث عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل

يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه آخر جاءه فى الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر به علة الحديث الثانى قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن داود بن شاپور عن مجاهد عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وروى أبو داود والترمذى نحوه من حديث سفيان بن عيينة عن بشر ابن اسمعيل زاد الترمذى وداود بن شاپور كلاهما عن مجاهديه ثم قال الترمذى حسن غريب من هذا الوجه وقد روى عن مجاهد وعائشة وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الثالث عنه قال أحمد أيضا حدثنا عبد الله بن يزيد أخبرنا حموة أخبرنا

شر خبيل بن شريك أنه سمع أبا عبد الرحمن الجبلي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لخاره ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن عبد الله بن المبارك عن جديته بن شريك عنه وقال حسن غريب الحديث الرابع قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبيه عن عياض بن رفاعه عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع الرجل دون جاره تفريده أحد الحديث الخامس قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا (٨٧)

الكلاعي سمعت المفيد ابن الأسود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبايه ماتهولون في الزنا فاولا حرام حرمة الله ورسوله وهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بجملته جاره قال ماتوا يقولون في السرقة قالوا حرمة الله ورسوله فهي حرام الى يوم القيامة قال لا يرى الرجل من عسرة أيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره تفريده أحد وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن مسعود قالت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزني حمله جارك الحديث السادس قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن حاتم حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العافية عن رجل من الانصار قال خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه فظننت أن له ما حاجة قال الانصاري لقد قام رسول الله صلى

عند شئت الله جمعهم وذبح برحمتهم فلم ينظروا بباطل ولا عادوا بقائده بل لا يحصلون من ذلك الا على الغلب لهم وذلك بان بعث الله عليهم مختصر الباطل ثم أفسدوا فبعث عليهم طغوس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المنجوس وهم أهل الفرس ثم أفسدوا وقالوا يا الله مغلوله فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة أبدًا وهكذا الارلون يهجون الحروب ويجمعون عليها ثم بطل الله ذلك قال مجاهد كلما كبروا في حرب محمد صلى الله عليه وآله وسلم أطفاله الله تعالى وعن السدي قال كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرقه الله وقذف في قلوبهم الرعب والآية مثقلة على استعارة بلغة وأساليب بديع وقيل الماراد بانارها الغضب أي كلما أثاروا في أنفسهم غضبا أطفاله الله بما جعله من الرعب في صدورهم والذلة والمسكنة الضروب بين عليهم قال قتادة لا تأتي اليهود ليلة الا وجدتهم من أذل الناس فيها وهم أبغض خلق الله اليه (ويسعون في الارض فسادا) أي يجتهدون في فعل ما يفسد فساد ومن أعظمه ما يريونه من ابطال الاسلام وكيد أهله (والله لا يحب المفسدين) ان كانت اللام الجنس فهم داخلون في ذلك دخولًا أوليا وان كانت للعهد فوضع الظاهر موضع المضمر لبيان شدة فسادهم وكونهم لا ينفكون عنه (ولو أن أهل الكتاب) أي لو أن المتكسبين بالكتاب وهم اليهود والنصارى على ان التعرف للجنس بيان لحالهم في الآخرة (آمنوا) الايمان الذي طمعه الله منهم ومن أهله الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم كأمر وايدلك في كتب الله المنزل عليهم (واقفوا) المعاصي التي من أعظمها ما هم عليه من الشرك بالله والجور لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها وان كانت كثيرة ومتنوعة لان الاسلام يجب ماقبله وقيل المعنى لو سئنا عليهم في اوزاقهم (ولا دخلناهم) تكرير اللام تأكيده الوعد (جنات النعيم) مع المسلمين يوم القيامة (ولو أنهم قاموا التوراة والانجيل) بما فيه مامن الاحكام التي من جملتها الايمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وما أنزل اليهم من ربهم) أي من سائر كتب الله التي من جملتها القرآن فانما كلها وانزلت على غيرهم فهي في حكم المثلثة عليهم لكونهم متعبدون بما فيها (لا) كانوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ذكر فرفق وتحت للبالغة في تفسير اسباب الرزق لهم وكثرت ما تعدد أنواعها عن ابن عباس قال لا كانوا من فوقهم يعني

الله عليه وسلم حتى جعلت أنزل في رسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قالت يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أنزل لك من طول القيام قال وقد رأيتني قلت نعم قال اتدري من هو قلت لا قال ذاك جبريل بل مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ثم قال اما انك لو سئمت عليه لرديك السلام الحديث السابع قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا ابو بكر بن عيسى المدني عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من العوالي ورسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يصليان حيث يصلي على الجنائز فلما انصرف قال الرجل يا رسول الله من هذا الرجل الذي رأيت يصلي معك قال وقد رأيته قال نعم

قال لقد رأيت خيرا كثيرا كثيرا اذ جبريل مازال يوصيني بالخيار حتى رأيت انه سيورثه فقد ربي من هذا الوجه وهو شاهد للذي قبله
الحديث الثامن قال أبو بكر البرازخي حدثنا عبد الله بن محمد أبو الربيع البخاري حدثنا محمد بن اسمعيل بن أبي فديك اخبرني عن
الرجل بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جاره
حق واحد وهو أدى الجيران حقاً وجاره حقان وجاره ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقاً فاما الجار الذي له حق واحد وجار
مشارك لا ربح له حق وأما الجار (٨٨)

لا ربح له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم قال السيار
لانعم احدا روى عن عبد الرحمن
ابن الفضل الابن أبي فديك
الحديث التاسع قال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا
شعبة عن أبي عمران عن طلحة بن
عبيد الله عن عائشة أنها سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
ان لي جارين فالي أيهما أهدي
قال الي أقربهم مما منك بابا ورواه
البخاري من حديث شعبة به
الحديث العاشر روى الطبراني
وابو ثعلبة عن عبد الرحمن بن فزاد قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نوصياً فجعل الناس يتسمعون
بوصيه فقال ما يحكمكم على ذلك
قالوا حب الله ورسوله قال من سره
أن يحب الله ورسوله فليصدق
الحديث اذا حدث وليو دالامانة
اذ اثبت (١) الحديث الحادي
عشر قال أحمد حدثنا قتيبة
حدثنا ابن لبيبة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان أول خصمين
يوم القيامة جاران وقوله تعالى
والصاحب بالجنب قال النوري

عن جابر الجعفي عن الشعبي عن علي وابن مسعود قالاهي المرأة وقال ابن أبي حاتم وروى عن
عبد الرحمن بن أبي ليلى وابراهيم الخفي والحسن وسعيد بن جبيرة في احدي الروايات فتوذلك وقال ابن عباس وجاعة هو
الضعيف وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة هو الرفيق في السفر وقال سعيد بن جبيرة هو الرفيق الصالح وقال زيد بن أسلم هو
جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وأما ابن السكيت فعن ابن عباس وجاعة هو الضيف وقال مجاهد وأبو جعفر الباقر
والحسن والضحاك وقتال هو الذي يمر عليك مجتازا في السفر وهذا أظهر وان كان من اد القائل بالضيف المار في الطريق فهو ما
(١) قوله اذا اثبت هذا الحديث ليس فيه شاهد سابق ولعله سقط بعد قوله اذا اثبت وليحسن الجوار وفيه الشاهد ٤١

سواء وسأق الكلام على أثناء السبل في سورة نزلت والله الثقة وعلمه التكالل وقوله تعالى ومملكتم أيمانكم وصية بالآز رفا
 لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس فلما ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يوصي أمتي في مرض الموت
 يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم فجعل يردد ما حتى ما يقضي به السان وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس
 حدثنا بوقية حدثنا يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد بكبر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطمت
 نفسيك فهو لك صدقة وما أعطمت ولو لك صدقة فهو لك صدقة وما أعطمت زرجتك (٨٩) فهو لك صدقة وما أعطمت خادمك فهو لك
 صدقة ورواه الترمذي من حديث

لا والذي فلق الحية وبرأ النجعة الا فهدم الله عليه ما في القرآن وما في هذه الحبيفة
 قلب وما في هذه الحبيفة قال العقل وفكك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر (وأن لم تقتل)
 ما أمرت به من تبليغ الجميع بل كتمت ولو لبعضن ذلك خوفا من أن تنال بكمروه (فما
 بلغت) قرأ أهل الكوفة (رسالة) بالتوحيد وقرأ أهل المدينة وأهل الشام رسالاتي على
 الجمع قال الناس والجمع أين لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ينزل عليه الوحي
 شيئا فشيئا ثم يسمعه انتم حتى وفيه نظر فان نفي التبليغ عن الرسالة الواحدة أبلغ من نفيه عن
 الرسالات كاذر علماء البيان على خلاف في ذلك وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم لآفته منازل الله وقال لهم في غير موطن هل بلغت فيشهدون له بالبيان فجزاه الله عن
 أمة خيرا وحاشا له ان يكتم شيئا مما أوحى اليه عن أبي سعد الخدرى قال نزلت هذه الآية
 يوم غدري ختم في علي بن أبي طالب وعن ابن مسعود قال كان قرأ على عهد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ان علماء المؤمنين وان لم تفعل
 فما بلغت رسالته وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله بعثني
 برسالة فضقت به اذ رعا وعرفت ان الناس مكذبون فوعدي لا بلغت ولا بعد ذنبى فانزلت
 يا أيها الرسول الآية (والله يعصمك من الناس) ان الله سبحانه وعده بالعصمة من الناس
 دفعه الما ينظن انه حامل على كتم البيان وهو خوف حقوق الاضر من الناس وقد كان ذلك
 بحمد الله فانه بين لعبد الله ما نزل اليهم على وجه التمام ثم حمل من أبي من الدخول
 في الدين على الدخول فيه طوعا أو كرها وقتل صناديد الشرك وفرق جوعهم وبدد شملهم
 وكانت كلمة الله هي العليا وأسلم كل من نازعه من لم يسبق فيه السيف العذل حتى قال يوم
 الفتح اصنادي قد قرأ بش وأكبرهم ما تظنون أني فاعل بكم فقالوا أخرجهم وان أخرجهم
 فقال اذهبوا فانتم الطلقاء وهكذا من سبق له العناية من علماء هذه الامة يعصمه الله من
 الناس ان قام ببيان حجج الله وايضا حبر ابراهيمه وصريح بين ظهراني من صاد الله وعانده
 ومن لم يعمل اشرعه كطوائف المبتدعة وقد راى يامن هذا في أنفسنا وسمعنا منه في غيرنا
 ما يزيد المؤمن ايمانا وصلاحا في دين الله وشدة شكيمة في القسام بحجة الله وكل ما ينظنه
 متزنا لوالاقدام ومضطرب بالقلوب من نزول الضرر بهم وحصول الخلل عليهم فهي حالات
 محتالة وتوهجات باطلة فان كل محنة في الظاهر هي منحة في الحقيقة لانها لا تأتي الا بخير

بقية واسناده صحيح والله الحمد
 وعن عبد الله بن عمرو أنه قال
 لقهرمان له هل أعطيت الرقيق
 قوتهم قال لا قال فانطق فأعطهم
 فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال كفى بالمرء أمنا أن يحبس عن
 عيالك قوتهم ورواه مسلم وعن أبي
 هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال للمساكين طعامه وكسوته
 ولا يكلف من العمل الا ما يطيق
 ورواه مسلم أيضا وعنه أيضا عن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال
 اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه
 فان لم يحمله معه فلناله لقمته
 أو لقمته أو أكله أو كلتين
 فانه ولي حره وعلاجه أخرجه
 ولفظه للخارى ومسلم قلبه بعده
 معه قلبا كل فان كان الطعام
 مشفوا هاتلا فليضع يده أكلة
 أو كلتين وعن أبي ذر رضى الله
 عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال هم اخوانكم خولكم
 جعلهم الله تحت أيديكم فن كان
 أخوه تحت يده فليطعمه بما يأكل
 وليلبسه مما يلبس ولا تكفوههم
 ما يغلبهم فان كلفوههم فاعنوههم

(١٢ - فتح البيان ثالث) أخرجه وقوله تعالى ان الله لا يحب من كان مختالا في اخفورا أى مختالا في نفسه مجابا متكبرا اخفورا
 على الناس يرى انه خير منهم فهو في نفسه كبير وهو عند الله حقير وعند الناس بغض قال مجاهد في قوله ان الله لا يحب من كان
 مختالا يعني متكبرا بخفورا يعني بعد ما أعطى وهو لا يشكر الله تعالى يعني يغتر على الناس بما أعطاه الله من نعمه وهو قليل
 الشكر لله على ذلك وقال ابن جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن أبي رجا الهري
 قال لا يحب الله الا وجاهة مختالا اخفورا ولا يؤمن مملكتم أيمانكم الآية ولا عاقا الإوحدته جبارا شقيا وتلا وبراو الذي

و لم يجعلني جبارا شقيدا و روى ابن أبي حاتم عن العوام بن حوشب مثله في المختار القصور و قال حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم عن الأسيود بن شيبان حدثنا يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت استمعي لقاه فلقاه فلقته فقلت يا أبا ذر بلغني أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يحب ثلاثة و يبغض ثلاثة قال أجل فلا أخالك أكذب علي خللي ثلاث قلت من الثلاثة الذين يبغض الله قال المختار القصور أو ليس تجدوه عندكم في كتاب الله المنزل ثم قرأ الآية إن الله لا يحب من كان مختالا في الغفورا و حدثنا أبي حدثنا موسى (٩٠) بن اسمعيل حدثنا وهيب عن خالد عن أبي تيمية عن رجل من بني الهجيم قال

عالي ويكفون ما آتاهم الله من فضله فالجبل جحود لنعمة الله ولا تظهر عليه ولا تسين لافي مأكله ولا في ملبسه السجين
لا في اعطائه وبذله كما قال تعالى ان الانسان لره ليه لكونه دانه على ذلك لشبهه أي بحاله وشما لاله والله لخب الخبير لا بيد وقال ههنا
يكفون ما آتاه الله من فضله ولهذا اوعدهم بقوله وأعدنا للكافرين عذابا مهينا والكفر هو الاسترو والتغطية فالجبل يستر نعمه
لله عليه ويكفهاو ويجعد هافهو وكافرنه نعمة الله عليه وفي الحديث ان الله اذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه وفي
البعاء النبوي واجعلنا شاكرين لنعمتك مشنين بها عليك قائلها وأتممها علينا وقد جعل بعض السلف هذه الآية على جبل

اليهود بانظار العلم الذي عندهم من صفته محمد صلى الله عليه وسلم وكثافتهم ذلك ولهذا قال تعالى واعتاد الكافرين عذابا مهينا رواه ابن ابي اسحق عن محمد بن ابي محمد عن عكرمة اوسعدين جبر عن ابن عباس وقاله مجاهد وغير واحد ولا شك ان الآية محتملة لذلك والظاهر ان السياق في الجدل بالمال وان كان الجدل بالعلم داخل في ذلك بطريق الاولى فان السياق في الاتفاق على الاقارب والضعفاء وكذلك الآية التي بعدها هي قوله الذين يتفقون أمو اليهم رثاء الناس فان ذكر المسكين المذمومين وهم البخله ثم ذكر الباذلين المرائين الذين يقصدون باعظائهم السمعة وأن يعدحوا بالكرم (٩١) ولا يريدون بذلك وجهه الله وفي حديث

السمن والذي مشينا عليه أو نضح وأظهر من الكل وظاهر الاعراب يقتضي أن يقال والصائبين وكذا قرأ أي وابن مسعود وابن كثير وقرأ الجمهور بالرفع وقد تقدم الكلام على الصائبين والنصارى في سورة البقرة وهومن صبابص ولائمهم صبا الى اسباع الهوى ويبدل من المبتدا الذي هو الفرق الثلاثة بدل بعض قوله (من آمن بالله) ايما نا خلاصا على الوجه المطلوب (واليوم الآخر) منهم وحذف لكونه معلوما عند السامعين (وعمل) عاملا (صالحا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي فهو الذي لا خوف عليه ولا حزن هذا على كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وأما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا جميع اهل الاسلام المخلص والمنافق فالمراد بمن آمن من اتصف بالايان الخالص واستقر عليه ومن أحدث ايما نا خلاصا بعد نفسه (لقد أخذنا عيثا من بني اسرائيل) كلام مبتدأ لبيان بعض افعالهم الخبيثة وخباياهم المنادية بالمبتدع الايمان منهم أي والله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر شرائعهم والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وقد تقدم في البقرة بيان معنى الميثاق (وأرسلنا اليهم رسلا) ليعرفوهم بالنشأ وتبذروهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) جملة شريطة وقعت جوابا لسؤال ناشئ من الاخبار بارسال الرسل كأنه قيل ماذا افعلوا بالرسول وجواب الشرط محذوف اي عصوه (فريقا كذبوا) جملة مستأنفة أيضا جواب عن سؤال ناشئ عن الجواب الاول كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا كذبوا منهم ولم تعرضوا اليهم بضرر (وفريقا) آخر منهم (يقتلون) أي قتلوه ولم يكتفوا بتكذيبهم وانما قال وفريقا يقتلون مراعاة قرؤس الالهي فمن كذبوه عيسى وأمثاله من الانبياء وعن قتالهم زكريا ويحيى وانما فصلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله ومخالفة لأمره (وحسبوا ألا تكون فتنة) أي حسب هؤلاء الذين أخذ الله عليهم الميثاق ان لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدائد اغترارا بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وحسب معنى علم لان آمن معناها التحقيق وحسب بمعنى الظن على ان ناصبة للفعل قال النحاس والرفع عند النحويين في حسب واخواتها أجود وانما جعلهم على ذلك الظن القاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلذلك حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يتلون بها وقيل انما أقدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم

الذين ومن أحدث ايما نا خلاصا بعد نفسه (لقد أخذنا عيثا من بني اسرائيل) كلام مبتدأ لبيان بعض افعالهم الخبيثة وخباياهم المنادية بالمبتدع الايمان منهم أي والله لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر شرائعهم والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وقد تقدم في البقرة بيان معنى الميثاق (وأرسلنا اليهم رسلا) ليعرفوهم بالنشأ وتبذروهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم) جملة شريطة وقعت جوابا لسؤال ناشئ من الاخبار بارسال الرسل كأنه قيل ماذا افعلوا بالرسول وجواب الشرط محذوف اي عصوه (فريقا كذبوا) جملة مستأنفة أيضا جواب عن سؤال ناشئ عن الجواب الاول كأنه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا كذبوا منهم ولم تعرضوا اليهم بضرر (وفريقا) آخر منهم (يقتلون) أي قتلوه ولم يكتفوا بتكذيبهم وانما قال وفريقا يقتلون مراعاة قرؤس الالهي فمن كذبوه عيسى وأمثاله من الانبياء وعن قتالهم زكريا ويحيى وانما فصلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله ومخالفة لأمره (وحسبوا ألا تكون فتنة) أي حسب هؤلاء الذين أخذ الله عليهم الميثاق ان لا يقع من الله عز وجل ابتلاء واختبار بالشدائد اغترارا بقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وحسب بمعنى علم لان آمن معناها التحقيق وحسب بمعنى الظن على ان ناصبة للفعل قال النحاس والرفع عند النحويين في حسب واخواتها أجود وانما جعلهم على ذلك الظن القاسد انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع آخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلذلك حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يتلون بها وقيل انما أقدموا على ذلك لاعتقادهم ان آباءهم وأسلافهم يدفعون عنهم

تم قال تعالى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مازرقتهم الله الآية أي وأي شيء يضرهم لو آمنوا بالله وسلكوا الطريق الجيدة وعدلوا عن الزيا الى الاخلاص والايان بالله رجاء موعود في الدار الآخرة قلن يحسن عمله وأنفقوا مازرقتهم الله في الوجوه التي يحبها الله ويرضاها قوله وكان الله بهم عليما أي وهو علم بنياتهم الصالحة والفاسدة وعلمهم عن يستحق التوفيق منهم فيوقفه ويأمرهم رشده ويقضه لعمل صالح يرضى به عنه وعن يستحق الخذلان والطرد عن جنابه الاعظم الالهي الذي من طرده عن بابه قد حاد وخسر في الدنيا والآخرة عياذ بالله من ذلك (ان الله لا ينظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا

عظما فكيف اذا اجتمعنا من كل امة بشهد وحننا بك على هؤلاء شهداء يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول واوليائه ان لا يتكلموا الله حديثنا يقول تعالى تخبرنا ان الله لا ينظم احدا من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يرفعها ويضعها له وان كانت حسنة كما قال تعالى ونضع الموازين القسط الاية وقال تعالى تخبرنا ان لقمان انه قال يا بني انك انك مثقال حسنة من خردل فتسكن في صحرة او في السموات او في الارض يا بني الله الاية وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اثناسا تلو بوا اعالمهم فمن يعمل مثقال ذرة (٩٢) خير ابره من يعمل مثقال ذرة شر ابره وفي الصحيحين من حديث زيد بن اسلم

العذاب في الآخرة (فعموا) عن ابصار الهدي (وحوا) عن استماع الحق وهذا الاشارة الى ما وقع من بني اسرائيل في الاستدانة من مخالفة احكام التوراة وتمثل شعيا وقل سمع عبادتهم الجبل في زمن موسى عليه السلام ولا يصح فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والجهل لكنها في عصر موسى ولا تعلق لها بما حكى عنهم مما فعلوا بالارسل الذين جاؤا اليهم بعد موسى عليه السلام (ثم تاب الله عليهم) حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا يباينون دهر اطو بلا تحت قهر مختصر اسارى في غاية الذل والمهانة فكشف عنهم الذلة والقط (ثم عوا وصعوا) وهذه اشارة الى ما وقع منهم بعد التوبة من قتل يحيى بن زكريا وقصدهم لقتل عيسى وقل بسبب الكفر بعدم صلى الله عليه وآله وسلم (كنهم منهم) بدل من الضمير قال الكرخي هذا الابدال في غاية البلاغة (والله بصير عما يعملون) من قتل الانبياء وتكذيب الرسل فيجازيهم بحسب اعمالهم وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ورعاية القواصل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) هذا كلام مستبد يتضمن بيان بعض فضائح اهل الكتاب والقائلون بهذه المقالة هم فرقة منهم يقال لهم المقورية وقل هم الملكانية قالوا ان الله عز وجل حل في ذات عيسى وان مريم ولدت الهافرد الله عليهم بقوله (وقال المسيح ابني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم) اى والحال ان قد قال المسيح هذه المقالة فكيف يدعون الالهية لمن يعترف على نفسه بانه عبد منهم ودلائل الحدوث ظاهرة عليه (الله) الشأن (من بشرنا بالله فقد حرم الله عليه الجنة) كلام مستبد يتضمن بيان ان الشرك يوجب تحريم دخول الجنة اذا مات صاحبه على شركه وقل هو من قول عيسى (وماؤا النار) اى مصيره اليها في الآخرة (وما للظالمين) اى المشركين فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها وفيه الاظها في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بوصف الظلم (من انصار) نصرهم فبعد خلونهم الجنة أو يخلصونهم من النار ويمنعونهم من عذاب الله وصيغة الجمع هنا للاشارة بان نصره الواحد امر غير محتاج الى التعرض لنفسه لشدة ظهوره وانما ينبغي التعرض لنصيصة الجمع (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) كلام مستبد أيضا لبيان بعض مخازيمهم والمراد بثالث ثلاثة واحد من ثلاثة ولهذا ايضا في الى ما بعده ولا يجوز فيه التنوين كما قال الزجاج وغيره وانما ينون ويشتب ما بعده اذا

عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل وفيه فيقول الله عز وجل ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فانرجوه من النار وفي لفظ اذنى اذنى اذنى مثقال ذرة من ايمان فانرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اوسعيد اقرؤا ان شئتم ان الله لا ينظم مثقال ذرة الاية وقال ابن ابي حاتم حديثا اوسعيد الاشج حديثا عيسى بن يونس عن هرون بن عسرة عن عبد الله بن السائب عن زاذان قال عبد الله بن مسعود يوثق بالعبد أو الامة يوم القيامة فينادى مناد على رؤس الاولين والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له حق فليأت الى حقه ففصرح المرأة ان يكون لها الحق على ابيها أو أمها أو أخيها أو زوجها فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيغفر الله من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينبض للناس فينادى مناد هذا فلان بن فلان

من كان له حق فليأت الى حقه فيقول يارب انقضت الدينامن أن أوفهم حقوقهم قال فبأخذون من اعمالها الصالحة فيعطون كل ذي حق بقدر طابته فان كان والله يفضل له مثقال ذرة ضاعها الله له حتى يدخلها الجنة ثم قرأ علينا ان الله لا ينظم مثقال ذرة وان كل حسنة يضاعفها وان كان عبدا شقيا قال الملائكة فثبت حسنة الله وفي طالبون ككثير يقول خذوا من سيئاتهم فاضفوها الى سيئاته ثم صكوا الصكا الى النار ورواه ابن جرير من وجوه أخر عن زاذان به نحوه وبعض هذا الاثر شاذ في الحديث الصحيح وقال ابن ابي حاتم حديثنا ابي حنيفة ابو نعيم حديثنا فضيل يعني ابن

مرزوق عن عطية العوفي حدثني عبد الله بن عمرو قال نزلت هذه الآية في الأعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل فقال له ما جري يا أبا عبد الرحمن قال ما هو أفضل من ذلك ان الله لا ينظم مثقال ذرة وان تلك حسنة يصاعها ويؤت من لذه أجر عظيم وحديثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله وان تلك حسنة ايضا عنها فأما المشرقة فيخفف عنه العذاب يوم القيامة ولا يخرج من النار أبدا وقد يستدل به بالحديث الصحيح ان العباس قال يا رسول الله ان عليا طاب كان يحوط وينصرك فهل (٩٣) فنتعه بشئ قال نعم هو في خضاض من نار ولولا

أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وقد يكون هذا خاصا باليه طالب من دون الكفار بدليل ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا عمار بن حدثنا قتادة عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا ينظم المؤمن حسنة يشاب عليها الرزق في الدنيا ويجزي بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم يكن له حسنة وقال أبو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله ويؤت من لذه أجر عظيم يعني الجنة نسأل الله رضاه والجنة وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا سليمان يعني ابن المغيرة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال بلغني عن أبي هريرة انه قال بلغني ان الله تعالى يعطي العبد المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال فقضى اني انطلقت حاجا أو معترا فلقنته فقلت بلغني عنك حديث انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول يجزي العبد

كان ما بعده دونه بحسنة نحو ثلاث اثنين ورابع ثلاثة والقاتل بانه سبحانه وتعالى ثالث ثلاثة هم النصارى والمزدا والثلثة الله سبحانه وعيسى وحميم كأيدي عليه قوله أو أنت قلت للناس اتخذوني وآبى الهين وهذا هو المراد بقوله لهم ثلاثه أقنيم أقنيم الأب واقنم الابن واقنيم روح القدس وقد تقدم في سورة النساء كلام في هذا وهو كلام معلوم بالطلان ولا ترى في الدنيا مقالة أشبه فسادا ولا أظهر بطلا نام مقالة النصارى قال الواحدى ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد به ثالث ثلاثة لأنه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم وبذل عليه قوله تعالى في سورة المجادلة ما يكون من فجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ثم رد الله سبحانه عليهم هذه الدعوى الباطلة فقال (وما من الا الله واحد) أى ليس في الوجود الا لثاني له ولا شريك له ولا ولي له ولا صاحبه الا الله سبحانه وهذه الجملات حالية والمعنى قالوا تلك المقالة والحال انه لا موجود الا الله ومن في قوله من الالهات كمد الاستغراق المستفاد من النبي قاله الزخشرى قال السمين ولكن لم أرهم قالوه وفيه مجال للنظر وقيل زائدة (وان لم ينهوا عما يقولون) من الكفر وهذه المقالة الخبيثة (لحسن الذين كفروا منهم) من يسيئة أو تبعية (عذاب أليم) أى نزع شديد الألم من العذاب وجميع في الآخرة (أفلا) الهمة للانكار والثناء للعطف على مقدر (يتوبون) من قولهم بالتثنية (الى الله يستغفرونه) فيه تعجيب من اصرارهم بمعنى الاصرأى يتوبوا ويستغفرونه (والله غفور) الهؤلاء ان تابوا واغفرهم والوالعمال (رحيم) بهم (ما المسبح من مريم الارسل) أى هو مقصور على الرسالة لا يجاوزها كزعمت وجملته (قد خلعت) صفوة رسول أى ما هو الارسل من جنس الرسل الذين خلوا من قبله وما وقع من الهجرات لا يوجب كونه الها فقد كان لمن قبله من الرسل مثلها فان الله أحبا العباد في يدموسى وخلق آدم من غير أب فكيف جعلتم احياء عيسى للموتى ووجوده من غير أب انه يوجب كونه الها فان كان كما تزعمون الهال ذلك فن قبله من (الرسل) الذين جاؤا بمثل ما جاء به آلهة وأنتم لا تقولون بذلك (وأمه) عطف على المسيح أى ومأمته الا (صديقة) أى صادقة فيما تقوله أو مصدقة لما جاء به ولها من الرسالة وذلك لا يستلزم الا الهية لها بل هى كسائر من تصف بهذا الوصف من النساء اللاتي يلازم الصدوق والتصدق

بالحسنة ألف ألف حسنة فقلت ويحكم ما أحدا كرمي بحسنة لآبى هريرة وما سمعت هذا الحديث منه فتعلمت أن يدان الحق فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج في طلب هذا الحديث فلقنته بأباهر فما حديث سمعت أهل البصرة يأتونه عنك قال ما هو قلت زعموا انك تقول ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال يا أبا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ويقول وامتناع الحياه الدنيا فى الآخرة الا القليل والذى نفسى بيده لقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال وهذا حديث غريب وعلى بن زيد بن

جاءه عن عنده سنا كبير ورواه أحمد أيضاً فقال حدثنا بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال أتيت
 أبا هريرة فقلت له بلغني أنك تقول إن الحسنه أتت ألف حسنة قال وما أعجز من ذلك فوالله لقد سمعت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول إن الله ليضاعف الحسنه ألفي ألف حسنة ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال حدثنا أبو خازم سليمان
 ابن خلاد المؤدب حدثنا محمد الرافعي عن زياد بن الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال لم يكن أحداً كثيراً سمعني لأبي هريرة
 أقدم قبل حاجي أو قدمت بعده فإذا أهل البصرة (٩٤) يأترون عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله

يضاعف الحسنه ألف ألف حسنة
 فقلت ويحكم ما كان أحداً أكثر
 حجاً استعني لأبي هريرة ما سمعت
 منه هذا الحديث فيسمت أن
 أطلقه فوجدته قد انطلق حاجاً
 فاطلقت إلى الحج إن القضاء في
 هذا الحديث ورواه ابن أبي حاتم
 من طريق أخرى فقال حدثنا
 بشر بن مسلم حدثنا الربيع روح
 حدثنا محمد بن خالد الذهبي عن
 زياد الجصاص عن أبي عثمان
 قال قلت لأبا هريرة سمعت أخواني
 بالبصرة يزعمون أنك تقول سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول إن الله يجزي بالحسنه ألف
 ألف حسنة فقال أبو هريرة بل
 والله سمعت نبي الله صلى الله عليه
 وسلم يقول إن الله يجزي بالحسنه
 ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية
 وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة
 الا قليل وقوله تعالى فكيف
 إذا جئنا من كل أمة بشييد وجئنا
 بك على هؤلاء شييد يقول تعالى
 مخبراً عن هول يوم القيامة وشدة
 أمره وشأنه فكيف يكون الأمر
 وإحال يوم القيامة حين يجيء من

ويقال في الاتفاق بمقارنتهم ما الأثرية يشرون أحدهما في والاخر صحابي فمن أين
 لكم أن تصفوهم بما لا يوصف به سائر الاشياء وخواصهم ووقع اسم الصديقة عليها
 لقوله تعالى وصدقت بكلمات ربك وكتبه (كانا يا كلان الطعام) استئناف يتضمن التقرير
 لما أشير اليه من انه ما كسائر أفراد البشر أي من كان يأكل الطعام كسائر الخلقين فليس
 برب بل عبد مربي ولدته النساء فتى يصلح لأن يكون رباً أو ما قولكم أنه كان يأكل الطعام
 بأسوته بل لا لا هوته فهو كلام باطل يستلزم اختلاط الآله بغير الآله ولو جاز اختلاط
 القديم بالحدث لجاز أن يكون القديم حادثاً ولو صح هذا في حق عيسى لصح في حق غيره
 من العباد (انظر كيف نبين لهم الآيات) أي الدلائل الواضحات على وحدانيتنا وفيه
 تعجب من حال هؤلاء الذين يجعلون تلك الاوصاف مستلزمة للالهية ويقولون عن
 كونها موجودة فيمن لا يقولون بآله (ثم انظر أي يوفقون) أي كيف يصرفون عن
 الحق بعد هذا البيان يقال أفك يا فكه إذا صرفه وكرراً لا المر بالنظر المبالغة في التعجب
 وجاء بتم لاظهار ما بين العجيبين من التناقض وقبل الاول أمر بالنظر في كيفية ايضاح الله
 تعالى لهم الآيات وبيانها والثاني بالنظر في كونهم صرفوا عن تدبرها والبيان بها (قل
 أعبدون) أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم هذا القول
 الزامهم وقطع شبهتهم بعد تعجبهم من أحوالهم أي أعبدون (من دون الله) متجاوزين
 إياه (ما لا ينالكم ضرراً ولا نفعاً) بل هو عبد مأمور وما جرى على يده من النفع أو وقع من
 الضرر فهو باقدار الله وتمكينه منه وأما هو فهو يعجز عن أن تلك لنفسه شيأ من ذلك
 فضلاً عن أن يملكه لغره ومن كان لا ينفع ولا يضر فكيف تتخذونه الهام وتعبدونه وأى
 سبب يقتضي ذلك والمراد هنا المسبح عليه السلام وإشارته إلى من تتعبدون ما هو المراد من
 كونه معزول عن الألوهية وأما بيان استخامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرت لها
 على شيء أصلاً وقدم سبحانه الضر على النفع لأن دفع المفاسد أهم من جلب المصالح وهذا
 دليل قاطع على أن أمره متاف للربوبية والآلية حيث لا يستطيع ضرراً ولا نفعاً وصفة
 الرب والآله أن يكون قادراً على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته وهذا في حق عيسى
 النبي خاططك بولي من الأولياء فإنه أولى بذلك (و) الخال ان (الله هو السميع العليم) زمن
 كان كذلك في القادر على الضر والنفع لا خطته بكل مجموع ومعلوم ومن جـ لـ

كل أمة بشييد يعنى الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين ذلك
 والشهادة الآية وقال تعالى ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم الآية وقال البخاري حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
 مشكان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقلت يا رسول
 الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال نعم ألقى أحب إن أحجمه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية فكيف إذا جئنا
 من كل أمة بشييد وجئنا بك على هؤلاء شهيد فقال حبك إلا أن فاد اعيناه نذر فان ورواه هو مسلم أيضاً من حديث الأعمش

هو وقدر منى من طرق متعددة عن ابن مسعود وفيه ومقطوعه عنه ورواه أحمد من طريق أبي حيان وأبي زرير عنه وقال ابن أبي
حاتم يحدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الصلت بن مسعود الجندري حدثنا فضيل بن سلمان حدثنا يونس بن محمد بن فضالة
الانصاري عن أبيه قال وكان أبي من محب النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاهم في بني ظفر فجلس على الصخرة
التي بنى في ظفر اليوم وبعده ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئا فقرأ حتى أتى على هذه
الآية فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيد أفبكي (٩٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب

الحياه وخيباه فقال يارب هذا
شهدت على من أتاني أن يظهرهم
فكيف عين لم أره وقال ابن جرير
حدثني محمد بن عبد الله الزهري
حدثنا سفيان عن المسعودي
عن جعفر بن عمرو بن حرب عن
أبيه عن ابن مسعود في هذه
الآية قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم شهيد عليهم
مادمت فيهم فلما توفيتي كنت
أنت الرقيب عليهم وأما ما ذكره
أبو عبد الله القرطبي في التذكرة
حيث قال باب ما جاء في شهادة النبي
صلى الله عليه وسلم على أمته قال
أناس المداير أنا رجل من الانصار
عن المنهال بن عمرو وأنه سمع سعيد
ابن المسيب يقول ليس من يوم الا
يعرض فيه على النبي صلى الله
عليه وسلم أمته غدوة وعشية
فيعرضهم بأسمائهم وأعمالهم
فلذلك شهد عليهم يقول الله
تعالى فكيف اذا جئنا من كل
أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء
شهيدا فإنه أثر وفيه انقطاع فان
فيه رجلا منهم لم يسم وهو من كلام
سعيد بن المسيب لم يرفع وقد قبله

ذلك مضاركم ومنافعكم وقيل ان الله هو المستحق للعبادة لانه يسمع كل شيء ويعلمه واليه ينحو
كلام الزخشرى (قل يا أهل الكتاب لا تغالوا في دينكم) لما بطل سبحانه جميع ما تعلقوا
به من الشبه الباطلة منها هم عن الغلو في دينهم وهو الجأوزة للعد كاثبات الالهة لبعضها
بقوله النصاري وأوحطه من مرتبته العلمية كما به قوله اليهود فان كل ذلك من الغلو المذموم
وسلوك طريقة الافراط أو التفریط واختياره ما على طريق الصواب (وغير) متعصب
على الله نعمت لمصدر محذوف أي غلوا غير غلوا (الحق) وأما الغلو في الحق بإبلاغ كلمة الجهد
في البحث عنه واستخراج حقائقه فليس مذموم وقيل ان النصب على الاستثناء المتصل
وقيل على المنقطع قال قتادة لا تغالوا أي لا تتبدعوا عن ابن زيد قال كان مغالوا فيه ان
دعوا لله صاحبة وولدا (ولا تتبعوا أهواء قوم) جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس
اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذهمه وقال أبو عبيدة لبغداد الهوى
يوضع الاموضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريد
واخطاب اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أعان
اتباع أسلافهم فيما استدعوا من الضلالة بأهوائهم وهو المراد بقوله (قد ضلوا من قبل)
أي قبل البعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والتحية والمراد أن أسلافهم ضلوا قبل البعثة
بغلوهم في عيسى (واضلوا كثيرا) من الناس اذ ذلك (وضلوا) من بعد البعثة اما بانفسهم
أو جعل ضلال من أضلوه ضلالا لهم لكونهم سبوا لهم ذلك ونحوه لهم وقيل المراد
بالاول كفرهم بما يقتضيه العقل والثاني كفرهم بما يقتضيه الشرع وقيل الاول ضلالهم
عن الانجيل والثاني ضلالهم عن القرآن (عن سواء السبيل) أي عن طريق الحق
(لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) أي لعنهم الله
سبحانه في الزبور والانجيل على لسان داود وعيسى بما فعلوه من المعاصي لاعتدائهم
في السبت وكفرهم بعيسى وعن أبي مالك الغفاري قال لعنوا أي اليهود على لسان داود
خفة الوافرة وهم أصحاب أبيه والنصاري على لسان عيسى فجعلوا خنازير واهم أصحاب
المائدة وكانوا خمسة آلاف ليس فيهم امرأاة ولا صبي والقرية ثمان من بني اسرائيل وعن
قتادة فثبوه وكان داود بعد موسى وقبل عيسى (ذلك جماعصوا وكانوا يعتدون) جملة
مستأنفة والمعنى ذلك المعنى بسبب المعصية والاعتداء لا بسبب آخر ثم بين سبحانه المعصية

القرطبي فقال بعد ايراده قد تقدم ان الاعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس فانها تعرض على الانبياء والآباء والامهات
يوم الجمعة قال ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخض ميتا ما تعرض عليه كل يوم ويوم الجمعة مع الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة
والسلام وقوله تعالى يومئذ ينادي الذين كفروا وعصوا الرسول وتوسى بهم الارض ولا يكتفون الله حدينا أي لو انشقت وبلغتهم
بما يرون من أهوال الموقف وما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتوبيخ كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه الآية وقوله ولا يكتفون
الله حديثا اخبار عنهم بأنهم يعترفون بجميع ما فعلوا ولا يكتفون منه شيئا وقال ابن جرير حدثنا جاحم حدثنا عمرو بن مظفر عن

المنهال بن عمرو عن سعد بن جبيرة قال جاء رجل ابن عباس فقال له سمعت الله عز وجل يقول يعنى اخبارا عن المشركين يوم القيامة انهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال في الآية الاخرى ولا يكتفون الله حديثا فقال ابن عباس أما قوله والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا أنه لا يدخل للفسقة الا أهل الاسلام قالوا تعالوا فلنجد فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فغضب الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم ولا يكتفون الله حديثا وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو عن سعد بن جبيرة قال جاء رجل الى ابن (٩٦) عباس فقال أشياء تختلف على في القرآن قال ما هو أشد في القرآن قال ليس

هو بالشك ولكن اختلاف قال فهنا ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتفون الله حديثا فقد كفووا فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا يوم القيامة ان الله لا يغفر الا لاهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يعطاهم اذن أن يغفرو ولا يغفر شر كما يجد المشركون فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجا أن يغفر لهم فغضب الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يوذ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسويهم الارض ولا يكتفون الله حديثا وقال جوير عن الضحاك ان نافع ابن الازرق أتى ابن عباس فقال يا ابن عباس قول الله تعالى يومئذ يوذ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسويهم الارض ولا يكتفون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال له ابن عباس اني أحسبك قت من عند أصحابك

والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اسند الفعل اليهم لكون فاعله من جنسهم ولم ينفهوا به جعلا والمعنى انهم كانوا لا يبنون العاصي عن معاودة عصية قد فعلها أو تهيأ لفعلها ويحتمل ان يكون وصفهم بانهم قد فعلوا المنكر باعتبار حالة النزول لاحالة ترك الانكار وبيان العصيان والاعتداء بترك التناهي عن المنكر لان من أدخل بواجب النهي عن المنكر فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الاسلامية وأجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شر يكال لفاعل العصية ومستحقا لغضب الله واتقاه كما وقع لاهل السبت فان الله سبحانه مسخ من لم يشاركهم في الفعل ولكن ترك الانكار عليهم كما مسخ المعتدين قصاروا جميعا قرءة وخنازير ان في ذلك لعبرة ان كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ثم ان الله سبحانه قال مع هذا عدم التسامح عن المنكر (لئسما كانوا يفعلون) من تركهم لانكار ما يجب عليهم انكاره واللام القسم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله رددع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا تمنعه ذلك ان يكون أكله وشربه وقعوده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا الى قوله فاستقنوا ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ثم تأخذن على يد الظالم وتلونهن على الحق اطراعه لقصصه على الحق قصرا زاد في رواية أو لضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم يلعنكم كاللعنم اخرجهم أودادوا والترمذي وحسنه وابن ماجه وغيرهم وقدرى من طرق كثيرة والا حاديث في هذا الباب كثيرة جدا فلا نقول بكراهة عن ابي عبيدة بن الجراح يرفعه قلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيما من اول النهار فقام مائة واثنا عشر رجلا من عبادهم فامرهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار فهم الذين كفروا من بني اسرائيل الايات (ترى كثيرا منهم) اى من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه (يتولون الذين كفروا) اى المشركين وليسوا على دينهم (لئسما قادت) اى سوات وزينت (لهم) انفسهم (أو ما قدموه لانفسهم ليردوا عليه يوم القيامة) والخصوص بالذم هو (أن يحط الله عليهم) أى موجب يحط الله عليهم على حذف مضاعف او هو محط الله على حذف المبتدأ أى

هو بالشك ولكن اختلاف قال فهنا ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول ثم لم تكن فتنتهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال ولا يكتفون الله حديثا فقد كفووا فقال ابن عباس أما قوله ثم لم تكن فتنتهم الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما رأوا يوم القيامة ان الله لا يغفر الا لاهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يعطاهم اذن أن يغفرو ولا يغفر شر كما يجد المشركون فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين رجا أن يغفر لهم فغضب الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يوذ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسويهم الارض ولا يكتفون الله حديثا وقال جوير عن الضحاك ان نافع ابن الازرق أتى ابن عباس فقال يا ابن عباس قول الله تعالى يومئذ يوذ الذين كفروا وعصوا الرسول لوتسويهم الارض ولا يكتفون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال له ابن عباس اني أحسبك قت من عند أصحابك

فقلت أتى على ابن عباس متشابه القرآن فاذا رجعت اليهم فاخبرهم ان الله تعالى يجتمع الناس يوم القيامة بما في بيوع واحد فيقول المشركون ان الله لا يقبل من أحد شيئا الا باليمن وحده فيقولون تعالوا لنجد فديسأ لهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيغضب الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم وتشهد عليهم جوارحهم انهم كانوا مشركين فعند ذلك تمتون لو أن الارض سويت بهم ولا يكتفون الله حديثا رواه ابن جرير (يا أيها الذين آمنوا اقربوا الى الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبل حتى تغسلوا) وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا

ما فيه من اضعاف اطيافهم و اوجوههم و ايدىكم ان الله كان عفوا غفورا) ينهى تبارك و تعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول وعن قربان محالها التي هي المساجد الغيب الان يكون مجتازا من باب الى باب من غير مكث وقد كان هذا قبل تحريم الخمر كادل عليه الحدب الذي ذكرناه في سورة البقرة عند قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاها على عمر فقال اللهم بين لنا في الخمر يسا فاشيا فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر يسا فاشيا فكانوا الاشبوهون الخمر (٩٧) في اوقات الصلوات حتى نزلت يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانساب

والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله تعالى فهل أنتم متعون فقال عمر انهمنا في رواية اسرائيل عن أبي اسحق عن عمر بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب في قصة تحريم الخمر في الحديث وفيه فزلت الآية التي في النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قامت الصلاة ينادى لا يقربن الصلاة سكران لفظ أبي داود وذكر ابن أبي شيبة في نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا أبو نؤس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة أخبرني سماعة بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت في أربع آيات صنع رجل من الانصار طعاما فدعا أناسا من المهاجرين وأناسا من الانصار فاكلنا وشربنا حتى سكرنا ثم افترقنا فوقع رجل الخمر ففرزها أثف سعد فكان سعد مغرورا لظن ذلك قبل تحريم الخمر فزلت يا أيها

بما فعلوا من موالاة الكفار (وفي العذاب هم خالدون) يعنى في الآخرة (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي أئنيهم محمد (وما أنزل اليه) من الكتاب (ما اتخذوهم) أي المشركين والكفار (أولياء) لان الله سبحانه ورسوله المرسل اليهم وكتابه المنزل عليه قد نهوهم عن ذلك (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أي خارجون عن ولاية الله وعن الايمان به و برسوله وكتابه قال مجاهد هم المنافقون (تعبدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) هذه جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من تعدد ادما سواي اليهود وهناتهم ودخول لام القسم عليها بنديها تائيدا وتقريرا وقال ابن عطية اللام للاستدعاء وليس بشئ والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكل من يصلح له كما في غير هذا الموضع من الكتاب العزيز والمعنى ان اليهود والمشركين لعنهم الله أشد جميع الناس عداوة للمؤمنين وأصلهم هم في ذلك (وتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا اننا نصارى) أي أن النصارى أقرب الناس مودة للمؤمنين وصفهم بلبن العربية وسهولة قولهم الحق قبل مذهب اليهود أنه يجب عليهم ابصال الشر والاذى الى من خالفهم في الدين بأى طريق كان مثل القتل ونهب المال وأبناوع المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايداء في مذهبهم هم احرام فحصل الفرق بينهما وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد على الدنيا وطلب الرياسة ومن كان كذلك كان شديد العداوة للغر في النصارى من هو معرض عن الدنيا ولذا اتم اوترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يجسد اعداء ولا يواديه بل يكون لبن العربية في طلب الحق والاولى وقال مجاهد هم الوفد الذين جاؤا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما خلاهم ودي بعلم الا هم يقتله وفي لفظ الاحدث نفسه يقتله رواه أبو الشيخ قال ابن كثير وهو غريب جدا وعن عطاء قال ما ذكر الله به النصارى من خير فانما يراد به الحباشي وأصحابه وعنه قال حم ناس من الحبشة آمنوا اذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين فذلك لهم ولكن الاعتبار بهوم اللفظ لا بخصوص السبب (ذلك) أي كونهم أقرب مودة (بان) الباء للسببية (منهم قسيسين) جمع قس وقسيس قاله قطرب والقيس العالم وأصله من قس اذا تتبع الشيء وطلبه وتقصت أصواتهم بالليل تسعته والقس النعمة والقس أيضا رئيس النصارى في الدين والعلم وجمعه قسوس أيضا وكذلك القسيس

(١٣ - فتح البيان ثلث) الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فالحديث بطوله عندهم سلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن الا ان ما حجه من طرق عن سماعة به سبب آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دهمسكي حدثنا أبو جعفر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وبقا ناسا من الخمر فأخذت الخمرنا وحضرت الصلاة فقدموا افلانا قال فقرأ يا أيها الكافرون ما عبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأقر الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون هكذا رواه ابن أبي حاتم

وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حديد عن عبد الرحمن الدستقي به وقال حسن صحيح وقد رواه ابن جرير عن محمد بن بشير عن عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي أنه كان هو وعبد الرحمن ورجل آخر مشربوا الخمر فصرى بهم عبد الرحمن فقرأ عليهم يا أيها الكافرون فخلط فيهما فزلبا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وهكذا رواه داود والنسائي من حديث الثوري به وزواه ابن جرير أيضا عن ابن حديد عن جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي قال كان علي في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في بيت (٩٨) عبد الرحمن بن عوف فطعموا فأناهم بخمر فشربوها ثم أؤذلك قبل أن يحرم

الخمر فحضر الصلاة فقدموا عليا فقرأ عليهم - ثم قال يا أيها الكافرون فلم يقرأها كما ينبغي فأمر الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ثم قال حدثني المتني حدثنا الحجاج بن المنهال حدثنا جاد عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن حبيب وهو أبو عبد الرحمن السلمي أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشربا فافتقرنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بهم المغرب فقرأ عليهم يا أيها الكافرون أعبدوا ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد وأنما عبد ما عبدتم لكم دين فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وقال العوفي عن ابن عباس في الآية أن رجلا كانوا يأتون وهم سكارى قبل أن يحرم الخمر فقال الله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية رواه ابن جرير قال وكذا قال أبو زرير ومجاهد وقال عبد الزاق عن معمر عن قتادة كانوا يجتنبون السكر عند حضور الصلوات ثم نسخ في تحريم الخمر قال الضحاك في الآية لم يكن

مثل الشر والشرير ويقال في جمع قيس تكبير أقاوسة والاصل قباصة فالمراد بالقيسين في الآية المتبعون للعلماء والعباد وهو ما يحكي خلطه العرب بكلامها أو عربي (وربها) جمع رهاب كركبان ورأسك والفعل رهب الله رجسه أي خافه والرهابة والترهب التعبد في الصوامع قال أبو عبد الله يكون رهبان للواحد والجمع قال الثوري ويجمع رهبان إذا كان للمفرد رهايين كقربان وقرايين ثم وصفهم الله سبحانه بقدم الاستكبار عن قول الحق فقال (وأنهم لا يستكبرون) بل هم متواضعون بخلاف اليهود فإنهم على ضد ذلك قبل ولم يرد به كل النصارى فإن معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية فمن آمن منهم مثل الجاشي وأصحابه والعموم أولى ولا وجه لتخصيص قوم دون قوم والآية الكريمة ساكنة عن قيد الإيمان وانما عودم في مقابلة ذم اليهود وليس بدخ على الإطلاق وقد تقدم الفرق بين وصف اليهود بسدة الشكيمة والناصريين العربكة وفي الآية دليل على أن العلم أنفع شيء واحدا إلى الخيروان كان علم القيسين وكذا علم الآخرة وان كان في رهاب وكذا البراءة من الكبروان كانت في نصراني (وإذا سمعوا) مستأنفة قاله الحلال السيوطي أو معطوفة على لا يستكبرون قاله أبو السعود والضمير يعود على النصارى المتقدمين بعمومهم وقيل هولاء من الحبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية لأن كل النصارى ليسوا إذا سمعوا (مأثرا إلى الرسول) أي القرآن ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق أي تملأ تفيض لأن الفيض لا يكون إلا بعد الاملاء جعل الاعين تفيض والقائض انما هو الدمع قصده المبالغة كقولهم دمعت عنه ووضع الفيض الذي ينشأ من الامتلاء موضع الامتلاء من اقامة المسبب مقام السبب ومن الأولى لا ابتداء الغاية والثانية بيانية أي كان ابتداء الفيض ناشئا من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه ويجوز أن تكون الثانية تعضية وقد أوضح أبو القاسم هذا غاية الإيضاح والمعنى أنهم عرفوا بعض الحق فأشبهوا بكافريهم فكيف إذا عرفوه كله وقرأ القرآن وأطاعوا السنة عن ابن الزبير قال نزلت هذه الآية في الجاشي وأصحابه وعن ابن عباس نحوه والروايات في هذا الباب كثيرة وهذا المقدار يكفي فليس المراد إلا بيان سبب نزول الآية وصفهم سبحانه بسبب الدمع عند البكاء ورتبة القلب عند سماع القرآن (يقولون) مستأنفة لا محل لها كأنه قيل فما حالهم عند سماع

بها سكر الخمر وانما عني بها سكر النوم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم قال ابن جرير والصواب أن المراد سكر الشراب قال ولم توجه النهي إلى السكران الذي لا يفهم الخطاب لأن ذلك في حكم المجنون وانما خطوب بالنهي المثل الذي يفهم التكليف وهذا حاصل ما قاله وقد ذكره غير واحد من الأصوليين وهو أن الخطاب توجه إلى من يفهم الكلام دون السكران الذي لا يدري ما يقال له فإن الفهم شرط التكليف وقد يحتمل أن يكون المراد التعريض بالنهي عن السكر بالكلية لكونهم مأمورين بالصلاة في الخمسة الأوقات من الليل والنهار فلا يمكن شارب الخمر من أداء الصلاة في أوقاتها دائما والله أعلم وعلى هذا فيكون كقوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حتى تقسوه ولا تقوتن الا وأنتم مسلمون وهو الامر لهم بالتأهب للموت على الاسلام والمداومة على الطاعة لاجل ذلك وقوله حتى تعلموا ما تقولون هذا أحسن ما يقال في حد السكران أنه الذي لا يدري ما يقول فان الخمر فيه تغلظ في القرائة وعدم تدبره وخشوعه فيها وقد قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعت أحدكم وهو يصلي فليصرف وليمن حتى يعلم ما يقول انقروا بخارج البخاري دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أيوب به وفي بعض الفاظ الحديث قلعه يذهب يستغفر (٩٩) قيب بنفسه وقوله ولا تجسبا الاعابري

سبيل حتى تقتسوا قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا أبو جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس في قوله ولا تجسبا الاعابري سبيل حتى تقتسوا قال لا تدخلوا المسجد وأنتم جنب الاعابري سبيل قال قربة مره اولا تجلس ثم قال وروى عن عبد الله ابن مسعود وأنس وأبي عبيدة وسعيد بن المسيب والضحاك وعطاء ومجاهد ومبرق وواراهم النخعي وزيد بن أسلم وأبي مالك وعمر بن دينار والحمصيون بن عتبة وعكرمة والحسن البصري ويحيى بن سعيد الانصاري وابن شهاب وقتادة نحو ذلك وقال ابن جرير حدثنا الشئب حدثنا ابو صالح حدثني الليث حدثنا زيد بن أي حبيب عن قول الله عز وجل ولا تجسبا الاعابري سبيل ان رجلا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فكانت تصيدهم الجسابة ولا ماء عندهم فيردون الماء ولا يجردون عرا الا في المسجد فانزل الله ولا تجسبا الاعابري سبيل ويشهد لجمعة

القرآن فقال يقولون يعني القسيسين والرهبان أو حال من أعينهم أو من فاعل عرفوا (ربنا آمننا) بهذا الكتاب النازل من عندك على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعين أنزلته عليه (فاكتبنا مع الشاهدين) على الناس يوم القيامة من أمة محمد وأمع الشاهدين بانه حق أو مع الشاهدين بصديق محمد وانه رسولك الى الناس (ومالنا) كلام مستأنف والاستفهام للاستبعاد أي متى حصل لنا حال كورتنا (لا تؤمن بالله) على توجيه الانكار والنفى الى السبب والسبب جعلا الى السبب فقط مع تحقق السبب (وما جاءنا من الحق) أي القرآن من عنده على لسان رسوله والمراد به الباري تعالى والمعنى انهم استبعدوا انتفاء الايمان منهم مع وجود المقضي له وهو الطمع في انعام الله فلا الاستفهام والنفى متوجهان الى القيد والمسجد جعلا كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا (وإن طمع) عطف على تؤمن لانه لا يقع لا تزخري اذا عطف عليه يقتضي انكار عدم الايمان وانكار الطمع وليس مراد ابا بل المراد انكار عدم الطمع أيضا وجوز أبو حسان أن يكون معطوفا على تؤمن على أنه متنى كنى تؤمن والتقدير ومالنا لا تؤمن ولا نطمع فيكون في ذلك الانكار لانتفاء ايمانهم وافتقار طمعهم مع قدرتهم على تحصيل الشئب الايمان والطمع في الدخول مع الصالحين انتهى ذكرك ذلك أبو البقاء باختصار ولم يطالع عليه أبو حسان فجهته وقال لم يذكره وقاله الكرخي (أن يدخلنا ربنا الجنة) مع القوم الصالحين أي مالنا لنجتمع بين ترك الايمان وبين الطمع في حبة الصالحين يعني مع أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل مع الانبياء والمؤمنين (فأنا بهم الله بما قالوا) أي على هذا القول مخلصين له معتقدين بضمونه (جنات تجري من تحتها الانهار) بمجرد القول لانه قد سبق وصفهم بما يدل على اخلاصهم فيما قالوا وهو المعرفة بالبكاء واستكانة القلب (خالدين فيها) أي في الجنات (وذلك جزاء المحسنين) الموحدين المخلصين في ايمانهم (والذين كفروا وكذبوا باياتنا) التكذيب بالآيات كفر فهو من باب عطف الخاص على العام (أو ائلكم احباب الجحيم) هذا أثر الرافضي في الادعاء والاول أثر القبول للاولياء والجحيم النار الشديدة الاتقاد ويقال يحجم فلان النار اذا شددت ايقادها ويقال يضالعين الاسد بحجمه لشدة اتقادها (يا أيها الذين آمنوا اتقوا اطيبا ما أحل الله لكم) الطيبات هي المستلذات مما أحله الله لعباده نهي الذين آمنوا أن يحرموا على أنفسهم شيئا منها اما

ما قاله بن زيد بن أبي حبيب رحمه الله ما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سدوا كل خوخة في المسجد الا خوخة أبي بكر وهذا قاله في آخر حياته صلى الله عليه وسلم علمنا أنه أن ابا بكر رضى الله عنه سبلى الامر بعده ويحتاج الى الدخول في المسجد كغير الامور المهمة فباصح للمسلمين فامر بسد الابواب الشارعة الى المسجد الا بابه رضى الله عنه ومن روى الاباب على كوقع في بعض السنن فهو خطأ والصحيح ما ثبت في الصحيح ومن هذه الآية اخرج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب المكث في المسجد ويجوز له المرور وكذا الخاص والنساء في معناه الآن أن بعضهم قال يمنع مروره الاحتمال الملقب ومنهم من قال ان

أثبت كل واحد منهم ما التواقيف في حال المرور جازله المرور والأفلا وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخبز من المسجد فقلت اني جائض فقال ان جيتك لست في بيتك وله عن أبي هريرة مثله
وفيه دلالة على جواز المرور والجائض في المسجد والتفاس في معناها والله أعلم وروى أبو داود من حديث أفلح بن خليفة العامري
عن جسر بن جابر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا اهل المسجد لجائض ولا جنب قال أبو مسلم الخطابي
ضعف هذا الحديث جماعة وقالوا قلت (١٠٠) محمول لكن رواه ابن ماجه من حديث أبي الخطاب الهجري عن محبوب

الذهلي عن جسر عن أم سلمة عن
النبي صلى الله عليه وسلم به قال
أبو زرعة الرازي يقول جسر عن
أم سلمة والعجيج جسر عن عائشة
فأما ما رواه أبو عيسى الترمذي من
حديث سالم بن أبي حفصة عن عطية
عن أبي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي
لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد
غيري وغيري فإنه حديث ضعيف
لا يثبت فان سألنا هاتم بن شريك
عطية ضعيف والله أعلم بحديث
آخر في معنى الآية قال ابن أبي
حاتم حديثنا المنذر بن شاذان حديثنا
عبد الله بن موسى أخبرني اسحق بن
أبي ليلى عن المنهال بن زريق حيش
عن علي ولا جنب الا عابري سبيل
قال لا يقرب الصلاة الا ان يكون
مسافرا نصيبه الحفاة فلا يجسد
الماء فيصلي حتى يجرد الماء ثم رواه
من وجه آخر عن المنهال بن عمرو عن
زرع عن أبي طالب فذكره قال
وروى عن ابن عباس في احادي
الروايات وسعيد بن جبيرة الضحاك
نحو ذلك وقد روى ابن جرير من

لنظهم أن في ذلك طاعة لله وتقرب اليه وأنه من الزندق الدنيا وقع النفس عن شهواتها أو
لنقص أن يحرموا على أنفسهم شيئا مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم حرام
علي وحرمته على نفسي ونحو ذلك من الالفاظ التي تدخل تحت هذا النبي القرائي قال
ابن جرير لا يجوز لاحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله له باذنه المؤمنين على نفسه من
طيبات الطعام والملابس والمناكح ولذلك رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التمثيل على
عثمان بن مظعون فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده وإن الفضل والبرائعات
في فعل ما يندب الله اليه عباده وعمل به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنه لأمته واتبعه
على منهاجه الآية الراشدون اذ كان خير الهدي هدى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
فاذا كان ذلك كذلك نين خطا من آثار لباس الشعر والصوف على لباس القطن واليكنان
اذا قدر على لباس ذلك من حله وأثر كل الخشن من الطعام وترك اللحم وغيره جذرا من
عارض الحاجة الى النساء قال فان ظن ظان ان الفضل في غير الذي قلنا لما في لباس الخشن
وأكله من المشقة على النفس وصرف ما فضل بينهما من القيمة الى أهل الحاجة فقد ظن
خطأ وذلك ان الاولى بالناس صلاح نفسه وعونه لها على طاعة ربها ولا شيء أضر على
الجسم من الطعام الرديئة لانها مفيدة لعقله ومضعة لا دابة التي جعلها الله سبيلا الى
اطاعته انتهى (ولا تعتدوا) على الله بغير طيبات ما أحل لكم أولا تعتدوا فقلوا
ما حرم الله عليكم أي تترخصوا فقلوا حراما كما نهى عن التمسك بدليل على أنفسكم بغير
الحلال وقد ذهب جمهور العلماء الى أن من حرم على نفسه شيئا مما أحله الله فلا يحرم
عليه ولا تلزمه كفارة وقال أبو حنيفة وأحمد ومن تابعهما ان من حرم شيئا مما حرم الله
واذا تناول له زمة الكفارة وهو خلاف ما في هذه الآية وخلاف ما دللت عليه الاجاديت
الصحة ولعله يأتي في سورة التحریم ما هو أبسط من هذا ان شاء الله تعالى وظاهره تحريم
كل اعتداء أي مجاوزة لما شرعه الله في كل أمر من الأمور أخرج الطبراني وغيره عن ابن
عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني اذا أكلت اللحم انتهرت
للنساء وأخذتني شهوة وانى حرمت على اللحم فنزلت هذه الآية وأخرجه الترمذي وقال
حسن غريب وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن جرير وغيره عن أبي حنيفة قال قلت
في رهن من الصحابة قالوا انقطع مذاك كبرنا وترك شهوات الدنيا ونسج في الارض كما

حديث وكيع عن ابن أبي ليلى عن
عباد بن عبد الله وعن زرير حيش عن علي قد كره ورواه من طريق العوفي وأبي مجاز عن ابن عباس قد كره ورواه
عن سعيد بن جبيرة وعن مجاهد والحسن بن مسلم والحكم بن عتبة وزيد بن أسلم واهن عبد الرحمن من ذلك وروى من طريق ابن
جرير عن عبد الله بن كثير قال كان سمع أنه في السفر ويستشهد لهذا القول بالحديث الذي رواه أحمد وأهل السنن من حديث أبي
قلاية عن عمر بن عبد الله عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعيد الطيب طهور المسلم وان لم يجد الماء عشر حجج فاذا
وجد الماء فامسه بشمرك فان ذلك خير لك ثم قال ابن جرير بعد حكايته القولين والاولى قول من قال ولا جنب الا عابري سبيل

من الغائط الغائط هو المكان المظلم من الأرض كني بذلك عن الغوط وهو الحدث الأصغر وأما قوله أولاً لمستم النساء فتبشروا
 من الغائط ولاستم واختلف المفسرون والأئمة في معنى ذلك على قولين أحدهما أن ذلك كناية عن الجماع لقوله وإن طلقوهن من قبل أن
 لمستم ولاستم وقد فرضتم أنهن فريضة فنهف ما فرضتم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقوهن من قبل أن تمسوهن
 فما لكم عليهن من عدة تعتدونها قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن معمر بن جابر
 عن ابن عباس في قوله ولاستم النساء قال (١٠٢) الجماع وروى عن علي وأبي بن كعب ومجاهد وطاوس والحسن وعبيد بن

يعانكم المعقدة الموقفة بالقصد والنية إذا احتتم فيها وأما الميمن الغموس فهن بين مكر
 وخديعة وكذب قديما الخالف بائعها وليست بمعقودة ولا كذارة فيها كما ذهب إليه الجمهور
 وقال الشافعي هي عين معقودة لأنها ~~تستبينها القلب~~ معقودة بخبر مقرونة باسم الله
 والراجح الأول وجميع الأحاديث الواردة في تكفير اليمن متوجهة إلى المعقودة ولا يدل ثبوت
 منها على الغموس بل ما ورد في الغموس إلا الوعيد والترهيب وانها من الكفار بل من
 أكبر الكفار وفيها نزول قوله تعالى أن الذين يشتركون به عهد الله وأيمانهم فلا تقبلوا الآية
 (فكنارته) هي مأخوذة من التكفير وهو التستر وكذلك الكفر هو الاستتار والكافر هو
 الساتر سميت بها لأنها استتر الذنب وتغطيه والضمير في كفارته راجع إلى الحدث الدال عليه
 سياق الكلام وقيل إلى العقد تقدم الفعل الدال عليه وقيل إلى اليمن وإن كانت مؤنثة
 لأنها بمعنى الخلف فالهما أبو البقاء وليس بانها من قول إلى ما أن جعلناها موصولة اسمية
 فالعبارة على حذف مضاف أي فكفارة تكفه كذا أفردته الرخصي (اطعام عشرة
 مساكين) هو أن يغدهم ويغدهم أو يعطيهم بطريق التملك وقيل لكل مسكين
 مد ولا يعين ~~كونه من فقراء~~ بلد الخالف (من أوسط ما تطعمون) المراد بالوسط هنا
 المتوسط بين طرفي الأسراف والتقتير وليس المراد به الأعلى كافي غير هذا الموضع أي
 أطعموهم من المتوسط مما تعادون اطعام (أهلهم) ولا يجب عليكم أن تطعموهم
 من أعلاه ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه بل من غالب قوت بلد الخالف أي يحمل
 الحدث قال ابن عباس يعني من عسكركم وبسرهم وظاهره أنه يجزئ اطعام عشرة حتى
 يشبهوا وقد روى عن علي بن أبي طالب قال لا يجزئ اطعام العشرة عشرة دون عشاء
 حتى يغدهم ويعشيهم قال أبو عمرو وهو قول أئمة الفتوى بالانصار وقال الحسن البصري
 وابن سيرين يكفيهم أن يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خبز أو سمناً أو خبزاً ولحمياً
 قال عمر بن الخطاب وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جابر وإبراهيم النخعي وميمون
 ابن مهران وأبو مالك والضحاك والحكم ومكحول وأبو قلابه ومقاتل يدفع إلى كل واحد
 من العشرة نصف صاع من بر أو تمر وروى ذلك عن علي وقال أبو حنيفة نصف صاع من
 بر وصاع من عدهاء وقد أخرج ابن ماجه وابن مردويه عن ابن عباس قال كثر رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بصاع من تمر وكثر الناس به ومن لم يجد نصف صاع من بر وقي

وعمر وسعيد بن جابر والشعبي وقتادة ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقال
 ابن جرير حدثني جدي بن مسعدة
 حدثنا يزيد بن زريع حدثنا شعبة
 عن أبي بشر عن سعيد بن جابر
 قال ذكروا اللبس فقال ناس من
 الموالى ليس بالجماع وقال ناس من
 العرب اللبس الجماع قال فلقيت
 ابن عباس فقلت له إن ناساً من
 الموالى والعرب اختلفوا في اللبس
 فقالت الموالى ليس بالجماع وقالت
 العرب الجماع قال فن أي التبريق
 كنت قلت كنت من الموالى
 قال غلب فريق الموالى إن اللبس
 والمس والمباشرة الجماع ولكن الله
 يكتي ماشاء بما شاء ثم رواه عن ابن
 بشار عن غندر عن شعبة به نحوه
 ثم رواه من غير وجه عن سعيد بن
 جابر نحوه ومثله قال حدثني
 يعقوب حدثنا هشيم قال أبو بشر
 أخبرنا سعيد بن جابر عن ابن عباس
 قال اللبس والمس والمباشرة الجماع
 ولكن الله يكتي بما يشاء حدثنا
 عبد الحميد بن بيان أخبرنا إسحق
 الأزرق عن سفيان عن عاصم
 الاحول عن بكر بن عبد الله عن

ابن عباس قال الملاسة الجماع ولكن الله كريم يكتي بما يشاء وقد صح من غيره عن عبد الله بن عباس
 أنه قال ذلك ثم رواه ابن جرير عن بعض من حكاه ابن أبي حاتم عنهم ثم قال ابن جرير وقال آخرون عن الله تعالى بذلك ككل من
 لمس يداً وبغيرهما من اعتناء الإنسان وأوجب الوضوء على كل من مس بشئ من جسده شيئاً من جسده ما مضى إليه ثم قال حدثنا
 ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن بخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال اللبس ما دون الجماع وقد روى
 من طرق متعددة عن ابن مسعود مثله وروى من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال القبل

استاده

من المس وفيه الرضوء وروى الطبراني بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال يتوضأ الرجل من المباشرة ومن الأدهس يسده ومن القبلة وكان يقول في هذه الآية أولاً مستمسكاً النساء هو الغمز وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عمر عن نافع ابن ابن عمر كان يتوضأ من قبلة المرأة ويرى فيها الرضوء ويقول هي من اللباس وروى ابن أبي حاتم وابن جرير أيضاً من طريق شعبة عن بخارق عن طارق عن عبد الله قال اللبس مادون الجماع ثم قال ابن أبي حاتم وروى عن ابن عمر وعبيدة وأبي عثمان النهدي وأبي عبيدة يعني ابن عبد الله بن مسعود وعامر الشعبي وثابت بن (١٠٣) الجراح وأبراهيم النخعي وزيد بن أسلم نحو ذلك

قلت وروى مالك عن الزهري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يقول قبله الرجل امرأته وجسه يده من الملامسة فن قبل امرأته أو وجسها يده فقبله الرضوء وروى الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن عمر بن الخطاب نحو ذلك ولكن روي ناعنه من وجه آخر أنه كان يقبل امرأته ثم يصل ولا يتوضأ قالوا رايته عنه مختلفة فيصم ما قاله في الرضوء ان صم عنه على الاستحباب والله أعلم والقول بوجوب الرضوء من اللبس هو قول الشافعي وأصحابه ومالك والمشيور عن أحمد بن حنبل قال ناسروه قد قرئ في هذه الآية لاستمسكهم واللبس يطلق في الشرع على الجلوس بالبدن قال تعالى ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم أي جسوه وقال صلى الله عليه وسلم لمس أعز حزين أقرب إليّ أعز من بلال الرجوع عن الإقرار لعلك قبأت أو لبست وفي الحديث الصحيح واليسد زياها اللبس وقالت عائشة رضي الله عنها قل يوم الأور رسول الله صلى

إسناده عن الثقف وهو يجمع على ضعفه وقال الدارقطني متروكاً (أو كسوهم) قرئ بضم الكاف وكسرها وهما الغتان مثل أسوة واسوة والكسوة في الرجال تصدق على ما يلبس البدن ولو كان ثوباً واحداً وهكذا في كسوة النساء وقيل الكسوة للنساء مدع وجار وقيل المراد بالكسوة ما تجزئ به الصلاة أخرج الطبراني عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله أو كسوهم قال عباءة لكل مسكين قال ابن كثير حديث غريب وعن حذيفة قال قلت يا رسول الله أو كسوهم ما هو قال عباءة أو عباءة أخرجه ابن مردويه وعن ابن عمر قال الكسوة ثوب أو زار وقيل قصص وعمامة (أو تحجر برقبة) أي اعتاق مملوكاً والتحرير الإخراج من الرق ويستعمل التحرير في فك الأسير وإعشاء المجاهد لعمل عن عمله وتركه أنزال الضر به ولا هل العلم بأبحاث في الرقبة التي تجزئ في الكفارة وظاهر هذه الآية أنها تجزئ كل رقبة على أي صفة كانت وذهب جماعة منهم الشافعي إلى اشتراط الإيمان فيها قياساً على كفاية القتل جلا للمطلق على المقصد جمعاً بين الدليلين وأول التخصيص وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث (فمن لم يجد) شيأ من الأمور المذكورة (فصيام) أي فكفارة به صيام (ثلاثة أيام) وقرئ متتابعات حكى ذلك عن ابن مسعود وأبي فتسكون هذه القراءة فبذلك مطلق الصوم وبه قال أبو حنيفة والثوري وهو أحد قولين للشافعي وقال مالك والشافعي في قوله الآخر يجزئ التفريق وظاهره أنه لا يشترط التسامع (ذلك) المذكور (كفارة أيمانكم إذا حلقتن) وختمتم (واحفظوا أيمانكم) امرهم بحفظ الإيمان وعدم المسارعة إليها إلى الحنث بها وفيه النهي عن كثرة الحلف والتكث ما لم يكن على فعل برأ وأصلاح بين الناس كما في سورة البقرة عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إني والله إن شاء الله لا أحلف على عين فاري غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير أخرجه الشيخان (كذلك) أي مثل ذلك البيان (بين الله لكم آياته) أي جميع ما تحتاجون إليه في امر دينكم وقد تكرر هذا في مواضع من الكتاب العزيز (لعلكم تشكرون) ما نفع الله به عباده من بيان شرائعه وإيضاح أحكامه (يأيها الذين آمنوا اتقوا النار التي تمس) خطاب لجميع المؤمنين وقد تقدم تفسير النار والميسر في سورة البقرة (والأصاب) هي الأصنام المنصوبة للعبادة جمع نصب بجمع أو نصب بضمتين (والإزلام) قد تقدم تفسيره في أول هذه السورة أي قد أحل الاستقسام

الله عليه وسلم بطواف عليه فيقبل ويأس ومنه ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الملامسة وهو يرجع إلى الجلوس بالبدن على كلاً لا تفسيرين قالوا ويطلق في اللغة على الجلوس بالبدن كما يطلق على الجماع قال الشاعر ولست كفي كفه أطلب الغنى * واستأنسوا أيضاً بالحديث الذي رواه أحمد حدثنا عبد الله بن مهدي وأبو سعيد قال لا حدثنا رأته عن عبد الملك بن عمار قال أبو سعيد حدثنا عبد الملك بن عمار عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رجل فقال يا رسول الله ما تقول في رجل لبى امرأته لا يعرفها وليس يأتي الرجل من امرأته شيء إلا أنه منها غير أنه

لم يجامعها قال فأزل الله عز وجل هذه الآية أقدم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الآية قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضأ ثم صلى قال معاذ فقلت يا رسول الله أله خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة ورواه الترمذي من حديث زائدة وقال ليس بمحصل ورواه النسائي من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلا قالوا فامر به بالوضوء لأنه لم يسلم المرأة ولم يجامعها وأجيب بأنه منقطع بين أبي ليلى ومعاذ فإنه لم يلقه ثم يحتمل أنه إنما أمر بالوضوء والصلوة المكتوبة كما تقدم في حديث الصديق مامن (١٠٤) عند ذنب ذئب فيوضأ وصلى ركعتين الاغترأ الله له الحديث وهو مذكور

(رجس) يطلق على الغدرة والاقذار قال الزجاج الرجس اسم لكل ما استعذر من عمل قبيح يقال رجس بكسر الجيم وقحها رجس رجسا اذا عمل قبيحا واصطنع من الرجس بفتح الراء وهو شدة صوت العذوق ابن دريد بين الرجس والزجر والركس فجعل الرجس الشر والرجز العذاب والركس العذرة والذنن وهو خبز اللصم وخبز المعطوف عليه محذوف (من عمل الشيطان) صفة رجس أي كائن من عمله بسبب تحريمه لذلك وترتيبه له ودعائه إلى كمالها وليس المراد انها من عمل يديه وقيل هو الذي كان عمل هذه الأمور بنفسه فاقترده به بنو آدم والضمير في (فاجتنبوه) راجع إلى الرجس أو إلى المذ كور أي كونه أجنبيا منه (لعلكم تفلحون) أي لكي تذكروا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قال في الكشف اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأ كيد منها نصدير الجله بانها ومنها الله قرن ما بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلها من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجنبات ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلا عا كان الارتكاب خسة وحجة ومنها انه ذكر ما ينتج منه من الوبال وهو وقوع التعادي والباغض بين أصحاب الخمر والقسم وما يؤذيان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقاف الصلوات انتهى وفي هذه الآية دليل على تحريم الخمر لما تضمنه الامر بالاجنبات من الوجوب وتحريم الصد ولما تقر في الشر بعمه من تحريم قربان الرجس فضا لعن جعله شرابا يشرب قال أهل العلم من المفسرين وغيرهم كان تحريم الخمر بتدريج ونوازل كثيرة لانهم كانوا قد افواشربها وحجبا الشيطان إلى قلوبهم فاول ما نزل في أمرها سألوك عن الخمر والميسر قل فيها أثم كبير ومنافع للناس فترك عند ذلك بعض من المسلمين شربها ولم يترك آخرون ثم نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقد بطلت فتركها البعض أيضا قالوا لا حاجة لنا فيما يشاءنا عن الصلاة وشربها البعض في غير أوقات الصلاة حتى نزلت هذه الآية إنما الخمر والميسر فصارت حراما عليهم حتى كان يقول بعضهم ما حرم الله شيئا أشد من الخمر وذلك لما فهموه من التشديد فيما تضمنته هذه الآية من الزواجر وفيما جاء من به الأخذات الصحيحة من الوعيد لما شربها وانها من كبار الذنوب وقد أجمع على ذلك المسلمون جميعا

في سورة آل عمران عند قوله ذكروا الله فاستغفروا والذنوبهم الآية ثم قال ابن جرير وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال عني الله بقوله أو لا مسلم النساء الجاهع دون غيره من معاني اللبس لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نساءه ثم صلى ولم يتوضأ ثم قال حديثي بذلك اسمعيل بن موسى السدي قال أخبرنا أبو بكر بن عبيد الله عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ ثم يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ ثم قال حديثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الأعمش عن حبيب بن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نساءه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ قلت من هي الأنت فحكيت وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به ثم قال أبو داود روى عن الثوري انه قال ما حدثنا حبيب الا عن عروة المزني وقال يحيى القطان

لرجل احك عني ان هذا الحديث شبه لاشئ وقال الترمذي سمعت البخاري يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة وقد وقع في رواية ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد الطنافسي عن وكيع عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة وأبلغ من ذلك ما رواه الامام أحمد في مسنده من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وهذا نص في كونه عروة بن الزبير وشبهه قوله من هي الأنت فحكيت لكن روى أبو داود عن إبراهيم بن مخلد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني الطائفي عن عبد الرحمن بن مفرغ عن الأعمش قال حدثنا عاصم بن

عن عروة المزني عن عائشة فذكر والله أعلم وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو زيد عن عمر بن أبيس عن هشام بن عبد الله حدثنا منذ
ابن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة وعن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
ينال مني القبلة بعد الوضوء ثم لا يعيد الوضوء وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق الهمداني عن إبراهيم
التيمي عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ثم صلى ولم يتوضأ رواه أبو داود والنسائي من حديث
يحيى القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به (١٠٥) ثم قال أبو داود والنسائي لم يسمع إبراهيم التيمي
من عائشة ثم قال ابن جرير أيضا

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا
أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد
الرحمن الأوزاعي عن يحيى بن أبي
كثير عن أبي سامة عن أم سامة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا
يحدث وضوءا وقال أيضا حدثنا أبو
كريب حدثنا حفص بن غياث عن
حجاج عن عروة بن شعبة عن زينب
السهمية عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه كان يقبل ثم يصلي ولا يتوضأ
وقد رواه الامام أحمد عن محمد بن
فضيل عن حجاج بن أرطاة عن عروة
ابن شعيب عن زينب السهمية عن
عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
به وقوله تعالى فان لم تجدوا ماء
فيمسوا بطينا طيبا فامسحوا
من القصد ما من هذه الآية أنه
لا يجوز التمسك لعادم الماء الا بعد
طلب الماء فتي طلبه فلم يجده جازله
حيثما التمس وقد ذكرنا كيفية
الطلب في كتب الفروع كما هو مقرر
في موضعه كما في الصحيحين من
حديث عمران بن حصين أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا

لا شئ فيه ولا شبهة وأجمعوا أن يصلي بحريميها والاستقاء ما دامت خيرا وكادت
هذه الآية على تحريم الخردات أيضا على تحريم الميسر والانصاب والازلام قال قتادة
الميسر هو القمار وقال ابن عباس كل القمار من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز
والكعباب وعن علي بن أبي طالب قال الترد والشرط نج من الميسر وعنه قال الشطرنج
ميسر الا عاجم وقال قاسم بن محمد كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو ميسر وعن
ابن الزبير قال بأهل مكة بلغني عن رجال يلعبون بلعبة يقال لها زدرشرو والله يقول في كتابه
انما الخمر والميسر الآية الى قوله فهل أنتم متنتون واني أحلف بالله لا أوتي بأحد يلعب بها
الا عاقبته في شعره وبشره وأعطينت سلبه من آتاني به وعن أنس بن مالك قال الشطرنج من
الترد بلغنا عن ابن عباس أنه لو مال يقيم فأحرقها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال هي شر
من الترد وسئل أبو جعفر عنه فقال تلك المجوسية فلا تلعبوا بها وأخرج ابن أبي شيبة
وابن أبي الدنيا عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
لعب بالترد شر فقد عصى الله ورسوله وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن كثير قال مر رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم يلعبون بالترد فقال قلوب لاهية وأيدع لاهية وألسته
لاعبة وقال ابن سيرين ما كان من لعب فيه قمار أو صياح أو شر فهو من الميسر وفي الباب
روايات كثيرة مشددة على الوعيد الشديد لا تناول بذكرها وقد أشار سبحانه الى ما في الخمر
والميسر من المفاسد الدنيوية بقوله (انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر) ومن المفاسد الدنيوية بقوله (و يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة)
لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن
ذكره سبحانه وعن الصلاة (فهل أنتم متنتون) فيه زجر بليغ يفيد الاستفهام الدال
على التقريع والتوبيخ ولهذا قال عمر رضى الله عنه لما سمع هذا انتهينا وقد وردت
أحاديث كثيرة في ذم الخمر وشاربها والوعيد الشديد عليه وان كل مسكر حرام وهي مدونة
في كتب الحديث ورويت في سبب التزول وروايات كثيرة فلا نقول للمقام يد كراهة فلسنا
بصد ذلك بل نحن بصد ما هو متعلق بالتفسير ثم كذا الله سبحانه هذا التحريم بقوله
(وأطعوا الله وأطعوا الرسول) فيما أمركم به ونهاكم عنه (واحدروا) مخافة انهما
فان هذا وان كان أمرا ملطفا فالجواب في هذا الموضع يفيد ما ذكرناه من التأكيده وهكذا

(١٤ فتح البيان ثالث) معتذرا لم يصل مع القوم فقال يا فلان ما منعك ان تصلي مع القوم أأنت رجل مسلم
قال بلى يا رسول الله ولكن أصابني جنابة ولأما قال علي بن الصاعد فإنه يكفينا ولهذا قال تعالى فان لم تجدوا ماء فيمسوا
صعيدا طيبا فالتيم هو القصد تقول العرب تيمم الله بحفظه أى قصدك ومنه قول امرئ القيس شعرا
ولما رأته ان المنية وردنا * وان الحصى من تحت أقدامها دى تيممت العين التي عند ضارح * بئى عليها التي عمر مضطامى
والصعيد قبل هو كل ما صعد على وجه الارض فيدخل فيه التراب والرمل والشجر والحجر والنبات وهو قول مالك وقيل ما كان

من جنس التراب كالرمل والزريع والتورة وهذا مذهب أبي حنيفة وقيل هو التراب فقط وهو قول الشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهما واحتموا بقوله تعالى قصص صعيدا لقا أي ترابا أملت طيبا وجماعا ثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجدها الماء وفي لفظ وجعل ترابها لنا طهورا إذا لم نجدها الماء قالوا لخصص الطهور به بالتراب في مقام الامتنان فلولا غيره يقوم مقامه إذ كرمه (١٠٦) والطيب ههنا قيل الحلال وقيل الذي ليس بنجس كإرواه الإمام أحمد وأهل

السنن الابن ماجه من حديث أبي قلابه عن عمرو بن نجيد عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعيد الطيب طهور المسلم ان لم يجد الماء عشر حجج فاذا وجدوه فليسه بشربة فان ذلك خير له وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان أيضا ورواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان وقال ابن عباس اطيب الصعيد تراب الحشر رواه ابن أبي حاتم ورفعه ابن مردويه في تفسيره وقوله فامسحوا بوجوهكم وأيديكم التيتم بدل عن الوضوء في التطهير به لانه بدل منه في جميع أعضائه بل يكفي مسح الوجه واليدين فقط بالإجماع ولكن اختلف الأئمة في كيفية التيمم على أقوال أحدها وهو مذهب الشافعي في الجديدي انه يجب ان يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين لان لفظ اليدين يصدق اطلاقهما على ما يبلغ المنكبين وعلى ما يبلغ المرفقين كما في آية الوضوء ويطاق ويراد بها ما يبلغ الكففين كما في آية السرة

ما أفاده بقوله (فان تولىتم) أي أعرضتم عن الامتثال (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) أي فقد فعل الرسول ما هو الواجب عليه من البلاغ الذي فيه رشادكم وصلاحكم ولم تضرروا بالخالفه الا أنفسكم وفي هذا من الزجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه (ليس على الذين آمنوا وعلما الصالحات جناح فيما طعموا) من المطاعم التي يشترتها والطعم وان كان استعمله في الاكل ~~كثيرا~~ لكنه يجوز استعماله في الشرب ومنه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني أباح الله لهم سبحانه في هذه الآية جميع ما طعموا كأنما كان مقيدا بقوله (اذما اتقوا) ما هو محرم عليهم كالخمر وغيره من الكبائر وجميع المعاصي (وآمنوا بالله ورسوله وعلما الصالحات) من الاعمال التي شرعها الله لهم واستمر واعلى علوها (ثم اتقوا) ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق (وآمنوا) بتحرمة هذا معني الآية وقيل التكرير باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله وقيل باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى وقيل باعتبار ما يتقيه الانسان فانه ينبغي له ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتمذيها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وهذه الوجوه كلها مع قطع النظر عن سبب نزول الآية اماع النظر الى سبب نزولها وهو انه لما نزل تحريم الخمر قال قوم من الصحابة ~~كف~~ من مات منا وهو يشرب بها وبأكل المسكر فزالت فقد قيل ان المعنى اتقوا الشر كله وآمنوا بالله ورسوله ثم اتقوا الكبائر وآمنوا أي ازدادوا وابتاعنا (ثم اتقوا) الصغار قال أبو السعود ولا ينبغي ان لا تعلق لهذه العبارات بالمقام فأحسن التأمل انتهى (وأحسنوا) أي تنفخوا قال ابن جرير الطبري الاتقاء الاول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والديونة به والعمل والاتقاء الثاني الاتقاء بالنبات على التصديق والاتقاء الثالث الاتقاء بالاحسان والتقرب بالنوافل قلت والحق انه ليس تخصيص هذه المراتب بالذكر تخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغما مبلغ (والله يحب المحسنين) أي المتقربين اليه بالايان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا شأنه مدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من أشرف الدرجات

واقطعوا أيديهم ما قالوا وحمل ما أطلق ههنا على ما قيد في آية الوضوء أو لجامع الطهورية وذ كر بعضهم واعلاها مارواه الدارقطني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين ولكن لا يصح لان في استاده ضعفا لا ثبت الحديث به وروى أبو داود عن ابن عمر في حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده على الخائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة أخرى فمسح بها راسه ولكن في استاده محمد بن ثابت العبدى وقد ضعه بعض الحفاظ ورواه غيره من الثقات فوقفوه على فعل ابن عمر قال البخاري وأبو زرعة وابن عدى هو الصحيح وقال البيهقي رفع هذا

موسى فقال ابو يعلى اعبد الله وان رجلا لم يجد الماء بمصر فقال عبد الله ألا تأخذ كراما فقال عمار له مرا ألا تأخذ كراذ عني رسول الله صلى الله عليه وسلم وإياك في ابل فأصابني جنبه فمزع في الرب فلما رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنما كان يكفئك أن تقول هكذا وضرب بكفه الى الارض ثم مسح بكفه جيعا ومسح وجهه مسحة واحدة فضر به واحدة فقال عبد الله لاجر مما رأيت عرق فبع بذلك قال فقال له أبو موسى فكيف فهم هذه الآية في سورة النساء (١) التوشيح بيحيدين اه صراح

موسى فقال ابو يعلى لعبد الله لو ان رجلا لم يجد الماء لم يصل فقال عبد الله ألا تذكرا قال
صلى الله عليه وسلم وإياك في ابل فأصابني جنبه ففرغت في التراب فلما رجعت الى رسول الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما كان يكتيك أن تقول هكذا وضرب بكفه الى الارض
مسححة واحدة لضربه واحدة فقال عبد الله لاجر مما رأيت عرق فبك ذلك قال فقال له أبو موسى
(١) التوشيح يحيدن اه صراح

فلم يجدوا ما وجدوا فاصعدوا طيباً قال فادري عبد الله ما يقول وقال لورخصنا لهم في التيمم لا وشأن أحدكم ان يراد الماء على جلده ان نيم وقال في المائدة قام سحر ووجوهكم وأيديكم منه فقد استدل بذلك الشافعي على انه لا بد في التيمم ان يكون بتراب طاهر رطب غبار يعقب بالوجه واليدين منه شيء كما روى الشافعي باسناده المتقدم عن عبد الصمد انه سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو رسول فسلم عليه فلم ير عليه حتى قام الى جدار فخط بعضاً كانت معه فضرب بيده عليه فصعبها وجهه وزرعيه وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي في الدين الذي شرع لكم (١٠٨) ولكن يريد ليطهركم فلهذا أباح لكم التيمم اذ لم تجدوا الماء ان تعدلوا

الى التيمم بالصعيد والتيمم تصدئة عليكم لتعلمكم تشكرون ولهذا كانت هذه الامنة مخصوصة بمشروعية التيمم دون سائر الامم كما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت جسمي ما يعطون أمة قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فإني ارجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وفي لفظ فعنده مسجده وطهوره وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة فكان ينبغي أن ينسب الي قوميه وبعثت الي الناس كافة وتقدم في حديث حذيفة عند مسلم فضلتنا على الناس بثلاث جعلت صفوة منا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً اذ لم نجد الماء وقال تعالى في هذه الاية الكريمة فاسجدوا لربكم وأيديكم ان الله كان عفوا غفورا أي ومن عفو عنكم وغفرانه لكم أن شرع لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة اذ اقدمتم الماء توسعة عليكم ورخصة لكم

الصعيد المحرم ولا في الحرم والمرايا والصداكل حيوان متوحش ما كول اللحم قاله الشافعي وقال أبو حنيفة سواء كان ما كولا أو لم يكن فيجب عنده الضمان على من قتل سبعاً أو قرأ أو نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فأجاز قتلهم (ومن قتل منكم سبعاً) هو القاصد للشيء مع العلم بالاحرام والخطي هو الذي يقصد شيئاً فيصيب صيدا والناسي هو الذي يتعمد الصيد ولا يدكر احرامه وقد استدل ابن عباس وأحمد في رواية عنه وداود باقتصاره سبحانه على العاملية لا كقراءة على غيره بل لا يجب الا عليه وحده وبه قال سعيد ابن جبيرة وطاوس وأبو ثور وقيل انها تنزيم الكفارة للخطي والناسي كما تنزيم التعمد وجعلوا قيد التعمد خارجاً عن الغالب وهو مروي عن عمرو والحسن والنخعي والزهري وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم وروى عن ابن عباس وقيل انه يجب التكفير على العاقل الناسي لاحرامه وبه قال مجاهد قال فان كان ذا كراحمه فقد حل ولا حرج لارتكابه محظور احرامه فبطل عليه كمالو تكلم في الصلاة وأحدث فيها (بغزاة) أي فعله جزاء (مثل ما قبل من النعم) بيان للجزاء المماثل قيل المراد المماثلة في القيمة وقيل في الخلقة وقد ذهب الى الاول أبو حنيفة وذهب الى الثاني مالك والشافعي وأحمد والجمهور ومن الصحابة ومن بعدهم وهو الحق لان البيان للمماثل بالنعم يفيد ذلك وكذلك المحرم مخبر بالسلف في تقدير الجزاء المماثل وتقدير القيمة أقوال مبسطة في مواظبتها وفي قراءة باضا فجزاء قال الواحدي ولا ينبغي اضافة الجزاء الى الممثل لان عليه جزاء المقتول لأجره مثله فانه لا جرم عليه لما يقتله وقد أجاب الناس عنها بأجوبة متعددة ذكرها السمين (يحكم به) أي بالجزاء ومثل ما قبل (ذوا عدل منكم) أي رجلان معروفان بالعدالة بين المسلمين لهما فطنة في ميزانها أشبه الاشياء به وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي في النعماء بدينونة ابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وجار به بقره وابن عمر في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لانها تشبه في العيب أشرب الماء بلا مص اقول ههنا أمر ان أحدهما اعتبار المماثلة والثاني حكم العدلين والظاهر أن العدلين اذا حكموا بغير المماثل لم يلزم حكمهما لانه قال يحكم به أي بالمماثل وحتى العدالة ان لا يقع من صاحبها الحكم بغير المماثل الالغط أو طرو شبهة بأن المعتبر في المماثلة هو

وذلك ان هذه الاية الكريمة فيها تنزيه الصلاة ان تفعل على هيئة ناقصة من سكر حتى يصحوا المكلف هذا ويعقل ما يقول أو جنابة حتى يغتسل أو حدث حتى يتوضأ الا ان يكون مريضاً أو عاذاً للماء فان الله عز وجل قدره أن رخص في التيمم والحالة هذه رخصة بعبادته ورأف بهم وتوسعة عليهم والله الجد والممة وذكر كسب بن زول مشروعية التيمم وانما ذكرنا ذلك ههنا لان هذه الاية التي في النساء متقدمة الترتول على آية المائدة ويانه ان هذه نزلت قبل تحرير النحر وانجر انما حرم بعد أحد يسير في محاصرة النبي صلى الله عليه وسلم لبني النضير وأما المائدة فانه من آخر ما نزل ولا سيما صدرها فانسب ان يذكر السبب هنا

وبالله الثقة قال أحمد حدثنا ابن عمر بن هشام عن أبيه عن عائشة أنها استعارت من أسماء قلابة فقهلت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في طلبها فوجدوها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فصولوها بغير وضوء فشكوا ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضيرة لعائشة جزاك الله خيرا فوالله ما رزقك أمر تكبره منه إلا جعل الله لك والمسلمين فيه خيرا بطريق أغزى قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أن أبا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء (١٠٩) أو بذات الحيش انقطع عقلي فأقام رسول الله

صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى ما صنعت بعائشة فأقامت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضح رأسه على نخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة ففعلتني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول فجعل يطعن يده في خاصرتي ولا يمتنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فقيموا فقال أسيد بن الحضيرة ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته وقد رواه البخاري أيضا عن قتيسة عن اسمعيل ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك حديث آخر قال الامام أحمد

هذا الوصفون هذا الوصف والواقع بخلافه ثم الظاهر ان العدلين اذا احكاما بحكم في السلف لا يكون ذلك الحكم لازما للتحلف بل تحكيم العدلين ثابت عند كل حادثة تحدث في قتل الصيد اذا اقرر لك هذا فاعلم ان جعل الظبي مشبها للشاة دون التيس مخالف للمشاهد المحسوس فان الظبي يشبه التيس في غالب ذاته وصفاته ولا مشابة بينه وبين الشاة في غالب ذاته وصفاته وكذلك الحامة فانها لا تشبه الشاة في شيء من الاوصاف واذا صرح من بعض السلف انه حكم في شيء منها بشاة فذلك غير لازم للتعارف من أن حكم العدلين لا بد أن يكون بالمثل كما صرح به القرآن الكريم وما أقرب ما حكم به ابن عباس وابن عمر في القطاة فكان الاولى أن يكون الحكم في الحامة وما يشابهها من الطيور كهذا الحكم في القطاة وزاد قليلا من الطعام لماء أو اكبره ينقص قليلا لماء أو أصغره وكما قال عمر بن الخطاب من جرادة وأقول أنا وصاع خير من حمامة (هنا) منصوب على الحال أو البديل من مثل (بالغ الكعبة) صفه لهدى لان الاضافة غير حقيقية والمعنى انهما اذا احكاما بالجزء افانه يفعل به ما يفعل بالهدى من الارسال الى مكة والحرهالك والشعار والتقليد ولم يرد الكعبة بعينها فان الهدى لا يلفها وانما أراد جميع الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز ان يذبح حيث كان ولا خلاف في هذا (أو كفارة) معطوف على محل من النعم وهو الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف (طعام مساكين) من غالب قوت البلد ما سواى قيمة الجزء لكل مسكين مد (أو عدل ذلك) معطوف على طعام (صياما) تمييزا للعدل والمعنى أو قدر ذلك صياما والجاني تخيير بين هذه الانواع المذكورة واليه ذهب جمهور العلماء منهم الشافعي ومالك وأبو حنيفة وقال أحمد وزفر ان كلمة وللتب وهو ما رواه ابن عباس وروى عنه انه لا يجزئ الحرام الاطعام والصوم الا اذا لم يجد الهدى والعدل يفتح العين وكسر هالعتان وهما المثل قاله الكسائي وقال الفراء عدل الشيء بكسر العين مثله من جنسه وفتح العين مثله من غير جنسه ومثل قول الكسائي قال البصريون وأوجبت ذلك عليه (ليس ذوق وبال أمره) فهذا له لا يجاب الجزاء والذوق مع تعار لادراك المشقة ومثل هذا انك أنت العزيز الكريم والى بال سوء العاقبة والمرعى الويل الذى يتأذى به بعدا كما هو طعام ويل اذا كان ثقلا وانما سمى الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء تفصيل على النفس لما فيه من

حديثا يعقوب حدثنا أبي بإسناده انى عبد الله بن عباس عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالوات الحيش ومعه زوجته عائشة فانقطع عقدهما من جرح ظفار فبس الناس ابتغاء عقد هاذلك حتى أضاع الفجر وليس مع الناس ماء فأنزل الله على رسوله رخصة التطهر بالصعيد الطيب فقام المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصر لواء يديهم إلى الارض ثم رفعوا أيديهم ولم يتقضوا من التراب شيئا فصبوا وجوههم وأيديهم إلى المناكب ومن بطون أيديهم إلى الأباط وقدرى ابن جرير حدثنا أبو بكر بإسناده انى ابن أبي القبطان قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة فقام رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى أضاء الفجر فغظ أبو بكر على عائشة فزالت عليه الرخصة المسمي بالصعيد الطيب فدخل أبو بكر فقال لها: إنك لمباركة تزل فيك رخصة فمض بنا يدنا ضاربة لوجوهنا وضربة لا يدنا إلى المذاكك والآباط حديث آخر قال الحافظ أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم حدثنا الحسن بن أحمد حدثنا اللث حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا العباس بن أبي سرية حدثني الهيثم (١) عن زريق المالكي عن بني مالك بن كعب بن سعد وعاش مائة وسبعة عشر سنة عن أبيه عن الأسلم بن شريك قال كنت أرحل ناقه (١١٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصابني جنابة في ليلة باردة وأراد رسول

الله صلى الله عليه وسلم الرحلة
 فكرهت ان أرحل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وأنا جنب
 وخشيت ان أغتسل بالماء البارد
 فأمرت أو أمرض فأمرت رجلا
 من الانصار فراحلها ثم رصفت
 أحجارا فاسخنت بهاماء واغتسلت
 ثم لحقت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه فقال يا أسلم ماني
 أرى رحلتك تغيرت قلت يا رسول
 الله لم أرحلها رحلها رجل من
 الانصار قال ولم قلت اني أصابتني
 حمة نابت خشيت القرعة على نفسي
 فأمرته ان يرحلها ورصفت أحجارا
 فاسخنت بهاماء فاغتسلت به فانزل
 الله عز وجل لا تقربوا الصلاة وأنتم
 سكارى حتى تعلموا ما تقولون
 الى قوله ان الله كان عفوا غفورا
 وقدرى من وجه آخر عنه (المر
 الى الذين أوثوا نصيبا من الكتاب
 يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا
 السبيل والله أعلم بآدابكم وكفى
 بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين
 هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
 ويقولون سمعنا وعصمنا واسمع غير
 منسمع وراعنا لئلا بالناسمهم وطمعنا
 في الذين ولأولاهم قالوا سمعنا وأطعنا

واسمع وانظروا لكان خيرا لهم واقوموا لكن لهمم بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا) يخبر تعالى عن اليهود ايضا عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة انهم يشكرون الصلاة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله ويتركون ما ايدى بهم من العلم عن الانبياء الاولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم لبشر وابه غنا قليلا من حظا الدنيا ويريدون ان تضلوا السبيل أى يودون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون وتتركون ما أنتم عليه من الهدى والعلم النافع والله أعلم باعدائكم أى هو أعلم بهم ويحذركم منهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا أى كفى به وليا لمن يخافه ونصير لمن استنصره ثم قال تعالى من الذين (١) قوله عن زريق في نسخة ابن زريق ٥

هادوا من في هذا البيان الجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقوله يحرفون الكلام عن مواضعه أي يتأولونه على غير تأويله
 وبفسره وبغيره اذ الله عز وجل قصد امتهم واقراء ويقولون سمعنا أي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه هكذا فسر مجاهد
 وابن زيد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وانهم يولون عن كتاب الله بعدما عاقلوه وهم يعلمون ما علمهم في ذلك من الاثم
 والعقوبة وقولهم واسمع غير سمع أي اسمع ما تقول لاسمعت رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد والحسن واسمع
 غير مقبول من قال ابن جرير الاول أصح وهو كماله وهذا (١١١) استهزاء منهم واستهزاء عليهم لعنة الله ورعا لهما
 بالسنتهم وطعن في الدين أي

يوهمون انهم يقولون راعنا سمعنا
 بقولهم راعنا انما يريدون الرعونه
 بسبهم النبي وقد تقدم الكلام على
 هذا عند قوله بأيهم الذين آمنوا
 لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ولهذا
 قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين
 يريدون بكلامهم خلاف
 ما ينظرونه لبايا سنتهم وطعن في
 الدين يعني بسبهم النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم قال تعالى ولولا أنهم قالوا
 سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان
 خبرهم وأقوم ولكن لعنهم الله
 بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا
 أي قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة
 منه فلا يدركها من الايمان شي نافع
 لهم وقد تقدم الكلام على قوله
 تعالى فقل لا ما يؤمنون والمقصود
 انهم لا يؤمنون ايماننا نافعنا
 (يا أيها الذين آمنوا الكتاب انما هو
 بمانر لنا مصدق لما معكم من
 قبل ان نطمس وجوهنا فنرد هاعلى
 ادبارها وانله عنهم كالعنا أصحاب
 السبت وكان أمر الله مقصولا
 ان الله لا يغير ان يشاء ولا يقدر
 ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشر لنا

أيضا قال أحمد بن حنبل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح وقال ابن أبي ليلى ومالك بن
 كل ما في البحر وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 طعامه ما لفظه ميتا فهو طعامه وعن أبي بكر الصديق قال صيد البحر ما قططاه أي دنا
 وطعامه ما لاله البحر وفي لفظ طعامه كل ما فيه وفي لفظ طعامه ميتته ويؤد هذا ما في
 الصحيحين من حديث العنبرية التي ألقاها البحر فاكل الحباب منها وقرهم رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم على ذلك وحديث هو الطهور ماؤه والحل ميتته وحديث أحل لكم
 ميتتان ودمان (منا عا لكم) أي متعت به متاعا وقيل يخص بالطعام أي أحل لكم طعام
 البحر متاعا وخوتكاف جابه من قال بالقول الاخير بل اذا كان مفعولا لانه كان من الجميع
 أي لمن كان مقبلا منكم كما طريا (والسبارة) أي المسافرين منكم يترودونه ويجعلونه
 قديدا و قيل السبارة هم الذين يركبونه خاصة (وحرم عليكم صيد البر) أي ما يصاد فيه
 وهو ما لا يعيش الا فيمن الوحش المأكول ان تصيده (مادس حراما) أي محرما
 ونظا حرم صيده على المحرم ولو كان الصائد حلالا واليه ذهب الجمهور ان كان الحلال
 صاده للمحرم لا اذا لم يصده لاجله وهو القول الرابع وبه يجمع بين الاحاديث وقيل انه يحل
 له مطلقا وذهب إليه جماعة وقيل يحرم عليه مطلقا واليه ذهب آخرون وقد بسط
 الشوكاني هذا في شرحه نيل الاوطار وقد ذكر انه يحرم الصيد على المحرم في ثلاثة
 مواضع من هذه السورة أحدها في أولها وخبره قوله غير محلي الصيد وانتم حرم الصيد على المحرم
 لاقتلوا الصيد وانتم حرم الثالث هذه الآية وكل ذلك لما كيد تحريم الصيد على المحرم
 (واقوا الله) فيمنها كم عنه فلا تتخذوا الصيد في حال الاصرام ولا في الحرم وفي جميع
 الخازرات والمحرمات ثم حذرهم بقوله (الذي إليه) الى غيره (تخشرون) وفيه
 تشديد ومبالغة في التحذير (جعل الله الكعبة) جعل هنا معنى خلق وقيل بمعنى صير
 وقيل بمعنى بنى وحكم وهذا ينبغي أن يجعل على تشديد المعنى لا تفسير اللغة اذ لم يقل
 أهل العربية ما تم ان يكون بمعنى بنى ولا حكم ولكن يلزم من الجعل البيان والاول أولى
 وسبب الكعبة كعبة لانها مربعة والتكعب التربع واكثر بيوت العرب سدورة
 لامر بعة وقيل سميت كعبة لتوهم او يرونها وكل بارز كعب مستدير كان أو غير مستدير
 ومنه كعب القدم وكعب القنا وكعب ثدى المرأة (البيت الحرام) عطفه على

فقد افترى انما عظيما يقول تعالى أمر أهل الكتاب بالايمان بما أنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي
 فيه تصديق الاخبار التي بأيديهم من البشارات ومهد لهم ان لم يشعروا بقوله من قبل ان نطمس وجوهنا فنرد هاعلى ادبارها قال
 بعضهم معناه من قبل ان نطمس وجوهنا فطمسها هو ردها الى الادبار وجعل ابصارهم من وراءهم ويحتمل أن يكون المراد من قبل
 أن نطمس وجوهنا فلا نبني لها سمعا ولا بصر ولا أنشأ مع ذلك نرد هاعلى الادبار وقال العوفي عن ابن عباس في الآية وهي
 من قبل ان نطمس وجوهنا وطمسها ان لم يعمى فنرد هاعلى ادبارها يقول سبحانه وجوههم من قبل أن تقبهم فيشوقن القهقري ويحتمل

لأحد منهم عينين من قضاة وكذا قال قتادة وعطية العوفي وهذا أبلغ في العقوبة والنكال وهذا مثل ضرب الله لهم في صرهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحبة البيضاء إلى سبيل الضلالة يهرعون وعشون القهقري على أديارهم وهذا كما قال بعضهم في قوله أنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا الآية أي هذا مثل سوء ضرب الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى قال مجاهد من قبل أن تطمس وجوها يقول عن صراط الحق فتردها على أديارها أي في الضلال قال ابن أبي حاتم (١١٢) وروى عن ابن عباس والحسن بنحو هذا قال السدي فتردها على أديارها

فمنعهم عن الحق قال نرجعها كفارا ونردهم قردة قال أبو زيد فردهم إلى بلاد الشام من أرض الحجاز وقد ذكر أن كعب الاحبار أسلم حين سمع هذه الآية قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر ابن فوح عن عيسى بن المغيرة قال تذاكرنا عند إبراهيم أسلم كعب فقال أسلم كعب زمان عمر أقبل وهو يريد بيت المقدس فرعى المدينة ففرج إليه عمر فقال يا كعب أسلم فقال أستم تقولون في كتابكم مثل الذين جساوا التوراة إلى أسفارنا وأنا قد جلت التوراة قال فتركهم ثم خرج حتى انتهى إلى حص فسمع رجلا من أهلها حزينا وهو يقول يا أيها الذين أولوا الكتاب آمنوا بآياتنا صدقا لما معكم من قبل أن تطمس وجوها فتردها على أديارها الآية قال كعب يارب أسلمت بخافة أن تصيبه هذه الآية ثم رجع فأتى أهله في الين ثم جاءهم مسلمين وكذا رواه ابن أبي حاتم بالفظ آخر من وجه آخر فقال حدثنا أي حدثنا ابن نقييل حدثنا

جهة المدح لا على جهة التوضيح قاله الزمخشري وقيل مفعول ثان لجعل ولا وجه له وقيل بدل وسمى يتالان له سقوطا وجراد وهي حقيقة البيت وإن لم يكن بها ساكن وسمى حراما للحرمة لله سبحانه أياد ومعنى كونه (قيام الناس) أنه مدار على اسمهم أي يقومون فيه بما يصلح دينهم ودينهم بآمن فيه خائفهم وينصرف فيه ضعيفهم وترج فيه تجارهم ويتعبد فيه متعبدهم وقال ابن عباس قياما لدينهم ومعالم الخجهم وعنه قال قياما إن يأمن من فوحه إليها وعن ابن شهاب قال يأمنون به في الجاهلية الأولى لا يخاف بعضهم من بعض حين يلقونهم عند البيت أو في الحرم أو في الشهر الحرام (والشهر الحرام) عطف على الكعبة وهو ذو الحجة وخصه من بين الأشهر الحرم لكونه زمان تأدية الحج وقيل هو اسم جنس والمراد به الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب فأنهم كانوا لا يطلبون فيها دما ولا يقاتلون بها عدوا ولا ينجسون فيها سحرة فكانت من هذه الحسنة قياما للناس (و) جعل الله (الهدى والقلائد) قياما لمصالحهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد من الهدى وهي البدن خصت بالذكريان الثواب فيها أكثر وبها الخج بها أظهر فهو من عطف الخاص على العام قاله أبو السعود ولا مانع من أن تراد القلائد أنفسها أي التي كانوا يقدون بها أنفسهم يأخذونها من لحاء شجر الحرم إذا رجعو من مكة ليأمنوا على أنفسهم من العدو (ذلك) جعل المذكور وقيل شرع الله ذلك وهو أقوى الوجوه (تعلوا) أن الله يعلم مافي السموات ومافي الأرض أي تفاصيل أمرها وما يعلم مصالحكم الدينية والدنيوية فأنتم آمن بجله مافيها فكلما مشر عملكم فهو جلب لمصالحكم ودفع لمضرركم (وإن الله بكل شيء عليم) هذا نعيم بعد التقصيص والمعنى لا تخفى عليه خافية (اعلموا أن الله) لمن انتهك محارمه ولم يتب عن ذلك (شديد العقاب) لأن الإيمان لا يتم إلا بوصول الرجا والخوف (وأن الله) لمن تاب وأتاب (غفور رحيم) ثم أخبرهم أن (ما على الرسول إلا البلاغ) لهم فإن لم يتسألوا ولم يطيعوا فأنشروا لأنفسهم وما جنوا إلا عليها ولا عذر لهم في التفریط وأما الرسول علمه الصلاة والسلام فقد فعل ما يجب عليه وقام بما أمره الله والبلاغ هو البلاغ قاله السيوطي وعبر القاذي كالكشف بقوله إلى بما أمره من التبليغ وذلك لقصص المبالغة والتكثير في زيادة الفعل والاستثناء مفرغ (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) لا يخفى عليه شيء من

عمر بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس عابدا الله الخولاني قال كان أبو مسلم الخليلي أحوالكم معلما لكعب وكان يلومه في إبطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثه إليه ينظرا هو قال كعب فركبت حتى أتيت المدينة فإذا نال يقرأ القرآن يقول يا أيها الذين أولوا الكتاب آمنوا بآياتنا صدقا لما معكم من قبل أن تطمس وجوها فتردها على أديارها فبادرت الماء فغسلت واتي لأمس وجهي بخافة أن أطمس ثم أسلمت وقوله أولنا نلغتهم كالعنا أحباب السبب يعني الذين اعتدوا في سبهم بالحيلة على الإصطيد وقد مضى أقرده وخنازير وسياق بسط قصتهم في سورة الاعراف وقوله

وكان أمر الله مفعولاً أي إذا أمر بأمر فإنه لا يخالف ولا يمانع ثم أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشركه أي لا يغفر لعبده ليقبضه وهو مشرك به ولا يغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء من عباده وقد وردت أحاديث متعلقة بهذه الآية الكريمة فلقد ذكرها ما تيسر من الحديث الأول قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا صدقة بن موسى حدثنا أبو عروان الجوني عن يزيد بن أبي موسى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله ثلاثة ديوان لا يعاب الله به شيئاً ودواين لا يترك الله منه شيئاً ودواين لا يغفره الله فأما الدواين التي لا يغفره الله فالشرك بالله (١١٢) قال الله عز وجل ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية وقال

الله من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما الدواين التي لا يعاب الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز ان شاء وأما الدواين التي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً القصص لا محالة تفرد به أحمد الحديث الثاني قال الحافظ أبو بكر البرزالي في مسنده حدثنا أحمد ابن مالك حدثنا زائدة بن أبي الزناد الثميري عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم ثلاثة فظلم لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يترك الله منه شيئاً فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك وقال ان الشرك لظلم عظيم وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لا تنقسم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض الحديث الثالث قال الامام أحمد حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن ابن عوف عن أبي ادريس قال سمعت معاوية يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه

أحوالكم أي نفاقكم ووفاقكم ظاهر أو باطن فجازيكم به (قل لا يستوى) في الدرجة والرتبة ولا يعتدل (الخبث والطيب) قيل المراد به ما الحرام والحلال وقيل المؤمن والكافر وقيل العاصي والطيب وقيل الردي والبيد والاولى ان الاعتبار بعموم اللفظ فيشمل هذه المذكورات وغيرها مما تصف بوصف الخبث والطيب من الأشخاص والاعمال والاقوال فالخبث لا يساوي الطيب بحال من الاحوال (ولو أعجبك كثرة الخبث) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل مخاطب يصلح لخطابه به ذاك والمراد نفي الاستواء في كل حال ولو في حال كون الخبث معجبالاً للرائي للكثرة التي فيه فان هذه الكثرة مع الخبث في حكم العدم لان خبث الشيء يطل فائدته ويمحق برسكته ويذهب بمنفعته والواو امل العال أو للعطف على مقدر أي لا يستوى الخبث والطيب لولم يعجب كثرة الخبث ولو أعجبك كقولك أحسن الى فلان وان أساء إليك أي أحسن اليه ان لم يسيء لك وان أساء إليك والحاصل ان أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وأبقى وفيه إشارة الى قلة الخير وكثرة الشر (فاتقوا الله) فيما أمركم به ومنها كم عنه وآثر والطيب وان قل على الخبيث وان كثرت (يا أولى الألباب) أي العقول السليمة الخالصة (لعلكم تفقهون) تفقهون وتتبحرون (يا أيها الذين آمنوا) لأنواع (أشياء) لاحاجة لكم بالسؤال عنها ولا هي مما يعينكم في أمر دينكم وفي أشياء مذهب للنكاح أحدها انه اسم جمع من لفظ شيء فهو مفرد لفظاً جمع معنى وهو رأى الخليل وسيبويه الثاني وبه قال القراء انه اسم جمع شيء كهيئ الثالث وبه قال الاخفش انها جمع شيء يرتفع قلب الرابع وهو قول الكسائي وأبي حاتم انه جمع شيء كبيت واعترض الناس عليه الخامس ان وزنه افعلا أيضاً جمع لشيء يرتفع نظريف (ان تبد) أي اذا بدت وظهرت (لكم) وكفتم بها (تسوءكم) أي ساءتكم لفسادها من المسقية فهم الله تعالى عن كثرة مساائلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان السؤال عما لا يعني ولا تدعوا اليه حاجة فديكون سبباً لا يجابه على السائل وعلى غيره وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن انس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلاً اقط فقال رجل من أبي فقال فلان فزلت هذا الآية لا تبالوا عن أشياء وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس وقدين هذا السائل في روايات أخر انه عبد الله بن حذافوا انه قال من أبي فقال النبي صلى الله عليه

(١٥ فتح البيان ثالث) وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يرمي الرجل يرمي نفسه فقتل مؤمنة مداورواه السائي عن محمد بن مني عن صفوان بن عيسى به الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنا ابن عتيق ان أباذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول يا عبدى ما عبدنى ورجوتنى فاني غافرك على ما كان فيك يا عبدى انك ان لقيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشركني شيئاً لقيتني بقرابها مغفرة تفرد به أحمد من هذا الوجه الحديث الخامس قال الامام أحمد حدثنا عبد الحميد حدثنا أبي حدثنا حسين بن بريدة ان يحيى بن يعمر حدثه ان

أنا الأسود الذي حدثه أن يأذرخه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زني وان سرق قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق ثلاثا ثم قال في الرابعة على رغم أنف أي ذر قال فخرج أبو ذر وهو يحترق من حره وهو يقول وان رغم أنف أي ذر كان أبو ذر يتحدث به بعد ما يقول وان رغم أنف أي ذر آخر جاء من حديث جابر بن عبد الله بن جابر عن أبي ذر قال أجد حديثا أو معاوية حديثا لا أعشش عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال كنت أشتى مع النبي صلى الله عليه وسلم (١٤) في خرة المدينة عشاء ونحن نتنظر إلى أحد فقال يا أبا ذر قلت لبيك

وسلم أولك خذافة وأخرج ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال يا أيها الناس إن الله قد اقترض عليكم الحج فقام رجل فقال أكل عام يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكسك عنه فأعادها ثلاث مرات فقال لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما قطعتم هذا زوني ما ترككم فأعادها ثلاث مرات فقال لو قلت نعم لوجبت ما قطعتم هذا زوني ما ترككم فأتوا منه ما استطعتم وذلك أن هذه الآية أعني لا تسألوا عن أشياء عزلت في ذلك وأخرجها أيضا جماعة من أهل الحديث وكل هؤلاء صرحوا في أحاديثهم أن الآية نزلت في ذلك وأخرج البخاري ومسلم وغيرهم ما عن سعد بن أبي وقاص قال قالوا يا رسول الله عن الشيء وهو لهم حلال فما زالوا يسألون حتى يحرم عليهم وإذا حرم عليهم وقعوا فيه وأخرج ابن المنذر وهو في مسلم عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم المسلمين في المسلمين خيرا ما من سأل عن شيء لم يحرم فيحرم من أجل مسألته وأخرج ابن جرير وابن المنذر والحاكم ويحيى عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حدث خذودا فلا تعدوها وفرض لكم فرائض فلا تضعوها وحرم أشياء فلا تنهكوها وترك أشياء في غير نسيان ولكن رحمة لكم فأقبلوها ولا تجشعوا عنها وعن ابن عباس قال لا تسألوا عن أشياء قال أخبركم بالصواب والوصيلة والحام (وان تسألوا عنها) الضمير يعود على نوع الأشياء المنهي عنها لأعليها أنفسها قاله ابن عطية ونقله الواحدي عن صاحب النظم ويحتمل أن يعود عليها أنفسها قاله الزمخشري بمعناه (حين نزل القرآن) أي مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم وزول الوحي عليه (تبد) أي تظهر (لكم) بما يجب به عليكم النبي صلى الله عليه وسلم أو ينزله الوحي فيكون ذلك سببا للكاليف الساقية واليجاب ما لم يكن واجبا وتحرر ما لم يكن محررا بخلاف السؤال عنها بعد انقطاع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجاب ولا تحريم يتسبب عن السؤال وقد بنى بعض أهل التفسير أن الشرطية الثانية فيها إباحة السؤال مع وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم وزول الوحي عليه فقال أن الشرطية الأولى أفادت عدم جواز السؤال إن العني وان تسألوا عن غيرها مما حلت اليه الحاجة تبدل لكم بجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وجعل الضمير في غيرها جاعلا إلى أشياء غير الأشياء المذكورة وجعل ذلك كقولها

يا رسول الله قال ما أحب إلى أحدنا ذلك عندي ذهباً أمسى ثالثاً وعندي منه دينار لا أدبشرا أرصده يعني الدين إلا أن أقول به في عبد الله هكذا وهكذا الخنا عن عيسى وعن يساره وبين يديه قال ثم مشينا فقال يا أبا ذر إن الأكثرين هم الأقولون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا الخنا عن عيسى ومن بين يديه وعن يساره قال ثم مشينا فقال يا أبا ذر كما أنت حتى أتيتك قال فأنطلق حتى لو أدري عني قال فسمعت لغطا فقلت لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض له قال فهممت أن أتبعه قال فبذرت قوله لا تبرح حتى أتيتك فانتظرت به حتى جاء فبذرت له الذي سمعت فقال ذلك جبريل أتاني فقال من مات من أممك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق أخرجه في الصحيحين من حديث الأعشى به وقدرناه البخاري ومسلم أيضا كلاهما عن قتيبة عن جابر بن عبد الله عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن أبي ذر

قال خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشي وخده ليس نعمة انسان قال فظننت انه يكره ان عشي معاً أحد قال فقلت أمسي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا فقلت أبو ذر فالتفت إلى الله فقال يا أبا ذر تعال قال فبشيت معه ساعة فقال ان المكثرين هم المقولون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فجعل يشبهه عن يمينه وشماله وبين يديه ووزاه وعمل فيه خيرا قال فبشيت معه ساعة فقال لي اجلس ههنا قال فاجلسني في قاع حوله فجاءه فقال لي اجلس ههنا حتى أرجع إليك قال فأنطلق في الحجرة حتى لا أراه فبشيت عني حتى إذا طال اللبث ثم أتني فبشيت معه ساعة وهو مقبل وهو يقول وان زني وان

ولقد

سرق قال فلما جاء لم أصد به حتى قلت يا بني الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرة فاني سمعت أحدا يرجع اليك قال ذلك جبريل عرض لي من جانب الحرة فقال بشر أمك انه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت جبريل وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم قلت وان سرق وان زنى قال نعم وان شرب الخمر * الحديث السادس قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا عبد الله بن موسى عن ابن أبي اسلي عن أبي الزبير عن جابر قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما المرجحات قال من مات لا يشرك بالله شيئا وجبت له الجنة (١٥) ومن مات يشرك بالله شيئا وجبت له النار تفرد به

من هذا الوجه وذكر تمام الحديث « طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عمرو ابن خلاد الحارثي حدثنا منصور ابن اسمعيل القرشي حدثنا موسى ابن عبيدة الترمذي أخبرني عبد الله ابن عبيدة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئا الا حلت لها المغفرة ان شاء الله عز وجل وان شفعها فلها ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ورواه الحافظ أبو يعلى في مسنده من حديث موسى بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب قيل يا أي الله وما الحجاب قال الاشر النباله قال ما من نفس تلتقي الله لا تشرك به شيئا الا حلت لها المغفرة من الله تعالى ان شاء ان بعدتها وان شاء ان يغفر لها ثم قرأ أي الله ان الله لا يغفر ما دون يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * الحديث السابع قال الامام احمد حدثنا ابو نعيم حدثنا

واقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وهو آدم ثم قال ثم جعلناه نطفة أي ابن آدم وقد أطال سليمان الجمل الكلام على هذه الآية يذكر أقوال الكرخي والخازن والقرطبي والجرجاني لا يطول بذكرها (عفا الله عنها) أي عن ماسلف من مسالككم فلا تعودوا الى ذلك وقيل المعنى ان تلك الاشياء التي سألتم عنها هي مما عفا عنه ولم يوجب عليكم فكيف تتبينون بالسؤال لا يجاب ما هو عفو من الله غير لازم وخبر عنها عائدة الى المسألة على الاول والى أشياء على الثاني على أن تكون جملة عفا الله عنها صفة نالته لا شيئا والاول أولى لان الثاني يستلزم أن يكون ذلك المسؤول عنه قد شرعه الله ثم عفا عنه ويمكن أن يقال ان العفو بمعنى الترك أي تركها الله ولم يتركها بشئ فلا يتجوز عنها وهذا معنى صحيح لا يستلزم ذلك اللازم الباطل (والله عفو رحيم) جاء سبحانه بصيغة المبالغة ليدل ذلك على انه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة لكثرة مغفرته وسعة حلمه (قد سألها) الضمير يرجع الى المسألة المشهومة من أنسألو لكن ليست هذه المسألة تعينها بل مثلها في كونها لا حاجة اليها ولا توجبها الضرورة والنية قاله الخنصري ونحو ابن عطية منحه قال الشيخ ولا يتجه قولهما الا على حذف مضاف وقد صرح به بعض المفسرين أي سأل أمثالها أو أمثال هذه السؤالات (قوم من قبلكم) كما سأل قوم صالح النافقة وسأل قوم عيسى المائدة وسأل قوم موسى رؤية الله جهرة (ثم) لم يعملوا بها بل (أصبحوا بكافرين) أي سائر بن لها تاركين للعمل بها فان بن اسرائيل كانوا يستقيمون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهل كوا ولا بد من تقييد النهي في هذه بما لا تدعو اليه حاجة كما قلنا لان الامر الذي تدعو اليه الحاجة في أمور الدين والناسق اذ أن الله بالسؤال عنه فقال فاسألو أهل الله كذا كنتم لا تعلمون وقال صلى الله عليه وسلم قالتم الله الاسألو افانما شفاه الى السؤالات (ما جعل الله من بحيرة) هذا كلام مبتدأ يتضمن الرد على أهل الجاهلية فيما استدعوه وجعل ههنا معنى سمي كما قال تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وتعدى لفعلولين أحدهما محذوف والتقدير ما سمي الله حيوانا بحيرة قاله أبو البقاء وقال ابن عطية والخنصري وأبو البقاء انما تكون معنى شرع ووضع أي ما شرع الله ولا أمر بها وقال ابن عطية وجعل في هذه الآية لا تكون بمعنى خلق لان الله خلق هذه الاشياء كلها ولا بمعنى صير لان التصير لا بد له من مفعول فان غفناه ما بين الله ولا شرع وضع الشيخ هذه

زكريا عن عطية عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة تفرد به من هذا الوجه * الحديث الثامن قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن الهيثم حدثنا أبو يعلى عن عبد الله بن ناسر من بني سريج قال سمعت ابا رهم قاص أهل الشام يقول سمعت أبا أيوب الاذصاري يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اليهم فقال لهم ان ربكم عز وجل خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا غير حساب وبين الخبيثة عنده لا متى فقال له بعض أصحابه يا رسول الله أيجب ذلك ربك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال ان ربى

زادني مع كل ألف سبعين ألفا نار الجنة عنده قال ابو رهم البازي وماتن خيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدا كل الناس بأفواههم فقالوا ما انت وخيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو رهم دعوا ريل عنكم اخبركم عن خيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نزل بل كالمستقين ان خيثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان شهدا بعده ورسله مصداقاً لسانه قلبه دخل الجنة الحديث التاسع قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم مؤمل بن النضر الخزازي حدثنا عيسى بن يونس ح (١١٦) واخبرنا هاشم بن القاسم الخزازي فيما كتب الي حداثا عيسى بن

يونس نفسه عن واصل بن السائب الرقاشي عن أبي سورة بن أبي أئني أيوب عن أبي أيوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني ابن أخ لنتهي عن الحرام قال وما ذنبه قال يصلي ويوحده الله تعالى قال استوهب منه دينه فان أبي فاعده منه فطلب الرجل ذال منه فابى عليه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وجدته شحها على دينه قال فنزلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * الحديث العاشر قال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمر بن الخفاف حدثنا أي حدثنا أبو همام الهناقي حدثنا ثابت عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تركت حاجة ولا ذاباجة الا قد أتيت قال أليس تشهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثلاث مرات قال نعم قال فان ذلك يأتي على ذلك كله الحديث الحادي عشر قال الامام احمد حدثنا أبو عامر حدثنا عكرمة ابن عمار عن ضمزم بن جوش

النكولات كلها بان جعل لم يعد للغربون من معانيها شرع وخرج الآية على التصدير ويكون المفعول الثاني محذوفا أي ما صير الله بحيرة مشروعة وقال أبو السعد معني ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدى الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن من زبدة لما كيد التي فان الجعل السكوني كما يجي نارة متعدية الى مفعولين وأخرى الى واحد كذلك الجعل التثني يجي مرة متعدية الى مفعولين كقوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وأخرى الى واحد كافي الآية الكريمة انتهى وبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة كالطبيعة والذبيحة مأخوذة من الجرح وهو شق الأذن قال ابن سبيل الناس البحيرة هي التي خلبت بلاراع قيل هي التي يجعل درها للطواغيت فلا يحلها أحد من الناس وجعل شق أذنهما علامة لذلك قاله سعيد بن المسيب قال الشافعي كانوا اذا تجت الناقة خمسة أبطن انا ما تجرت أذنهما فحرمت وبه قال أبو عبيدة زاد فارتكب ولا تحلب ولا تطرد عن مرمى ولا ماء وإذا القها الضعيف لم يركبها وقيل ان الناقة اذا تجت خمسة أبطن فان كان الخامس ذكر ارجو واذا نفا كاه الرجال والنساء وان كان الخامس أنثى جبروا أذنهما وكانت حراما على النساء لحملها ولبنها وقيل اذا تجت خمسة أبطن من غير تقييد بالاناث شقوا أذنهما حرموا ركوبها ودرها وقيل غير ذلك ووجه الجمع بين هذه الأقوال ان العرب كانت تحتلف أفعالها في البحيرة (ولا) أي وما جعل من (سابعة) أي مسيبة مختلطة وهي الناقة تسيب أو البعير بسبب نذر على الرجل ان سلمه الله من مرض أو بلغه منزله فلا يحبس عن رمي ولا ماء ولا يركبها أحد قاله أبو عبيدة وقيل هي التي تسيب لله فلا قيد عليها ولا راعي لها وقيل هي التي تابعت بين عشرا ناث ليس بينهما ذكر فعد ذلك لا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا الضيف قاله الفراء وقيل كانوا يسيدون البعير فذهب حيث يشاء لا يد عليه لاجد (ولا) أي وما جعل من (وصيلة) قيل هو ناقة ولدت أنثى بعد أنثى وقيل هي الشاة كانت اذا ولدت أنثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لا أتهم وان ولدت ذكرا أو أنثى فالواو وصلت أختا فلم يذبحوا الذكرا لأتهم وقيل كانوا اذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظر واثان كان السابع ذكرا ذبح فأكل منه الرجال والنساء وان كانت أنثى تركت في الغنم وان كان ذكرا أو أنثى فالواو وصلت أختا فلم يذبح لكانها ولكن لحمارها على النساء الا ان عوت فيا كاهها الرجال والنساء وقيل هي الناقة تسير

المسمى قال قال لي ابو هريرة يا مسمى لا تقوان رجل لا يغفر الله له أو لا يدخل الجنة أبدا فقلت يا باهرية ان قل هذه كلمة يقولها أحدنا لاختيه وراحبه اذا غضب قال لا تقلمها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني اسرائيل رجلان أحدهما يجتهد في العبادة وكان الآخر مسرفا على نفسه وكانا متاخرين وكان الجهم يلاينزال يرى الآخر على الذنب فيقول يا هذا اقصر فيقول خنتي وربى أبغضت على رقيبنا الى ان رأه يوما على ذنب استعظمه فقال له ويا هذا اقصر قال خنتي وربى أبغضت على رقيبنا فقال والله لا يغفر الله له ولا يدخل الجنة أبدا قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض ارواحهما واجتمعا عند

فقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال لا تخأصكنت عالماً كنت على ما في يدي قادر ان اذهبوا به الى النار قال والذى نفس ابي القاسم بيده انه لتكلم بكلمة أو يفت دشناه أو آخرته ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار حديثي ضمضم بن جوش به * الحديث الثاني عشر قال الطبري في حديثنا أبو الشيخ عن محمد بن الحسن بن عجلان الاصفهاني في حديثنا سلمة ابن شبيب حديثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل من علم ان ذوقه على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي (١١٧) ما لم يشركني شيئاً الحديث الثالث عشر قال

الحافظ أبو بكر البزار والحاافظ أبو يعلى حديثنا هبة بن خالد حديثنا سهل بن أبي حاتم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعد الله على عمل فوفى به فمجزئه له ومن وعد الله على عمل فعاقبافه فوفى به بالخيار تنزيهه وقال ابن أبي حاتم حديثنا بجر بن نصر الخولاني حديثنا خالد بن عبد الرحمن الخراساني حديثنا الهيثم بن جناد عن سلام بن ابي مطيع عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عمر قال كذا صحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نلشك في قائل النفس وأكل مال اليتيم وقاذف الحصنات وشهادة الزور حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن جناد به وقال ابن أبي حاتم أيضاً حديثنا عبد الملك بن ابي عبد الرحمن المقرئ حديثنا عبد الله بن عاصم حديثنا صالح يعني المزني حديثنا أبو بشر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كذا

قتلنا حتى ثم تنبى بولادة أي أخرى ليس بينهما ذكيرة كونها الا كهتهم ويقولون قد وصلت أي بأخي (ولا جعل من حاتم) هو الفعل الحامي ظهره عن ان يركب ويتفقع به وكانوا اذا ركب ولدوا الفعل فالواحي ظهره فلا يركب وقيل هو الفعل اذا نتج من صلبه عشرة فالواحي ظهره فلا يركب ولا ينع من كلا ولا ماء وقيل هو الفعل ينتج من بين ولادة عشرة اناء رواه ابن عطيمة وقيل هو الفعل يولد من صلبه عشرة أبطن وهو قول ابن عباس وابن مسعود والسهام أبو عبيدة والزجاج وقال الشافعي انه الفعل يضرب في مال صاحبه عشرين وقال ابن دريد هو الفعل ينتج له سبع اناء منوالبات فيصمى ظهره فيفعل به ما تقدم وقد عرفت منشأ خلاف أهل اللغة في هذه الاشياء وانما باعتبار اختلاف مذاهب العرب وآرائهم الفاسدة فيها وأنخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سعيد بن المسيب قال الحيرة التي تمنع درها الطواغيت ولا يحملها أحد من الناس والساجية كانوا يسيبونها لا كهتهم لا يحمل عليها شيء والوصيلة الناقة البكر تكبر في أول نتاج الابل بأخي ثم تنبى بعد بالاشي وكانوا يسيبونها الطواغيتهم ان وصلت احداً ما بالاشي ليس بينهما ذكر والخاصة خل الابل يضرب الضراب المهدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأغفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسماه الحامي وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جهنم يحطم بعضهم بعضاً ورأيت عرايعي عربون لحى يجر قصبة أي أمعاء وهو أول من سيب السوايب أخرجه الشيخان (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) وصفهم الله سبحانه بانهم ما قالوا ذلك الا افتراء على الله وكذباً لا شرع شرع الله لهم ولا عقل دلهم الله عليه وسبحان الله العظيم ما أركل عقول هؤلاء وأضعفها يفعلون هذه الافعال التي هي محض الرفاعة ونفس الحق وهذان علمائهم ورؤسائهم وكبرائهم (وأكثرهم) أي أراد الله وعوامهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كايهم مذهب سياق النظم (لا يعقلون) ان هذا كذب باطل وافتراء من الرؤساء على الله سبحانه حتى يخالفونهم ويهدون الى الحق بانفسهم فاستمر وفي أشد التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم (واذا قيل لهم) أي لعوامهم المعبر عنهم بالاكثر (تعالوا الى ما أمر الله والى الرسول) أي الى كتاب الله وسنة رسوله وحكمهما (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) وهذه أفعال آبائهم وسنتهم التي سنوها لهم وصدق الله سبحانه حيث

لا نلشك في أن واجب الله النار في الكتاب حتى نزلت علينا هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال فلما سمعنا هذا كففتنا عن الشهادة وأرجينا الامور الى الله عز وجل وقال البزار حديثنا محمد بن عبد الرحمن حديثنا شيبان بن أبي شبة حديثنا حارث بن شريح عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كذا تنسك عن الاستغفار لاهل الكفر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال أخرت شفاعة لاهل الكفر من أمي يوم القسامة وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع أخبرني جعفر عن عبد الله بن عمر انه قال لما نزلت يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من

وحسنة الله التي انزلها في قلوبهم من انهم لم يقرروا ان الله تعالى ان الله تعالى ان الله تعالى
ان يشركوا به في قلوبهم من انهم لم يقرروا ان الله تعالى ان الله تعالى ان الله تعالى
عن انهم لم يقرروا ان الله تعالى ان الله تعالى ان الله تعالى ان الله تعالى
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقبلوا من ربي رحمة الله ان الله تعالى ان الله تعالى
لا يدخل الشرك في نفسه ولا يصح ذلك في نفسه (١١٨) قد حتم علينا ان لا يغفر الله ما فعلنا من

يقولون (أو) الراوي لما دخلت عليه احدى الاستغاثات لانكار واستعجاب وقيل له ما
على حجة مقنعة وهو الاظهر اى احبهم بذلك (لو كنت اباؤهم) حيلة تضليل لا يعلمون
سأولاهم تدون) وقد تقدم الكلام على مثل هذه الآية في البقرة وقال شاموا وحنا
وحنان ما لا نقينا ولا يعلمون حنارة لا يعقلون هنالك لتفتن وأساليب من التعبير وهذا
انقصه أبو حيان والسين والمعنى ان الاقتداء بما يصح بالعالم الموتهى الى ربي قوله
على الخجة والبرهان والدليل وان آباءهم ما كانوا كذلك فكيف يصح الاقتداء بهم وقد
صارت هذه المقالة التي قالها الخاطبة نصب أعين القلدة وعساها التي تكونون عليها ان
دعاهم داعي الحق وصرح بهم صارخ الكتاب والسنة فاستجابهم عن قلد وبعين هو مثلهم
في التعبد بشرع الله مع مخالفة قوله الكتاب انه أولسندرسوله هو كسرل هؤلاء وليس
الفرق في مجرد العبارة اللغوية لاني المعنى الذي عليه تدور الافادة والاستفادة اليهم
غفرا لو كثيرا ما فمع من اسراء التقليد الذين يعرفون الحق بالرجال لا بالاستدلال انما
لهم القائل الحق في هذه المسئلة كذا أو الراجح قول فلان فالواست أعلم من فلان يعنون
القائل من العلماء بخلاف الراجح في تلك المسئلة فتقول لهم نعم لست أعلم من فلان ولكن
هل يجب علي اتباعه والاخذ بقوله فيقولون لا ولكن اخي لا يفوته فتقول لهم لا يفوته
وحده بخصه وصيته ام لا يفوته ومن يتابعه من العلماء من بلغ الى الرتبة التي بلغ اليها
في العلم فيقولون نعم لا يفوته هو وأشاخه من هو كذلك فقال لهم له من الاشياء والافكار
في علماء السوء والخلف آلاف مؤلفة بل فيهم اعداد متعددة يضاهونهم في المسئلة
الواحدة الاقوال المتقابلة فربما كانت العين الواحدة عند بعضهم حلالا وعند الآخر
حراما فيل تكون العين حلالا وحراما لكون كل واحد منهم لا يفوته الحق كما زعم من
قامتم فبيد باطل ومن قال بتصويب المجتهدين انما يجعل قول كل واحد منهم حلالا
لا اصابه وقرق بين المعنيين أو يقول القائل في جواب مقالهم فلان أعرف منك بحق
لكونه أعلم اذا كان الاسعد الحق الاعلم فما أحد الا وغيره أعلم منه فلان الذي يعنون غيره
أعلم منه فهو أسعد منه بالحق فلم يكن الحق حينئذ يدهولا سيدا اتباعه وهذه المحاورات
انما يحتاج اليها من اجل مجاورة المقصرين الذين لا يعقلون الخبيج ولا يعرفون أسرار الادلة
ولا يفهمون اخفاق فيحتاج من اجلهم وجماد عليهم من قبلهم الى هذه المناظر التي

يحب صاحب هذه الأرجس من قائل
من هذا الوجه والله أعلم وقوله ومن
يشرك بالله فقد اترى انما عظيما
كبره ان الشرك لظالم عظيم وثبت
في الحديث عن ابن مسعود انه
قال قلت يا رسول الله أي الذنب
أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو
خلدك وذكر تمام الحديث وقال
ابن مردويه حدثنا اجد بن عمرو
حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا
معن حدثنا سعيد بن بشر عن
قتادة عن الحسن عن عمران بن
حسين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أخبركم بأكبر الكبائر
الاشرك بالله ثم قرأ ومن يشرك
بإلهه فقد افترى اثماعظما وعرق
الوالدين ثم قرأ أن اشرك لي
ولو اديك الى المصير ألم تر الى الذين
يزكون انفسهم بل الله يزكي من
يشاء ولا يظنون عيلا انظر كيف
يشترى على الله الكذب وكفى به
اثما سينا ألم تر الى الذين اقروا
نصيامن الكتاب يؤمنون بالحيث
والساعرة ويقولون للذين كفروا
هؤلاء آهسي من الذين آمنوا
سيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن

يلعن الله فلن يجدوا نصرا قال الحسن وقد تراءت هذه الآية وهي قوله ألم تر الى الذين يزكون انفسهم في اليهود لا يحتاج
والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأجودوا في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان حودا أو نصارى وقال مجاهد كانوا يقدسون
الصلبان في ما هم في السماء والسلاوة يؤمنونهم ويزعون انفسهم لاذنوب لهم وكذا قال عكرمة وأبو مالك وروى ذلك ابن جرير وقال
العرفي عن ابن عباس في قوله ألم تر الى الذين يزكون انفسهم وذلك ان اليهود قالوا ان أبناء نوحا ورواهم لنا قرية وبشفتون لنا
ويركونا فآزر الله على محمد ألم تر الى الذين يزكون انفسهم الآية ورواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن

دفعي حدثنا ابن جرير عن ابن الهيثم عن بشر بن أبي عرصة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان المهدي قد قدم من صديانهم يصلون بهم
ويتركون قربانهم ويرعون أنفسهم لا خطايا لهم ولا ذنوب وكذبوا قال الله اني لأظهد اذنب يا آخر لا ذنب له وأترل الله ألم ترى الذين
يركون أنفسهم ثم قال وروى عن مجاهد وأبي مالك والسدى وعكرمة والخصال نحو ذلك وقال الفضالة قالوا ليس لنا ذنوب كالمس
لبنائنا ذنوب فأنزل الله ألم ترى الذين يركون أنفسهم فيهم وقيل نزلت في ذم القادح والتزكية وفي صحيح مسلم عن المقداد بن
الاسود قال أمر نارسول الله صلى الله عليه وسلم ان يمشى في وجوه (١١٩) المداحين التراب وفي الصحيحين من طريق خالد

الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكر
عن أبيه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل
فقال ويحك قطعت عنق صاحبك
ثم قال ان كان أحدكم ما خاصا حبه
لا محالة فليقل أحسبه كذابا ولا
يركى على الله أحدا وقال الامام
أحمد حدثنا معمر عن أبيه عن نعيم
ابن أبي هند قال قال عمر بن الخطاب
من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن
قال هو عالم فهو جاهل ومن قال هو
في الجنة فهو في النار ورواه ابن
مرويه عن طريق موسى بن عبيدة
عن طلحة بن عبيد الله بن كز عن
عمر انه قال ان أخوف ما أخاف
عليكم بحجاب المرء بآيه فن قال
انه مؤمن فهو كافر ومن قال هو
عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة
فهو في النار وقال الامام أحمد
حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
حدثنا حجاج بن أثا نا شعبة عن سعد
ابن ابراهيم عن معبد الجهني قال
كان معاوية قايما كان يحدث عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال وكان
قايما كان يدعي يوم الجمعة هو لاه
الكلمات ان يحدث بهن عن
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من

لا يحتاج الى مثلهم ان له أدنى تمسك باذيال العلم فان كل عارف يعرف ان وظيفة المجتهد
ليست قبول قول العالم المختص بعربة من العلم فوق مرتبة انما وظيفة قبول حجة فاذالم
تبرأ الحجة لم يحل للعجته بالاختياد القول الخالي عن الخفي في علمه وان كان في الواقع ورعا
له حجة لم يطع عليها العالم الاخر الا ان مجرد هذا التجويز يجوز التسليم به في احسان الظن
بالعالم الاول وجهه على السلامة لا يجوز التسليم به في ان المقالة حق يجوز التسليم بها
كيجوز التسليم بالدليل فهو لا يقوله الامن لا حظ له من العلم ولا نصيب له من العقل (يا أيها
الذين آمنوا عليكم) أي الزموا (أنفسكم) واحفظوا هاهنا ملازمة الذنوب والاصرار
على المعاصي وقوموا بصلاحتها يقال عليك زيد أي الزم زيد اقال نصيب على الاغراء
واختلاف النجاة في الضمير المتصل بها وبأخواتها نحو وليك ومكانك والصحيح انه
في موضع جر كما كان قبل ان تنقل الكلمة الى الاغراء وهذا مذهب سيبويه وذهب
الكسائي الى انه منصوب المحل وفيه بعد لنصب ما بعده وذهب القراء الى انه مرفوع
وقد حقت هذه المسائل بدلائلها مبسطة في شرح التسهيل (لا يضركم) ضلال (من
ضل) من الناس أي أهل الكتاب وغيرهم (اذا اهتديتم) الحق أنهم في أنفسكم وليس
في الآية ما يدل على سقوط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركه مع كونه من
أعظم الفروض الدينية فليس يهتد وقد قال الله سبحانه اذا اهتديتم وقد دلت الآيات
القرآنية والحديث المتكثرة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا
مضايقا محتملا فحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الامر والنهي
أو لا يظن التأثير بحال من الاحوال أو يخشى على نفسه ان يجعل به ما يضره ضررا يسوغ
له معه الترك أخرج الترمذي وصححه وابن ماجه وابن جرير والبغوي وابن أبي حاتم
والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن أبي أمية السعدي قال
أبى بالعلبة ان شئني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية قال آية قالت قوله يا أيها الذين
آمنوا الخ قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بل أقتر وأبالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحاططا وهو متبعاد ودينا
مؤثرة وأباجب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فان من
وراءكم أياما الصبر فيمن مثل القبط على الجمل العامل فيمن أخرج خسين رجلا يعملون مثل

يرد الله به خيرا يققه في الدين وان هذا المال حلو خضر فن يأخذ بحقه يار له فيه واما كم والقادح فانه الذبح وروى ابن ماجه
منه اياكم والقادح فانه الذبح عن ابي بكر بن أبي شيبة عن غندر عن شعبة ومعبد هذا هو ابن عبد الله بن عوف البصري القدرى
وقال ابن جرير حدثنا يحيى بن ابراهيم السعوى حدثني أبي عن أبيه عن جده عن الاعشى عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب
قال قال عبد الله بن مسعود ان الرجل ليعذبه شتمه ثم يرجع ومعه منه شئ يلقى الرجل ليس يملكه ضرا ولا نفعاً فيقول له انك
والله كيت وكيت فله ان يرجع ولم يحفظ من حاجته بشئ وقد أخطأ الله ثم قرأ ألم ترى الذين يركون أنفسهم الآية وسماي

الكلام على ذلك مطولاً عند قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم من أتى ولهذا قال تعالى بل الله يزك من يشاء أي المرجع في ذلك إلى الله عز وجل لأنه أعلم بحقائق الأمور وغوامضها ثم قال تعالى ولا يظنون قسلاً أي ولا يتركوا من أحد من الأجر ما يوزنون مقدار القتل قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقادة وغير واحد من السلف شو ما يكون في شق الزنا أو عن ابن عباس أيضاً هو ما قتلت من أصابعك وكل القواوين ستقارب وقوله أنظر كيف يفترون على الله الكذب أي في تركهم أنفسهم ودعواهم أنهم أبناء الله وأحباؤه (١٢٠) وقولهم لم يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وقولهم لم نمننا النار إلا

علمكم وفي لفظ قيل يا رسول الله من أنتم قال بل أجمع خسين منكم وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن عامر الأشعري أنه كان فيهم أعمى فاحتسب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتاه فقال ما حبسك قال يا رسول الله قرأت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الآية قال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أين ذهبتم أنما هي لا يضركم من ضل من الكفار إذا هتدبتم وأخرج أبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جبان والدارقطني وأحمد وغيرهم عن قيس بن أبي حازم قال قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية وانكم تضعونها على غير موضعها وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس إذا رأوا منكراً لم يغيروه أو شاك ان بهمهم الله يعقاب وفي لفظ لابن جرير عنه والله لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وليعصمكم الله منه يعقاب وعن ابن مسعود وسأله رجل عن قوله عليكم أنفسكم قال هل ليس بزمانها إنما اليوم مقبولة ولكنه قد أشك ان يأتي زمان تأمرن بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم وعن ابن عمر إن الأقسام يحبونها من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن أبي بن كعب إنهم أتوا في آخر الزمان وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال ذكرت هذه الآية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم يجئ تأويلها إلا يحيى تأويلها حتى يهبط عيسى بن مريم عليه السلام قال الطبري وأولى هذه الأقوال وأوضح التأويلات عندنا في هذه الآية ما روي عن أبي بكر المصديق وهو العمل بطاعة الله وأداملهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاختذ على يد الظالم والله ما نزل آية أشد منها وعن ابن المبارك هذه الآية أوكد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى قال عليكم أنفسكم يعني أهل دينكم بأن بعضكم بعضكم بعضاً ويرغبه في الخيرات وينفره عن القبائح والذكر وهات وقال مجاهد وابن جبير في اليهود والنصارى خذوا منهم الجزية واتركوهم وقال أبو السعود ولا يتوهم ان في هذه الآية رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهم كما كيف لا ومن جهة الاعتداء ان ينكر على المنكر حسبما تنبى به الطاقة انتهى والاقوال والروايات في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية فيه ما يرشد إلى ما قد منان الجمع بين هذه الآية

أما ما معدودات وانكالمهم على أعمال آبائهم الصالحة وقد حكهم الله ان أعمال الآباء لا تجزى عن الابناء مشافى قوله تلك آفة قد خات لها ما كسبت ولكم ما كسبت الآية ثم قال وكفى به انحساراً أي وكفى بصنيعهم هذا كذا وافتراء ظاهراً وقوله ألم تر إلى الذين أوفوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت أما الجبت فقال محمد بن الحسن بن حسان بن قائد عن ابن عمر بن الخطاب أنه قال الجبت السحر والطاغوت الشيطان وهكذا روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن والفضالة والسدي وعن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن وعطية الجبت الشيطان وزاد ابن عباس بالجبتية وعن ابن عباس أيضاً الجبت الشرك وعنه الجبت الاصنام وعن الشعبي الجبت الكاهن وعن ابن عباس الجبت حتى بن أخبط وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف وقال العلامة أبو نصر بن اسمعيل بن حماد الجوهري

في كتابه التصالح الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر وشحو ذلك وفي الحديث الطيرة والعياقة وبين الطرق من الجبت قال وليس هذا من محض العربية لا اجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غير حرف ذي نون وهذا الحديث الذي ذكره رواد الامام أحمد في مسنده فقال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف بن حيان أبي العلاء حدثنا قطب بن قيس عن أبيه وهو قصة بن مخارق أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العياقة والطرق والطيرة من الجبت وقال عوف العياقة نجر الطير والطرق الخطيخ في الأرض والجبت قال الحسن رثة الشيطان وهكذا رواد أبو داود في سننه والنسائي وابن أبي حاتم

في تفسيره من حديث عوف الاعرابي به وقد تقدم الكلام على الطاغوت في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا اسحق بن الصفيح حدثنا جحاح عن ابن جريح أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله أنه سئل عن الطواغيت فقال هم كهان تنزل عليهم الشياطين وقال مجاهد الطاغوت الشيطان في صورة أنسان يتخا كرون اليه وهو صاحب أمرهم وقال الامام مالك هو كل ما يعبد من دون الله عز وجل وقوله يقولون الذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا اي يضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب (١٢١)

حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة قال جاءني بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فاجبرونا عما نحن عن محمد فقالوا ما نتم وما محمد فقالوا نحن فصل الارحام ونكسر الكوما ونسقي الماء على اللبن ونفك العناني ونسقي الحجج ومحمد صنوبر قطع أرحامنا واتبعه سراق الحجج من غفارت فمن خير أمة هو فقالوا أنتم خير وأهدى سبيلا فانزل الله ألم تر إلى الذين أتوا نصبا الآية وقد روى هذا من غيره عن ابن عباس وجاعة من السلف وقال الامام احمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش ألا ترى هذا الصنوبر المنبت من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير قال فتركت فهمم ان شئتكم هو الا بتر ونزل ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب إلى نصير وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة

وبين الآيات والاحاديث الواردة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (الى الله مرجعكم جميعا) أي اليه في الآخر ترجوع الطائع والمعاصي والصال والمهتدي في الآية اكتفاء (فنبشكم بها كنتم تعلمون) أي فضبركم بما عملتم ويحزركم عليه وفي هذا وعد ووعد للقربيين ونبيه على ان أحدا لا يؤخذ بعمل غيره (يأيها الذين آمنوا) استئناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دينهاهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم (شهادة يشكم) قال مكي في كتابه المسمى بالكشف هذه الآيات الثلاث يعني هذه وآيات التان بعدها عند أهل المعاني من أشكل مافي القرآن اعرابا وعنى وحكموا تفسير اول بزل العلماء يستشككونها ويكتفون عنها قال ويحتمل ان يسط ما فهم من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر وقد كرناها مشروحة في كتاب مفرد قال ابن عطية هذا كلام من لم يقع له التاج في تفسيرها وذلك بين من كتابه رحمه الله تعالى يعني من كتاب مكي قال القرطبي ما ذكره مكي ذكره أبو جعفر النحاس قبله أيضا قال السعد في حاشيته على الكشف واتفقوا على انها أصعب مافي القرآن اعرابا ونظما وحكما انتهى قال السخاوي لم أر أحدا من العلماء يخلص كلامه من أولها إلى آخرها قلت وأنا أستعين الله تعالى في توجيه اعرابها واشتقاق مفرداتها وتصريف كلماتها وقرأتها وعرفتها تألفها وأما بقية علوها فانسأل الله العون في تمهيدها إلى آخر مافي عبارة السمين فارجع اليه ان شئت وأضاف الشهادة إلى البين توسعا لانها جارية بينهم وقيل أصلها شهادة قما بينكم فخذت ما أضيف إلى الطرف كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار ومنه قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك واختلف في هذه الشهادة فقيل هي ههنا بمعنى الوصية وقيل بمعنى الحضور والوصية وقال ابن جرير الطبري هي ههنا بمعنى البين أي بين ما بينكم ان يحلف اثنان واستدل على ما قاله بأنه لا يعلم لله حكما يجب فيه على الشاهدين واختار هذا القول الفقهاء وضعف ذلك ابن عطية واختار أنها ههنا هي الشهادة التي تؤدى من الشهود أي الاخبار بحق الغير على الغير (اذا حضر أحدكم الموت) المراد بحضور الموت حضور علاماته لان من مات لا يمكنه الاشهاد وتقدم المفعل للاهتمام ولافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليه اقامته أدخل في تهوين امر الموت (حين الوصية) بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا حضوره كما قيل فان في الابدال تنبها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم

(١٦ فتح البیان ثالث) اوعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الذين خرجوا من قريش وغطفان وبني قريظة حتى بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق وابو ارفع والربيع بن ابي الحقيق وابو عامر وروح بن عامر وهود بن قيس فاما وحوح وابو عامر وهود بن قيس وابو ابل وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش قالوا هؤلاء اعدائهم واهل العلم بالكتب الاول فاسألوهم أي دينكم خيرا أم دين محمد فاسألوهم فقالوا دينكم خيرا من دينه وانتم اهدى منه وعن ابن عباس فانزل الله عز وجل ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب إلى نصير وقال ابن اسحق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة

ذهبوا بتصرفهم بالمشركين وانما قالوا لهم ذلك ليستدلواهم الى نصرتهم وقد اجابوهم وياؤامعهم يوم الاحزاب حتى حفر
التي صلى الله عليه وسلم واجابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله
المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (ثم ا لهم نصيب من المالك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله
من فضله فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما ففهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا)
يقول تعالى أم لهم نصيب من المالك وهذا (١٢٢) استفهام انكارى أى ليس لهم نصيب من المالك ثم وصفهم بالجلل فقال فاذا

ويذهل عنها (اثنان ذوا عدل منكم) أى من أقاربكم لانهم أعلم بأحوال الميت وأفعاله
وأقرب الى تحري ما هو أصح له (أو آخران) كأنان (من غيركم) أى من الاجانب
وقيل ان الضمير فى منكم للمسلمين والمراد بقوله غيركم الكفار وهو الانسب بسياق الآية
وبه قال أبو موسى الاشعري وابن عباس وغيرهما فيكون فى الآية دليل على جواز شهادة
أهل الذمة على المسلمين فى السرقى خصوص الوصايا كما يفيدده النظم القرآنى ويشهد له
السبب للزول وسأنى فاذا لم يكن مع الموصى من يشهد على وصيته من المسلمين فلنشهد
رجلان من أهل الكفر فاذا قدموا أدبا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة انهم ما كذبوا
ولا بدلا وان ما شهدناه حق فيحكم حينئذ يشهدان ثم ما كان عمر بعد ذلك على انهما كذبا
أو خانا حلف رجلا من أولياء الموصى ورغم الشاهدان الكافران ما ظهر عليهم ما من
خيانة أو نحوها هذا معنى الآية عند من تقدم ذكره وبه قال سعيد بن المسيب ويحيى بن
يعمر وسعيد بن جبيرة وأبو حنيفة والشافعية وشرح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد
وقتادة والسدي والثوري وأبو عبيد وأحمد بن حنبل وذهب الى الاول أعنى تفسيرهم
منكم بالقرابة أو العشرة وتفسير غيركم بالاجانب الزهري والحسن وعكرمة وذهب مالك
والشافعية وأبو حنيفة وغيرهم من الفقهاء الى الآية منسوخة واحتجوا بقوله من
ترضون من الشهداء وقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم والكفار ليسوا بعرضيين ولا عدول
وخالفهم الجمهور فقالوا الآية محكمة وهو الحق لعدم وجود دليل صحيح يدل على النسخ
وأما قوله تعالى من ترضون من الشهداء وقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم فهم ما علمنا
فى الاشخاص والازمان والاحوال وهذه الآية خاصة بحالة الضرب فى الارض وبالوصية
وبحالة عدم الشهود المسلمين ولا تعارض بين خاص وعام (ان أنتم ضربتم فى الارض)
الضرب فى الارض هو السفر أى ان سافرت فيها قال السمين قوله ان أنتم قسدت قوله
أو آخران وقية التفات من الغيبة الى الخطاب ولوجرى على لفظ اذا حضر أحدكم الموت
لكان التركيب هكذا ان هو ضرب فى الارض فاصابته (فاصابكم مصيبة الموت) أى
فقتل بكم أسباب الموت وقاربكم الاجل وأردتم الوصية حينئذ ولم تجدوا شهداء عليكم
المسلمين فاصيتم اليهم ما ودعتم ما لكم اليهم ما ثم ذهبوا الى ورتكم بوصيتكم وما زكم
فارتابوا فى أمرهم وادعوا عليهم ما خيانه فالحكم فيه انكم (تحبسونهم) وتوقفونهم

لا يؤتون الناس نقيرا أى لانهم
لو كان لهم نصيب فى المالك والتصرف
لما أعطوا أحد من الناس ولا سيما
محمد صلى الله عليه وسلم شيئا ولا ما
يملأ القبر وهو النقطة التى فى
النواة فى قول ابن عباس والا كثير
وهذه الآية كقوله تعالى قل لو أنتم
تما كنون خرائن رجعة ربي اذا لم استكم
خسبة الاتفاق أى خوف ان يذهب
ما بأيديكم مع انه لا يتصور نقضه
وانما هو من بخلكم وشحكم ولهذا
قال تعالى وكان الانسان قورا أى
بجذلا فلم قال أم يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله يعنى بذلك
حسدكم النبي صلى الله عليه وسلم
على ما رزقه الله من النبوة العظيمة
ومنهم من تصد بيقهم انما حسدكم
له لكونه من العرب وليس من بنى
اسرائيل وقال الطبرانى حدثنا
محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا
يحيى الخالى حدثنا قيس بن الربيع
عن السدي عن عطاء عن ابن عباس
فى قوله أم يحسدون الناس الآية
قال ابن عباس شح الناس دون
الناس قال الله تعالى فقد اتينا آل
ابراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم
ملكا عظيما أى فقد جعلنا فى اسباط

بنى اسرائيل الذين هم من ذرية ابراهيم النبوة وأرنا عليهم الكتب وحكموا فيهم بالسنة وهى الحسمة وجعلنا منهم
المولود مع هذا ففهم من آمن به أى هذا الايتاء وهذا الانعام ومنهم من صد عنه أى كفر به وأعرض عنه وسعى فى صد الناس عنه وهو
منهم ومن جسد أى من بنى اسرائيل فقد اختلفوا عليهم فكيف يكفى بالحمد ولست من بنى اسرائيل وقال مجاهد ففهم من آمن به أى
بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من صد عنه فالكفر عنهم أشد كذبا لكى لا وبعد عا جسدتهم به من الهدى والحق المبين ولهذا قال
متوعد الله وكفى بجهنم سعيرا أى وكفى بالنار عقوبة لهم على كفرهم وعنادهم ومخالفتهم كتب الله ورسوله لان الذين كفروا باياتنا

سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلود غيرها ليدوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذي
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ابد الهم فيها آرز واج مطهرة وندخلهم ظلال ظلالا يحترقون
نار جهنم من كفرة ياتونه وصدع رمله فقال ان الذين كفروا باياتنا الآية أي ندخلهم نار ادخلوا لتحيط بجميع أجزا
ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم فقال كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدوقوا العذاب قال الأعشى عن ابن عمر اذا
احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ايضا أمثال القراطيس رواه ابن أبي حاتم (١٢٣) وقال يحيى بن يزيد الحضرمي انه بلغه في الآية

قال يجعل للكافرة مائة جلد بين كل
جلدين لون من العذاب رواه ابن
ابى حاتم وقال ابن ابى حاتم حدثنا
حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا
حسين الجعفي عن زائدة عن هشام
عن الحسن قوله كلما نضجت
جلودهم الآية قال تنضجهم في
اليوم سبعين الف مرة قال حسين
وزاد فيه فضيل عن هشام عن
الحسن كلما نضجت جلودهم قيل لهم
عودوا عذابا وقال ايضا ذكر عن
هشام بن عمار حدثنا سعيد بن
يحيى حدثنا نافع مولى يوسف
السلمي البصري عن نافع عن ابن
عمر قال قرأ رجل عند عمر هذه
الآية كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها فقال عمر أعد لها علي
فأعادها فقال معاذ بن جبل عندي
تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة
فقال عمر هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابن
مردويه عن محمد بن جابر بن ابراهيم
عن عبد الله بن محمد المروزي عن
هشام بن عمار به ورواه من وجسه
آخر بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن
اسحق عن عمران حدثنا ابراهيم
ابن محمد بن الحرث حدثنا شبان

ويجوز أن يكون استقنافا كأنهم قالوا فكيف نصنع ان ارتبنا في الشهادة فقال
تجسسونها (من بعد الصلاة) ان ارتبتم في شهادة تسما وهي صلاة العصرة له الاكثر
لكونه الوقت الذي يغضب الله على من حلف فيه فاجرا كافي الحديث الصحيح وعدم
تعينها في الآية لتعينها عندهم للحلف بعدها قبل وجيع أهل الاديان يعظمون ذلك
الوقت ويحتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل لكونه وقت اجتماع الناس وقعود الحكام
للعكوفة وقيل لانه وقت تدهام ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل صلاة أهل دينها
وقيل صلاة الظهر قاله الحسن وقيل أي صلاة كانت قاله القرطبي والمراد بالحبس توقيف
الشاهدين في ذلك الوقت لتحليفهما وفيه دليل على جواز الحليس بالمعنى العام وعلى جواز
التغليظ على الخائف بالزمان والمكان ونحوهما (فيقسمان) أي الشاهدان على الوصية
أو الوصيان (بالله) وقد استبدل بذلك أن يلبس على تحليف الشاهدين مطقا اذا
حصلت الرتبة في شهادتهم ما وفيه نظر لان تحليف الشاهدين هنا انما هو بوقوع الدعوى
عليهما بالخيانة أو نحوها قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعناق والمال
اذا بلغ ما تقي درهم فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن والمقام وان كان
بالمدينة فعند المنبر وان كان في بيت المقدس فعند الحضرة وفي سائر البلاد في أشرف
المساجد وأعظمها (ان ارتبتم) أي شككتم أي الورثة في قول الشاهدين وصدقهما
حقا وهما وهذا اذا كانا كافرين أما اذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لان تحليف الشاهد
المسلم غير مشروع (لا تشترى به غنا) الضمير راجع الى الله تعالى والمعنى لا يبيع حظا
من الله تعالى وعهدهم بهذا العرض النذر من الدنيا يخاف به كاذبين لاجل مال ادعيته
عابسا وعوض تأخذة أو حق يتجده وقيل يعود الى القسم أي لا يستبدل لصحة القسم بالله
عرضا من أعراض الدنيا وقيل يعود الى تحريف الشهادة قاله أبو علي وانما ذكر الضمير
لانما يعنى القول أي لا يستبدل بشهادتنا خوفا وهذا أقوى من حيث المعنى قال
الكوفيون المعنى ذائع وهذا ما جرى على ان العروض لا تنسى ثمنا وعند الأكثر انما نسي
غنا كما نسي مبيعا (ولو كان ذا قرين) أي ولو كان المشهود له أو المقسم له ذا قرابة منا وانما
خص القرين بالذكر لان الميل اليه أسم أكثر من غيرهم والمعنى لا تؤثر العروض الديورية
ولا القرابة وجواب لو محمد وفي دلالة ما قبلها عليه أي ولو كان ذا قرين لا تشترى به غنا

ابن فروخ حدثنا نافع ابوهر من حدثنا نافع عن ابن عمر قال تلا رجل عند عمر هذه الآية كلما نضجت جلودهم الآية قال فقال عمر
اعد لها علي ثم كعب فقال يا امير المؤمنين انما عندي تفسير هذه الآية قرأتها قبل الاسلام فقال هاتما يا كعب فان جئت بها كما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقناك والام تنظر اليها فقال اني قرأتها قبل الاسلام لكما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
في الساعة الواحدة عشر بن ومائة مرة فقال عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الربيع بن أنس مكتوب
في الكتاب الاول ان جلد أحدهم اربعون ذراعا وستة وسبعون ذراعا ويطنن لوضع فيه جبل لوسعه فاذا اكل النار جلودهم بدلوا

جلودا غير ما وقدر في الحديث ما هو ابلغ من هذا قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا ابو يحيى الطوالي عن ابي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم اهل النار في النار حتى ان بين شحمة اذن احدكم الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام وان غلط جلدك سبعون ذراعا وان ضره مثل احد فقدر به احد من هذا الوجه وقيل المراد بقوله كمال فصحت جلودهم أي سراسيلهم حكاه ابن جرير وهو ضعيف لانه خلاف الظاهر وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار والذين فيها أبدا هذا الخبر عن مالك (١٢٤) السعداء في جنات عدن التي تجري فيها الانهار في جميع فجاجها ومحالها

وارجائها حيث شاؤوا وابن ارادوا
وجم خالزون فيها بالادب لا يحولون ولا
يزولون ولا يغون عنها حولا وقوله
لهم فيها ازواج مطهرة أي من
الحض والنفس والاذى والاخلاق
الذيلة والصفات الناقصة كما قال ابن
عباس مطهرة من الاقدار والاذى
وكذا قال عطاء والحسن والخال
والخنى وابوصالح وعطية والسدي
وقال مجاهد مطهرة من البول
والحض والنخام والبراق والمني
والولد وقال قتادة مطهرة من الاذى
والماتم ولا حيض ولا كلف وقوله
وندخلهم ظلالا ظللاى ظلالا عبقا
كثيرا غزيرا طيبا أي قال ابن جرير
حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن
وحدثنا ابن المنني حدثنا ابن جعفر
قالا حدثنا شعبة قال سمعت ابا
الخصال يحدث عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعها شجرة الاخلد ان
الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
اهلها واداكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل ان الله نعماء يعظمكم
به ان الله كان سمعا بصيرا يستجبر تعالى
انه يأمر بأداء الامانات الى اهلها

(ولا تكتم شهادة الله) معطوف على لا تشترى داخل معه في حكم القسم وضاف الشهادة
الى الله سبحانه لكونه الاحمر باقماستوا والنهاى عن كتمانها قال ابن زيد لا تأخذ به رشوة
(اناذا) ان كتمان الشهادة (لمن الاتين) أخرج البخاري في تاريخه والترمذي وحسنه
وابن جرير وابن المنذر والنحاس والطبراني و أبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه
عن ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع عيم الداري وعدى بن يدا فثلبت السهمى
بأرض ليس فيها مسلم فأوصى اليها فاقدم ما تبت كنهه ففقدوا اجام من فضة فحوصا بالذهب
فاحلفهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله ما كتمانها ولا اطلعنا ثم وجدوا الجاهل
بمكة فقتل اشترى ثمنه من عيم وعدى وقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا بالله لئن لم
أحق من شهادتهما وان الجاهل لصاحبهم وأخذوا الجاهل فوهم نزلت هذه الآية وفي اسناده
محمد بن أبي القاسم الكوفي قال الترمذي قيل انه صالح الحديث وقدرى ذلك أبو داود
من طريقه وقدرى جماعة من التابعين ان هذه القصة هي السبب في نزول الآية
وذكرها المفسرون مختصرة ومعطوفة في تفاسيرهم وقال القرطبي الله أجمع أهل التفسير
على ان هذه القصة هي سبب نزول الآية (فان عثر) يقال عثر على كذا اطلع عليه ويقال
عثرن منه على خيانة أى اطلعت وأعثرن عثري عليه ومنه قوله تعالى وكذلك أعثرنا
عليهم وأصل العثر الوقوع والسقوط على الشيء وقيل الهجوم على شئ لم يهجم عليه
غيره وكل من اطلع على أمر كان قد خفي عليه قبل له قد عثر عليه والمعنى انه اذا اطلع وظهر
بعد الخلف (على أنهم) أي الشاهدين أو الوصيين على الخلاف في ان الاثنين وصيان
أو شاهدان على الوصية (استحقا) أي استوجبوا (أعنا) اما يكذب في الشهادة أو البين
أو يظهر خفاة بان وجد عندهما مثلاما اتهم به وادعيا انهما ايتابعا من الميت أو وصي
لهما به قال أبو علي القاسمي الاثمنا اسم الشيء المأخوذ لان آخذ به يأثم باخذه فسمي اثما
كاسم ما يؤخذ به غير حق مظهرا قال سيبويه المظلة اسم ما أخذ منك فكتبك ذلك سمي هذا
المأخوذ باسم المصدر (فأخرا) أي فشاهدان آخران أو قاله آخران من أولياء الميت
(يقومان مقامهما) أي مقام الذين يثبر على انهما استحقا اثما فشهدان أو يملكان على
ما هو الحق وليس المراد انهما يقومان مقامهما في اداء الشهادة التي شهد بها المستحقان
للاثم (الذين استحق) قرئ على البناء للمفعول وعلى الفاعل (عليهم) الوصية وهم الورثة

وفي حديث الحسن عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آذا الامانة الى من اتيتك ولا تخن من جئتك رواه الامام
أحمد وأهل السنن وهو يجمع الامانات الواجبة على الانسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلاة والزكاة والصيام
الكفارات والنذور وغير ذلك مما هو موقن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالوادع وغير ذلك مما
يأتون بعضهم على بعض من غير اطلاع يفتنه على ذلك فأمر الله عز وجل بآداها فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة
كأنت في الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تؤدون الحقوق الى أهلها حتى يقتصر الاشاة الجاهل من القرآن وقال

ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال ان الشهادة تكفر كل ذنب الا الامانة يؤتى بالرجل يوم القيامة وان كان قد قتل في سبيل الله فيقال اذا ماتك فيقول فاني اودعها وقد ذهبت الدنيا فتبذل له الامانة في قعر جهنم فيموت بها فيموت بها على عاتقه قال فتتزل عن عاتقه فيموت على أثرها يبد الابدين قال زاذان فانت البراءة فثمة فقال صدق اخي ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها وقال سفيان الثوري عن ابن أبي ليلى عن رجل عن ابن عباس في الآية قال هي مهمة البر والفاجر وقال (١٢٥) محمد بن الحنفية هي عامة البر والفاجر وقال

أبو العباس الامانة ما أمروا به ونهوا عنه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد حدثنا صفوان بن يحيى عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال قال أبي بن كعب من الامانات ان المرأة اتت على فرجها وقال الربيع بن أنس هي من الامانات فيما بينك وبين الناس وقال علي بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها قال قال يدخل فيه وعظ السلطان النساء يعني يوم العيود وقد ذكر كثير من المفسرين ان هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله ابن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القسري العبدري حاكب الكعبة المعظمة وهو ابن عشيبة بن عثمان بن أبي طلحة الذي صارت الحجابة في نسبه الى اليوم أسلم عثمان هذا في الهدنة بين صلح الحديبية وفتح مكة هو وخالد بن الوليد وعروة بن العاص وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فكان معه لواء المنكرين يوم أحد وقتل يومئذ كافرا وانما ينهنا على هذا القسب لان كثيرا من المفسرين

ويبدل من آخر ان (الاوليان) هو على الاولى مرقة كانه قيل من هما فقيل هما الاوليان والمعنى على الاولى من الذين استحق عليهم الاتم اى جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فانهم أحق بالشهادة أو المين من غيرهم فالاوليان نسبة أولى والمعنى على الثانية من الذين استحق عليهم الاوليان من ينتمى بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهر واهما كذب الكاذبين لكونهم الأقربين الى الميت فالاوليان فاعل استحق ومفعوله ان يجردوهما للقيام بالشهادة وقيل المفعول محذوف والتقدير من الذين استحق عليهم الاوليان بالميت وصيته التي أوصى بها (فيسميان بالله) اى فيحلفان على خيانة الشاهدين (الشهادتين) اى عينا فالمراد بالشهادة هنا المين كما في قوله تعالى شهادة أحدكم أربع شهادات بالله اى اياه فان لشهادتنا على انهم ما كاذبان خائنات (أحق من شهادتهما) اى أحق بالقبول من يمينهما على أنهما صادقان أمينان (وما اعتدينا) اى ما تجاوزنا الحق في يميننا وقلنا ان شهادتنا أحق من شهادة هذين الوصيين الخائنين (انا اذا لمن الظالمين) ان كالحقنا على باطل (ذلك) اى البيان الذي قدمه الله سبحانه في هذه القصة وعزفنا كيف يصنع من أراد الوصية في السفر ولم يكن عنده أحد من أهله وعشيرته وعنده كفار (أدنى) اى أقرب الى (أن يأبوا بالشهادة) اى يؤدى الشهود المتكلمون للشهادة على الوصية بالشهادة (على وجهها) فلا يحرفوا ولا يبدلوا ولا يخونوا فيها وهذا كلام مبني يتضمن ذكر المنفعة والفائدة في هذا الحكم الذي شرع الله في هذا الموضع من كتابه فالضمير في يأبوا عائدا الى شهود الوصية من الكفار وقيل انه راجع الى المسلمين المخاطبين بهذا الحكم والمراد بتحذيرهم من الخيانة وأمرهم بان يشهدوا بالحق (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) اى ترد على الورثة المدعين فيلقون على خلاف ما شهد به شهود الوصية فتتضح حينئذ شهود الوصية وهو معطوف على قوله ان يأبوا فيكون الفائدة في شرع الله سبحانه لهذا الحكم هي أحد الأمرين اما احتراز شهود الوصية عن الكذب والخيانة فأشأن بالشهادة على وجهها أو يخافوا الاقتضاح اذا ردت الأيمان على قرابة الميت خلفوا بما بينهم من كذبهم أو خائنهم فيكون ذلك سببا لتأدية شهادة شهود الوصية على وجهها من غير كذب ولا خيانة وقال أبو السعود معطوف على مقدر بني عنه المقام كانه قيل ذلك أدنى ان يأبوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب

قد بشتمه عليه - ذاهب ما وسب نزولها فيه لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم رده عليه وقال محمد بن اسحق في غزوة الفتح حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن صفية بنت شيبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة وأطمأن الناس خرج حتى جاء الى البيت فطاف به سباعا على راحلته يستلم الركن معجنا في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذه من يده ففتح الكعبة ففحصها فوجد فيها جماعة من عبيد ان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد أداسته يكن له الناس في المسجد قال ابن اسحق فحدثني بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب

الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ما ترءأودم أو مال يدعي فهو تحت
قدى هاتين الاسد الله البيت وسقاية الحاج وذ كريمة الخديت في خطبة التي صلى الله عليه وسلم يومئذ ان قال ثم جلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فقام اليه على من أوى طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال يا رسول الله اجعل لنا اخبا مع السقاية صلى
الله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آين عثمان بن طلحة فدعى له فقال له هالك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال ابن
جرير حدثني القاسم حدثنا الحسين عن حجاج عن (١٦٦) ابن جريج في الآية قال نزلت في عثمان بن طلحة فبصر منه مفتاح الكعبة

الذين الكاذبة أو يخافوا الاقضا ح رد الغين فأى الخوئين وقع حصل المقصود الذي خرج
الآيات بالشهاد على وجهها (واقفوا الله) في مخالفة أحكامه وان تحلفوا ايماناً كذبة أو
تخونوا أماته (واسمعوا) مع قبول واجبة أو المواعظ والزواجر (والله لا يهدي القوم
الفاسقين) الخارجين عن طاعة باي ذنب ومنه الكذب في البين أو في الشهادة وهذا
تمديد وتخويل لمن خالف حكم الله وخان أماته أو حلف عينا كاذبة قال الخازن وهذا
الآية الكريمة من أصعب ما في القرآن من الآيات ظموا وعرابا وحكم انتهى وقد سلم لنا
هذا الصعب بتبينه سبحانه وتعالى وحاصل ما تضمنه هذا المقام من الكتاب العزيز ان
من حضرته علامات الموت أشهد على وصيته عدلين من عدول المسلمين فان لم يجد شيئا
مسلمين وكان في سفر ووجد كفارا جازته ان يشهد رجلين منهم على وصيته فان ارتابهم ما
ورثة الموصي حلفا بالله على انه سيشهد بالحق وما كتم من الشهادة شيئا ولا خائفا من ترك
الميت شيئا فان تبين بعد ذلك خلاف ما أقصا عليه من خلل في الشهادة أو ظهور شيء من
تركة الميت وزعم انه قد صار في ملكه ما يرجع من الوجوه وحلف رجلان من الورثة وعمل
بذلك (يوم يجمع الله الرسل) أي اسعوا وأذكروا وأخذوا وقال الزجاج هي صلة بما
قبلها أي اتقوا الله يوم يجمع وهو يوم القيامة وقيل يوم يجمع الله الرسل يكون من
الاحوال كذا وكذا وأخذ اشروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين الرسل على وجه الاجال
(فيقول) لهم (ماذا أجبتم) أي أي اجابة أجابتكم بها الامم الذين به شككم الله اليهم أو أي
جواب أجاوبكم به وما الذي رد عليكم فومكم حين دعوتهم في دار الدنيا التي توحى
وطاعني وتوجيه السؤال الى الرسل لتصديق قومهم وأجمعهم (قالوا) ذكر صيغة الماضي
للدلالة على التحقق والمعنى أجاوبوا بقولهم (لا علم لنا) مع انهم كانوا نجاوبوا به عليهم
وخذ انقويض منهم واطهار العجز وعدم القدرة ورد الامر الى الله تعالى ولا سيما مع علمهم
بان السؤال سؤال توبيخ فان تفويض الجواب الى الله باغ في حصول ذلك قال الرازي ان
الرسل لما علموا ان الله عالم لا يجهل وحليم لا يظلم وعادل لا يظلم علموا ان قولهم لا يشهد خبرا
ولا يدفع شرأ فزوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى الله تعالى فقلوا لا علم
لنا انتهى وقيل لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وقيل لا علم لنا بما شئت عليه واطمأنهم وقيل
لا علم لنا كعلمك فيهم وقيل لا علم لنا بما حكمت عن هؤلاء الا ناعى أمرا أنت اعلم به منا

فدخل في البيت يوم الفتح فخرج
وهو يتلو هذه الآية ان الله يا أمر كم
أن تؤدوا الامانات الى أهلها الآية
فدعا عثمان اليه فدفع اليه المفتاح
قال وقال عمر بن الخطاب لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الكعبة وهو يتلو هذه الآية ان
الله يا أمر كم أن تؤدوا الامانات الى
أهلها فادأه أي وأنى ما سمعته يتلوها
قبل ذلك حدثنا القاسم حدثنا
الحسين حدثنا الزنجي بن خالد عن
الزهري قال دفعه اليه وقالوا
غيبوه وروى ابن مردويه من
طريق الكشي عن أبي صالح عن
ابن عباس في قوله عز وجل ان الله
بأمر كم أن تؤدوا الامانات الى أهلها
قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة
فلما أنه قال ادنى المفتاح فأتاه فلما
يسط يده اليه قام اليه العباس قال
رسول الله بآي أنت وأنى اجعته
مع السقاية فكف عثمان يده فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
دنى المفتاح يا عثمان فسط يده
عنه فقال العباس مثل كلمته
لاولى فكف عثمان يده فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقل بالك بأمانة
وقيل
الله قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال ابراهيم عليه السلام معه قداح
ستقسيمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما للمشركين قائلهم الله وما شأن ابراهيم وشأن القداح ثم دعا يجفنه فبأما
أخذها فغمسه فيه ثم غس به تلك التماثيل وأخرج مقام ابراهيم وكان في الكعبة قال رقي في حائط الكعبة ثم قال يا أيها الناس
سدة القبلة قال ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا وشوطين ثم نزل عليه جبريل فبأذكركمنا

برذالمفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر **بكم** أن تؤدوا الامانات الى أهلها حتى فرغ من الآية وهذا من المشهورات ان هذه الآية نزلت في ذلك وسواء كانت نزلت في ذلك أولا فحكمها عام ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية هي للبر والنفاخر أي هي أمر لكل أحد وقوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل أحرمتها تعالى بالحكم بالعدل بين الناس ولهذا قال محمد بن **كعب** وزيد بن أسلم وشهر بن حوشب ان هذه الآية نزلت في الامر ايعني الحكم بين الناس وفي الحديث ان الله مع الحاكم الملم بغير فاذا جازوك له الى نفسه وفي الاثر (١٢٧) عدل يوم كعبادة أربعين سنة وقوله ان

الله نعمما يعظمكم به أي يأمركم به من اداء الامانات والحكم بالعدل بين الناس وغير ذلك من أوامره وشرائعه السككية العظيمة الشاملة وقوله تعالى ان الله كان سمعا بصيرا أي سمعا لا أقوالكم بصيرا فاعالكم كما قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا عبد الله بن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن ابي الخبير عن عقبة بن عامر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية سمعا بصيرا يقول بكل شيء بصير وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى القزويني أنبا الملقري يعني أنبا عبد الرحمن عبد الله بن زيد حدثنا حارثة يعني ابن عمران الجبلي المصري حدثني ابو يونس سمعت أنبا هريرة يقرأ هذه الآية ان الله بأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها الى قوله ان الله نعمما يعظمكم به ان الله كان سمعا بصيرا ويضع أيمانهم على آذانهم والتي تليها على عيشه ويقول هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ويضع أصبعيه وقال ابو زرعة وصفه لنا الملقري

وقيل لاحقية لعنا ليعاقبه أمرهم وقيل المعنى لاننا لا اعلم ما أنت أعلم به منا وقيل نهم ذلعلوا عما أجاب به قومهم لهول الخشر عن مجاهد قال يفرعون فقولون لا اعلم لنا قدر الهم أفقدهم ففعلون وعن السدي في الآية قال ذلك انهم نزلوا منرا لاذلعت فيه العقول فلما سئلوا قالوا لا اعلم لنا ثم نزلوا منرا لآخر فشهدوا على قومهم وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبياء لا يجزئهم الفزع الاكبر وعن ابن عباس قال قالوا لا اعلم لنا فرقا نذهل عقولهم ثم ردد الله الهم عقولهم فيكونون هم الذين يستألفون لقول الله فلنسلأل الذين أرسل اليهم ولنسلأل المرسلين (انك أنت علام الغيوب) يعني انك تعلم ما غاب عنان باطن الامور ونحن نعلم ما شاهدوا لا علم ما في البواطن ليس يتحقق عليك خافية وبناء فعال للتكثير وفيه جواز اطلاق العلام على الله تعالى (اذ قال الله يا عيسى بن مريم) اذ بدل من يوم يجمع وهو تخصيص بعد التعميم وتخصيص عيسى عليه السلام من بين الرسل لاختلاف طائفتي اليهود والنصارى فيه اقرارا وتقريرا طاعته لوجهها وهذه تجعله كاذبا والماضي هنا يعني المضارع لان هذا القول يقع يوم القيامة مقدمة لقوله أنت قلت قاله السهين والكرخي وقال ايضا واول الماضي بمعنى الاتي على حد قوله ونادى أصحاب الجنة (اذ كرعتي عليك) بالسبوة وغيرها (وعلى والدك) حيث أثبتنا بانا حاسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين كرد سبحانه نعمته عليه وعلى أمه مع كونه ذا الرها عالمنا بتفضل الله سبحانه بها لقصد تعريف الامم بما خصهم به الله من الكرامة وميزها به من علو المقام ولما كذا الخجة وتبكي الخا حذبان منزلتهما عند الله هذه الميزة وتوابع من اتخذهم ما الهين ببيان ان ذلك الانعام عليهم ما كاه من عند الله سبحانه وانما عبدان من جله عبادته منهم عليهم ما بنعم الله سبحانه ليس لهما من الامر شيء (اذ اذيتك) أي قوتك من الابد وهو القوة (روح القدس) فيه وجهان أحدهما انه الروح الطاهرة المقدسة التي خصه الله بها وقيل انه جبريل عليه السلام وكان يسير معه حيث سار يعينه على الحوادث التي تقع ويلهمه المعارف والعالم وقيل انه الكلام الذي يحيي به الارواح والقدس الطهر وضافته اليه لكونه سببه رجلا (تكمم الناس) سينة بمعنى التأييد أي تكلمهم (في المهد) حال كونه صبيانا (وكهلا) لا يتفاوت كلامك في الحالين بل يكون على نسق واحد يبع صادر عن كمال العقل والتدبير مع ان غيرك يتفاوت كلامه فيما

ووضع أبو زرعة بالجمامة الا عين على عيشه العيني والتي تليها على الاذن الجسدي وأرا نا فقال هكذا وهكذا واما أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مسنده ورواه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن الملقري باسناده نحوه وأبو يونس هذا مولى أبي هريرة واسمه سليمان بن جبير (أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) قال البخاري حدثنا صدق بن الفضل حدثنا حجاج ابن محمد الاور عن ابن جريح عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم

قال زيات في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي الذايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سريته وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث سجاح بن محمد الاغوريه وقال الترمذي حديث حسن غريب ولا يعرفه الا من حديث ابن جريح وقال الامام أحمد حديثنا أبو معاوية عن الاعشى عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريه واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا وجد عليهم شي قال فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعوا قالوا بلى قال فاجعوا الى خطبائي (١٢٨) ثم دعائنا فاضرمها فيه ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فقال لهم شاي

ثمهم انما قررتهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أمرهم كان ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعوه فقال لهم لودخلوها ما خرجتم منها أبدا انما الطاعة في المعروف أخرجه في الصحيحين من حديث الاعشى وقال أبو داود حدثنا سعد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنا نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المؤمن المسلم فمأجبه وكرهه ما يؤمر به عصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وأخرجه من حديث يحيى القطان وعن عباد بن الصامت قال يا بني رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا وكهرنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا تنزع الامر اهلها قال الا ان تروا كفرا بواحد لم تجد فيه من الله بهان أخرجه في الحديث الآخر عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا وأطيعوا وان أمر عليكم عبدا

تقوا ربنا وهذه منحة عظيمة وخاصة شريفة انسب للاحد قبله قال ابن عباس أرسل الله عيسى وهو ابن ثلاثين سنة فكشفت في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه ثم ينزل الى الارض وهو في سن الكهولة أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عسار عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يدعى بالانبياء وأجمعين ثم يدعى بعيسى فيذكره نعمته عليه فيقرها فيقول يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك الآية ثم يقول آتت قلبك النامس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فينكر أن يكون قال ذلك فيؤتى بالصاري فيسألون فيقولون نعم هو أمرنا بذلك فيطول شعر عيسى حتى يأخذ كل ملك من الملائكة بشرة من شعر رأسه وحسنه فيجاسم به بين يدي الله مقدار ألف عام حتى يوقع عليهم الحجة ويرفع لهم الصليب وينطق بهم الى النار (واذ علمت الكتاب) اي اذكر نعمتي عليكم وقت تعلمي الكتاب اي حسن الكتاب والمراد بالكتاب الخط (والحكمة) اي الفهم والاطلاع على اسرار العلوم وقيل حسن الحكمة وقيل هي الكلام المحكم (والتوراة والانجيل) فعلى الاول يكون هذان عطف الخاص على العام وتخصيصهما بالذات كمن يداختصاص به ما أمم التوراة فنقد كان يحتج به على اليهود في غالب ما يدور بينه وبينهم من الجدال كما هو مصرح بذلك في الانجيل وأما الانجيل فليكونه نازلا عليه من عند الله سبحانه (واذ خلق من الطين كهيئة الطير) أي تصور وتصوير امثل صورة الطير (بأذني) لك بذلك وتيسري له (فتمنح فيها) أي في الهيئة المصورة (فتمنح) هذه الهيئة (طيرا) مقرر كاجاب كسائر الطيور (بأذني) وكان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى أكرمه الله تعالى بها وتقدم في آل عمران انه كان صورة لهم صورة الخفاش وكان ذلك بظلمهم فراجع ابن شنت (وتبرئ الاكه) اي تشي الاعي المظموس البصر (والابصر) هو معروف ظاهر (بأذني) لك وتيسره عليك وتيسره لك وقد تقدم تفسير هذا مطولا في آل عمران فلانعيده (واذ تخرج الموتي) من قبورهم أحياء فيكون ذلك آية لك عظيمة قيل أخرجه سام بن نوح ورجل من امرأه جارية وتذكير (بأذني) هنا في المواضع الاربعة بعد أربع حمل للاعتناء بذلك كاه من جهة الله ليس لعيسى عليه السلام فيه فعل المجرد امتثاله لأمر الله سبحانه وقال في آل عمران باذن الله

حيثما كان رأسه زينة رواه البخاري وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال أوصاني خليلي ان أسمع وأطيع وان كان عبدا حبشيا محذوع الاطراف رواه مسلم وعن أم الحصين انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب في حجة الوداع يقول ولواستمع عليكم عبد يعقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا رواه مسلم وفي لفظه عبد احبشيا محذوعا وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي قديك حدثني عبد الله بن محمد بن غزوة عن هشام بن عروة عن أبي صالح التميمي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعوا ولا تعبدوا الباطل بربهم والظاهر بقوله فاسمعوا وأطيعوا في كل ما وافق

حيثما كان رأسه زينة رواه البخاري وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال أوصاني خليلي ان أسمع وأطيع وان كان عبدا حبشيا محذوع الاطراف رواه مسلم وعن أم الحصين انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب في حجة الوداع يقول ولواستمع عليكم عبد يعقودكم بكتاب الله اسمعوا وأطيعوا رواه مسلم وفي لفظه عبد احبشيا محذوعا وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا ابن أبي قديك حدثني عبد الله بن محمد بن غزوة عن هشام بن عروة عن أبي صالح التميمي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعوا ولا تعبدوا الباطل بربهم والظاهر بقوله فاسمعوا وأطيعوا في كل ما وافق

الحق وضاوواهم فان احسنوا فلهم ولهم وان اساءوا فلهم وعليهم وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت نوار اسرائيل تسوسهم الانبياء كما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدى وسيكون خلفاء فيكون قالوا يا رسول الله فما تأمرنا قال اوفوا ببيعة الاول فالاول واعطوهم حقهم فان الله سألهم عما استعراهم اخرجاه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أمره شأ فأكفره فليصبر فإنه ليس أحد يفسق الجماعة شراً فبوت الاماتيسة جاهلية اخرجاه وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (١٢٩) من خلع يد ايمان طاعة لى الله يوم القيامة

مرتين لان هناك اخبار فاسب الاجاز وهما مقام تذكير بالنعمة والامتنان فاسب الاسباب (واذ كفتت) معناه دفعت وصرفت ومنعت (بنى اسرائيل) اى اليهود (عك) حين هم وابتكلا (اذ جثتم بالينان) اى بالمجزات الواضحات والدلالات الباهرات التى وضع على يده من احياء الموتى وخلقهم من الطين كهيئة الطير وبراء الاسقام واخبر بكثير من الغيوب ولما أتى عيسى بهذه الدلالات الينان قصد اليهود بقله خلفه الله منهم ورفعهم الى السماء (فقال الذين كفروا منهم) أى من اليهود (ان هذا الاحمرمين) أى ما هذا الذى جئت به الاحمر بين ولما عظم ذلك فى صدورهم وابتهروا منه لم يقدر واعلى بحمد الكنية بل نسبوه الى السحر (واذا وحيث الى الحواريين أن آمنوا بى ورسولى) الوحي فى كلام العرب معناه الالهام أى ألهمت الحواريين وقدفت فى قلوبهم وقيل معناه أمرتهم على أنسنة الرسل ان يؤمنوا بى بالتوحيد والاخلاص ويؤمنوا برساله رسولى والحواريون هم خلص أصحاب عيسى وخواصه (قالوا آمتنا) بجله مستأنفة كانه قيل ماذا قالوا فقالوا آمتنا (واشهد) يارب اوباعيسى (بأننا مسلمون) أى مخلصون للايمان وانما قدم ذكر الايمان على الاسلام لان الايمان من أعماق القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع فى الظاهر والمعنى أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ماجرى بينه وبين قومه منقطع عما قبله كما بينى عنه الاظهار فى موضع الاخبار (هل يستطيع ربك) الخطاب لعيسى وقرئ هل تستطيع بالفوقية ونصب ربك وبالتحسية ورفع ربك واستسكنت على الثانية بأنه قد وصف سبحانه الحواريين بانهم قالوا آمتنا واشهد بأننا مسلمون والسؤال عن استطاعته لذلك ساقى ما حكموه عن أنفسهم وأجيب بان هذا كان فى أول معرفتهم قبل ان تحكهم معرفتهم بالله ولهذا قال عيسى فى الجواب عن هذا الاستهتام الصادر منهم انقوا الله أى لا تشكوا فى قدرة الله وقيل أنهم ادعوا الايمان والاسلام دعوى باطلة ويرده ان الحواريين هم خلصاء عيسى وانصاره كما قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله وبهذا يظهر أن قول الزمخشري أنهم ليسوا مؤمنين ليس بجيد وكأنه خرق للاجماع قال ابن عطية ولا خلاف أحفظه فى أنهم كانوا

لاجله ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية رواه مسلم وروى مسلم أيضا عن عبد الرحمن ابن عبد رب الكعبة قال دخلت المسجد فاذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس فى ظل الكعبة والناس حوله مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست اليه فقال كأمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فزنا من لا فناما يصلح خباه ومنمن ينضل ومنمن هو فى حشره اذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لم يكن نبي من قبلى الا كان حقا عليه ان يدل أمته على خبرها يعلم لهم ومنذرهم شر ما يعلم لهم وان هذه الامة جعلت عاقبتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمر ينكرونها وتجي فتن يرفق بعضها بعضا ويحيى الفتنة فتقول المؤمن هذه هلكة نى ثم تنكشف ويقول المؤمن هذه هلكة نى أحب أن يزحج عن النار ويدخل الجنة فلتا أنه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت الى الناس الذى يجب أن يؤتى اليه ومن بايع اماما فأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده

(١٧ - فتح البيان ثالث) فليطعن استطاع فان جاء آخر شازعه قاضى بواعثه الآخر قال قدوت منه فقلت أشهدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهوى الى اذنه وقلبه بيديه فقال سمعته أذماى ووعاد قلبي فقلت له هذا ابن عك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ويقتل بعضنا بعضا والله تعالى يقول ليا ايم الذين آمنوا الانا نأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تفتوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا قال فسكت ساعة ثم قال اطعته فى طاعة الله وأعصاه فى معصية الله والاحاديث فى هذا كثيرة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن الحسين حدثنا جدين الفضل حدثنا اسباط عن السدى فى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليهما

خالد بن الربيد وفيه اعراس بن ياسر فساروا قبل القوم الذين يريدون فلما بلغوا قريتهم عرسوا واثامهم ذو العيينتين فاحبرهم
فاصبحوا قد هربوا غير رجل فامر اعداءه فاحرقوا مساحتهم ثم اقبل يعنى في ظلمة الليل حتى اتى عسكر خالد فسأل عن عمار بن ياسر فانه
فقال يا ابا القبطان اتى قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وان قومي لما جمعوا بكم هربوا واتى بقت قتل
اسلامي فافقي غدا والا حربت قال عمار بل هو يستعقل فاقم فلما اصبحوا اناروا له فلم يجدوا احد اغير الرجل فاختدوا واخذوا ماله فبلغ
عمار الخبر فأتى خالد فاقال خل عن الرجل (١٣٠) قاله قد اسلم وانه في امان مني فقال خالد فقيم آت بحبر فاستبوا رتقا الى

مؤمنين وقل ان ذلك صدر من كل منهم وقل انهم لم يشكوا في استطاعة الباري سبحانه
فانهم كانوا مؤمنين عارفين بذلك وانما هو كقول الرجل هل يستطيع فلان ان ياتي مع علم
بانه يستطيع ذلك وقد ردد عليه فالمعنى هل يفعل ذلك وهل يجب اليه وقيل انهم طلبوا
الطمأنينة كما قال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تحيي الموتى الا يهتدون على هذا
قولهم من بعدو تظمن قلوبنا واما على القراءة الاولى فالمعنى هل تستطيع ان تدل ربك
قال الزجاج المعنى هل تستدعي طاعة ربك فيما تالله فهو من باب واسأل القرية عن
عائشة قالت كان الخواريون أعلم بالله من ان يقولوا هل يستطيع ربك فاعلموا بالواحد
تستطيع أنت ربك ان تدعوه ويؤيد هذا ما أخرجه الحاشا كوصحه والطبراني وابن
مردويه عن معاذ بن جبل انه قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يستطيع ربك
بالتاء يعني بالنوقسة وعن ابن عباس انه قرأها كذلك وبقراء على وسعدين جبر ومجاهد
(ان ينزل علينا مائدة من السماء) المائدة الخوان اذا كان عليه الطعام فان لم يكن عليه
طعام فليس بمائدة هذا هو المشهور الا ان الراغب قال المائدة الطبق الذي عليه الطعام
وتقال ايضا للطعام الا ان هذا مخالفا لعل عليه المظن وهذه المسئلة لها نظائر في اللغة
لا يقال للخوان مائدة الا وعليه الطعام والافه وخوان ولا يقال كاس الا وفيها خمر والا فبي
قدح ولا يقال ذنوب وسجل الا وفيه ماء والافه ودلو ولا يقال جراب الا وهو مدرخ
والافه واهاب ولا يقال قلم الا وهو مبرى والافه واسبوب واختلاف اللغويون في اشتقاقها
فقال الزجاج هي من ماد تيمد اذا تحرك وقال أبو عبيدة هي من مادة اذا اعطاه ورفده كامل
تيمد من تقدم اليها وبه قال قطرب وغيره وقيل فاعله بمعنى مفعولة كعيشة راضية قاله
أبو عبيدة وقيل غير ذلك وأطال الكلام في تحقيقه سليمان الجلي فراجع ما ينشأت (قال)
عيسى مجيبا للحوار بين (انقوا الله) من هذا السؤال وأمثاله (ان كنتم مؤمنين) أى
صادقين في ايمانكم فان شأن المؤمن زلة الاقتراح على ربه على هذه اللفظة وقيل انما أمرهم
بالتقوى ليكون ذلك ذريعة الى حصول ما يطلبوه (فالواو بداننا كل منها) بينوا به
الغرض من سؤالهم نزول المائدة أى نأكل منها فان الجوع قد غلب علينا وقيل نأكل منها
للتبرع الا كل حاجة وليس سببه ازالة شبهة في قدرته تعالى على تنزيله احدى قدح ذلك
في الايمان (وتظمن قلوبنا) بكمل قدرته الله وأبأن من رسل السنان عنده وأبأن الله قد

الذي صلى الله عليه وسلم فاجاز
أمان عمار ونهادان يجبر الثانية على
أمير فاستأذنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال خالد يا رسول الله
أترك هذا العبد الا جدع يبنى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خالد لا تنس عمارا فانه من سب
عمار ايسبه الله ومن يغض عمارا
يغضه الله ومن يلعن عمارا لعنه الله
فغضب عمار فقام فبعه خالد فاخذ
بشوبه فاعذره اليه فرضى عنه
فانزل الله عز وجل قوله أطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر
منكم وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن
طريق عن السدي مرسل ورواه
ابن مردويه من رواية الحكم بن
ظهير عن السدي عن أبي صالح عن
ابن عباس فذكره بخبره والله أعلم
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس وأولى الامر منكم يعني
أهل الفقه والدين وكذا قال مجاهد
وعطاء والحسن البصري وأبو
العالبة وأولى الامر منكم يعني
العلماء الظاهروا والله أعلم انها عامة
في كل أولى الامر من الأمراء
والعلماء كما تقدم وقال تعالى لولا
ينهاهم الربانيون عن قولهم الاثم

وأكلهم السمعت وقال تعالى فالأهل الذكرا ان كنتم لا تعلمون وفي الحديث الصحيح المتفق على صحته
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع الله
أطاعني ومن عصى الله عصى امرئ فقد عصاني فهذا ولعمري بطاعة العلماء والامراء ولهذا قال تعالى أطيعوا الله أى اتبعوا كتابه وأطيعوا
الرسول أى خذوا بسنته وأولى الامر منكم أى فيا امرؤكم بهس طاعة الله لا في معصية الله فانه لا طاعة لخالق في معصية الله كما
تقدم في الحديث الصحيح انما الطاعة في المعروف وقال الامام أحمد حدثني عبد الرحمن حدثني همام حدثنا قتادة عن ابن ميثاب
عن عمار بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة في معصية الله وبقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول

قال مجاهد وغير واحد من السابق أي إلى كتاب الله وسنة رسوله وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء يتنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرتد تنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله فاحكم به الكتاب والسنة وشهد الله بالحق وماذا بعد الحق الا الضلال ولهذا قال تعالى إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أي ردوا الخصومات والجحالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فحقها كواالهمها فيما شبر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فدل على أن من لم يتحكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليها في ذلك (١٣١) فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر وقوله ذلك خير أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة

رسوله والرجوع إليهما في فصل النزاع خير وأحسن تأويل أي وأحسن عاقبة وما لا كفا له السدي وغير واحد وقال مجاهد وأحسن جزاء وهو قريب (ألم تر أن الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلهم وما أنزل من قبله يريدون أن يتحكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جادلوهم حولها قال الله أن أردنا لأحسننا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظّمهم وقول لهم في أنفسهم قولا بليغا) هذا انكار من الله عز وجل على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما فدخل

أجابنا إلى ما سألتنا وإن كنتم مؤمنين به من قبل فإن انضمام علم المشاهدة إلى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين (ونعلم) علمنا يقينا (إن قد صدقتنا) في نبوتك (ونكون عليهم من الشاهدين) عندهم لم يضرهما من بني إسرائيل أو من سائر الناس أو من المشاهدين لله بالوحدانية أو من الخاضعين دون السامعين ولم أر أي عيسى ما حكيوه عن أنفسهم من الغرض بنزول المائدة (قال عيسى ابن مريم) قيل أنه اغتسل وليس المنسوخ وصلى ركعتين وطمأنا رأسه وبني نوح ما ففقال (اللهم بنا أنزل علينا مائدة) كائنة أو نازلة (من السماء تكون لنا عيدا) أي عائدة من الله علينا أو يكون يوم نزولها لنا عيد أو قد كان نزولها يوم الاحد وهو يوم عيد لهم واليه يوم السرور وهو واحد الاعياد وقيل أصله من عاد يعود أي رجوع فهو عود فقيل ليوم الفطر والاضحى عيدان لانهما يعودان في كل سنة قاله ثعلب وقال الخليل العيد كل يوم يرجع كأنهم عادوا إليه قال ابن الأسيوطي النخويون يقولون لأنه يعود بالترح والسرور وعيد العرب لأنه يعود بالترح والحزن وكل ما عاد اليك في وقت فهو عيد وقال الراغب العدة حلة تعاد والانسان والمائدة كل تقع يرجع إلى الانسان بشيء ومعنى (لا ولنا وآثرنا) لمن في عصرنا ولم يأت بعدنا من ذرارينا وغيرهم قال ابن عباس معناه يا كل من أأول الناس كيايا كل آخرهم (وأية منك) أي دلالة واضحة على كمال قدرتك وصحة ارسالك أن أرسلته (وارزقنا) أي أعطنا هذه المائدة المطلوبة بينة أو أوزقنا رزقا نستهين به على عبادتنا (وأنت خير الرازقين) بل لا رازق في الحقيقة غير الله ولا معطى سوا الفأجاب الله سبحانه سؤال عيسى عليه السلام (قال الله اني من أيتها) أي المائدة (عليكم) وقد اختلف أهل العلم هل نزلت عليهم المائدة أم لا فذهب الجمهور إلى الأول وهو الحق لقوله سبحانه اني منزلها عليكم ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد وقال مجاهد ما نزلت وانما ضرب بمثل ضربه الله خلقته منهم إله عن مسئلة الآيات لانيائه وقال الحسن وعدهم بالإجابة فلما قال (فمن يكفر بعد) أي بعد نزولها (منكم) فأنى أعذبه عذابا) أي تعذيبا قال الزجاج يجوز أن يكون هذا العذاب مجزيا في الدنيا ومؤثرا إلى الآخرة (لا أعذبه) أي لا أعذب مثل ذلك التعذيب (أحد من العالمين) قيل المراد عالمي زمانهم وقيل جميع العالمين وفي هذا من التهديد

البردي يقول بيني وبينك محمد وذلك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف وقيل في جماعة من المنافقين عن أنظر الإسلام أرادوا أن يتحكموا إلى أحكام الجاهلية وقيل غير ذلك والاية أهم من ذلك كما فهمنا إذ علمنا عدل عن الكتاب والسنة وتحكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا ولهذا قال يريدون أن يتحكموا إلى الطاغوت إلى آخرها وقوله يصدون عنك صدود أي يعرضون عنك اعتراضا كالتسكير عن ذلك كما قال تعالى عن المشركين وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وأهلنا وبخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن

يقولوا سمعنا وأطعنا الآية ثم قال تعالى في ذم المنافقين فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم أي فكيف بهم إذا ساقطتهم المقادير اليك في مصائب تطرقهم بسبب ذنوبهم واحتاجوا اليك في ذلك ثم جأؤك يخلقون بالله أن أردنا إلا أحسانا ونوفينا أي يمتدرون اليك ويخلفون ما أردنا بذمنا إلى غيرك وتجاكنا إلى أعدائك إلا الاحسان وانتوفيق أي المداراة والمصانعة لاعتقادنا منا صحة تلك الحكومة كما أخبر تعالى عنهم في قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى إلى قوله فصبجوا على ما سرور في أنفسهم فادمن وقد قال (١٣٢)

صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أبو بردة الأسلمي كاهنا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتناظر إليه ناس من المشركين فانزل الله عز وجل الم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك البسك وما أنزل من قبلك إلى قوله أن اردنا إلا احسانا ونوفينا ثم قال تعالى أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسجنهم على ذلك فانه لا يخفى عليه خافية فأكف به يا محمد فيهم فانه عالم بنظر أهرهم وبواطنهم ولهذا قال له فاعرض عنهم أي لا تعنفهم على ما في قلوبهم وعظم أي وانهم عافى قلوبهم من النفاق وسائر الشر وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي وانصحبهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ وادع لهم (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدهم الله توابا رحيمًا فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسألوا تسليما)

والترغيب مالا لا يقدر قدره قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستغفروا وقالوا لا تردها فم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جاهر الامم ومشاهير الائمة انه قد نزلت عن ابن عباس انه كان يحدث عن عيسى بن مريم انه قال لبني اسرائيل هل لكم ان تصوموا لله ثلاثين يوما ثم قالوا نعم فمضتكم ما سألتم فان أجر العامل على من عمل له ففعلوا ثم قالوا يا معلم اخبر قلت لانا ان أجر العامل على من عمل له وأمر تسنان تصوم ثلاثين يوما فنعلمنا ولم تكن نعمل لاحد ثلاثين يوما الا أطعمنا فهل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء إلى قوله أحد من العاملين فاقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعه أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما كل منها أولهم وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت المائدة من السماء خبز ولحما وأمر وان لا يخوفوا ولا يذبحوا والغد خفانو وادخروا ورفعوا القند فحضر اقرده وخنازير وقد روى موقوف على عمار قال الترمذي والوقف أصح وعن ابن عباس قال المائدة حكمة وأربغفة وعنه قال نزلت على عيسى والحواريين خوان عليه سمك وخبز يا كرون منه أي فاقولوا اذا شأوا عن عبد الله بن عمرو قال ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من كقر من أصحاب المائدة والمنافقون وآل فرعون (و) أذكر (أ) قال الله يا عيسى ابن مريم أتت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ذهب جمهور المفسرين إلى ان هذا القول منه سبحانه هو يوم القيامة والتسكتة توبخ عباد المسيح وأمه من النصارى وقال السدي وقطرب انه قال له هذا القول عند رفعه إلى السماء لما قالت النصارى فيه ما قالت والاولى وأولى وقيل اذ هتبعني اذا كقوله تعالى ولوليتي اذ فزعوا تعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تقيها على تحقق وقوعه وقد قيل في توجيه هذا الاستفهام منه تعالى انه لقصد التوبيخ كما سبق وقيل لقصد تعريف المسيح بان قومه غيروا بعده وادعوا عليه ما لم يقله (قال سبحانه) تنزيها له سبحانه أي أنزهك تنزيها أشار به إلى ان اتخاذهما الهين تشر بك لهما معك في الألوهية لا افرادهما بذلك الا شبهة في الألوهية وأنت منزّه عن الشريك فضلا لا يتخذ الهان دونك على ما يشعربه ظاهر العبادة به عليه السعد التقاراني (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) أي ما ينبغي لي ان ادعي لنفسي

يقول تعالى وما أرسلنا من رسول الا ليطاع أي فرضت طاعته على من أرسله اليهم وقوله بإذن الله قال مجاهد أي لا يطيع أحد الا بإذني لا يطيعه الا من وفقته لذلك كقوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبهم باذنه أي أمره وقدره ومشيئته وتسلطه اياكم عليهم وقوله ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم الآية يرشد تعالى العصاة والمذنبين اذ اوقع منهم الخطأ والعصيان ان يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده يسألون ان يستغفر لهم فانهم اذ فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم ولهذا قال لو جئوا الله توابا رحيمًا وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل للحكاية المشهورة عن العتي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول ولوأنهم اذ ظلموا أنفسهم

جاؤا فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول فوجدوا الله تواباً رحيماً وقد جئتكم مستغفراً الذي تستشفعون اليّ اني انما اقول
يا حرمين دفنت القاع اعظمه قطاب من طيين القاع والا انكم تقسمي الفداء لقرأت سأكفه فيه العفاف وفيه الحدود والكرام
ثم انصرف الاعرابي فغلبتني عيني فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له وقوله
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ويقسم تعالى نفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن أحد حتى يحكمكم الرسول صلى
الله عليه وسلم في جميع الامور فاحكم به فهو الحق الذي يجب الاتقياده (١٣٣) باظهارها واولها انهم قال ثم لا يجدوا في

انفسهم حرجاً ما قضت ويساوا
تسلياً أي اذا حكموك بطيعونك
في بواطنهم فلا يجدوا في انفسهم
حرجاً ما حكمت به ولا يتقادون له
في الظاهر والباطن فيسلموا ذلك
تسلياً كلبان غير ممانعة ولا
مدافعة ولا منازعة كما ورد في
الحديث والذي نفسي بيده
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
تبعاً لما حجت به وقال الضاري
حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد
ابن جعفر حدثنا محمد بن الزهري
عن عروة قال خاتم الزبير جلا
في شراح الحرة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم اسقيا زبير ثم ارسل
الماء الى جارك فقال الانصاري
يا رسول الله ان كان ابن عمك فتاؤن
وجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسقيا زبير ثم احبس الماء
حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل
الماء الى جارك واستوى النبي
صلى الله عليه وسلم للزبير حقه
في صريح الحكم حين احفظه
الانصاري وكان اشار عليه صاملي
الله عليه وسلم بامر له ما فيه سعة
قال الزبير فما حسب هذه الآية

ما ليس من حقه ما قيل التقدير ما ليس يثبت له بسبب حق وقيل ما ليس مستحقاً وعلى
هذا لما ائذ ورد ذلك الى علمه سبحانه فقال (ان كنت قلته فقد علمته) وهذا هو غاية الادب
واظهار الماسكة لعظمة الله تعالى وتفضيض الامر الى علمه وقد علم انه لم يقله فثبت بذلك
عدم القول به وقيل التقدير ان تصح دعواي لما ذكره وقدره القاري بقوله ان اكن الا ان
قلته فيه ما مضى فقد بين ونظر علمك به (ثم ما في نفسي ولا علم ما في نفسي) هذه الجملة في
حكم التعديل لما قبلها أي تعلم معلومي ولا أعلم معلومك وقال ابن عباس المعنى تعلم ما في
عيني ولا أعلم ما في غيبك وقيل تعلم ما أخفيه ولا أعلم ما تخفيه وقيل تعلم ما أريد ولا أعلم
ما تريد وقيل تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في دار الآخرة وقيل تعلم
ما أقول وأفعل ولا أعلم ما تقول وتفعل وهذا الكلام من باب المناشدة والتمسك والمقابلة
والازدواج كما هو معروف عند علماء المعاني والبيان وعليه ما مر من تخشعي والنفس عبارة
عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وعذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة
الشيء وحقيقته يقول تعلم جميع حقيقة أمرى ولا أعلم حقيقة أمرى والاولى أولك وفيه
دلالة على اطلاق لفظ النفس عليه سبحانه (انك أنت علام الغيوب) تعلم ما كان وما
سيكون وهذا كما قبله (ما قلت لهم الا ما أمرتني به) هذه الجملة مقررة لمضمون
ما تقدم أي ما أمرتهم الاجماع أمرتني والاستغناء مفرغ (ان اعبدوا الله ربكم) هذا
تفسير يرضي ما قلت لهم أي ما أمرتهم الان والان وحدوا الله ولا تشركوا به شيئاً (وكتب عليهم
شهاداً) أي حفيظاً ورقيباً أي أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرى (مادمت أي
مدد وحي (فيهم فلما توفيتي) قبل هذا يدل على ان الله سبحانه توفاه قبل ان يرفعوه وليس
بشي لان الاخبار قد تظافرت بانه لم تمت وانه باقى في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا
حتى ينزل الى الارض آخر الزمان وانما المعنى فلما رفعتني الى السماء وأخذتني وايقابا بالرفع
قبيل الوفاة في كتاب الله سبحانه قد جاءت على ثلاثة أوجه بمعنى الموت ومنه قوله تعالى
الله يوفى الانفس حين موتها وبمعنى النوم ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل أي
ينيمكم وبمعنى الرفع ومنه فلما توفيتني واذا قال الله يا عيسى اني متوفيك والتوفى يستعمل
في أخذ الشيء وافيا أي كاملاً (كنت أنت الرقيب) أصل المراقبة المراجعة أي كنت الحافظ

الانزلت في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الا به كذا رواه البخاري ههنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه
من حديث معمر وفي كتاب الشرب من حديث ابن جريج ومعمر أيضاً وفي كتاب الصلح من حديث شعب بن أبي حرة ثلاثتهم عن
الزهري عن عروة فذكره وبصورته صورة الارسال وهو متصل في المعنى وقد رواه الامام أحمد من هذا الوجه فصرح بالارسال فقال
حدثنا أبو اليان حدثنا شعب عن الزهري اخبرني عروة بن الزبير ان الزبير كان يحدث انه كان يخاصم رجلاً من الانصار قد شهد
بنرا الى النبي صلى الله عليه وسلم في شراح الحرة كان يسقيان بها كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير
جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتاؤن وجهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير

ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجذر فاستوى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه سعة ولا انصاري فلما حفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم ثم قال قال عروة فقال الزبير والله ما أحسب هذه الآية تزلت الا في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرج مما قضيت ويسلموا تسليما هكذا رواه الامام أحمد وهو منقطع بين عروة وبين أبيه الزبير فإنه لم يسمع منه والذي يقطعه (١٢٤) انه سمعه من أخيه عبد الله فان أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم رواه

كذلك في نفسه وقال حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني الليث ويونس عن ابن شهاب ان عروة بن الزبير حدثه ان عبد الله بن الزبير حدثه عن الزبير بن العوام انه قال سمع رجلا من الانصار قد شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراخ في الحرة كانا يسقيان به كلاهما الخلل فقال الانصاري سرح الماء يمر فأبى عليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم أرسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجذر واستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأى أراد فيه السعة ولا انصاري فلما حفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوى النبي صلى الله عليه وسلم للحكم فقال الزبير ما أحسب هذه الآية الا في ذلك فلا وربك

لهم والعالم بهم والشاهد (عليهم وأنت على كل شيء شهيد) أى شاهدنا ما كان وما يكون أو أنت العالم بكل شيء فلا يغيب عنك شيء ومنه قولنا لهم وقولهم بعدى (ان تعذبهم) أى من أقام على الكفر منهم (فانهم عبادك) أى تصعب بهم ما شئت وتحكم فيهم بما تريد لا اعتراض عليك (وان تغفر لهم) أى لمن آمن منهم (فانك أنت العزيز) أى القادر على ذلك (الحكيم) في أفعاله قبل فآله على وجه الاستعفاف كما يستعطف السيد بهذمه ولهذم يقل ان تعذبهم فانهم عصفور وقيل فآله على وجه التسليم لآمر الله والانتقاده ولهذم عدل عن الغفور الرحيم الى العزيز الحكيم قال ابن عباس يقول عبيدك قد استوجبوا العذاب بتقاتلهم وان تغفر لهم أى من تركت منهم ومدنى عمر حتى أخط من السماء الى الأرض اقتل الدجال فز الواعن مقاتلهم ووحدوك فانك أنت العزيز الحكيم (قال الله هذا يوم يتفع الصادقون صدقهم) كعيسى في الدنيا وقيل في الآخرة والاول أولى عن ابن عباس هذا يوم يتفع الموحدين توحيدهم والمراد بالصادقين النبيون والمؤمنون لان الكفار لا يتفعهم صدقهم يوم القيامة وكذا صدق ابليس بقوله ان الله وعدهم وعدهم الحق لكذبه في الدنيا التي هي دار العمل (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) قد تقدم تفسيره وهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء (رضى الله عنهم) بما عملوه من الطاعات الخاصة (ورضوا عنه) بما جازاهم به مما لا يحيط لهم على بال ولا تصور عقولهم والراضية سبحانه هو أرفع درجات النعيم وأعلى منازل الكرامة والرضاب الله الاعظم ومحل استرواح العابدين وسياقى لهذا امر في سورة القيمة (ذلك) أى ما نالوه من دخول الجنة والخلود فيها أبدا ورضوان الله عنهم (القرن العظيم) أى انهم فازوا بالجنة ونجوا من النار والقرن العظيم المطلوب على أتم الاحوال (لهم ملك السموات والارض وما فيهن) جاء سبحانه به هذا لاختامه تحمية الحق وتنبه على كذب النصارى ودفع الماسبي من اثبات من أثبت الالهية اعني عليه السلام وأمه وأخبر بان ملك السموات والارض لا دون عيسى وأمه ودون سائر مخلوقاته وقيل المعنى ان له ملك السموات والارض وما فيهن من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ابتعادا واعداما واحياء وامانة أخر اونها من غير أن يكون لشي من الاشياء ما يدخل في ذلك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرج مما قضيت ويسلموا تسليما وهكذا وهو رواه النسائي من حديث ابن وهب يورواه احد الجماعة كلهم من حديث الليث به وجعله أصحاب الاطراف في مسند عبد الله بن الزبير وكذا ساقه الامام احمد في مسند عبد الله بن الزبير والله اعلم والعجب كل العجب من الحاكم ابى عبد الله النيسابوري فإنه يروي هذا الحديث من طريق ابن اخي ابن شهاب عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير عن الزبير كره ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه فاني لأعلم أحد اقام هذا الاستناد عن الزهري بن كره عبد الله بن الزبير عن ابن أخيه وهو عنه ضعيف وقال الحافظ أبو بكر بن

مردويه حدثنا محمد بن علي أبو دحيم حدثنا أحمد بن حازم حدثنا الفضل بن دكين حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سائر رجل من آل أبي سلمة قال قال حاتم الزبير جلا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقصي للزبير فقال الرجل انما قضى له لانه ابن عمته فزلت فلا وربك لا يؤمنون الا به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا شعرو بن عثمان حدثنا أبو حنيفة حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن سعيد بن المسيب في قوله فلا وربك لا يؤمنون قال زلت في الزبير بن العوام وحاطب بن أبي بلتعجة اختصم في ماء فقصي النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقي الاعلى ثم الاسفل هذا مرسل ولكن فيه فائدة (١٣٥) تسمية الانصارى ذ كرسب آخر غير باب جدا

قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن الهبة عن أبي الاسود قال اختصم رجلان الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصي بينهما فقال المقتضى عليه ردنا الى عمر بن الخطاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انطلقا اليه فلما أتيا اليه فقال الرجل يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا قال ردنا الى عمر بن الخطاب فردنا اليك فقال أكذا قال نعم فقال عمر مكانك حتى أخرج اليك فاقضى بينهما فخرج اليهما مستقلا على سبفه فضرب الذي قال ردنا الى عمر فقتله وأدبر الآخر فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قتل عمرو والله صاحبي ولولا اني أبغضته لقتلني فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما كنت أظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون حتى الآية فهزروا ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله ففكره الله ان يسئل ذلك بعد فانزل ولولا اننا كتبنا عليكم ان

اقتلوا انفسكم الآية وكذا رواه ابن مردويه عن طريق ابن الهبة عن أبي الاسود به وهو آخر غير مرسل وابن الهبة ضعيف والله اعلم طريق أخرى قال الحافظ أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي ان رجلا اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقصي للمعق على المبطل فقال المقتضى عليه لا أرضى فقال صاحبه فأتى فقال ان ذهاب اليك فقصي له قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقصي لي فقال أبو بكر أتت على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى صاحبه ان يرضي فقال نأتى عن ابن الخطاب فقال

وهو الذي يعطى الجنات للمطيعين جعلنا الله تعالى منهم آمين (وهو على كل شيء) من المنع والاعطاء والايجاد والافناء (قدير) اي قادر نسأله ان يوفقنا لمراضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته

*** (سورة الانعام) ***

وهي مائة وخمس وأوست وستون آية قال التعلبي هي مكية الاست آيات نزلت بالمدينة وهي وما قدروا الله حتى قدره الى آخر ثلاث آيات وقل تعالى أتل ما حرم ربكم عليكم الى آخر ثلاث آيات قال ابن عطية وهي الايات المحكمات أي في هذه السورة وقال القرطبي هي مكية الايتين هما وما قدروا الله حتى قدره نزلت في مالئ بن الصف وكعب بن الاشرف اليهوديين وقوله تعالى وهو الذي انشأ جنات معروشات نزلت في ثابت بن قيس وأخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه الميهقي في الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت سورة الانعام ومعها موكب من الملائكة يسلمون على الخافقين لهم زجل بالتيه والتهديد والارض تترجع ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم وعن ابن عباس وعلى أنها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا وفي فضائل هذه السورة روايات عن جماعة من التابعين من فوعة وغيره فوعة قال القرطبي قال العلماء هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبغضين ومن كذب بالبعث والنشور وهذا يقتضي انزالها جملة واحدة لانها في معنى واحد من الخلق وانصرف ذلك بوجوه كثيرة وعليها بني المتكلمون اصول الدين

*** (بسم الله الرحمن الرحيم) ***

(الحمد لله) بدأ سبحانه هذه السورة بالحمد لله للدلالة على ان الحمد كله وان لم يحمدوه وفيه تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء ولا فائدة الخلق على الذين هم بهم يعملون والحمد اللغوي الوصف بالجهد ذكره الزمخشري في الفائق وزاد صاحب المطالع وغيره كونه على جهة التعظيم والتبجيل أي ظاهر اواباطنا وأما الحمد الاصطلاحي فهو فعل يثنى عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا قاله الكرخي وقد تقدم في سورة الفاتحة ما يفي عن الاعادة هنا وقال أحل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر أي اسجدوا لله وانما جاء به هذا اللفظ لأنه أبلغ في

اقتلوا انفسكم الآية وكذا رواه ابن مردويه عن طريق ابن الهبة عن أبي الاسود به وهو آخر غير مرسل وابن الهبة ضعيف والله اعلم طريق أخرى قال الحافظ أبو اسحق ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن دحيم في تفسيره حدثنا شعيب بن شعيب حدثنا أبو المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة حدثني أبي ان رجلا اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقصي للمعق على المبطل فقال المقتضى عليه لا أرضى فقال صاحبه فأتى فقال ان ذهاب اليك فقصي له قد اختصمنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقصي لي فقال أبو بكر أتت على ما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى صاحبه ان يرضي فقال نأتى عن ابن الخطاب فقال

المفتي لقد اختصنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فيفضي لي عليه فاني ان رضى فسأله عمر بن الخطاب فقال كذلك فدخل عمر منزله وخرج والسيف في يده فسلمه فضر به رأس الذي أتى ان رضى فقتله فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون الا به (ولو أننا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما وعظون به لكان خبر الهولم واشد تنديدا واذا لا يتناهم من لذنا جر اعظم اوله دناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحدهم (١٣٦) أولئك رفقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) يحضر تعالى عن

البيان من حيث انه جع الاحمرين ثم وصف نفسه بانه هو (الذي خلق السموات والارض) اخبارا عن قدرته الكماله الموجهة لاستحقاقه لجميع الحمد فان من اخترع ذلك وأوجده هو الحقيقي باقراده بالثناء وتخصيصه بالجد والخلق يكون بمعنى الاختراع بمعنى التقدير وقد تقدم تحقيق ذلك توجع السموات لتعبد وطباقيها وان بعضها فوق بعض وقدمها على الارض لشرورها لانها امتعبد الملائكة ولم يقع فيها معصية ولتقدمها في الوجود قاله القاضي لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانها صير في ان بسط الارض مؤخر عن تسوية السماء والارض وان كانت سبعة عند الجهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض وانما خصمها بالذكر لانها أعظم الخلوقات فيما يرى العباد فالسماوات يغير عديرونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا ذلك وعن كعب الاخبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية فيها قوله وقل الحمد لله الذي لم يتخذوا وفي لفظه هو آخر سورة هود وقال ابن عباس افتتح الله الخلق بالجد وختمه به فقال وقضى بينهم المالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (وجعل الظلمات والنور) ذكر سبحانه خلق الجواهر بقوله خلق السموات والارض ثم ذكر الاعراض بقوله هذا الان الجواهر لاستغنى عن الاعراض واختلف أهل العلم في المعنى المراد بالظلمات والنور فقال جمهور المفسرين المراد بالظلمات سواد الليل وبالنور ضوء النهار وبه قال السدي وقال الحسن الكوفي والاعراض عظمة وهذا روي عن الظاهر انتهى وقيل المراد بهما الجهل والعلم وقيل الجنة والنار والاول ان يقال ان الظلمات تشمل كل ما يطلق عليه اسم الظلمة والنور يشمل كل ما يطلق عليه اسم النور فيدخل تحت ذلك ظلمة الكفر ونور الايمان أو من كان ميتا فأحييناه وجعلناه نورا أعشى به في الناس كن مثله في الظلمات وقدره النور لانه جنس يشمل جميع أنواعه وجع الظلمات لكثرة أسبابها وتعدد أنواعها نظيرة ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضوع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه والنور ضرب واحد لا يختلف كالتختلف الظلمات قال الخصاص جعل هنا بمعنى خلق واذا كانت بمعنى خلق لم تعد الى مفعول واحد وقال القرطبي جعل هنا بمعنى خلق لا يجوز غيره قال ابن عطية وعليه يتفق اللفظ والمعنى في التسقي فيكون الجمع معطوفا على الجمع واقره مد وطاعلي المفرد وتقدم الظلمات على النور لانها الاصل ولهذا كان النهار دسلا وخان الليل عن مجاهد قال نزلت

أكثر الناس منهم لو أمرهم وابعاهم من تكبونهم من المناهي لما فعلوه لان طباغهم الرديئة مجبولة على مخالفة الامر وهذا من علمه تبارك وتعالى بما لم يكن أو كان فكيف كان يكون ولهذا قال تعالى ولو أننا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية قال ابن جرير يصح حديثي النبي حديثي اصح حديثنا أو الازهر عن اسمعيل عن أبي اسحق السبيعي قال لما نزلت ولو أننا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية قال رجل لو أمرنا ففعلنا والحمد لله الذي عاقبنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من أمتي لرجالا لا ايمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ورواه ابن أبي حاتم حديثنا جعفر بن منير حديثنا روح حديثنا هشام عن الحسن باسناده عن الأعشى قال لما نزلت ولو أننا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الآية قال أناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو فعل ربنا لفعلنا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال للايمان أثبت في قلوب أهل من الجبال الرواسي وقال السدي افتخر ثابت بن قيس بن شماس

ورجل من اليهودي قال اليهودي والله لقد كتب الله علينا القتل فقتلنا انفسنا فقال ثابت والله لو كتب علينا ان اقتلوا انفسكم لقتلنا فانزل الله هذه الآية ورواه ابن أبي حاتم حديثنا أبي حاتم حديثنا محمود بن غيلان حديثنا بشر بن السري حديثنا مصعب بن ثابت عن عمه عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ولو أننا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزلت لكان ابن ام عبد منهم وحديثنا ابن أبي حاتم حديثنا اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولو أننا كتبنا

عليهم ان اقلوا انفسكم الآية اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه الى عبد الله بن رواحة فقال لو ان الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل يعني ابن رواحة ولهذا قال تعالى ولو انهم فعلا ما يؤظنون به أي ولو انهم فعلا ما يؤمنون به وزكوا ما يؤمنون عنه لكان خبر الهم أي من مخالفة الامر وارتيكاب النهي وأشد تنبيها قال السدي أي وأشد تصديقا وإذا لا يتناهم من لدنا أي من عندنا أجزا عظيما يعني الجنة ولهدى ناههم صراطا مستقيما أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن (١٣٧) أولئك رفيقا أي من عمل بما أمره الله به

ورسوله وترك ما نهى الله عنه
ورسوله فان الله عز وجل يسكنه
دار كرامته ويجعله مرفقا للأنبياء
ثم لم بعدهم في الرتبة وهم
الصديقون ثم الشهداء ثم عموم
المؤمنين وهم الصالحون الذين
صلحت سرائرهم وعلايتهم ثم أتى
عليهم تعالى فقال وحسن أولئك
رفيقا وقال البخاري حدثنا محمد بن
عبد الله بن حوشب حدثنا ابراهيم
ابن سعد عن أبيه عن عروة عن
عائشة قالت سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول ما من نبي عرش
الاخبر بين الدنيا والآخرة وكان
في شكواه الذي قبض فيها اخذته
بحسب شديدة فسمعه يقول مع
الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين
فعلت الخير وكذا رواه مسلم من
حديث شعبه عن سعد بن ابراهيم
بدهذه معني قوله صلى الله عليه
وسلم في الحديث الآخر اللهم
الرفيق الاعلى ثلاثا ثم قضى عليه
عليه أفضل الصلاة والتسليم (ذكر
سبب نزول هذه الآية الكريمة)
قال ابن جرير حدثنا ابن جهم حدثنا
يعقوب التميمي عن جعفر بن أبي

هذه الآية في الزايدة قالوا ان الله لم يخلق الظلمة ولا الخلق ولا العقارب ولا شيئا غيرها
وانما يخلق النور وكل شيء حسن فانزلت قيم هذه الآية وفيه يضار دق قول الشنوية بقدم
النور والظلمة وعن ابن عرب بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق
خلق في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه ذلك التوراهتدى ومن أخطأه ضل ذكره
البعوي بغیر سند (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) ثم لاستبعاد ما صنع الكفار من
كفرهم بربهم يعدلون مع ما تبين من ان الله سبحانه حقيق بالجد على خلقه السموات
والارض والظلمات والنور قاله التخريري فان هذا يقتضي الايمان به وصرف النناء
الحسن اليه لا الكفر به وانما ذكره باله والباء متعلقة يعدلون والتقديم للاهتمام ورعاية
الفواصل وحذف المقول لظهوره أي يعدلون به ما لا يقدر على شيء مما يقدر عليه وهذا
نهاية الحق وغاية الرقاعة حيث يكون منه سبحانه تلك النعم ويكون من الكفرة الكفر
قال علي ترتب هذا الآية يعني الجدة الى قوله يعدلون في أهل الكتاب وقال قتادة هم
أهل التوراة وعن السدي مثله وقال مجاهد يعدلون أي : مكرهون وعن زيد قال الآية
التي عبدوها يعدلون بالله وليس لله عدل ولا ندوليس معه آلهة ولا اتخذ صاحبة ولا وارا
وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء وقال النضر بن شميل الباطن عن أي عن ربه
يخرفون من العدول عن الشيء (هو الذي خلقكم من طين) في معناه قولان أحدهما
وهو الأشهر وبه قال الجمهور ان المراد آدم عليه السلام ومن لا بداء الغاية وآخرجه
بخرج الخطاب للجميع لانهم ولده ونسله الثاني ان يكون المراد جميع البشر باعتبار ان
الطاقة التي خلقها منها مخلوقة من الباطن وانما ذكر الله سبحانه خلق آدم ونبيه بعد خلق
السموات والارض اتباعا للعالم الاصغر بالعالم الاكبر والمطاب بذكر هذه الامور
دفع كفر الكافرين بالبعث ورد سجودهم عما هو شاغلهم لا يمترون فيه (ثم قضى أجلا
وأجل مسمى عنده) جاء بكلمة ثم لما بين خلقهم وبين موتهم من التفاوت فهي للترتيب
الزمانى على أصلها وقضى بمعنى أظهر وهي صفة فعل وان كان بمعنى كتب وقدر فهي
للترتيب في الذكر لانها صفة ذات وذلك مقدم على خلقهم وقد اختلف السلفون بعدهم
في تفسير الأجلين ف قيل قضى أجلا يعني الموت وأجل مسمى القيامة والوقوف عند الله
وهو مروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والحسن وقد ادق الضحاك ومجاهد وعكرمة

(١٨ - فتح البيان ثلث) المغيرة عن سعيد بن جبيرة قال جاء رجل من الأنصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محزون
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان مالي والكل محزون فقال يا بني الله شيء فكرت فيه فقال ما هو قال نحن تغدو عليك وزوج
تظن الى وجهك ونجالك غدائر مع النبيين فلا نصل اليك فلم رد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فأتانا جبريل بهذه الآية ومن
يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والآية بعث النبي صلى الله عليه وسلم فبشره وقدرى هذا الاثر
من سلا عن مسروق وعن عكرمة وعامر الشعبي وقد ادق عن الربيع بن أنس وهو من أحسنهم سندا قال ابن جرير حدثنا المنني
حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن يطع الله والرسول الآية قال ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا

ان النبي صلى الله عليه وسلم له فضل على من آمن به في درجات الجنة من اتبعه وصدقته وكيف لهم اذا اجتمعوا في الجنة ان يرى بعضهم بعضا فانزل الله في ذلك يعني هذه الآية فقال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاعلى ينحدرون الى من هو اسفل منهم في الجنة عاون في رياض فيذكر ما أتم الله عليهم ويثمنون عليه وينزل لهم أهل الدرجات فيسعون عليهم عايشون وما يدعون ففهم في روضة يحسرون ويتعمون فيه وقدرى حرفوا عما نوجه آخر فقال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن أحمد بن أسيد حدثنا عبد الله (١٢٨) بن عمران حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم بن الاسود

عمر بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت
 الجنس وأديت زكاة ما لي وصحت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين
 والشهداء يوم القيامة هكذا ونصب أصبعيه مالم يعق والذي نفرد به أحد قال الامام أحمد أيضاً حدثنا أبو سعيد مولى أبي هاشم
 حدثنا ابن أبي عمير عن زياد بن قائد عن مهمل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ ألف آية في سبيل
 الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (١٣٩) وحسن اولئك رفيقا ان شاء الله وروى الترمذي

من طريق سفيان الثوري عن أبي
 حمزة عن الحسن البصري عن أبي
 سعيد قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التاجر الصدوق الأمين
 مع النبيين والصديقين والشهداء
 ثم قال هذا حديث حسن لا يعرفه
 الا من هذا الوجه وأبو حمزة اسمه
 عبد الله بن جابر شيخ بصري وأعظم
 من هذا كله بشارة ما ثبت في
 الصحيح والمسانيد وغيرهما من
 طرق متواترة عن جماعة من الصحابة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 سئل عن الرجل يحب القوم ولما
 يلحقهم فقال المرء مع من أحب
 قال أنس فافرح المسلمون فرحهم
 بهذا الحديث وفي رواية عن أنس
 أنه قال اني لاحب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأحب أبا بكر وعمر
 رضي الله عنهما وأرجو أن الله
 يعنى معهم وان لم أعمل كعملهم
 قال الامام مالك بن أنس عن
 صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار
 عن أبي سعيد الخدري قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف
 من فوقهم كما تراءون الكواكب
 الدري الغابر في الافق من المشرق

من حيث المعنى لكن صناعة الخولا تساعده عليه وقال ابن جرير هو الله في السموات
 ويعلم سركم وجهركم في الارض والاولى وتكون جهلة (يعلم سركم وجهركم) مقورة
 لمعنى الجملة الاولى لان كونه سبحانه الهافي السماء والارض يستلزم علمه بأسرار عباده
 وجهزهم وعلمه عابكسبونه من الخير والشر وحلب النفع ودفع الضرر وقال السمين في
 هذه الآية أقوال كثيرة خلصت جميعها في اثني عشر وجهاً ثم يتناول ذلك سليمان الجليل منها
 أربعة أو خمسة ما تقدم (ويعلم ما تكسبون) من خيراً وشره وهذا يحول على المكتسب
 لاعلى نفس المكسب قاله الرازي (وما تأتيتهم) أي أهل مكة (من آية من آيات رحيم)
 كلام مبتدأ ليبيان بعض أسباب كفرهم وقدرهم وهو الاعراض عن آيات الله التي تأتيتهم
 بالكلية ومن في من آية مزيدة للاستعراق وفي من آيات ربهم تبعية أي ما تأتيتهم
 آية من الآيات التي هي بعض آيات رحيم وإضافة الآيات الى الرب لتفخيم شأنه المستتبع
 لتحويل ما جرت عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فآياتها منزلها واما
 الآيات التيسيرية فآياتها من جعلها من تعاجيب المصنوعات فآياتها
 ظهورها لهم (الا كانوا معرضين) أي كانوا الهاتركين وبها مكذبين والاعراض
 ترك النظر في الآيات التي يجب ان يستدلوا بها على توحيد الله (فقد كذبوا) ضمنه
 معنى استمروا وافتداهم باليه والظاهر كما قال السفاسقي ان الفاء لتعقيب الاعراض
 بالكذب فهي عاطفة على الجملة قبلها وجعلها الرخصتي جواب شرط مقدر أي ان
 كانوا معرضين عن الآيات فلا تلجب فقد كذبوا بما جاءهم من آيات الله وهو الحق لما
 جاءهم وفيه تكلف وهذه المرتبة أزيد من الاولى لان المعرض عن الشيء قد لا يكون
 مكذبا به بل قد يكون غافلا عنه غير متعرض له فاذا صار مكذبا فقد زاد على الاعراض
 قاله البرقي (بالحق لما جاءهم) قيل المراد بالحق هنا القرآن وقيل محمد صلى الله
 عليه وسلم (فسوف يأتيهم آباءهم ما كانوا يستهزئون) أي سيعرفون ان هذا
 الشيء الذي استمروا به ليس بوضع للاستهزاء وذلك عند ارسال عذاب الله عليهم كما يقال
 اصبر فسوف يأتيك الخير عند ارادة الوعيد والتهديد وفي لفظ الانباء ما يرشد الى ذلك فانه
 لا يطلق الاعلى خبر عظيم الوقوع وجهلا على العقوبات الاحلولة أو على ظهور الاسلام وعلا

أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
 المرسلين آخر جافى الصحيحين من حديث مالك واللفظ لم يرواه الامام أحمد حدثنا امرأة أخبرني فليج عن هلال بن يحيى عن ابن جابر عن
 عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون في الجنة كاتراءون أو ترون الكواكب الدري الغابر
 في الافق الطالع في تفاضل الدرجات قالوا يا رسول الله أولئك النبيون قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين
 قال الحافظ الضياء المقدسي هذا الحديث على شرط البخاري والله أعلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير حديثنا

على بن عبد العزيز محدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا علي بن عتيق بن سالم عن أيوب عن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال أتى رجل
من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل واستفهم فقال يا رسول الله فضلتهم علينا
بالصور واللوان والنسوة ثم قال أفرأيت أن أمتت بما أمتت به وعملت بما عملت به إلى لكائن معن في الجنة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم والذي نفسي بيده أنه ليضيء بياض الاسود في الجنة من مسيرة ألف عام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
لا إله إلا الله كان له ما عهد عند الله ومن قال (١٤٠) سبحان الله ويحمده كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف

حسنة فقال رجل كفى بذلك بعد
هذا يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليأتي
يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل
لأقله فتقوم النعمة من نعم الله
فكاد أن تستنفذ ذلك كله الآن
يتعمده الله برحمته ويزن هذه
الآيات هل أتى على الإنسان حين
من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إلى
قوله نعموا وملكوا كبيرا فقال الحبشي
وان عني لثريان ما ترى عينك
في الجنة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم فاستبكي حتى فاضت
نفسه قال ابن عمر فلقد رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبدي له في
حفرته بيديه فيه غرابه ونكارة
وسنده ضعيف ولهذا قال تعالى ذلك
الفضل من الله أي من عند الله
برحمته وهو الذي أهلهم لذلك
لأبائهم وكفى بالله علما أي هو
عليم عن يستحق الهداية والتوفيق
(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم
فأنفروا ثبات أو انفروا جميعا وإن
منكم من لم يبطن فإن أصابكم
مصيبة قال قد أنعم الله على أنكم
أكن معهم شهيدا وإن أصابكم

فضل من الله ليعوان كان لم يكن بينكم وبينه مودة فالتقى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما فقلنا قل
في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يأمر الله تعالى
عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم وهذا يستلزم التأهب لهم بأعداد الأسلحة والعدد وتكثير العديدين في سبيل الله ثبات
أي جماعة بعد جماعة وفرقة بعد فرقة وسرية بعد سرية والثبات جمع ثبة وقد تجمع الشبهة على ثمين قال علي بن أبي طلحة عن ابن
عباس قوله فأنفروا ثبات أي عسبا يعني سرايا متفرقين وأنفروا جميعا يعني كلهم وكذا روى عن مجاهد وعكرمة والسدي

(فأهلهم)

قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عبد الله قال سمعت ابن عباس قال كنت أنا وأخي من المستضعفين حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس تلا الألف المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت أنا وأخي بمن هذا الله عز وجل ثم قال تعالى الذين آمنوا بقايتون في سبيل الله والذين كفروا بقايتون في سبيل الطاغوت أي المؤمنون بقايتون في طاعة الله ورضوانه والكافرون بقايتون في طاعة الشيطان ثم هيح تعالى المؤمنين على قتال أعدائهم بقوله فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا (١٤٣) ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة

والأزواج كاذبا كتب عليهم القتال إذا فرقت منكم يحسبوا الناس نخسة الله أو نخسة وقالوا ربنا لما كتب علينا القتال لولا آخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظنون تسليلا أيئنا نكونوا نذكركم الموت ولو كنتم في روج مشددة وإن تصهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصهم سيئة يقولوا هذه من عند قل كل من عند الله قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة من الله وما أصابك من سيئة فمن نقس وأرسلنا للناس رسولا وكفى بالله شهيدا كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لم تكن ذات النصب لكن كانوا مأمورين بمواساة الفقراء منهم وكانوا مأمورين بالصفح والعفو عن المشركين والصبر إلى حين وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال للشهوان أعدائهم ولم يكن الحال آنذاك مناسبا لأسباب كثيرة منها قوله عددهم بالنسبة إلى كثرة عددهم ومنها كونهم كانوا في بلادهم وهي بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلهم اليوم الجهاد بالبلاد قبل صارت لهم دار وموتعة وانصار ومع هذا لما أمر وأما كانوا يودونه جرح بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديدا وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا آخرتنا إلى أجل قريب أي لولا آخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سبقا للنساء وبين الأولاد ونعيم النساء وهذه الآية كقوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال لايات قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن

الاسهرمين) أي قال الكفار هذا هو السحر ولم يعلموا بما شاهدوا وأولسوا وإذا كان هذا حالهم في الرق المحسوس فكيف فيما هو مجرد وحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك لا ربه ولا يحسونه وفيه اظهار في مقام الاضمار (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هذه الجملة مشتملة على نوع آخر من أنواع مجدهم لنسوة صلى الله عليه وسلم وكفرهم بها أي قالوا هلا أنزل علينا ملكا نراه ويكلمنا فيه نبي حق حتى نؤمن به وتبعه كقولهم لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا (ولو أنزلنا ملكا) على الصفة التي اقترحوها بحيث يشاهدونه ويحاطبونه ويحاطبهم (لقضى الأمر) بهم لا كهم أي لأهلكهم أذا لم يؤمنوا عندئذ وله رؤيتهم له لأن مثل هذه الآية البينة وهي نزول الملك على تلك الصفة إذا يقع الايمان بعدها فقد استحقوا الاهلال والمعالجة بالعقوبة وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستوفوا صوابه (ثم لا ينظرون) أي لا يميلون بعدئذ وله ومشاهدتهم له طرفة عن لثوبة أو معذرة بل يميل لهم العذاب وقيل المعنى أن الله سبحانه أو أنزل ملكا مشاهدا لم تطق قواهم البشرية أن يقولوا عدم مشاهدته أحياء بل ترهق أرواحهم عند ذلك فيمطل ما أرسل الله لرسوله أو أنزل به كتب من هذا التكليف الذي كلفه عباده ليلوهم أيهم أحسن عملا (ولو جعلنا ملكا لجعلناه رجلا) أي لو جعلناه الرسول إليهم وإلى النبي ملكا يشاهدونه ويحاطبونه لجعلناه ذلك الملك في صورة رجل لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك على صورته التي خلقه الله عليها إلا بعد أن يجسم بالاجسام الكثيفة المشابهة لاجسام بني آدم لأن كل جنس يأخذ بجنسه فلو جعل الله سبحانه الرسول إلى البشر أو الرسول إلى رسوله ملكا مشاهدا لمحاطبا لنفوسهم ولم يأنسوا به ولدخلهم الرعب وحصل معهم من الخوف ما ينفعهم من كلامه ومشاهدته هذا أقل حال فلا يمت المصلحة من الإرسال ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأناس كما جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة ذحية البكائي وكأخا الملاك إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك إلى إبراهيم ولوط عليهم ما السلام وعندئذ يجعله الله رجلا أي على صورة رجل من بني آدم ليس كسائر الملائكة وأنسوا به سيقول الكافرون أنه ليس بملك وإنما هو بشر ويعودون إلى مثل ما كانوا عليه وفي إثبات رجلا على بشر الايدان بان جعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعين لما نفع به

التبثيل إلى كثرة عددهم ومنها كونهم كانوا في بلادهم وهي بلد حرام وأشرف بقاع الأرض فلم يكن الأمر بالقتال فيه ابتداء كما يقال فلهم اليوم الجهاد بالبلاد قبل صارت لهم دار وموتعة وانصار ومع هذا لما أمر وأما كانوا يودونه جرح بعضهم منه وخافوا من مواجهة الناس خوفا شديدا وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا آخرتنا إلى أجل قريب أي لولا آخرت فرضه إلى مدة أخرى فإن فيه سبقا للنساء وبين الأولاد ونعيم النساء وهذه الآية كقوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال لايات قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن

عبد العزيز عن أبي زرعة وعلى بن رجة قالوا حدثنا علي بن الحسن عن الحسين بن واقد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس
 ان عبد الرحمن بن عوف وأصحابه أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بحكمة فقالوا يا نبي الله كافي عزوة ونحن مشركون فلما آمننا صرنا
 أذلة قال في أمرت بالعفو وأفلتت ألقاها القوم فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال ففكروا فقال الله ألم تر إلى الذين قبل لهم كفوا
 أيديكم الآية ورواه النسائي والحاكم وابن مردويه من حديث علي بن الحسن بن شقيق به وقال أسباط عن السدي لم يكن عليهم
 إلا الصلاة والزكاة قالوا الله ان يرض عنهم القتال فلما فرض عليهم (١٤٣) القتال اذ فرق منهم بمشكون الناس

كخشيته الله أو أشد خشية وقالوا
 رسلنا لم يكتب علينا القتال
 لولا آخرتنا إلى أجل قريب وهو
 الموت قال الله تعالى قل متاع الدنيا
 قليل والآخرة خير لمن اتقى وقال
 مجاهد ان هذه الآية نزات في
 اليهود رواه ابن جرير وقوله قل
 متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن
 اتقى أي آخرة المتقي خير من دنياه
 ولا تظلمون قليلا أي من أعمالكم
 بل توفونها ثم اخبروا هذه الآية
 لهم عن الدنيا وتوغيه لهم في
 الآخرة وتحرىض لهم على
 الجهاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 أبي حدثنا يعقوب بن ابراهيم
 الدورقي حدثنا عبد الرحمن بن
 مهدي حدثنا جابر بن زيد عن
 هشام قال قال قرأ الحسن قل
 متاع الدنيا قليل قال رحم الله
 عبدنا يحيى ما على حسب ذلك وما
 الدنيا كماها وألها وآخرها إلا كرجل
 نام نومة فرأى في منامه بعض
 ما يحب ثم انتبه وقال ابن معين كان
 أبو مصهر يشد
 ولا يخبر في الدنيا لمن لم يكن له
 من الله في دار المقام نصيب

التخيل (وللبغاة عليهم ما يلبسون) أي خلطنا عليهم ما يختلطون على أنفسهم أو على
 غيرهم قاله أبو البقاء لأنهم إذا رأوا في صورة انسان قالوا هذا انسان وليس علك فان استدل
 لهم بأنه ملك كذبوه قال الزجاج المعنى اللبس على رؤسائهم كما يلبسون على ضعفائهم
 وكانوا يقولون لهم انما محمد بشر وليس ينبغي بينكم فرق فيلبسون عليهم بهذا
 ويشككونهم فاعلم الله عز وجل انه لو نزل ملكا في صورة رجل لوجدوا سبيلا إلى اللبس
 كما يفعلون والابس الخاطا يقال لبست عليه الامر أي لبس أي خطته وأصله التستر
 بالثوب ونحوه وفيه تارة كيد لا سمحالة يجعل النذير ملكا كأنه قيل لوقعناه لقلعنا ما لا يليق
 بشأننا من لبس الامر عليهم ثم قال سبحانه مؤنسا لنبية صلى الله عليه وسلم ومسيلا له
 (ولقد استهزى برسل من قبلك) كما استهزأ بآل محمد وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم
 ووعيد أيضا لاهل مكة كما اشار به قوله (حقا بالذين خسروا منهم) يقال حاق الشيء يحقق
 حقيقا وحيقافا وحيقافا نازل أي قتل بهم وأحاط بهم وحل (ما كانوا يهتزونون) وهو
 الحق حيث أهل كوا من أجل الاستهزاء به وقيل هو الرسول وقيل العذاب (قر) يا محمد
 لهؤلاء المستهزئين (سروا في الارض) أي سافروا فيها معتبرين ومن تفكر من وقيل هو سير
 الاقدام (ثم انظروا) يا عينكم آثار من كان قبلكم لتعرفوا ما حل بهم من العقوبة أو نظروا
 ففكروا وعبروا وهو بالبصرة لا بالبصر (كيف كان عاقبة المكذبين) بعدما كانوا فيه من
 النعيم العظيم الذي يشوق ما أنتم عليه فهذه ديارهم خربة وجنائهم مغيرة وأراضيهم
 مكفورة فاذا كانت عاقبتهم هذه العاقبة فانتم بهم لاحقون وبعدها لكم هالكون
 والعاقبة مصدرا منتهى الشيء وما يصير اليه والعاقبة اذا اطلقت اختصت بالثواب
 وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة فصح أن تكون استعارة لقوله فبشرهم بعذاب أليم
 (قل لمن في السموات والارض) هذا احتجاج عليهم قاطع وتبكيت لهم ساطع
 لا يقدرون على التلصص منه أصولا ولون خبره دم المبتدأ ما وهي بمعنى الذي وجلة
 (قل لله) تقرير لهم وتبسيه على الله المتعين للجواب بالانساق بحيث لا يتأق لاحد أن يجيب
 بغيره كما ناطق به قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله واذا ثبت
 ان لله ما في السموات والارض ما اعترفوا بهم أو بقيام الخجة عليهم فانه قادر على ان يعاجلهم

فان تعجب الدنيا رجالا فانها * متاع قليل والزوال قريب وقوله تعالى أيما تمكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
 أي أنتم صائرون إلى الموت لا محالة ولا يخونكم أحد منكم كما قال تعالى كل من علمها فان الآية وقال تعالى كل نفس ذائقة
 الموت وقال تعالى وما جعلنا البشر من قبلنا الا خلدا والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة ولا ينبغي من ذلك شيء سواء
 جاهد أو لم يجاهد فان له أجلا محتوما ومقاما متصوما كما قال خالد بن الوليد حين جاءه الموت على فراشه لقد شهدت
 كذا وكذا موثقا وما من عضو من أعضائي الا وفيه جرح من طعنة أو رمية وهما أنا موت على فراشي فلا نامت أعين الجنباء وقوله

ولو كتب في بروج مشيدة أي حصينة منيعه عالمة رفيعة وقيل هو بروج في السماء قاله السدي وهو ضعيف والعجم
 انهم المنيعة أي لا يغني حذرو وعصن من الموت كما قال زهير بن ابي سلمى
 ومن هاب اسباب الانبياء سلته * ولورام اسباب السما علم ثم قيل المشيدة هي المشيدة كما قال وقصر مشمد وقيل بل بينهما فرق
 وهو ان المشيدة بالشد يدهي المطولة وبالتخفيف هي المزيطة بالشد وهو الجص وقد ذكر ابن جرير وابن ابي جاتم ههنا حكماء
 مطولة عن مجاهد انه ذكر ان امرأتين كان (١٤٤) قبلنا أخذها الطلق فأمرت أجبرها أن يأتيها بانها تخرج فإذا هو برجل

واقف على الباب فقال ما ولدت
 المرأفة فقال جارية فقال أمانتها
 سترني بمائة رجل ثم تزوجها أجبرها
 ويكون موتها بالعنكبوت قال
 ففكر راجعا فبعج بطن الجارية
 بسكين فشده ثم ذهب هاربا وظن
 انها قد ماتت فخاض امها بطنها
 فبرأت وثبت وترعرت ونشأت
 احسن امرأة يلدتها فذهب ذلك
 ما ذهب ودخل الجور فافتنى
 أموا الاجزلة ثم رجع الى بلده واراد
 التزويج فقال للجور اريد ان تزوج
 باحسن امرأة قبيلة البلدة فقالت
 له ليس ههنا احسن من فلانة
 فقال اخطيها على فذهب اليها
 فأجابته فدخلها فاجعته اعجابا
 شديدا فاسأله عن امره ومن اين
 مقدمه فاخبرها خبره وما كان من
 امره في الجارية فقالت اناهي
 وأرته مكان السكين فحقق ذلك
 فقال لئن كنت اياها فلقد اخبرتني
 بانثني لايدهنهما احداهما انك
 قد زيت بمائة رجل فقالت لقد
 كان شيء من ذلك ولكن لا ادري
 ما عددهم فقال سهم مائة والثاني
 انك تموتين بالعنكبوت فاتخذها
 قصر امنيعا شاهقا للجور فاسم ذلك فيمنعهم يوما فاذا العنكبوت في السقف فاراها اياها فقالت هذه التي
 تحذرها على والله لا يقتلها الا انافز لوها من السقف فعمدت الها فوطئتها بايام رجلها فقتلتها فاطمار من سمها شي فوقع بين ظنرها
 ولجها واسودت رجلها فكان في ذلك أجليا فماتت ونذكر ههنا قصة صاحب الحضرة وهو الساطرون لما صال عليه سابور حتى
 حصره فيه وقتل من فيه بعد محاصرة سنتين وقالت العرب في ذلك اشعار امثها وأخو الحضرة ابنه وادجج * له تنجي اليه الخابور
 شاده مرمر اوجله * * * فاططير في ذراعه وكور لم تهبه أيدي المنون فباد الس * * * له عنه فبهاه مهجور ولما دخل على عثمان

بالعقاب ولكنه (كتب على نفسه الرحمة) أي وعدهم افضل الله وقهرهم لا أنه صحت
 عليه وذكر النفس هنا عبارة عن تأكد وعده وارتقاء الوسائط دونه وفي الكلام ترغيب
 للموتلين عنه الى الاقبال اليه وتسكين خواطرهم بانه رحيم بعباده لا يعاجلهم بالعقوبة
 وانه يقبل منهم الانابة والتوبة ومن رحمة لهم ارسال الرسل وانزال الكتب ونصب الادلة
 وقد أخرج مسلم وأحمد وغيرهما عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله
 يوم خلق السموات والارض مائة رحمة منها رحمة يترحم بها الخلق وتسعة وتسعون ليوم
 القيامة فاذا كان يوم القيامة أكملها به هذه الرحمة وثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب كتابا وضعه عنده
 فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وقدرى من طرق أخرى بنحو هذا قيل معنى الجملة
 القسم وعلى هذا فقوله (ليجمعنكم) جواب لما تضمنه معنى القسم وقال الزجاج انها
 بدل من الرحمة لانه فسر بانه أمهلكم وأمدلكم في العمر والزق مع كفركم فهو تفسير
 للرحمة وقد ذكره القراء أيضا ورد ابن عطية وقال هو جواب قسم محمد وفي أي والله
 ليجمعنكم وقيل المعنى ليجمعنكم في القبور يعوثن أو يحشرون وقيل اللام بمعنى
 ان أي ان يجمعكم كما في قوله تعالى ليس يجننه أي ان يسهوه وقيل زائدة وقيل ان جملة
 ليجمعنكم مسوقة للترهيب بعد الترغيب وللوعيد بعد الوعد أي ان أمهلكم برحمة فهو
 مجاز يكم بجمعكم ثم يعاقب من يستحق عقوبته من العصاة (اليوم القيامة) التي يعنى في
 وقيل المعنى في قبوركم الى اليوم الذي أنكرتموه وهو يوم القيامة (لا ريب فيه) أي لا شك
 في اليوم أو في الجمع (الذين خسروا أنفسهم) أي ليجمعن المشركين الذين غبنوا أنفسهم
 باتخاذهم الانصاف فعرضوا أنفسهم لسطط الله وأليم عقابه فكأنوا كمن خسروا وأصل
 الخسار الغبن يقال خسرو الرجل اذا غبن في بيعه (فهم لا يؤمنون) لما سبق عليهم القضاء
 بالخسران فهو الذي جعلهم على الامتناع من الايمان بحيث لا يسيل لهم اليه أصلا (وله)
 أي لله (ما سكن في الليل والنهار) خص الماسكن بالذكر لان ما يتصف بالكون
 أكثر مما يتصف بالحركة وقيل المعنى ماسكن فيهما أو تحركا فكتفي باحد الضدين عن
 الآخر وهذا من جملة الاحتجاج على الكفرة قال السدي ماسكن أي استقر وثبت ولم

جعل يقول اللهم اجمع أمته محمد ثم خذ بقول الشاعر أرى الموت لا يبق عزرا لم يدع * لعادلا ذاق البلاد ومربعا
بيت أهل الحصن والحصن مغلق * وبأقي الجبال في شمار بجها العسلا قال ابن هشام وكان كسرى سابور ذوالا كآف قتل
السايطرون ملك الحضرة وقال ابن هشام أن الذي قتل صاحب الحضرة سابور بن أردشير بن بابك أول ملوك بني ساسان وأذل ملوك
الطوائف ورد الملك إلى الأكاسرة فامسا سابور ذوالا كآف فهو من بعد ذلك زمن طويل والله أعلم ذكره السهيلي قال ابن هشام فصره
سنتين وذلك لأنه كان أغار على بلاد سابور في غيبته وهو في العراق (١٤٥) وأشرفت بنت الساطرون وكان اسمها الضيرة فظنرت

إلى سابور وعليه ثياب دياح وعلى رأسه تاج من ذهب مكال بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ فدست إليه ان تتزوجني ان فتحت لك باب الحصن فقال نعم فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الا سكران فأخذت مفتاح باب الحصن من تحت رأسه فبعتهم امع مولى لها ففتح الباب ويقال دلهم على طلسم كان في الحصن لا يفتح حتى تؤخذ حجارة ورفاء فقتل ب رجلاها بجص جارية بكر زرقاء ثم ترسل فاذا وقعت على سور الحصن سقط ذلك فتفتح الباب ففعل ذلك فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحصن وخر به وسار به معه ورتقوها فبينما هي نائمة على فراشها البلاذ جعلت غاملا لاتنام فعداها بالسمع ففتش فراشها فوجد فيه ورقة آس فقال لها يا سابور هذا الذي أسهر لك قال لها كآن أبوك يضع بك قالت كان يفرس في الدياج ويلبسي الحرير ويطعه في الملح ويسقيني الخمر قال الطبري كان يطعمني الملح والزبد وشهدا بكارت التل وصفوا الخروذ كراته كان يرى

يذكر الزنجشري غيره وقال تعدية بغي كافي قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا ورجع هذا التفسير ابن عطية قال ابن جرير كل ما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فمكون المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحضرة والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره (وهو السميع) لا قوا لهم وأصواتهم (العليم) يسر أمرهم وأحوالهم (قل أعز الله اتخذ ذوليا) الاستفهام لانكار قال لهم ذلك المادعوه إلى عبادة الاصنام ولما كان الانكار لا تخاذع الله ولما لا لا تخاذع الاولي مطلقا دخلت الهمة على المنعول لا على الفعل والمراد بالولي هنا المعبود أي كيف اتخذ غير الله معبودا بطريق الاستقلال أو الاشارة (فأما السموات والارض) أي خالقهما وما بهما وما بهما (وهو بطعم ولا يطعم) أي يرزق ولا يرزق وخص الاطعام دون غيره من ضروريات الانعام لان الحاجة اليه أمس (قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم) أمره سبحانه بعد ما تقدم من نفي اتخاذ غير الله ولما ان يقول لهم ثانيا انه مأمور بان يكون أول من أسلم وجهه لله من قومه وأخلص من أمته فهو من جملة أمته من حيث انه مرسل لنفسه يعني يجب عليه الاعيان برسالة نفسه وبما جاء من الشريعة والأحكام كما انه مرسل لغيره وهو أول من أنقاد لهذا الدين أو المعنى أول فريق أسلم وأقرض الضمير في أسلم باعتبار اللفظ من وقيل معنى أسلم استسلم الامر لله ثم نهى عز وجل أن يكون من المشركين فقال (ولا تكونن) أي وقيل لي ولا تكونن (من المشركين) أي في أمر من أمور الدين ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطية على الامر (قل) أي جوابا لثانيا (اني أخاف ان عصيت ربني) أي ان عصيته بعبادة غيره أو مخالفة أمره أو نفيه والخوف توقع المكروه وقيل هو هنا بمعنى العلم أي اني أعلم ان عصيت ربني (عذاب يوم عظيم) وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) قرأ أهل الحرمين يصرف على البناء للمفعول أي من يصرف عنه العذاب وقرأ الكوفيون على البناء للفاعل فيكون الضمير لله ومعنى (يومئذ) يوم العذاب العظيم (فقد رجه) أي تنجاه الله وأتم عليه وأدخل الجنة (وذلك) أي فذلك يعني صرف العذاب أو الرجة كل منهما (الفوز المبين) أي الظاهر الواضح (وان عيسى الله يضر) أي ينزل الله بك ضرا من فقر أو مرض أو شدة وبليية (فلا كاشف له الا هو) أي فلا قادر على كشفه سواه (وان

(١٩) فتح البيان ثالث) محضاتها قال فكان جزاء أسلم ما صنعت به أتت إلى يد الماسرع ثم أمرهم فافترطت قرون رؤسها بنبت فرس فركض الفرس حتى قتلتها وفيه يقول عد بن زيد أياته المشهورة السائرة أيم الشامت المعير بالدهش * رأيت المبرأ الموفور أم لديك العهد الوثيق من الايام بل انت جاهل مغرور من رأيت المنون خلد ام من * ذاعليه من أن بضام خفير ابن كسرى كسرى الملوك أنوشير * وان ام ابن قيس له سابور وشوا الاصفه الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور وأخبر الحضرة اذنبه واذ دجى لا تحبى اليه والخابور شاده من مرأه ورجله كاشف سابا لظفر في ذراهه وذكور

لم يهده رب المنون فبادلك ملك عنه فبانه هجوز وتذ كروب الخور ترقى ان شتر في يوم اولي الهدي تفكير
 سره ماله وصكته مانيك ملك والبحر معرضا والسدير فاروى قلبه وقال فلان غبطة حتى الى الممات بصير
 ثم اخذوا كأنهم ورق جف قائلون به الصبا والذبور ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتم هنالك القبور
 وقوله وان تصبهم حسنة اى خصب ورزق من غمار وزروع وأولاد ونحو ذلك هذا معنى قول ابن عباس وأبى العالية والسدي يقولوا
 هذه من عند الله وان تصبهم سيئة اى قح وجذب (١٤٦) وتقص في الثمار والزروع وأموت أولاد أو تاج أو غير ذلك كما يقوله

أبو العالية والسدي يقولوا هذه
 من عند الله اى من قبله وبسب
 اساعناك واتقدا تسانيدك كما
 قال تعالى عن قوم فرعون فاذا
 جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان
 تصبهم سيئة بطيروا بعوسى ومن معه
 وكما قال تعالى ومن الناس من بعد
 الله على حرف الآية وهكذا قال
 هؤلاء المنافقون الذين دخلوا في
 الاسلام ظاهرا وهم كارهون له في
 نفس الامر ولهذا اذا أصابهم شر
 اغايبسندونه الى اتاعهم للنبي صلى
 الله عليه وسلم وقال السدي وان
 تصبهم حسنة قال والحسنة
 الخصب نتيج مواشهم وخبولهم
 ويحسن حالهم وتلد نسأؤهم
 الغلبان قالوا هذه من عند الله وان
 تصبهم سيئة والسيئة الجذب والضرر
 في أموالهم تشاءوا بمحمد صلى
 الله عليه وسلم وقالوا هذه من عندك
 يقولون بتركادينا واتباعنا محمدا
 اصبا بنا هذا البلاء وأنزل الله
 عز وجل قل كل من عند الله فقلوه
 قل كل من عند الله اى الجميع
 بقضاء الله وقدره وهو نافذ في البر
 والفساح والمؤمن والكافر قال
 علي بن ابى طلحة عن ابن عباس

يحبس بخير من رضاء أو عافية وقصة واخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من النعمة وقدر
 وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء قدير) ومن جله ذلك المس بالخير والشر وهذا الخطاب
 وان كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو عام لكل واحد وعن ابن عباس قال كنت خف
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك
 احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استغث فاستعن بالله واعلم ان الامة
 لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كسبه الله لك وان اجتمعت على ان
 يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كسبه الله عليك رفعت الاقدام وجفت الصحف
 أخرجه الترمذي وزاد فيه رزين تعرف الله في الرضا يعرف في الشدة قال ابن الاثير وقد
 جاء نحو هذا ومثله يطوله في مسند أحمد (وهو القادر فوق عبادك) القهر الغلبة والقاهر
 الغالب وأقهر الرجل اذا صار مقهورا ذليلا ومن الاول قوله وانا فوقهم قاهرون ومن
 الثاني فاما اليتيم فلا تقهر قيل معنى فوق فوقة الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم لا فوقة
 المكان كما تقول السلطان فوق رعيته اى بالمرتلة والرفعة وقيل هو صفة الاستعلاء التي
 تفرد به سبحانه فهو على الذات وسمى الهفات وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد
 خلقه العالي عليهم واما قال فوق عبادك لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن صفه
 كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه انتهى اى استعلاء يلق به وقيل هو القاهر
 مستعليا أو بالاذكره أبو البقاء والمهدوي وفي القهر معنى زائد ليس في القدرة وهو من
 غيره عن بلوغ المراد (وهو الحكيم) في أمره (الخبير) بافعال عبادك (قل اى شئ) أكبر شهادة
 قل الله شهيد بيني وبينكم) الشئ يطلق على القسديم والحادث والحال والمعكن والمعنى
 اى شهيدا أكبر شهادة فوضع شئ موضع شهيد وقيل ان شئ خنما موضع موضع اسم الله
 تعالى والمعنى الله أكبر شهادة اى انفراد بالربوبية وقيام البراهين على توحيد الله أكبر
 شهادة وأعظم فهو شهيد بيني وبينكم وقيل هو الجواب لانه اذا كان الشهيد بينه وبينهم
 كن أكبر شهادة له صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه قد تم الجواب عند قوله قل الله يعنى
 الله أكبر شهادة ثم ابتدأ فقال شهيد اى هو شهيد بيني وبينكم والمراد بشهادة الله اظهار
 المعجزة على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فان حقيقة الشهادة ما بين به المدي وهو
 كما يكون بالقول يكون بالفعل ولا شك ان دلالة الفعل أقوى من دلالة القول لعروض

قل كل من عند الله اى الحسنة والسيئة وكذا قال الحسن البصري ثم قال تعالى منكر اعلى هؤلاء القائلين هذه الاحتمالات
 المقالة الصادرة عن شرب وبسب وقلة فهم وعلم وكثرة جهل وظلم فبالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا (ذ ك حديث غريب
 يتعلق بقوله تعالى قل كل من عند الله) قال الحافظ أبو بكر البرزج حدثنا السكن بن سعيد حدثنا عمر بن يونس حدثنا اسمعيل بن جاد
 عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كُجُلُوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر وعمر فيلحق
 من الناس وقد ارتفعت أصواتهما جلس أبو بكر في سامن النبي صلى الله عليه وسلم وجلس عمر في سابقا قال رسول الله صلى الله عليه وآله

عليه وسلم لم ارتفعت أصواتكم فقال رجل يا رسول الله قال أبو بكر الحسنة من الله والسيئات من أنفسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما قلت يا عمر فقال قلت الحسنات والسيئات من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول من تكلم فيه جبريل وميكائيل فقال ميكائيل مقالة يا أبا بكر وقال جبريل مقالة يا عمر فقال فيختلف أهل السماء وإن يختلف أهل السماء يختلف أهل الأرض فحكا إلى اسرافيل فقضى بينهم ما الحسنات والسيئات من الله ثم أقبل على أبي بكر وعمر فقال أحفظا فإني بينكما لو أراد الله أن لا يعصى لما خلق بليس قال شيخ الإسلام تقي الدين (١٤٧) أبو العباس بن تيمية هذا حديث موضوع مخترق

بإتفاق أهل المعرفة ثم قال تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمراد جنس الإنسان لخصم الجواب ما أصابك من حسنة فمن الله أي من فضل الله ومنه واطنفة ورجته وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي من قبلك ومن عملك أنت كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال السدي والحسن البصري وابن جرير وابن زيد بن نفسك أي بذنبك وقال قتادة في الآية فمن نفسك عقوبة للثاني آدم بذنبك قال وذکرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصيب رجلا خدش عود ولا عشرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله أكثر وهذا الذي أرسله قتادة قد روى متصلا في الصحيح والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه بها خطايا وقال أبو صالح وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي بذنبك وأنا الذي قدرته عليك رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حديثنا أحمد بن عمار

الأحتمالات في الانساق دون الأفعال فإن دلالتها لا تعرض لها الاحتمال وتكرر اليمين لتحقيق المقابلة (وأوحى إلى) أي أوحى الله إلى (هذا القرآن) الذي تلاوته عليكم (لا تذكركم) أي لا حرج إن أخوفكم (به) وأحذركم مخالفة أمر الله وهذا اجتزاء التعليل لما قبله أي نزوله على شهادة من الله بأن رسوله وقرئ أوحى على البنائين للفاعل والمفعول قال ابن عباس لا تذكركم بمعنى أهل مكة (ومن بلغ) يعني من بلغ هذا القرآن من الناس فوهو له نذر أي أنذر به كل من بلغ اليه من موجود ووجوده موجود في الأزمنة المستقبلية إلى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم وفي هذه الآية من الدلالة على شمول أحكام القرآن لمن سيجود كشعوه لهما من قد كان موجودا وقت النزول لا يحتاج معه إلى تلك الاختزيعات المذكورة في علم أصول الفقه وعن أنس قال لما نزلت هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسرى وقيصرو والنجاشي وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وأخرج أبو نعيم والخطيب وابن الجارود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بلغه القرآن فكا تشافهته به ثم قرأ هذه الآية وعص محمد بن كعب القرظي قال من بلغه القرآن فكا تمارأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي لفظ من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كن عاين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكله وعن مجاهد قال لا تذكركم بمعنى العرب ومن بلغ يعني العجم قال السمين فيه ثلاثة أقوال أحدها لا تذكركم الذي بلغ القرآن والثاني لا تذكركم الذي بلغ الحسم والثالث لا تذكركم ولست تذكركم الذي بلغه القرآن وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بلغوا عني ولو آية أخرجه البخاري وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذي وفي الباب أحاديث وقال ابن عباس سمعون وبسمع منكم وبسمع عن بسمع منكم أخرجه أخرجه أبو داود وموقوف وقد امتثل بهذا الأمر عصابة أهل الحديث دون غيرهم كثر الله سوادهم ورفع عدادهم أنتم تشهدون أن مع الله آلهة أخرى يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها والاستفهام للتوبيخ والتقريع على قراءته من قرأهم مزين على الأصل أو قلب الثانية أي لا تتبني ولا تنصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد لا تعدد فيه وأما من قرأ

حديثنا سهل بن بكار حديثنا الأسود بن شيبان حديثني عقب بن واصل بن أخى مطرف عن مطرف بن عبد الله قال ما تريدون من القدر أمتك فكمكم الآية التي في سورة النساء وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي من نفسك والله ما وكونوا إلى القدر وقد أمر وأولى به يصيرون وهذا كلام متين قوي في الرد على القدرية والخبرية أيضا وبسطه موضع آخر وقوله تعالى وأرسلنا للناس رسولا أي بلغهم شرائع الله وعما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه وأبأ وكفى بالله شهيدا أي على أنه أرسلناك وهو شهيد أيضا بينك وبينهم وعالم بما بلغهم ما به وعما يدون عليك من الحق كثر أوعاد (من يطع الرسول فقد أطاع الله

فمن نولي فإمرأنا ملك عليهم حفظا ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون
فأعرض عنهم وقل على الله وتوكل بالله وكبرياء) يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن من أطاعه فقد أطاع الله
ومن عصاه فقد عصى الله وما ذاك إلا لأنه ما خلق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو
معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي خزيمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد
عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني ومن (١٤٨) عصى الأمير فقد عصاني وهذا الحديث ثابت في الصحيحين عن الأعمش به

على الخبر فقد حقق عليهم شركهم واتحاق قال آية أخرى لأن الآية جمع والجمع يقع عليه
التأنيث كذا قال القرطبي ومثله قوله تعالى والله الاسماء الحسنى وقال فيقال القرون الأولى
ولم يقل الأولى ولا الأولى (قل) فانا (لأشهد) بما تشهدون به إن مع الله آية أخرى بل أشهد
ذلك وأؤكد ذلك لكون هذه الشهاداة باطنة ومثله فإن شهدوا فلا تشهد معهم (قل إنما
هو الله واحد) لا شريك له وبذلك أشهد وفي ما وجهان أظهرهما أنها كافة والثاني أنها
موصولة قال أبو البقاء وهذا الوجه ليق بمقابلته قال السمين ولا أدري ما وجه ذلك يعني
الأولى هو الوجه الأول (واتحى برى عما نشركون) به وما موصولة أو مصدرية أى من
الاصنام التي يجعلونها آلهة أو من أشرا ككهم بالله (الذين آتيناهم الكتاب) وهم علماء
اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتعريف الجنس
في مثل التوراة والإنجيل وغيرهما يعرفونه أى يعرفونه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال به جماعة من السلف واليه ذهب الزجاج وقيل يعرفون القرآن معرفة تحققت
لا يتبس عليهم منه شيء وقيل يعود الضمير على التوحيد لآله قوله إنما هو الله واحد وأعلى
كلهم وأعلى جميع ذلك وأقرود الضمير اعتبارا بالعلم كانه قيل يعرفون ما ذكرنا وقصصنا
(كما يعرفون أبناءهم) بيان لصحة تلك المعرفة وكما لها وعدم وجود شبه فيها فإن معرفة
الآباء للأبناء هي البالغة إلى غاية الإيقان أجمالا وتفصيلا (الذين خسروا أنفسهم) أى
اهلكوا وغشوا وهاؤ أو بقوا في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل
المعنى إن أولئك الذين آتاهم الله الكتاب هم الذين خسروا أنفسهم بسبب ما رجعوا فبعد
البعد عن الحق وعدم العمل بالمعرفة التي ثبتت لهم ومعنى هذا الخسران كما قاله جمهور
المفسرين إن الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فإذا كان يوم القيامة
جعل الله للؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار ذكره
الكرخي (فهم) عنادهم وردهم (لأؤمنون) بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال البيضاوي الفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب عن خسارتهم فإن إبطال العقل
بإسراع الحواس والوهم والانغماس في التقليد وانغال النظر أدى بهم إلى الأصرار على
الكفر والاستماع عن الإيمان (ومن) أى لأحد (أظلم من افترى) أى اختلق فجمع بين
أمرين لا يجتمعان عند عاقل افتراءه على الله بما هو باطل غير ثابت وتكذيبه ما هو ثابت

وقوله ومن نولي فإمرأنا ملك عليهم حفظا
حفظا أى ما عليك منه أن عليك
الإبلاغ في اتباعك سعد ونجا وكان
لأن من الأجر نظير ما حصل له ومن
نولي عنك خاب وخسر وليس عليك
من أمره شيء كما جافى الحديث من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص
الله ورسوله فإنه لا يضر الانفسه
وقوله ويقولون طاعة يخبر تعالى
عن المنافقين بأنهم يظهرون
الموافقة والطاعة فإذا برزوا من
عندك أى خرجوا أو تواروا عنك
بيت طائفة منهم غير الذي تقول
أى احتسروا لئلا فيما بينهم
بغير ما أظهره لك فقال تعالى
والله يكتب ما يبيتون أى يعلمه
ويكتبه عليهم بما أسر به حفظته
الكتابين الذين هم موكلون
بالمعاد والمعنى في هذا التهديد أنه
تعالى يخبر بأنه عالم بما يضره
ويسرره فيما بينهم وما يتفقون
عليه لئلا من مخالفة الرسول صلى
الله عليه وسلم وعصائه وإن كانوا
قد أظهروا له الطاعة والموافقة
وسيجزىهم على ذلك كما قال
تعالى ويقولون آتانا الله بالرسول
وأطعنا الآية وقوله فأعرض

عنهم أى اصفح عنهم وأحلم عليهم ولأنوا أخذهم ولا تكشف أمورهم للناس ولا تتحقق منهم أنصافه وكل
على الله وكفى بالله وكبراى كونه ولما ناصر أو معانى نولي كل عليه وأتاب الله (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وإذا جاءهم أمر من الأمر أو اتخوفوا فدعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان الأقليل) يقول تعالى أمر الله بتدبر القرآن وذاها ليسم عن
الأعراض عنه وعن قفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة وخبر الهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لا تنزيل

من حكيم جمد فهو حق من حق ولهذا قال تعالى أفلا تدرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم قال ولو كان من عند غير الله
 أي لو كان مقفلا مختفيا كما يقوله من يقوله من جهلة المشركين والمنافقين في بواطنهم ولجود وافيه اختلافا أي اضطرابا وتضادا
 كثيرا أي وهذا سالم من الاختلاف فهو من عند الله كما قال تعالى يخبر عن الراسخين في العلم حيث قالوا أمانة كل من عند بناي
 محكمه ومتشابهه حق فلهذا ردوا التشابه إلى المحكم فاشتدوا والذين في قلوبهم زيغ ردوا الحكم إلى التشابه فغفروا ولهذا
 مدح تعالى الراسخين وذم الزائغين قال الامام أحمد حدثنا (١٤٩) أنس بن عياض حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو حازم

حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه
 عن جده قال لقد جلست أنا وأخي
 مجلسا ما أحب إلى من حجر النعم
 أقبلت أنا وأخي وإذا مشيختم
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على باب من أبواب فكرهنا
 أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ
 ذكروا آية من القرآن فصاروا فيها
 حتى ارتفعت أصواتهم فخرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مغضبا حتى أجرو وجهه برمهم
 بالتراب ويقول مهلا يا قوم بهذا
 أهلكت الأمم من قبلكم باختلافهم
 على أنبيائهم وضر بهم الكتب
 بعضها بعض أن القرآن لم ينزل
 يكذب بعضه بعضا إنما يصدق
 بعضه بعضا فاعرفتم منه فاجتنبوا به
 وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه
 وهكذا رواه أيضا عن أبي معاوية عن
 داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب
 عن أبيه عن جده قال قال نوح
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
 يوم والناس يتكلمون في القدر
 فكانا يفتقأ في وجهه حب الرمان
 من الغضب فقال لهم مالكم
 قسرون كتاب الله بعضه بعض
 بهذا خلل من كان قبلكم قال فما

بالجدة هذا ما جرى عليه الكشاف وغيره من جمعه بين الأمرين أولان المعنى لا أحد أظلم
 من ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بين جمع بينهما (على الله كذبا) فزعم أن له شر بكامن
 خلقه والها بعدونه كما قال المشركون من عباد الأصنام أو قال أن في التوراة والآنجيل
 ما لم يكن فيها كما قالت اليهود أن عزرا ابن الله وقالت النصارى أن له صاحبه وولدا
 (أو كذب بآياته) التي يلزمه الإيمان بها من العجزة الواضحة البينة قال عكرمة قال النضر
 ابن عبد الله إذا كان يوم القيامة شفتت في الآلات والعزى فأنزل الله هذه الآية (أنه)
 الضمير للسان لا يفلح الظالمون) القائلون على الله الكذب والمفترون عليه الباطل (ويوم
 نحشرهم جميعا) منصوب بفعل مضارع بعده أي ويوم نحشرهم كان كيت وكيت وحذف
 ليكون أبلغ في الخوف والتقدير أنه لا يفلح الظالمون اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم قاله
 محمد بن جرير وفي التقدير انظر كيف كذبوا وفيه بعد وقيل أنقوا يوم نحشرهم والاول
 أولى والضمير يعود على المنكرين الكذب وقيل على الناس كلهم فيندرج هؤلاء فيهم
 والتوبيخ مختص بهم وقيل يعود على المشركين وأصنامهم (ثم نقول للذين أشركوا أين
 شركاؤكم) الاستفهام للتقريع والتوبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إليهم لأنهم لم تكن
 شركاء الله في الحقيقة بل لسانهم وهاشركا أضيف إليهم وهي ما كانوا يعبدونه من دون الله
 أو مع الله (الذين كنتم ترعون) أي تزعمون شركاؤكم ووجه التوبيخ أن معبوداتهم غابت
 عنهم في تلك الحال أو كانت حاضرة ولكن لا ينتفعون بها لوجه من الوجوه فكان
 وجودها كعدمها (ثم لم تكن فتنتهم) أي معذرتهم قاله ابن عباس أي التي يتوهمون أن
 يتخلصوا بها وأوجنتهم والفتنة التجربة فمن فتنت الذهب إذا خلطته قال الزجاج فيه معنى
 اطمفأ وذلك أن الرجل يفتن بمحبوب ثم نصيبه فيه فتنة فيسترأ منه فقال لم تكن فتنته إلا
 بذلك المحبوب فكذلك الكفار قنعوا بعبادة الأصنام ثم لما رأوا العذاب تبرأ منها وقيل المراد
 بالفتنة خناجواهم وسما فتنة لأنه لم يكن جوابهم إلا الجحود والتبري فكان هذا الجواب
 فتنة لكونه كذبا (الأن قالوا) يعني المنافقين والمشركين قالوا وهم في النار هل فلنكذب
 فعله أن شنعوا والاستنساء مفرغ (والله ربنا ما كنا مشركين) قال القاضي يكذبون
 ويحلقون عليه مع علمهم بأنه لا ينزع من فرط الخيرة والدهشة قال الزجاج تأويل هذه الآية
 أن الله عز وجل أخبر بتصص المشركين واقتنائهم ثم أخبر أن فتنتهم لم تكن حين رأوا

غبطت نفسي بمجلس فيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أشهده ما غبطت نفسي بذلك المجلس أني أشهد دور واهن ما جده من
 حديث داود بن أبي حنيفة بنحوه وقال أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا جابر بن زيد عن أبي عمران الجوني قال كتب إلى
 عبد الله بن رباح يحدث عن عبد الله بن عمرو قال هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فأنال مجلسا إذا اختلف الثنائ في آية
 فارتفعت أصواتهما فقال إنما هلك الأمم قبلكم في اختلافهم في الكتاب ورواه مسلم والتساوي من حديث جابر بن زيد وقوله وإذا
 جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به أنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها أو يفشيها وينشرها وقد لا يكون

لها صحة وقد قال مسلم في مقدمة صحيحه حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن حفص حدثنا شعبة عن جبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع وكذا رواه ابو داود في كتاب الادب من سننه عن محمد بن الحسين بن اشكاب عن علي بن حفص عن شعبة مسندا ورواه مسلم ايضا من حديث معاذ بن هشام الغنبري وعبد الرحمن بن مهدي وأخرجه ابو داود ايضا من حديث حفص بن عمر والنري ثلثتهم عن شعبة عن جبيب عن حفص بن عاصم به مرسل (١٥٠) وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحقائقي الا ان اتقوا من الشرك وتظهر هذا في اللغة ان ترى انسايا يحب غاوا يا فاذ اوقع في هلكة تبرا منه فتقول ما كانت محبتك اياه الا ان تبرا منه انتهي فلما راد بالفتنة على هذا كفرهم اى لم تكن عاقبة كفرهم الذي افتخروا به وقالوا عليه الاما وقع منهم من الخدود والخلف على نفية بقولهم والله الخ (انظر) يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين (كيف كذبوا على انفسهم) بانكار ما وقع منهم في الدين من الشرك واعتقادهم بالباطل وفي البيضاوى وحده على كذبهم في الدنيا تعسف يحل بالنظم (وصل عنهم) اى زال وذهب وتلاشى وبطل (ما كانوا يفتخرون) اى ما يفتخرون به من ان الشركه يقر بونهم الى الله هذا على ان ما صدرية وهو قول ابن عطية اى ضل عنهم اقتراؤهم وقيل هى موصولة لعبارة عن الآلهة اى فارقه ما كانوا يعبدون من دون الله فلم يغن عنهم شيا وهذا تعجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حالهم المختلفة ودعواهم المتناقضة وقيل لا يجوز أن يقع منهم كذب في الاسرة لانها دار لا يجرى فيها غير الصدق فالعنى نفي شركهم عند انفسهم وفي اعتقادهم ويؤيد هذا قوله تعالى ولا يكفون الله حديثا (ومنه من) هذا كلام مبتدأ البيان ما كان يصنعه بعض المشركين في الدنيا والضمير عائدة الى الذين أشركوا اى وبعض الذين أشركوا (يسمع اليك) حين تتلو القرآن قال مجاهد وهو قريش وقال هنا يسمع وفي نونس يسمعون بالجمع لان ما هنا في قوم قليلين فتراهم منزلة الواحد وما في نونس في جميع الكفار فتناسب الجمع فأعمد الضمير على معنى من وفي الاول على لفظها وانما لم يجمع ثم في قوله ومنهم من نظر اليك لان الناظر الى المعجزات أقل من المسمعين للقرآن (وجعلنا على قلوبهم أكنة) اى جعلنا ذلك بهم مجازاة على كفرهم والاكنة الاغطية جمع كان وهو الوعاء الجامع والغطاء الساتر كالاسنة والسنان كنت الشيء في كمة اذا جعلته فيها وأكنة أخصفة قال مجاهد فى أكنة كالحبة للسبل وجعل هنا للتصوير ويعنى خلق او ألقى والجله مستأنفة للاخبار بضمونها وأحالية اى وقد جعلنا على قلوبهم أسماعا عظيمة كراهة (ان يفقهوه) اى القرآن أولئلا يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) اى صموا وقلعوا ليقال وقرت أذنه تقرأ أى صمت وقريء وقريء بكسر الواو اى جعل فى آذانهم مسامعا عن استماع القول على التشبيه بوقر البعير والجار وهو مقدار ما ينطق أن يحمله والحاصل ان المادة تدل على النقل والرزاق ومنه والقار للتودد والسكينة وذ كرالوقر والاكنة تمثيل لقرط

نهي عن قيل وقال اى الذى يكتر من الحديث عما يقول الناس من غير تدبر ولا تدبر ولا تدبر ولا تدبر اى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بنس مطية الرجل زعموا في الصحيح من حديث جديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين ولئذ كرهنا حديث عمر ابن الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاق نساء ما بخاف من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستفهمه أطلقت نساءه فقال لا فقلت الله أكروذ كرا الحديث بطوله وعند مسلم فقلت أطلقتهن فقال لا فقلت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذا عابوا به ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا استنبطت ذلك الامر ومعنى يستنبطونه اى يستخرجونه من معاذنه يقال استنبط الرجل العين اذا حفرها واستخرجها من قمارها وقوله لا اتبعتم الشيطان الا قليلا قال

علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعنى المؤمنين وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة لا اتبعتم الشيطان الا قليلا يعنى بعدكم كماكم واستشهدوا بنصر هذا القول بقول الطرماح بن حكيم في مدح يزيد بن المهلب أتمت ندى كثير النوادي • قلل المثالب والقادحة يعنى لا مثالبه ولا قادحة فيه (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك) وحرص المؤمنين عسي الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا من يشق شعاعة حسنة يكن له نصيب منها

ون يشفع شاعة سيئة بكن له كل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً . وأذا حدىتم بفتح حوايا حسن منها أو رددوها أن الله كان على كل شيء حسيباً الله لا اله الا هو اجمعناكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثاً) يا هرثي الله عليه وسلم ان يباشر القتال نفسه ومن نكل عنه فلا عليه منه ولا هذا قال لا تكذب الا نفسك قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حنيفة حدثنا محمد بن عمرو بن نعيم حدثنا احكام حدثنا الجراح الكندي عن ابي اسحق قال سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقي المائنة من العدو فقاتل فيكون ممن قال الله فيه ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال قد قال الله تعالى لنبيه فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك

وحرص المؤمنين ورواه الامام أحمد عن سليمان بن داود عن ابي بكر بن عتاش عن ابي اسحق قال قلت للبراء الرجل يحمل على المشركين فهو ممن ألقي سيده الى التهلكة قال لان الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم وقال فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك انما ذلك في النفقة وكذا رواه ابن مردويه عن طريق ابي ابي بكر بن عتاش وعلي بن صالح عن ابي اسحق عن البراء ثم قال ابن مردويه حديث ثاسل بن ابي أحمد حدثنا أحمد بن النضر العسكري حدثنا مسلم بن عبيد الرحمن الحارثي حدثنا محمد بن جهم حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحق عن البراء قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرص المؤمنين الآية قال لا يحاييه قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا وحديث غريب وقوله وحرص المؤمنين أي على القتال وحرصهم فيه ومعهم عليه كما قال لهم صلى الله عليه وسلم لم يدروا هو

بعدهم عن فهم الحق وسماعه كأن قلوبهم لا تعقل وأسماعهم لا تدرك قال قتادة يسمعون بأذانهم ولا يعون منه شيئاً كمثل البهيمة التي لا تسمع النداء ولا تدري ما يقال لها (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) أي ينسئ من الآيات التي يرونها من المعجزات وتوهمها العنادهم وتغريهم (حتى) هي الاستدائية التي تقع بعد هذا الجمل والمعنى انهم بلغوا من الكفر والعناد الى انهم (أذا جأؤك بجنادك) أي مجادلين مختصين لا مؤمنين بها ولم يكتفوا بمجرد عدم الايمان بل (يقول الذين كفروا ان هذا القرآن (الأساطير الاولين) وقيل هي الجارة والمعنى حتى وقت مجيئهم مجادلين يقولون ذلك وهذا غاية التكذيب ونهاية العناد والاساطير قال الزجاج واحداها اسطار وقال الاخفش اسطورة وقال أبو عبيدة اسطورة وقال النحاس اسطورة وقال القشيري اسطير وقيل هو جمع لا واحده كعباديد وأبواب وظاهر كلام الراغب انه جمع سطر والمعنى ما سطره الاولون في الكتب من القصص والاحاديث قال الجوهري الاساطير الاباطيل والتهافت وقال السدي أساطير الاولين وقال ابن عباس أحاديث الاولين وقال قتادة كذب الاولين وباطلهم (وهم يبهنون عنه) أي ينهين المشركون الناس عن الايمان بالقرآن أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويعيدونهم في أنفسهم عنه وقال ابن عباس لا يلقونه ولا يدعون أحداً يأتيه وعن محمد بن الحنفية قال كفار مكة كانوا يدفعون الناس عنه ولا يجيبونه وعن سعيد بن جلال قال نزلت في عومة التي صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في الغلاية وأشد الناس عليه في السر وعن ابن عباس قال يبهنون عنه الناس ان يؤمنوا به ويؤمنوا به أي يتابعون باقتسامهم فلا يؤمنون وعنه قال نزلت في أبي طالب كان ينهين المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتابعه عما جاء به وعن القاسم بن الحخير وعطاء بن موهو الاول وأولى (وان) أي ما (يملكون) بما يقع منهم من النهي والنأي (الأنفسهم) يعرضهم للعذاب الله وسخطه (و) الحال انهم ما يشعرون بهذا البلا الذي جلت وعلى أنفسهم (ولو ترى) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من ساقى منه الرؤية وغيره من المستقبل أي يوم القيامة بلفظ الماضي تنبيه على تحقق وقوعه كما ذكره علماء المعاني (أذوقوا على النار) معناه حبسوا عليها فقال وقفته وقتا ووقف ووقفاً وقيل معناه ادخلوها فيكون على معنى في وقيل هي بمعنى الباء أي وقفوا بالنار

يسرى الصفوف قوا والي الجنة غفرها السموات والأرض وقد وردت أحاديث كثيرة في التغيب في ذلك فمن ذلك ما رواه البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقاً على الله ان يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا تبشر الناس بذلك فقال ان في الجنة ما تدرجوا عندها الله للعجايب في سبيل الله بين كل درجتين كابين السحاب والارض فاذا سالتم الله فاسألو الله الفردوس فانه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرق انهار الجنة وروي عن ابي حنيفة عن ابي الدرداء عن ابي سعيد

انتم ادرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا سعيد من رضى بالله ربا وبالله ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسلاً فليسوا
رجبت له الجنة قال فنجبت لها ابو سعيد فقال اعد خا على يا رسول الله ففعل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرى رفع الله
العبد ما لم يدرجه في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجنة في سبيل الله رواه مسلم
وقوله عن الله ان يكف باس الذين كفروا الى بحر يمسك اياهم على القتال تبعث همهم على مناجرة الاعباد ومذاقهم عن حوزة
الاسلام وادله ومقاومتهم ومصابرتهم (١٥٢) وقوله تعالى والله اشد باساً واشد تكيلاً اى هو قادر عليهم فى الدنيا

والآخرة كما قال تعالى ذلك ولو شاء الله لا اتصرت منهم ولكن ليسوا
بعضكم ببعض الآية وقوله من
يشفع شفاعة حسنة يمكن له نصيب
منها اى من يسعى فى امر فيرتب
عليه خير كان له نصيب من ذلك
ومن يشفع شفاعة سيئة يمكن له كفل
منها اى يكون عليه وزر من ذلك
الامر الذى ترتب على سعيه ونسبه كما
ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اشفعوا تؤجروا
ويقضى الله على اسان نبيه ماشاء
وقال مجاهد بن جبر نزلت هذه
الآيات فى شفاعات الناس بعضهم
لبعض وقال الحسن البصرى قال
الله تعالى من يشفع ولم يقل من يشفع
وقوله وكان الله على كل شئ مقبلاً
قال ابن عباس وعطاء وطه وقرادة
ومطر الوراق مقبلاً اى حفيظاً وقال
مجاهد شهيد اوفى رواية عنه حبيباً
وقال سعيد بن جبيرة والسدى وابن
زيد قديرا وقال عبد الله بن كثير
المقتب المواظب وقال الضحاك
المقتب الرزاق وقال ابن ابي حاتم
حدثنا ابى حنيفة عبد الرحيم بن
مطرف حدثنا عيسى بن نونس

عن اسمعيل عن رجل عن عبد الله بن ربيعة وسأله رجل عن قول الله تعالى وكان الله على كل شئ مقبلاً فقلت
لكل انسان بقدر عمله وقوله واذا حبيبتهم بقية فحبوا احسن منها اوردوها اى اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه افضل مما سلم اوردوا
عليه بعمل ما سلم فالزيادة سندوبة والمخالفة مفروضة قال ابن جرير حدثنا موسى بن سهل الرملى حدثنا عبد الله بن السرى الالطاكى
حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الاحول عن ابى عثمان التهمسدى عن سلمان الفارسى قال جاء رجلى الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله ثم جاء آخر فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله فقال له

فقل وعليكم وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسدوا اليهود والنصارى بالسلام واذ القيتوهم في طريق فاضربوهم الى أضيقه وقال سفيان الثوري عن رجل عن الحسن البصري قال السلام تطوع والرد فرضة وهذا الذي قاله هو قول العلماء فاطبة ان الرد واجب على من سلم عليه فإثم ان لم يفعل لانه خالف أمر الله في قوله فاضربوهم منها وأوردوها وقد جاء في الحديث الذي رواه (١) وقوله الله لا اله الا هو اخبار بتوحيده وتقريرا بالالهية لجميع المخالقات وتضمن قسم القول ليجع عنكم الى يوم القيامة لارب (١٥٤) فيه وهذه اللام موطئة للقسم فقوله الله لا اله الا هو خبر وقسم انه سيجع

والالف واللام في الساعة الغلبة كالنجم والثريا لانها غلبت على يوم القيامة وقيل المراد بالساعة وقت مقدمات الموت قال الكلام على حذف المضاف أي جاءتهم مقدمات الساعة وهي الموت وما فيه من الاحوال وقيل وهذا التحسروان كان يعترهم عند الموت لكن لما كان الموت من مبادئ الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم من مات فقد قامت قيامته والاول أظهر (قالوا) أي منكمو والبث وهم كفار قرش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد (يا حسرتنا) أو قهوا النداء على الحسرة وليست بتنادي في الحقيقة ليدل ذلك على كثرة تحسروهم والمعنى يا حسرتنا احضري فهذا أو انك كذا قال سيويه في هذا النداء أمثاله كقولهم يا للعجب وباللحج وبالرجال وقيل هو تنبيه للناس على عظم ما يحل بهم من الحسرة كأنهم قالوا يا أيها الناس تنهوا على ما نزل بآمن الحسرة والحسرة الندم الشديد والتلف والتحسر على الشيء الفاتت والمراد تنبيه المخاطبين على وقوع الحسرة بهم (على ما فرطنا فيها) أي على قفر بطننا في الساعة أي في الاعتدال لها والاحتفال بشأنها والتصديق بها ومعنى فرطنا ضيعنا وأصله التقدم يقال فرط فلان أي تقدم وسبق الى الماء ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا فرطكم على الحوض ومنه النار أي المتقدم فكانهم أرادوا بقولهم على ما قدمنا من عجزنا عن التصديق بالساعة والاعتدال لها وقيل التفریط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقال ابن جرير الطبري ان الضمير في فرطنا فيرجع الى الصفقة وذلك لانهم اساءوا لهم خسرا صفتهم ببيعهم الايمان الكفر والندب بالآخره قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا في صفقتنا وان لم تذكري الكلام فهو دال عليها لان الخسران لا يكون الا في ما وقيل الضمير راجع الى الحماة أي علي ما فرطنا في حياتنا وقيل الى الدنيا لانهم اوضاع التفریط في الاعمال الصالحة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والخطيب بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله يا حسرتنا قال الحسرة ان يرى أهل النار سائرهم من الجنة قتلت الحسرة (وهم يحملون أوزارهم) أي يقولون تلك المقالة والحال انهم يحملون ذنوبهم وأثقال خطاياهم والاوزار جمع وزر يقال وزر زرعوه وازر وموزروا أصله من الوزر قال أبو عبيدة يقال للرجل اذا بط توبه فجعل فيها المتاع اجل وزرك أي ثقلك ومنه الوزر لانه يحمل أثقال ما يسند اليه من تدبير الولاية والحاصل ان

الاولين والآخرين في صعيد واحد فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى ومن أصدق من الله حديثا أي لأحد أصدق منه في حديثه وخبره ووعدته ووعيده فلا اله الا هو ولا رب سواه (فالكلم في المتأقين فثبت والله أركسهم عما كسبوا أتريدون أن تهودوا من أضل الله ومن يضلل الله فان تجده سبيلا ودوا لوه كفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولما ولا نصرا الا الذين يصلون الى قوم ينكحون بينهم ميثاقا وجاءكم حصرت صدورهم ان يقاتلوك أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوك فان اعتزلوك فكم يقاتلوك وألقوا اليكم السلم فاجعل الله لكم عليهم سبيلا سيجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأسنوا قومهم كلما ردوا الى القنصة أركسوا فيها فان لم يقاتلوك ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم

حيث نقده وهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطا مميثا) يقول تعالى منكرنا على المؤمنين في اختلافهم في المتأقين هذه على قولنا واختلف في سبب ذلك فقال الامام أحمد حدثنا به حديثا شعبة قال عدى بن ثابت أخبرني عن عبد الله بن زيد عن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى أحد فخرج ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا هم المؤمنون فآثر الله في الكلم في المتأقين فثبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما طيبة وانها تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الحديد أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة وقد ذكر محمد بن اسحق بن يسار في وقعة (١) بياض بالاصل

أحدان عبد الله بن أبي بن سائل رجوع ومثذبث الجيش رجع ثلثمائة وبقي النبي صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وقال العوفي
عن ابن عباس نزلت في قوم كانوا عكة قد تكلموا بالاسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجتهم فقالوا ان
لقد أحببنا محمد فليس علينا منهم بأس وان المؤمنين لنا أخبروا انهم قد خرجوا من مكة قالت فتة من المؤمنين اركبوا الى الجبنة
فقاتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم وقالت فتة أخرى من المؤمنين سبحان الله وكافوا قالوا أفتقاتلون قوما قد تكلموا بعمل ما نكلمكم
به من أجل انهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم وأموالهم (١٥٥) فكانوا كذلك فتنة والرسول عندهم

لا ينهى واحدان من الفريقين عن
شيء فنزلت فيكم في المنافقين
فتنة رواه ابن أبي حاتم وقد روى
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعكرمة
ومجاهدوا الضحالك وغيرهم قريب من
هذا وقيل زيد بن أسلم عن ابن سعد
ابن معاذ انها نزلت في تقاول الاوس
والخزرج في شأن عبد الله بن أبي
حين استعذروا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المنبر في قضية الافك
وهذا غريب وقيل غير ذلك وقوله
تعالى والله أركبهم عما كسبوا
أي رددهم وأوقعهم في الخطا قال
ابن عباس أركبهم أي أوقعهم
وقال قتادة أهلكتهم وقال السدي
أضلهم وقوله بما كسبوا أي
بسبب عصيانهم وخالفهم الرسول
واساعهم الباطل أثر يدون
ان تهودوا من أضل الله ومن
يضل الله فلن نجده سبيلاي
لا طريق له الى الهدى ولا مخلص
له اليه وقوله ودوا لوكفرون كما
كفروا فتكفون سواء أي هم
يودون لكم الضلالة تهتوا وأنتم
واياهم فيها وما ذاك الا لشدة
عداوتهم وبغضهم لكم ولهذا قال

هذه المائدة تدل على الرأفة والعظمة والمعنى انها الزمتهم الا تمام قصار ومثقلين بها (على
ظهورهم) جعلها محمولة على الظهور وتثليل ومحاز عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل
المعنى أو زارهم لا ترايلهم وقيل خص الظهور لانه يليق من الجمل ما لا يطيقه من سائر
الاعضاء كالرأس والكاهل (الاسماء مازون) أي بنس ما يجملون وقال قتادة يعملون
وقال ابن عباس بنس الجمل جعلوا (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو) أي وما متاع الدنيا على
حذف مضاف وما الدنيا من حيث هي الا باطل وغرور لا بقاء لها والقصد بالآية تكذيب
الكفار في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا واللعب والمعروف وكذلك اللهو وتكليف خلاف فقد
أهلأه وقيل أصله الصرف عن الشيء وديان اللهو بمعنى الصرف لا مدياء يقال لهيبت عنه
ولام اللهو واو يقال لهيوت بكذا قال ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والتناق وقيل
هذا عام في حياة المؤمن والكافر وقيل ان أمر الدنيا والعمل لها لعب ولهو فاما فعل الخير
والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه في الدنيا وقيل غير ذلك والاول أولى
وقيل اللعب ما يشغل النفس عما تستغ به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل (وللدار
الآخرة) يعني الجنة التي هي محل الحياة الأخرى وقرئ ولدار الآخرة بالاضافة وفيه
تأويلان ذكرهما السمين واللام فيه لام القسم وميت آخرة لتأخرها عن الدنيا أي هي
(خير) من الحياة الدنيا لان منافعها خالصة عن المضار ولذا انها غير متعبة للآلام بل
مستورة على الدوام (لذلك يتقون) الشرك واللعب واللهو والمعاصي وفيه دليل على
ان ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو (أفلا تعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فعملون
لها (قد علم انه ليحزنك الذي يدعون) هذا الكلام مبتدأ موق لتسليه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عما ناله من التهم والحزن بتكذيب الكفار له ودخول قلة التكفير فانها
قد تأتي لفادته كما تأتي رب والضمير في الله لسان (فانهم) الشاء للتعليل (لا يكذبونك) في
السر لعلمهم انك صادق قرئ شددوا تخفذا ومعنى المشددا بنسبوك الى الكذب ولا
يردون عليك ما قلته في السر لانهم عرفوا انك صادق ومعنى الخفف انهم لا يجدونك كذبا
يقال أكتبه وجدته كذا او أخطئته وجدته بخيلا وحكي الكسافي عن العرب أكتبت
الرجل أخبرته انه جاء بالكذب وكذبته أخبرته انه كاذب وقال الزجاج كذبته اذا قلت له
كذبت وأكذبته اذا أردت ان مجابهة كذب والمعنى ان تكذيبهم ليس يرجع اليك فانهم

فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا أي تركوا والهمزة قاله العوفي عن ابن عباس وقال السدي
أظهروا كثرهم غفروهم واقتلواهم حيث وجدتموهم ولا تقخذوا منهم وليا ولا نصيرا أي لا تولوهم ولا تستصروهم على
اعداء الله ماداموا كذلك ثم استثنى الله من هؤلاء فقال الا الذين يصلون الى قوم بينهم وبينهم ميثاق أي الا الذين يلجؤا
ويتحصنوا الى قوم بينهم وبينهم مهادنة أو عهدة مدنية فاجعلوا حكمهم كحكمهم وهذا قول السدي وابن زيد وابن جرير
وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جابر بن سمرة عن علي بن زيد بن جندب عن الحسن أن مبراة

ابن مالك المدلجي حدثهم قال لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أهل بدر وأحد واسلم من حولهم قال سر اقبلوا بلقي الله
يريد ان يبعث خالد بن الوليد الى قومي بني مدلج فأتته فقلت أنت ذلك النعمة فقالوا صه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعوه
ما تريد قال بلقي أنت تريد ان تبعث الى قومي وأنا أريد ان توادعهم فان أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الاسلام وان لم يسلموا لم يحزن
بقاوب قومك عليهم فآخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يد خالد بن الوليد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالهم خالد
على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فانزل الله ودواؤا لوكفرون

كما كفروا فافتكفون سواء فلا تتخذوا
منهم أولياء ورواه ابن مردويه
من طريق جاذب بن سلفة قال فانزل
الله الا الذين يصلون الى قوم بينكم
وبينهم يشاق فكان من وصل
اليهم كان معهم على عهدهم وهذا
انصب لسياق الكلام وفي صحيح
البخاري في قصة صلح الحديبية فكان
من أحب ان يدخل في صلح قريش
وعهدهم ومن أحب ان يدخل في
صلح محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه
وعهدهم وقد روى عن ابن عباس
انه قال نسخها قوله فاذا انسليخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث
وجدتهم قوله الآية وقوله أو جأؤكم
حصرت صدورهم الآية هؤلاء
قوم آخرون من المستنئين من الامر
بتتاليهم وهم الذين يجيئون الى
المصاف وهم حصرة صدورهم أي
ضيقة صدورهم متقبضين ان
يقاؤكم ولا يهون عليهم ايضا ان
يقاؤا قومهم معكم بل هم لا لكم
ولا عليكم ولو شاء الله اسلبهم
عليكم فلقاؤكم أي من لطفه
بكم ان كفهم عنكم فان اعتزلكم
فلم يقاؤكم وأتوا اليكم السلم أي

المسالمة فاجعل الله لكم عليهم سبيلا أي فليس لكم ان تقتلواهم مادامت حالهم كذلك هؤلاء كالجاعة الذين
خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين فخصروا والقتال وهم كارهون كالعباس وشيوخه ولهذا منى النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قتل العباس وأمر بأسره وقوله سجدون آخرون يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم الآية هؤلاء في الصورة الظاهرة
مكّن تقدّمهم ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك فان هؤلاء قوم منافقون يظهرون للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه الاسلام ليأمنوا
بذلك عندهم على دماّنهم وأموالهم وذراريهم ويهانهون الكفار في الباطن فيعبدون معهم ما يعبدون ليأمنوا بذلك عندهم

وهم في الباطن مع أولئك كما قال تعالى وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا ١١٠ يَعْلَمُ قُلُوبَهُمْ وقال ههنا كلادوا إلى الفتنة أركسوا فيها أي انهم كوا فيها وقال السدي الفتنة ههنا الشر وكى ابن جرير عن مجاهد أنها نزلت في قوم من أهل مكة كأنوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون ويأثمون يرجعون إلى قريش فيرتكبون في الأوثان يتغنون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا فامر بقتلهم أن لم يعتزلوا ويصلحوا ولهذا قال تعالى فإن لم يعتزلوكم ولم ينصروكم فليكن السليم المهادنة والصلح ويكونوا فيكم أي من أم عن القتال أخذوهم أسرا وأقتلواهم حيث تفتقروهم (١٥٧) أي أين لقتية وهم وأولئك جعلنا لكم

عليهم سلطانا من أينما أتوا أي أينما وأخبرنا

وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا

خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتكر

رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا

أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو

لكم وهو مؤمن فتكر رقبته مؤمنة

وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق

فدفع المسلمة إلى أهله وتكر رقبته

مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين

متتابعين أو بة من الله وكان الله

عليها حكما ومن يقتل مؤمنا

متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها

وغضب الله عليه ولنه وأعد له

عذابا عظيما يقول تعالى ليس

لمؤمن أن يقتل أخاه المؤمن وبوجه

من الوجوه كائنت في الصحبة عن

ابن مسعود أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم

يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله

إلا بحد ثلاث النفس بالنفس

والنفس الزانی والتارك لدينه

المفارق للجماعة ثم إذا وقع شيء من

هذه الثلاث فليس لاحد من أحاد

الجمعة أن يقتله وإنما ذلك إلى

الامام وأئمة وقوله الخطأ قالوا

هو استثناء منقطع كقول الشاعر

زيادتها في الواجب (وإن كان كبر عليك أعراسهم) كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكبر عليه أعراس قومه ويتعاطاه ويحزن له فينبه الله سبحانه أن هذا الذي وقع منهم من توليهم عن الإجابة له والاعراض عما دعا إليه هو كائن لاختلاف المسبق في علم الله عز وجل وليس في استطاعته وقدرته إصلاحهم وإجابتهم قبل أن يأذن الله بذلك ثم علق ذلك بما هو محال فقال (فإن استطعت أن تبقي نفقا في الأرض) فتأتيهم بآية منه (أو سلماني السماء فتأتيهم بآية) منها فافعل ولذلك لا تستطيع ذلك فدفع الحزن ولا تذهب نفسك عليهم حسرات وما أنت عليهم بصيروط والتفق السرب والمنف ذومنه النافقاء طحرا ليرجع ومنه المنافق وقد تقدم في البقرة ما يعني عن الأعادة والسلم الدرج الذي يرتقي عليه وهو مذكر لا يؤنث وقال القرطبي أنه يؤنث قال الزجاج وهو مشتق من السلامة لأنه يسلك به إلى موضع الأمان وقيل المصد وقيل السبب ثم قيل إن الخطأ وإن كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد به أمته لأنها كانت تفسق صدورهم بترك الكفر وتقصيمهم على كفرهم ولا يشعرون أن الله سبحانه في ذلك حكمة لا تبلغها العقول ولا تدركها الأنفهام فإن الله سبحانه لو جازم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بآية تقطرهم إلى الأيان لم يبق للتكليف الذي هو الابتلاء والامتحان معنى ولهذا قال (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) ولكنه لم شاء ذلك ولله الحكمة البالغة (فلا تكونون من الجاهلين) فإن شدة الحرص والحزن لأعراض الكفار عن الإجابة قبل أن يأذن الله بذلك هو ضياع أهل الجبل ولسبب منهم دفع الأمور منقوضة إلى عالم الغيب والشهادة فوهم أعلم عايف المصلحة ولا تحزن لعدم حصول ما يطلبونهم من الآيات التي لو بد لهم بعضها لكان إيمانهم بها واضطرابا آخر وجهه عن الحكمة التشرعية المؤسسة على الاختيار واتخاذها عن هذه وغلظ له الخطأ بتعبد الله عن هذه الحالة (إنما يسجيب) لك إلى ما تدعوا إليه (الذين يسعون) سماع تفهم عما تقتضيه العقول وتوجهه الأنفهام وهو لا يسوا كذلك بل هم غزلة الموتى لا يسمعون ولا يعقلون لما جعلنا على قلوبهم من الأكنة وفي آذانهم من الوقر ولهذا قال (والموتى) شبههم بالأموات بجماع أنهم جميعا لا يفهمون الصواب ولا يعقلون الحق (يعتصم الله) يوم القيامة أي أن هؤلاء لا يلجئهم إلى الله إلا العيان وإن كان قادرا على ذلك كما يقدر على بعثة الموتى للحساب (ثم إليه يرجعون) فيجازي كل بما يليق به كما تقتضيه حكمته البالغة (وقالوا ألا نزل عليه آية

من البيض لم يظن بعيدا ولم يبط * على الأرض الأريب ردم رجل ولهذا شواهد كثيرة واختلاف في سبب نزول هذه فقال مجاهد وغير واحد نزلت في عباس بن أبي ربيعة أعمى أي جهل لانه هو هي أسماء بنت خزيمة وذلك أنه قتل رجلا يعبده مع أخيه على الإسلام وهو الحرث بن زيد الغامدي فاضمر له عباس السوء فاسلم ذلك الرجل وهاجر وعاش لا يشعر فلما كان يوم الفتح رآه فظن أنه على دينه فحمل عليه فقتله فانزل الله هذه الآية قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أبي الدرداء لانه قتل رجلا وقد قال كلمة الإيمان حين رفع عليه السيف فاهوى به إليه فقال كلمته فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال إنما قالها عترة وقد

فقال له لعل شئت عن قلبه وهذه القصة في الصحيح لغير أبي الدرداء وقوله ومن قتل مؤمنا خطأ فقتل بر رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله هذان واجبان في قتل الخطأ أحدهما الكفار قلنا ارتكبه من الذنب العظيم وإن كان خطأ ومن شرطها أن تكون عتق رقبة مؤمنة فلا تجزئ الكافرة وحكي ابن جرير عن ابن عباس والشعبي وأبراهيم النخعي والحسن البصري أنهم قالوا لا يجزئ الصغر حتى يكون قاصدا للإيمان وروى من طريق عبد الرزاق عن معمر بن قنادة قال في حرف أبي فقتل بر رقبة مؤمنة ولا يجزئ فيها صبي واختار ابن جرير أنه إن كان موجودا (١٥٨) بين اثنين مسلمين أجزأ أو الأفلأ والذي عليه الجمهور أنه متى كان مسلما

معتق عتقه عن الكفار سواء كان صغيرا أو كبيرا قال الإمام أحمد أبنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن رجل من الأنصار أنه جاءه سواداء فقال يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد أن لا إله إلا الله قالت نعم قال أتشهد أن لا إله إلا الله قالت نعم قال أتؤمن بالبعث بعد الموت قالت نعم قال أعتقها وهذا اسناد صحيح وجهالة الصحابي لا تضره وفي موطأ مالك ومسنند الشافعي وأحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي من طريق هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم أنها جاءه بثلث البخارية السوداء قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أعتقها فإنها مؤمنة وقوله ودية مسلمة إلى أهلها هو الواجب الثاني فيما بين القاتل وأهل القتل عوضا لهم عما فاتهم من قتلهم وهذه الدية إنما تجب أخماسا كما رواه الإمام

من ربه) هذا كان منهم تعسفا ومكاره حيث لم يعتدوا بعاقدة أمره الله على رسوله من الآيات البينات التي من جملتها القرآن وقد علموا أنهم قد عجزوا عن أن يأتوا بسورة مثله ومراهم بالآية نهائهم التي تضطرهم إلى الإيمان كنزول الملائكة بمنزلة منهم ومسمع أو تنق الجبل كما رقع لبنى إسرائيل فأمره الله سبحانه أن يطيعهم فقال (قل إن الله قادر على أن ينزل) على رسوله (آية) تضطرهم إلى الإيمان ولكنه ما نزل ذلك لتظهر فائدة التكليف الذي هو الابتلاء والامتحان وأيضا لآية ما طلبوا إليه بعد نزولها بل سيعاجلهم بالعقوبة إذا لم يؤمنوا قال الزجاج طلبوا أن يجمعهم على الهدى (ولكن أكرمهم لا يعلمون) إن الله قادر على ذلك وأنه ترك حكمه بالعبادة لا بلغها عقولهم وإن نزولها بلاء عليهم لعدم نفعهم ووجوب هلاكهم إن جحدوا كما هو سنة الله (وما من دابة) تقع على المذكر والمؤنث من دب يدب فهو داب إذا مشى مشيا فيه تقارب خطوهم وقد تقدم بيان ذلك في البقرة وهذا كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على تنزيل الآية وأنما لم ينزلها محافضة على الحكم البالغة (في الأرض) إنما خص ما في الأرض بالذكور دون ما في السماء وإن كان ما في السماء مخلوقا له لأن الاحتياج بالمشاهد أظهر وأولى بمال البشاهد (ولا طائر يطير) يقال طار إذا أسرع قال أهل العلم جسد ما خلق الله لا يجزئ عن هاتين الحالتين أما أن يدب على الأرض أو يطير في الهواء حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير لأن الحيتان تسبح في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وذكر (بجناحيه) لدفع الإبهام لأن العرب تستعمل الطيران لغير الطير كقولهم طير في حاجة أي أسرع وقيل إن اعتدال جسد الطائر بين الجناحين يعينه على الطيران ومع عدم الاعتدال يميل فاعلمنا سبحانه أن الطيران بالجناحين وقيل ذكر الجناحين للتأكيد كضرب يسدوا بصبر بعينه ونحو ذلك والجناح أحد ناحيتي الطير الذي يتمكن به من الطيران في الهواء وأصله الميل إلى ناحية من النواحي والمعنى ما من دابة من الدواب التي تدب في أي مكان من أمكنة الأرض ولا طائر يطير في أي ناحية من نواحيها (الآدم أمثالكم) أي طوائف مختلفة وجناعات كل أمة منهم أمثالكم خلقهم الله كما خلقكم وورقهم كما ورقكم داخل تحت علمه وتقديره واحاطته بكل شيء وقيل أمثالكم في ذكر الله والدلالة عليه وقيل أمثالكم في كونهم محشورين روى ذلك عن أبي هريرة وقال مسكين

أحمد وأهل السنن من حديث الخليل بن أرطاة عن زيد بن جبير عن خشف بن مالك عن ابن مسعود قال قضى رسول الله ابن صلى الله عليه وسلم في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بنت لبون وعشرين بنت جعدة وعشرين بنت حمة لفظ النسائي قال الترمذي لا نعرفه من قواعده الأمن هذا الوجه وقد روى عن عبد الله موقوفا كما روى عن علي وطائفة وقيل يجب أرباعا وهذه الدية إنما تجب على عاقلة القاتل لا في ماله قال الشافعي رحمه الله أعلم خالفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدية على العاقلة وهو أكثر من حديث الخاصة وهذا الذي أشار إليه رحمه الله قد ثبت في غيره ما حديث في ذلك ما ثبت

في الصحيحين عن أبي هريرة قال اقتلت امرأتان من هذيل فرمت احدهما الاخرى بحجر فقتلتا وما في بطنهما فاخصه والى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصى ان دية جنيته اغرة عبد أو أمة وقضى بدية المرأة على عاقلتها وهذا يقتضي ان حكم عمدا لخطا حكم الخطا المحض في وجوب الدية لكن هذا يجب فيه الدية اثلاثا لشبهة العمد وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى بني جذيمة فدعاهم الى الاسلام فلم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا فعلموا يقولون صبانا صبانا فجعل خالد يقتلهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع عليه (١٥٩) وقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد

وبعث علفا فودى قتلاهم وما أتلف من أموالهم حتى مبلغ الكاب وهذا الحديث يؤخذ منه ان خطا الامام أو نائبه بكونه في بيت المال وقوله الا ان يصدقوا أي فجب فيه الدية مسلمة الى أهله الا ان تصدقوا به فلا تجب وقوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فقتل برقبة مؤمنة أي اذا كان القاتل مؤمنا ولكن أولياؤه من الكفار أهل حرب فلا دية لهم وعلى القاتل تحرير رقبة مؤمنة لا غير وقوله وان كان من قوم ينكمس وبينهم مشاق الاية أي فان كان القاتل أولياؤه أهل ذمة أو هدنة فلهم دية قتلهم فان كان مؤمنا فدية كاملة وكذا ان كان كافرا أيضا عند طائفة من العلماء وقيل يجب في الكافر نصف دية المسلم وقيل ثلثها كما هو مفصل في كتاب الاحكام ويجب أيضا على القاتل تحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين أي لا فطر بينهما بل يسردصومهما الى آخرهما فان أفطر من غير عذر من مرض أو حياء أو نفاس استأنف واختلق وفي السفر هل يقطع أم لا على قولين وقوله توبة

ابن عيينة أي ما من صنف من الدواب والطيور الا في الناس شبه منه فتم من يعدو كالاسد ومنهم من يشبه كالخنزير ومنهم من يعوى كالكلب ومنهم من يزهو كالطاوس وقيل أمثالكم في انها أسماع تعرف بها قاله مجاهد وقال الزجاج أمثالكم في الخلق والرزق والموت والبعث والاقتصاص والاولى ان يحمل المماثلة على كل ما يمكن وجود شبهه فيه كالثما كان وعن قتادة قال الطير أمة والانسان أمة والجن أمة وعن السدي قال خلق أمثالكم وعن ابن جرير قال الذرة قافوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب ويدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لولان الكلاب أمة من الامم لا حشر يقتلها فاقصوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي (ما نرطنا) أي ما غفلنا ولا أهملنا ولا ضيعنا (في الكلاب من) حريدة لاستغراق (شيء) والجملة اعتراضية مقربة لذهنون ما قبلها والمراد بالكلاب اللوح المحفوظ فان الله أثبت فيه جميع الحوادث وعلى هذا فالعموم ظاهر وقيل المراد به القرآن أي ما ترك في القرآن من شيء من أمر الدين ما انفصلا وأجبالا ومثله قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقال وأنزّلنا إليك الذكريتين للناس ما نزل إليهم ومن جملة ما أجله في الكتاب العزيز قوله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وفارفي هذه الاية بتابع ماسه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكل حكم سنه الرسول لامتة قد ذكره الله سبحانه في كتابه العزيز بهذه الاية ونحو قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وبقوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (ثم ارجعهم يحشرون) يعني الامم المذكورة من الدواب والطيور ونحوها بصيغة جمع العقلاء لاجل انها مجراهم في وجوه المماثلة السابقة وفيه دلالة على انها تحشر كما يحشرون آدم وقد ذهب الى هذا جمع من العلماء ومنهم أبو ذر وأبو هريرة والحنبل وغيرهم وذهب ابن عباس الى ان حشرها موتها وبه قال الغزالي والاول ارجح للاية ولما صح في السنة المطهرة من انه بقاديم القيامة للشاة الجحامة من الشاة القرناء وقول الله تعالى واذا الوحوش حشرت وذهبت طائفة من العلماء الى ان المراد بالحشر المذكور في الاية حشر الكفار وما تخلل كلامه معترض قالوا أو ما الحديث فالمراد به القاتل على جهته تعظيم أمر الحساب والقصاص واستدلوا أيضا بان في هذا الحديث خارج الصحيح عن بعض الروايات زيادة ونقطة حتى يقال للشاة

من الله وكان الله عليه احكام أي هذه توبة القاتل خطا اذا لم يجد صام شهرين متتابعين واختلقوا فيه ان لا يستطيع الصيام هل يجب عليه اطعام مسكينين مسكنا كما في كفارة الظهار على قولين أحدهما نعم كما هو مخصوص عليه في كفارة الطهارا وانما لم يذكر ههنا لان هذا مقام تهديد وتخويف وتحذير فلا يناسب ان يذكر فيه الاطعام لما فيه من التسميل والترخيص والقول الثاني لا يدل الى الطعام لاندلو كان واجبا لما أخرجه عن وقت الحاجة وكان الله عليه احكام فقد تقدم تفسير غير مرة ثم انما بين تعالى حكم القاتل الخطا شرع في بيان حكم القتل العمد فقال ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية وهذا تمديد شديد وعبد الله كيدل

تعالى هذا الذنب العظيم الذي هو معروف بالشر لنا بقية في غير ما آتت في كتاب الله حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آترو ولا يقتلون النفس التي حرم الله الاباحق الا يقول تعالى بل تعالوا نأمر ما حرم ربكم عليكم ان لا تفسر كواهب شي الا بالآيات والاحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يقتضى بين الناس حرم القصاص في السماء وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود ومن رواه عمرو بن الوليد بن عبد الله المصري عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله (١٦٠) صلى الله عليه وسلم لا يرل المؤمن معتقدا خالما لم يصب مدحا مافاد فأصاب مدحا

حر ما بلغ وفي حديث آخر لزوال الدنيا
أخون عند الله من قتل رجلا مسلم
وفي الحديث الآخر لو اجتمع أهل
السوات وأهل الارض على قتل رجل
مسلم لأكبه الله في النار وفي الحديث
الاخر من أتان على قتل مسلم
ولو بشر بكلمة يوم القيامة مكتوبا
بين عينيه آيس من رحمة الله وقد
كان ابن عباس يرى انه لا يؤبى لقتل
المؤمن عدوا وقال البخاري حدثنا
آدم حدثنا شعبة حدثنا المغيرة بن
النعمان قال سمعت ابن جبير قال
اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت
الى ابن عباس فأثمه عنها فقال
نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا
معتدا جزاؤه جهنم هي آخر ما
نزل وما نسخها شيء وكذا رواه هو
أيضا وسلم والتساوي من طرق عن
شعبة به ورواه أبو داود عن أحمد بن
حنبيل عن ابن مهدي عن سفيان
الثوري عن مغيرة بن النعمان عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في
قوله ومن يقتل مؤمنا معتدا
جزاؤه جهنم فقال ما نسخها شيء وقال
ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا
ابن عوف حدثنا شعبة عن سعيد
ابن جبيرة قال قال عبد الرحمن بن

أبزي سئل ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمنا معتدا الآية قال في هذه الآية والذين لا يدعون
مع الله الها آترو الى آخره قال نزلت في أهل الشرك وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن جندب عن منصور بن سعيد
ابن جبيرة أو حدثني الحكم عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن قوله ومن يقتل مؤمنا معتدا جزاؤه جهنم قال ان الرجل
إذا عرف الاسلام وشرايع الاسلام ثم قتل مؤمنا معتدا جزاؤه جهنم ولا يؤبى له فخذرت ذلك فجاءه فقال الامن ندم حدثنا ابن
جبيرة وابن وكيع قال احدثنا جرير عن يحيى بن الجاربري عن سالم بن ابي الجعد قال كاعتد ابن عباس بعد ما كف بصره فأنه رجل

فنادى ابا عبد الله بن عباس ما ترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا فقال جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما قال افرأت ان تاب وعمل صالحا ثم اهتدى قال ابن عباس نكته امه وأتى له التوبة والهتدى والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول نكته أمه قاتل مؤمن متعمدا جاء يوم القيامة أخذه يمينه أو بشماله تشخب أو داحجه في قبل عرش الرحمن يلزمه قاتله بشماله يده الاخرى يقول يا رب سل عبدك فيم قلني وإيم الذي نفس عبد الله بيده لقد انزلت هذه الآية فاستخفتم من آية حتى قبض نبيكم صلى الله (١٦١)

برهان وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة سمعت يحيى بن الجهم يحدث عن سالم بن أبي الجهم عن ابن عباس ان رجلا أتى الى فقال اربأ بت رجلا قتل رجلا عدا فقال جزاؤه جهنم خالدا فيها الآية قال القدرت من آخر ما نزل من نسخها شي حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل وسي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربأ بت ان تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال وأتى له بالتوبة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نكته أمه رجل قتل رجلا متعمدا يحيى يوم القيامة آخذ أقاله يمينه أو يساره وأخذ رأسه يمينه أو بشماله تشخب أو داحجه ما قبل العرش يقول يا رب سل عبدك فيم قلني وقد رواه النسائي عن قتيبة وابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن عمار الزهري ويحيى الجابري وثابت الثمالي عن سالم ابن أبي الجهم عن ابن عباس فذكره وقد روى هذا عن ابن

اطالة كثيرة لا فائدة في ذكره ههنا (ان أنما كم) كما أتى غيركم من الامم (عذاب الله) من الفرق والخلف والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب قبل الموت (أو أوتاكم الساعة) أي القيامة وقد ذكر سليمان الجلي في جواب هذا الشرط خمسة أوجه منه انه محذوف تقدس برهق تدعون أو فاذنوني عنه أو قادهوه أو دعوتهم الله ودل عليه قوله (أغير الله تدعون) هذا على طريقة التبكيت والتوبيخ أي اتدعون غير الله في هذه الحالة من الاصنام التي تعبدونها أم تدعون الله سبحانه لكشف ما حل بكم قاله أبو حيان (ان كنتم صادقين) في دعواكم ان الاصنام تضر وتنفع وانما آلهة كاذبون وهذا كما يدل ذلك التوبيخ (بل اياه تدعون) أي لا تدعون غيره بل اياه تحصون بالدعاء في كشف ما نزل بكم (فبكشف) عنكم (ما تدعون اليه) أي الى كشفه من الضر ونحوه (ان شاء) ان يكشفه عنكم لا اذا لم يشأ ذلك (وتنسون) عندنا يا نبيكم العذاب (ما تنسرون) به تعالى أي ما تنسرونه شريكه من الاصنام ونحوها فلا تدعونها ولا ترجون كشف ما بكم منها بل تعرضون عنها اعراض النامى قاله الحسن وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى وتتركون ما تنسرون (وان تدأرسلنا) كلام مبتدأ مسوق لتسليمه النبي صلى الله عليه وسلم (الى أمم كائنة (من قبلك) رسلنا فكذبوهم (فأخذناهم) أي عاقبناهم (بالأساء والضراء) أي البؤس والضر قال سعيد بن جبير خوف الساطان وغلاء العرو وقيل شدة الجوع وقيل المكروه وقيل الفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة وقيل البأساء المصائب في الاموال والضراء المصائب في الابدان من الامراض والاوراجع والزمان فوبه قال الاكثر وهما بصيغتان اثبت لأمركر لهما على أفعول كجاء القياس فانه لم يقل أضرو ولا بأس صفة بل للفضيل قاله الشهاب (لعلهم يتضرعون) أي يدعون الله بضرارة وهي الازل يقال ضرع فهو ضارع وهذا التبرجى بحسب عقول البشر (فلولا) أي فهلا (أذبحاهم باسنا تضرعوا) لنكنهم لم يتضرعوا مع قيام المقتضى له وهو البأساء والضراء وهذا اعتاب لهم على ترك الدعاء في كل الاحوال حتى عند نزول العذاب بهم لشدة تمردهم وغلوهم في الكفر ويجوز ان يكون المعنى انهم تضرعوا عند انزال بهم العذاب وذلك تضرع ضرورى لم يصدر عن اخلاص فهو غير نافع لصاحبه والاول أولى كما يدل عليه (ولكن قست) أي

(٢١ - فغ البيان ثالث) عباس من طرق كثيرة وعن ذهب الى انه لا توبة له من السلف يزيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمرو وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والشافعي من ارحم نزل ان أبي حاتم وفي الباب أحاديث كثيرة فمن ذلك ما رواه أبو بكر بن مردويه الحافظ في نفسه به حدثنا علي بن أحمد حدثنا محمد بن ابراهيم بن سعيد أبو شيبخ ح وحدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا ابن ابي عمير بن فهد قال حدثنا عيسى بن عبيدة حدثنا معمر بن سليمان عن ابيه عن الأعشى عن أبي عمرو بن شمر جيل يسانده عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى الملقب بول متعلقا بقائه يوم

القيامه آخذ رأسه بيده الأخرى فيقول يا رب سل هذا فيم قتلتي قال فية قول قتلته لتكون العزة لك قال فانهم الى قال ويحيى آخر
منه لقاءتاه فيقول رب سل هذا فيم قتلتي قال فيقول قتلته لتكون العزة لفلان قال فانهم اليست له بوعبا عنه قال فيم يوي به في النار
سبعين خري بشار قد رواه عن النسائي عن ابراهيم بن المسمر العروفي عن عرو بن عاصم عن معتمر بن سليمان به حديث آخر قال
الامام أحمد حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا ثور بن يزيد عن أبي عون عن أبي ادريس قال سمعت معاوية رضي الله عنه يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٦٢) يقول كل ذنب عسى الله انه يغفره الا الرجل يوت كافرا او الرجل يقتل

مؤمناً متعمداً وكذا رواه النسائي
عن محمد بن المثنى عن صفوان بن
عيسى به وقال ابن مردويه حدثنا
عبد الله بن جعفر حدثنا سفيان
حدثنا عبد الاعلى بن مسهر حدثنا
صدقة بن خالد حدثنا خالد بن دهقان
حدثنا ابن زكريا قال سمعت أم
الدرداء تقول سمعت أبا الدرداء يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان
يغفره الا من مات مشركاً أو من
قتل مؤمناً متعمداً وهذا غريب
جداً من هذا الوجه والمخفوظ
حديث معاوية المتقدم فآله أهل
ثم روى ابن مردويه من طريق
بقية بن الوليد عن نافع بن يزيد
حدثني ابن جبير الانصاري عن
داود بن الحصين عن نافع عن ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من قتل مؤمناً متعمداً فقد كفر
بالله عز وجل وهذا حديث منكر
أيضاً فأسأله تكلم فيه جداً قال
الامام أحمد حدثنا النضر حدثنا
سليمان بن المغيرة حدثنا حميد قال
أتاني أبو العالسة أنا وصاحب لي
فقال لنا هلمنا فاقمنا أشب ستماني

صليت وغظت فلم تضرع ولم تخشع (قلوبهم) واستمرت على ما هي عليه من المساورة ولم
تلن للإيمان وهذا الاستدراك وقع بين الضدين قال أبو السعة ودفعه ذمنا من أحسن مواقع
الاستدراك (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أي أغواهم بالتمهيم على الكفر
والاستمرار على المعاصي والجلالة استنفاضة أخرت تعالى عنهم بذلك أو دأخله في حيز
الاستدراك وهو الظاهر وهذا رأي الزخشي فانه قال لم يكن لهم عذر في ترك التضرع
الاقسوة قلوبهم وبأعاجيبهم (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به
وأعرضوا عنه لان النسيان لو كان على حقيقته لم يؤخذوا به اذ ليس هو من فعلهم وبه
قال ابن عباس وأبو علي القاسمي قال ابن جرير ما دعاهم الله اليه ورسوله أبووه وردوه عليهم
والمعنى انهم لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من البأساء والضراء وأعرضوا عن ذلك
(فحقنا) بالتحقيق والتشديد سبعين (عليهم أبواب كل شيء) أي استدرجناهم بفتح
أبواب كل نوع من أنواع الخير عليهم وبدلنا مكان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش
ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام قال مجاهد يعني رضاء الدنيا
وبسرورها ونحوه عن قتادة (حتى إذا فرحوا بما آتوا من الخير والرزق على أنواع السعة
والرخاء والمعيشة والصحة وأعجبوا بذلك وظنوا انهم انما أعطوه ليكون كفرهم الذي هم
عليه حقاً وصواباً وهذا فرح بطر وأشر كافر ح فارون لما آتوا من الدنيا (أخذناهم بقرعة)
وهم غير متيقنين لذلك والقرعة لاخذ على غرة من غير مقدمة مارة وهي مصدر في موضع
الحال لا يقياس عليه غيره عند سيدي به قال محمد بن النضر الحارثي أمهلوا عشر من سنة ولا
يخفى ان هذه الخائفات المعنى القرعة لغة ويحتاج الى نقل عن الشارع والافهوكلام لا طائل
تحتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال أهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء
والسلامة ليكون أشد تجسرهم على ما فاتهم من حال العافية والتصرف في ضروب
اللذة فاخذناهم في أمن ما كانوا أوأجب ما كانت الدنيا اليهم (فإذا) هي القباضة قال
سيدي به انما ظرف مكان وقال جماعة منهم الراعي انما ظرف زمان ومذهب
الكوفيين انما حرف (هم بلسون) أي مهلكون في مكان أقامتهم أو في زمانهم أقاله
السدي والمجلس الخزين الأيس من الخير لشدة ما نزل به من سوء الحال ومن ذلك ما سبق
اسم بليس يقال بليس الرجل اذا سكت وأبلىست الناقة اذا لم ترع والمعنى فإذا هم

وأوعى للحديث مني فانطلق بنا الى بشر بن عاصم فقال له أبو العالسة حدث هو لا حديثك فقال
حدثنا عقبه من مالك اللبتي قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية فاعارت على قوم فشد مع القوم ورجل فاتعه رجل من السرية
شاهراً سيفه فقال السادم القوم اني مسلم فلم ينظر فيما قال فضربه فقتله ففني الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
فيه قولاً شديداً فبلغ القاتل فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب اذ قال القاتل والله ما قال الذي قال الا اتعود اذن القتل قال
فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن قبيله من الناس وأخذي في خطبته ثم قال أيضاً يا رسول الله ما قال الذي قال

نحو ونون

الاتعدوا من القتل فأعرض عنه وعن قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالثة والله يا رسول الله ما قال الذي قال
الاتعدوا من القتل فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المسافة في وجهه فقال ان الله أتى على من قتل مؤمنا ثلاثا
ورواه النسائي من حديث سليمان بن المغيرة والذي عليه الجمهور من سلف الامم وخلقها ان القتال له توبة فيما بينه وبين الله عز
وجل فان تاب وأتأب وخشع وخضع وعمل صالحا حابلا لله سبحانه حسنات وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته
قال الله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها أخرى قوله الامن تاب وآمن (١٦٣) وعمل صالحا الا يتوب وهذا اخبرنا لبيد بن ربيعة

وجعله على المشركين وجعل هذه
الآية على المؤمنين خلاف الظاهر
ويحتاج جله الى دليل والله أعلم
وقال تعالى قل يا عبادي الذين
اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله الآية وهذا عام في
جميع الذنوب من كثر وشرك
وسبك ونفاق وقتل وفسق وغير
ذلك كل من تاب من أي ذلك تاب
الله عليه قال الله تعالى ان الله
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فهذه الآية عامة في
جميع الذنوب ما عدا الشرك وهي
مذكورة في هذه السورة الكريمة
بعد هذه الآية وقبلها التقوية
الرجاء والله أعلم وثبت في الصحيحين
خبر الاسرأبلي الذي قتل مائة
نفس ثم سأل عما ملأ لى من توبة
فقال ومن يحول يشك وبين
التوبة ثم أرشده الى بلدي عبد الله
فيه فهاجر اليه فأتى في الطريق
فقبضته ملائكة الرحمة كما ذكرناه
غير مرة واذا كان هذا في ربي
اسرائيل فلان يكون في هذه
الامة التوبة مقبولة بطريق الاولى
والاخرى لان الله وضع عنا الاثام
والاغلال التي كانت عليهم ويعت

بمخزونون مخيرون آيسون من الفرح قال ابن زيد الملبس بالجهود المكروب الذي قد نزل به
النشر الذي لا يدفعه والملبس أشد من المستكين وقال القراء عذوا لئلا يس المنقطع رجاءه
وقال أبو عبيدة هو النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والدم وعن عقبه بن
عاصم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على
معصيته فانه ذلك استدرج ثم تلا يعنى هذه الآية ذكره الغوى بلا سند وأسنده الطبري
وغیره (فقط) بالناس المفقول وللغافل وهو الله سبحانه وفيه التفات الى غيبة (دابر
القوم الذين ظنوا) الدابر الآخر يقال دبر القوم يدبرهم دابر اذا كان آخرهم في الحى قاله
أبو عبيد ومنه التدبير لانه احكام عواقب الامور والمعنى انه قطع آخرهم أي استوصلوا
جميعا حتى آخرهم فإيق منهم باقية قال قطرب يعنى أنهم استوصلوا وأهلكوا وقيل الدابر
الاصل يقال قطع الله دابر أي أصله قاله الاصمعي (والجده لله رب العالمين) على نصر الرسل
واهلاك الكافرين قال الزجاج جده نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شأنهم وفيه
تعلم للمؤمنين كيف يحمده دون عند نزول السم التي من أجلها هلك الظلمة الذين يفسدون
في الأرض ولا يصحون فانهم أشد على عباد الله من كل شديد اللهم ارح عبادك المؤمنين
من ظلم الظالمين واقطع دابرهم وأبدلهم بالعدل الشامل لهم آمين (قل أرأيتم ان أخذ الله
سمحكم وأبصاركم وختم على قلوبكم) هذا تكرر للتوبيخ لقصدنا كيدا لحجة عليهم ووجد
السمع لانه مصدر يدل على الجمع بخلاف البصر فلذلك اجعده والختم الطبع وقد تقدم
تحقيقه في البقرة والمراد أخذ المعاني القاسية بهذه الحوارح أو أخذ الحوارح أنفسها
(من الغيرة التي تأتيهم) الاستغهام للتوبيخ ووجد الضمير به مع ان المرجع متعدد على
معنى فمن يأتيكم بذلك المأخوذ وقيل الضمير راجع الى أحد هذه المذكورة وقيل ان الضمير
بجذلة اسم الإشارة أي من يأتيكم بذلك المذكور (انظروا كيف نصر في الآيات) أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنظر في تصرف الآيات الباهرات وعدم قبولهم لها بحسبالة من
ذلك ويدخل معه غيره والتصرف الجبي على جهات مختلفة في أساليب الى أساليب تارة
انوار تارة اعذار تارة ترغيب وتارة تهيب (ثم هم يصدفون) أي يعرضون قاله مجاهد
يقال صدفي عن الشيء اذا عرض عنه صدفا وصدفا وقال ابن عباس يعدلون عنهم
مكذبين لها وهو محط التعجب والعلمة فيه (قل أرأيتمكم) أي أخبروني (ان اتاكم

نبينا بالحقية السحرة فاما الآية الكريمة وهي قوله تعالى ومن يقل مؤمنا متعمدا الآية فقد قال أبو هريرة وجاءه من السلف
هذا جزاؤه ان جازاه وقد رواه ابن مردويه باسناده من فوعا بن طريق محمد بن جامع العطار عن العلامة ميمون العنبري عن حجاج
الاسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة من فوعا ولكن لا يصح ومعنى هذه الصيغة ان هذا جزاؤه ان جوزى عليه وكذا كل وعيد
على ذنب لكن قد يكون كذلك معارض من اعمال صالحة تمتع وصول ذلك الجزاء اليه على قول اصحاب الموازنة والاحباط وهذا
أحسن ما يسلط في باب الوعيد والله أعلم بالصواب وتقدر دخول القائل في النار ما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له

او على قول الجمهور رجعت لا على له الصالحين بخير فليس بخلاف فيها الباطل والخطيئ وهو المكث الطويل وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من كان في قلبه اذى من قتال ذرمة من ايمان واما حديث معاوية كل ذنب عسى الله ان يغفره الا الرجل يوت كافرا والرجل يقتل مؤمنا متعمدا فعسى ان ترجى فاذا اتى الترجى في هاتين الصورتين لا تنفى وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة وأما من مات كافرا النص ان الله لا يغفر له البتة وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فانه حق من حقوق الآدميين وهي لا تسقط (١٦٤) بالتوبة ولكن لا بد من ردع الهم ولا فرق بين المقتول والمسرور في منه

والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين فان الاجماع منع على انهم لا تسقط بالتوبة ولكنه لا بد من ردع الهم في صحة التوبة فان تعد ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع الجزاء اذ قد يكون للقاتل اعمالا صالحة تصرف الى المقتول أو بعضها ثم يفضل له أخرى يدخلها الجنة أو يعرض الله المقتول بمباداة من فضل من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك والله أعلم ثم لقائل العمد أحكام في الدنيا وأحكام في الآخرة فاما في الدنيا فتسلط أياها المقتول عليه قال الله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا الآية ثم هم يخبرون بين ان يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا به مغلة أو ثلاثا ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة كاهوم قر في كتاب الاحكام واختلف الأئمة هل تجب عليه كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو اطعام على أحد القولين كما تقدم في كفارة الخطا على قولين فالشافعي وأصحابه وطائفة من

عذاب الله بغتة أو حورة) تنازع رأيت وانا كم في عذاب الله فاعلمنا ان الشئ واضع في الاول والمفعول الثاني جله الاستفهام وقد تقدم تفسير البغته قريبا ثم انهم انما الغيبة قال الكافي بغتهم بغتهم بغتة اذ انهم بخلاف من دون تقديم مقدمات تدل على العذاب والجهرة ان يأتي العذاب بعد ظهور مقدمات تدل عليه هذا ما جرى عليه القاعضي وقيل البغته اتيان العذاب لبلوا والجهرة اتيان العذاب شهرا كما في قوله تعالى يا انا أو نهرا وبه قال الحسن والاول أولى (هل يملك الا القوم الظالمون) الاستفهام للشيء أي ما يملك هلاك تعذيب وغضب وسخط الا المشركون وقال الزجاج معناه هل يملك الا أنهم ومن أشبهكم اه والاستثناء مرغ (وما نرسل المرسلين) كلام مبتدأ ببيان الغرض من ارسال الرسل (الامبرين) لمن اطاعهم بما أعد الله له من الجزاء العظيم (ومنذرين) لمن عصاهم بما أعد الله من العذاب الويل وقيل مبشرين في الدنيا بسعة الرزق وفي الآخرة بالنواب ومنذرين مخوفين بالعقاب وهما حالان مقدرتان أي ما نرسلهم الامقدرين تبشيرهم واذنارهم (فن آمن) بما جاءت به الرسل (وأصلح) حال نفسه بفعل ما يدعونه اليه (فلا خوف عليهم) بوجه من الوجوه بلحق العذاب (ولا هم يحزنون) بحال من الاحوال بفوات الثواب وهذا حال من آمن وأصلح وأما مال المكذبين فينبه بقوله (والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب) أي يصيبهم (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم وخروجهم عن التصديق والطاعة قال ابن زيد كل فسق في القرآن فعمناه التكذب (قل لا أقول لكم

عندي خزائن الله) أمره الله سبحانه بان يخبرهم لما كثر اقتراحهم عليه وتعتهم بهازال الآيات التي تضطرهم الى الايمان انه لم يكن عنده خزائن الله حتى يأتيهم بما اقترحوه من الآيات والمراد خزائن قدرته التي تشغل على كل شئ من الاشياء والخزائن جمع خزانه وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشئ وحزن الشئ أخرزه بحيث لا تناله الايدي (و) أمره ان يقول لهم أيضا (لا) ادعى اني (أعلم الغيب) من افعاله حتى أخبركم به وأعرفكم بما سيكون في مستقبل الدهر (ولا أقول لكم اني ملائكة) من الملائكة حتى تكلفوني من الافعال الخارقة للعادة ما لا يطيقه البشر كالرفق في السماء أو حتى تعدوا عمد اتصافي بصفتهم فادعني أخرى والمعنى اني لا ادعى شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوها على العلماء يقولون نعم يجب عليه لانه اذا وجبت عليه الكفارات في الخطا فلا تجب عليه في العمد او في فطره واذا

هذا في كفارة الذين الغموس واعتدوا بقضاء الصلاة المتروكة عمدا كما أجمعوا على ذلك في الخطا وقال أصحاب الامام أحمد وآخرون قتل العمد أعظم من ان يكفر فلا كفارة فيه وكذا الذين الغموس ولا سبيل لهم الى الفرق بين هاتين الصورتين وبين الصلاة المتروكة عمدا فانهم يقولون بوجوب قضائها اذا تركت عمدا وقد احتج من ذهب الى وجوب الكفارة قتل العمد بما رواه الامام أحمد حديث قال حدثنا عامر بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك عن ابراهيم بن أبي عملة عن العري بن عياش عن واثلة

ابن الاسقع قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم نفر من بني سليم فقالوا ان صاحبنا قد أوجب قال فليعتق رقبة يندى الله بكل عضو منها عضواً منه من النار وقال حدثنا ابراهيم بن اسحق حدثنا ابن ضمرة عن ربيعة عن ابراهيم بن أبي عملة عن العريف الديلمي قال أتينا واثله بن الاسقع اللبثي فقلنا حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحبنا قد أوجب قال اعقوا عنه يعق الله بكل عضو منه عضواً من النار وهذا رواه أبو داود والنسائي من حديث ابراهيم بن أبي عملة به ولفظ أبي داود عن العريف الديلمي قال أتينا واثله بن (١٦٥) الاسقع فقلنا حدثنا حديثاً ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب فقال ان أحدكم

ما هو من آثارها وحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلاً على عدم صحة ما تدعيه من الرسالة التي لاتعلق لها بشئ مما ذكر قطعاً بل افهامي عبارة عن تلقى الوحي من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاه حسب كإسباقي وليس في هذا ما يدل على أن الملائكة أفضل من الانبياء وقد اشتغل بهم هذه المفاضلة قوم من أهل العلم ولا يترتب على ذلك فائدة دينية ولا دينية بل الكلام في مثل هذا من الاشتغال بما لا يعنى ومن حسن اسلام المرتزكة ما لا يعنيه (ان أتبع الاماوى الى) وقد عتق بذلك من لم يثبت اجتهاد الانبياء عملاً بما يقبده القصر في هذه الآية والمسئلة تدونة في الاصول والدلالة عليها معروفة وقد صرح عنه صلى الله عليه وسلم انه قد أتيت القرآن ومثله معه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) هذا الاستدلال بما لا نكار والمراد انه لا يستوى الضال والمهتدى أو المسلم والكافر أو العالم والجاهل أو من أتبع ما أوحى اليه ومن لم يتبعه والكلام غثيل قال قتادة الاعمى الكافر الذى عصى عن حق الله وأمره ونعمه عليه والبصير العبد المؤمن الذى أبصر بصر انا فاعا فوجد الله وحده وعمل بطاعته به واتق عا آتاه الله (أفلا تتفكرون) في ذلك الكلام الحق حتى تعرفوا عدم الاستواء بينهم ما فاته بين لا يلتبس على من له أدنى عقل وأقل تفكير (وأندر) الانذار الاعلام مع تحويره والضمير في (به) راجع الى اماوى وقيل الى الله وقيل الى اليوم الآخر وخص (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) لان الانذار يؤثر فيهم لما حل بهم من الخوف بخلاف من لا يخاف الحشر من طوائف الكفر بخودهم وانكاره فانه لا يؤثر فيه ذلك قيل ومعنى يخافون يعاونون ويتيقنون انهم محشورون فيشغل كل من آمن بالبعث من المسلمين وأهل الذمة وبعض المشركين وقيل معنى الخوف على حقيقته والمعنى انه ينذر بهم من يظهر عليه الخوف من الحشر عند ان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكره وان لم يكن مصداقاً به في الاصل لكنه يخاف ان يصح ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه من كان كذلك يكون الموعظة فية انجع والتذكير له أنفع (ليس لهم من دونه ولى) أى حال كونهم لا ولى لهم بوالهم ولا نصير ناصرهم (ولاشقيع) يشفع لهم من دون الله وفيه رد على من زعم من الكفار المعترفين بالحشر ان آباءهم يشفعون لهم وهم أهل الكتاب أو ان اصنامهم تشفع لهم وهم المشركون أو ان المشايخ يشفعون لمريدتهم وهم المتصوفة لان الشفاعة لاتكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه

ليقرر في مصحفه فيزبدو نقص قلنا انما أردنا حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحبنا قد أوجب يعق الله بكل عضو منه عضواً من النار (يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن أتىكم السلام اسلمت مؤمنات فتعرون عرض الحياة الدنيا فاعند الله مغامر كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بآعمالون خبيراً قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن أبي بكر وخلف ابن الوليد وحسين بن محمد قالوا حدثنا اسرائيل عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم بنقر من اجحاب النبي صلى الله عليه وسلم برعى غناله فلم عليه وسلم فقالوا لا سلام عليه الا لا استعوزنا فعمدوا اليه فقتلوه وأقرب بغته النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذه الآية بما أتمها الذين آمنوا الى آخرها ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن عبد العزيز بن

أبى رزقة عن اسرائيل به ثم قال هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن أسامة بن زيد ورواهما لم من طريق عبد الله بن موسى عن اسرائيل به ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبر به ورواه ابن جرير من حديث عبد الله بن موسى وعبد الرحمن بن سليمان كلاهما عن اسرائيل به وقال في بعض كتبه غير التفسير وقد روى من طريق عبد الرحمن فقط وهذا خبر عندنا صحيح مسنده وقد يجب أن يكون على مذنب الآخر بن سميال لما لم يأت به الا يعرف له مخرج عن سماعة الا من هذا الوجه ومنها ان عكرمة في روايته عندهم نظر ومنها ان الذي نزلت فيه هذه الآية عندهم يختلف فيه فقال بعضهم نزلت في محكمين حثامو قال بعضهم اسامة بن زيد وقيل غير ذلك قلت وهذا كلام غريب وهو مراد من وجوده أحدها انه ثابت عن سماعة حديث به عنه غير واحد من الأئمة الكبار الثاني

ان عكرمة محتج به في الصحيح الثالث انه مروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس كما قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا
 سعدان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا قال ابن عباس كان رجل في
 غنمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنمته فأنزل الله في ذلك لا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
 قال ابن عباس عرض الدنيا لك الغنمة وقرأ ابن عباس السلام وقال سعيد بن منصور حدثنا منصور عن عمرو بن دينار عن عطاء
 ابن يسار عن ابن عباس قال لحق المسلمون رجلا (١٦٦) في غنمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنمته فأنزل الله ولا تقولوا

لن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
 وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم
 من طريق سفيان بن عيينة وقد
 (١) في ترجمة أن أخاه فرار
 هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم عن أمر أبيه بالاسلامهم
 واسلام قومهم فلقينهم سرية
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 في عاية الليل وكان قد قال لهم انه
 مسلم فم يبقاؤا منه فقتلوه فقال أبو
 فقد دمت على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فاعطاني ألف دينار ودية
 أخرى وسيرني فنزل قوله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في
 سبيل الله الآية وما قصة محكمين
 جثامة فقال الامام أحمد رحمه الله
 حدثنا يعقوب حدثني أبي عن
 محمد بن اسحق حدثنا يزيد بن
 عبد الله بن قيس عن القعقاع
 ابن عبد الله بن أبي حنيفة
 رضي الله عنه قال بعثنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 اضم فخرجت في نفر من المسلمين
 فيهم أبو قتادة الخارث بن ربيعي
 ومحكم بن جثامة بن قيس فخرجنا
 حتى اذا كنا بطن اضم مر بنا عامر

عن ابن مسعود قال مر الملائكة في قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيبي
 وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أترضيت هؤلاء من قومك
 أهؤلاء من الله عليهم من بيننا نحن نكون سعال هؤلاء اطردهم عنا فلعلنا ان طردتهم ان
 تبعك فأنزل الله فيهم وأنذره الذين يخافون ان يحشروا إلى قوله من الظالمين وقد أخرج
 هذا السبب مطولا ابن جرير وابن المنذر عن عكرمة (عليهم بقتون) ما نهيتهم عنه فيدخلون
 في زمرة أهل التقوى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الدعاء العباد مطلقا
 وقيل المحافظة على صلاة الجماعة وقال ابن عباس الصلاة المكتوبة وقال مجاهد هي
 الصبح والعصر وقال سفيان أي أهل الفقه وقيل الذي كروا قراءة القرآن وقيل المراد الدعاء
 لله بحجج النفع ودفع الضرر وقيل المراد بكر الغداة والعشي الدوام على ذلك والاستقرار
 وقيل الصلوات الخمس وقيل هو على ظاهره أي لا تبعدهم عن محاسنك لأجل ضعفهم
 وفقيرهم (يريدون وجهه) أي يتوجهون بذلك الهل إلى غيره والذي وجهه به عن ذات
 الشيء وحقيقته وتقييده له لتأكيده عليه لانه في ان الاخلاص من أقوى موجبات
 الاكرام المضاد للطرد (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) هذا
 كلام معترض بين النبي وجوابه متضمن لنفي الحامل على الطرد أي حساب هؤلاء الذين
 أردت أن تطردهم موافقة لمن طلب ذلك منذ هو على أنفسهم ما عليك منه شيء وحسابك
 على نفسك ما عليهم منه شيء فعلام تطردهم هذا على فرض صحة وصف من وصفهم بقوله
 ما زالوا تبعك الا الذين هم أراذلنا وطعن عندك في دينهم وحسبهم فكيف وقدزكاهم
 الله عز وجل بالعبادة والاخلاص وهذا هو مثل قوله تعالى ولا تزروا زراخرى وقوله
 وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ان حسابهم الاعلى ربى (قطردهم) هو من تمام
 الاعتراض أي اذا كان الامر كذلك فاقبل عليهم وجالسهم ولا تطردهم مراعاة لخلق من
 ليس على مثل حالهم في الدين والفضل (فتكون) جواب للنهي أي فان فعلت ذلك كنت
 (من الظالمين) وحاشاه عن وقوع ذلك وانما هو من باب التعريض لثلاثه فعل ذلك غيره
 صلى الله عليه وسلم من أهل الاسلام كقوله تعالى لن أشرك ليحيطن عملك أخرجه مسلم
 والنسائي وابن ماجه وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال لقد نزلت هذه الآية في ستة
 أنا وعبد الله بن مسعود وبلال ورجل من هذيل ورجل من است اسمهم اذ قال المشركون

ابن الاضيظ الاشجعي على قتوله معه متبع له ووطب من لبن فلما سلم علينا فامسكنا عنه وجل عليه محكم
 ابن جثامة فقتله لشيء كان يمينه وبيته وأخذ به يومئذ وسيعه فلما اذنه منا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا نأياها
 الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله إلى قوله تعالى خيرا انقرديه أحمد وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جرير عن أبي اسحق عن
 نافع عن ابن عمر قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محكم بن جثامة مع عطاء فلقهم عامر بن الاضيظ فجاهاهم ببيعة الاسلام وكانت
 بينهم جناية في الجاهلية فرماهم محكم بهم فقتله فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلهم فيه عينته (١) يا باض باض

والاقرع فقال الاقرع يا رسول الله (١) تشير اليوم وغير هذا فقال عينة لا والله حتى يذوق نساؤم
 يحكمهم في بردين جالس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
 يتلقى دموعه ببرد به فامضت له ساعة حتى مات ودفن في الارض فلفظته الارض فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
 ذلالت له فقال ان الارض تقبل من هو أشرف من صاحبكم ولكن الله أراد ان يعظمكم من حرمتمكم ثم طرحوه في جبل قال فوالله اعلم
 البخارة فغزت بأبيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتمينوا الآية (١٦٧) وقال البخاري قال حبيب بن أبي عمرة

عن سعد بن ابن عباس قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 للمقداد اذا كان رجل مؤمن يخفي
 ايمانه مع قوم كانوا ظاهري ايمانه
 فقتلته فكذلك كنت تخفي ايمانك
 بمكة من قبل هكذا كره البخاري
 معلقا مختصرا وروى مطولا
 موصولا فقال الحافظ أبو بكر
 الزراري حدثنا جاد بن علي البغدادي
 حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر
 ابن علي بن مقدم حدثنا حبيب بن
 أبي عمرة عن سعد بن جبير عن ابن
 عباس قال بعث رسول الله صلى
 الله عليه وسلم سر به في المقداد بن
 الاسود فلما أتوا القوم وجدوهم
 قد تفرقوا وبق رجل له مال كثير
 لم يبرح فقال أشهد ان لا اله الا الله
 وأخوى اليه المقداد فقتله فقال له
 رجل من أصحابه أقتلت رجلا
 شهد ان لا اله الا الله والله لا ذكركن
 ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما
 قدموا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قالوا يا رسول الله ان
 رجلا شهد ان لا اله الا الله فقتله
 المقداد فقال ادعوا لي المقداد
 يا مقداد أقتلت رجلا يقول لا اله
 الا الله فكيف لك بلا اله الا الله

لنبي صلى الله عليه وسلم اطرده هؤلاء عنك لا يجترؤن علينا فوقع في نفس رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما شاء الله ان يقع فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقدر في بيان
 السبب روايات موافقة لما ذكرنا في المعنى (وكذلك) أي مثل تلك القتل العظيمة (فتنا
 بعضهم ببعض) أي بعض الناس وابتلىنا القن بالثقة والتقية بالغى والشرف بالوضيع
 فكل أحد مبتلى بضده والفتنة الاختبار أي عاملناهم معاملة المختبرين (ليقولوا) اللام
 للصبر ورة كوله لوالد الموت واسو الخراب وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا قيل انه الام كي
 وهو اظهر وعليه أكثر المعربين والتقدير ومثل ذلك الفتون فتنا يقول البعض الاول
 مشيرا الى البعض الثاني (أهؤلاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أي اكرمهم بأصابة
 الحق دوننا قال الحساس وهذا من المشكل لانه يقال كيف فتنا يقولوا هذا القول وهو ان
 كان على طريقة الانكار فهو كفر واجاب بجوابين الاول ان ذلك واقع عنهم على طريقة
 الاستهزاء على سبيل الانكار الثاني انهم لما اختبروا بهذا كان عاقبة هذا القول
 منهم كونه فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال ابن عباس قالوا ذلك استهزاء
 وسخرية وقال ابن جري لو كان لهم كرامة على الله ما أصابهم هذا الجهد (أليس الله باعلم)
 هذا الاستهزاء بالتقريب والمعنى ان مرجع الاستحقاق لنعم الله سبحانه هو الشكر وهو أعلم
 (بالشكرين) له فبالا اليكم تعترضون بالجهل وتشكرون الفضل (واذا جاءك الذين يؤمنون
 بآياتنا) هم الذين نهى الله عن طردهم وهم المستضعفون من المؤمنين (فقل سلام عليكم)
 امره ان يقول لهم هذا القول لتليين خاطرهم وكراماتهم والسلام والسلامة بمعنى
 واحد فالعنى سلمكم الله وجازا لا استدعاه وان كان نكرة لانه دعاء والدعاء من المسوعات
 قاله السمين وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا رآهم بدأهم
 بالسلام وقيل ان هذا السلام هو من جهة الله أي أبلغهم من السلام عن هاما قال أتى
 قوم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اننا اصبنا ذنوبا عظيما فارد عليهم شيئا فانصرفوا فأنزل
 الله هذه الآية فدعاهم فقرأها عليهم وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن لان
 الاعتبار بهوم اللفظ لا بخصوص السبب (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي أوجب
 ذلك ايجاب فضل واحسان وقيل كتب ذلك في اللوح المحفوظ قيل هذا من جملة ما امره

عند اقال فانزل الله يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتمينوا ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلام لست مؤمنا فتدعون عرض
 الحياة الدنيا فعند الله مغام كثيرة كذلك كتب من قبل فغن الله عليكم فتمينوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد كان رجل
 مؤمن يخفي ايمانه مع قوم كفار فظاهر ايمانه فقتله وكذلك كنت تخفي ايمانك بمكة قبل قوله فعند الله مغام كثيرة أي خير
 مما رغبت فيه من عرض الحياة الدنيا الذي حكمكم على قتل مثل هذا الذي أتى اليكم السلام وأظهر لكم الايمان فتغافلتم عنه
 (١) قوله تشير الخ كذا في التسخ التي بايدنا وفيه تحريف فليحذر اه

واتهمهم بالمصانعة والبقية لتبتغوا عرض الحياة الدنيا فاعند الله من الزرق الحلال خير ليكم من مال هذا وقوله كذلك كنتم من قبل فن الله عليكم أي قد كنتم من قبل هذه الحال كهذا الذي يبرأ إليه ويحققه من قومه كما تقدم في الحديث المرفوع أنفاً وقال تعالى واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض الآية وهذا مذهب سعيد بن جبيل لما رواه الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيل في قوله كذلك كنتم من قبل تحقون إيمانكم في المشركين ورواه عبد الرزاق عن ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن سعيد بن جبيل في قوله كذلك كنتم (١٦٨) من قبل تستحقون بإيمانكم كما استحقى هذا الرأي بإيمانه وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم وذكروا

قيس عن سالم عن سعيد بن جبيل قوله كذلك كنتم من قبل لم تكفوا مؤمنين فن الله عليكم أي تاب عليكم خلف أسامة لا يقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله بعد ذلك الرجل ومات من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وقوله فتبينوا أنكم كذبتا تقدم وقوله إن الله كان بما تعملون خبير قال سعيد بن جبيل هذا تهديد ووعد (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجر أعظم يادرجات منه ومعقبة ورجية وكان الله غفوراً رحيماً) قال البخاري حدثنا حفص بن عمر بن خالد ثنا شعبه عن أبي إسحق عن البراء قال لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فكتبها لجاهل ابن أم مكتوم فشكلها فبرأه فانزل الله غير أولي الضرر

الله سبحانه بإبلاغه إلى أولئك الذين أمرهم بإبلاغ السلام إليهم تبشيراً بأربعة معقبات الله وعظم رحمته لانه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين (انه) أي الشأن (من عمل منكم سوءاً يجهلته) قيل المعنى أنه فعل فعل الجاهل لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة مع عمله بذلك أوظفه فقد فعل فعل أهل الجهل والسفه لا فعل أهل الحكمة والتدبير وقيل المعنى أنه عمل ذلك وهو جاهل لما يتعلق به من الضرر والعقاب وما فاته من الثواب فتكون فائدة التقييد بالجهالة لا يذنبان المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر قال مجاهد كل من عمل ذنباً أو خطيئة فهو بها جاهل (ثم تاب من بعده) أي من بعده عمله وإن تكابه ذلك السوء (واصلح) ما أقسده بالعصية في المستقبل فراجع بالصواب واخضع للتوبة وعمل الطاعة (فانه) أي فامرؤه أو فله أن الله (عفو رحيم) واختار الأول سيدي ووالثاني أبو حاتم (وكذلك) أي مثل ذلك التفصيل (تنصل الآيات) أي أدلة مجتنبين أو هيئات في توريث كل حق بذكره أهل الباطل والتقصيل التبيين وقيل إن الله فصل لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين وبين لهم حكم كل طائفة (والتسعين) الخطاب على القوية للنبى صلى الله عليه وسلم أي لتسعين يا محمد (سبيل المجرمين) وأما على الحسنة فافعل مسند إلى سيدك وإذا استبان سبيل المجرمين فقد استبان سبيل المؤمنين قال ابن زيد هم الذين يأمرونك بطرد هؤلاء (قل إلى حيث أن أعياد الذين تدعون) أمره سبحانه أن يعود إلى مخاطبة الكفار بآية خبرهم بأنه شئ عن عبادة ما يدعون ويعبدونه (من دون الله قل لا تبع أهواءكم) أمره سبحانه أن يقول لهم لا أسألكم الملك الذي سلكتموه في دينكم من اتباع الأهواء والمنشئ على ما توجه المقاصد الفاسدة التي يتسبب عنها الوقوع في الضلال كزوالهم مع قرب العهد عما يأمرون به وإيداناً باختلاف القوانين من حيث أن الأول حكاية لما هو من جهة تعالى وغوايته والثنائي حكاية لما هو من جهة عليه السلام وهو الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه (قد ضللت إذا) أي أن اتبعت أهواءكم فيما طلبتموه من عبادة معبوداتكم وطرد من أوردتم طرده قال الجوهري الضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت أضل قال الله تعالى قل إن ضللت فأتبعاً أضل على نفسه قال فهذه بمعنى المقسومة لغة فجدوهي الفصحى وأهل العالمة يقول ضللت بالكسر أضل انتهى (وما آمن المؤمنين) إن فعلت ذلك وهذه الجملة الاحدية معطوفة على الجملة التي قبلها والنجي من السعيبة عقب تلك الفعلية للدلالة على الدوام

حدثنا محمد بن يوسف عن اسرئيل عن أبي إسحق عن البراء قال لما نزلت لا يستوى القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلا نجاء معه الدواعي والالواح والكيف فقال أكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم فقال يا رسول الله أنا ضرر فترأت مكانها لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله قال البخاري أيضاً حدثنا المعجل بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعيد عن صالح ابن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى من رأى ابن الحكم في المسجد قال فأقبلت حتى جلست إلى جنبه والنبات

الكريم هو ابن مالك الحريري ان مقسمه مولى عبد الله بن الحرث أخيه ان ابن عباس أخيه لا يستوى القاعدون من المؤمنين
عن بدر والخارجون الى بدر ان ربه البخاري دون مسلم وقدره الترمذي من طريق جلال عن ابن حريج عن عبد الكريم عن مقسم
عن ابن عباس قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر عن بدر والخارجون الى بدر لا تزال غزوة بدر قال عبد الله بن
جيش وابن أم مكتوم أنا عبيد الله بن عمار قال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر وفضل الله
المجاهدين على القاعدين درجة فهو لا (١٧٠) القاعدون غير أولي الضرر وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجمعين

الغيب جعل للامور الغيبية مخازن يخزن فيها على طريق الاستعارة وأجمع مفتح بكسر الميم
وهو المفتاح جعل للامور الغيبية مفتح يتوصل به الى ما في المخازن منها على طريق
الاستعارة أيضا ويؤيد أنهم أجمع مفتح بالكسر قراءة ابن السفيّع وعند مفتح الغيب
فإنهم أجمع مفتاح والمعنى ان عنده خاصة مخازن الغيب أو المفتاح التي يتوصل به الى
المخازن (لا يعلمها الا هو) جله مؤكدة لمضمون الجمله الاولى وأنه لا علم لاحد من خلقه بشئ
من الامور الغيبية التي استأثر الله بعلمها وهذا بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به
تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلهم من حيث القدرة ويشد رح تحب هذه الآية
علم ما يتجهل الكفار من العذاب كما يرشد اليه السياق اندراجا وليا وفي هذه الآية
الشرية ما يدفع باطيل الكهان والتجيين والمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من
شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم ولقد استلوا الاسلام وأهل يقوم ومومن
هذه الاجناس الصالحة والانواع الخذولة ولم يرجحوا من كاذبهم وأباطيلهم بغير خطبة
السوء المذكورة في قول الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم من أفى كاهنا أو مجنبا
فقد كفر بما أنزل على محمد قال ابن مسعود أفى نبيكم كل شئ الاممات الغيب وقال ابن
عباس انه الاقدار والارزاق وقال الضمخشاري الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء
هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انتقاء الاحال وعلم احوال العباد من
السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد ان يكون اذ يكون كيف
يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون واللفظ اوسع من ذلك ويدخل فيه ما ذكره
دخولا اوليا وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مفتح الغيب حسن
لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم احد ما يكون في غدا الا الله ولا يعلم احد ما يكون في الارحام
الا الله ولا تعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض عوف ولا يدرى احد
متى يجي المطر أخرجه البخاري وله الفاظ وفي رواية ولا يعلم احد متى تقوم الساعة الا الله
(ويعلم ما في البر والبحر) خصه ما بالذكر لان ما من اعظم مخلوقات الله أى يعلم ما في ما من
حيوان وجماد علمافصلا لا يخفى عليه منه شئ وأخصه بما يكون منها كبر ما شاهدته
الناس ويتطلعون لعلم ما في سما وعلى هذا هو بيان لتعلق علمه بالمشاهدات اثر بيان تعلقه
بالغيبات قال مجاهد البر المفاوز والقنار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيه ما شئ

عظما بدرجات منه على القاعدين
من المؤمنين غير أولي الضرر هذا
لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث
حسن غريب من هذا الوجه
فتوله لا يستوى القاعدون من
المؤمنين كان مطلقا فالنزل وحى
سريع غير أولي الضرر صا ذلك
مخرج الذوى الاعذار المبيحة لتزل
الجهاد من العمى والعرج والمرض
عن مساواتهم للمجاهدين في سبيل
الله باموالهم وانفسهم ثم أخبر تعالى
بفضل المجاهدين على القاعدين
قال ابن عباس غير أولي الضرر
وكذا ينبغي ان يكون كما ثبت في
صحیح البخارى من طريق زهير بن
معوية عن جيسع بن أنس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان بالمدينة اقواما لم يرتع من مسير
ولا قطعهم من واد الا وهم معكم فيه
قالوا وهم بالمدينة يا رسول الله قال
نعم حبسهم العذر وهكذا رواه أحمد
عن محمد بن عدى عن جيسع بن أنس
به وعلقه البخارى بن زوما ورواه
أبو داود عن حماد بن سلمة عن جيسع
عن موسى بن أنس بن مالك عن أبيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

لقد تركتم بالمدينة اقواما لم يرتع من مسير ولا قطعهم من واد الا وهم معكم فيه قالوا
وكيف يكونون معنا في يا رسول الله قال نعم حبسهم العذر لفظ أبي داود وفي هذا المعنى قال الشاعر
بارأحلى الى البيت العتيق لقد * سرتم حسوما وسرنا نحن أرواحا * اننا قاتل عذرو عن قدر * ومن أقام على عذر فقد را
وقوله وكلا وعد الله الحسنى أى الجنة والجزء الجزيل وفيه دلالة على أن الجهاد ليس بقرض عين بل هو فرض على الكفاية
قال تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أخر عظيمائهم أخبر سبحانه بما فضلهم به من الدرجات في غرف الجنان العاليات

ومغفرة الذنوب والزلات وأحوال الرحمة والبركات احسانا لمنه وتكريما ولهذا قال درجات منه ومغفوره وجهه وكان الله غفورا رحيما وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة مائة درجة اعلاها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربي سهم فله اجره درجة فقال رجل يا رسول الله وما الدرجة فقال اما انها ليست بعقبة املك ما بين الدرجتين مائة عام (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم (١٧١) قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في

الارض قالوا ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجر وافيا فاولئك ما اوعاهم جهنم وساءت مصيرا
 الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا
 ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراعيا كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله لم يجد له موتا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما
 قال البخاري حدثنا عبد الله بن زيد المقرئ حدثنا حيوة وغيره قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن ابوالاسود قال قطع على أهل المدينة بعث فاكنت فيه فقلت عكرمة مولى ابن عباس فاخبرته فنهاني عن ذلك فأسد النهي قال اخبرني ابن عباس ان ناسا من المسلمين كانوا عشرين يكرهون سوادهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب عنقه فقتل فأنزل الله ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم وراه الله عن أبي الاسود وقال ابن أبي حاتم

الا هو يعلمه وقال الجمهور هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض امار واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب وغرائب ما يدل على عظم قدرته وسعة علمه (وما تيسر من ورقة) أي من ورق الشجر وما ينبت عليه وهو تخصيص بعد التعميم (الايعلمها) ويعلم زمان سقوطها وسكانه وقيل المراد بالورقة ما يكتب فيه الآجال والارزاق وحكي النقاش عن جعفر بن محمد ان الورقة راد بها عن السقط من أولاد بني آدم قال ابن عطية هذا قول جازع في طرفة الرموز ولا يصح عن جعفر بن محمد ولا ينبغي ان يلتفت اليه (ولا حجة) كائنة (في ظلمات الارض) أي في الامكنة المظلمة وقيل في بطن الارض قبل ان ينبت وقيل هي الحبة في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولا رطب ولا يابس) وقد شمل وصف الرطوبة واليبوسة جميع الموجودات فلا وجه تخصيص ما شئع دون نوع (الافى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ فتكون هذه الجملة بدل اشغال من الايعلمها وقيل هو عبارة عن علمه فيكون هذه الجملة بدل كل من تلك الجملة قاله الخطيب وقال الرخشي هو كالتكرير لقوله الايعلمها لان معناهما واحد قال الشيخ ولكنه لم اطال الكلام أعيد الاستثناء عن سبيل التوكيد وحسن كونه فاصلا (وهو الذي توفاهم) ينكم (بالليل) فيقبض فيه نفوسهم التي يهايمون وليس ذلك موتا حقيقة فهو مثل قوله الله توفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والتوفى استيفاء لشيء وتوفيت الشيء واستوفيته اذا أخذته أجمع قبل ان في الجسد روحين روح الحيا وهي لا تخرج الا بالموت وروح القيامة وهي تخرج النوم فتتقارق الجسد فتطوف بالعالم وترى المنايا ثم ترجع الى الجسد عند تقطفه وقيل غير ذلك والاولى ان هذا الامر لا يعرفه الا الله سبحانه وقد أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كل انسان ملك اذا نام يأخذ نفسه فاذا اذن الله في قبض روحه قبضها والاردها اليه فذلك قوله تعالى توفاهم بالليل (ويعلم ما جرحتهم بالنيار) أي ما كسبتهم بجوارحهم من الخير والشر والتقييد بالظرفين جرى على الغالب اذا الغالب ان النوم في الليل والكسب في النهار (ثم عيشكم فيه) أي في النهار يعني اليقظة برؤا حاكم قال القاضي أطلق البعث ترشيحا للتوفى وقيل يبعثكم من القبور فيه أي في شأن ذلك الذي قطعت فيه أعماركم من النوم بالليل والكسب بالنهار وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير هو

حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري حدثنا محمد بن شريك المكي حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالاسلام فاخرجهم المشركون يوم بدر معهم فاصيب بعضهم قال المسلمون كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم فقلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم الآية قال فكتب الى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم (٣) قال خرجوا فلقهم المشركون فاعطوهم الثقة فقتل هذه الآية ومن الناس من يقول انما الله الآية قال عكرمة تزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالاسلام عكة منهم علي بن أمية بن (٢) قوله فكتب الى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم الخ كذا في النسخ وحرر اه معصمه

خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو منصور بن الحجاج والحرث بن زعمرة قال القائل أنزلت في ناس من المنافقين يخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه وخروجهم المشركين يوم بدر فاصبوا فيه أصيب فزلت هذه الآية الكريمة عامته في كل من أقام بين ظهري المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متحكما في إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالاجماع ومن هذه الآية حيث يقول تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظلماتي أنفسهم أي ترك الصلوة والقيام كتم أي لم يكتم هنا وزكمت الهجرة قالوا كاستضعفون في الارض أي (١٧٢) لا تقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الارض قالوا ألم تكن ارض

الذي يتوفاكم بالليل ثم عسكم بالنهار ويعلم ما جرحتم فيه وقد لم يعسكم فيه أي في المنام ومعنى الآية ان الله تعالى السكا واليس للقوله عن كفرهم فانه عالم بذلك ولكن (ليقتل أجل مسمى) أي معين لكل فرد من افراد العباد من حياة ورزق وقال مجاهد هو الموت (ثم اليه مرجعكم) أي رجوعكم بعد الموت (ثم ينشئكم كما كنتم تعملون) فيجازي المحسن باحسانه والمسي بمساوئه (وهو القاهر فوق عباده) قيل المراد فوقية التدرة والرتبة كما يقال السلطان فوق الرعية أي العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شأ وغلبه فهو مستعل عليه باهتقر والمعنى انه هو الغالب المنتصر في أمورهم لا غير يفضل بهم ما يشاء ايجادا واعدا ما واثابة وتعذبا الى غير ذلك وقيل هو صفة تعالى وهذا هو مذهب سلف الامة وأعتنا بزيورها كما جاءت من غير تكليف ولا تأويل ولا تعطيل أي فوقية تليق بجلاله وهو الحق وقد تقدم يانه في أول السورة (ويرسل عليكم حفظة) أي ملائكة جعلهم الله حفظين لكم ومنه قوله تعالى وان عليكم خافضين والمعنى انه يرسل عليكم من يحفظكم من الآفات ويحفظ أعمالكم قال السدي هم الملقبات من الملائكة يحفظونه ويحفظون عملهم واخفظة جمع حفظة كجمع كبة جمع كتب عليكم متلى يرسل اليهم من معنى الاستعلاء وتقديسه على حفظة ليقيد العباد بشأنه وانه أمر حقيق بذلك وقيل هو متعلق بحفظة (حتى اذا جاء أحدكم الموت بوقت معلوم) يحذل أن تكون حتى للغاية ويحذل أن تكون للاستداء والمراد بجي الموت جي معلانية والمراد هم أعوان ملك الموت من الملائكة قاله ابن عباس ومعنى وقته استوفت روحه وقيل المراد ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له (وهو لا يفرطون) أي لا يصرون ولا يضيعون وأصلهم التقدم وقال أبو عبيدة لا يتوانون وقرى لا يفرطون بالتخفيف أي لا يجاوزون الحد فبدأ أمرهم بالاكرام والادانة (ثم ردوا) الضمير راجع الى أحدانه في معنى الالتفات من الخطأ الى انقيبة والسرف في الافراد أو لولا جمع ثانيا ونوع التوفى على الانشاد والرد على الاجتماع أي ردوا بعد الحشر (الى الله) أي الى حكمه وجزائه وبه قال جمهور المفسرين ويحذل أن يكون هذا الرد الى الله بعد الموت فقد ورد في السنة الطاهرة ما يفيد أن الملائكة يصعدون بأرواح الموتى من حائل الى حائل حتى تنهجم الى السماء السابعة وفي رواية الى السماء التي فيها الله ثم ترد الى عليين

الله واسمعة الآية وقال أبو داود حدثنا محمد بن داود بن سفيان حدثني يحيى بن حسان أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعد بن حمزة بن يزيد حدثني جيب ابن سليمان عن أبيه سليمان بن حمزة عن سمرة بن جندب أن أبا عبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جامع المشرك وركن معه فانه مشرك وقال السدي لما أمر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس افند نفسك وابن أخيك فقال يا رسول الله ألم نصل قبلك ونتمم شهادتك قال يا عباس انكم خالصتم فخصمتم ثم تلا عليه هذه الآية ألم تكن ارض الله واسمعة الآية رواه ابن أبي عمير قوله الاستضعفين الى آخر الآية هذا عذر من الله لولا ما في ترك الهجرة وذلك انهم لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ولهذا قال لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا قال مجاهد وعكرمة والسدي

يعنى طريقا وقوله تعالى فاولئك عسى الله ان يعذو عنهم اي يجاوز عنهم بترك الهجرة وعسى من الله موجبة وكان الله عفوا ذوال انوارى حدثنا أبو عيسى محمد بن سفيان عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال لما رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العشاء اذ قال سمع الله لمن حده ثم قال قبل ان يسجد اللهم أجمع عياش بن أبي ربيعة اللهم أجمع سلمة بن هشام اللهم أجمع الوليد بن الوليد اللهم أجمع المستضعفين من المؤمنين اللهم اشد وطأنك على مضر اللهم اجعلها سنين كسرى يوسف وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عمر المقرئ حدثني عبد الوارث حدثنا علي بن زيد عن سعد بن المسيب عن أبي

هزيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يده بعد ما سلم وهو مستقبل القبلة فقال اللهم خلص الوليد بن الوليد وعياش بن أبي ربيعة وسامة بن هشام وضعة المسلمين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا من أيدي الكفار وقال ابن جرير حدثنا الذي حدثنا جراح حدثنا جراح عن علي بن زيد عن عبد الله أو إبراهيم بن عبد الله القرشي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في دبر صلاة الظهر اللهم خلص الوليد وسامة وعياش بن أبي ربيعة وضعة المسلمين من أيدي المشركين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما (١٧٣) تقدم وقال عبد الرزاق أبا ثاب عن عينة عن حيلة ولا يهتدون سبيلا وهذا الحديث شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه كما (١٧٣) تقدم وقال عبد الرزاق أبا ثاب عن عينة عن

عبيد الله بن أبي يزيد قال سمعت ابن عباس يقول كنت أنا وأبي من المستضعفين من النساء والولدان وقال البخاري أبا ثاب عن عينة عن حدةنا جراح بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس الاستضعفين قال كنت أنا وأبي من عذرة الله عز وجل وقوله ومن يهاجر في سبيل الله ينجذ في الأرض مراغما كثيرا وسعة وهذا تحرير على الهجرة وترغيب في مفارقة المشركين وإن المؤمن حيث ذهب وجد عنهم مندوحة ولما يخص فيه والمرامع مصدر تقول العرب راغم فلان قومه مراغما ومرامعة قال النابغة بن جعدة

كطول بلاد باركانه
عزير المرامع والمهرب
وقال ابن عباس المرامع التحول من أرض إلى أرض وكذا روى عن الضحاك والربيع بن أنس والنوري وقال مجاهد مراغما كثيرا يعني متوخر سامعا يكره وقال سفيان بن عيينة مراغما كثيرا يعني بروحا والظاهر والله أعلم أنه المعنى الذي يختص به ويراعه في الأعداء قوله وسعة يعني الرزق قاله غيره واحد

أوصيحين وفي الآية دليل على علوه تعالى من خلقه والله أعلم وقيل ردوا أي المخلق أو الملائكة قال الكلبي يقبض ملائكة الموت الروح من الجسد ثم يملأها إلى ملائكة الرحمة أو الملائكة ويعدونهم إلى السما حكاة القرطبي (مولاهم) ملكهم الذي يلي أمورهم وأخلاقهم ومعبودهم (الحق) صفة لاسم الله وقرئ الحق بالنصب على اشعار فعل أي أعنى أو أمدح أو على المصدر وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم بالحق (ألا اله الحكم) أي لا حكم إلا لله لا غيره لا يحسب الظاهر ولا يحسب الحقيقة (وهو أسرع الحاسنين) لكونه لا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه من الفكر والروية والتدبر (قل) توخيها وتقرر بالهم بالخطاط شركا ثم عن رتبة الإلهية (من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) المراد بظلماتهما شدة الظلمة التي تطل الخواص وتدهش العقول ولذلك استعير لهما الظلمات المطلة لخاسة البصر قال النحاس والعرب تقول يوم مظلم إذا كان شديدا فإذا عظمت ذلك قالت يوم ذو كوكب أي اشتدت ظلمته حتى صار كالليل في ظلمته وفي ظهور الكواكب فيه لانها لا تظهر إلا في الظلمة وقيل حله على الحقيقة أولى فظلمة البرهي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الانتهاء إلى طريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالصود أنه عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان فيها إلا إلى الله تعالى لأنه هو القادر على كشف الكرب وإزالة الشدائد وهو المراد من قوله (تدعونه تضرعا وخفية) أي حلد دعائكم له دعاء تضرع وخفية أو متضرعين ومتحفين والمراد بالضرع هنا دعاء الجهر فالتين (لئن أنجيتنا من هذه الشدة التي نزلت بنا وهي الظلمات المذكورة) لتكون من الشكرين له على ما أنعم به علينا من تخلفنا من هذه الشدائد قال ابن عباس أي من كرب البر والبحر وإذا ضل الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا الآية (قل الله ينجيكم) قرئ شدة أو مخفقا وقراءة التشديد تفيد التذكير وقيل معناها واحد أو الضعيف (منها) راجع إلى الظلمات (ومن كل كرب) بإعادة الجار وهو واجب عند البصريين والكرب ألم الشديدي يأخذ النفس ومنه رجل مكروب (ثم أنتم) بعد أن أحسن الله إليكم بالحلوص من الشدائد وذهاب الكرب

منهم فتادة حيث قال في قوله ينجذ في الأرض مراغما كثيرا وسعة أي من الضلالة إلى الهدى ومن التله إلى الغنى وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدرك الموت فقد وقع أجره على الله أي ومن يخرج من منزله بمنة الهجرة فثبت في أثناء الطريق فقد حصل له عند الله ثواب من هاجر كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح والسنن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن أبي وقاص الذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنياه فهو مهاجرة وأمره

يترجوه فاهجرته الى ماخاير اليه وحذا عاقم الهجرة وفي جميع الاعمال ومنته الحديث الثابت في الصحاح في الرجل الذي قتل نفسه
 وتبعين نسانم اكل بذلك العابد المائة ثم سال عالما له من نوبة فقال له ومن يحول بينك وبين التوبة ثم ارشده الى ان يقول من
 بلده الى بلد آخر بعد الله فقل ارثحل من بلده مهاجر الى البلد الاخرى اذكره الموت في اثناء الطريق فاستصعبت نفسه لاشك
 الرحمة ولا شك العذاب فقال هو لا اله الا هو قال هو لا اله الا هو بل بعد قاهر وان يقيدوا ما بين الارضين فالى ايها ما كان
 اقرب فهو ومنها فاهجر الله هذه ان تقرب من (١٧٤) هذه وهذه ان تبعد وجوده اقرب الى الارض التي هاجر اليها بشهر فبقضته

ملائكة الرحمة وفي رواية انه لما جاء
 الموت باه بصدده الى الارض التي
 هاجر اليها وقال الامام احدثنا
 يزيد بن هرون حدثنا محمد بن اسحق
 عن محمد بن ابراهيم عن محمد بن عبد
 الله بن عتيق قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم (٣) يقول من خرج
 من بيته مهاجرا في سبيل الله ثم قال
 باصابعه هو لا الثلاث السبابة
 والوسطى والايهام خمسة
 ثم قال أين المجاهدون فخرج عن دابته
 فبات فقد وقع أجره على الله اولدغته
 دابة فبات فقد وقع أجره على الله او
 مات حنفا فبات فقد وقع أجره على
 الله والله انها الكلمة ما سمعنا من
 احدهن العرب قبل رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ومن قتل مغضبا فقد
 استوجب المآب وقال ابن ابي
 حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا عبد
 الرحمن بن عبد الملك بن شيبة الخزازي
 حدثني عبد الرحمن بن المغيرة الخزازي
 عن المنذر بن عبد الله عن هشام
 ابن عروة عن ابيه ان الزبير بن العوام
 قال هاجر خالد بن حزام الى ارض
 الحبشة فنهشته حبة في الطريق
 فمات فمات فيه ومن يخرج من
 بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يذكره

(تشركون) بعبادته تعالى شركا لا يستعونكم ولا يضرؤنكم ولا يتدرون على تخلصكم
 من كل ما ينزل بكم فكيف وضعتم هذا الشرك موضع ما وعدتم به عن انفسكم من الشكر
 (قل) امر الله سبحانه ان يقول لهم (هو القادر على ان يعث عليكم عذابا) اي الذي قدر
 على الخباياكم من تلك الشدايد ودفع عنكم تلك الكرب قادر على ان يعيدكم في شدة ومحنة
 وكرب يعث عذابا عليكم من كل جانب (من فوقكم) كالطمر والصواعق والقذف
 والحجارة والريح والطوفان (او من تحت ارجلكم) كالخسف والرحفة والزلازل والقرق
 وقيل من فوقكم يعني الاحرام والظلمة وأئمة السوء ومن تحت ارجلكم السفلة وعبيد
 السوء قاله ابن عباس وعن الضمك الحنوي (او يلبسكم شعرا) من لبس الامر اذا خلطه
 وقرئ بضم الياء أي يجعل ذلك لباسا لكم قيل والاصل او يلبس عليكم امركم مخدوف
 أحد المقعولين مع حرف الجر كافي قوله تعالى واذا كالوهم اوزوزوهم يحسرون والمعنى
 يجعلكم تحتلطي الا هو امتحنت في التحل متفرق الى اراء وقيل يجعلكم فراقا لقاتل بعضكم
 بعضا والشيع جمع شيعة أي الفرق وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشباع وأصل
 من التشيع وفي القاموس شيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة وتبع
 على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على كل من تولى علما
 وأهل بيته حتى صار اسمهم خاصة والجمع اشباع وشيع كعنب انتهى قال مجاهد يعني
 أهواء متفرقة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف (ويذيق بعضكم بأس بعض) أي
 يصيب بعضكم بشدة بعض من قتل وأسروهن وب قال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم
 من الاختلاف والأهواء وسفك بعضهم دماء بعض (انظر كيف انصرف الآيات) أي بين
 لهم الحجج والدلائل من وجود مخلقة (لعلهم يفتقرون) الحقيقة فيعودون الى الحق
 الذي ينباه لهم ببيانات مختلفة مستوعبة أخرج البخاري وغيره عن جابر بن عبد الله قال لما
 نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت ارجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم
 شعرا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو أسير وأخرج أحمد وعبد بن حميد
 ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم في حديث طويل عن ثوبان وفيه رسالته
 ان لا يلبط عليهم عدوا من غيرهم فاعطائهم أو أسألت ان لا يذيق بعضكم بأس بعض فنعينا

الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيمًا قال الزبير فكنيت أو فقهه وأتظر قدومه وانا بارض الحبشة فها وأخرج
 أخرني شيء حزن وفاته حين بلغتني لانه قل أحد هاجر من قريش الاومعه بعض أهله او ذوى رحمه ولم يكن معي أحد من بني أسد بن
 عبد العزى ولا أرجو غيره وهذا الاثر غريب جدا فان هذه القصة مكية وتزول الآية مدني فلهذا اراد انهم اتهم حكمه مع غيره وان لم يكن
 ذلك سبب النزول والله أعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا سليمان بن داود مولى بن جعفر حدثنا سهل بن عثمان حدثنا عبد الرحمن بن سليمان
 حدثنا أشعث هوان سوار عن عكرمة عن ابن عباس قال خرج ضمرة بن جندب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى الفارق
 (٣) قوله يقول من خرج من بيته الى قوله استوجب المآب هكذا في الاصول وحروصه

قبل ان يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترات ومن يخرج من بيته مهاجر الى الله ورسوله الا يتوحد ثانياً حديثنا عن
رجاء ثانياً اسراييل عن سالم عن سعد بن ابي حمزة عن العيص الزرقى الذي كان مصاب البصر وكان يملك فلان فلان الا المستضعفين من
الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فقلت انى لغنى وانى لذو حيلة فقبحه زيد النبي صلى الله عليه وسلم فادركه الموت بالتعظيم
فترات هذه الآية ومن يخرج من بيته مهاجر الى الله ورسوله ثم يدركه الموت الا يتوحد الطبراني حديثنا الحسن بن عروبة البصرى
حديثنا حيوة بن شريح الحمصى حديثنا بقية بن الوليد حديثنا ابن قوبان (١٧٥) عن أبيه حديثنا مكحول عن عبد الرحمن بن عثم
الاشعرى ثانياً انما قال قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله قال من اتدب خارجاً
في سبيلى غازياً بغتاء وجهى
وتصدىق وعدى وائماً بارئى فهو
في ضمان على الله اما ان يتوفاه بالخير
فندخله الجنة واما ان يرجع في
ضمان الله وان طالب عبد افغصه
حتى رده الى أهله مع ما نال من
أجر أو ختمه ونال من فضل الله هل
أقول أو فرضتة فرسه أو بعيره
أو لدغته هامة أو مات على فراشه
بأى حقت شاء الله فهو شهيد وروى
أبو داود ومن حديث بقية بن فضل
الله الى آخره زاد بعد قوله فهو شهيد
وان له الجنة وقال الخافظ أبو يعلى
حديثنا ابراهيم بن زياد حديثنا أبو
معاوية حديثنا محمد بن اسحق عن
سعيد بن أبي حمزة عن عطاء بن يزيد
اللبني عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من خرج
حاجلاً كتب له أجر الحاج الى
يوم القيامة ومن خرج معزلاً كتب له
أجر المعز الى يوم القيامة
ومن خرج غازياً في سبيل الله فقات
كتب له أجر الغازي الى يوم القيامة

وأخرج مسلم وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقبل
ذات يوم من المدينة حتى اذا هو بمسجد بني معاوية دخل فركع فبدر كعتين وصلينامعه
ودعا به بطويلا ثم انصرف الساقف قال سالت ربي ثلاثاً فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة
سألته ان لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته ان لا يهلك أمتي بالأسنة فأعطانيها وسألته
ان لا يجعل بأسهم بينهم قتلعها وأخرج أحدوا الترمذى وحسنه وابن أبي حاتم وابن
مردويه عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية فقال النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أمانتها كائنه ولم يأت تأويلها بعدوا الاحديث في هذا الباب كثيرة
وفيماذ كراهه كفاية (وكذب به) الضمير راجع الى القرآن أو الى الوعيد المتضمن في هذه
الآيات المتقدمة أو الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه بعد لانه خطوب بالكاف
عقبيه وادعاء الاتينات ثم أبعاد أو الى العذاب قاله الزمخشري (قومك) المذكورهم
قريش وقيل كل معانداً كذبوا به (وهو الحق) أى في كونه كتاباً منزل من عند الله ولأنه
واقع للجملة (قل لست عليكم بوكيل) أى بحفظه على أعمالكم حتى أجازيكم علم اقبل
وهذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل ليست منسوخة اذ لم يكن إيمانهم في وسعه (لكل
بناستقر) أى لكل شئ وقت يقع فيه والسبأ الشئ الذى يباغنه وقيل المعنى لكل عمل
جزاء وقال ابن عباس لكل بنا حقيقة قال الزجاج يجوز ان يكون وعيد الهمة بما ينزل بهم
في الدنيا وقال الحسن هذا وعيد من الله للكفار لانهم كانوا لا يعرفون بالبعث قال السدي
فكان بنا القوم استقر يوم بدر ما كان يعددهم من العذاب (وسوف تعلمون) ذلك في
الدنيا بحصوله وزوله بكم وقد علموا يوم بدر بحصول ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يتوعدهم به وفى الآخرة أو فبما معا وسوف لتأكيده كافي قوله تعالى وتعلمن بنا بعد حين
(واذا رأيت الذين يخوضون في آثاننا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل
من يصلح له والخوض أصله في اللغة هو الشروع في الماء والعبور فيه ثم استعمل في غرات
الاشياء التي هي بمجال شبهها بغمرات الماء فاستعمل من المحسوس للمعقول وقيل هو
ما خوذ من الخلط وكل شئ خضته فقد خلطه ومنه خاض الماء بالعسل خلطه والمعنى
واذا رأيت الذين يخوضون في القرآن بالكذب والردو الاستنزاء (فأعرض عنهم) أى
فدعهم ولا تتبعهم سمعنا مثل هذا المنكر العظيم (حتى يخوضوا في حديث غيره)

وهذا حديث غريب من هذا الوجه (واذا ضرب يمين في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان يقسمن الذين
كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً) يقول تعالى واذا ضرب يمين في الارض اى سافرتم في البلاد كما قال تعالى علم ان سيكون منكم
مرضى وآخرون بضربون في الارض يتغنون من فضل الله الآية وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة اى تخففوا
فيها اما ان يكتبها بان تجعل الرابعة ثمانية كما فهمه الجهم ومن هذه الآية واستدلوا بها على قصر الصلاة في السفر على اختلافهم
في ذلك فمن قائل لا بد ان يكون سفر طاعة من جهاد أو حج أو عرفة أو طلب علم أو زيادة أو غير ذلك كما هو معنى ابن عمر وعطاء ويحيى

عن مالك في رواية عنه نحوه لظاهر قوله ان ختمه ان يقتسمكم الذين كفروا ومن قائل لا يشترط سفر القرية بل لا بد ان يكون ناسا
لقوله فمن اضطر في حاجة غير مجانب لاثام الا بآباح له تناول المستمع الاضطرار بشرط ان لا يكون عاصيا بسفه روهه هذا قول
الشافعي واحمد وغيرهما عن الائمة وقال ابن ابي شيبة حدثنا وكيع عن الاعشى عن ابراهيم قال جابر قال قال رسول الله اني
رجل ناجر اختلف الى البحرين فامر ان يصلي ركعتين فهداهم سبل ومن قائل يكفي مطلق السفر سواء كان مباحا ومخطورا
حتى لو خرج لقطع الطريق واخافة السيل (١٧٦) ترخص لوجود مطلق السفر وهذا قول أبي حنيفة والثوري وادوا لعموم

أي مغاير له الضمير للآيات والتذكير باعتبار كونهم اقرا أو باعتبار كونهم احاديثا فان
وصف الحديث بمغايرتها ياشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية أمره الله سبحانه بالاعراض
عن أهل المجالس التي يستهان فيها آيات الله الى غاية هي الخوض في غير ذلك وفي هذه
الآية موعظة عظيمة لمن يتسمع بمجالسة المبسدة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون
بكتابه وسنة رسوله ويردون ذلك الى احوالهم المضلة وتقليداتهم الفاسدة وبندهم
الكاسدة فانه اذا لم يشكر عليهم وبغير ما هم فيه قائل الاحوال ان يترك مجالستهم وذلك
يسر عليه غير عسير وقد يجعلون حضورهم معهم مع ترغبه عما يتلبسون به شبهة يشبهون بها
على العامة فيكون في حضورهم مفسدة زائدة على مجرد سماع المنكر وقد شاهدنا من هذه
المجالس المعونة ما لا يأتي عليه الحصر ونحن في نصره الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه
وبلغت البهط اقتنا ومن عرف هذه الشريرة المطهرة حق معرفتها علم ان مجالسة أهل
البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف مضاعف ما في مجالسة من يعصى الله بفعل شيء من
المحرمات ولا سيما ان كان غير راسخ في علم الكتاب والسنة فانه ربما يتفق عليه من
كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان فمن قد حرق قلبه ما يصعب علاجه
ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره ويلقى الله به معتقدا انه من الحق وهو من أبطل الباطل
وأكثر المنكر قال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة
وأخبرهم انما أهلكنا من كان قبلهم بالمرء والنصوصات في دين الله وعن أبي جعفر قال
لما تجالسوا أهل الخصومات فانهم الذين يخوضون في آيات الله وعن محمد بن علي قال ان
أحجاب الاحواء من الذين يخوضون في آيات الله وقال مقاتل كان المشركون عكة
اذا سمعوا القرآن من أحجاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاضوا واستمروا فقال المسلمون
لا يصلح لنا مجالستهم يخاف ان تخرج حين نسمع قولهم ونجالسهم فأنزل الله هذه الآية
وقال السدي ان هذه الآية متسوخة بآية السيف ولا يصح (واما نسيك الشيطان)
فقعرت معهم (فلا تقع بعد الذكري) أي اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقعد (مع القوم
الظالمين) أي المشركين وفيه موضع الظاهر موضع المضمرة نعي عليهم انهم بذلك الخوض
واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك قال مجاهد
نهي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان يقعد معهم الا ان ينسب قاذف فليقم ذلك قول

الآية وخالفهم الجهور واما قوله تعالى ان ختمه ان يقتسمكم الذين
كفروا فقد يكون هذا خرج مخرج
الغالب حال نزول هذه الآية فان
في مبدء الاسلام بعد الهجرة
كان غالب اسفارهم مخوفة بل
ما كانوا ينهضون الى الغزو وعام
أو في سرية خاصة وسائر الاحيان
غرب للاسلام وأهل والمنطوق اذا
خرج مخرج الغالب فلامه فهم له
كقوله تعالى ولا تكثر هو اقتباسكم
على البغاء ان أردت تحصنا وكقوله
تعالى وربانيكم الا لا في جوركم
من نساكم الآية وقال الامام
أحمد حدثنا ابن ادريس حدثنا
ابن جريج عن ابي عمار عن عبد الله
ابن ربيعة عن يعلى بن أمية قال سألت
عمر بن الخطاب قلت له قوله ليس
عليكم جناح ان تقصر وامن الصلاة
ان ختمه ان يقتسمكم الذين كفروا
وقد آمن الناس فقال لي عمر رضي الله
عنه عجبت مما عجبت منه فسألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال صدقة تصدق الله بها
عليكم فاقبلوا صدقته وحذروا
مسلم وأهل السنن من حديث ابن

جرير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وقال علي بن المديني هذا حديث الله
حسن صحيح من حديث عمرو ولا يحفظ الا من هذا الوجه رجاله معروفون وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك بن
مغول عن ابي حنظلة الخذاء قال سألت ابن عمر عن صلاة الفرق قال ركعتان فقالت أبي بن قحافة ان ختمه ان يقتسمكم الذين كفروا
ويشأن آمنون فقال سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر دونه حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى حدثنا علي بن محمد بن سعيد
حدثنا نجاد حدثنا ثرك عن قيس بن وهب عن أبي الوالد (٣) قال سألت ابن عمر عن ركعتين في السفر فقال هي رخصة نزلت من
(٢) قوله عن أبي الوالد كذا في الأصول ومجرر اه

السماء فان شتم فردوها وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابن جهم عن ابن سيرين عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة ونحن آمنون لا تخاف منكم ما ركعتين ركعتين وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد الخزاز عن عبد الله بن عون به قال أبو عمر بن عبد البر وهكذا رواه أبو هشام وزيد بن ابراهيم التستري عن محمد بن سيرين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله قلت وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتبية عن جهم عن منصور عن زاذان عن محمد بن سيرين عن ابن عباس (١٧٧) ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا الله رب العالمين فصلى ركعتين ثم قال

الترمذي صحيح وقال البخاري حدثنا أبو نعمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحيى بن أبي اسحق قال سمعت انس بن مالك يقول خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قلت أقمركة شيئا قال أقمنا بها عشرين ركعة أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى بن أبي اسحق الحضرى به وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن حارثة بن ابي وهب الخزاعي قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر بمكة أكثر ما كان الناس وأمه ركعتين ورواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن ابن أبي اسحق السيمى عنه به ولفظ البخاري حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبه أنبأنا أبو اسحق سمعت حارثة بن وهب قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن ما كنا عنى ركعتين وقال البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عبد الله أخبرني نافع عن

الله بعنى هذه الآية وعن ابن سيرين انه كان يرى ان هذه الآية تنزلت في أهل الأهواء وقضى بشديد السيرة والمعنى ان أنسأ الشيطان ان تقوم عنهم فلا تقعد اذا ذكرت مع الذين ظلموا أنفسهم بالاستمرار بالآيات والتكذيب بها وقيل وهذا الخطاب وان كان ظاهره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد التعريض لامته لتزعمه عن ان ينسبه الشيطان وقيل لا وجه لهذا فالنسيان جائز عليه كما نطق بذلك الاحاديث الصحيحة انما أبشرا أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرنى ونحو ذلك (وما على الذين يقولون) مجالسة الكفار عند خوضهم في آيات الله (من حسابهم) أى الكفار (من شئ) وقيل المعنى ما على الذين يقولون ما يقع منهم من الخوض في آيات الله في مجالستهم لهم من شئ وعلى هذا التفسير في الآية الترخيص للمؤمنين في مجالسة الكفار اذا اضطروا الى ذلك قبل وهذا الترخيص كان في أول الاسلام وكان الوقت وقت تقية ثم نزل قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستمزأهم فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره فنسخ ذلك والحق انه محكمه باجماع أهل العلم خلافا للكلبي كما تقدم في سورة النساء عن عمر بن عبد العزيز انه أنى يقوم قعدوا على شراب معهم رجل صائم نضر به وقال لا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقيل مجالستهم مساحة بشرط الوظ والنهي عن المنكر (ولكن ذكرى) قال الكسائي المعنى ولكن هذه ذكرى والمعنى على الاستدراك من النبي السابق أى ولكن عليهم الذى كرى للكافرين بالموعظة والبيان لهم بان ذلك لا يجوز أيا على التفسير الاول فلان بمجرد اتقاء مجالس هؤلاء الذين يخوضون في آيات الله لا يسقط بوجوب الامر بالعرف والنهي عن المنكر وأما على التفسير الثانى فالترخيص في المجالسة لا يسقط التذكير وفيه وجود آخرى (لعلهم يتقون) الخوض في آيات الله اذا وقعت منهم الذكركى لهم وأما جعل الضمير للمؤمنين فبعد جدا (وذرا الذين اتخذوا دينهم) أى اترك هؤلاء الذين اتخذوا الدين الذى كان يحق عليهم العمل به والدخول فيه ودعوا اليه ويهود بن الاسلام (لعبا ولهاوا) حيث سخر واهوا واستهزأوا فيه فلا تعلق قلبك بهم فانهم أهل تمسك وان كنت سامرا بابالاعمال الخوة وقيل هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل المعنى انهم اتخذوا دينهم الذى هم عليه لعبا ولهاوا كفى فعلهم بالانعام من تلك الجهالات والاضلالات المتقدم ذكرها وقيل المراد بالدين هنا العبد أى اتخذوا عبيدهم لعبا ولهاوا قال

(٢٣) فتح البان ثالث) عبد الله بن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وأبى بكر وعمر وعثمان صلا من امارته ثم أتتها وكذا رواه مسلم من حديث يحيى بن سعيد القطان به وقال البخاري حدثنا قتبية حدثنا عبد الواحد عن الاعمش حدثنا ابراهيم سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول صلى بنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة أربع ركعات فقيل في ذلك لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه فاسترجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ركعتين وصليت مع أبى بكر عنى ركعتين وصليت مع عمر ابن الخطاب عنى ركعتين فليت حظى من أربع ركعات ركعتان متقبلتان ورواه البخاري أيضا من حديث الثوري عن الاعمش به

خرجهم من طريق عندهم من قتيبة كما تقدم فيه الا حديث التصريح على ان القصر ليس من شرطه وجود الخوف ولهذا
من قال من العلماء ان المراد من القصر ههنا القصر الكيفية لا الكمية وهو قول مجاهد والسدّي كما سألني سائره
واعترضوا ايضا بما رواه الامام مالك عن صالح بن كيسان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها قالت فرضت الصلاة ركعتين
ركعتين في السفر والحضر فارت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وقد روى هذا الحديث البخاري عن عبد الله بن يوسف النسبي
ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعني (١٧٨) والنسائي عن قتيبة أربعتهم عن مالك بن أنس قالوا فإذا كان أصل الصلاة

قنادة أي أكلوا وشربوا وكذا من جعل طريقته الحزم والزهر والرقص ونحوه وفي البيضاوي
بنوا أمر دينهم على التشبي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجل وأجلا كعبادة الصنم
وتحريم الجائر والسوائب والمعنى أعرض عنهم ولا تبال بأفعالهم وأقوالهم وقال مجاهد
هو مثل قوله ذري ومن خلقت وحيداً يعني الله لا يلد ويدعى هذا تكون الآية محكمة
(وغيرهم الحياة الدنيا) حتى آثره ما على الآخرة وأكثروا البعث وقالوا ان هي الا حائنا
الدينا فون ونحيا وما نحن بجمعونين (وذ كره) أي القرآن أو بالحساب (أن) أي لا
(تبسل نفس) الا بسال تسلیم المرء نفسه للهلاك ومنه أبسلت ولدي أي رهنه في الم
لان عاقبته ذلك الهلاك وأصل الا بسال والبسل في اللغة التحريم والمنع يقال هذا علي
بسل أي حرام ممنوع ومنه أسد بسال لان فرسته لا تلتفت منه أولانه تمتنع والباسل
الشجاع لا تمتنع من قرنه وهذا بسيل عليك أي ممنوع قال أبو عبيد المتبسل الذي يسلم
نفسه على الموت أو الضرب وان استبسل أي ان يطرح نفسه في الحرب ويريد ان يقتل
فالمعنى وذ كره خشية أو مخافة أو كراهة ان تمك نفس (بما كسبت) أي ترتهن وتسلم
للهلكة وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الآثام وعن ابن عباس
ان تبسل ان تقض وأبسلوا فمضوا وقال قتادة تحبس في جهنم وقال الفضالة تحرق النار
وقال ابن زيد تؤخذ به (ليس لها) أي لتلك النفس التي هلكت (من دون الله) من لئلا
الغاية وقيل انما زادته بقوله ابن عطية وليس بشئ والاول أظهر (ولي) قريب ناصر يلي
أمرها (ولا شفيع) يشفع في الآخرة ويمنع عنها العذاب (وان تعدل كل عدل) العدل
هنا القديرة والمعنى وان بذلت تلك النفس التي سلمت للهلاك كل قديرة (لا يؤخذ منها) ذلك
العدل حتى تجوبه من الهلاك (أو أهلك) أي المتخذون دينهم لعباد الله وأردوه ميتدا وخبره
(الذين أبسلوا) أي أسلوا للهلاك (بما كسبوا) أي بجراثرهم وجلة (لهم شراب من حميم)
مسماؤه كانه قيل كيف هؤلاء فقيل لهم شراب الآية وهو الماء الحار البالغ نهاية
الحرارة ومثله قوله تعالى يصب من فوق رؤوسهم الحميم وهو شراب ابشر بونه فيقطع
امعاءهم (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) أي بسبب كفرهم (قل أئذ دعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا) أمره الله سبحانه بان يقول لهم هذه المقالة والاستغياهم للتوبيخ
أي كيف ندعوا من دون الله أصناما لا تنفعنا ولا يضرنا من الوجوه ان أردنا منها ان تنفعنا ولا تخشى

في السفر هي التفتين فكيف يكون
المراد بالقصر ههنا قصر الكمية
لان ما هو الاصل لا يقال فيه فليس
عليكم جناح ان تقصروا من
الصلاة وأصرح من ذلك دلالة على
هذا ما رواه الامام أحمد حدثنا وكيع
وسفيان وعبد الرحمن عن زيد
اليامي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى
عن عروة رضي الله عنه قال صلاة
السفر ركعتان وصلاة الاضحية
ركعتان وصلاة الفطر ركعتان
وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
وهكذا رواه النسائي وابن ماجه
وابن حبان في صحيحه من طريق عن
زيد اليامي به وهذا السناد
على شرط مسلم وقد حكمهم مسلم
في مقدمة كتابه بسماع ابن
أبي ليلى عن عمر وقد جاء مصرحا
به في هذا الحديث وفي غيره وهو
الصواب ان شاء الله وان كان
يحيى بن معين وأبو حاتم والنسائي
قد قالوا انه لم يسمع منه وعلى هذا
أيضا فقال وقع في بعض طرق أبي
يعلى الموصلي من طريق الثوري
عن زيد عن عبد الرحمن بن أبي

ليلى عن النقة عن عمر فذكره وعند ابن ماجه من طريق يزيد بن أبي زياد بن أبي الجعد عن زيد عن
عبد الرحمن عن كعب بن عجرة عن عمر فأنه أعلم وقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي عروة
الوضاح بن عبد الله الشكري زاد مسلم والنسائي وأبو بن عائذ كلاهما عن بكير بن الاخضر عن مجاهد عن عبد الله بن عباس
قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة فكيف يصلي
في الحضر قبلها وبعد ما فكذلك يصلي في السفر ورواه ابن ماجه من حديث أسامة بن زيد عن طاوس نفسه فهذا ثابت عن

ابن عباس رضي الله عنهما ولا ينافي ما تقدم عن عائشة رضي الله عنها لانها أخبرت ان أصل الصلاة ركعتان ولكن زيد في صلاة
الخطبة فلما استقر ذلك صح ان يقال ان فرض صلاة الخطبة أربع كما قاله ابن عباس والله أعلم لكن اتفق حديث ابن عباس
وعائشة على ان صلاة السفر ركعتان وانما تامة غير مقصورة كما هو مصرح به في حديث عمر رضي الله عنه واذا كان كذلك فيكون
المراد بقوله تعالى فامس علىكم جناح ان تقصر وامن الصلاة قصر الكسفة كافي صلاة الخوف ولهذا قال ان ختمتم ان يقتسمكم
الذين كفروا الآية ولهذا قال بعدها واذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة الآية (١٧٩) فيمن المقصود من القصر ههنا وذكر

صفته وكيفيته ولهذا لما عقد
الخاري كتاب صلاة الخوف صدره
بقوله تعالى واذا ضربتم في الارض
فليس عليكم جناح أن تقصروا
من الصلاة الى قوله ان الله أعتد
للكافرين عذابا مهينا وهكذا قال
جوهر عن الضحاك في قوله فليس
عليكم جناح أن تقصروا من
الصلاة قال ذاك عند ائتمان بصل
الرجل راكب تكبيرتين حيث كان
وجهه وقال أسباط عن السدي في
قوله واذا ضربتم في الارض فليس
عليكم جناح أن تقصروا من
الصلاة ان ختمت الآية ان الصلاة
اذا صليت ركعتين في السفر
ففي تمام التفسير لا يصلح الآن
يخاف من الذين كفروا أن يقتنوه
عن الصلاة فالتقصير ركعة وقال
ابن أبي نجيع عن مجاهد فليس
عليكم جناح أن تقصروا من
الصلاة يوم كان النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه بعسفان والمشركون
بضحيان فتوافقوا فصلى النبي
صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة
الظهر أربع ركعات بر كوعهم
وسجدهم وقيامهم معاجيعا فهتم

ضربوا وجهه من الوجوه ومن كان هكذا فلا يستحق العبادة (وردد على اعتقائنا) جمع
عقب أي كيف ندعوه من كان كذلك ونرجع الى الصلاة التي أخرجنا الله منها قال
أبو عبيدة يقال لمن رد عن حاجته ولم ينظر فيها قدر على عقبيه وقال المبرد تعقب بالشر بعد
الخبر وأصله من المعاقبة والعقبى وهما ما كان نالهما الشيء وأجبا ان يتبعوه ومنه المعاقبة
للمتقين ومنه عقب الرجل ومنه العقوبة لانها تالية للذنب (بعد اذهابنا الله) الى دين
الاسلام والتوحيد (كأنني استنوته الشياطين في الارض) هوى يهوى الى الشيء
أسرع اليه قال الزجاج هو من هوى النفس أي زين له الشيطان هواه واستنوته
الشياطين هوت به أي نرد حال كونهما متبين للذي استنوته الشياطين أي ذهبت به مرادة
الحق فألقته في هواه من الارض بعد ان كان بين الانس وعلى هذا أصله من الهوى وهو
التزول من أعلى الى الأسفل (حيران) أي حال كونه متغيرا نائما لا يدري كيف يصنع
والحيران هو الذي لا يتدلى لجهة وقد يقال حاريج حيرة وحيرة أن ترد به سمي
الماء المستنقع الذي لا منفذ له حاراً (له) استحباب يدعونه الى الهدى صفة لحيران أو حال
أي له رفة يقولون له (انتبه) فلا يجيبهم ولا يتدلى بهم سمى وبني حيران لا يدري أين
يذهب (قل) أمره سبحانه بان يقول لهم (ان هدى الله) أي ديه الذي ارتضاه لعباده
(هو الهدى) وماعدا باطل ومن يبع غير الاسلام ديناً فإل يقبل منه (وأمرنا نسلم)
هي لام الهاء والمعلول هو الأمر أي أمرنا لاجل ان نسلم قاله الزمخشري وقال الزمخشري
بان نسلم لان العرب تقول أمرتك ان تذهب وبان تذهب بمعنى وقال النحاس سمعت ابن
كيسان يقول هي لام الخفض وقيل زائدة (أرب العالمين) لانه هو الذي يستحق العبادة
لا غيره (و) أمرنا أن أقيموا الصلاة ويجوز أن يكون عطف على يدعونه أي يدعونا الى
الهدى ويدعونه ان أقيموا (وانقوه) لان فيه ما يقرب اليه (وهو الذي المتهترون)
يوم القيامة فكيف تتخالفون أمره مستأنفة موجبة لامثال ما أمر به من الامور الثلاثة
(وهو الذي خلق السموات والارض) خلقا (بالحق) أو حال كون الخلق بالحق فكيف
تعبدون الاصنام المخلوقة وانظروا للحق وعلى هذا الباء بمعنى اللام وقيل كل ذلك بالحق
وقيل خلقهما بكلامه الحق وهو قوله كن وقيل بالحكمة ومحققا لا هازلا ولا عابثا (و) اذكروا
أوانتوا (يوم يقول) للسموات والارض (كن) والمراد بالقول المدكور حقيقة المأمر

بهم المشركون ان يغيروا على أمتهم وأنشأهم روى ذلك ابن أبي حاتم ورواه بن جرير عن مجاهد والسدي وعن جابر وابن عمر واختار
ذلك أيضاً فانه قال بعد ما حكاه من الاقوال في ذلك وهو الصواب وقال ابن جرير حديث محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا ابن أبي
فديك حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن شهاب عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد انه قال لعبد الله بن عمر انما جدي في كتاب الله قصر صلاة
الخوف ولا تجدد قصر صلاة المسافر فقال عبد الله انا وجدنا نبينا صلى الله عليه وسلم يعمل عملا علمناه فقد سمى صلاة الخوف مقصورة
وحمل الآية عليها الا على قصر صلاة المسافر وأقره ابن عمر على ذلك واحتج على قصر الصلاة في السفر بفعل الشارع لا بنص القرآن

وعمر من هذا ما رواه ابن جرير بن أبي ربيعة ثنا أحمد بن الوليد القزويني ثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حماد بن أسد عن قال سالت
ابن عمر عن صلاة السجدة قال ركعتان تمام غير قصر انما القصير في صلاة الخفاة فقلت وما صلاة الخفاة فقال يعني الامام بمائة ركعة
ثم يبيح مشيؤا الى مكان حوله ويحي مشيؤا الى مكان حوله فيصلي بهم ركعة فيكون للامام ركعتان ولكل طائفة ركعة ركعة واحدة
كنت فيهم فالتفت اليهم الصلاة فقامت منهم ركعة وليأخذوا أسلحتهم فذا سجدوا فليكونوا من وراءكم ولتأت طائفة أخرى لم
يصلوا فليصلوا معكم وليأخذوا أسلحتهم وركعتهم (١٨٠) وهذا الذي ذكره الواقدي عن أسلافكم وأمتكم فيعلمون عليكم صلاة

به النسيب والتشبيه تقرس باللعن لان سرعة قدرته تعالى أقل زمنا من زمن النطق بكن
والاول اولى (فيكون) تام وفي غايته أوجه أحدها انه خير جميع ما يخلق الله تعالى يوم
القيامة الثاني انه خير الصور المنشوخ فيه ودل عليه يوم ينفع في الصور والثالث انه
خير اليوم أي فيكون ذلك اليوم العظيم الرابع ان الفاعل هو (قوله) و(الحق) فسنة
أي في جده قوله الحق ويكون الكلام على هذا أقدم على الحق والمعنى قوله للشيء اذا أراد
كس فيكون حق وصدق وقيل المعنى لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكنونات
الا عن حكمة وعواب وقيل المعنى وأمره المتعلق بالاشياء الحق أي المشهود له بالحق
وقيل المعنى قوله المنصف بالحق كائن يوم يقول الآية وقرئ فيكون بالنون وهو إشارة الى
سرعة الحساب وقرئ بالتحية وهو الصواب (وله الملك يوم ينفع في الصور) أي له الملك
في هذا اليوم وقيل هو يدل من اليوم الاول أخبر عن ملكي يومئذ وان كان الملك خالسا
في كل وقت في الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعي الملك والصور قرن ينفع فيه النعمة
الاولى للنساء والثانية للانشاء وخولقة أهل البين وكذا قال الجوهري ان الصور والقرن
أي المستطيل وفيه جميع الارواح وفيه ثبت بعددها فاذا انفض خرجت كل روح من نهبها
ووصلت لجسدها فتحل الحياة قال مجاهد الصور كهية البوق وقرئ الصور جمع صورة
والمراد خلق وبه قال الحسن ومقاتل قال أبو عبيدة هذا وان كان محتملا لربوبية الكتاب
والسنة قال الله تعالى ثم تنفع فيه أخرى وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي
وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وعبد بن حماد وابن المنذر
عن عبد الله بن عمر وقال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصور فقال قرن ينفع فيه
وأجمع عليه أهل السنة والاحاديث الواردة في كيفية النفع ثابته في كتب الحديث
لا حاجة لنا ابرادها هنا (عالم الغيب والشهادة) صفة للذي خلق السموات والارض
أو هو يعلم ما غاب من عباد وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء (وهو الحكيم) في جميع
ما يصدر عنه (الخبير) بكل شيء (واذا قال ابراهيم لايه آزر) اختلف أهل العلم في
لقطة آزر قال الجوهري آزر اسم أبيهم وهو مشفق من آزر فلان فلانا اذا كانوه فهو
موازر فومه على عبادة الاصنام وقال ابن فارس انه مشتق من القوة قال الجوهري في
النكت من التفسير انه ليس بين الناس اختلاف في ان اسم والد ابراهيم تارخ ضبطه

واحدة ولا جناح عليكم ان كان
يكم أي من مطرا أو كنتم مرضى ان
تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم
ان الله أعد للكافرن عذابا مبينا
صلاة الخوف أنواع كثيرة فان العدو
تارة يكون تجمعا للقبلة وتارة يكون
في غرضها والصلاة تارة تكون
رباعية وتارة تكون ثلاثة كالغرب
وتارة ثنائية كالصبح وصلاة الذر
ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتمح
الحرب فلا يقدرون على الجماعة
بل يصلون فرادى مستقبل القبلة
وغير مستقبلها ورجالا وركبانا ولهم
ان يغشوا والحالة هذه ويضربوا
الضرب المتتابع فيمن الصلاة ومن
العلماء من قال يصلون والحالة هذه
ركعة واحدة لحديث ابن عباس
المتقدم وبه قال أحمد بن حنبل قال
المنذري في الخواشي وبه قال عطاء
وجابر والحسن ومجاهد والحكم
وقائدة وجاد واليه ذهب طائوس
والغضائوق قد حكى أبو عاصم العبادي
عن محمد بن نسر المروزي انه يرى رد
الصبح الى ركعة في الخوف واليه
ذهب ابن سترم أيضا وقال الحق بن
راخويه أما عند المسابقة فيرك
ركعة واحدة تؤتيها ايتاما فان لم

تقدر فسيجدة واحدة لانها ذكر الله وقال آخرون يبقى تكبيرة واحدة قلعة أو ادر ركعة واحدة كقوله الامام بعضهم
أحمد بن حنبل وأحمد وبه قال جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وكعب وغير واحد من الصحابة والسدي ورواه ابن جرير ولكن الذين
مكوه انما حكموا على ظاهره في الاجتهاد تكبيرة واحدة كالحمد ذهب الحق بن راخويه واليه ذهب الامير عبد الرهاب بن جنت
المكي حتى قال فان لم يقد على التكبيرة فلا تكبيرة في نفسه يعني بالنسبة رواد سعيد بن منصور في سنة عن اسمعيل بن عباس عن
شعيب بن دينار عنه قاله أعلم ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لعذر القتال والمنجزة كما أخر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب

الظهر والعصر فصلاهما بعد الغروب ثم صلى بعدهما المغرب ثم العشاء وكما قال بعدهما يوم بنى قريظة حين جهزوا لهم الجيش لا يصلح
أحدهمكم العصر الا في بنى قريظة فادركتهم الصلاة في أثناء الطريق فقال منهم قائلون لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
تجبل المسير ولم يرد منا تأخير الصلاة عن وقتها فصلاوا الصلاة لوقتها في الطريق وآخر آخرون منهم صلاة العصر فصلاوها بنى قريظة بعد
الغروب ولم يعنف رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا من الفريقين وقد تكلمنا على هذا في كتاب السيرة وبيننا ان الذين صلاوا العصر
لوقتها أقرب الى اصابة الحق في نفس الامر وان كان الآخرون معذورين (١٨١) ايضا وانحطه ههنا في ذكرهم في تأخير الصلاة

لاجل الجهاد والمبادرة الى حصار
الناكسين للهدم من الطائفة
المعونة اليهود وأما الجهور فقلوا
هذا كله منسوخ بصلاة الخوف
فانهم لم تكن نزلات بعد فلما نزلت
نسخ تأخير الصلاة لذلك وهذا
أبين في حديث أبي سعيد الخدري
الذي رواه الشافعي رحمه الله وأهل
السنة ولكن يشكل عليه ما حكاه
البخاري في صحيحه حيث قال باب
الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء
العدو قال الا وراي ان كان تهيبا
الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلاوا
ايام كل امرئ لنفسه فان لم يقدروا
على الايمان أخرها الصلاة حتى
ينكشف القتال أو يأمنوا فاصلا
ركعتين فان لم يأمنوا صلاوا ركعة
ومسحدين فان لم يقدروا فلا يجزئهم
التكبير ويؤخرونها حتى يأمنوا
وبه قال مكحول وقال أنس بن مالك
حضرنا عند مناهضة حصن تستر عند
اضاعة الفجر واشتد اشتعال القتال
فلم يقدروا على الصلاة فلم يصل الا
بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن
مع أبي موسى ففتح لنا قال أنس وما
يسري تلك الصلاة الدنيا وما فيها

بعضهم بالخاء المعجمة لا وبعضهم بالخاء الموحدة والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقد
تعب في دعوى الاتفاق بما روى عن ابن ابي عمير والكلبي انه كان له اسمان آزر
وتارخ وقال مقاتل آزر لقب وتارخ اسم وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن آزر
وهو في التوراة تارخ والله سمى آزر وان كان عند التباين والمؤرخين اسمه تارخ يعرف
بذلك وكان من كوفى وعمرى قريظة من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي ان آزر سب وعتب
ومعناه في كلامهم الموعج وقال الضحاك معنى آزر الشيخ الهرم بالفارسية وهذا على
مذهب من يجوز ان في القرآن الفاظا قديمة فارسية وقال الفراء هي صفة قدم بلغم كانه
قال بالخطي وروى مثله عن الزجاج وعن السدي قال اسم آزر تارخ واسم الصم آزر
وقال ابن عباس الآزر الصم وأبو ابراهيم اسمه يازر وأمه اسمها مثل وامرأته اسمها سارة
وسمى تارخ اسمها ميل اسمها هاجر وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صم كان والد
ابراهيم بعينه وعلى هذا فاطلاق اسم الصم على آزر اسمها للتعبير له لكونه معبودا وعلى
حذف مضاف أى قال لا يسمه عابدا آزر أو تعبد آزر على حذف الفعل والتعبير ان آزر اسم
لا في ابراهيم لان الله سماه به وعليه جرى جمهور المفسرين وما نقل عن التباين والمؤرخين
ان اسمه تارخ ففيه نظر لانهم انما نقلوه من أهل الكتاب ولا عبرة بقولهم وقد أخرج
البخاري في افراذه من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يلقى ابراهيم
عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر رقعة وغبرة الحديث وسماه النبي صلى الله
عليه وآله وسلم آزر أيضا لاقول لا حدمع قول الله تعالى ورسوله كأنسان كان والمعنى اذكر
اذ قال ابراهيم لا آزر (أتخذ أصناما) جمع صنم وهو التمثال والوثن بمعنى وهو الذي يتخذ
من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب أو فضة على صورة إنسان أى يجعلها (آلهة) لك
تعبدها من دون الله الذي خلقك ورزقك (الى آراك) الرؤية اما على لغة ما بصرية والجملة
تعمل لانكاره والتوبيخ (وقومك) المتبعين لك في عبادة الأصنام (في ضلال) عن
طريق الحق (صين) واضح بين لان هذه الأصنام لا تنضر ولا تنفع (وكذلك) أى مثل
تلك الآراء (رى ابراهيم) والجملة معترضة قيل كانت هذه الرؤية بعين البصر وقيل بعين
البصيرة ومعنى نرى آزر بناء حكاية له لما مضى أى رأينا ذلك وقد كان آزر وقومه يعبدون
الأصنام والكواكب والشمس والقمر فآزر ادان بينهم على الخطا وقيل انه ولد في سرب

انتهى ما ذكره ثم اتبعه بحديث تأخير الصلاة يوم الاحزاب ثم بحديث أمره اياهم أن لا يصلوا العصر الا في بنى قريظة وكأنه كان المختار
لذلك والله أعلم ولكن جزمه ان يتجسس بضمج أى موسى وأصحابه يوم فتح تستر فانه يشتم غالبا ولكن كان ذلك في اشارة عن ان الخطاب ولم
ينقل انه أكرع عليهم ولا حدم من الصحابة والله أعلم قال هؤلاء قد كانت صلاة الخوف مشروعة في الخندق لان غزوة ذات الرقاع
كانت قبل الخندق في قريظة وجعل السيرة والمغازي وعن نصر على ذلك محمد بن اسحق وموسى بن عقبة والواقدي ومحمد بن سعد
كاتبه وخليفة بن الخطاب وغيرهم وقال البخاري وغيره كانت ذات الرقاع بعد الخندق لحديث أبي موسى ومقدم الا في خير والله أعلم

والعجب كل العجب ان المزي وأبا يوسف القاضي وابراهيم بن اسمعيل بن عليهما ذهبوا الى ان صلاة الخوف منسوخة بتأخيرها عليه الصلاة والسلام الصلاة يوم الخندق وهذا غريب جدا وقد ثبتت الاحاديث بعد الخندق بصلاة الخوف وحل تأخير الصلاة يومئذ على ما قاله مكحول والاوزاعي أقوى وأقرب والله أعلم بقوله تعالى واذا اكتبتم فمهم فالتكلم بالصلاة أي اذا اصبحت بهم اماما في صلاة الخوف وهذا حاله غير الاولى فان تلك قصرها الى ركعة كادل عليه الحديث فراد اورجالا وركبا نامستقبلي القبلة وغير مستقبليها ثم ذكر حال الاجتماع والاتحام اماما واحدا وما أحسن ما استدله (١٨٢) من ذهب الى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة حيث اغفرت

افعال كثيرة لأجل الجماعة فلولوا انما واجبة ما ساء ذلك وأما من استدله هذه الآية على ان صلاة الخوف منسوخة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله واذا اكتبتم فمهم فبعده فتوفت هذه الصفة فانه استدلال ضعيف ويرد عليه مثل قول مانعي الزكاة الذين احتجوا بقوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم قالوا فممن لا تدفع زكاته ما بعده صلى الله عليه وسلم الى أحد بل نخبرهم نحن من أيدينا على من نراه ولا ندفعها الا الى من صلاته أي دعاؤه سكن لنا ومنع هذا رد عليهم الصحابة وأبو عليهم هذا الاستدلال وأجروهم على أداء الزكاة فاتفقوا من منعها منهم ولتد كرسب نزول هذه الآية الكريمة أولا قبل ذلك رصفتها قال ابن جرير حدثني ابن المنني حدثني انحنى حدثنا عبد الله بن هاشم أنبا يابا يوسف عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي رضي الله عنه قال سألت قوما من بني النجار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اننا نضرب في الارض فكيف

وجعل رزقه في أطراف أصابعه فكان يصفا وسبب جعله في السرب ان القرد رأى رؤيا أن ملكا يذهب على يد مولود فاهم يقتل كل مولود (ملكوت السموات والارض) أي ملكهم ما وزدت التاء والواو للمماثلة في الصفة ومثله الرغبة والرغوت والرهوت مسالفة في الرغبة والرغبة قيل أراد بملكوتهم ما ما فيهم من الخلق وقيل بجائهم ما وداقهم ما وقيل آياتهم وقيل كشف الله عن ذلك حتى رأى الى العرش والى أسفل الارضين وقيل رأى من ملكوتهم ما ما فيهم من هذه الآية قال ابن عباس كشف ما بين السموات حتى نظر اليهن على صخرة والصخرة على حوت وهو الحوت الذي منه طعام الناس والخوت في سلة والسلسلة في خاتم العرة وقال مجاهد سلطانهم وقيل المراد بملكوتهم الروبة والالهية أي نريه ذلك ونوقفه لمعرفة بطريق الاستدلال التي سلكها قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي أن تكون الاراة بصرية اذ ليس المراد باراة ما ذكر من الامور الحسية مجرد كنهه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في أنفسهم بل اطلاعه على حقائقها وتعرّفهم بها من حيث دلالاتها على شؤنه عز وجل ولا ريب ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينفي عنه اسم الاشارة المفسح عن كون المشار اليه أمر ابيدي عافان الاراة المصرية المعتادة بعزل من تلك المشابة (وليكون من الموقنين) أي ليستدل به ويكون من أهل اليقين عيانا كما يقين بآثاره واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة قال ابن عباس جلالة الامر سر او علانية فيتحف عليه من أعمال الخلق أو المعنى أرى به ذلك ليكون من يوقن علم كل شيء محسوسا (فما نحن عليه) أي ستره (الليل) بظلمته ومنه الجنة والجن والجن كلهم من الستر أي واذا كرا من الليل يقال جن الليل وأجن اذا أظلم وغطى كل شيء وهذه قصة أخرى غير قصة عرض الملكوت عليه (رأى كوكبا) قيل رأى من شق الصخرة الموضوع على رأس السرب الذي كان فيه وقيل رأى ما أخرجه آتوه من السرب وكان وقت غسوبة الشمس قيل رأى المشتري وقيل الزهرة (قال هذا ربي) بجله مستأنفة كأنه قيل فلماذا قال عند رؤيته الكوكب قيل وكان هذا منه عند قصور النظر لانه في زمن الطفولة وقيل كان بعد باوع ابراهيم وعليه جمهور المحققين ثم اختلف في تأويل هذه الآية فقيل أراد قيام الحج على قومه كلها كي لما هو عندهم وما يعقبونه

فصل في ما أنزل الله عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك مجول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر فقال المشركون لقد أهلككم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال قائل منهم ان لهم أخرى مثلها في اثرها قال فأنزل الله عز وجل بين الصلاتين ان حقت أن يقتلكم الذين كفروا الايتين فنزلت صلاة الخوف وهذا سياق غريب جدا ولكن لبعضه شاهد من رواية أبي عياش الزرق واسمه زيد بن الصامت رضي الله عنه عند الامام احمد وأهل السنن فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن مجاهد عن أبي عياش

الزرق قال كاتم النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم ينناوون القبله
فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا لقد كاعلى حالوا أصنافهم ثم قالوا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم إن صلاة هي أحب اليهم
من آبائهم وأنفسهم قال فزول جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة قال فحضر فأمروهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا السلاح قال فصفنا خلفه صفين قال ثم ركع فركعنا جميعا ثم رفع فرفعنا جميعا ثم سجد
النبي صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يليه والآخرون قيام يحرسونهم فلما (١٨٣) سجدوا وقاموا جلس الآخرون فسجدوا

في مكانهم ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف
هؤلاء ثم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء
ثم ركع فركعوا جميعا ثم رفع فرفعوا
جميعا ثم سجد النبي صلى الله عليه
وسلم والصف الذي يليه والآخرون
قيام يحرسونهم فلما جلسوا وجلس
الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم ثم
انصرف قال فصلاها رسول الله صلى
الله عليه وسلم مرتين مرة بعسفان
ومرة بأرض بني سائب ثم رواه أحمد
عن غندر عن شعبة عن منصور بن
نحوه وهكذا رواه أبو داود عن سعيد
ابن منصور عن جرير بن عبد الحميد
والنسائي من حديث شعبة وعبد
العزيز بن عبد الصمد كلاهما عن
منصور بن وهذاهذا إسناد صحيح وله
شواهد كثيرة فمن ذلك ما رواه
البخاري حدث قال حدثنا حماد بن
شريح حدثنا محمد بن حرب عن
الزيدي عن الزهري عن عبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس
رضي الله عنهم ما قال قام النبي صلى
الله عليه وسلم وقام الناس معه
فكبر وكبروا معه وركع وركعوا
منهم ثم سجد وسجدوا معه ثم قام
للسابعة فقام الذين سجدوا وحرسوا
أخوانهم وأنت الطائفة الأخرى

لأجل الزامهم وقبل معناه أهذا ربى أذكر أن يكون مثل هذا رباً ومثله قوله تعالى أفان
مت فهم الخالدون أى أفهم الخالدون وقيل المعنى وأنتم تقولون هذا ربى فاضهر القول
وقبل المعنى على حذف مضاف أى هذا دليل ربى (فلما أُنزل) أى غرب وغاب والافول
غيبه النيرات (قال) إبراهيم (لأحب الأفلين) يعنى لأحب رباً يغيب ويطلع
فان الغروب تغير من حال إلى حال وهو دليل الحدوث فلم ينجح فيهم ذلك (فلما رأى القمر
بازغاً) أى طالعاً منتشراً للضوء يقال بزغ القمر إذا ابتدأ في الطلوع والبزغ الشئ كأنه
يشق نوره الظلمة (قال) لهم أ (هذاربى) بزعمكم وقد تقدم الكلام فيه (فلما أُنزل) أى
غاب (قال) لئن لم يهدنى ربى) أى لئن لم يهتدنى على الهداية ويوقنى للجنة وليس المراد أنه
لم يكن مهتدياً لان الأنبياء لم ير الواعى الهداية من أول الفطرة وفى الآية دليل على ان
الهداية من الله تعالى لان إبراهيم أضاف الهداية إليه سبحانه وتعالى (لا) كونه من
القوم الضالين الذين لا يستدون الحق فيظنون أن أنفسهم ويحرمون ما حظوا من الخير
(فلما رأى الشمس بازغة) الرؤية بصرية (قال هذاربى) وانما قال هذا مع كون
الشمس مؤنثة لان مرادهم هذا الطالع فاله الكسائي والأخفش وقيل هذا الضوء وقيل
الشخص وقيل لان ثابث الشمس غير حقيقى (هذا أكبر) أى عما تقدمه من الكوكب
والقمر وقيل أكبر ما وضوا أنفعاً فسمعت جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله
الغزالي (فلما أُنزلت) أى غابت الشمس وقويت عليهم الحاجة ولم يرجعوا (قال يا قوم انى
برى عما تشركون) أى من الأشياء التى تجعلهم أولئكم أشركاء الله وتعبدهون من الأصنام
والأجرام المحدثه المتحاجة الى تحدث قال لم يزلنا نطهر له أن هذه الأشياء مخلوقة لا تنفع
ولا تضر مستندة على ذلك باقول لها الذى هو دليل حدوثها (انى وجهت وجهى) أى
قصدت بعبادتي وتوحيدى الله عز وجل وذكر الوجه لانه العضو الذى يعرف به الشخص
أولاً لأنه يطلق على الشخص كله كما تقدم (لأننى فطر السموات والأرض) أى خلقهما
وابتدعهما (حينفا) أى ما نال الى الدين الحق (وما أنا من المذركين) به تبرأ من الشرك
الذى كان عليه قومه (وحاجه قومه) أى وقعت منهم المتحاجة له فى توحيدهم بما يلبس على
ما يدعون من ان ما يشركون به ويعبدونه من الأصنام ألهة فأجاب إبراهيم عليه الصلاة

فركعوا وسجدوا معه والناس كانوا فى الصلاة ولكن يحرس بعضهم بعضاً وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنى
أبى عن قتادة عن سليمان بن قيس البشكري انه سأل جابر بن عبد الله عن اقصار الصلاة أى يوم أنزل أو أى يوم هو فقال جابر
انطلقنا تلقى عبر القرش آتية من الشام حتى اذا كنا بخل جابر من القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اهدل
تخافنى قال لا قال فى عنك معنى قال الله يتعنى منك قال فسل السيف ثم تهددوا وعوده ثم نادى بالترحل وأخذ السلاح ثم نودى
بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة من القوم وطائفة أخرى تجرسهم فضلى بالذين يابونه وكعب بن مالك الذين يابونه

على أعتابهم فقاموا في مصافهم ثم جاء الأتخرون فصلى بهم ركعتين والأتخرون يجهر صوتهم ثم سلم فكانت آية من آيات الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتين ركعتين فيومئذ أنزل الله في أقصا وأصل صلاة أوامر المؤمنين بأخذ السجود ورواه الإمام أحمد
فقال حدثنا شريح حدثنا أبو عوف عن أبي بشر عن علي بن سليمان بن قيس الشكري عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم محارب حصنة فحارب رجل منهم يقول غورث بن الحرف حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقتل من تبعه
مضى قال أنه فسقط السيف من يده فأخذه (١٨٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ومن يتبعك متى قال كن خيرا أخذوا

والسلامة لحكماء الله عنده (قال أحماد جوفى في الله) أى فى كونه لا شريك له ولا تقولا
ضد (وقد خدان) الى توحيدهم وأتم تزيديون أن يكون مشكك في الضلالة والحياتة وتعلم
البيدانية (ولا أخاف ما نشر كونه) قال هذا لما خافوه من آياتهم بأنهم استغضب عليه
وقصبه بمكرهه أى لا أخاف ما هو مخلوق من مخلوقات الله لا يضر ولا ينفع وانما يكون
الخوف من يقدر على النفع والضرر والتميز به يجوز رجوعه الى الله وإلى معبوداتهم
المدلول عليه بما فى ما نشر كونه (ألا أن بشا ربى شيئا) أى الا وقت مشيئة ربي بأن
يلحقني شيئا من الضر يذهب علمه فلا امر اليه وذلك منه لاس معبوداتكم الباطلة التي
لا تضر ولا تنفع والمعنى على نفي حصول ضرر من معبوداتهم على كل حال وآيات الضرر
والنفع لله سبحانه وصورهما حسب مشيئته والاستثناء على عدم اتصاله لانه من جنس
الاول والمشتق منه الزمان كما أشار الى ذلك في الكشاف وقيل منقطع معنى لكن وعلمه
جرى ابن عطية والخوف وهو أحد قولى أى البقاء والكواشى والبسمحة السيوطى قال
الحرفى تقديره لكن مشيئة الله اياى بضر أخافها ثم علم ذلك بقوله (وسع ربي على عبيد)
يعنى ان علمه محيط بكل شىء فلا يخرج شىء عن علمه قال أبو البقاء لان ما يسمع الله نفي
أحاط به العلم بالشيء محيط بعلمه فإذا شاء الخير كان حسب مشيئته وإذا شاء انزال شىء
كان حسب مشيئته ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم قال لهم مكملا لتعجبهم ودفع
لما خافوه به (ألا تزدرون) أى تعتبرون ان هذه الاصنام جاذبات لا تضر ولا تنفع وان
التافع الضار هو الذى خلق السموات والارض ومن فيه ما (وكيف أخاف ما نشر كرم) أى
كيف أخاف ما لا يضر ولا ينفع ولا يخلق ولا يبرق ولا يضر ولا يسمع ولا يقدر شىء
استثناف موقوف لنى اخوف عنه بالطريق الا لا اى بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس
الامر بقوله سابقا ولا أخاف ما نشر كونه (ولا تخافون انكم أمشر كرم بالله) أى وبالطال
انكم لا تخافون ما صدر منكم من الشر لرب الله وهو الضار التافع الخالق الرزاق ورد عليهم
هذا الكلام الا لا اى الذى لا يجردون عنه مخلصا ولا تهولا والاستهتاهم للانكار على علمهم
والتقريع لهم (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أى ما ليس لكم فيه حجة وبرهان يعنى لا تخافون
انكم جعلتم الاشياء التي لم ينزل بها عليكم سلطانا نشر كانه والمعنى ان الله سبحانه لا يؤذن
بجعلها نشر كانه ولا ينزل عليهم بشرا كما حاجة يتحجبون بها فكيف عبدوها واتخذوها آية

أشهد أن لا اله الا الله وآتى رسول
الله قال لا ولكن أعاهدك أن لا
أفانك ولا آكون مع قوم
يقاتلونك تخلى سيد فقال جتكم
من عند خير الناس فلما حضرت
الصلاة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلاة الخوف فكان الناس
طائفتين طائفة باراء العدو وطائفة
صالحوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصلى بالطائفة الذين معه
ركعتين وانصرفوا فكانوا مكان
الطائفة الذين كانوا باراء العدو
ثم انصرف الذين كانوا باراء العدو
فصلى مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركعتين فكان (رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربع ركعات
وللقوم ركعتين ركعتين تفرده من
هذا الوجه وقال ابن ابي حاتم حدثنا
أحمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو
ابن النيثم حدثنا الموهودى عن يزيد
الفقيه قال سألت جابر بن عبد الله
عن الركعتين في السفر أقصرهما
فقال الركعتان في السفر تمام انما
القصر واحدة عند القتال ينسا
شئ مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى قتال اذا قمت الصلاة فقام

رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بطائفة وطائفة وحينئذ قبل العدو فصلى بهم ركعة وسجد بهم سجدة
ثم الذين خلفوا انطلقوا الى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم سجودا وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا
بهم ركعة وسجد بهم سجدة ثم انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم الذين خلفوه وسلم أولئك فكانت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعتين وللقوم ركعة ركعة ثم قرأ اذا كنت فيهم فاقت لهم الصلاة الآية وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن
جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن يزيد الفقيه عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلاة الخوف فقام

منه بين دونه وصف خلفه فصل بالذين خلفه ركعة وسجدتين ثم تقدموا على قاسموا في مقام أحجابهم وبناء أولئك حتى قاموا في مقام دوله فبلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين ثم لم فكأن النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين وركعة ورواه النسائي من حديث شعبة ولهذا الحديث طرق عن جابر وهو في صحيح مسلم من وجه آخر يلفظ آخر وقد رواه عن جابر جماعة كثيرين في الصحيح والسني والمسند وقال ابن أبي حاتم حديثاً أني حدثنا نعيم بن حجاج حدثنا عبد الله بن المبارك أنباءنا معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه قال وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة قال هي صلاة (١٨٥) الخوف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة على العدو وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فضلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ثم قامت كل طائفة منهم فصلت ركعة ركعة وهذا الحديث رواه الجماعة في كتبهم من طريق معمر به ولهذا الحديث طرق كثيرة عن الجماعة من العجالة وقد أجاد الحافظ أبو بكر بن مردويه في سرد طرقه وألفاظه وكذا ابن جرير ولخبره في كتاب الأحكام الكبير أن شاء الله وبه الثقة وأما الأمر بحمل السلاح في صلاة الخوف فمحمول عند طائفة من العلماء على الوجوب لظاهر الآية وهو أحد قولي الشافعي وبطل عليه قول الله تعالى ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم أي بحيث تكونون على أهبة إذا احتجتم إليها بدووها بلا كلفة فإن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً فإذا قضيت الصلاة فاذكروا لله قسماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا

وجعلوا شراً لله سبحانه (فأى الشريقتين أحق بالأمن) المراد فريق المؤمنين وفريق المشركين أي إذا كان الأمر على ما تقدم من أن معبودي هو الله المتصف بتلك الصفات ومعبودكم حتى تلك الخلق والجنادات فكيف تخافونهم وكيف أخافها وهي بهذه المثرة ولا تخافون من أشراككم بالله سبحانه وبعد هذا فآخيه ونى أى الفريقين أحق بالأمن من العذاب وعدم الخوف في يوم القيامة الموحدهم المشرك ولم يقل أيناً أحق أنا أم أنتم احترازاً عن تركية نفسه والمراد من الأحق الحقيقي (إن كنتم تعلمون) بمحققة الحال وتعرفون البراهين الصحيحة وتبينونها عن السبب الباطل ثم قال الله سبحانه قاضياً بينهم وبيننا لهم (الذين آمنوا ولم يلبسوا أيمانهم بظلم) أى هم الأحق بالأمن من الذين أشركوا وقيل من تمام قول إبراهيم وقيل هو من قول قوم إبراهيم العلماء وعليها اقتربت الأعراب التي ذكرها السمين في هذا المقام لا نطول بذكرها والمعنى لم يخطئوه بظلم والمراد بالظلم الشرك وقوله فسر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأبي ابن كعب وابن عباس وقد روى عن جماعة من التابعين مثل ذلك ويغني عن الجميع في تفسير الآية ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية بشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا أي نأثم بظلم أنفسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان يا بني لا تشرك بالله إن الشرك أعظم والعجب من صاحب الكشف حيث يقول في تفسير هذه الآية وأنى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وهو لا يدري أن الصادق المصدوق قد فسرهما بهذا وإذا جاءهم الله بظلمهم معقل وفي زاده على البضاوى وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في الآية المعصية لا الشرك بناء على أن خطأ أحد الشئتين بالآخر يقتضى أحدهما ولا يتصور خطأ الإيمان بالشرك لأنهما ضدان لا يجتمعان وهذه الشهية ترد عليهم بأن يقال كان الإيمان لا يجتمع الكفر فكذلك المعصية لا يجتمع الإيمان عندكم ليكونه إما الفعل الطاعات واجتناب المعاصي فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤثماً عندكم انتهى والاشارة بقوله (أولئك) إلى الموصول المتصف بما ذكر (لهم الأمن) يوم القيامة من عذاب النار وفي الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الأمن من عذاب النار والوجه وقع خبراً عن اسم الإشارة هذا أوضح ما قيل مع احتمال

(٢٤ فتح البيان ثالث) اطمأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأمنون فإنهم يأمنون بك تأمنون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله علماً حكيماً يأمر الله تعالى بكثرة الذكرك عقيب صلاة الخوف وإن كان مشروعا من عبادته أيضاً بعد غيرها ولكن هنا كدليل وقوع فيها من التخصيف في أركانها ومن الرخصة في الذهاب فيها والآيات وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها كما قال تعالى في الأشهر الحرم فلا تقبلوا ظمناً أن أنفسكم وإن كان هذا منهم باعنه في غيرها ولكن فيها ساء كد لشدة حرمتها وعظمها ولهذا قال تعالى فإذا قضيت الصلاة فاذكروا لله قسماً وقعوداً وعلى جنوبكم أي في سائر

أحوالكم ثم قال تعالى فإذا اطعتم فاقبوا الصلاة أى فإذا أنتم وذهب الخوف وحصلت الظمأنة فاقبوا الصلاة أى فاقبوا وأقبوها كما أمرتم بعبادته وادعوا وشعروا بوجوبها وسجدوا جميع شوقهم وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال ابن عباس أى فمريضوا وقال أيضا ان الصلاة وقتا كوقت الحج وكذا روى عن مجاهد وسالم بن عبد الله وعلى بن الحسين ومحمد بن علي والحسن ومقاتل والسدي وعطية العوفي قال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال ابن مسعود ان للصلاة وقتا كوقت الحج وقال زيد بن أسلم ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

قال منكما كلما مضى فجمع جاء فجمع يعنى كلما مضى وقت جاء وقت وقوله تعالى ولا تمنوا فى ابتغاء القوم أى لا تضعفوا فى طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقتانولهم واقعدوا لهم كل مرصد ان تكونوا تاملون فانهم ياملون كما تاملون أى كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال تعالى وترجون من الله ما لا يرجون أى أنتم وابائهم سواء فيما يصيبكم وابائهم من الجراح والالام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم اياه فى كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق وخبر صدق وهم لا يرجون شيئا من ذلك فانتم أولى بالجهد ادمتهم وأشدد رغبة فيه واقامة كلمة الله واعلاها وكان الله عليا حكما أى هو أعلم وأحكم فيما يقدره ويقضيه وينفذ ويغضيه من أحكامه الكونية والشرعية وهو المحمود على كل حال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرانا الله ولا تكن للخائنين خصيما

غيره من الوجوه (وهم مهتدون) الى الحق ثابتون عليه وغيرهم على ضلال وجهل والاشارة بقوله (وتلك حجتنا) الى ما تقدم من الحجج التى أوردها ابراهيم عليهم أى تلك البراهين التى جرت بين ابراهيم وبين قومه من قوله فلما حق عليه الليل اؤمن بقوله أتخاجونى الى قوله وهم مهتدون وقال السمين من قوله وكذلك ترى ابراهيم الى قوله وما أنا من المشركين (آتيناهم ابراهيم) أى أعطيناهم اياه وأرشدناه اليهاحة (على قومه نرفع درجات من نشاء) بالهداية والعلم والفهم والعقل والفضلة والارشاد الى الحق وتلقين الحجة أو بما هو أهم من ذلك وفيه نقض قول المعتزلة فى الاصلح قال الغضائى ان العلماء درجات كدرجات الشهداء (ان ربك حكيم) فى كل ما يصدر عنه (علم) بحال عبادته ان منهم من يستحق الرفع ومنهم من لا يستحقه خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما قاله السمين وأبو حيان (وهبنا له اسحق) ابنا لصلبه (ويعقوب) ولد الولد أى وهبنا له ذلك جراه على الاحتجاج فى الدين وبذل النفس فيه والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشريفة لان شرف الوالد يسرى الى الولد وجهه ما ذكر فى هذه الآية ثمانية عشر رسولا وبقي سبعة وهم آدم وادريس وشعيب وصالح وهود وذوالكفل ومحمد فهؤلاء اثنى عشر والعشرون رسولا هم الذين يجب الايمان بهم تفصيلا (كلام) اى كل واحد منهما (هدينا) الى سبيل الرشاد وطريق الحق والصواب الذى أوتيه ابراهيم فانهم مقتديان به (ونوحا هدينا) بن آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة ونوح ابن نوح وكان بين ادريس ونوح ألف سنة وابراهيم ولد على رأس ألفى سنة من آدم وبينه وبين نوح عشرة قرون وعاش ابراهيم مائة وخمسة وسبعين سنة وولده اسمعيل عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وعشرون سنة وأخوه اسحق ولد بعده بأربع عشرة سنة وعاش مائة وعشرين سنة ويعقوب بن اسحق عاش مائة وسعوا وأربعين ويوسف ابن يعقوب عاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين موسى أربع مائة سنة وبين موسى وابراهيم خمسة مائة وخمسة وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة وبين موسى وداود خمسة مائة وتسع وستون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش تسعا وخمسين سنة وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمانون سنة وسبع مائة سنة وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين ويونس هو ابن حنى وهى أمه ذكره السيوطى

واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيماولا يجادل عن الذين يحتلون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوفا أثميا يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يستنون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا انا أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكلاما يقول تعالى مخاطبا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق أى هو حق من الله وهو يتضمن الحق فى خبره وطالبه وقوله لتحكم بين الناس بما أرانا الله احتج بمن ذهب من علماء الاصول الى انه كان صلى الله عليه وسلم ان يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وجعلنا فى الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن

اغتنامهم به برئنا فقد احتل بنا وانا غنائنا يعني السارق والذين جادلوا عن السارق وهذا سارق غريب وقد ذكر جماعة وعكرية
 وقنادة والسدي وابن زيد وغيرهم في هذه الآية أنهم انزلت في سارق بن ابي رقي على اختلاف سياقاتهم وهي مستقر به وقد روي هذه
 القصة محمد بن اسحق مطولة فقال ابو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية من جامعهم وان خرج في تفسيره حديث الحسن بن احمد
 ابن ابي شعيب ابو يوسف لم الخرائفي حديثنا محمد بن سلف الخرائفي حديثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن ابي عبد الله عن حماد
 قتادة عن النعمان رضي الله عنه قال كان اهل (١٨٨) بيت من ايتال لهم بنو ابي رقي بسر وبسرهم وبسر وكان بسر رجلا منافقا

هو ابن ابراهيم وانما أخذ كره الى هنا لانه ذكر اسحق وذ كرا ولادهم من بعده على نسق
 واحد (والبيع) هو ابن اخطوب بن العجوز وقد رويهم قوم ان البيع هو الياس وهو هوهم
 فان الله أتخذ كل واحد منهما وقال ذهب البيع صاحب الياس وكانا قتل يحيى وعيسى
 وزكريا وقيل البيع هو الخضر (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن عازار ان أخى
 ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) أي وكل واحد فضلناه بالنسبة على عالمي زمانه والجلد
 معترضة ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم
 لكل موجود سوى الله فيدخل فيه الملك وقد ذكر سبحانه هنا ثمانية عشر نبيا من غير
 ترتيب لاجب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب (ومن ابائهم)
 من للتبعض لان من ابائهم بعضهم من لم يكن مسلما (وذرياتهم) أي بعضهم لان عيسى
 ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كان نوح (واخوانهم واجتبيائهم)
 أي اختارناهم الاجتباء الاصطفاء أو الاختصاص أو الاختيار مشتق من جيت الماء
 في الخوض أي جعته فالاجتباء ضم الذي يجتبيه الى خاصته والجاية الحوض
 (وهديناهم) أي أرشدناهم (الى الصراط المستقيم) الى الدين الحق (ذلك) الهداية
 والتفضيل والاجتباء المفهومة من الافعال السابقة (هدى الله بهدي به) الله (من يشاء)
 من عباده وهم الذين وفقهم للخير واتباع الحق (ولو أشر كوا) أي هؤلاء المذكورون
 بعبادة غير الله (لحبط عنهم) الحبوط البطال والذباب وقد تقدم تحقيقه في الفقرة
 (ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئا
 (أولئك) أي الانبياء المذكورون سابقا (الذين آتيناهم الكتاب) أي جنس الكتاب
 لصدق على كل ما نزل على هؤلاء المذكورين وليس لكل منهم كتاب فالمراد بانبياء الكتاب
 لكل منهم تفهيم ما فيه أهم من أن يكون ذلك بالانزال عليه ابتداء أو بورائه من قبله
 (واحكم) العلم (والنبوة) الرسالة أو ما هو أهم من ذلك (فان يكفر بها) الضمير راجع
 الى الحكم والنبوة والكتاب (وللنسوة فقط) (هؤلاء) اشارة الى كفار قرى بش عكة العالمين
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فقدو كتابها قوما) أي أرصدنا لها وأعدنا وأرسلنا
 بالايان بها قوما (ليسوا بمكافرين) وهم المهاجرون والانصار واليهام زائدة قال ابن
 عباس فان يكفر أهل مكة بالقرآن فقدو كتابه أهل المدينة والانصار وقال قتادة هم

يقول الشعر به جوبه أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
 ينحله لبعض العرب ثم يقول قال
 فلان كذا وكذا وقال فلان كذا
 وكذا فاذا سمع أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ذلك الشعر قالوا
 والله ما يقول هذا الشعر الا هذا
 الخبيث أو كما قال الرجل وقالوا ابن
 الابرقي قالها قالوا وكانوا أهل بيت
 حاجه وفاقه في الجاهلية والاسلام
 وكان الناس انما طعمهم
 بالمدينة التمر والشعر وكان
 الرجل اذا كان له يسار فقدت
 ضافطة من الشام من الدرمل اتباع
 الرجل منها يخص بها نفسه وأما
 العيال فانما طعمهم التمر والشعر
 فقدت ضافطة من الشام فاتباع
 عي رفاعه بن زيد جلا من الدرمل
 فجعله في مشربة له وفي المشربة
 سلاح ودرع وسيف فعدى عليه
 من تحت البيت فنقبت المشربة
 وأخذ الطعام والسلاح فلما أصبح
 أتاني عي رفاعه فقال يا ابن أخي انه
 قد عدى علينا في ليلتنا اخذه فنقبت
 مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا
 قال فحسبنا في الدار ولساننا

فقبل لنا قدرنا بنائى أوبرق استوقدوا في هذه الليلة ولا تزي فيما ترى الاعلى بعض طه امكم قال وكان بنى أوبرق قالوا ونحن الانبياء
 نسأل في الدار والله ما ترى صاحبكم الا يسدين سهل رجلا مناله صلاح واسلام فلما سمع ليلدا اختلط سيفه وقال أنا مسرف والله
 ليخاطبكم هذا السيف أوليتين هذه السرقة قالوا اليك عنا أيما الرجل قالت بصاحبها فالتأني الدار حتى لم نلشك انهم أصحابها
 فقال لي عي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ذلك قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان
 أهل بيت من أهل جفاء عمدا الى عي رفاعه بن زيد فقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليروا علينا سلاحنا فاما الطعام

فلا حاجة لنا فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلماء أمر في ذلك فلما سمع بذلك بنو أبيرقأوا رجلا منهم
فكأموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فأتوا بإرسول الله أن قتادة بن العيمان وعمه عمدا إلى أهل

وصلاح برءوهم بالسرقه من غير نية ولا ثبت قال قتادة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرته فقال عمدت الى

ذكر منهم اسلام وصلاح ثم هم بالسرقه على غير ثبوت ولا بينه قال فرجعت ولوددت اني خرجت من بعض مالي ولم اكلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فأثاني عني رفاعه فقال (١٨٩) يا ابن أخي ما صنعت فأخبرته بما قال لي رسول الله

صلی اللہ علیہ وسلم فقال اللہ

المستعان فلم نلبث ان نزل القرآن

أنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم

فَاِذَا جَاءَ الْيَوْمَ الْحَدِيثَ بِالْحَقِّ لِحَدِّمِ
مِنَ النَّاسِ عَمَّا أُرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

بين الناس بما أراك الله ولا تكن
للمخائنة خصما

لِخَاتَمَيْنِ خَصِمَا يَعْنِي ابْنِي أَبِيق

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيُّ مِمَّا قُلْتُ لِقَادَةَ أَنْ

اللہ کان غفور ارحیم ولا یجادل عن

الذين يحْتَمِلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ

والذين يحمانون انفسهم الى قوله
رحمنا أي واستغفر الله لغفر لهم

رحمائی واسطی غفر و الله لغفرهم
رحمائی واسطی غفر و الله لغفرهم

وَمَنْ يَكْسِبْ ثَمًّا فَأَنْتَ يَكْسِبُهُ

على نفسه الى قوله اثم يميننا قوله

بالبید ولو لا فضل الله علیک ورجته

الى قوله فسوف نؤتيه أجرا عظيما

التي قولة فسوف نؤتيه اجرًا عظيمًا
لما نزل القرآن أن أتى رسول الله صل

لما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم باللاحق فدهال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رفاعة فقال قتادة لما أتت عي

للسلاح وكان شيخا قد عي أوعشى

الشك من أني عيسى في الجاهلية

کنت أرى إسلامه مدخلاً فلياً

و كنت أرى إسلامه مدخولا فلما

فَتَسْمِعُ بِالْإِلَاحِ قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ حَيٍّ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَعَرَفْتُ أَنَّ اسْمَ لَامِهِ

كان صحيفا فلما نزل القرآن طلق

شهر بالمشركين قتل علم سـ الافة

شیر بالمشرکین قتل علی سالاۃ

كنت سعيد بن سميرة فأنزل الله

معالي ومن يشاقق الرسول من بعد

ماتين له الهدى و يتبع غير سميل

نِيشَانِ اِيْمَانِ وَ اِيْمَانِ اِيْمَانِ
نِيشَانِ اِيْمَانِ وَ اِيْمَانِ اِيْمَانِ

نيسا ومن يسر الله فاص
نفعته على رأسه ثم خ حث به فومه

الانعام على الأسماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهِمْ فِي الْمَوْتِ﴾

لَا نَعْلَمُ أَحَدًا أَسْنَدَهُ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ

کروا فیہ عن ابيہ عن جددورواہ

ثُمَّ أَتَى مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بَعْضَ الصَّائِغِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الانبياء الثمانية عشر وقال أبو رجا العطاردي هم الملائكة وفيه بعد لان اسم القوم لا يخطى الاعلى بخ آدم وقيل هم القوس قال ابن زيد كل من لم يذكر فهو منهم سواء كان ملكا أو نبيا أو من الصلابة أو التابعين والاولى ان المراد بهم الانبياء المذكورون سابقا لقوله فيا بعد (أولئك الذين هدى الله) فان الإشارة الى الانبياء المذكورين لا الى المهاجرين والانصار اذ لا يصح ان يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاعتداء بهم ادهم وتقديم (فهداهم) على الفعل أى (اقتده) يفيد تخصيص هذا بهم لا الاقتداء أعرقى اقتده بهاء السكت وقفا ووصلا وهى حرف تجلب للاستراحت عند الوقف فنبهتوا وقفا لا اشكال فيه وأما نبوتها واصلها فاجراءه بحرى الوقف وفي قراءة بحذفها واصلها لجزء والكسائي والاقتداء عطف موافقة الغرض في فعله وقيل المعنى اصبر كما صبروا وقيل اقتديهم في التوحيد وان كانت جريئات الشرائع مختلفة وقيل في جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة وفيها دلالة على انه صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بالاعتداء بمن قبله من الانبياء فيما لم يرد عليه فيه نص أخرج البخاري والتسائي وغيرهما عن ابن عباس قال أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقتدى بهداهم وكان يسجد في ص لفظ ابن أبي حاتم عن مجاهد سألت ابن عباس عن السجدة التي في ص فقرا هذه الآية وقال أمر نبيكم أن يقتدى بنا وعليه السلام وقد احتج أهل العلم بهذه الآية على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من جميع الانبياء لما جتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم (قل لأسألكم عليه) أى على القرآن أو على التبليغ فان سياق الكلام يدل عليه ما وان لم يجز له ما ذكر (أجرا) عوضا من جهتهم قال ابن عباس قل لهم بما حمد لا أسألكم على ما أدعوك اليه عرضا من عروض الدنيا وكان ذلك من جملة هداهم (ان هو) أى ما القرآن (الاذ كرى للعالمين) أى وعظمة وتذكير للخلق كافة الموجودين عند نزوله ومن سيجود من بعد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وآله وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته تمت جميع الخلائق (وما قدروا الله حق قدره) قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره وأصله السيرة ثم استعمل في معرفة الشيء أى لم يعرفوه حق معرفته حيث أنكر والرسالة للرسول وانزاله لكتب قاله الاخفش وقيل المعنى وما قدروا نعم الله حق تقديرها قال ابن عباس هم

المؤمنين قوله ما لى وصله جهنم وساعت مصر ان الله لا يغفر ان يشرك به يغفر ما دون ذلك
ضلالا لا يعيد الفخر على سلافة بنت سعد هـ احسان بن ثابت بايات من شعر فاخذت رحله
في الابط ثم قال اهديت لى شعر احسان ما كنت تأتى بخير لفظ الترمذى هذا حديث غريب
الحراني ورواه يونس بن بكير وغير واحد عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة هـ سلا
ابن ابي حاتم عن هشام بن القاسم الحراني عن محمد بن ملبية به بعضه ورواه ابن المنذر في تفسيره

حدثنا جندب بن أبي شبيب الحراني حدثنا محمد بن سلمة فذكره بطوله ورواه أبو الشيخ الأصمعي في تفسيره عن محمد بن عباس بن أبي
والحسن بن يعقوب كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شبيب الحراني عن محمد بن سلمة ثم قال في آخره قال محمد بن سلمة معني هذا
الحديث يحيى بن معين وأحمد بن حنبل واسحق بن إسرائيل وقدرى هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المستدرل
عن ابن العباس الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى عن نوس بن بكير عن محمد بن إسحاق بمعناه أنهم وفيه الشعر ثم قال وهذا
حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقوله تعالى (١٩٠) يستحقون من الناس ولا يستحقون من الله الآية هذا انكار على

المنافقين في كونهم يستحقون
بقبائحهم من الناس ثلاث شكروا
عليهم ويجهلون الله به الله مطلع
على سرائرهم وعالم بما في ضمائرهم
ولهذا قال وهو همهم ان يستحقوا
مالا يرضى من القول وكان الله بما
يعملون محيطا به يد لهم ووعيد
ثم قال تعالى ها أنتم هؤلاء جادلتم
عنهم في الحياة الدنيا الآية أي هب
ان هؤلاء تنصروا في الدنيا بما أبدوه
أو أبدى لهم عند الحكماء الذين
يحكمون بالظاهر وهم متعبدون
بذلك فإذا يكون صنعهم يوم
القيامة بين يدي الله تعالى الذي يعلم
السراخفي ومن ذا الذي يتوكل
لهم يومئذ يوم القيامة في ترويح
دعواهم أي لا أحد يومئذ يكون
لهم وكيل ولهذا قال أن من يكون
عليهم وكيل (ومن يعمل سوا أو يظلم
نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا
رحيما ومن يكسب غمفا غمفا بكمسه
على نفسه وكان الله عليما حكيما
ومن يكسب خطيئة وأثما غير
به ينفقها حتى يحل بها أو أثما
مينا ولو لا فضل الله عليك ورحمته
لهمت طائفة منهم ان يضلوك
وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك

الكفار لم يؤمنوا بقدره الله فمن آمن ان الله على كل شيء قدير قد قدر الله حق قدره ومن لم
يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقال مجاهد قالها مشركو العرب وعنه قال ما عظموا
الله حق عظمته وقال أبو العالصة ما وصفوا الله حق صفته ويصيح جميع ذلك في معناه
(اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك
كتابا قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتابا وعن السدي قاله فنخاص اليهودي
فنزلت وعنه عكرمة قال نزلت في مالك بن الصنف وعن سعيد بن جبيرة نحوه ولكن بأطول
منه والمعنى الذين قالوا ذلك ما قدر الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته أنزلوا عرفوا ما
قالوا هذه المقالة ولما وقع منهم هذا الانكار ورواهم من اليهود أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم ان يورد عليهم حجة لا يطيعون دفعها فقال (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى)
وهم يعترفون بذلك ويدعون له وكان في هذا من التبيكيت لهم والتحقير مع ما لا يقدر قدره
مع الجائهم الى الاعتراف بما أنكروه ومن وقوع انزال الله على البشر وهم الانبياء عليهم
السلام فقل بحدتهم وبين فساد انكارهم وقيل ان القائلين بهذه المقالة هم كفار قريش
فيكون الزامهم بانزال الله الكتاب على موسى من جهة أنهم يعترفون بذلك ويعلمونه
بالاخبار من اليهود وقد كانوا يصدقونهم (بوراهدى للناس) اي التوراة ضياء من نطفة
الضلالة وتبين بفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تغير وتبدل (تجعلونه)
بالتاء والياء أي الكتاب الذي جاء به موسى في (قراطيس) او اذ قراطيس أو زود منزلة
القرطيس وقد تقدم تفسير القراطيس أي يضعونه فيها أو يكتبونه مقطوعا وروايت بفرقة
ليتم لهم ما يريدونه من التحريف والتبدل والابداع والاختفاء وكتم صفة النبي صلى الله
عليه وآله وسلم المذكورة فيه وهذا ذم لهم قال مجاهد هم اليهود (تدونها) اي القراطيس
المكتوبة (وتحقون كثيرا) مما كبروه في القراطيس وعما أخفوه أيضا آية الرجم وكانت
مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمهم ما تعلموا انتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود ويحمل أن
تكون هذه الجملة استئنافية مقرر لما قبلها والذي علموه هو الذي أخبرهم به نبينا صلى الله
عليه وآله وسلم من الامور التي أوحى الله اليه بها فانها اشقت على ما لم يعلموه من كتبهم
ولا على لسان انبيائهم ولا على آياتهم وهم ويجوز أن تكون ما في ما لم تعلموا عبارة عما علموه
من التوراة فيكون ذلك على وجه الحق عليهم بانزال التوراة وقيل الخطاب لأمم شركين من

من شيء أو أنزل الله عليك الكتاب وأحكمه وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بخبر تعالى عن كرمه وجوده قرش
ان كل من تاب اليه تاب عليه من أي ذنب كان فقال تعالى ومن يعمل سوا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا قال علي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية أخبر الله عباده بعقوبته وحلمه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته في أن ذنب ذنبا صغيرا كان
أو كبيرا ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والارض والجالل الدواه ابن جري وقال ابن جري
أيضا حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن أبي عدي حدثنا شعبة عن عاصم عن أبي وائل قال قال عبد الله كان ينواس إسرائيل اذا أصاب

أحدهم ذنباً أصبح قد كتب كذا فذلك الذنب على بابها وإذا أصاب المولى منه شيئاً فريضه المقرض فقال رجل لقد آتاني الله بنى اسرائيل خبراً فقال عبد الله رضى الله عنه ما آتاكم الله خبراً ما آتاكم جعل المالككم طهوراً وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم هم ذكروا الله فاستغفروا الذنوبهم وقال ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً وقال أيضاً حدثني يعقوب بن حشدنا هشيم عن ابن عون عن جيب بن أبي ثابت قال جاءت امرأة إلى عبد الله بن مغفل فسألته عن امرئ أمخضرت فجلت فلما ولدت قتلت ولدها قال عبد الله بن مغفل لها النار فانسرفت وهي تنبي فدعاها (١٩١) ثم قال ما أرى امرئك إلا أحد أمرين من يعمل

سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً قال فسبحت عنها ثم مضت وقال الأمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن عثمان بن المغيرة قال سمعت علي بن ربيعة من بنى أسد يحدث عن أسماء أو ابن أسماء من بنى فزارة قال قال علي رضى الله عنه كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً نفعتني الله فيه بما شاء ان ينفعني منه وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر له وقرأه تين الايتين ومن يعلم سوءاً أو يظلم نفسه الا تين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الا يتوبوا فقد كذبوا على هذا الحديث

وعز بناته الى من رواه من أصحاب السنن وذكرنا في مسند من مقال في مسند أبي بكر الصديق رضى الله عنه وقد تقدم بعض ذلك في سورة آل عمران أيضاً وقد رواه ابن عمر دونه في تفسيره من وجه آخر عن علي فقال حدثنا محمد بن أحمد بن زياد حدثنا ابراهيم ابن اسحق الطرائى حدثنا داود بن

قريش وغيرهم فتكون ما عبارة عما علموه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فضيعوه ولم يتبعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيعلمهم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاول اولى وقال قتادة هم اليهود اتاهم على فليقتدوا به ولم يأخذوا به ولم يعملوا فدمهم الله في علمهم ذلك ثم أمر الله رسوله بان يحجب عن ذلك الامام الذي ألزمهم به حيث قال من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فقال (قل) أنزل (الله) فانهم لا يقدرون أن ينكروا وقيل قل أنت الله الذي أنزل الاول اولى (ثم ذكرهم في خوضهم) اى في باطلهم وكثرهم بالله حال كونهم (يلعبون) اى يصنعون ضيع الحسان الذين يلعبون وقيل معناه يستخرون ويستهنون وفيه وعيدهم ويهدى بالمسركين وقيل هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد ظاهر (وهذا كتاب أنزلناه) هذا من جله الرد عليهم في قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء أخبرهم بان الله أنزل التوراة عقبه وبقره وهذا كتاب أنزل الله من عنده على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء (مبارك) كثير البركة والخير دائم النفع وأصل البركة النماء والزيادة (مصدق) اى كثير التصديق (الذي بين يديه) اى ما أنزل الله من الكتب من السماء على الانبياء من قبله كالتوراة والانجيل فانه يوافقها في الدعوى الى الله والى توحيد وان خالفها في بعض الاحكام (ولتذراهم القرى) خصها وهي مكة لكونها اعظم القرى شأنها وكونها اول بيت وضع للناس ولكونها قبله هذه الامم وتوحيهم فجاءهم قال قتادة بلغني ان الارض رحبت من مكة ولهذا سمت بأم القرى وقيل لانها اسرة الارض والمراد بانها انذارا أهلها وهو مستبعد لانذارا أهل الارض فهو على تقدير مضاعف محذوف (ومن حولها) يعنى جميع البلاد والقرى شرقا وغربا وفيه دليل على عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل الارض كافة (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) اى ان من حق من صدق بالدار الآخرة ان يؤمن بهذا الكتاب ويصدق به يعمل بما فيه لان التصديق بالآخرة يوجب قبول ما دعا الناس الى ما ينال به خبرها ويصدق بها (وهم على صلاتهم محافظون) خص المحافظة على الصلاة من بين سائر الواجبات لكونها عمادها وجزء الراس لها وكونها أشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فاذا كان العبد محافظاً عليها حافظ على جميع العبادات والطاعات والمعنى يداومون

مهران الدباغ حدثنا عمر بن يزيد عن أبي اسحق عن عبد خضر عن علي قال سمعت أبا بكر هو الصديق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد أذنب فقام فبوضأ فحسن الوضوء ثم قام فصلى واستغفر من ذنبه الا كان حقا على الله أن يغفر له لان الله يقول ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه الا تين ثم رواه من طريق أبيان بن أبي عياش عن أبي اسحق السبيعي عن الحرث عن علي عن الصديق نحوه وهذا اسناد لا يصح وقال ابن عمر دونه حدثنا محمد بن علي بن دحيح حدثنا أحمد بن حاتم حدثنا موسى بن مهران الرقي حدثنا مبشر بن اسمعيل الجلبى عن ثعلبة بن نعيم حدثني كعب بن زهال الأزدي قال سمعت أبا الدرداء يحدث قال كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلسنا حوله وكانت له حاجة فقام إليها وأراد الرجوع ترك تعليقه في مجلسه أو بعض ما عليه وأنه قام
 فتروك فعله قال أبو الدرداء فأخذ ركوة من ماء فاستعصى ساعة ثم رجع ولم يقض حاجته فقال الله تعالى أنت من ربي فقال الله من
 يعمل سوا أو ينظم نفسه ثم يستغفر الله عفو راحيا فأردت أن أبشر أصحابي قال أبو الدرداء وكانت قد شفت على الناس
 الآية التي قبلها من يعمل سوا عجز به فقلت يا رسول الله وإن ربي وإن سرق ثم استغفر ربه غفر له قال نعم ثم قلت الثانية قال نعم قلت
 الثالثة قال نعم وإن ربي وإن سرق ثم استغفر (١٩٢) الله غفر الله له على رغم أنف أبي الدرداء قال فرأيت أبا الدرداء يضرب أنف

عليها في أوقاتها والحاصل أن الإيمان بالآخر يجعل على الإيمان بحمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وذلك يجعل على المحافظة على الصلاة (ومن أظلم) هذه الجملة مقرر لمضمون ما تقدم
 من الاحتجاج عليهم بأن الله أنزل الكتب على رسله أي كيف تقولون ما أنزل الله على بشر
 من شيء وذلك يستلزم تكذيب الأنبياء عليهم السلام ولا أحد أظلم وأعظم خطأ وأجهل
 فعلا (عن إقترى على الله كذبا) فزعم الله في وليس بني (أو قال) وحى إلى ولم يوح الله
 شيئا عطف خاص على عام قاله أبو جحان أو عطف تفصيلي والاحسن أنهن عطف المغاير
 باعتبار العنوان وتكون أو للتوبيخ وقد صدق الله أنبياءه بما عيون عليهم واثما هذا
 شأن الكذابين رؤس الضلال كسلسلة الكذاب ادعى النبوة بالجماعة من اليمن والأسود
 العنسي صاحب صنعاء وسجاح قال شرحبيل بن سعد تزك في عبد الله بن أبي سرح لما
 دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة فرأى عثمان أخميم الرضاة فغيبه عنده
 حتى أطمان أهل مكة ثم استأمن له وقال ابن جبريج عززت في مسيلة الكذاب من ثمانية
 ونحوه من دعائى مثل مادعا إليه وقيل في مسيلة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب
 نبرجات وكهانة وصحج ادعى النبوة في اليمن وعن عكرمة قال لما زلت والمرسلات عرفا قال
 النضر وهو من بني عبد الدار والطاححات طحنا والعاجنات عجانقا ولا كثيرا فأنزل الله هذه
 الآية (ومن قال سأزل أي سأتى وأظلم وأجمع وأكتم) (مثل ما أنزل الله) وهم القائلون
 لو نشاء قلنا مثل هذا وقيل هو عبد الله بن أبي سرح فانه كان يكتب الوحي لرسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم فأمل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أنشأناه خلقا
 آخر فقال عبد الله قتيار الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 هكذا أنزلت فشك عبد الله حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلى كما أوحى إليه
 ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ثم ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين ثم أسلم يوم الفتح كما هو
 معروف قال أهل العلم وقد دخل في حكم هذه الآية كل من إقترى على الله كذبا في ذلك
 الزمان وبعد ذلك لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات
 الموت) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والمراد كل ظالم
 ويدخل فيه الجاحدون لما أنزل الله والمبدعون للنبوات إقتراعا على الله دخولا وأوليا

نفسه بالصبر هذا حديث غريب
 جدامن هذا الوجه بهذا السابق وفي
 استناده ضعف وقوله ومن يكسب
 اثما فاعنا يكسبه على نفسه الآية
 كقوله تعالى ولا تزولوا زينة وروزا أخرى
 الآية يعنى أنه لا يغنى أحد عن أحد
 واثما على كل نفس ما علمت لا يحمل
 عنها غيره واهل هذا قال تعالى وكان الله
 عليا حكما أي من علمه وحكمته
 وعدله ورحمته كان ذلك ثم قال ومن
 يكسب خطيئة أو اثما ثم يذكر بها ربه
 الآية يعنى كما أنهم بنو أبيرق
 بصيهم القبيح بذلك الرجل الصالح
 وهو لبيد بن سهل كما تقدم في
 الحديث أوريد بن السهين اليهودي
 على ما قاله الآخرون وقد كان بريا
 وهم الظلمة الخفوة كما أطلع الله
 على ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم
 ثم هذا التبريع وهذا التوبخ
 عام فيهم وفي غيرهم ممن اتصف
 بصفهم فارتكب مثل خطيئتهم
 فعليه مثل عقوبتهم وقوله ولو لا
 فضل الله علينا ورحمته لدمت
 طائفتهم أن يضلوا وما يضلون
 الأنفسهم وما يضرونك من شيء
 وقال الامام ابن أبي حاتم أباهاهم

ابن القاسم الحراني فيما كتب إلى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة
 الانصارى عن أبيه عن جده قتادة بن النعمان وذو كريمة بنى أريق فأنزل الله لهم طائفة منهم أن يضلوا وما يضلون الأنفسهم
 وما يضرونك من شيء يعنى أسيد بن عروة وأصحابه يعنى بذلك لما أنشأوا على بني أريق ولا مواقتادين النعمان في كونهم معهم وهم
 صلحاء برآء ولم يكن الأمر كما أنهم هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا أنزل الله فصل القصص وجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم ثم امتن عليه بتأييده إياه في جميع الأحوال وعصمته له وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة وعلم عالم

وجواب

تمكن تعلم اى قبل نزول ذلك عليك كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب وقال تعالى وما كنت ترجوان بلقى اليك الكتاب الارحمة من ربك ولهذا قال وكان فضل الله عليك عظيما (الاحزاب) كثيرا من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك استغفر من ذات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير مبديل المؤمنين قوله ما وفى ونص له جهنم وساءت مصيرا يقول تعالى لا خير في كثير من نجواهم يعنى كلام الناس الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح (١٩٢) بين الناس أى المتجسرون من قال ذلك كما جازى

الحديث الذى رواه ابن مردويه
حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم
حدثنا محمد بن سليمان بن الحرث
حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس قال
دخلنا على سفيان الثوري نعوده
فدخل علينا سعيد بن حسان فقال
له الثوري الحديث الذى كنت
حدثتني عن أم صالح اردد على
فقال حدثني أم صالح عن صبيبة
بنت شيبه عن أم حبيبة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام
ابن آدم كاه عليه لاله الا ذكر الله
عز وجل أو أمر معروف أو نهى
عن منكر فقال سفيان أو ما سمعت
الله في كتابه يقول لا خير في كثير
من نجواهم الا من أمر بصدقة أو
معروف أو اصلاح بين الناس فهو
هذا بعينه أو ما سمعت الله يقول
يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن
وقال صوابا فهو هذا بعينه أو
ما سمعت الله يقول في كتابه والعصر
ان الانسان لثى خسر الخ فهو هذا
بعينه وقد روى هذا الحديث
الترمذى وابن ماجه من حديث
محمد بن يزيد بن خنيس عن سعيد

وجواب لو محذوف أى رأيت أمر اعظيما والغمرات جمع غمرة وهى الشدة وأصلها الشئ
الذى يغمر الاشياء فيغطيها ومنه غمرة الماء ثم استعملت فى الشدة وبنه غمرة الحرب
قال الجوهري والغمرة الشدة والجمع غمر مثل غبة ونوب قال ابن عباس غمرات الموت
سكراته (والملائكة باسطوا أيديهم) يقبض أرواح الكفار كقوله اضئ المظالم الخ بل يطيد
الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبه من غير اجمال ويتفيس قال ابن عباس هذا
مثل الموت عليه السلام وقيل باسطوا أيديهم للعذاب وفى أيديهم مطارق الحديد قاله
الضمك ومثله قوله تعالى ولورى اذ يوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم
وأبصارهم (أخرجوا أنفسهم) أى قائلين لهم تعنيفا أخرجوا أنفسهم من هذه الغمرات
التي وقعت فيها أو أخرجوا أنفسهم من الدنيا وخلصوها من العذاب وأخرجوا أنفسهم
من أجسادكم وسلموها اليئالفة بضمها (اليوم) أى اليوم الذى تقبض فيه أرواحكم أو
أرادوا باليوم الوقت الذى يبعثون فيه الذى مبدؤ عذاب القبر (تجزون عذاب الهون)
أى الهوان الذى تصيرون به فى اهانة وذلك بعد ما كنتم فيه من الكبر والتعظيم (بما كنتم
تقولون على الله غير الحق) أى بسبب قولكم هذا من انكار انزال الله كسبه على رسوله
والاشترابه (وكنتم عن آياته تستكبرون) أى عن التصديق لها والعمل بها فكان
ما جزيتهم من عذاب الهون جزاء وفاقا (و) يقال لهم اذ ابغوا والقائلون هم الملائكة
وقيل هو قول الله تعالى (لقد جئنا فرداى) قرئ بالنون وهى لغة بني تميم وبات
التأنيث للجمع وهو جمع فرد وفريد قاله الثراء وقال ابن قتيلة هو جمع فردان كسكران
وسكارى وقال الراغب جمع فريد كاسير وأسارى وقيل هو اسم جمع لان فردا لا يجمع على
فرداى والمعنى جئنا ثمة فريد واحد واحد كل واحد مفرد عن أهله وماله وولده
وما كان بعده من دون الله فلم يلقه بشئ من ذلك قال سعد بن جبير كيوم ولد برديعه
كل شئ نقص منه يوم ولد وعن عكرمة قال قال الضربى الحرث سوف تشفع لى اللات
والعزى فنزلت هذه الآية (كما خلقناكم أول مرة) أى على الصفة التى كنتم عليها عند
خروجكم من بطون أميائكم حفاة راعغا ربايعى تلقا كما ولدكم أميائكم فى أول مرة
فى الدنيا ولا شئ عليكم ولا سمكم (وتركتم ما خلقناكم) أى ما أعطيناكم من المال والولد
والخدم فى الدنيا والخلع ما أعطاه الله للانسان من متاع الدنيا (وراء ظهوركم) أى تركتم

(٢٥) فتح البيان ثالث) ابن حسان به ولم يذكره قال الترمذى حديث غريب لا يعرف
الامن حديث ابن خنيس قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح بن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله
ابن شهاب ابن جندب بن عبد الرحمن بن عوف أخبره ان أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فيمنى خيرا أو يقول خيرا أو قال لم أسمع به رخص فى شئ مما يقوله الناس الا فى ثلاث
فى الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها قال وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات

الذي يابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه ابنه أحمد بن حنبل عن طريق عن الزهري رحمه الله قال الإمام أحمد
حدثنا أبو معاوية عن عمرو بن شعيب عن صالح بن أبي الجعد عن أبي الزدراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أما أنتم فمما تقتضون من زوجة الصالح ما لا يرضون له قالوا بلى يا رسول الله قال أصلح ذات الدين قال وما ذات الدين
لدا الله وزاد أبو الزدراء في حديثه ما لم يروا به وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر المزاري حدثنا أحمد بن
عبد الرحمن حدثنا شريك بن جابر عن حماد بن عيسى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر حدثنا أبي عن حماد عن أنس بن

ذات شمسكم لم تأتوا بشئ منه ولا اتقنتم به بوجه من الوجوه (وما نرى منكم منعة من
الذين) عند شوقهم وقلتم ما نفعدهم الا للقرى وقال الله لئن لم
يخرج منكم العباد كما يستحقها فاذ كان يوم القيامة وخرج الله المشركون وقرعهم
بهذه الآية ثم قال (لقد قطع بينكم) اي ما بينكم من الوصل وواصلكم في الدنيا كما يدل
عليه وما نرى منكم شفعاءكم وقيل لقد قطع الامر بينكم وقرأ ابن مهزول قد قطع
ما بينكم وقرى بينكم رفع النون وعناد وصلكم والذين من الاضدادية ومن وصلوا
ويكون شجرا (وصل عنكم ما كنتم تزعمون) في الدين انتم الشركاء والشرك وحيل بينكم
وبينهم (ان الله فاق الحب) حذاشرو ع في تعدد محابب صنعه تعالى وذ كر ما يعجز اليهم
عن ادنى شئ عنه والخلق الشق أى هو سبحانه شاق الحب فيخرج منه السات (و) فاق
(النوى) فيخرج منه الشجر الصاعد في الهواء وقيل معناه الشق الذي فسه من أصل
اخلفه وقيل معنى فاق خالق وبه قال ابن عباس والفعال ومقابل قال الراحدى ذهبوا
بفائق مذهب فاطر وأنكر الطبري هذا وقال لا يعرف في كلام العرب فاق الله الشئ يعنى
خلق ونقل الازهرى عن الزجاج جوازوه الاول أولى والحب هو الذي ليس له نوى كالخطة
والشعر والارزوما أشبه ذلك والنوى جمع نواة يطلق على كل ما فيه عجم كالقر والمشمش
والنوخ والمعنى انه اذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة ثم مر عليه زمان أعطيها
منها ورقا أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبله يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة
صاعدة في الهواء وعروفا صاربه في الأرض فبحان من أوجد جميع الاشياء بقلته
وبداعه وخلقها وتبارك الله أحسن الخالقين (يخرج الحى من الميت) هذه الجملة خبر بعد
خبر وقيل هي جملة مفسر لما قبلها لان معناها معناه والاول أولى فان معنى ذلك يخرج
الحيوان من مثل النطفة والبيضة وهى ميتة (و) معنى (يخرج الميت من الحى) يخرج
النطفة والبيضة وهى ميتة من الحى وهذا قول الكاى ومقابل وهذا عطف جملة اسمية
على فعلية ولا ضير فى ذلك قال قتادة يخرج النخلة من النواة والسنبل من الحبة ويخرج
النواة من النخلة والحبة من السنبل وقال مجاهد الناس الاحياء يخرج من النطف
والنطفة ميتة يخرج من الناس الاحياء قال الطبري ومن الانعام والنبات كذلك أيضا
قال ابن عباس يخرج المؤمن من الكافر وبالعكس وبه قال الحسن وقيل الطائع من

العضي

وقال تعالى فلما أراغوا أراغ الله قلوبهم وقوله وتذرهم في طغيانهم يعمهون وجعل النار مضرة في الآخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلى النار يوم القيامة كما قال تعالى احسنوا الذين ظلموا وأزواجهم الآية وقال تعالى وراى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (إن الله لا يغير قرآن بشرك به ويغير ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد رضل ضللا لا يعصيان إن يدعو من دون الله آتائنا وإن يدعوون إلا الله سبحانه أمر يد العنة الله وقال لا تتخذن من عبادك نصيبا مفرضا ولا ظنهم ولا منيتهم ولا حمرتهم فليستكن آذان الانعام ولا حمرتهم (١٩٥) فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا

من دون الله فقد خسر خسرانا

مينا بعدهم وخيبرهم وما بعدهم

الشيطان الاغروا وأولئك ما أوهم

جهنم ولا يجدون عنها محجبا والذين

أسوأ عولوا الصالحات سندخلهم

جنات تجري من تحتها الأنهار

حالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن

أصدق من الله قبلا قد تقدم

الكلام على هذه الآية الكريمة

وهي قوله إن الله لا يغير قرآن بشرك

به ويغير ما دون ذلك الآية وزكنا

ما يتعلق بها من الأحاديث في

صدر هذه السورة وقد روى الترمذي

حدثنا أبو ريثم أبي فاختة سعد بن

علاقة عن أبيه عن علي رضي الله

عنه الله قال ما في القرآن آية أحب

إلي من هذه الآية إن الله لا يغير

أن يشرك به الآية ثم قال هذا

حسن غريب وقوله ومن يشرك

بالله فقد ضل ضللا لا يعبد أي فقد

سلك عن الطريق الحق وضل عن

الهدى وبعد عن الصواب وأهلك

نفسه وخسر هاهنا الدنيا والآخرة

وفاتته سعادة الدنيا والآخرة

وقوله إن يدعو من دون الله الأنا

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا

العاصي وبالعكس ولا مانع من حمل ذلك على الجميع بل اللفظ أوسع من ذلك وقيل المراد من الحي ما يتوهم من الحيوان والنبات وإن لم يكن فيه روح وبالميت ما لا يتوهم كالنطفة والحبة ولو كان أصل حيوان (ذلكم) الإشارة إلى صانع ذلك الصنع العجيب المذكور سابقا (الله) خبره والمعنى إن صانع هذا الصنع العجيب هو المستجمع لكل كمال والمفضل بكل أفضال والمستحق لكل حمد وإجلال (فأني توقفون) أي فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان وعن الحق مع ما ترون من بديع صنعته وكما قدرته قال ابن عباس فكيف تتكذبون وقال الحسن أي تصرفون وفيه دليل أيضا على صحة البعث بعد الموت لأن القادر على إخراج البدن من النطفة قادر على إخراجها من التراب للعباد (فألق الأصباح) بكسر الهمزة مصدر أصبح وبه قال الجمهور والظاهر أن الأصباح في الأصل مصدر سمي به الصبح وبفتحها جمع صبح والصبح والأصباح أول النهار وكذا الأصباح قاله الزجاج والليل والمعنى أنه شاق عموما للضياء عن ظلام الليل وسوادها ويكون المعنى فإلق ظلمة الأصباح وهي الغدش في آخر الليل الذي يلي الصبح قاله الكشاف وألق عموما للغير إذا انصدع عن بياض النهار لأنه يبدو تحت ظلمة الظلمة ثم بصيرا يبصر خالصا وقيل المعنى خالق الأصباح والصبح هو الضوء الذي يدور أول النهار قال ابن عباس خلق الليل والنهار ويعنى بالأصباح ضوء الشمس بالنهار وضوء القمر بالليل وقال أضائة القمر وقال قتادة فإلق الصبح (وجعل الليل سكا) السكن محل السكن من سكن إليه إذا اطمان إليه واستراح به لأنه يسكن فيه الناس عن الحركة في معاشهم ويستريحون من التعب والنصب قال قتادة سكن فيه كل طير ودابة (والشمس والقمر حسبانا) أي الشمس والقمر مجعولان حسبانا معينا قال الأخفش الحسبان جمع حساب مثل شهبان وشهاب وقال يعقوب حسبان مصدر حسب الشيء أحسبه حسبا وحسبانا والحساب الاسم وقيل الحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح والحسبان بالكسرة مصدر حسب والمعنى جعلهما محل حساب يتعلق به مصالح العباد وسيرهما على تقدير لا يزيد ولا ينقص ليدل عبادك بذلك على عظيم قدرته وبديع صنعته وقيل الحسبان الضياء وفي لغة أن الحسبان النار ومنه قوله تعالى رسل عليا حسبانا من السماء وقال ابن عباس يعنى عددا لأيام والشهور والسنين وقال الكلبى منازله ما يحسب لا يحارزه حتى تنهب إلى أقصاه لأن حساب الأوقات يعلم بدورها

محمود بن غيلان أنبأنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسن بن واقد عن الربيع بن أنس عن أبي العباس عن أبي بن كعب أن يدعو من دون الله الأنا قال مع كل صنعة جنية وحدثنا أبي حدثنا محمد بن سلمة الباهلي عن عبد العزيز بن محمد عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن يدعو من دون الله الأنا قالت أوأنا وروى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير ومجاهد وأبي مالك والدي ومقاتل بن حذاف وقيل ابن جرير عن الضحاك في الآية قال المشركون الملائكة تنادى الله وأعلمهم ليقربونا إلى الله زلفى قال فتخذه من أربابا وصوره من جوارى فحكموا وقلدوا وقالوا هؤلاء يشبهون بنات الله الذي يعبدن يعنون الملائكة

أمر أئى لا تذلو افطرة الله ودعوا الناس على فطرهم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فإواهيه أو نصرانه أو مجسانه كالأولاد البهيمة هجمة جماعه هل يجحدون بهم من جدعاء وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انى خلقت عبادى خنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ثم قال تعالى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا أى فقد خسر الدنيا والآخرة وتلك خسارة لا جبر لها ولا استدرال للفتايتها (١٩٧) وقوله تعالى يعدهم وينعيمهم وما يعدهم الشيطان الا غورا وهذا الخبر

عن أواقع فان الشيطان يعد أولياءه وينعيمهم بانهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب واقتري في ذلك ولهذا قال الله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غورا كما قال تعالى يخبر عن ابليس يوم المعاد وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان انى قوله وان الظالمين لهم عذاب أليم وقوله ولئن شئت لى استحيون لى فيما وعدهم ومناهم ما أوامهم جهنم أى يصبرهم وما لهم يوم القيامة ولا يجدون عندها مما أى ليس لهم عندها من دوحة ولا مصرف ولا خلاص ولا مناص ثم ذكر تعالى حال السعداء والافتقار وما لهم من الكرامة التامة فقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أى صدقت قلوبهم هم وعلمت جوارحهم بما أمر وأبه من الخيرات وتركوها منهن وأمنه من المنكرات سدد خلفهم جنات تجري من تحتها الأنهار أى يصرفون بها حيث شاؤوا وبأن شاؤا خالدن فيها أبدا أى بلا زوال ولا انتقال وعنده الله

مر ادعوا وروى هذا النجوم ورد النهى عن النظر فيها كما أخرجه ابن مردويه والخطيب عن على قال نهى نى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن النظر فى النجوم وعن أبى هريرة عندهما وعند المروزي مثل مر فوعا وأخرج الخطيب عن عائشة مر فوعا مثله وأخرج الطبرانى والخطيب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ذكر أصحابى فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكرت النجوم فامسكوا وأخرج ابن أبى شيبه وأبو داود وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد فهذه الاحاديث محمولة على النظر فيها لمساعد الاهداء والتفكر والاعتبار وما ورد فى جواز النظر فى النجوم فهو مقيد بالاهداء والتفكر والاعتبار كإيدى عليه حديث ابن عمر السابق وعليه يحمل ما روى عن عكرمة انه سأل رجلا عن حساب النجوم فجعل الرجل يتخرج ان يتخرجه فقال سمعت ابن عباس يقول لعمر بن الخطاب عنه ووددت أنى علمته وقد أخرج أبو داود والخطيب عن حمزة بن حنبل انه خطب فذكر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أما بعد فان ناسا من عوام ان كسوف هذه الشمس وكسوف هذا القمر يخرج من هذه النجوم عن مواضع الموت رجال عظاما من أهل الارض وانهم قد كذبوا ولكنهم لا يرجعون أى ان الله يعبر بهم اعباده ليستظهر ما يحدث لهم من توبة وقد ثبت فى الصحيحين وغيرهما فى كسوف الشمس والقمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه لما لا يسكن سفان موت أحد ولا حياة وليكن يخوف الله بهم ما عباده (قد فعلنا الآيات) أى ينشأها بما تمفصلا ليكون أبلغ فى الاعتبار (لقوم يعلمون) ان ذلك ما يستدل به على وجود الصانع المختار وكما قدرته وعظمته وبديع صنعه وعلمه وحكمته (وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة) أى آدم عليه السلام كما تقدم وهذا نوع آخر من بديع خلقه الدال على كمال قدرته أخرجه ابن مردويه عن أبى أمامة مر فوعا وان الله نصب آدم بين يديه ثم ضرب كتفه اليسرى فخرجت ذريرة من ضلبي حتى ملا الأرض فهذا الحديث هو معنى ما فى هذه الآية (فتنقر) قرئ بكسر القاف وبفتحها أى تنقر أى تنقر قافى الرحام وأولئك هم مقرر التقدير الاول على الفرة الاولى والثانية على الثانية وقيل أى فنكمم مستقر على الارض وأولئك هم مستقر على ظهورها (و) منكم (مستودع) فى الرحم أو فى باطن الارض أو فى أصلاب الرجال والنساء قال

حقا أى هذا وعد من الله ووعد الله معلوم حقيقة انه واقع لا محالة ولهذا ذكره بالصدور الدال على تحقيق الخبر وهو قوله حقاً ثم قال تعالى ومن أصدق من الله قبلا أى لا أحد اصدق منه قولا أى خبر الااله الا هو ولا رب سواه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته ان أصدق الحديث كلام الله وخبر الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار (ليس بامانيكم ولا أمانى أهل الكتابس يعمل سواء يحز به ولا يجبدله من دون الله ولما ولا نصبرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قالوا لك يدخلون الجنة ولا يظلمون تقيرا ومن أحسن ديننا من أسلم

وجبه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء
 عبيدا قال قتادة زكريا ان المسلمين واهل الكتاب اقبلوا فقال اهل الكتاب نينا قبل نبيكم وكانا قبل كتابكم فحن اولى الله
 منكم وقال المسعودي نحن اولى بالله منكم ونينا حاتم النبيين وكانا يقضي على الكتب التي كانت قبله فاقبل الله ليس بامانكم
 ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سواء يحزه ومن احسن ديننا من اسلم وجهه لله وهو محسن الآية ثم اقبل الله حجة المسلمين على
 من ناواهم من اهل الاديان وكذا زوى (١٩٨) عن السدي وسروقه والفضل وأبي صالح وغيرهم وكذا زوى القوي

عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال في هذه الآية تخصم اهل
 الاديان فقال اهل التوراة كانوا
 خير الكتب ونينا خير الانبياء
 وقال اهل الانجيل مثل ذلك وقال
 اهل الاسلام لا دين الا الاسلام
 وكانا نسخ كل كتاب ونينا خاتم
 النبيين وامرتم وامرنا ان نؤمن
 بكتابكم ونعمل بكتابنا فاقضى الله
 بينهم وقال ليس بامانكم ولا امانى
 اهل الكتاب من يعمل سواء يحزه
 الآية وخبر بين الاديان فقال ومن
 احسن ديننا من اسلم وجهه لله وهو
 محسن الى قوله واتخذ الله ابراهيم
 خليلا وقال مجاهد قال العرب ان
 نبعت ولن نعذب وقالت اليهود
 والنصارى ان يدخل الجنة الامن
 كان هودا ونصارى وقالوا ان تمسنا
 النار الا يا امام معدودات والمعنى في
 هذه الآية ان الدين ليس بالتحلى ولا
 بالاعتق ولكن ما وقرى القلوب
 وصدقته الاعمال وليس كل من
 ادعى شيئا حصل له بجزء دعواه
 ولا كل من قال انه هو على الحق
 سمح قوله بجزء ذلك حتى يكون له
 من الله برهان ولهذا قال تعالى ليس
 بامانكم ولا امانى اهل الكتاب من

ابن عباس المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصحاب الابهة ثم قرأ ونفري الارحام
 ما نشاء وروى عنه انه قال بالعكس يعنى ان المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام وقال
 ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولدوا والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد
 المستقر على ظهر الارض في الدنيا والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر
 في القبر والمستودع في الدنيا وقيل المستقر في الرحم والمستودع في الارض قال القرطبي
 وأكثراهل التفسير يقولون المستقر ما كان في الرحم والمستودع ما كان في الصلب
 والفرق بينهما ان المستقر اقرب الى الثبات والمستودع لان المستقر من القرار
 والمستودع معرض للرد وجعل الحصول في الرحم استقرا او في الصلب استدعا لان
 النطفة تبقى في صلب الابهة ما تافى او الحين يبقى في بطن الام زمانا طويلا فلو كان
 المكث في بطن الام أكثر من المكث في صلب الاب حمل المستقر على الرحم والمستودع
 على الصلب وقيل المستقر من خلق والمستودع من لم يخلق وقيل المستودع في القبر
 والمستقر ما في الجنة أو النار لان المقام فيه ما يقتضى الخلود والتأبى وقيل الاستدعاء
 اشارة الى كونهم في القبر الى المبعث وما يدل على تفسير المستقر بالكون على الارض
 قول الله تعالى ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين (قد فصلنا الآيات) اى ينشأ الدلائل
 الدالة على التوحيد والبراهين الواضحة والحجج النيرة (لقوم يفقهون) غوامض الدقائق
 ذكر سبحانه ههنا يفقهون وقيل اقله يعلمون لان في انشاء النفس من نفس واحدة وجعل
 بعضهم مستقرا وبعضهم مستودعا من الغموض والدقة ما ليس في خلق النجوم للاهتداء
 فناسبه ذكر الفقه لاشعاره بجزء تحقيق وامعان فكله وتدقيق نظر (وهو الذى ازل من
 السماء ماء) هذا نوع آخر من بحاث مخلوقاته والماء هو ماء المطر قبل ان ينزل المطر من
 السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض (فاخرجناه) فيه الصفات من الغسنة
 الى التكامل اظهار العناية بشأن هذا المخلوق وما ترتب عليه والضمير في هذا الى الماء أى
 بسببه فالسبب واحد والمسببات كثيرة (نبات كل شئ) يعنى كل صنف من أصناف
 النبات المختلفة وقيل المعنى رزق كل شئ من الانعام والبهائم والطيور والوحوش ونحو آدم
 واقواهم والاولى أولى ثم فصل هذا الاجمال فقال (فاخرجنا منه خضرًا) قال الاخفش
 أى أى خضر والخضر رطب القول وهو ما تشعب من الاغصان الخارجة من الحبة وقيل

يعمل سواء يحزه أى ليس اسلم وجهه لله ولا لهم الخفاء بجزء الحق بل العبرة بطاعة الله سبحانه واتباع ما شرعه على ألسنة
 الرسل الكرام ولهذا قال بعد من يعمل سواء يحزه بكونه يعمل مثقال ذرة خيرا به ومن يعمل مثقال ذرة شرا به وقد روى ان
 هذه الآية لما نزلت شق ذلك على كثير من الصحابة قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن غير حدثنا اسمعيل عن أبي بكر بن أبي رهمير
 قال أخبرني ان أبا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله كيف القلاح بهذه الآية ليس بامانكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل
 سواء يحزه فبكى سوء علمنا به خزي شابه فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفر الله يا أبا بكر ألست تعرض ألست تنصب ألست تحزن

أثبت نصيبك إلا قال بلى قال هو مما تجوزون به ورواه سعد بن منصور عن خلف بن خليفة عن اسمعيل بن أبي خالد ورواه
الحاكم من طريق سفيان الثوري عن اسمعيل بن عمار وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن زياد الجصاص عن علي بن
زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال سمعت أبا بكر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعمل سوا عيجه في الدنيا وقال أبو بكر بن
مردويه حدثنا محمد بن هشام بن جهمية حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا زياد الجصاص عن علي
ابن زيد عن مجاهد قال قال عبد الله بن عمر انظروا المكان الذي فيه (١٩٩) عبد الله بن الزبير مصابوا فلا تخرجوا عليه قال فيها

الغلام فإذا عبد الله بن عمر ينظر إلى
ابن الزبير فقال يغفر الله لك ثلاثا
أما والله ما علمت إلا صوما قواما
وصلا للرحم ما والله اني لا رجوع
مساوي ما أصبت ان لا يغفر الله
بعدها قال ثم التفت إلى فقال
سمعت أبا بكر الصديق يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يعمل سوا في الدنيا عيجه ورواه
أبو بكر البرزقي مسنده عن الفضل
ابن سهل عن عبد الوهاب بن عطاء

به مختصرا وقال في مسنده ابن الزبير
حدثنا إبراهيم بن المستمير العروقي
حدثنا عبد الرحمن بن سالم بن حبان
حدثني أبي عن جدي حبان بن
بسطام قال كنت مع ابن عمر
بعبد الله بن الزبير وهو مصاب
فقال رجعة الله عليك يا أبا جيب
سمعت أبا عبد الله بن الزبير يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
يعمل سوا عيجه في الدنيا والآخرة
ثم قال لا أعلمه يروي عن الزبير لا
من هذا الوجه وقال أبو بكر بن
مردويه حدثنا أحمد بن كامل
حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثنا
روح بن عبادة حدثنا موسى بن
عميرة حدثني مولى بن سباع قال

يريد القمح والشعير والذرة والارز وسائر الحبوب وجمع الزروع والبقول (يخرج منه
حباميرا) أي يخرج من تلك الأعصان الخضر حباميرا يعضه على بعض كمان
السابل قال السدي أي سدل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم
الزرع على الخنل دليل على الأفضلية ولأن حاجة الناس إليه أكثر لانه القوة المألوف
والتعبير بالخضر مع ان المقام الماضي لاستحضار الصورة الغريبة (ومن الخنل) اسم
جنس جعي يذ كرويوث قال تعالى كأنهم أعجاز مخلخلة وقال تعالى كأنهم أعجاز مخلخلة
منقهر (من طلعها قنوان) قرئ بكسر القاف وقها باعتبار اختلاف اللغتين لغة قيس
ولغة أهل الحجاز والطلع الكثرى قبل ان ينشق عن الأغريض والأغريض يسمى طلعا
أي صاوهما يكون في قلب الطلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من غمر الخنل كالكيزان يكون
فيه العذق فإذا شق عنه كيزانه يسمى عذقا وهو القنوص وجمع قنوص قنوان مثل صنوص وضمون
والفرق بين جمعه وتثنيته أن المثني مكسور والنون والجمع على ما يقتضيه الأعراب والقنوص
العذق والمعنى ان القنوص أصله من الطلع والعذق هو عتقود الخنل وقيل القنوص الجمار
أو العراجين (دانية) قرية بناها القائم والقاعد وقال مجاهد متدامة وقال الضحاك قصار
ملتصقة بالأرض أي دانية من المجتأ لأنها لم ينقل جملها ولقصار ساقها قال الزجاج
المعنى منها دانية ومنها بعيدة خذف ومثله إسرائيل فيكم الحروخ من الدانية بالذ كر لان
الغرض من الآية بيان التدرج والامتنان وذلك فيما يقرب تناوله أكثر وقال ابن عباس
قصار الخنل اللاصقة عذوقها بالأرض وعنه قنوان الكناس والدانية المنصوبة وقال
أيضا تهمل العذوق من الطلع وذكر الطلع مع الخنل لانه طعام وادام دون سائر الاكلام
وتقديم النبات لتقدم القوة على القاكهة (وجنات) أي ولهم جنات قاله الخاس
وأجازة سيبويه والكسائي والقراء وأما على النصب فالقدير وآخر جنات جنات أي
بساتين كائنة (من أعناب والزيتون والرمان) أي وآخر جنات شجرهما (منها وغير
متشابه) أي كل واحد منهما ما يشبهه به من بعضا في بعض أو صافه ولا يشبهه في البعض
الآخر وقيل ان أحدهما ما يشبه الآخر في الوريق باعتبار اشتباهه على جميع الفروع
وباعتبار جده ولا يشبه أحدهما الآخر في الطعم قال قتادة متشابه وورقه مختلفا غيره لان
ورق الزيتون يشبه ورق الرمان يقال متشابه بمعنى كيقال أشبهه وتشابه كذلك

سمعت ابن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية من يعمل سوا عيجه ولا يجده
من دون الله وإياها ولا يصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ألا قرئت آية أنزلت على قال قلت بلى يا رسول الله فأقرأها
فلا أعلم اني قد وجدت انفسا ما في ظهري حتى تحطمت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالنا يا أبا بكر قلت يا بني أنت وأبي
يا رسول الله وإني لم يعمل السوا وأنا الجزيون بكل وسوء علمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون
فإنكم تجوزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس لكم ذنوب وأما ألا تخرون فيجوع ذلك لهم حتى يجزيه يوم القيامة وكذا رواه

الترمذي عن يحيى بن موسى وعبد بن جعفر بن روح بن عبيد بن موسى بن عبيد بن بضع ومولى بن سباع بن جهمول وقال ابن جبر حدثنا القاسم حدثنا الحسين عن ابن جريج أخبرني عطاء بن أبي رباح قال لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله جاءت قاصمة الظهر (١) انما هو المصيبة في الدنيا طريقتي أخرى عن الصديق قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق العسكري حدثنا محمد بن عامر السعدي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا فضيل بن عياض عن سليمان بن مهران عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال قال أبو بكر الصديق يا رسول الله (٢٠٠) ما أشد هذا إلا به من يعمل سواء يجزى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر سبحانه في هذه الآية أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع لان الزرع غذاء وغار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الثواكه وانما تقدم الخلعة على غيره لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المتافع والمواضع ما ليس في غيره هاهنا من الاشجار وانما ذكر الغلب عقب الخلعة لانها من أشرف أنواع القواكه ثم ذكر عقبة الزيتون لما فيه من البركة والمتافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبة الزمان لما فيه من الفوائد العظيمة لانها كدواء وقيل خص الزيتون والمان اقرب منها بجزء من العرب كما في قول الله تعالى أقلنا نظرون الى الابل كيف خلقت (انظر الى قوله) أي غير كل واحد مما ذكر يعني رطبه وعنبه قاله محمد بن كعب القرظي فري ثمره يفتح النام والميم ويضيق ما هو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (اذ أنتم) اي اذا أنجز ج ثمره كيف يحرقه ضعيفا لا يتنفع به (ويشعه) عن البراء قال نضجه أي ادركه كيف يعود شجاعة المتافع أمرهم الله سبحانه بان ينظروا وانظر اعتباري الى ثمره اذا أنجز والى نضجه اذا نضج كيف أخرج هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة الكسيفة ونقلها من حال الى حال والتمري في اللغة حنة الشجر والبايع الناضج الذي قد أدرك وحان قطافه قال ابن السكيت البيع جمع بايع كركب وراكب وقال الغراء بايع احمر (ان في ذلكم) الاشارة الى ما تقدم ذكره مجازا ومفعلا (لايات) اي لايات عظيمة أو كثيرة الله على وجود القادر الحكيم وحدثه فان حدثت هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من أصل واحد واستقامت هاهنا حال الى حال على غط يدعي بحار في فومها الاياب لا يكاد يكون الا باحداث صانع يعلم مقاصدها ويرج ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضديا وبه أو يذيقا وبه (اقوم يومنون) بالله استدلالا بما شاهدوه من عجائب مخلقاته التي قضها عليهم وقيل معنى يؤمنون يصعدون يعني ان الذي يقدر على ذلك قادر على أن يحيي الموتى ويحييهم (وجعلوا لله شركاء الجن) هذا كلام يتضمن ذكر فروع آخر من جهالاتهم وضلالهم والمعنى انهم جعلوا شركاء لله فعبدوههم كما عبدوه وعظموهم كما عظموه قال الحسن أي أطاعوا الجن في عبادة الالوان وقال الزجاج أطاعوهم فيما سألواهم من شركهم وقيل المراد بالجن ههنا الملائكة لاجتماعهم أي استأمرهم وهم الذين قالوا الملائكة نبات الله وقيل نزلت في الزنادقة الذين قالوا ان الله تعالى والجن اخوان قاله حاكى الناس والذباب

المصائب والامراض والاسرار في الدنيا اجزاء طريقتي أخرى قال ابن جبر حدثني عبد الله بن أبي زياد وأحمد بن منصور قال أنس بن مالك بن الحباب حدثنا عبد الملك بن الحسن البخاري حدثنا محمد بن زيد بن منقذ عن عائشة عن أبي بكر قال لما نزلت من يعمل سواء يجزى به قال أبو بكر يا رسول الله كل ما نعمل نؤاخذ به فقال يا أبا بكر أليس يصيبك كذا وكذا فهو وكفارة حديث آخر قال سعد بن منصور أنس بن عابد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان بكر ابن سواد حدثه ان يزيد بن أبي زيد حدثه عن عبيد بن عمر عن عائشة ان رجلا تلا هذه الآية من يعمل سواء يجزى به فقال انما تجزي بكل ما علمنا هلكا اذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم يجزي به المؤمن في الدنيا في نفسه في جسده فيما يؤذيه طريقتي أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يونس بن بشير حدثنا شبيب عن أبي عامر عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت قلت يا رسول الله اني لاعلم أشد آفة في القرآن فقال ما هي يا عائشة قلت من يعمل سواء يجزى به فقال هو ما يصيب العبد المؤمن

حتى النكبة ينسكبها ورواه ابن جبر من حديث هشيم به ورواه ابو داود من حديث ابى عامر صالح بن رستم انطراز والبلس طريقتي أخرى قال ابو داود الطيالسي حدثنا جابر بن شعبة عن علي بن زيد عن ابنة انما سألت عائشة عن هذه الآية من يعمل سواء يجزى به فقالت ما سألتني أحد عن هذه الآية منذ سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (١) قوله جاءت قاصمة الظهر انما هو الخ كذا بالاصل الذي يابى نيا وفيه سقط والاصل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الخ أو نحو ذلك اه

بإثباته هذه مبايعة الله للعبد عما يصيبه من الحى والنكبة والشوكه حتى البضاعة فيضعها في كف فيقزع عنها فيجدها في جيبه حتى ان المؤمن يخرج من ذنوبه كما ان الذهب يخرج عن الكبرطريق اخرى قال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد وابراهيم حدثنا أبو القاسم حدثنا شرح بن يوسف حدثنا أبو معاوية عن محمد بن اسمعيل عن محمد بن يزيد بن المهاجر عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية من يعمل سواء يجزبه قال ان المؤمن يؤجر في كل شيء حتى في القبض عند الموت وقال الامام أحمد حدثنا حسين عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة قالت (٢٠١) قلت يا رسول الله اذا كثرت ذنوب العبد

ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالذنن ليكفرها عنه حديث آخر قال سعيد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمار بن عبد الرحمن بن محيصة عن محمد بن قيس بن مخزومة بنجران بأمره يرضى الله عنه قال لما نزلت من يعمل سواء يجزبه شق ذلك على المسلمين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سدوا وقاربوا فان في كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى الشوكه يشاكمها والنكبة يشكمها وهكذا رواه أحمد عن سفيان بن عيينة ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ورواه ابن جرير من حديث روح ومعه كلاهما عن ابراهيم بن زيد عن عبد الله بن ابراهيم سمعت أبا هريرة يقول لما نزلت هذه الآية ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سواء يجزبه بيكنا وجرنا قلنا يا رسول الله ما بقى هذه الآية من شيء قال أما والذي نفسي بيده انهم الكفار نزلت ولكن أبشروا وقاربوا وسدوا فانه لا يصيب أحدكم مصيبة في الدنيا الا كفر الله بها من خطيئته

والبس خالق الحيات والسباع والعقارب روى ذلك عن السكبي نقلاً عن ابن الجوزي عن ابن النسائب والرازي عن ابن عباس ويقرّب من هذا أقول الجوس فانهم قالوا للعالم صانعان هما الرب سبحانه والشيطان وهكذا القائلون ان كل خير من التور وكل شر من التلمة وهم المناوّه ومعنى (وخلقهم) قد علموا ان الله خلقهم وخلق ما جعلوا شر بكائنه وهـذا كالذليل القاطع على ان المخلوق لا يكون شر بكائنه وكل ما في الكون محدث مخلوق فامتنع ان يكون شر بكائنه في ملكه (وخرقوا) بالتشديد على التكثير لان المشركين ادعوا ان الملائكة بنات الله والنصارى ادعوا ان المسيح ابن الله واليهود ادعوا ان عزرا ابن الله فذكر ذلك من كفرهم فسد الفعل لطابقة المعنى وقرئ بالتخفيف وقرئ وحرفوا من التحريف أي زوروا وقال أهل اللغة معني خرقوا الخلقوا وافترقوا وكذبوا يقال اخلق الافك واخترقه وخرقه وأصداه من خرق الثوب اذا شقه أي اشتقوا (لبنات) كاتنين (بغير علم) بل قالوا ذلك عن جهل خالص وقيل بغير علم بمقامة ما قالوه من خطأ وأصواب بل ربما يقول عن عبي وجهاته من غير فكر ورويه أبو بغير علم عربية ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره ثم بعد حكاية هذا الضلال البين والبهت الفظيع من جعل الجن شركاء لله وأثبت بنين وبنات له نزد الله نفسه عن هذه الاقاويل الفاسدة فقال (سبحانه) وقد تقدم الكلام في معنى سبحانه وفيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله (و) معنى (تعالى عما يصفون) تباعدوا وارتفع عن قولهم الباطل الذي وصفوه به (يبدع السموات والارض) أي مبتدعها وقد جاء البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى السميع كثير اوقيل الاصل يبدع سواه وأرضه والابداع عبارة عن تكمين الشيء على غير مثال سبق والاستهغام في (أي يكون له ولد) للانكار والاستبعاد أي من كان هذا وصفه وهوانه خالفهم ما يبدع ما فيهم ما كيف يكون له ولد وهو من جملة مخلوقاته وكيف يتخذ ما يتخلفه وإدما ثم بالغ في نفي الولد فقال (ولم تكن له صاحبة) أي والحال ان لم تكن له صاحبة والصاحبة اذا لم توجد استحبال وجود الولد (وخلق كل شيء) جملة مقرر لما قبلها لان من كان خالق الكل شيء استحبال منه ان يتخذ بعض مخلوقاته ولدا وهذه الآية تنجى قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شيء عليم) لا يخفى عليه من مخلوقاته خافية (ذلكم) أي المتصف بالاصناف السابقة (الله ربكم لا اله الا هو خالق

(٢٦ - فغ البيان ثالث) حتى الشوكه يشاكمها احدثني قدمه وقال عطاء بن يسار عن أبي سعيد وأبي هريرة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا قسم ولا حزن حتى الهم يمهله الا كفر الله من سبانه أخرجه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد بن يحيى حدثني زينب بنت كعب بن عجرة عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت هذا الامر ارض التي تسمى ما لنا بها قال كفارتها قال أي وان قلت قال حتى الشوكه تشاكمها فقها قالت فدا عني على نفسي أنه لا يفارقه الوعل حتى يموت في ان لا يشغله عن حج ولا عروة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في

جاءة فاسمه انسان حتى وجد حرقه حتى مات رضى الله عنه تشريده أجد حديث آخر روى ابن مردويه عن طريق جابر بن زريق
عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله من يعمل سواي يجزيه قال نعم ومن يعمل حسنة يجزيه عاشرها فيها
من غلب واحدة عشراته وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن زبير بن هرون حدثنا جابر بن سلمة عن حميد عن الحسن بن بعد
سواي يجزيه قال الكافر ثم قرأ وهل يجازي الا الكفور وعكاذ روى عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنهم مفسر الله وأنها بالشر
أيضا وقوله ولا يجعله من دون الله وليا (٢٠٢) ولا نصير أخا لى بن أبي طلحة عن ابن عباس الا ان يتوب فيتوب الله

كل شيء أى مما يكون كالمخلوق فى الماضى فلا تكرر أى يعنى من كانت هذه صفاته فهو
الحقيقى بالعبادة (فأعبدوه) ولا تعبدوا غيره ومن ليس له من هذه الصفات العظيمة شيء (وهو)
على كل شيء وكيل) أى قريب حفيظ (لا تدركه) أى لا تراه (الابصار) جمع بصير وهو حاسة
النظر أى القوة الباصرة وقد يقال للعين من حيث انها تحلق أى الحاسة وأدراك الشيء
عبارة عن الوصول اليه والاطاعة به قال الزجاج أى لا يبلغ كنه حقيقته فالابصار ترى
البارى عز اسمع ولا تحيط به كإن القلوب تعرفه ولا تحيط به قال سعيد بن المسيب لا تحيط
به الابصار وقال ابن عباس كلت أبصارا مخلوقين عن الاطاعة به فالمنفى هو هذا الادراك
لا مجرد الرؤية فقد ثبتت الاحاديث المتواترة نواترا لا شك فيه ولا شبهة ولا يجهل له الامن
يجعل السنة المطهرة وجهه لا عظماء والحاصل انه لا تمسك فيه لمنكرى الرؤية على
الاطلاق وأيضا فقد قرر فى علم البيان والميزان ان رفع الإيجاب الكلى سلب جزئى
فالمنفى لا تدركه بعض الابصار وهى أبصار الكفار هذا على تسليم ان نفي الادراك يستلزم
نفي الرؤية الخاصة والاية من سلب العموم لامن عموم السلب والاول يخالفه الجزئية
والتقدير لا تدركه كل الابصار بل بعضها وهى أبصار المؤمنين والمصير الى أحد الوجهين
معين لما عرفنا من نواتر الرؤية فى الآخرة واعتضادها بقوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقد ثبت قوم من أهل البدع وهم انطواخ والمعتزلة وبعض
المرجئة بظاهر هذه الآية ولا يستتب ذلك كما تقدمت الإشارة اليه على ان مورد الآية
التمدح وهو وجوب ثبوت الرؤية اذ نفي ادراك ما تستقبل رؤيته لا تدحض فيه لان كل مالا
يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية فكانت الخجة لنا عليهم ولو
أدعوا النظر فيه لاغتصموا التقصى عن عهدتها ومن بنى الرؤية يلزمه نفي كونه تعالى
معلوما موجودا والكلام فى ذلك يطول جدا وقد أطال الواحد المتكلم الحافظ بن القيم
رحمه الله فى حادى الارواح فى اثبات الرؤية ورد المنكرين لها والشوكا فى البغية
فى مسئلة الرؤية بما لا من بدع له وعن ابن عباس ذلك نوره اذا تجلى بنوره لا يدركه شيء
وفى لفظ انما ذلك اذا تجلى بكيفية لم يقم له بصير وقال أيضا لا يحيط بصرا أحس بالله وقال
الحسن لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وعن اسمعيل بن عتبة مثله (وهو)
يدرك الابصار أى يحيط بها ويبلغ كنهها لا يخفى عليه منها خافية أو يراها ولا تراها

عليه رواد ابن أبي حاتم والصحيح ان
ذلك عام فى جميع الاعمال المتقدمة
من الاحاديث وهذا الاختيار ابن
جرير والله أعلم وقوله ومن يعمل
من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو
مؤمن الآية لما ذكر الجزاء على
السيئات وانه لا بد أن يأخذ
مستحقها من العباد ما فى الدنيا
وهو الاجود له واما فى الآخرة
والعباد الله من ذلك ونسأله العافية
فى الدنيا والآخرة والرفع والعفو
والمسححة شرعى بيان أحسنه
وكرمه ورجسته فى قبول الاعمال
الصالحة من عباده ذكر انهم وانما هم
بشرط الايمان وانه سيد خلهم
الجنة ولا ينظلمهم من حسناتهم ولا
مقدار النقيض وهو النقرة التى فى ظهر
نواة القرة وقد تقدم الكلام على
القبيل وهو الخيط الذى فى شق
النواة وهذا النقيض هو ما فى نواة
القرة والقطر هو اللانافة التى على
نواة القرة الثلاثة فى القرآن ثم
قال تعالى ومن أحسن دينا من أسلم
وجهه لله أى أخلص العمل لربه
عز وجل فعمل ايمانا واحتسابا وهو
محسن أى اتبع فى عمله ما شرعه الله

له وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق وهذا الشرطان لا يصح عمل عامل بدونهما أى يكون خالصا صوابا
واخلاص ان يكون لله والصواب ان يكون متابعا للشرعية فيصير ظاهرا بالمطاعة وباطنه بالاخلاص ففى فقد العمل أحد هذين
الشرطين فسدبقى فقد الاخلاص كان منافقا وهم الذين يراؤون الناس ومن فقد المطاعة كان ضالاجاهلا ومضى جمعهما كان عمل
المؤمنين الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا وبتجاوز عن سيئاتهم الآية ولهذا قال تعالى واتبع مله ابراهيم خنيفا وهم محمد وأتباعه
الى يوم القيامة كما قال تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى الآية وقال تعالى ثم وحيانا اليك أن اتبع مله

ابراهيم خفيفا وما كان من المشركين والخفيف هو المائل عن الشريعة قصد أي تاركه عن بصيرة ومقتبل على الحق بكميته لا يصدمه عنه صاد ولا يردده عنه راد وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وهذا من باب التغيب في اتباعه لأنه امام يقتدى به حيث وصل الى غاية ما يتقرب به العباد له فإنه انتهى الى درجة الخلقة التي هي أرفع مقامات المحبة وما ذاك الا لكثرة طاعته له بكل وصفه به في قوله وابراهيم الذي وفي قال كثير من علماء السلف أي قام بجميع ما أمر به وفي كل مقام من مقامات العباد فمكان لا يشغله أمر جليل عن حقير ولا كبير عن صغير وقال تعالى وإذا نزل ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن الآية وقال تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا

لله حدثنا ولم يكن من المشركين الآية والآية بعدها وقال البخاري حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن عمرو بن ميمون قال ان معاذ لما قدم اليه صلى الله عليه وسلم الصبح فقرا واتخذ الله ابراهيم خليلا فقال رجل من القوم لقد قرت عين أم ابراهيم وقد ذكر ابن جرير في تفسيره عن بعضهم انه اتهم الله خليلا من أجل انه أصاب أهل ناحيته فاجابهم الى خليل له من أهل الموصل وقال بعضهم من أهل مصر ليمارطعوا ملاهله من قبله فلم يصب غنده حاجته فلما قرب من اهله بمقبرة ذات رمل فقال لومسلات غرائري من هذا الرمل لتسلايفتم اهلي بروجي بهم بغير ميرة ولبطنوا ايتهم بما يحبون ففعل ذلك ففعلوا ما في الغرائر من الرسل دقيقا فلما صار الى منزله نام وقام أهله ففتكوا الغرائر فوجدوا دقيقا ففتكوا منه وخبروا فاستيقظ فساءلهم عن الدقيق الذي منته خبروا فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك

ولا يجوز في غيره ان يدرك البصر وهو لا يدركه وتخص الابصار ليجانس ما قبله قال الزجاج في هذا دليل على ان الخلق لا يدركون الابصار أي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر وما الشيء الذي صار به الانسان يبصر من عينيه دون ان يبصر من غيرهما من سائر أعضائه انتهى (وهو اللطف) أي الرقيق بعباده يقال لطف فلان به لسان أي رفق به واللطف في العمل الرقيق فيه واللطف من الله تعالى التوفيق والعصمة وألطفه بكذا اذاره والملاطفة المباركة هكذا قال الجوهري وابن فارس و (الخبر) المختبر لكل شيء بحيث لا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون هذا من باب اللقب والنشر المرتب أي لا تدركه الابصار لأنه اللطيف وهو يدرك الابصار لأنه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكفيف وهو الذي لا يدرك بالخاصة ولا ينطبع فيها قاله البضاوي والاول أولى (قد جاءكم بصائر من ربكم) البصائر جمع بصيرة وهي في الاصل نور القلب الذي تبصر به النفس أي الروح كما ان البصر هو النور الذي تبصر به العين والمراد بها هنا الحجة البينة والبرهان الواضح واطلاق البصائر عليها مجاز من اطلاق اسم السبب على السبب وهذا الكلام امتتناف وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولهذا قال في آخره وما انا عليكم بحفيظ ووصف البصائر بالخي نفقه ما لتأنها وجعلها بمنزلة الغائب المتوقع مجيئه كما يقال جاءت العاقبة وانصرف المرض وأقبلت السعود وأدبرت الخوس (فن أبصر فلبسه) أي فن تعقل الخجة وعرفها وأدع لها فادفع ذلك لنفسه لأنه يجعو هذا الابصار من عذاب النار (ومن عني) عن الخجة ولم يتعلقها ولا أدع لها (فعلها) أي فضر ذلك على نفسه لأنه يتعرض لغضب الله في الذباو ويكون مصيره الى النار قال قتادة فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فعلها (وما انا عليكم بحفيظ) أحصى عليكم أعمالكم وانما أنا رسول أبلغكم رسالاتي وهو الحفيظ عليكم قال الزجاج نزل هذا قبل فرض القتال ثم أمر ان يمنعهم بالسيف من عبادة الاوثان (وكذلك نصرف الآيات) أي مثل ذلك التصريف البديع نصر فها في العدو والوعيد والوعظ والتنبه ليعتبروا (وليقولوا) درست أي نصر في الآيات لتقوم الخجة وليقولوا درست وأليقولوا درست صرفها وعلى هذا تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى ومثل ذلك التصريف نصرف الآيات وليقولوا درست فإنه لا احتمال بقولهم ولا اعتد ادبهم فيكون معناه الوعيد والتهديد

فقال هذا من عند خليلي الله فسمه الله بذلك خليلا وفي صحة هذا وقوعه نظر وغايته ان يكون خبر اسرئيل لا يصدق ولا يكذب وأنما سمى خليل الله لشدة محبته له عز وجل لما قام له من الطاعة التي يحبها فبرضاها ولهذا ثبت في الصحيحين من رواية ابى سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال ما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من اهل الارض خليلا لا اتخذت اياكم من أبي خفاة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وجا من طريق جند بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم

خديلا وقال ابو بكر بن مزروعيه حدثنا عبد الرحيم بن محمد بن مسلم حدثنا اسمعيل بن ابي جندب عن ابي سعيد خديلا عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني بحكاية حدثنا عبد الله الحنفي حدثنا زعدة ابو صالح عن سلة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا كان منهم معهم شذا كرون فسمع حديثهم واداب بعضهم يقول بحسب ان الله اتخذ من خلقه خديلا فابراهيم خديلا وقال آخر ماذا انما يحب من ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر فبعسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فلم (٢٠٤) وقال قد سمعت كلامكم ونحسبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك

وموسى كلمه وعيسى روحه وكلمته وادم اصطفاه الله وهو كذلك وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم قال الا واني حبيب الله ولا نفر وانا اول شافع واول مشفع ولا نفر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله ويدخله بها ومعى فقراء المؤمنين ولا نفر وانا اكرم الاولين والآخرين يوم القيامة ولا نفر وهذا حديث غريب من هذا الوجه وابعضه شواهد في الصحاح وغيرها وقال قتادة عن عكرمة عن ابن عباس انه قال ان العجبون من ان تكون الخديلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه وكذا روى عن انس بن مالك وغيره احدهم الصحابة والتابعين والائمة من السلف والخلف وقال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله القزويني حدثنا محمد يعني ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن ابي قيس عن عاصم عن ابي راشد عن عبد بن عمر قال كان ابراهيم عليه السلام يضيفه للناس

لهم وعدم الاكثر اثار بقولهم وقد اشار الى مثل هذا الزواج وقال النحاس في المعنى قول آخر حسن وهو ان يكون معنى نصر في الآيات تأتي بها آية بعد آية ليقولوا درست علينا فيذ كرون الاول بالاخر فهذا حقيقة تبه والذي قاله الزواج انما هو الجهر وعلى كسر اللام وهي لام كرو وجوزوا البقاء فيها الوجهين وفي درست قراءة درست كذا عابت ودرست كبرت ودرست كضربت فعلى الاولى المعنى دارست اهل الكتاب ودارسك أي ذا كرتهم وذا كروك ويدل على هذا ما وقع في الكتاب العزيز من اخبار الله عنهم بقوله واعانه عليه قوم آخرون أي أعان اليهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم على القرآن ومثله قولهم أساطير الاولين اكتبناه فحسى على عليه بكره وأصلا وقولهم انما نبعثه بشرا والى المعنى على النائية قدمت هذه الآيات وعفت وانقطعت وهو كقولهم أساطير الاولين وعلى الثلاثة مثل المعنى على الاول قال الاخفش هي بمعنى دارست الا انما بلغه قرأ البذر وليقولوا باسكان اللام فيكون بمعنى التمسيد أي وليقولوا ماشا أو فان الحق بين وهذا اللفظ أصله درس يدرس دراسة فهو من الدرس وهو القراءة وقيل من درسته أي ذلته بكثرة القراءة وأصله درس الطعام أي داسه والدياس الدراس بلفظة أهل الشام وقيل أصله من درست الثوب أدرسه درست أي أخلقته ودرست المرأة درست أي حاضت ويقال ان فرج المرأة يكتى بأداس وهو من الحيض والدرس أيضا الطريق الحنفى وسكنى الاصمعي بعلم يدرس أي لم يركب وقرأ جمع من الصحابة درس أي مجسد الآيات وقرئ درست أي الآيات على البناء للمفعول ودارست أي اليهود ومحمدنا قال ابن عباس درست قرأت وتعلمت ودارست خاصمت جادلت ثلاث (ولنيسه) اللام فيه لام أي نصر في الآيات لكي ينسبه والضمير راجع الى الآيات لانها في معنى القرآن وألى القرآن وان لم يجز له ذكر لانه معاد من السياق أو الى التبيين المدلول عليه بالفعل (لقوم يعلمون) الحق من الباطل قال ابن عباس يريد أوليائه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل المعنى نصر في الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فن أعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم درست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وفي هذا دليل قاطع على ان الله جعل تصرف الآيات سببا لصلاح قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهوانهم (اتباع ما أوحى اليك من ربك) أمره الله باتباع ما أوحى اليه وان لا يشغل خاطره بهم بل يشغل

نفرج يوما ليس أحد ابيضه فلم يجد أحد ابيضه ففرج الى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال يا عبد الله ما أذهلك دارى بغير اذنى قال دخلت باذن ربها قال ومن أنت قال أنا ملك الموت أرسلني ربى الى عبد من عبادك ابشركه بأن الله قد اتخذ خديلا قال من هو فقال ان اخبرني به ثم كان بأقصى البلاد لا يتيمه ثم لا يرجع له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد أنت قال أنا قال نعم فهم اتخذني ربى خديلا قال انك تعطى الناس ولا تتألم بهم وحدثنا ابي جندب عن ابي سعيد خديلا عن ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني عن اسحق بن يسار قال لما اتخذ الله ابراهيم خديلا أتى في قلبه الوجع حتى ان خفقان قلبه ليسمع من يعبد كما يسمع خفقان الطير

في الهواه وكذا جاء في صفه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسمع لصدره أزيز كأنه شمخ وإذا اشتد غلبا من البكاء وقوله
ولله ما في السموات وما في الأرض أي الجسع ملكه وعبيده وخلقته وهو المتصرف في جميع ذلك لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم
ولا يشغل عما يفعل لعظمته وقدرته وعذله وحكمته واطفته ورحمته وقوله وكان الله بكل شئ محيطا أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى
عليه خافية من عبادته ولا يغيب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ولا تخفى عليه ذرة من أثار أي
للتأثيرين وما توارى (ويستفتونك في التساؤل الله يفنيكم فيهن وما يتلى (٢٥٥) عليكم في الكتاب في أن تأتي النساء اللاتي

لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
أن تنكوهن والمستضعفين من
الرجال وإن تقوموا للنساء بالقسط

وما تنقلوا من خير فإن الله كان به عايناً
قال البخاري حدثنا عبيد بن أسامة
حدثنا أسامة قال حدثنا هشام
ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي
الله عنها ويستفتونك في النساء قل
الله يفنيكم فيهن أي قوله وترغبون
أن تنكوهن قالت عائشة هو
الرجل تكون عنده اليتيمة
هو وليها أو وارثها فاشركته
في ماله حتى في العذق فترغب أن
تنكحها ويكره أن يزوجهما رجلا
فيشرك في ماله بما شركته فمضاهما
فقرأت هذه الآية وكذلك رواه
مسلم عن أبي كريث وعن أبي بكر
ابن أبي شيبة كلاهما عن أبي
اسامة وقال ابن أبي حاتم قرأت
على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم
أخبرنا ابن وهب أخبرني يونس عن
ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير
قالت عائشة ثم أن الناس استفتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعده هذه الآية فبين ما أنزل الله
ويستفتونك في النساء قل الله

بإتباع ما أمره الله ووجهه (لا اله الا هو) معترضة لقصدنا كيدا يجاب الاتباع ثم أمره الله
بالاعراض عنهم بعد أمره بإتباع ما أوصى اليه فقال (وأعرض عن المشركين) أي
لا تلتفت إلى رأيهم ولا تحتفل بأقوالهم الباطلة التي من جلها ما حكم عنهم آتفا وعلى هذا
لا يجري فيها التسليم لأن المراد منه في الحال لا الدوام وقيل هذا قبل نزول آية السيف
قال السدي هذا منسوخ نسخة القتال فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم والاول هو
الاولى (ولو شاء الله) عدم اشراكهم (ما أشركوا) أي جعلهم مؤمنين وفيه ان الشرك
بشيئة الله سبحانه خلافا للمعتزلة والكلام في تقرير هذا على الوجه الذي يتعارف به أهل
علم الكلام والميزان معروف فلا نطيل بآراءه قال ابن عباس يقول الله لو شئت لجعلتهم
على الهدى أجمعين (وما جعلناك عليهم حفيظا) أي رقيباً تنصهم منا ومن أعيال أعمالهم
ما أخذوا بأمرهم (وما أنت عليهم بوكيل) أي قيم عافية فنعهم فقبله اليهم ليس عليك
الإبلاغ الرسالة قال قتادة الوكيل الحفيظ (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم) الموصول عبارة عن الآلهة التي كانت تعبدها الكفار والمعنى
لا تسبوا بمحمد آلهة هؤلاء الكفار التي يدعون من دون الله فيسبب عن ذلك تسببهم لله
عدواً وانما تجاوزا عن الحق وجهل منهم وفي هذه الآية دليل على أن الداعي إلى الحق
والناهي عن الباطل إذا خشى أن يسبب عن ذلك ما هو أشد منه من انتهاك حرم ومخالفة
حق ووقوع في باطل أشد كان التوك أول به بل كان واجبا عليه وما نفع هذه الآية وأجل
فأندتهم أن كان من الخاملين لحجج الله المتصددين لبیانها للناس إذا كان بين قوم من الصم
البكم الذين إذا أمرهم معروف تركوه وتركوا غيرهم من المعروف وإذا نهىهم عن منكر
فعلوه وفعلوا غيره من المنكرات عناداً للحق وبغضاً لاتباع المحقين وجرأة على الله سبحانه
فان هؤلاء لا يؤثرون فيهم الا السيف وهو الحكم العدل لمن عاند الشريعة المطهرة وجعل
المخالفة لها والتجبر على أهلها دينه وهجره كما يشاهد ذلك في أهل البدع الذين إذا دعوا
إلى حق وقعوا في كسر من الباطل وإذا أرشدوا إلى السنة قابلهوا بما يليهم من البدعة
فهو ولا هم المتلاعبون بالدين المتهاونون بالشرائع وهم شر من الزنادقة لأنهم يحجبون
بالباطل وينتفون إلى البدع ويظهرون بذلك غير خائفين ولا وجلين والزنادقة قد ألتفتهم
سيوف الاسلام وتحماهم أهل وقديتق كيدهم فيتم باطلهم وكفرهم نادرا على ضعيف

بنفسكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب الآية قالت والذي ذكر الله أنه يتلى عليه في الكتاب الآية الأولى التي قال الله وان خفتم أن
لا تقسطوا في اليتامى فانكم لا تقسطون منكم من النساء وهذا الاستداع عائشة قالت وقول الله عز وجل وترغبون أن تنكوهن
رغبة أحدكم عن بنته التي تكون في حجره حتى تكون قليلة المال والجمال فهو أن ينكحوا من رغبوا في ماله وأجالها من يتأى
النساء الا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن وأصله ثابت في الصحيحين من طريق يونس بن يزيد الأيلي به والمقصود ان الرجل إذا كان
في حجره يتيمة ليجل تزويجها افتارة رغب أن يتزوجها فأمره الله أن يهرها أسوة أمثالها من النساء فان لم يفعل فلعدل إلى غيرها
من النساء وقد وسع الله عز وجل وهذا المعنى في الآية الأولى التي في أول السورة وتارة لا يكون له فيها رغبة لدمامتها أعنده أو في نفس

الامر فهداه الله عز وجل ان يعضلها عن الزواج خشية ان يشركوه في ماله الذي يفتيه وبينها كما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في الآية وهي قوله في تنافي النساء الآية كان الرجل في الجاهلية تكون عنده النخلة فيلقي عليها ثوبه فاذا فعل ذلك لم يقدر أحد أن يتزوجها أبداً فان كانت جلية وهو متزوجها أو كل ماله أو ان كانت دمية منعها الرجال أبداً حتى تموت فاذا ماتت ورثها فخرم الله ذلك ونهى عنه وقال في قوله والمستضعفين من الولدان كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات وذلك قوله لا توريثهن ما كتب لهن فنهى الله عن ذلك وبين لكل (٢٠٦) ذى سهم سهمه فقال للذكر مثل حظ الأنثيين صغيراً وكبيراً وكذلك قال

من ضعفاه المسلمين مع تكتم وتحرر وخيفته ووجل وقد ذهب جهواً أهل العلم إلى ان هذه الآية محكمة ثابتة غير منسوخة وهي أصل أصيل في سد الذرائع وقطع التطرق إلى الشبه وقرئ عدوا بالضم وعدوا بالفتح ومعناها واحد أي ظلموا وعدوانا وعن ابن عباس قال قالوا يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتنتهين عن سب آل نبيك وأولئك من رزقناهم الله ان يسبوا أو ثأنهم فسيبوا الله عدواً بغير علم وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب الرجل والديه قال يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (كذلك) أي مثل ذلك الترتين (ربنا لكل آفة) من أمر الكفار (علمهم) من الخير والشر والطاعة والمعصية باحد ما يكتسب منه ويحكمهم عليه بوقفاً وتقديلاً وفي هذه الآية رد على القدرة والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وترينه (ثم إلى ربهم مرجعهم) أي مصيرهم (فسيبهم) كانوا يعملون في الدنيا من المعاصي التي لم ينهوا عنها ولا قبلوا من الأنبياء ما أرسلهم الله به اليهم وما تضمنته كنية المنزلة عليهم (وأقسموا بالله) أي الكفار مطلقاً وكفار قرين (جهد أيمانهم) أشد ما أي أقسموا أشد أيمانهم التي بلغتها قدرتهم وقد كانوا يعتقدون ان الله هو الاله الاعظم فلهذا أقسموا به الجهد بفتح الجيم المشقة وبضعها الطاقة ومن أهل اللغة من يجعلها بمعنى واحد والمعنى انهم اقترحوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم آية من الآيات التي كانوا يقرحونها وأقسموا (لئن جاءتهم آية) أي هذه الآية التي اقترحوها كما جاءت قبلهم من الامم وهذا الخبر عنهم من الله لا حكاية أقولهم والاقليل لئن جاءتهم آية أو حيان (ليؤمنن بها) وليس غرضهم بذلك الايمان بل معظم قصدهم التكم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتلاعب بآيات الله وعدم الاعتداد بما شاهدوا منها فأمروا الله سبحانه ان يحجب عنهم بقوله (قل انما الآيات) أي هذه الآية التي يقترحونها وغيرها (عند الله) وليس عندي من ذلك شيء فهو سبحانه ان أراد انزلها أنزلها وان أراد ان لا ينزلها لم ينزلها لان المعجزات الدالة على النبوة شرطها ان لا يقدر على تحصيلها اطلاقاً لا ينزلها الله تعالى (وما يشعركم) أي وما يدريككم يعني انتم لا تدرون ذلك قال مجاهد وابن زيد الخطاب بهذا المشركون وقال الفراء وغيره الخطاب للمؤمنين لان المؤمنين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله انزلت الآية لعلمهم يؤمنون فقال الله وما يشعركم

سعيد بن جبير وغيره قال سعيد بن جبير في قوله وأن تقوموا للنسائي بالقطط كما اذا كانت ذات جال ومال تكتمها واستأثرت بها كذلك اذا لم تكن ذات مال ولا جال فانكبحها واستأثر بها وقوله وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليماً تهيجاً على فعل الخيرات واستمالاً للاوامر وان الله عز وجل عالم بذلك وسيجزي علمه وأفر الجزاء وأتمه (وان امرأة خافت من بعلها اشوزاً أو أعراضاً فلا جناح عليهما ان يتصالحا بينهما صلحا والصلح خير) واحضرت الانفس الشيخ وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً وان تستطعموا ان تعدوا بين النساء ولو حرصتم فلا تمسوا كل الملل قد رويها كالعلاقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان عفواً رحماً وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعاً حكيماً بقوله تعالى يخبرنا ومشرعاً من حال الزوجين تأرة في حال نفور الرجل عن المرأة ونارة في حال اتصافه معها ونارة في حال فراقها فالخالة الاولى ما اذا خافت المرأة من زوجها بان يتفرقا أو يعرض عنها فلها ان تسقط عنه

حقها أو بعضها من نفقة أو كسوة ومبيت وغير ذلك من حقوقها وان يقبل ذلك منها فلا حرج عليها (انها) بذلك الله ولا عليه في قبوله منها ولهذا قال تعالى فلا جناح عليهما ان يتصالحا بينهما صلحاً ثم قال والصلح خير أي من الفراق وقوله واحضرت الانفس الشيخ أي الصلح عند المشاحة خير من الفراق ولهذا لما كبرت سودة بنت زمعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فراقها صلحته على ان يسكنها وتترك يومها للعائشة فتقبل ذلك منها وأبقاها على ذلك ذكر الراوية بذلك قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليمان بن معاذ عن معاذ بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لا تطلقني واجعل لي يومى للعائشة ففعل وزلت هذه الآية (وان امرأة خافت من بعلها اشوزاً أو أعراضاً

فلا جناح عليهما الآتية قال ابن عباس لما اصطالحا عليه من شيء فهو جازر ورواه الترمذي عن محمد بن المنثري عن أبي داود الطيالسي به
وقال حسن غريب وروى الشافعي أخبرنا مسلم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوق عن
تسع نسوة وكان يقسم لثمان وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت
يومها العائشة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لها بيوم سودة وفي صحيح البخاري من حديث الزهري عن عروة عن عائشة نحوه
وقال سعيد بن منصور وأبو عبد الله الركن بن أبي الزناد عن هشام بن أبيه عروة قال أنزل في سودة (٢٠٧)

وأسمائها وان امرأه جافت من
بعلها تنوزا وأعراسا وذلك أن
سودة كانت امرأه قد أسنت ففرقت
ان فارقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووضت بمكانه وعرقت من
حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
عائشة ومنزلها منه فوهبت يومها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعائشة فقبل ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال البيهقي وقدره
أحمد بن نونس عن الحسن بن أبي
الزناد موصولا وهذه الطريقة رواها
الحاكم في مستدركه فقال حدثنا أبو
بكر بن اسحق الفقيه أخبرنا
الحسن بن علي بن زياد حدثنا أحمد
ابن نونس حدثنا عبد الرحمن بن أبي
الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه
عن عائشة أنها قالت يا ابن اختي
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يفضل بعضنا على بعض في مكانه
عندنا وكان قل يوم الأوهو يطوف
علينا فيدنون كل امرأة من غير
مسيح حتى يبلغ إلى من هو يومها
فيسب عندنا ولقد قالت سودة
بنت زمعة حين أسنت وقرت ان
يتركها رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله يوحى هذا لعائشة

(أنها) قرئ بفتح الهمزة قال الخليل أنهم يعني لعائشة في التنزيل وما يدريك لعائشة أي
أنه يركب وحكي عن العرب أتت السوق ألت تسترني لناسيا أي لعائشة وقد وردت أن في
كلام العرب كثيرا بمعنى لهل (إذا جات لا يؤمنون) قال الكسائي والقراءان لا زائدة
والمعنى وما يستعظم أنها أي الآيات إذا جات يؤمنون فزيدت لا كما زيدت في قوله تعالى
وحرأ على قرية أهلكها أنهم لا يرجعون وفي قوله ما منعك أن لا تسجد وضعف الزجاج
والنحاس وغيرهما زيادة لا وقالوا هو خطأ وغلط وذكر النحاس وغيره أن في الكلام حذفًا
والتقدير انها إذا جات لا يؤمنون أو يؤمنون ثم حذف هذا المقدار لم السامع (ونقلب
أفندتهم وأبصارهم) قيل يعني يوم القيامة على لهب النار وحر الجحيم والتقلب هو تحويل
الشيء وتحويله عن وجهه إلى وجه آخر وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير انها إذا
جات لا يؤمنون كالم يؤمنون وأبصارهم ونذرهم (كالم يؤمنوا به) في الدنيا
(أول مرة) يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الأنبياء وأجابه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من المعجزات الباهرات وقال ابن عباس يعني لو ردوا من الاستمرار إلى الدنيا
نقلب أفندتهم وأبصارهم من الاعيان فلا يؤمنون به كالم يؤمنوا به أول مرة قبل معاتهم
(ونذرهم) أي نهيهم ولا تغافلهم في الدنيا فلي هذا بعض الآيات في الآخرة وبعضها في
الدنيا وقيل المعنى ونقلب أفندتهم وأبصارهم في الدنيا أي تحول بينهم وبين الآيات لو جاتهم
تلك الآية كالحال بينهم وبين مادعوتهم اليه أول مرة عند ظهور المعجزة (في طغيانهم
يعمهمون) أي يتعمرون يقال عمه في طغيانه عمها من باب تعب اذا تردد مخبر لما خوذ من
قولهم أرض عمها اذ لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة فهو وعمه وأعمه قال ابن عباس لما
يحمد المشركون ما أنزل الله لم يثبت قلوبهم على شيء ووردت عن كل أمر (ولو أنزلنا: اللهم
اللائكة) أي لو أنزلناهم ما طلبوه لا يؤمنون كما اقترحوه بقولهم لو أنزل عليه ملك (وكلهم
الموتى) الذين يعرفونهم بعد احيائنا لهم (وحشرنا عليهم كل شيء) مما أسألوهم من الآيات
وأصناف الخلق والاسباب والطبوع والحشر الجوع (قبلا) أي كفلا ومنه ما جئناهم
به من الآيات والنبات أحوال كون الكفار معانسين رانين للآيات والاصناف قرئ قبلا
بضم القاف وقبلا بكسر ها أي مقابلة قال المبرد قبلا بمعنى ناحية كما تقول لي قبل فلان
مال وبه قال أبو زيد وجماعة من أهل اللغة وعلى الأول ورد قوله تعالى أو تأتي بالله

فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ذلك ففي أنزل الله وان امرأته خافت من بعلها فاشوزا واعرأوا وكذلك رواه
ابوداود عن أحمد بن نونس بهو الحاكم في مستدركه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد رواه ابن مردويه بن طريق أبي بلال
الاشعري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد به نحوه ومن رواية عبد العزيز عن محمد الدراوردي عن هشام بن عروة نحوه محتجما والله اعلم
وقال أبو العباس محمد بن عبد الرحمن النعولي في أول صحيحه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا
القاسم بن أبي برة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى السودة بنت زمعة بطلاقها فلما ان أباها جلس له على طريق عائشة فلما رآته
قالت له أنشدك بالذي أنزل عليك كلامه واطفأ على خلقه لما راجعتني فاني قد كبرت ولا حاجة لي في الرجال لكن أريد ان ابغض

مع نساءك يوم القيامة فراجعها فقالت فاني جعلت يوحى وليتي لحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا غريب من رسول وقال البخاري حدثنا محمد بن مقاتل أبا نعيم الله أبا ناهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان امرأه خافت من بعلمها نشوزا أو اعراضا قال الرجل تكون عند المرأة المسنة ليس يستكثر منها يريد ان يفارقها فيقول أجعلك من شاتي في حل فقلت هذه الآية وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان امرأه خافت من بعلمها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهم ما أن يصلحوا ما صلحوا والصلح خير (٢٠٨) قالت فاذ في المرأة تكون عند الرجل فلعله لا يكون يستكثر منها ولا يكون لها ولد ويكون لها محبة فتقول

لا تطلقني وانت في حل من شاتي
حدثني المثنى حدثنا جناح بن منهل
حدثنا حماد بن سلمة عن هشام عن
هشام عن عروة عن عائشة في قوله
وان امرأه خافت من بعلمها نشوزا
أو اعراضا قالت هو الرجل يكون له
المرأة ان احداهما قد كبرت والاخرى
دميمة وهو لا يستكثر منها فتقول
لا تطلقني وانت في حل من شاتي
وهذا الحديث ثابت في الصحيحين
من غير وجه عن هشام بن عروة عن
أبيه عن عائشة بنحو ما تقدم والله
الجد والمثني قال ابن جرير حدثنا ابن
جديد وابن وكيع فالا حديثا جرير
عن اشعث عن ابن سيرين قال جاء
رجل الى عمر بن الخطاب فسأله عن
آية فكبره ففرض به بالدرة فسأله
آخر عن هذه الآية وان امرأه
خافت من بعلمها نشوزا أو اعراضا
ثم قال عن مثل هذا فاسألوا ثم قال
هذه المرأة تكون عند الرجل قد
خلا من سنها فتنزع المرأة الشابة
يلتص ولها فباصلها عليه من شيء
في وجاز وقال ابن أبي حاتم حدثنا
علي بن الحسين الهسجاني حدثنا

والملائكة قبلا أي يضفون كذا قال القرطبي وقال الاخفش هو معنى قبيل قبيل أي
جماعة جماعة وحكي أن يزيد لقبى فلا ناقبلا ومقابله وقبلا كلها واجد معنى المواجهة
فيكون على هذا الضم كالكسر وتسمى القراءتان وهو قول أبي عبيدة والقرآن عز وجل
وتقلد الواحد أي اضعن جميع أهل اللغة قال ابن عباس فلامعايشة وقال قتادة
فعيا وذلك معايشة وقال مجاهد قبلا أو اوجا وقيل القبيل الكفيل بصفة ما تقول
(ما كانوا يؤمنوا) أي أهل الشقاق لما سبق في علم الله واللام لأم الخلود (الأنبياء الله)
إيمانهم أي إيمان أهل السعادة والذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان فان شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن والاستثناء مفرغ وبه قال ابن عباس وصححه الطبري وقال أبو
البقاء الحوفي الاستثناء منقطع وتبعه السجوطي لأن المشبهة ليست من جنس أرادتهم
واستبعده أبو حيان وجرى على أنه متصل وكذلك البضاوي وكثير من المعربين
كأسف أقسى قالوا والمعنى ما كانوا يؤمنوا في حال من الأحوال الا في حال مشيئة أو في
سائر الأزمان الا في زمن مشيئته وقيل هو استثناء من عامة أي ما كانوا يؤمنوا الشيء
من الأشياء المشبهة بالله الإيمان وهو الأولى كما تقدم وفي هذا رد على القدرية والمعتزلة
في قولهم ان الله أراد الإيمان من جميع الكفار (ولكن أكثرهم يجهلون) جهلا يحول
بينهم وبين ذلك الحق والوصول الى الصواب وقال البضاوي أي يجهلون أنهم لو أوتوا
بكل آية لؤمنوا فبقسمون بالله جهداً عما هم على ما لا يشعرون ولذلك أسند الجهل الى
أكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم أرو لكن أكثر المسلمين يجهلون أنهم لا يؤمنون
فيتمون نزول الآية طمعا في إيمانهم انتهى (وكذلك) أي مثل هذا الجهل (جعلنا لكل
شيء عذبا وشياطين الانس والجن) هذا الكلام استئناف مسوق لتسليته رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ودفع ما حصل معه من الحزن بعدم إيمانهم والمعنى كما بئسناكم هؤلاء
فقدما بئسنا الانبياء من قبلك بقوم من الكفار جعلنا لكل واحد منهم عذبا ومن كفار زبهم
وان ذلك ليس مختصا بك والمراد بالشياطين المردة من الغريقين والشيطان كل عام
مفر من الجن والانس وبه قال ابن عباس ومجاهد وقاتة قالوا وشياطين الانس أشد عدوا
من شياطين الجن وبه قال مالك بن دينار والاضافة بيانية أي ومن اضافة الصفة الى
الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين قال ابن عباس ان للجن شياطين بضالهم

مسدد حدثنا أبو الاحوص عن سماعة بن حرب عن خالد بن عروعة قال جاء رجل الى علي بن أبي

مثل

طالب فسأله عن قول الله عز وجل وان امرأة خافت من بعلمها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهم ما قال علي يكون الرجل عند المرأة
قنب وعينه عنهما من دمايتها أو كبرها أو سوء خلقها أو قد ذهبا فتكره راقه فان وضعت له من مهرها شيئا حل له وان جعلت
له من أياها فلا حرج وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن حماد بن سلمة وأبي الاحوص وزواه ابن جرير من طريق
اسماعيل أربعتهم عن سماعة به وكذا أفسرها ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد بن جبير والشعبي وسعيد بن جبير وعطاء وعطمة

الوقوف ومكحول والحسن والحكم من عتبة وقنادة وغير واحد من السابق والائمة ولا أعلم في ذلك خلافاً ان المراد بهذه الآية هذا والله أعلم وقال الشافعي أثبتنا ان عينة عن الزهري عن ابن المسيب ان بنت محمد بن مسلم كانت عند رافع بن خديج ففكر معها امرأ اما كبرا أو غيره فأراد اطلاقة فقال لا تطلقني واقسم لي ما يدلك فانزل الله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها اشوزا أو أعراسا الآية وقد رواه الحالم في مستدركه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيدين بن المسيب وسليمان بن يسار باطول من هذا السباق وقال الحافظ أبو بكر البجلي حدثنا سعيدين (٢٠٩) أبي عمر وحدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الله

المزني أنبأنا علي بن محمد بن عيسى
أنبأنا أبو العيمان أخبرني شعيب بن
أبي حمزة عن الزهري أخبرني سعد
ابن المسيب وسليمان بن يسار أن
السنة في هاتين الآيتين اللتين ذكر
الله فيهما نشوز الرجل وأعراضه
عن امرأته في قوله وإن امرأه
خافت من بعلمها نشوزاً أو أعرضا
إلى غم الآيتين أن المرء إذا نشز
عن امرأته وأعرضها فإن الحق
أن يعرض عليها أن يطلقها أو تستقر
عنده على ما كانت من أثره في
القسم من ماله ونفسه صلح لذلك
وكان صلحها عليه كذلك ذكر سعد
ابن المسيب وسليمان الصلح الذي
قال الله عز وجل فلا جناح عليهما
أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وقد
ذكر لي أن رافع بن خديج
الأنصاري وكان من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كانت عنده
امرأته حتى إذا كبرت تزوج عليها
فتاة شابة وأثر عليها الشابة
فناشدته الطلاق فطلقها فطلقة ثم
أهلها حتى إذا كادت تتحل راجعها
ثم عاد فأثر عليها الشابة فناشدته
الطلاق فقال لها ما شئت انما بقيت

مثل شياطين الإنس يصلونهم فيلتق شيطان الانس وشيطان الجن فيقول هذا الهذا
 أضلاه بكذا وأضلاه بكذا وانه قال الجن هم الجن وليسوا شياطين والشياطين ولدا لبليس
 وهم لا يعترفون الا مع البليس والجن عيون ففهم المؤمن ومنهم الكافر قال ابن مسعود
 الكهنة هم شياطين الانس وقيل الكل من ولدا لبليس وأصف الشياطين الى الانس على
 معنى انهم يعفونهم ويصافونهم وبهذا قال عكرمة والضحاك والكلبي والسدي (يوشى
 بعضهم الى بعض) أى حال كونهم يوسوس بعضهم لبعض وقيل ان الجدة مستأنفة
 لبیان حال العدو وسعى وحده لانه انما يكون خفية بينهم وجعل قلوبهم (زخرف القول)
 لتزيينهم اياه والمزخرف المزين وزخارف الماء طرائفة والزخرف هو الباطل من الكلام
 الذى قد زين وشي بالكذب وكل شئ حسن مجوه فهو زخرف يغر ونهم بذلك (غرورا)
 هو الباطل قال ابن عباس شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس فان الله يقول وان
 الشياطين ليوحون الى اوليائهم ويحسن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم في فتنهم وقد
 أخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم يا اذ نارت عوة بالله من شر شياطين الجن والانس قال يا نبي الله وهل للانس شياطين
 قال نعم شياطين الانس والجن يوشى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا (ولوشاء ربك
 ما فعلوه) الضمير يرجع الى ما ذكر سابقا من الامور التي جرت من الكفار في زمنه ووزن
 الانبياء قبله أى لو شاء ربك عدم وقوع ما تقدم ذكره ما فعلوه وأوقعوه وقيل ما فعلوا
 الا بما هو المدلول عليه بانفعل (فذرهم) أى دع الكفار واتركهم وهذا الامر للتعديد
 كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا (وما يفترون) ان كانت ما مصدرية فالتقدير اتركهم
 واقتراهم وان كانت موصولة فالتقدير اتركهم والذي يفترونه وهذا قبل الامر بالقتال
 (ولتصقن) اللام لام كي وقيل اللام للامر وهو غلط فانها لو كانت لام الامر جرمت الفعل
 والاصغاء المليل يقال صغوت أصغو وصغيت أصفي ويقال أضغت الاناء اذا أمالته
 ليجمع ما فيه وأصله المليل الى الشئ لغرض من الاغراض ويقال صغت النجوم اذا مالت
 للغروب وأصغت الناقة اذا مالت برأسها والضمير في (اليه) لزخرف القول ولما ذكر سابقا
 من زخرف القول وغيره أى أوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم ولتصقن اليه
 (أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) من الكفار والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف

(٢٧) - فتح البيان (ثالث) لك تطليقة واحدة فان شئت استقررت على ما ترى من الاثر وان شئت فارقك فقالت لا بل أستقر على الاثر فامسكها على ذلك فكان ذلك صلحهما وما لم يرفع عليه اثم لخيرين رضيت ان تستقر عنده على الاثر فيما اثر به عليهما وهكذا رواه بقائه ابن ابي حاتم عن أبيه عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسافذ كره بطلوه والله أعلم وقوله والصلح خير قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يعني التخيير ان يخير الزوج لهما بين الاقامة والعراق خير من تمادي الزوج على اثره غرها عليهما والظاهر من الآية أن صلحهما على ترك بعض حقها الزوج وقبول الزوج ذلك خير من المفارقة بالكلية

كما أمسك الذي صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة على أن تترك يومها العائشة رضي الله عنهم ولم يفارقها بل تركها من قبله نسائه
وفعله ذلك لتسأله به أمته في مشروعية ذلك وجوازها وأفضل في حقه عليه الصلاة والسلام ولما كان الوقا أحب إلى الله من
الفراق قال والصلح خير بل الطلاق بغض اليه سبحانه وتعالى ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه جمعا عن كثير
ابن عبد عن محمد بن خالد عن معرف بن واصل عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بغض
الخلال إلى الله الطلاق ثم رواه أبو داود (٢١٠) عن ابن عبد بن نونس عن معرف عن محارب قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم قد كرم معناه مرارا
وقوله وان تحسنوا وتقوا فان الله
كان بماتعهم لو ان خبروا ان تحبوا
مشقة الصبر على ما ذكرهون منهن
وتعصوا لهن اسوة امثالهن فان
الله عالم بذلك وسيجزىكم على ذلك
او فر الجزاء وقوله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم اي ان تستطيعوا ايها
الناس ان تساووا بين النساء من
جميع الوجوه فانه وان وقع القسم
الصوري لساواة وليسا فلا بد من
التفاوت في المحبة والشهوة والجماع
كما قاله ابن عباس وعبيدة السلماني
ومجاهد والحسن البصري والتمالك
ابن مزاحم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو زرعة حدثنا ابن أبي شيبه حدثنا
حسين الجعفي عن زائدة عن عبد
العزيز بن رفيع عن ابن أبي مليكة
قال نزلت هذه الآية ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم في
عائشة يعني ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يحبها أكثر من غيرها كما جاء
في الحديث الذي رواه الامام أحمد
وأهل السنن من حديث حماد بن
سبله عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد

القول وباطله وتحببه وترضى به وهو قوله (وليرضوه) لانفسهم بعد الاصغاء اليه
(وليقتروا ما هم بمقترون) من الاثم والاقتراف الا كسباب يقال خرج ليعترف
لايه أي ليكتسب لهم وقار فقلان هذا الامر اذا واقعهم وقرقه اذا رماه بالرمة واقرق
كذب وأصله اقطاع قطعة من الشيء أي ليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم بمكتسبون
وترتيب هذه المقاميل في غاية الفصاحة لانه لا يكون الخسار فيكون المبل فيكون
الرضا فيكون الفعل أي الاقرار فيكل واحد مسبب عما قبله فانه أي يحبان (أقبر
الله) كلام مستأنف وارد على ارادة القول والاسمعة هي الامتناع لانكار أي قل لهم يا محمد كيف
أضل وأميل إلى زخارف الشياطين و (ابتغى) غير الله (حكما) هو أبلغ من الخا لم كاتفر
في مثل هذه الصفة المشتقة أمر الله سبحانه وتعالى ان شكر عليهم ما طلبوه منه من ان
يجعل بينهم وبينه حكما من أخبار اليهود ومن أساقفة النصارى فيما اختلفوا فيه وان
الله هو الحكم العدل بينه وبينهم (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) أي القرآن (متصلا)
مبينوا واضحا مستوفيا لكل قضية على التفصيل (والذين آتيناكم الكتاب) أي اليهود
انزل الله من التوراة والانجيل والزبور أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان أهل الكتاب
وان أظهر والجود والمكابرة فانهم (يعلمون انه) أي القرآن (ممثل من ربك) أي من
عند الله بما دللهم عليه كتب الله المنزل كالتوراة والانجيل من انزل رسول الله وآله خاتم
الانبياء (بالحق) حال أي متمسكا بالحق الذي لا شك فيه ولا شبهة (فلا تكون من الممتريين)
الشاكين فيسماهم الله ان يكون من الممتريين في ان أهل الكتاب يعلمون بان القرآن
منزل من عند الله بالحق وبه قال الزمخشري وأنها عن مطلق الامتراء ويكون ذلك
تعريضا لامتة عن ان يعترى أحد منهم أو الخطاب لكل من يصلح له أي فلا يكون أحد من
الناس من الممتريين ولا يقدح في ذلك كون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فان خطابه خطاب لامتة (وتت كلمته ربك) قرأ أهل الكوفة كلمة التوحيد والباقيون
بالجمع والمراد العبارات أو متعلقاتها من الوعد والوعيد والمعنى ان الله قد أتم وعده
ووعيده فظهر الحق وانطمس الباطل وقيل المراد بالكلمة والكلمات القرآن أي لا أحد
يقدر على تحريفه كما فعل بالتوراة فيكون هذا ضمنا لانه من الله بالحفظ أولا لا بال
بعده ينسخه ومعنى تمت بلغت الغاية وعن أنس مرفوعا قال لا اله الا الله أخرجه ابن

الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي
فيما أمالك فلا تلني فيما أمالك ولا أمالك بعني القلب هذا لفظ أبي داود وهذا اسناد صحيح لكن قال الترمذي رواه حماد بن زيد وغير واحد
عن أيوب عن أبي قلابة مرسل قال وهذا اصح وقوله فلا تميلوا كل الميل أي فاذا تميلتم إلى واحدة منهن فلا تميلوا إلى الميل الكلمة
فتدروها كالعقصة أي فتبقى هذه الاخرى معلقة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جابر والحسن والضحاك واليسع بن اس
والسدي ومقاتل بن حبان معناه لا ذات زوج ولا مطلقة وقال ابو داود الطيالسي أنبأناهم عن قتادة عن الضمر بن أنس عن بشير

ابن هبيل عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان قال الى احدهما جاء يوم القيامة واحده شقية
ساقط وهكذا رواه الامام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى عن قتاديه وقال الترمذي انما أسنده همام ورماه هشام
الدستوائي عن قتادة قال كان يقال ولا يعرف هذا الحديث من فروع الامن حديث همام وقوله وان تصلحوا وتقوا فان الله كان
غفورا رحيمًا أي وان أصلحت في أموركم وقسمتم بالعدل فيما عليكم كونوا تقيمتم الله في جميع الاحوال تغفر الله لكم ما كان من ميل الى
بعض النساء دون بعض ثم قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما وهذه هي

(٢١١)

الحالة الثالثة وهي حالة الفراق وقد
أخبر الله تعالى انهما اذا تفرقا فان
الله يغنيهما عنها ويغنيها عنه بان
يعوضه الله من هو خير له منها
وعوضها عنه من هو خير لها منه
وكان الله واسعا حكيما أي واسع
الفضل عظيم المن حكيما في جميع
أفعاله واقدار وشرعه (ولله مافي
السموات وما في الارض واقصد
وصنا الذين أنوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا
فان الله مافي السموات وما في الارض
وكان الله غنيا جسيما والله مافي
السموات وما في الارض وكفى بالله
وكيلا ان يشأ يذهبكم أيها الناس
وبأتا آخر من وكان الله على ذلك
قدرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة وكان الله
سمعا بصيرا يخبر تعالى انه مالك
السموات والارض وانه الحاك
فيها ولهذا قال واقد وصنا الذين
أنوا الكتاب من قبلكم واياكم أي
وصيناكم بما وصيناهم به من تقوى
الله عز وجل بعبادته وحده لا شريك
له ثم قال وان تكفروا فان الله مافي
السموات وما في الارض الآية كما قال

مرويه وابن الجبار وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم المسجد الحرام يوم فتح مكة ومعه محضرة ولكل قوم صنم يعبدونه فجعل
يأتيها صنمها ويطن في صدر الصنم بعضا ثم يعقره فكما طعن صنمها تبعه ضربا
بالقوس حتى يكسره ويطرحوه خارجا من المسجد والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول
وتمت كلمات ربك الآية (صدقا وعدلا) أي تمام صدق وعدل قال أبو البقاء الطبري
النصب على التفسير تبعهما السبوطي وقال ابن عطية هو غير صواب وليس في ذلك
إجماع وأعربه التكاوي حالا من ربك أو مفعولا له قال قتادة صدقا فأيما وعد وعدلا فأيما
تحكم وقيل صدقا فأيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى قيام
الساعة وعدلا فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا تبدل
لكلماته) لا تخلف فيها ولا تغير ما حكم بهما وصفها بالتمام وهو في كلامه تعالى يقتضي
عدم قبول النقص والتغير قال محمد بن كعب القرظي لا تبدل لشي قاله في الدنيا
والآخرة كقوله ما يبذل القول لدى وفيه دليل على ان السعيد لا يتقلب شتيا ولا شتيا
يتقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشتى من شقى في الازل (وهو السميع) لكل
مسموع (العليم) بكل معلوم ومنه قول المجاهدين (وان تطعوا أكثر من في الارض يضاولكم
عن سبيل الله) أخبر الله سبحانه بانه اذا رام طاعة أكثر من فيها أضاوله لان الحق لا يكون
الاسد الاقلين وهم الطائفة التي لا تزال على الحق ولا يضرها خلاف من خالفها كما ثبت
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المراد بالاكثار الكفار وبالارض مكة
أي أكثر أهل مكة (ان يتبعون الا الظن) أي ما يتبعون الا الظن الذي لأصل له وهو
ظنهم ان معبوداتهم تستحق العبادة وانها تقرر بهم الى الله (وان هم الا بخرصون) أي
يحدسون ويقدرن وأصل الخرص القطع ومنه حرص النخل بحرص اذا حرصه لئلا يأخذ
منه الزكاة فان الخرص يقطع بما لا يجوز القطع به الا ليقين متأكد اذا كان هذا حال أكثر
من في الارض قاله الحقيقى هو عند الله تابع مع أمره به ودع عنه طاعة غيره (ان ربك
هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي بمن يهتدى اليه قال بعض أهل العلم
ان أعلم في الموضعين بمعنى يعلم والوجه في هذا التأويل ان أفعال التفضيل لا ينصب الاسم
الظاهر فيكون من منصوب بآلة الفعل الذي جعل أفعال التفضيل نائبا عنه وقيل ان أفعال

تعالى اخبارا عن موسى انه قال لقومه ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لعنني جيدا وقال فكفروا وتولوا واستغنى الله والله
غنى جيد أي غنى عن عباده جيد أي محمود في جميع بقدره وبشرعه وقوله والله مافي السموات وما في الارض وكفى بالله وكليلا أي هو
القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب الشهيد على كل شيء وقوله ان يشأ يذهبكم أيها الناس وبأتا آخر من وكان الله على ذلك قديرا
أي هو قادر على اذهابكم وتمديدكم بغيركم اذا عصيتموه كما قال وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قال بعض السلف
ما أهون العباد على الله اذا أضاعوا أمره وقال تعالى ان يشأ يذهبكم ويات بخلف جديدمو لا يزال على الله بعز برأي وما هو عليه

بمستمتع وقوله من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أي ما من ليس له همة إلا الدنيا أعلم أن عند الله ثواب الدنيا والآخرة وإذا سأله من هذه وحده أعطاه وأغناك كما قال تعالى فمن الناس من يقول ربنا آتني الدنيا وما لي في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتني الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقناعذاب النار أولئك لهم عذاب مما كسبوا الآية وقال تعالى من كان يريد ثواب الدنيا والآخرة فله فيها ما يشاء من غير أن يرد إلى قوله انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض الآية وقدر نعم ابن جرير (٢١٤)

المنافقين الذين أظهروا الإيمان لاجل ذلك فعند الله ثواب الدنيا وهو ما حصل لهم من المغام وغيره ما لم يحصل لهم من العقوبة في نار جهنم جعلها كقوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله وباطل ما كانوا يعملون ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر وأما تفسيره الآية الأولى بهذا فقه نظر فإن قوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ظاهر في حصول الخير في الدنيا والآخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصر في قاصر المهمة على السعي للدنيا فقط بل لتكن همته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة فان مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضرع والدفع وهو الله الذي لا اله الا هو الذي قد قسم السعادة والشقاوة بين الناس في الدنيا والآخرة وعدل بينهم فيما علمه فيهم من يستحق هذا ومن يستحق هذا ولهذا قال وكان الله سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهد الله ولوعلى أنفسكم أو الأولاد والقرين ان يكن

على بابها والنصب بفعل مقدر وقيل انها منصوبة بفعل أي ان يرك أي الناس يضل عن سبيله (فكلاوا) في هذا القاع وجهان أحدهما ان اجواب شرطية مدرواه الزخشرى والثاني أنها عاطفة على محذوف قاله الواحدى وهو الظاهر (ثماد كرام الله عليه) عند ذبحه لما تقدم ذكر ما يصنع الكفار في الانعام من تلك السنن الجاهلية أمر الله المسلمين ان يأكلوا مما كرام الله الشرب عليه وقيل انها نزلت في سبب خاص كما أخرج أبو داود والترمذي وحسنه البزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس قال جاءت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا انانا كل مما قلنا ولانا كل مما قل الله فانزل الله هذه الآية إلى قوله انكم تمشركون ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لخصوص السبب فكل ما ذكر الذي عطف باسم الله حل ان كان مما أباح الله كله وقال عطاء في هذه الآية الامر بذكر الله على الشرب والذبح وكل مطعوم والشرط في (ان كنتم) التبرع والالهاب (يا أيها المؤمنون) أي باحسانهم الاواهم والتواخي التي من جملتها الامر بالاكل مما كرام الله عليه لاعتداز عليه اسم غيره فقط أو مع اسمه تعالى أو مات خف أنفه وهذا يدل على ان الخطاب للمسلمين وقيل كانوا يجرمون أصنافا من النعم ويحولون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرمو ما حرمة الله وعلى هذا الخطاب للمشركين والاول أولى (وما لكم ان لا تأكلوا مما كرام الله عليه) الاستفهام للانكار أي ما المانع لكم من أكل ما سميت عليه بعد أن أذن الله لكم بذلك وفيه تأكيد في اباحة ما حرم على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) أي والحال انه قد بين لكم ما ينافي ما دفع الشك ويزيل الشبهة بقوله قل لا أحد فيما روي إلى بحر ما الآية وقال السبوطي يعني آية حرمت عليكم الميتة أي آية المائدة وحينئذ في المقام اشكال أو رد المازي وحاصله ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولا بالمدينة وقوله وقد فصل لكم يقتضي ان ذلك التفصيل قد تقدم على هذا الجمل والمدنى متأخر عن المكي فممتنع كونها متقدمة ثم قال بل الاولى ان يقال هو قوله بعد هذا الآية قل لا أحد وعده وان كانت مذكورة بعدها قبل الان هذا القدر من التأخر لا يمنع ان يكون هو المراد انتهى قلت وذكرا المقسرون وجه آخر وهو ان الله علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لافي النزول فبهذا الاعتبار حدثت الحولة على

غنىا وفقرا قاله أولى بما فلتاتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا وتعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها تعالى عباده ما في المؤمنين ان يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل فلا يعدلوا عنه عينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عنه صارف وان يكونوا مستمعين متعاضدين متساندين فيه وقوله شهد الله قال وأقيموا الشهادة لله أي أودعوا ما شئتم الله في أنفسكم أي شهد الحق ولو عارضه رها فيئذ تكون صحتك زيادة حقا خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال ولوعلى أنفسكم أي شهد الحق ولو عارضه رها عليك وإذا سئلت عن الزمير قل الحق فيه ولوعاد مضرته عليك فان الله سميع عليم ان أطاعه فربا وخرجا من كل أمر بضيق

عليه وقوله أولوالدين والآخر بين أي وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراهم فيها بل أشهد بالخلق وإن عارضهم على
فإن الحق حاكم على كل أحد وقوله إن يكن غنياً وفقيراً فالله أولى بهما أي لا تراعه لغناه ولا تشفق عليه لفقره والله يتولاهما بل هو
أولى بهما منك وأعلى عاقبة صلاحهما وقوله فلا تتبعوا الهوى إن تعدلوا أي لا يحملنكم الهوى والعصية وبغض الناس
اليكم على ترك العدل في أروكم وشؤونكم بل الزموا العدل على أي حال كان كما قال تعالى ولا يجرمكم شركنا أن تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى ومن هذا قول عبد الله ابن رواحة (٢١٣)

(٢١٣)

يخص على أهل خير غارهم
وزر وعهم فارادوا أن يرشوه ليرفق
بهم فقال والله لقد جئتكم من عند
أحب الخلق إلى ولا نتم إلا بغض إلى
من أعدادكم من القرود والخنازير
وما يحملني حيي أياهم بغض ليكم على
أن لا أعدل فيكم فقالوا أيها ذات
السموات والأرض وسائر الحديث
مسند في سورة المائدة إن شاء الله
تعالى وقوله وإن تلوا أو أتعرضوا
قال سبحانه وغير واحد من السلف
تلوا أي تحرفوا الشهادة وتغيروها
والتي هو التحريف وتعمد الكذب
قال تعالى وإن منهم أفرقا بل يكون
أسنتهم بالكذب الآية والأعراض
هو كتمان الشهادة وتركها قال تعالى
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم خير الشهداء
الذي يأتي بالشهادة قبل أن يسئلهما
ولهذا نؤدهم الله بقوله فإن الله
كان بما تعملون خبير أي وسيجزيك
بذلك أي بما الذين آمنوا بالله
ورسوله والكتاب الذي نزل على
رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر فقد ضل

ما في المائدة بقوله وقد فصل لكم باعتبار قدمه في الترتيب وإن كان متأخر في النزول والله
أعلم ثم استثنى فقال (إلا ما اضطررتم إليه) من جميع ما حرم عليكم فإن الضرورة تحل
الحرام وقد تقدم تحقيقه في البقرة قال قتادة ما اضطررتم إليه من الميتة والدم ولحم الخنزير
والاستثناء كما قال الحق في منقطع وبه قال التفاتاني وقال أبو البقاء متمم من طريق
المعنى لانه وبخبرهم بترك الأكل مما سمي عليه وذلك تبصير بأباحة الأكل مطلقاً وحاصله
إن الاستثناء من الجنس فهو متصل وقال زكريا فيه أنه لا يكون حينئذ استثناء متصلاً
بل هو استثناء مفرغ من الظرف العام المقدّر (وإن كثير الضالون بأهواءهم يغير علمهم)
الكفار الذين كانوا يحرمون البحيرة والسائبة ونحوهما فانهم بهذه الأفعال البنية على
الجهل كانوا يضلون الناس فيتبعونهم ولا يعلمون أن ذلك جهل وضلال لا يرجع إلى شيء
من العلم قال سعد بن جبيرة يعني من مشركي العرب يضلون في أمر الذبايح (إن ربك هو
أعلم بالمعتدين) أي عن تعدى حدوده فأحل ما حرم وما أحل الله فيجأ بهم على سوء
صنيعهم (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) الظاهر ما كان يظهر كإفعال الجوارح والباطن ما كان
لا يظهر كإفعال القلب وقيل ما علمتم وما أسرتم وقيل الزنا الظاهر والزنا المكتوم وقال
ابن عباس الظاهر نكاح الأمهات والبنات والباطن هو الزنا وقال سعد بن جبيرة الظاهر
منه أنه لا نكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وحرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن الزنا
وقال قتادة علانية وسره وقال السدي الظاهر الزواني في الخوانيت وهن صواحب
الرايات والباطن المرأة يتخذها الرجل صديقة فيأتمها سرا وقال ابن زيد ظاهر الأثم التجرد
من الثياب والتعري في الطواف والباطن الزنا وقيل هذا النهي عام في جميع الحرمات
التي نهى الله عنها وهو الأولى فإن الاعتبار بمعوم اللفظ دون خصوص السبب وبه قال
ابن الأنباري وإنما أضاف الظاهر والباطن إلى الأثم لأنه يتسبب عنهما (إن الذين
يكسبون الأثم سيحزون بما كانوا يقترون) يؤعد الكاسبين للأثم بالجزاء بسبب اقتنائهم
على الله سبحانه (ولأننا كانوا يمالئكم كرام الله عليه) نهى الله سبحانه عن أن كل مالم يذكر
اسمه الشرع عليه بعد أن أمر بالأكال كرام الله عليه وفيه دليل على تحريم أكل
مالم يذكر اسم الله عليه وقد اختلف أهل العلم في ذلك فذهب ابن عمرو ونافع مولاة والشعبي
وابن سيرين وهورابة عن مالك وأحمد بن حنبل وبه قال أبو ثور وداد الظاهري أن

ضلالاً بعيداً) يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائه وليس هذا من باب تخصيص
الحاصل بل من باب تكميل الكمال وتقديره وتبتيه والاستقرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة أهذا نصر المستقيم أي
بصر نافية وزنا هدي وثبتنا عليه فأمرهم بالإيمان به برسوله كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله! آمنوا برسوله وقوله
والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل وهذا جنس يشمل جميع الكتب المتقدمة وقال في القرآن
نزل لأنه نزل مفرقاً مجتمعاً على الوقائع بحسب ما يحتاج إليه العباد في معاشهم ومعادهم وأما الكتب المتقدمة فكانت تنزل بجملة

واحد ولهذا قال تعالى والكتاب الذي أنزل من قبل ثم قال تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا أى فقد خرج عن طريق الهدى وبعد عن القصد كل البعد (ان الذين آمنوا وكفروا ثم آمنوا ثم كفروا هم كافرين) ان الذين آمنوا وكفروا ثم آمنوا ثم كفروا هم كافرين ان الذين آمنوا وكفروا ثم آمنوا ثم كفروا هم كافرين ان الذين آمنوا وكفروا ثم آمنوا ثم كفروا هم كافرين

كفر الم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نشر المنافقين بان لهم عذابا لما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتذنبون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وانكم اذا (٢١٤) مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) يخبر تعالى عن دخول

في الايمان ثم رجع عنه ثم عافيه ثم
 رجع واستقر على ضلاله وازداد حتى
 مات فانه لا توبة بعد موته ولا يغفر
 الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجا
 ولا يخرجوا لاطريقا الى الهدى
 ولهذا قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا
 ليهديهم سبيلا قال ابن أبي حاتم
 حدثنا ابي حنيفة حدثنا اجد بن عبد
 حدثنا حفص بن جريح عن سماعة
 عن عكرمة عن ابن عباس في قوله
 تعالى ثم ازدادوا كفرا قال زادوا
 على كفرهم حتى ماؤا وكذا قال
 مجاهد وروى ابن أبي حاتم عن طريق
 جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي
 رضى الله عنه انه قال يستتاب المرتد
 ثلاثا ثم تلا هذه الآية ان الذين
 آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم
 اذ ادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
 ليهديهم سبيلا ثم قال بشر المنافقين
 بان لهم عذابا ليل يعني ان المنافقين
 من هذه الصفة فانهم آمنوا ثم كفروا
 فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بانهم
 يتخذون الكافرين اولياء من دون
 المؤمنين بمعنى انهم معهم في الحقيقة
 والوهم ويسرون اليهم بالمودة
 ويقولون لهم اذا خلوا بهم انما نحن

ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح حرام من غير فرق بين العاصد والتاسي لهذا الآية ولقوله
 تعالى في آية الصيد فكروا عما أمسكن عليكم وأذ كروا اسم الله عليه ويريد هذا الاستدلال
 تأكيدي لقوله سبحانه في هذه الآية وأنه لفسق وقد ثبت في الأحاديث الصحة الأمر
 بالتسمية في الصيد وغيره وذهب الشافعي وأصحابه وهو رواية عن مالك وعن أحمد أن
 التسمية مستحبة لا واجبة وهو مروى عن ابن عباس وأبي هريرة وعطاء بن أبي رباح وحمل
 الشافعي الآية على من ذبح لغير الله وهو تخصيص الآية بتغير مخصص وقد روى أبو
 داود في المراسيل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ذبيحة المسلم حلال ذكرك الله وألم
 يذكرك وليس في هذا المرسل ما يصلح تخصيص الآية نفع حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى
 الله عليه وآله وسلم إن قومياً يؤتوننا بالجمان لاندري ذكرك اسم الله عليه أم لا فقال -موا أأنتم
 وكوا يفيد أن التسمية عند الكل يجزى مع التباس وقوعها عند الذبح وذهب مالك
 وأحمد في المشهور عنهما وأبو حنيفة وأصحابه وأبو حنيفة بن راهويه أن التسمية إن تركت
 نسياناً لم يضر وإن تركت عمد الميحل أكل الذبيحة وهو مروى عن علي وابن عباس وسعيد بن
 المسيب وعطاء وطاوس والحسن البصري وأبي مالك وعبد الرحمن بن أبي ليلى وجعفر بن
 محمد وربيعة واستدلوا بما أخرجه البيهقي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال المسلم إن نسي أن يسمى حين يذبح فليذكرك اسم الله ولياً كما هو هذا الحديث رفعه
 خطأ وإنما هو قول ابن عباس نعم يمكن الاستدلال لهذا المذهب بمثل قوله تعالى ربنا
 لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا كما سبق تقريره بقوله صلى الله عليه وآله وسلم رفعه عن
 أمي الخطأ والنسيان وأما حديث أبي هريرة الذي أخرجه ابن عدى أن رجلاً أتى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرايت الرجل
 من أذبح ونسي أن يسمى فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم الله على كل مسلم فهو
 حديث ضعيف قد ضعفه البيهقي وغيره وقال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في
 معناها من المتخنة وغيرها وقال عطية أنها في تحريم الذبائح كما لو أذبحوها على اسم
 الأصنام (و) الضمير في (الله لفسق) يرجع إلى ما بتقدير مضاف ويجوز أن يرجع إلى مصدر
 تأكلوا وقد تقدم تحقيق الفسق والواو والاستثنا في الأصل وقد استدلل من جعل هذه
 الآية على ما ذبح لغير الله بقوله وأنه لفسق ووجه الاستدلال أن التركة لا يكون فسقاً بل

معكم انما نحن مستمرون أي بالمؤمنين في الظاهر والهم الموافقة قال الله تعالى منكر اعلمهم في سلكه الفسق
من موالاته الكافرين أي يتبعون عندهم العزة ثم أخبر الله تعالى بان العزة كلها له وحده لا شريك له ولما جعلها كما قال تعالى في
الآية الأخرى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون والمقصود
من هذا التهيج على طلب العزة من جناب الله والاقبال على عبوديته والانتظام في جملة عبياده المؤمنين الذين لهم النصر في الحياة
الدنيا ويوم يقوم الأشهاد و يناسب ههنا نذكر الحديث الذي رواه الامام أحمد جسدنا حسن بن محمد حدثنا أبو بكر بن عياش

عن حميد الكندي عن عباد بن نسي عن أنس ربحانة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتسب إلى تسعة آباء كفار يردهم من عز أو خرافة أو عاشرهم في النار فترديه أجد وأور يحماته هذا هو أزدى ويقال أنصر اتى واسمه شععون بالمعجة فيما قاله البخاري وقال غيره بالمهمل والله أعلم وقوله وقدر على عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أنكم إذا منهم أي أنكم إذا ارتكبتم التهمة بعد وصوله اليكم ورضيت بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويستزأ ويستقص بها وأقررتوههم (٢١٥)

هم فيه فلهذا قال تعالى أنكم إذا منهم أي في الماسم كما جاء في الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائة يدار عليها الخمر والذي أحسب عامه في هذه الآية من التهمة عن ذلك هو قوله تعالى في سورة الأنعام وهي محكمة وإذا رأيت الذين يخوضون في آثاننا فأعرض عنهم الآية قال مقاتل بن حيان نسخت هذه الآية التي في سورة الأنعام يعني نسخ قوله أنكم منهم لقوله وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وقوله أن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً أي كما أشركوهم في الكفر كذلك يشارك الله بينهم في الخلود في نار جهنم أبداً ويجمع بينهم في دار العقوبة والنكال والقيود والأغلال وشراب الخمر والغسل إلى الزلال (الذين يترصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين قاله يحكم بينهم يوم القيامة ولن يجعل

الفسق الذي لم يغير الله ويحبب عنه بان اطلاق اسم انفسق على تارك ما قرره الله عليه غير متعشراً (وإن الشياطين) أي ابليس وجنوده (يوحون إلى أوليائهم) أي يوسوسون لهم بالوساوس المخالفة للحق المبينة للصواب (ليجادلوكم) أي قاصدين بذلك أن يجادلوكم هؤلاء الأولياء يبايوسوسون لهم (وإن أظفركمهم) فيما يأمر ونكهم به وينهونكم عنه (أنكم لمشركون) مثلهم قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئاً محرم الله أو حرم شيئاً محلاً لله فهو مشرك وانما سمى مشركاً لأنه أثبت ما كفى الله (أو) الهمزة للانكار والواو للتعطف (من كان ميتاً حينئذ) المراد بالميت هنا الكافر أحياء الله بالاسلام والهدى وقيل معناه كان ميتاً حين كان نقطة فحياه بنفخ الروح فيه والاول أولى لأن السياق يشعر بذلك لكونه في تنفير المسلمين عن اتباع المشركين وكثير ما تستعار الحياة للهداية والعلوم والموت للكفر والجهل (وجعلناه نورا) النور عبارة عن الهداية واليمان وقيل هو القرآن وقيل الحكمة وقيل هو النور المذكور في قوله تعالى يسبحونهم بين أيديهم وبأيمانهم وقيل المراد به اليقين (يشهد) أي يستضيء (به) في الناس (ويشهدني به) إلى قصد السبيل والضمير في به راجع إلى النور (كن مثله) أي صفته (في الظلمات) أي لا يستويان وقيل مثل زائدة والمعنى كمن في الظلمات كما تقول أنا أكرم من مثلك أي مثلك مثله فزاعمل ما قل من النعم وليس كمثل شيء وقيل المعنى كمن مثله مثل من هو في الظلمات والمعنى كمن هو خابط في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (وليس بخارج منها) في محل نصب على الحال أي حال كونه ليس بخارج من تلك الظلمات بحال من الأحوال قيل المراد به حادثة وأبو جهل قاله ابن عباس وعن زيد بن أسلم في الآية قال نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام كأنما تستن في ضلالتهم فأحياه الله عز بالاسلام وأعزه وأقر بأجل في ضلالتهم وموته وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا فقال اللهم أعز الاسلام بأبي جهل أو بعمر وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار ابن ياسر وأبي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي جهل والحق أن الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وبه قال الحسن (كذلك زين لكافرين ما كانوا يعملون) الذين هو الله سبحانه ويدل عليه قوله زيناهم أعمالهم ولأن حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون إلا بخلاف الله فدل ذلك على أن

الله لكافرين على المؤمنين سيلاً يخبر تعالى عن المنافقين أنهم يترصون بالمؤمنين دوائر السوء جميعاً ينتظرون زوال دولتهم وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملتهم فإن كان لهم فتح من الله أي نصر وتأييد وظفر وغلبة قالوا ألم نكن معكم أي يوددون إلى المؤمنين بهذه المقالة وإن كان للكافرين نصيب أي ادلة على المؤمنين في بعض الأحيان كما وقع يوم أحد فان الرسل تبدل ثم يكون لها العقوبة قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين أي ساعدناكم في الباطن وما ألواناهم خبالاً ولا تخذيلاً حتى اتصرت عليهم وقال السدي نستحوذ عليكم فنغلب عليكم كقوله استحوذ عليهم الشيطان وهذا أيضاً ودونهم الميهم قائمهم كانوا يصانعون هؤلاء وهؤلاء

لجظوا عندهم ويأمنوا كيدهم ماذا الا لضعف ايمانهم وقلة ايقانهم قال تعالى فاليوم يحكم بينكم يوم القيامة أى بما جعل منكم أيها المنافقون من البواطن الرديئة ولا تغتر واجبران الاحكام الشرعية عليكم ظاهرا في الحياة الدنيا لما لا في ذلك من الحكمة في يوم القيامة لا يستفكم ظواهركم بل هو يوم تلى فيه السم اتر ويحصل ما في الصدور وقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فان عبد الرزاق أبا نا الثوري عن الاعمش عن زرعن سميع الكندي قال جاء رجل الى علي بن أبي طالب فقال كيف هذه الآية ولن يجعل الله

(٢١٦)

ادنه والله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وكذا روى ابن جريح عن عطاء انخراساني عن ابن عباس ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال ذلك يوم القيامة وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي يعني يوم القيامة وقال السدي سبيلا أى حجة ويحتمل ان يكون المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أى في الدنيا بان يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية وان حصل لهم ظفر في بعض الاحيان على بعض الناس فان العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة كما قال تعالى ان الله نصر رسلا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الآية وعلى هذا يكون رداعلى المنافقين فيما أسأله وجهه وانظرهم من زوال دولة المؤمنين وفيما سلكوه من مصافهم الكافرين خوفا على أنفسهم منهم اذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم كما قال تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض يصرعون فيهم الى قوله نادى وقد استدلل كثير من العلماء بهذه

المزين هو الله سبحانه وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرد ما تقدم (وكذلك) أى مثل ذلك الجعل بركة (جعلنا في كل قرية أكابر) الا كبر جمع أكابر قيل هم الرؤساء والمعلماء وخصهم بالذكر لانهم أقدر على الفساد والغدر وترويح الباطل بين الناس من غير حسم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية أسباع الرسل ضعفاء هاهنا وجعل فاسقها أكابر (بجرسها) قال الواحدى في الآية تقدم وتأخير أى مجرمها أكابر وانما جعل المجرمين أكابر لان ما فهم من السعة ادعى لهم الى المكروا الكفر (ليكرهاوا) بالصدعن الايمان واللام على ظاهرها وألعاقة أولاهل تجازا قال أبو عبيدة المكر الخديعة والغدر والحيلة والتجوير وادبعضهم الغيبة والغيصة والايان الكاذبة وترويح الباطل قال ابن عباس ليقولوا قبا الكذب عن عكرمة قال زلتني المستهزئين وقيل المعنى لتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصي دليله ولو سلم الله الرزق لعباده لبقوا في الارض (وما يكرهون الا بانفسهم) المكر الحيلة في مخالفة الاستقامة وأصله التثقل فلما كرهوا عن الاستقامة أى صرف عنها أى ما يجتهد الماكر الا بهم لان وبال مكرهم عائد عليهم (وما يشعرون) بذلك لفرط جهلهم (واذا هم من الآيات أى حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وآله وصلى المعنى اذا جاءت الاكبراية (قالوا) هذه المقالة (ان تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوثر رسول الله) وانما قالوا هذا حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل المعنى اذا جاءتهم آيات القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم قالوا ان نصدق حتى يأتينا خبر بل ويخبرنا بصدق يريدون انهم لا يؤمنون حتى يكونوا أبناء متبعين لاتبعين وهذا نوع عجيب من جهالاتهم الغريبة وجور فهم الحميصة وظنهم يريد كل امرئ منهم ان يؤتى بمحنة منشرة قال بعضهم من الوقف هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلاتين قلت لعل هذا من التجارب دون المآثورات فاجاب الله عنهم بقوله (الله أعلم حيث يجعل رسالته) أى ان الله أعلم بما يستحق ان يجعله رسولا ويكون موضعا لها وأسنا عليها وقد اخبر ان يجعلها في محمد صلى الله عليه وآله وسلم فضيقه وحينئذ قد عاظم ما ليس من شأنكم عن ابن جريح قال قالوا لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاهم الى ادعاهم اليه من الحق لو كان هذا حقالكان فينا من هو أحق ان يؤتى به من محمد وقالوا لا نزل هذا القرآن

الآية الكريمة على أصح قول العلماء وهو المنع من بيع العبد المسلم للكافر لما في حجة آتيا عنه من التبليط على له عليه والاذلال ومن قال منهم بالصحة يأمره بالآلة ملكه عنه في الحال لقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا لم يذنبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء من يضل الله فان تجسده سبيلا) فذت تقدم في أول سورة البقرة قوله تعالى يخادعون الله والذين آمنوا وقال ههنا المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ولاشك ان الله لا يخادع فانه العالم بالسرائر واضرار ولكن

المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يعتقدون ان امرهم كإراج عند الناس وحوت عليهم احكام الشر بعة ظاهر افكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة وان امرهم بروج عنده كما أخبر تعالى عنهم يوم القيامة أنهم يوم القيامة يحلفون له انهم كانوا على الاستقامة والسادو يعتقدون ان ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى يوم يعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية وقوله وهو خادعهم أى هو الذى يستدرجهم فى طغيانهم وضلالهم ويخذلهم عن الحق والوصول اليه فى الدنيا وكذلك يوم القيامة كما قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم (٢١٧) الى قوله وبش المصبر وقد ورد فى الحديث من

سمع سمع الله ومن راى راى الله وفى الحديث الاخر ان الله بأمر بالبعد الى الجنة فيما يبدو للناس ويعدل به الى النار عاذا بالله من ذلك وقوله واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الآية هذه صفة المنافقين فى أشرف الاعمال وأفضلها وخيرها وهى الصلاة اذا قاموا والى الله قاموا وهم كسالى لانهم لانية لهم فيها ولا ايمان لهم بها ولا خشية ولا يعقاون معانها كما روى ابن مردويه من طريق عبد الله ابن زحر عن خالد بن أنى عن ابن عباس عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال يكره ان يقوم الرجل الى الصلاة وهو كسلان ولكن يقوم اليها طلق الوجه عظيم الرغبة شديد الفرح فانه يتلجى الله وان الله يتجهاهه بغفرله ويحببه اذا دعاه ثم يتلو هذه الآية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وروى من غير هذا الوجه عن ابن عباس نحوه فقوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى هذه صفة ظواهرهم كما قال ولا يؤتون الصلاة الا وهم كسالى ثم ذكر تعالى صفة باطنهم الفاسدة فقال يراون الناس أى لا اخلاص لهم

على رجل من القرية عظيم ثم توعدهم بقوله (سيصيب الذين أجر مواعدا) أى ذل وهوان وأصله من الصغر كأن الذل يصغر الى المرتفع ومقبل الصغار هو الرضا بالذل روى ذلك عن ابن السكيت (عند الله) أى فى الآخرة يوم القيامة وقيل فى الدنيا (وعذاب شديد) فى الآخرة وفى الدارين من التل والاسر وعذاب النار (عما كانوا يعكرون) أى بسبب مكروهم وحسدكم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الشرح الشق وأصله التوسعة وشرحت الامر بنسبه وأوصفته والمعنى من يرد الله هدايته للحق يوسع صدره حتى يقبله بصدور منشرح يخرج ابن المبارك فى الزهد وعبد الرزاق والقرطابى وابن أبى شيبه وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى عن أبى جعفر المدائنى رجل من بنى هاشم وليس هو محمد بن على قال سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية وقالوا كيف شرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح صدره وينفسح له قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال الآية الى دار الخلود والتجافى عن دار القرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وقدرى بطرق يقوى بعضها بعضا والمتصل يقوى المرسل فالصير الى هذا التفسير النبوى متعين (ومن يرد ان يضل) يصرف اختياره اليه (يجعل صدره ضيقا) بحيث ينبوع قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان جعل يعنى صيرا وخلقاً أوسمى وهذا الثالث ذهب اليه القارىب وغيره من معتزلة النجاة وضيقا بالتشديد وقرئ بالتخفيف مثل هين ولين وهما لغتان (حرجا) بالفتح جمع حرجة وهى شدة الضيق والحرجة النغطة والجمع حرج وحرجات ومنه فلان يخرج أى يضيق على نفسه وبالكسر معناه الضيق كالمعنى فأكدوا وحسن ذلك اختلاف اللفظ وقال الجوهري مكان حرج أى ضيق كثير الشجر لا تصل اليه الا اعمىة والخرج الاثم وقال الزجاج الخرج أى ضيق الضيق فالمعنى يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبى ليس بالخبر فيه منفذ وقال ابن عباس اذا منع ذكر الله اثمأز قلبه واذا منع ذكر الاصنام اراح الى ذلك وفى الآية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وادارته حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر (كاتباصد فى السماء) قرئ بالتخفيف من الصعود شبه الكافر فى نقل الايمان عليه بمن شكف ما لا يطيقه كصعود السماء وقرئ بصاعدا وأصله يتصاعد وقرئ يصعد بالتشديد وأصل يتصعد ومعناه يتكلف ما لا يطيق من تعب مدره كما

(٢٨ - فتح البان ثالث) ولا معاملة مع الله بل اغمايشه دون الناس تقيت لهم ومضاعة ولهذا يخلطون كثيرا عن الصلاة الى لا يرون فيها غالباً كصلاة العشاء فى وقت العتمة وصلاة الصبح فى وقت الغلس كما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ولو يعاون ما فيهم الا توهموا ولو جوبوا لقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا يصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار وفى رواية والذى نفسى بيده لو علم أحدكم انه يجعد عرقا فمتى أتى أمر ما تين حسنتين لشهد الصلاة ولو لا ما فى البيوت من النساء والذر يقطر حرج

عليهم بيوتهم بالثار وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن ابراهيم بن أبي بكر المقدسي حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم الجعفي عن أبي
 الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث رآه الناس وأساء حيث يخلفون قال اسم الله
 استبان به اربعة رجل وقوله ولا يذكرون الله الا قليلا أي في صلاتهم لا يمتنعون ولا يذكرون ما يدرون بل هم في صلاتهم ينادون
 لأهون وعما رآهم من الخير معرضون وقد روى الامام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يحل بس رقب الشجر حتى اذا كانت بين قرني الشيطان (٢١٨)

قام ففقر أربعاً لا يذكر الله فيها
 الا قليلا وكذا رواه مسلم والترمذي
 والنسائي من حديث اسمعيل بن
 جعفر المدني عن العلاء بن عبد
 الرحمن به وقال الترمذي حسن صحيح
 وقوله مذهب بين بين ذلك لا إلى هؤلاء
 ولا إلى هؤلاء يعني المنافقين محيرين
 بين الايمان والكفر فلا هم مع
 المؤمنين ظاهرا وباطنا ولا مع
 الكافرين من ظاهر او باطنا بل
 ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع
 الكافرين ومنهم من يعتز به الشك
 فتارة قيل إلى هؤلاء وتارة قيل إلى
 أولئك كلها أضاء عليهم مشافيه واذا
 أعظم عليهم قاموا الآية وقال مجاهد
 مذهب بين بين ذلك لا إلى هؤلاء يعني
 أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا
 إلى هؤلاء يعني اليهود وقال ابن جرير
 حدثنا محمد بن المنفي حدثنا عبد
 الوهاب حدثنا عبد الله عن نافع عن
 ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
 بين الغنمين تعبر إلى هذه مرة وإلى
 هذه مرة لا تدري أيهم ما تتبع تفرد
 به مسلم وقد رواه عن محمد بن المنفي
 مرة أخرى عن عبد الوهاب فوقف

يتكاث من يريد الصعود إلى السماء المظلة أو إلى مكان مرتفع وعركه قبضة وقيل
 المعنى على جميع القرات كد قلبه يصعد إلى السماء ينو أن لا يسلم وتكبر أو قيل
 ضاق عليه المذهب فلم يجد الآن يصعد إلى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو المشقة
 وصعوبة الامر وقال ابن عباس كمالا يستطيع ابن آدم ان يبلغ السماء كذلك لا يقدر على
 ان يدخل الايمان والتوحيد قلبه حتى يدخله الله في قلبه ومن أراد ان يضل يصيب عليه
 حتى يجعل الاسلام عنه ضيقا والاسلام واسع وذلك حيث يقول ما جعل عليكم في الدين
 من حرج يقول ما جعل عليكم في الاسلام من ضيق (كذلك) أي مثل ذلك الجعل الذي
 هو جعل الصدر ضيقا حرجا (يجعل الله الرجس) خوف اللغة التثنية وقيل هو العذاب
 وقيل هو الشيطان يسلطه الله (على الذين لا يؤمنون) فانه ابن عباس وقيل هو الآخر
 فيه قاله مجاهد والمعنى الاول هو المشهور في لغة العرب وهو متعاضدا لجعل بهم من
 الهة وبه يصدق على جميع المعاني المذكورة وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللغة وفي
 الآخرة العذاب (وهذا) أي ما أتت عليه بما محمد ومن معك من المؤمنين (صراط ربك) أي
 دينه (مستقيما) لا عوجاج فيه وقال ابن مسعود يعني القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمله
 إلى طريق الاستقامة والسداد وقيل الإشارة إلى ما تقدم مما يدل على التوفيق والخلاص
 أي هذا هو عادة الله في عبادهم من يشاء ويضل من يشاء (قد قلنا الآن) أي
 مناها وأوضحنا (لقوم يذكرون) أي لمن يذكروا ما بها ويتقنع بها وهم أصحاب
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام) أي هؤلاء المذكريين
 الجنة لانها دار السلام من كل مكروه وبه قال جمهور المفسرين أو دار الرب السلام
 مدخرة لهم (عند ربهم) يوصلهم إليها قال قادة دار السلام الجنة وقال جرير بن زيد
 السلام هو الله وقال السدي والحسن انه هو السلام ودار الجنة وقيل المراد السلام
 الجنة أي دارها وهي الجنة والمعنى متقارب (وهو وليهم) أي ناصرهم ومتولى احوالهم
 الخير اليهم (عما كانوا يعملون) أي بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إلى الله في
 الدنيا (و) اذكر (يوم تحشرهم) أي الخلق (جميعا) في القيامة أو المعنى يوم الحشر يقول
 (يا معشر الجن) المرادهم الشياطين والمعشر الجماعة والجمع معاشر (قد استكثرتم من
 الانس) أي من الاستمتاع بهم كقولهم ربنا استمتع بعضنا ببعض وقيل استكثرتم من

أغرائهم
 به على ابن عمر ولم يرفعه قال حدثنا عبد الوهاب جرير بن كذا قلت وقد رواه الامام أحمد عن اسحق بن
 يوسف بن عبيد الله به مرفوعا وكذا رواه اسمعيل بن عياش وعلي بن عاصم عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر مرفوعا وكذا رواه
 عثمان بن محمد بن أبي شيبة عن عبيد الله به مرفوعا ورواه مجاهد بن سلمة عن عبيد الله وأبي عبد الله بن عمر بن نافع عن ابن عمر
 مرفوعا ورواه أيضا جرير بن جوير عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد
 حدثنا الهذيل بن بلال عن ابن أبي عبيد الله جلس ذات يوم معك وعبيد الله بن عمر معه فقال ابن أبي عبيد الله قال أي قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان مثل المنافق يوم القيامة كالشاة بين الرضين من الغنم ان اتت هؤلاء فطعمتها وان اتت هؤلاء فطعمتها فقال له ابن عمر كذبت فاني التوم على أي خبر أو معروف فقال ابن عمر ما أظن صاحبكم الا كذبتون ولكني شاهدني الله اذ قال كالشاة بين الغنمين فقال هو سوا فقال هكذا سمعته قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودي عن ابن جعفر محمد بن علي قال بينما عبيد بن عمر يقص وعنده عبد الله بن عمر فقال عبيد بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كالشاة بين الرضين اذا اتت هؤلاء نذحتها واذا اتت هؤلاء قطعها فقال ابن عمر ليس كذلك انما قال (٢١٩) رسول الله صلى الله عليه وسلم كساة بين غنمين

قال فاخطط الشيخ وغضب فلما رأى ذلك ابن عمر قال أما أني لولم أسمع لم ارد ذلك عليك طريفة أخرى عن ابن عمر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن عثمان بن لوذويه عن يعقوب بن زويدي قال سمعت عبيد بن عمر وهو يقص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين فقال ابن عمر وبلكم لا تكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العابرة بين الغنمين ورواه أحمد أيضا عن طريق عن عبيد بن عمر عن ابن عمر ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله هو ابن مسعود قال مثل المؤمن والمنافق والكافر مثل ثلاثة نرائنتهم الى واحد فوقع أحدهم فغير ثم وقع الآخر حتى اذا أتى على نصف الوادي ناداه الذي على شفير الوادي وبلغ أبن تذهب الى الهلكة ارجع عودك على يدك وناداه الذي عبرهم الى النجاة

اغواهم واضلأهم حتى صاروا في حكم الاتباع لكم خسرناهم معكم ومثله قولهم استكثر الامير من الجنود والمراد التوبخ والتقريع وعلى الاول فالمراد بالاستمتاع التلذذ من الجن بطاعة الانس لهم ودخولهم في ما يريدون منهم (وقال أولياؤهم من الانس) لعل الاقتصاد على حكاية كلام الضالين وهم الانس دون المضلين وهم الجن للابن ان المضلين قد أضفوا بالمرء فلم يقدر وعلى التكلم أصلا (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اما استمتع الجن بالانس فهو ما تقدم من تلذذهم باتباعهم لهم واما استمتع الانس بالجن فحيث قبلوا منهم تحسين المعاصي فوقوا فيها وتلذذوا بها فذلك هو استلذذهم بالجن وقيل استمتع الانس بالجن انه كان اذا مر الرجل بوادي مسقوره وخاف على نفسه قال أعوذ برب هذا الوادي من جميع ما أحذر ربي من ربه من الجن ومنه قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وقيل استمتع الجن بالانس انهم كانوا يصدقونهم فيما يقولون من الاخبار الغيبية الباطلة واستمتع الانس بالجن انهم كانوا يتلذذون بما يلقونه اليهم من الاكاذيب والاراجيف والسحر ويتناولون ذلك شيئا من حظوظ الدنيا كالسكران (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) أي يوم القيامة اعترافا عنهم بالوصول الى ما وعدهم الله بما كانوا يكذبونه قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث والحساب يوم القيامة وهذا تحسر منهم على حالهم أي ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والتدامة وما قالوا هذه المقالة أجاب الله عليهم (قال النار مثواكم) أي موضع مقركم ومقامكم والنوى المقام والجهة مستأنفة جواب سؤال مقدر (خالدين فيها) أي مقيمين في نار جهنم أبدا (الاماشاء الله) المعنى الذي تقتضيه لغة العرب في التركيب انهم يتخلدون في النار في كل الاوقات الا في الوقت الذي يشاء الله عدم بقائهم فيها وعليه جرى السيوطي تبع الشبهة المحي في سورة الصافات وهو خالف في ذلك لقوله تعالى يردون ان يحرجوا من النار وما هم بخارجين منها والنجب منه انه اختار هذا التفسير مع انه في كتابه الدر المنثور قال ان السلف على أن الكفار لا يخرجون من النار أصلا قاله القاري وقال الزجاج ان الاستثناء يرجع الى يوم القيامة أي خالدين في النار الاماشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في الحساب الى حين دخولهم الى النار وهو تعسف

فجعل ينظر الى هذه امره والى هذه امره قال جافه سيل قا غرقه الذي عبره هو المؤمن والذي غرق المنافق مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الذي مكث الكافر وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن قتادة مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يقول ليسوا بأمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصر حين بالشرك قال وذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يضرب مثلا للمؤمن وللمنافق وللكافر كمثل رهط ثلاثة وقعوا الى غير فوقع المؤمن فقطع ثم وقع المنافق حتى اذا كاد يصل الى المؤمن ناداه الكافر أن هلم الى فاني أخشى عليك وناداه المؤمن ان هلم الى فان عندي وعندى يحظى لهما عتد فزال المنافق يتردد بينهما حتى أتى

أذى فغرقه وان المناق في ريل في شك وشبهة حتى أتى عليه الموت وهو كذلك قال وذكر لنا ابن أبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول مثل
المناق في كمثل ثاغية بين غن رأت غمعا على نشر فاتهم وإسماهم فلم تعرف ثم رأت غمعا على نشر فاتهم فقامت فلم تعرف وليه رأت غمعا على
ومن بضل الله فلم يتجده سيرا أي ومن صرعه عن طريق الهدى فلم يتجده وليا ثم شد أقاله من بضل الله فلا هادي له والمناق في ريل
الذين أسلمهم عن بسيل النجاة فلا هادي لهم ولا منقذ لهم بمأثم فيه فانه تعالى لا معقب لحكمه ولا يئسل عما يفعل وهم يسئلون (بأنهم)
الذين آمنوا واتخذوا الكافرين أولياء من دون (٢٢٠) المؤمنين أريدون أن تتجاولوا الله عليكم سلطا نامينا ان المناق في ريل

الاسفل من النار ولن يتجده لهم نصيرا
الا الذين تاولوا واتصلوا واعصوا
بأية وإخا صوادينهم لله فأولئك مع
المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين
أجر أعظيما ما يفعل الله بعبدانيكم
ان شكرتم وإمنتم وكان الله شاكرا
عليما ينهي تعالى عباده المؤمنين
عن اتخاذ الكافرين أولياء من
دون المؤمنين يعني مصاحبهم
ومصادقهم ومناجحتهم وأسرار
المودة اليهم وافشاء أحوال المؤمنين
الباطنة اليهم كما قال تعالى لا يتخذ
المؤمنون الكافرين أولياء من دون
الله المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شيء الا ان تقوا منهم
تقاة ويحذركم الله نفسه أي يحذركم
عقوبته في ارتكابكم منه وللهذا
قال ههنا أريدون ان تتجاولوا الله
عليكم سلطا نامينا أي حجة عليكم
في عقوبته اياكم قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا مالك بن اسمعيل
حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو
ابن دينار عن عكرمة عن ابن عباس
قوله سلطا نامينا قال كل سلطان
في القرآن حجة وهذا اسناد صحيح
وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد

لان الاستثناء هو من الخلود الدائم ولا يصدق على من لم يدخل النار وقيل الاستثناء رابع
الى النار أي الاما شاء الله من تعذيبهم بغمر خافي بعض الاوقات كالمهزبر وبه قسر
التسني والشهاب وزاده الآية وقيل الاستثناء لاهل الايمان وما يعنى من أي الامن شاء
الله ايما شاء فانه لا يدخل النار وبه قال ابن عباس كما حكاه الجوهري وبه قال الكرخي وقيل
المعنى الاما شاء الله من كونهم في الدنيا بغير عذاب وكل هذه التأويلات متشككة والمضى
الحق اليها ما ورد في الآيات القرآنية والا حديث السجدة من خلود الكفار في النار دائما
ولكن لا تعارض بين عام وخاص لا سيما بعد وروده في القرآن مكررا كما ساقى في سورة
هو دخالدين فيها مادامت السموات والارض الاما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ولعله
يأتى هنالك ان شاء الله تعالى زيادة تحقيق قال ابن عباس في هذه الآية انه لا ينفى
لاحد ان يحكم على الله في خلقه أن لا ينزل لهم جنة ولا نار او قد أوضح المقام الحافظ ابن
القيم رحمه الله في كتابه حادى الارواح فليرجع اليه (ان ربك حكيم) أي في تدبير خلقه
ونصر بقوله اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله (عليه) يعاقب أمور
خلقهم وما هم اليه بصائرون (وكذلك) أي مثل ما جعلنا ما بين الجن والانس ما بين
(تولى بعض الظالمين بعضا) أي يجعل بعضهم تولى البعض فيكونون بعضهم أولياء
بعض ثم يتبرأ بعضهم من البعض يعني تولى على هذا يجعله وليا له وقال عبد الرحمن بن زيد
معننا تسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس وروى عنه انه فسر هذه الآية بان المعنى تسلط
بعض الظلمة على بعض فملكه وذلك فيكون في الآية على هذا تدليل على ظلمة الانس
من ظلمتهم سلط الله عليه ظلمة الآخر وقال فضيل بن عياض اذا رأيت ظالما ينتقم من
ظالم فقف وانظر متجبا وقيل معنى تولى نكل بعضهم الى بعض فيما يختارونه من الكفر
وقال قتادة المعنى المؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان
وأين كان وقال ابن عباس في الآية ان الله اذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيرا وما اذا أراد
بقوم شرا ولى عليهم شرا هم (بما كانوا يكسبون) الباطنية أي بسبب كسبهم الذنوب
وليها بعضهم بعضا قال قتادة تولى الله بعض الظالمين بعضا في الدنيا وتبع بعضهم بعضا
في النار من الموالاة وقال الاعشى سمعتم يقولون اذ فسد الزمان أمر عليهم شرارهم
(يا معشر الجن والانس أليمتكم رسل منكم) أي يوم تفسدكم تقول لكم أليمتكم رسل منكم

ابن جرير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عدى ثم أخبر تعالى ان المناق في ريل الاسفل من النار
النار أي يوم القيامة جاز على كفرهم الغليظ قال الواقي عن ابن عباس في الدرك الاسفل من النار أي في أسفل النار وقال غيره النار
دركات كما ان الجنة درجات وقال سفيان الثوري عن ذكوان أبي صالح عن عاصم عن أبي هريرة ان المناق في ريل الاسفل من
النار قال في رواية ترجع عليهم كذا رواه ابن جرير عن أبي وكيع عن يحيى بن عمار عن سفيان الثوري به ورواه ابن أبي حاتم عن
المنذر بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن اسرئيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة ان المناق في ريل الاسفل من النار

قال في نوايت من نازنطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيفة عن عبد الله يعني ابن مسعود ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال في نوايت من نازنطبق عليهم أي مغلقة فتقتله توروا من أي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيفة عن ابن مسعود ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار قال في نوايت من حديد مهممة عليهم ومعنى قوله مهممة أي مغلقة فتقتله لا يهدى لكان ففكها وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو أسامة حدثنا جاد (٢٢١)

الرحمن ابن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال يصحون في نوايت من نازنطبق عليهم في أسفل درك من النار ولن يتبدلهم نصيرا اي ينقذهم عما هم فيه ويخرجهم من آليم العذاب ثم أخبر تعالى ان من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه اذا أخلص في نوبته وأصلح عمله واعتصم به في جميع أمره فقال تعالى الى الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله أي بدلو الرياء بالاخلاص فينفعهم العمل الصالح وان قل قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عمران بن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخلص دينك يكفيك القليل من العمل فاولئك مع المؤمنين أي في زميرتهم يوم القيامة وسوف يؤتى الله المؤمنين بجزاء عظيم ثم قال تعالى مخبرا عن غناه عما سواه والله انما يعذب العباد بنوبهم فقال تعالى ما يفتل الله بعدد انكم ان

شروع في حكاية ما سيكون في الحشر من نوب الخ من معاتلة عن بخاصة أنفسهم ان حكاية نوب الجن باغراء الانس واصلاهم باياعهم وظاهره ان الله يبعث في الدنيا الى الجن رسلا منهم كما يبعث الى الانس رسلا منهم وبه قال الضحاك وقيل معنى منكم أي من هو مجانس لكم في انطلق والتكليف والقصد بالخطبة فان الجن والانس يتحدون في ذلك وان كان الرسل من الانس خاصة فهم من جنس الجن من تلك الحنية وبه قال أكثر أهل العلم وابن عباس وقيل انه من باب تغلب الانس على الجن كما تغلب الذر على النخ وبه قال الفراء والزجاج وقيل المراد بالرسل الى الجن ههنا التذريتهم كما في قوله ولولا الى قومهم منذرين عن مجاهد قال ليس في الجن رسل انما الرسالة في الانس والتذرية في الجن وتكون ذلك قال ابن جرير وأبو عبيدة وقيل التقدير رسل من أحدكم يعني من جنس الانس والحاصل ان الخطاب للانسان وان تناولوها فانظ فالمراد أحدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال تعالى وجعل القمر فريين نوراً وانما هو في سماء واحدة (يقصون عليكم آياتي) أي يقرؤن كتي الدالة على توحيدى وتصدق رسلى ويؤمنوا مع التوضيح والتبيين والقاص من يأتي بالقصة وقد تقدم بان معنى القص (في يذروكم لقاء يومكم هذا) وهو يوم القيامة يقول الله ذلك لهم تقريرا ونوبحا (قالوا) أي كفار الانس والجن (شهدنا على أنفسنا) هذا اقرار منهم بجنة الله لازمة لهم بإرسال رسله اليهم والجملة مستأننة جواب سؤال مقدر (وغرهم الحياة الدنيا) جملة متبرضة أي لذاتها وما لوالها فكأنات عاتبة أمرهم ان اضطرروا الى الشهادة عليهم بالكفر (وذهبوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) هذه شهادة أخرى منهم على أنفسهم بالكفر في الدنيا بالرسل المرسلين اليهم والآيات التي جاؤا بها وقد تقدم ما يفيد ان مثل هذه الآية المنصرفة باقرارهم بالكفر على أنفسهم ومثل قولهم والله ربنا ما كنا مشركين محمول على أنهم يقولون في بعض مواطن يوم القيامة وشكروني في بعض آخر أطول ذلك اليوم واضطرب القلوب فيه وطيشان العقول وانغلاق الافهام وتبدل الاذهان (ذلك) إشارة الى شهادتهم على أنفسهم وألى ارسال الرسل اليهم (ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أهلها غافلون) المعنى ان الله أرسل الرسل الى عباده لانه لم يهلك من عصاه بالكفر من القرى والحال انهم غافلون عن الاعذار والانتذار بإرسال الرسل وانزال الكتب بل انما

شكروهم وأمنهم أي أخلصهم العمل وأمنهم بالله ورسوله وكان الله شاكرا عليا أي من شكر شكره لمن آمن قلبه به وعلمه وجزاه على ذلك أوفر الجزاء لا يجب الله الجهر بالوعظ من القول الامن ظم وكان الله سمعاعا لما نذر اخيرا أو تخفوه أو تعذوا عن سوء فأن الله كان عفوا قديرا قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول لا يجب الله ان يدعو أحد على أحد الا ان يكون مظلوما فله قدر اخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله الامن ظم وان صير فهو خير له وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن معاذ حدثنا أي حدثنا سفيان عن حبيب عن عطاء عن عائشة قال سرق لها شيء فجلت تدعو عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تبتعبر عنه (٢) قال الحسن

(٣) قوله الاستبر عنه كذا في التسخير وحفظ الحديث اهـ

المصري لا يدع عليه وليلق الله اعني عليه واستخرج حتى منته وفي رواية عنه قال قد اُرخص له ان يدعو على من ظلم من غير ان يتعد عليه وقال عبد الكريم بن مالك الجزري في هذه الآية هو الرجل يشك فتشه ولكن ان افترى عليك فلا تتعد عليه لقوله وابن اتصر بعد ظلمه فاوثقك ما علمهم من سبيل وقال أبو داود وحديثنا القعني حديثنا عبد العزيز بن محمد عن الغلاء عن أبي يعين أبي خزيمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قاله في البادي منهم ما لم يعد المطاع وقال عبد الرزاق أنا نا في بن الصياح عن مجاهد في قوله لا يجب الله الجهر (٢٢٢) بالسوم من القول الا من ظلم قال أضاف رجل رجلا فلم يؤد اليه حتى

صيافته فلما خرج أخبر الناس فقال ضفت فلانا فلم يؤد الى حق صيافتي قال فذلك الجهر بالسوم من القول الا من ظلم حتى يؤدى الاخر اليه حق صيافته وقال ابن اسحق عن ابن أبي شيبة عن مجاهد لا يجب الله الجهر بالسوم من القول الا من ظلم قال قال هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن صيافته فيخرج فيقول أساء ضيافتي ولم يحسن وفي رواية هو الضيف المحول رحله فانه يجهر لصاحبه بالسوم من القول وكذا روى عن غير واحد عن مجاهد نحو هذا وقدر روى الجماعة سوى النسائي والترمذي من طريق الليث بن سعد والترمذي من حديث ابن أبي ليثة كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير هرثمة بن عبد الله عن عتبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعنا فنزل بقوم فلا يقرونا فأتى في ذلك فقال اذ انزلتم بقوم فأمر والكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا منهم وان لم يفعلوا فخذوا منهم حتى الضيف الذي ينبغي لهم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا

عليكم بعد ارسال الرسل اليهم وارتفاع الغفلة عنهم بالانبياء ليسهم كقولهم ما كان معذنين حتى تبع رسولاً وقيل المعنى ما كان الله معك أهل القرى ينظرونه فيفسدوا يتعدى عن الظلم بل اشبه لكم بعد ان يستحقوا ذلك وترفع الغفلة عنهم بارسال الانبياء وقيل المعنى ان الله لا يهلكهم بسبب ظلم من ينظلم منهم مع كون الاخرين غافلين عن ذلك فهو مثل قوله تعالى ولا تزوروا زواجرأخرى (ولكل) من الجن والانس وقيل من المؤمنين خاصة وقيل من الكفار خاصة لانها جاءت عقب خطاب الكفار والله يعده قوله (درجات) أى متناوذة وقد يقال ان المرامم اهل المراتب وان غلب استعمالها في الخير (مما عملوا) فيجازيهم بأعمالهم كما قال في آية أخرى ولكن درجات مما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا ينظرون وفيه دليل على ان المطيع من الجن في الجنة والعاصي في النار قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وما يكون ويشربون وعن ابن أبي سليم قال مسلموا الجن لا يدخلون الجنة ولا النار وذلك ان الله أخرج أناسهم من الجنة فلا يعيده ولا يعيد ولده وعن ابن عباس قال اخلق أربعة خلق في الجنة كلهم وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار وأما الذين في الجنة فكلهم فاما الذين في النار فكلهم الذين في النار كلهم فالشياطين وأما الذين في الجنة فكلهم فاما الذين في النار فكلهم والعقاب (ومارون بغافل عما يعملون) من أعمال الخير والشر والغفلة ذهاب الشيء عنك لا شغل بك بغيره قبل هذا المختصر بأهل الكفر والمعاصي فقيه وعبد مريد لهم والاولى نحو له لكن المعلومات على التفصيل التام (وربك الغنى) عن خلقه لا يحتاج اليهم ولا الى عبادتهم لا يتعد اعانتهم ولا يضرم كفرهم ومع كونه غنيا عنهم فهو (ذو الرحمة) بهم لا يكون غناؤه عنهم مانعا من رحمة لهم وما أحسن هذا الكلام اربابى وأبلغه وما أقوى الاقتران بين الغنى والرحمة في هذا المقام فان الرحمة لهم مع الغنى عنهم هو غاية الفضل والتطول ومن جملة رحمة ارسال الرسل للخلق وابقاؤهم بلا استئصال بالهلاك فهذا الوصف يناسب سابق الكلام ولا حقه (ان يشأ جبرك) أي العباد العاصين فيستأصلكم بالعذاب المقضى الى الهلاك وقيل اخطأ لاهل مكة فقتلهم وعيد وتمديد لهم والعبود أولى ويدخل قيد أهل مكة دخولاً اولياً (ويستخلف) أى غشى ويوجد (من بعدكم) أى بعد اهلاككم (مايت) من خلقه من هم أطوع له وأسرع الى

الجودى يحدث عن سعيد بن المهاجر عن المقدام بن أبى ربيعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أئمة من خلفي قوم ما أصبح الضيف محروما فان حقا على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري ليلته من زرعه وما له تسديده أجد من هذا الوجه وقال أجد أيضا حديثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن منه ورعن الشعبي عن المقدام بن أبى ربيعة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليله الضيف واجبة على كل مسلم فان أصبح بفناءه محروما كان ذنباً عليه فان شاء اقتضاه وان شاء تركه ثم رواه أيضا عن غندر عن شعبة وعن زياد بن عبد الله البكائي عن وكيع وأبي نعيم عن سفيان الثوري ثلاثتهم عن منصور بن وهب وكذا رواه أبو داود ومن حديث

أني عوانته عن منصوره ومن هذه الاحاديث وأمثالها ذهب احمد وغيره الى وجوب التوبة ومن هذا القيل الحديث الذي رواه
الحافظ أبو بكر البرزخ حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى حدثنا محمد بن مجلان عن أبيه عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان لي حاربا يؤذي فقال له أخرج متاعك فضعه على الطريق فأخذ الرجل متاعه فطرحه على الطريق فكل
من مر به قال مالك قال جاري يؤذي فيقول اللهم العنه اللهم العنه آخره قال فقال الرجل ارجع الى منزلك والله لا أؤذيك أبدا وقدرناه
أبو داود في كتاب الادب عن أبي توبة الربيع عن نافع عن سليمان بن حيان (٢٢٣) أني خالد الجرجاني عن محمد بن مجلان بن تم قال

البرزخ لعلي بن روى عن أبي هريرة
الأيض الاسناد ورواه أبو جحيفة
وهب بن عبد الله عن النبي صلى الله
عليه وسلم ويوسف بن عبد الله بن
سلام عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله ان سيدوا خيرا أو تحقوه
أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا
قدرا أي ان تظهروا أي الناس
خيرا أو أخفيتموه أو عفوتم عن أساء
البيكم فان ذلك مما يقربكم عند الله
ويجزل ثوابكم لديه فان من صفاته
تعالى ان يعفو عن عباده مع قدرته
على عقابهم ولهذا قال فان الله كان
عفوا قديرا ولهذا ورد في الاثر ان
جلاله العرش يسبحون الله فيقول
بعضهم سبحانك على حلمك بعد علمك
ويقول بعضهم سبحانك على عذوك
بعد قدرتك وفي الحديث الخديج
ما نقص مال من صدقة ولا زاد الله
عسدا لعفو الاعراض من تواضع لله
رفعه (ان الذين يكفروا بالله ورسوله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله
ويقولون نؤمن ببعض والكفر ببعض
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا
للكافرين عذابا مهينا والذين

الى امثال أحكامهم منكم (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أي من نسل قوم لا يكونوا
على مثل صفتكم بل كانوا طائفتين قيل هم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من
القبورين المزمعين قال الواحدى والزمخشري ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك فإيهلهم ولا
استخلف غيرهم رجلا لهم ولطفاهم وقال الرازي المراد منه خلق ثالث أورابع
واختلافه فيه فيقول خلقا آخرين أمثال الجن والانس قال القاضي وهو الوجه الأقرب
فيكونه تيسر ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس وقال الطبري المعنى كما
أخذكمم وأبدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم والذرية الاصل والنسل قاله آبان
ابن عثمان (انما يؤدون) من مجي الساعه والبعث والحساب والمجازاة (لا ت) لا تحالة
عن قريب فان الله لا يخلف الميعاد (وما أنتم بمجزيين) أي بفاشرين عما هو نازل بكم
وواقع عليكم يقال أعجزني فلان أي فاتني وغلبني وقال ابن عباس مأي سابقين وقيل
هنا بين منتهى وهو مدر كهم لا محالة والمراد بان دوام انتفاء الاعجاز لا يان انتفاء دوامه
فان الجمله الاسمية كالتد على دوام النبوت كذلك تبدل بعونة القسام اذا دخل عليها حرف
التثني على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كالحق في موضعه قاله الكرخي (قل يا قوم)
من كفار قريش (اعملوا على مكاتبتكم) المكاتبة الطريقة أي اثبتوا على ما أنتم عليه
فاني غدير ميثال بكم ولا مكثرت بكفركم وقيل اعملوا على تمكينكم من أمركم وأقصي
قدركم واستطاعتكم وامكانكم قاله الزجاج وقال ابن عباس على ناحيتكم
وجهتمكم والمقصود من هذا الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم عليه فهو
كقوله اعلموا ما شئتم فلا بد مما يقال كيف يأمرهم بالثبات على الكفر (ان عامل) على
سكان أي ثابت على ما أنتم عليه (تسوف) لتأ كيد مضمون الجمله وهذه الجمله لتعليل لما
قبلها (تعمون) أي تعرفون عند نزول العذاب بكم وأعدا يوم القيامة (من تكون له عاقبة
الدار) وهي العاقبة المحمودة التي يحمد صاحبها عليها أي من له النصرف دار الدنيا ومن له
وراثه الارض ومن له الدار الآخرة ومن هو على الحق ومن هو على الباطل نحن أم أنتم وفيه
منع الانذار انصاف في القتال وتنبه على كمال وثوق المنذر بأمره (انه) أي الشأن (لا يظلم
الظالمون) أي من انصف بصفة الظلم وهو تعريض لهم بعدم فلاحهم قال ابن عباس
أي لا يبعد من كفرني وأشرك (وجعل الله محاذرا من الخثر والانعام نصيبا) هذا بيان

أمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما يتوعد سائر الكافرين
به ويرسل من اياه ودوال نصارى حيث فرقوا بين الله ورسوله والاعيان فآمنوا ببعض الكفرة وبعضهم يعبدون التثنية والعادة وما
ألفوا عليه آباءهم لآعن دليل قاطع الى ذلك فانه لا دليل لهم الى ذلك بل يعبدون الهوى والعصية قالهم ودعاهم لعائن الله آمنوا بالانبياء
الاعينى ومحمد عليهم السلام والصلوة والسلام والنعارى آمنوا بالانبياء وكفروا بانجائهم وأشرفهم محمد صلى الله عليه وسلم والسامرة
لا يؤمنون بني بعد يوشع خليفة موسى بن عمران والجوس يقال انهم كانوا يؤمنون بنى لهم يقال له زاد شتم وكفروا بشعره فرفع

من بين أظهرهم والله أعلم والمقصود ان كفر بني من الانبياء فقد كفر بسائر الانبياء فان الايمان واجب بكل نبي بعثه الله الى
 أهل الارض فمن رد نبوة للعبد أو العصبية أو التمهى تين ان ايمانه عن آمن به من الانبياء ليس ايمانا شرعيا انما هو عن غرض
 وهوى وعصبية ولهذا قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسوله فهم بائنه كفار بالله ورسوله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله أى
 في الايمان ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أى طريقا ومسلكا ثم أخبر تعالى عنهم فقال
 أولئك هم الكافرون حقا أى كفرهم محقق (٢٢٤) لا محالة عن ادعوا الايمان به لانه ليس شرعا اذ لو كانوا

مؤمنين به لكونه رسول الله
 لا متواظف به وبين هو وضع دليلا
 وأقوى برهاناً منه وأظهر وأحق
 النظر في نبوته وقوله وأعتدنا
 للكافرين عذاباً مبيناً أى كما استأفوا
 بين كفرهم بالله ما لم يعد لهم نظرهم فيما
 جاءهم به من الله وأعرضهم عنه
 وأقبلوا على جمع حطام الدنيا بما
 لا ضرورة بهم اليه وما يكفرهم به
 بعد علمهم بنبوته كما كان يفعل كثير
 من أجداد اليهود في زمان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حيث حسدوه
 على ما أتاه الله من النبوة العظيمة
 وخالفوه وكذبوه وعادوه وقتلوه
 فسلب الله عليهم الذل النبوى
 الموصول بالأذل الأخرى وضربت
 عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب
 من الله في الدنيا والآخرة وقوله
 والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا
 بين أحد منهم يعنى بذلك أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم فانهم يؤمنون
 بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه
 الله كما قال تعالى آمن المؤمنون كل آمن
 بالله الآية ثم أخبر تعالى بأنه قد أعد
 لهم الجزاء الجزيل والثواب الجليل

والعطاء الجليل فقال أولئك سوف يؤتهم أجورهم على ما آمنوا بالله ورسوله وكان الله غفورا رحيما
 لنؤمنهم أى ان كان له منهم ذنوب (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا اننا
 جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما طاعتهم البنات دعفوا عن ذلك وأتينا موسى مطايا من ربنا
 فوقهم الطور بميثاقهم وقتلناهم ادخلوا الباب سجدا وقتلناهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال محمد بن كعب
 القرظى والسدى وقائدة سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء كما نزل التوراة على موسى

مكتوبة قال ابن جرير سألوا أن ينزل عليهم محققا من الله مكتوبة إلى فلان وفلان وفلان تصدقهم فيها بهم به وهذا إنما قالوه على سبيل التبعث والعناد والكثرة والاحاد كسأل كفار قرش قبلهم نظير ذلك كما هو مذكور في سورة سجدان وقالوا لن نؤمن لك حتى تبغير لنا من الأرض ينبوعا الآيات ولهذا قال تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرننا الله جبهة فاخذتهم الصاعقة بنظلمهم أي بطغيانهم وبغفهم وعظومهم وهذا مفسر في سورة البقرة حيث يقول تعالى واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى تری الله جبهة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثنا منكم بعد (٢٢٥) موتكم لعلكم تشكرون وقوله تعالى ثم

اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم السم
النبات أي من بعد ما رأوا من
الآيات الباهرة والادلة القاهرة
على يد موسى عليه السلام في
بلاد مصر ما كان من اهلاك عدوهم
فرعون وجميع جنوده في اليم
خا جاوزوه لا يسيرا حتى أفرأ على قوم
يعكفون على أصنامهم فقالوا
لومسى اجعل لنا الهة كالهم الهة
الآتين ثم ذكر تعالى قصة اتخاذهم
العجل مبسوط في سورة الاعراف
وفي سورة طه بعد ذهاب موسى
إلى مناجاة الله عز وجل ثم لما رجع
وكان ما كان جعل الله توهمهم من
الذي صنعوه وابتدعوه ان يقتل
من لم يعبد العجل منهم من عبده
جعل يقتل بعضهم بعضا ثم أحياهم
الله عز وجل وقال الله تعالى ففعلونا
عن ذلك وأتينا موسى سلطانا مينا
ثم قال ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
وذلك حين امتنعوا من الالتزام
بأحكام التوراة وظهر منهم إباء على
ما جاءهم به موسى عليه السلام ورفع
الله على رؤسهم جبلا ثم أفرأوا
فألتزموا وسجدوا وجعلوا ينظرون
إلى فوق رؤسهم خشية أن يسقط

(زين السكين من المنكرين قتل أولادهم) قال القراء والزجاج (شركاؤهم) ههنا هم
الذين كانوا يتخذون الأوثان وقيل هم الغواصين وقيل هم الشياطين وأشار هذا
إلى الوأد وهو دفن النبات مخافة السباب والحاجة وقيل كان الرجل يحلف بالله لئن ولده
كذا من الذكور لم يخرن أحدهم كإفعله عبد المطلب قرى زين البناء للفاعل ونصب قتل
ورفع شركاؤهم على أنه فاعل زين وقرى بضم الزاي ورفع قتل وخض أولاد ورفع
شركاؤهم بإظهار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم الخ ق ل من زنه فقبل زنه
شركاؤهم وقرى بضم الزاي ورفع قتل ونصب أولاد وخض شركاؤهم بإضافة القتل إليه
مفصولا بين المصدر وما هو مضاف إليه بالفعل قال الخاس ان هذه القراءة لا تجوز في
كلام ولا في شعر وهي بعيدة وفي القرآن أي بسد وقال ابن جدران الخوى هي زنة عالم لم يجز
إساعه وقال قوم من انتصر لهذه القراءة أنها اذا ثبتت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فهي فصيحجة لا تبجيح فالواقد ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان
شركاؤهم بالياء قلت دعوى التواتر باطلة باجاء القراء المعتبرين بكأين الشوك في ذلك في
رسالة مستقلة في قرأ بما يخالف الوجه الخوى فهو رد عليه ولا يصح الاستدلال لاجبة
هذه القراءة بما ورد من الفصل في النظم فان ضرورة الشعر لا يقاس عليها وفي الآية
قراءة رابعة وهي جر الأولاد والشركاؤهم وجه ذلك ان الشركاؤهم من الأولاد لكنهم
شركاؤهم في النسب والميراث (ليردوهم) من الرداء وهو الاهلاك أي فعلوا ذلك
الذين لا هلاك لهم (والبسوا عليهم دينهم) أي يخطأوه عليهم قال ابن عباس لدخلوا
عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين الله فرفعوا عنه تبليس الشياطين (ولو شاء
الله) عدم فعلهم (ما فعلوه) أي ذلك الفعل الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام
وقتل الأولاد فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وإذا كان ذلك بعثة الله (قد رهم وما يفترون)
أي فدعهم وافترأهم فذلك لا يضرك والافاء الفصيحة (وقالوا هذه أنعام وحش
حجر) هذا بيان نوع آخر من جهالاتهم وضلالاتهم وهذه إشارة إلى ما جاءه لا الهتهم
والتأيت باعتبار الخبز وهو قوله انعام فهو وحش خبر عن اسم الإشارة والخبر بكسر أوله
وسكون ثانيه وقرى بضم الحاء والحميم وفتح الحاء واسكان الجيم وقرى حرج بقدم الراء
على الجيم من الحرج وهو الضيق والخرج على اختلاف القراءات فيه هو مصدر بجي محجور

(٢٦) فتح البيان ثالث عليهم كما قال تعالى واذنعتنا الجبل فوقهم كغطلة وظنوا اله واقعه بهم خذوا ما اتيناكم بقوة الآية
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا أي خافوا ما أمرناهم من القول والفعل فانهم أمروا ان يدخلوا باب بيت القدس سجدا وهم يقولون
حطة أي اللهم حط عنا ذنوبنا في ترك الجهاد ونكون لنا عنه حتى تمناني التيه أربعين سنة فدخلوا بنحوق على استأصهم وهم يقولون
حطة في شعرة وقلنا لهم لا تعدوا في السبت أي وصيائهم بمحقة السبت والزام ما حرم الله عليهم مادام مشروعه عليهم وأخذناهم من سناقا
غلظا أي شديدا فخافوا وعصوا وتحياوا على ارتكاب ما حرم الله عز وجل كما هو مبسوط في سورة الاعراف عند قوله واسئلهم عن

القرية التي كانت حاضرة البحر الميت ومداي حديثه عن ابن عباس في سورة سبحان عند قوله ولقد آتينا موسى تسعة آيات بينات وقوله وعليكم حاصيتهم ودان لا تعدو في البيت (فما انقضهم سيافهم وكفرهم ايات الله وقليم الانبياء بقدر حق وقولهم قلوبنا غفل بل طبع الله عليهم بالكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ويكفرهم وقولهم على مريم بناتها عطفيا وقولهم انكنا الله عيسى بن مريم رسول الله وما قلناه وما صلوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه في شرا منه ما ليه من علم الا باقاع ظن وما قلوه يقينا بل رفعه الله وكان له عزرا (٢٢٦) حنينا وان من اهل الكتاب اقل من يستحق قبول موته يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وهذا من الترتيب

التي ارتكبوا عملا وجب لعنهم وطردهم وابعادهم عن اليهودي وخو تقضهم المواتي والعبود التي آخذت عليهم وكفرهم بايات الله اى حجب وبرايمه والنجرات التي شاهدوها على يد الانبياء عليهم السلام قوله وقتلهم الانبياء بغير حق وذلك لكثرة اجرامهم واجترأهم على انبياء الله فانهم قتلوا جاعلا عن اسم الانبياء عليهم السلام وقولهم قلوبنا غفل قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي ومقاتل وغير واحد اى في غطاء وهذا كقول المشركين وفاؤا قلوبنا في اكنة ما ندعو ناله الاية وقيل معناه انهم ادعوا ان قلوبهم غاف للعلم اى اوعت تعلم قد حوته وحصله رواد الكبي عن ابي صالح عن ابن عباس وقد تقدم نظيره في سورة البقرة قال انه تعالى بل طبع الله عليهم بالكفرهم فعلى القول الاول كانهم يعذرون انه بان قلوبهم لا تعي ما يقول لانها في غفل وفي اكنة قال الله بل هي مطبوع عليهم بالكفرهم وعلى القول الثاني

كفرهم وطعن بمعنى مذبح وحطون يستوى فيه الواحد والكثير والمذبح هو المذبح والتميز وأصل المذبح معنى الاية هذه تمام وحسن متنوعة يعنون انها لانسانهم ولما جازعديع بالانعام البقرة والسبب والوصية والمذبح قال ابن عباس انجر سارموا من الوصية وقال تادوا السدي جري حرام لا يطعمها الا من شاء وهم خدام الانعام والرجال دون النساء (منهم) لاجتنبهم فيه فجعلوا نصيب الاكينة تحدا سائلة الاول ما ذكره بقوله حجر وانما ما ذكره قوله (و) تعام حرس ظيورها اى البقرة والسبب والوصية واخام جواظهم ورعا عن الركب وقيل ان هذا القسم ايضا مجازي لانهم (و) القسم الثالث (انعام لا يذرون اسم الله عليه) عند التمسح وحى مذبحوا لانهم ذابحونها باسم صلتهم لاسم الله وقيل ان المراد لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير (اقرأ عليهم) اى اختلافا وكذا على الله سبحانه نصب على الفاعل والجزر متعلق به والتقدير اقرأوا ما تقدم لاجل الاقرأ على البقرى وهو مذبح يسير وسننا اظهر وقت الزجاج هو مصدر عن غير المصدر لان قوله المحكى عنهم اقرأوا يقتضى فقد اقرأوا وقيل انه صدرت الامم لفظه مقدر اى اقرأوا ذلك اقرأا وقيل فواذ انشدوا اقرأهم وحى تشبه احوال المؤمنين (سبحهم بما كانوا يفتخرون) اى باقرأهم واذابوا بقرة وبه وفيه وعيد وتهديد لهم ثم بين الله سبحانه ثمرات اخرى من جبالهم فقال (وقد انزلنا بطون هذه الانعام) يعنون اجنة البعائر والسواب وقيل هو الذين (خالصة كورهم) اى حلال لهم والهاقي خالصة لسبب الغنى الخلوص كعلامتوقسالة قاله تسمى والاختش وقال القرأ تائبها تائب الانعام وربان ما في بطون الانعام غير الانعام وتعب هذا الربان ما في بطونهم الانعام وحى الاجنة وساعة بارها فيكون تائب خاصة باعتبار المعنى (ومحرم على) جنس (أرواجنا) وحى النساء فيدخل في ذلك يثبت والاخوات ونحوهن وقد كبر محرم باعتبار لفظ ما (وان يكن) اى الذى في بطون الانعام (مستقيم) اى فى الذى فى البطون (شركا) ياكل منه ككور ولانا (سبحهم) انه (وصفهم) اى بوصفهم الكذب على الله وقيل المعنى سبهم جزاء وصفهم (احكيم حكيم عليهم) فلما جعل حكمتهم وعلمه لا يترك جزاءه الذى هو من مقتضيات الحكمة ثم بين الله سبحانه ثمرات اخرى من جبالهم فقال (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) اى بقاتهم

عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة البقرة فلا يؤمنون الا قليلا اى شرت قلوبهم بؤرا على المكفر والظان وقوله الايمان ويكفرهم وقولهم على مريم بناتها عطفيا قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس معنى انهم رموا بالزنا وكذلك قال السدي وجوبه ومحمد بن اسحق وغير واحد وهو ظاهر من الاية انهم رموها وابنها بالظلم فجعلوا زانية وقد جعلت بؤرا من ذلك زاد بعضهم وحى حائض فعلمهم لعاش الله المتابعة الى يوم القيامة وقولهم انكنا الله المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى هذا الذى يدعى نفسه هذا المنتصب قلنا مؤخذا منهم من باب التسمك والاسهتار كقول المشركين اليها الذى نزل عليه لانه كمر

الآن المنون وكان من خبر اليهود عليهم لعائن الله وحطه وغضبه وعقابه انما بعث الله عيسى بن مريم بالنبات والهدى حسداً
على ما آناه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يرى بها الاكاه والبرص ويحيى الموتى باذن الله ويصور من الطين
طائر اثم ينفع فيه فيكون طائر ايشا حطرت اياه باذن الله عز وجل الى غير ذلك من المعجزات التي اكرم الله بها وأجر اخا على يديه ومع
هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في آذاه بكل ما مكنتهم حتى جعل نبي الله عيسى عليه السلام لا يساكنهم في بلده بل يكثر السباحة هو وأمه
عليهما السلام ثم لم يقنع بهم ذلك حتى سعوا الى ملك دمشق في ذلك الزمان (٢٢٧) وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب وكان

يقال لاهل ملته اليونان وأنهم واليه
ان في بيت المقدس رجلاً يقن الناس
ويضلهم ويسعد على الملك رعاياه
فغضب الملك من هذا وكتب الى
نائبه بالقدس ان يحتاط على هذا
المدكور وأن يصلبه ويضع الشوك
على رأسه ويكف اذاه عن الناس
فلما وصل الكاتب امثال والى بيت
المقدس ذلك وذهب هو وطائفة
من اليهود الى المنزل الذي فيه عيسى
عليه السلام وهو في جماعة من
اصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر
وقيل سبعة عشر نفراً وكان ذلك
يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت
فحصره هناك فلما آسنهم
واحدة لا محالة من دخولهم عليه
أوحى وجه اليهم قال لاصحابه أيكم
يأتي عليه شبهي وهو رفيق في الجنة
فانتدب ذلك شاب منهم فكانت
استصغره عن ذلك فاعادها ثالثة
وثالثة وكل ذلك لا يتدب الا ذلك
الشاب فقال انت هو وألقي الله عليه
شبه عيسى حتى كان هو وفقت
روفته من سقف البيت وأخذت
عيسى عليه السلام سنة من النوم
فرفع الى السماء وهو كذلك كما قال

بالوآد الذي كانوا يفعلونه (سفاها) أي لأجل السفه وهو الطيش والخفة والنجسة عقلية
ولا شريعة قال عكرمة بن زيات فيمن كان يند النبات من مضروب يبعه وقال قته دة هذا صنع
أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته تخافة السباع والفاقة ويذوقه (بغير علم) ثم تدون
به (وحرمو أمار زفرهم الله) من الانعام التي هوها بجوارح وسوائب (أفترأ على الله) أي
للافتراء عليه وأفترأوا افتراء عليه (تدضلوا) عن طريق الصواب والرشاد بهذه الأفعال
(وما كانوا مهتدين) الى الحق ولا هم من أهل الاستعداد لذلك قال ابن عباس اذا سرك
ان تعلم جهل العرب فأقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين الآية
أخرج الجباري (وهو الذي أنشأ) أي خلق (جنات) بساتين وهذا تذكير لهم بسيديع
قدرة الله عظيم صنعه (معروشات) من رفوعات مسودات على الاعدة (وغير
معروشات) غير رفوعات عليها رقبيل المعروشات ما انبسط على وجه الارض بما يعرش
مثل الكرم والقرع والبطيخ وغير المعروشات ما قام على ساق مثل النخل والزروع وسائر
الاشجار وقال الضحاك كلامه في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لا يعرش بل
يتقى على وجه الارض منبسطاً وقبل المعروشات ما بنته الناس وغرسوه وغير المعروشات
ما بنت في البراري والجبال من الثمار قال ابن عباس وقال قتادة معروشات بالعبدان
والقصب وغيره معروشات الضاحي وأصل العرش في اللغة شيء مسقف يجعل عليه
الكرم وجعه عروش يقال عرشت الكرم أي عرشته عرشاً وعرشته تعريشاً اذا جعلته
كهيفة السقف وعرش الغنم العريش اذ علاه ركبته (وأنشأ) (النخل والزروع) وهو
جميع الحبوب التي تقتات وتذخر وخصم ما بال ذكر مع دخولهم في الجنات لما فيه من
الفضيلة على سائر ما ينبت في الجنات حال كونه (مختلفاً) (كله) أي كل واحد منهم ما
في الطعم والجلود والريادة والمراد بالكل الماء كقول أي مختلف الماء كقول من كل منهم ما في
الهيئة والطعم قال الزجاج وهذه مسألة مشككة في النحو يعني انصاب مختلف على الحال
لانه يقال قد أنشأوا لم يختلف أكلها فالجواب ان الله سبحانه أنشأها مقدر فيها
الاختلاف وهذه هي الحال المتدرة المشهورة عند النحاة المذكورة في كتب النحو وقال
مختلفاً كما ولم يقل أكلها كما كفاها عاذا قاله كرمي أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة
أولوا وانفضوا اليها والضمير عزله اسم الإشارة أي أكل ذلك (وأنشأ) (الزيتون والرمان)

الله تعالى اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى الآية فلما رفع حرجاً وثلاث النذر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا انه
عيسى فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وان يجربوا ذلك وسلم لهم طوائف من
النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ومع ما عدا من كان في البيت مع المسيح فأنهم شاهدوا رافعه وأما الباقي فأنهم ظنوا بما ظن اليهود
أن المصلوب هو المسيح بن مريم حتى ذكروا ان مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال انه ظاهراً والله أعلم وهذا كله من
امتحان الله عباده لما له في ذلك من الحكمة البالغة وقد وضع الله الامر وجلاوه بينه وأظهر في القرآن العظيم الذي أنزله على

رسوله الكريم المؤيد بالمعجزات والنبات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو أصدق القائلين ورب العالمين الطلع على السرائر
والضماير الذي يعلم السرى في السموات والارض العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه
لهم أى رأوا شبهه فظنوا انه اياه ولهذا قال وان الذين اختلفوا فيه لاني شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن يعني بذلك من ادعى
انه قتل من اليهود ومن سلبه اليهم من جهال انصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر ولهذا قال وما قتلوه قتيلاً أى وما قتلوه
الله اليه وكان الله عز ربنا أى منيع الجناب لا يرام
(٢٢٨) متيقنين انه هو بل شاكين متوهمين بل رفعه

حال كونهما (متشابهاً) ورقهما في المنظر (وغير متشابه) في الطعم وقد تقدم الكلام
على تفسير هذا (كلوا من ثمرة) أى من ثمرة كل واحد منهما ما اوىمن ثمرة ذلك (اذا أثمر) أى اذا
حصل فيه الثمر وان لم يدرك ويبلغ حد الحصاد وهذا أمر اباحة وبه تمسك بعضهم فقال
الامر قد رغب في الوجوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقيل المقصود منه اباحة
الاكل قبل اخراج الواجب وقيل المعنى ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشياء هو الأكل
وقيل ليعلم ان أول وقت الاباحة وقت اطلاق الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك
(أو أوفقه يوم حصاده) أى جذاذه وقطعه قرئ بفتح الحاء وكسر هاء هما العنان في
المصدر كقولهم جذاذ جذاذ وقطاف وقطاف قال سيبويه جاءوا بالمصدر حين أرادوا
انتهاء الزمان على مثال فعال وربما قالوا فافقه فعال يعني ان هذا مصدر خاص دال على
معنى زائد على مطلق المصدر فان المصدر الاصلى انما هو الحصد والحصد ليس فيه دلالة
على انتهاء زمان ولا عدمها بخلاف الحصاد والحصاد قد اختلف أهل العلم هل الآية
محكمة أو منسوخة أو محمولة على الندب فذهب ابن عمر وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير
الى انها محكمة وانه يجب على المالك يوم الحصاد ان يعطي من حضر من المساكين
القضبة والضفت ونحوهما وذهب أنس بن مالك وابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن
والخبي وطاوس وأبو الشعثاء وقتادة والضحاك وابن جريج وجابر بن زيد وسعيد بن
المسيب الى انها منسوخة كآلة واختاره ابن جرير ويؤيده ان هذه الآية مكية وآية
الزكاة مدنية في السنة الثانية بعد الهجرة والى هذا ذهب جمهور أهل العلم من السلف
والخلف قال ابن عباس نسخت الآية كآلة كل صدقة في القرآن وقالت طائفة من العلماء
ان الآية محمولة على الندب لاعلى الوجوب وأخرج ابن المنذر والنحاس وأبو الشيخ وابن
مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية قال
ما سقط من السبل وقال ابن عمر كانوا يعطون من اعتراهم شيئاً سوى الصدقة وعن
مجاهد قال اذا حصرت حفرة المساكين فاطرح لهم من السبل وقال ميون بن
مهران ويزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا التخل يخيئون بالصدق فيضعون فيه
المسكين فيجيب السائل فيضرب بالعصا فيسقط منه فهو قوله أو أحقه يوم حصاده وقال
جاذ بن أبي سليمان في الآية كانوا يطعمون منه رطباً وأخرج أحمد وأبو داود في سننه

جنابه ولا يضام من لاذيابه حكماً
أى في جميع ما يقدره ويقضيه من
الامور التي يختلها وله الحكمة
البالغة والحدة الدامغة والسطوان
العزيز والامر القديم قال ابن أبي
حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا
أبو معاوية عن الأعمش عن المنال
ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما أراد الله ان يرفع
عيسى الى السماء خرج على أصحابه
وفي البيت اثنا عشر رجلاً من
الحواريين يعني فخرج عليهم من
عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال
ان منكم من يكفر في اثني عشر
مرة بعد ان آمن بي قال ثم قال ايكم
بقي عليه شبهى فيقتل مكافئ
ويكون معي في درجتي فقام شاب
من أحدتهم سناً فقال له اجلس ثم
أعاد عليهم فقام ذلك الشاب فقال
اجلس ثم أعاد عليهم فقام الشاب
فقال أنا فقال هو أنت ذاك فالتى
عليه شبه عيسى ورفع عيسى من
روضة في البيت الى السماء قال
وجاء الطلب من اليهود فاخذوا
الشبه وقتلوه ثم صلبوه فكفر به
بعضهم اثني عشر مرة بعد ان

آمن به واقتروا ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهو لاه اليقوية وقالت فرقة كان
فنا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهو لاه النسطورية وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهو لاه
المسلمون فقتلوا الكافرين على المسئلة فقتلوا هاهنا من الاسلام طامس حتى بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا اسنادنا
صحيح الى ابن عباس ويرواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكر غير واحد من السلف انه قال لهم ايكم بقي عليه
شبهى فيقتل مكافئ وهو رفيق في الجنة وقال ابن جرير حدثنا ابن جريح حدثنا يعقوب القمي عن هرون بن عتبة عن وهب بن منبه

قال ائني عيسى ومنعه سبعة عشر من الحوارين في بيت فاطواهم فلما دخلوا عليه صورهم الله عز وجل كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى اولتقتلكنم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صورته الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فثي شبه لهم فظنوا انهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك وهذا ساق غريب جدا قال ابن جرير وقد روي عن وهب بن وهب هذا القول وهو ما حدثني المثنى حدثنا الحق حدثنا اعميل (٢٢٩) عن عبد الكريم حدثني عبد الحميد بن

معمل انه سمع وهبا يقول ان عيسى ابن مريم لما علمه الله انه خارج من الدنيا خرج من الموت وشق عليه فداء الحوارين بين وضع لهم طعاما فقال احضروني الدلة فان لي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الدليل عشاهاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام اخذ يفسل ايديهم ويوضئهم بيده ويمسح ايديهم بنباه فتعاطموا ذلك وتكاثروا فقال آلا من ردة على الليلة شيئا مما صنع فلن مني ولا انا منه فافروا حتى اذا فرغ من ذلك قال انا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغلبت ايديكم بيدي فليكن لكم بي اسوة فانكم ترون ائني خيركم فلا تبغظهم بعضكم على بعض وليبدل بعضكم نفسه لبعض كما بدلت نفسي لكم واما حاجتي الليلة التي استديتكم عليها فادعوني الله لي ويحببوني في الدعاء ان يؤخر اجلي فلما انصوبوا انفسهم للدعاء وارادوا ان يحببوا الله لهم النوم حتى لا يستطيعوا دعاء جعل يوقظهم ويقول سبحان الله اما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني

من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يهر من كل حادي عشرة اوسق من التمر يقنو يعلق في المسجد للمساكين واسناده جيد وقال ابن عباس ايضا نسيها العشر ونصف العشر وعن السدي نحوه وقال الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وعن ابي العالية قال ما كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة وقال علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحده او اطعموا من حضرة زكاة ماسقط من الزرع والتمر وقال سعد بن جبيرة كان هذا احق بائوا ميراخره في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخا بيجاب العشر واختاره الطبري وصححه واختره الاول الواحدي والرازي وقيل المعنى واو احقه الذي وجب يوم حصاد بعد التصفية ثم انهم تبادروا واؤا فوافوا نزل الله (ولا تسرفوا) ائني التصدق باعطاء كاه واصل الاسراف في اللغة الخطا والاسراف في التفقة التذير وقال سفيان ما نفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال السدي معناه لا تعطوا أموالكم وتفقروا فقراء قال الزجاج وعلى هذا الواو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى الله شيئا فقد اسرف لانه قد صنع في الحديث ابدأ بن تقول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تتبعوا الصدقة أي لا تتجاوزوا الحد في الجذل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وعلى هذين القولين المراد بالاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطاء والثاني في الامساك والجذل وقال مقاتل معناه لا تسركوا الاصنام في الحرث والانعام وقال الزهري لا تنفقوا في معصية الله وقال ابن زبد هو خذاب لا لاله يقول لهم لا تأخذوا فوق حقتكم من رب المال وقيل المعنى لا تأخذوا الشيء بغير حقه وتضعوني في غير مستحقه (انه لا يحب المسرفين) اعتراض وفيه رعبه ويزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحب الله فهو من اهل النار وعن ابن جرير قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جد لخلاف قال لا ياتي بي اليوم احدا لا اطعمته فاطم حتى امسى وليس له ثمرة فانزل الله هذه الآية وعن مجاهد قال لو انفق ثمن ابي قيس ذهبا في طاعة الله لم يكن اسرافا ولو انفق صاعا في معصية الله كان اسرافا والسلف في هذا امتالات طويلة (و) انشأ لكم (من الانعام) شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا في شأنها بالتحريم والتحليل (حولة وفرشا) الحولة هي كل ما يحمل عليها واختصت بالابل فيؤى فحولة بمعنى فاعلة والفرش ما يتخذ من البر والدوف والشعر فرباشا يفرشه الناس وقيل الحولة الابل

فيم افتتواوا الله ما ندري ما لنا لقد كنا نسمركم كثر السمر وما نطبق لليلة سمرا وما نريد دعاء الاحيل يمتنا وينه فقال يذهب الراي وتفرق الغنم وجعل ياتي بكلامه وهذا يعني نفسه ثم قال الحق ليكن مني احدثكم قبل ايصح اليك ثلاث مرات ولم يعنى احدثكم بدراهم بسيرة وليا كن غني فخرجوا وتفرقوا وكان اليهم ود تطلبه واخذوا شمعون احدث الحوارين وقالوا هذا من اصحابه فخذ وقال ما انا باصحابه فتر كوه ثم اخذوا آخرون فخذوا كذلك ثم سمع صوت دين فبكى واخرجه فلما اصبح ائني احدث الحوارين الى اليهود فقال ما نحتاجكم على المسح فخذوا لاله ثلاثين درهما فاخذوها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه فاستوثقوا منه وربطوا به الخيل وجعلوا يقودونه ويقولون له انت كنت تحيي الموتى وتنهى الشيطان وتبرئ الجنون ائنا نبي فسل من هذا الخيل

فيصقون عليه ويلقون عليه الشول حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلوه عليها فرفعه الله اليه وصلبوه ماشية لهم فكتب
 سبعان أمه والمرأة التي كان يداوهم عيسى عليه السلام فأرأها الله من الجنون جاء تابكيا حيث المصاب حيث المصاب
 فقال ماتكيا فقلنا عليك فقال اني قد رفعتني الله اليه ولم يصني الاخير وان هذا شبه لهم فأمرني الخوازين بيلقوني الى مكان كذا
 وكذا فلقوه الى ذلك المكان أحد عشر وقلوه الذي كان باعه ودل عليه اليهود فقال له يحيى فقال هو معكم فأنطلقوا فانه سيصبح
 وقتل نفسه فقال لوطا تاب الله عليه (٢٣٠) ثم سأله عن غلام تبعهم فقال له يحيى فقال هو معكم فأنطلقوا فانه سيصبح

والفرش الغنم وقيل هي كل ما جل عليه من الابل والبقر والخيول والبغال والحمير والفرش
 الغنم وهذا اليتيم الاعلى فرض صحة اطلاق اسم الانعام على جميع هذه المذكورات قال
 ابن مسعود الفرش صغار الابل التي لا تتحمل وبه قال ابن عباس وزاد الجولة ما جل عليه
 والفرش ما كل منه قال أبو العالية الفرش الضأن والمغز قبل سمي فرشا لانه يفرش
 للذبح ولا تنقر من الارض لصغره قال الزجاج أجمع أهل اللغة على ان الفرش صغار
 الابل قال أبو زيد يحتمل ان يكون تسمية بالصدر لان الفرش في الاصل مصدر والفرش
 لفظ مشترك بين معان كثيرة منها ما تقدم ومنها استاع البيت والقضاء الواسع واتسع حتى
 المبعرة قليلا والارض المسماة سوات يلتصق بالارض (كلاهما رزقكم الله) من الثمار
 والزرع والانعام وأحلها لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي طرقه وأتبعه آثاره ففعل
 المشركون وأهل الجاهلية من تحرّم ما لم يحرمه الله وتجنّب ما لم ينجس (أنه) أي الشيطان
 (لكم عدو مبين) مظهر للعداوة ومكاشفها ثم بين الجولة والفرش فقال (ثمانيه أزواج)
 اختلف في اتصاف ثمانية على ما ذاق فقال الكسائي بفعل مضمر أي وأنشأ ثمانية أصنافا
 وقال الاخفش سبعه وهو منصوب على السدل من جولة وفرشا وقال الاخفش على هو
 منصوب بلكوا أي كوا الحمة ثمانية وقيل منصوب على انه بدل من ما في عبار رزقكم الله
 والزواج خلاف الفرد يقال زوج وأفرّد كما يقال شفع أو تربع ثمانية افراده ثمانية
 الفرد زوجا في هذه الآية لان كل واحد من الذكرو الانثى زوج بالنسبة الى الآخر ويقع
 لفظ الزوج على الواحد فيقال هما زوج وهو زوج ونقول اشتري زوجي بجملة أي ذكر
 وانثى والحاصل ان الواحد اذا كان منفردا سواء كان ذكرا أو انثى قيل له فرد وان كان
 الذكرا مع انثى من جنسه قيل لهما زوج ولكل واحد منهما ما على انفراد زوج ويقال
 لهما أيضا زوجان ومنه قوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكرو الانثى (من الضأن) أي
 ذوات الصوف من الغنم وهو جمع ضأن ويقال للأنثى ضائفة والجمع ضواثن وقيل هو جمع
 لا واحد وقيل اسم جمع وقيل في جمعه ضنين كعبد وعبيد قال الخاس الاكثر في كلام
 العرب المعز والضأن بالاسكان (اثنين) أي الذكرو الانثى يعني النكس والنجمة (وبين
 المعز اثنين) أي الذكرو الانثى يعني التيس والغزفالتيس للذكرو الغزف للأنثى اذا أنثى عليها
 حول والمعز من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الاشعار والاذناب القصار وهو اسم جنس

كل انسان يحدث بلغه قومية
 فليذكرهم وليدعهم سياق غريب
 جدا ثم قال ابن جرير حدثنا ابن
 جندب حدثنا ثعلبة عن ابن اسحق
 قال كان اسم ملك بني اسرائيل
 الذي بعث الى عيسى ليقتله رجلا
 منهم يقال له داود فلما أجعوا ذلك
 منه لم يقطع عيدين عباد الله بالموت
 فيما ذكرى قطعه ولم يجز عنه منه
 جزعه ولم يدع الله في صرقة عنه
 دعاه حتى انه ليقول فيما يرون
 اللهم ان كنت صار فاحذه الكاس
 عن أحد من خلقك فاصرفها عني
 وحتى ان جلده من كبر ذلك
 ليتقصدهما فدخل المدخل الذي
 أجعوا ان يدخلوا عليه فيه ليقبلاه
 هو وأصحابه وهم ثلاثة بعيسى عليه
 السلام فلما أيقن انهم داخلون
 عليه قال لأصحابه من الخوازين
 وكانوا اثني عشر رجلا (٣) فرطوس
 ويعقوب بن ربا وشمس اخو
 يعقوب واندارايس وفليس وابن
 يلباومنا وقوماس ويعقوب بن
 حلقاباونا وسيدس وقتاباونا ورس
 وكراباونا قال ابن جرير قال سلمة
 قال ابن اسحق وكان فيهم فيما ذكرى

رجل اسمه سرجس وكانوا ثلاثة عشر رجلا سوى عيسى عليه السلام جحدته البصاري وذلك انه هو الذي شبه
 لليهود وكان عيسى قال فلا أدري هو من هؤلاء الاثني عشر وكان ثالث عشر فجحدوه حين أقروا لليهود بصلاب عيسى وكفروا بما جاء
 به محمد صلى الله عليه وسلم من الخبر عنه فان كانوا ثلاثة عشر فاتهم دخلا المدخل حين دخلوا وهم ثلاثة عشر قال ابن اسحق وخدني
 (٣) قوله اثني عشر رجلا فرطوس الخ هكذا في الاصول التي بأيدينا وفيها تحريف والذي نقلناه عن الكتب اليونانية المعول عليها
 نصه هكذا سمعان الملقب بطرس وأنندراوس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وفيلبس وبرناباوس وثوما ومثي العشار
 ويعقوب بن حلفي ولبارس الملقب بتاوس وسمعان القفاوي وهم هذا الاثني عشر لوطي اه كسبه محكيه

رجل كان نصرانيا فاسلم ان عيسى حين جاءه من الله انى رافعه الى قال يا معشر الخواريين اياكم يحب ان يكون رفيقي في الجنة حتى يشبهه للقوم في حوررق فينقلوه في مكانى فقال سرجس انا يا روح الله قال فاجلس في مجلسي فجلس فيه ورفع عيسى عليه السلام فدخلوا عليه فاخذوه فصلبوه فكان هو الذي صلبوه وشبهه لهم به وكانت عدتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة قدرا و هم فاحصوا عدتهم فلما دخلوا عليهم ليأخذوه وجدوا عيسى وأصحابه في بارون وقد ذروا جلاسا للعددة وهو الذي اختلقوا فيه وكانوا يعرفون عيسى حتى دعوا اليه يوسر كرايو بطا ثلاثين درهما على أن يدلهم عليه ويعرفهم (٢٣١) اياه فقال لهم اذادنا ثم عليه فاني سأقبله وهو الذي أقبل غذوه فلما دخلوا

وقد رفع عيسى ورأى سرجس في صورة عيسى فلم يشك انه هو فأكب عليه فقبله فاخذوه فصلبوه ثم ان لبوس ركريا يوطا ند على ماضع فاختنق بمجل حتى قتل نفسه وهو ملعون في النصارى وقد كان من أحد المعدودين من أصحابه وبعض النصارى يزعم انه يوسر ركريا يوطا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول اني لست بصاحبكم انا الذي دلتكم عليه والله أعلم أي ذلك كان وقال ابن جرير عن مجاهد صلبوا رجلا شبه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء حيا واختار ابن جرير ان شبه عيسى التي على جميع أصحابه وقوله تعالى وان من أهل الكتاب الا لؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهدا قال ابن جرير اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان من أهل الكتاب الا لؤمنن به قبل موته يعني قبل موت عيسى بوجه ذلك الى ان جميعهم يصدقون به اذ انزل لقتل الدجال قصير الملل كلها واحدة وهي

لا واحد له من انظفه وواحد العزم ما عزم مثل صاحب وركب وراكب ويحترق وناحر والجمع معزى والاخي ما عزوا اثنين بدل من ثمانية أو واج صرح به أبو البقاء وهو ظاهر قول الزنجشيري والمراد من هذه الآية ان الله سبحانه ينال الانعام وتفاصيلها الى الاقسام المذكورة توفيه الامم ثمان بها على عبادته ودفعها كانت الجاهلية تزعم من تحليل بعضها وتحرى بعض نقولا على الله سبحانه واقراء عليه عن ابن عباس قال الا زواج الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز أخرجه البيهقي وابن جرير وغيرهما وليت شعري ما فائدة نقل هذا الكلام عن ابن عباس من مثل هؤلاء الأئمة فإنه لا يتعلق به فائدة وكون الا زواج الثمانية هي المذكورة هو هكذا في الآية مصرح به تصرحا باللبس فيه قال أبو السعود وهذه الا زواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر أصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرم وهو السرفى الاقتصاري في الامر به في قوله تعالى كوا بما رزقكم الله من غير تعرض للاقتناع بالحل والركوب وغير ذلك مما حرمه في السابعة وأخواتها (قل) يا مجمل حرم ذكورا لانعام تارة واناثها أخرى ونسب ذلك الى الله (آلذ كرين حرم أم الاثنيين) منها (أما شملت عليه ارحام الاثنيين) منها المراد بالذ كرين الكبش والتمس وبالا ثنيين النجعة والعزوا وتصاب الذ كرين بحرم والا ثنيين معطوف عليه منصوب بانه وصيه والهمزة لا انكار والمعنى الاتكاز على المشركين في أمر البقرة وما ذكركمها وقوله ما في بطون هذه الانعام خاصة لذكورنا وحرم على أن زواجنا أي قل لهم ان كل حرم الذكور فكل ذكر حرام وان كان حرم الاناث فكل انثى حرام وان كان حرم ما شملت عليه ارحام الاثنيين يعني من الضأن والمعز فكل مولود حرام ذكر كان أو أنثى وكها هو مولود فليس تازم ان كلها حرام (يشوئي) أي أخبروني (يعلم) لا يجهل عن كيفية تكريم ذلك وفسر والى ما حرمه والمراد من هذا التبكيت لهم والتجيز والزمام الجبل لانه يعلم انه لا علم عندهم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرم ذلك عليهم وهكذا الكلام في قوله (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) هذه اربعة أزواج أخر بقية الثمانية قال الشوكاني وينبغي ان ينظر في وجه تقديم المعز والضأن على الابل والبقر مع كون الابل والبقر أكثر نفعاً وأكبر اجساماً واعود فائدة لاسمها في الجولة والفرش اللذين وقع الابدال منهما على ما هو الوجه الاوضح في اعراب ثمانية (قل)

دله الاسلام الحنفية دين ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن عن سمعان عن أي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وان من أهل الكتاب الا لؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام وقال العوفي عن ابن عباس مثل ذلك قال أبو مالك في قوله الا لؤمنن به قبل موته قال ذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام لا يبق أحد من أهل الكتاب الا آمن به وقال الضحاك عن ابن عباس وان من أهل الكتاب الا لؤمنن به قبل موته يعني اليهود خاصة وقال الحسن البصري يعني النجاشي وأصحابه رواها ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عتبة حدثنا أبو جرياء عن الحسن وان من أهل الكتاب الا لؤمنن به قبل موته قال قبل موت عيسى والله انه لم يبق الا من عبد الله ولكن اذ انزل آمنوا به أجمعون

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن عثمان اللاحي حدثنا جويرية بن بشير قال سمعت رجلاً قال الحسن بأبى سعيد قول الله عز وجل وإن من أهل الكتاب إلا يومئذ به قبل موته قال قبل موت عيسى إن الله رفع اليه عيسى وهو باعته قبل يوم القيامة فما يؤمن به البر والقار وكذا قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان قال ابن جرير وقال آخرون يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا يومئذ بعيسى قبل موت الكافي ذكر من كان يؤمن بذلك إلى أنه إذا عاين علم (٢٢٢).

الباطن في دينه قال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس في الآية قال
لا يعوت يهودى حتى يؤمن يعيسى
حدثني الثني حدثنا أبو حذيفة
حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد في قوله الا يؤمن به قبل موته
كل صاحب كتاب يؤمن يعيسى قبل
موته قبل موت صاحب الكتاب
وقال ابن عباس لو ضربت عنقه لم
تخرج نفسه حتى يؤمن يعيسى
حدثنا ابن جهم حدثنا أبو عذبة يحيى
ابن واضح حدثنا حسين بن واقد
عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن
عباس قال لا يعوت اليه ودى حتى
يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله
ولو جعل عليه بالسلاح حدثني
اسحق بن ابراهيم وخبيب بن الشهيد
حدثنا غياث بن بشير عن خفيف
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
وان من أهل الكتاب الا يؤمن به
قبل موته قال هي في قراءة أبي قبل
موتهم ليس يهودى يموت ابدا حتى
يؤمن يعيسى قيل لان عباس أرايت
ان خرمز فوق بيت قال بكلهم به في
الهدى قيل أرايت ان ضرب عنق
أحدهم قال يلجئهم السانه وكذا

أن يوت وهذا يحتمل أن يكون مراد الحسن مائة قدم عنه ويحتمل أن يكون مراده ما أرادوه ولا قال ابن جرير وقال آخرون معنى ذلك وإن من أهل الكتاب الأيومن بمحمد قبل موت الكتابي ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثنى حدثنا الخياط بن المنهال حدثنا جاهد عن جند قال قال عكرمة لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قوله وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ثم قال ابن جرير وأولى هذه الأقوال الصحة القول الأول وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته أي قبل موت عيسى (٢٣٣) عليه السلام ولا شأن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآي

في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجبهة ذلك فآخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وانما شبه لهم فقتلوا شبه وهم لا يتيقنون ذلك ثم أنه رفعه إليه وأنه باقى وأنه سينزل قبل يوم القيامة كعادته عليه الأحداث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبا فمقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب يقتل الخنزير ويضع الخنزير لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا السلام أو السيف فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال وإن من أهل الكتاب الأيومن به قبل موته أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب ويوم القيامة يكون عليهم شهيد أي بأعمالهم التي شاهدتها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض فإما من فسر هذه الآية بأن

وقال ما خلا هذا فهو حلال وعن الشعبي أتت سئل عن لحم الفيل والاسد قتلا هذه الآية والمعنى أنهم الله سبحانه بأن يجزيهم أنه لا يجحد في شيء مما أوحى إليه محمرا غير هذه المذكورات فدل ذلك على انحصار المحرمات فيها ولا انعاما مكية وقد نزل بعدها بالمدينة سورة المائدة وزيد فيها على هذه المحرمات المختصة والموقوفة والمترتبة والنظيحة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم الجرا الأهلية والكلاب ونحو ذلك وأدناها ما استوفاه في كتب الحديث وبالأجله فهذا العموم أن كان بالنسبة إلى ما يؤكل من الحيوانات كما يدل عليه السياق وبقيده الاستثناء فمضمم إليه كل ما ورد بعده في الكتاب أو السنة مما يدل على تحريم شيء من الحيوانات وإن كان هذا العموم هو بالنسبة إلى كل شيء محرمة الله من حيوان وغيره فإنه يضم إليه كل ما ورد بعده مما فيه تحريم شيء من الأشياء وقد روى عن ابن عباس وابن عمر وعائشة أنه لا حرام إلا ما ذكره الله في هذه الآية وروى ذلك عن مالك وهو قول سافط ومذهب في غاية الضعف لا يستلزامه لا هاتل غيرهما مترا بل بعدها من القرآن وأعمال ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قاله بعد نزول هذه الآية بلا عيب يقتضي ذلك ولا موجب بوجبه أخرج البخاري وأبو داود وابن المنذر عن عمرو بن دينار قال قلت لجابر بن زبنا أنهم يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهي عن لحوم الجرا الأهلية زمن خيبر فقال قد كان يقول ذلك الحكم بن عمرو الغفاري عندنا بالبصرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن إني ذلك الجرا ابن عباس وقرأ لا أحد الآية وأقول وإن أبي ذلك الجرا ابن عباس فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله عليه وآله وسلم قال يقول صحابي في مقابلة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سوء الاختيار وعدم الانصاف (الآن) منقطع قاله المكي والسوطي وظاهر كلام الزمخشري أنه متصل واليه نحو السمين (أن يكون) ذلك الشيء الحرم وذلك الطعام والعين والجنحة والنفس (ميتة) وقرئ يكون النكحة والغنوقية وميتة بالرفع على أن كان تامة والمراد الميتة هنا مامات بنفسه لأجل عطف قوله أو فسقا فإنه من أفراد الميتة شرعا وأخرج أحد البخاري والنسائي وابن أبي جاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن شاة لسوقة بنت زعسة ماتت فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعني الشاة فقال فاولا أخذتم مسكها قالت يا رسول الله أناخذ

(٣٠ - فتح البيان) ثالث المعنى أن كل كافي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما السلام فهذا هو الواقع وذلك أن كل أحد عند انخساره ينبغي له ما كان جاهلا به فيؤمن به ولو كان لا يكون ذلك إيمانا نافعا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة ولست أتوب إليكم نعم لأن السيات حتى إذا خسر أحدكم الموت قال إني نلت الآن الآية وقال تعالى فلأرأى أناسا قالوا آمنا بالله وحده الآية ثم وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالسبح من كفر بها لكان على دينهما وحجتنا لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه لأنه قد أخبر الصادق

انه يؤمن به قبل موته فهذا ليس بجديد الا يلزم من ايمانه في حاله لا يتغير ايمانه انه يصبر بذلك مسلماً الا ترى قول ابن عباس ولوردي
من شأق أو ضرب بالسيف أو أقرت سبع فانه لا بد ان يؤمن بعيسى فالإيمان به في هذه الحال ليس بتأخير ولا ينقل صاحبه عن كفره
لما قدمناه والله أعلم ومن تأمل هذا جيداً أو أمعن النظر انضح له انه هو الواقع لكن لا يلزم منه ان يكون المراد بهذه الآية هذا
بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء وأنه سينزل الى الارض قبل يوم القيامة ليكذب
هؤلاء هؤلاء من اليهود والنصارى الذين (٢٣٤) تابنت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت

عن الحق ففطر هؤلاء اليهود وأفطر
هؤلاء النصارى تنقصه اليهود
بما زعموه وأمه من العظام وأطراه
النصارى بحجج ادعوا فيه مالم يس
فيه فرفعه في مقابله أو لئلا عن
مقام النبوة الى مقام الربوبية
تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء
علواً كبيراً ونزهة وتقدس لا اله الا
هو ذكر الاحداث الواردة في نزول
عيسى بن مريم الى الارض من السماء
في آخر الزمان قبل يوم القيامة وأنه
يدعوا الى عبادة الله وحده لا شريك
له قال النصارى رجع الله في كتاب
ذكر الانبياء من صحفهم
المسلق بالقبول نزول عيسى بن
مريم عليه السلام حدثنا السحق
ابن ابراهيم حدثنا يعقوب بن
ابراهيم عن أبي صالح عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن
ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى
لا يقبله أحد حتى يكون السجدة
خير اليه من الدنيا وما فيها ثم يقول

مسك شاة قد ماتت فقرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل لا أعبد الاية وأنتم
لا تطعمونه وانما تدبغونه حتى تستنقعوها به الحديث ومثل هذا حديث شاة ميمونة ومثله
حديث انما حرم من الميتة أكلها وهما في الصحيح (أود ما مسقوفاً) أي جاري سائلاً لا مصبوراً
وغير المسقوف معقوف عنه كالم الذي يبق في العروق بعد الذبح ومنه التكيد والطحال
وهكذا ما يتلخس به اللحم من الدم وقد حكي القراطي الاجماع على هذا والسفح الصب وقيل
السميلان وهو قرييب من الاول وسفح يستعمل قاصراً أو متعبداً يقال سفح زيد معه
ودمه أي اهرقه وسفح هو الان الفرق بين ما وقع باختلاف المصدر في المتعدي يقال
سفح وفي اللازم يقال سفوح ومن المتعدي قوله تعالى أود ما مسقوفاً انهم المتعدي
النام لا يبي الامن متعدي من اللازم ما أنشد أبو عبيدة لكثير عزة
أقول ودعني واكف عند رسمها * عليك سلام الله والدمع بسفح
قال ابن عباس مسقوفاً أي مرفقاً كان أهل الجاهلية اذا نجحوا أو دبحوا الدابة وأخذوا
الدم فأكوه قال هودم مسقوف ومسقوف على قراءة العامة معطوف على ميتة وقيل
معطوف على المستنق وهو ان يكون (أو لحم خنزير) ظاهر تخصص اللحم انه لا يحرم
الاتضاع منه جماعداً اللحم والضمير في (فانه) راجع الى الخنزير ولحم لانه المحدث عنه
وان كان غيره من باقي اجزائه أو لى بالخرم فلذلك خص اللحم بالذكر لكونه معظم
المقصود من الحيوان فغيره أولى (رجس) أي نجس وقد تقدم تحقيقه (أو فسقا) عطف
على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمة (اهل لغير الله به) صفة فسقا أي ذبح على
الاصنام ورفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسعى فسقا توغله في باب الفسق وقيل
يجوز ان يكون فسقا مفعولاً لاهل أي أهل به لغير الله فسقا على عطف أهل على يكون
وهو تكلف لا حاجة اليه وقيل ذافسق أي عصية فهدا من قبل المبالغة على حد زبد عدل
وفي زاده جعل العين المحرمة عين الفسق مبالغة في كون تناولها فسقا وقيل انه منصوب
عطفاً على محل المستنق أي الان يكون ميتة أو الافسقا (فن اضطر) أي فن أصابته
ضرورة داعية الى كل شيء مما ذكر حال كونه (غير باغ) على مضطر آخر مثله تارك لوائسائه
أو على المسلمين (ولاعاد) مجبوراً وقد راجعته من تناوله وعليهم بقطع الطريق (فان ربك
غفور رحيم) أي كثيراً المغفرة والرحمة فلا يؤاخذ المضطر بما دعت اليه ضرورة وقد تقدم

أبو هريرة أقر وأثبتهم وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً وكذا تفسيره
رواه مسلم عن الحسن الخوافي وعبد بن حميد كلاهما عن يعقوب وهو آخرجه البخاري ومسلم أيضاً عن حديث سفيان بن عيينة عن
الزهري وهو آخرجه من طريق الليث عن الزهري وهو رواه ابن مردويه عن طريق محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن سعيد بن
المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ويقتل الخنزير
ويكسر الصليب ويضع الجزية ويفيض المال وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين قال أبو هريرة أقر وأثبتهم وان من أهل

الكتاب اليوم من قبل موته موت عيسى بن مريم بعد ما أبوه رة ثلاث مرات طريق أخرى عن أبي هريرة قال قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا محمد بن أبي حفصة عن الزهري عن حنظلة بن علي الاسلمي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كان عيسى بن مريم ينفخ الروح على المصلح أو العسرة أو ينبت ما يجعوا وكذا رواه مسلم منفردا به من حديث سفيان بن عيينة والليث بن سعد وبنس بن يزيد بن نخلانهم عن الزهري به وقال أحمد حدثنا يزيد بن حسان سفيان بن عيينة عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن (٢٣٥) مريم فيقتل الخنزير ويغيب الصليب ويجمع له الصلوة ويعطى المال حتى لا يقبل

ونضع الخراج وينزل الرواح فيجبع منها أو يعقرا ويجمعهما قال ورواه أبو هريرة عن ابن مسعود عن أبي هريرة قال قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن حسان سفيان بن عيينة عن الزهري عن حنظلة عن أبي هريرة قال أباه رة قال أبو هريرة قال أباه رة قبل موت عيسى فلا أدري هذا كله حديث النبي صلى الله عليه وسلم أو شيء قاله أبو هريرة وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى محمد بن المثنى عن يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري به طريق أخرى قال البخاري حدثنا أبو بكر حدثنا الليث عن بنس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصاري أن أباه رة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم اذا نزل فيكم المسيح بن مريم وامامكم منكم تابعه عقل والا وراعي وهكذا رواه الامام أحمد عن عبد الرزاق عن معمر بن عوفان ابن عمر عن ابن أبي ذئب كلاهما عن الزهري به وآخرجه مسلم بن رواة بنس والاوزاعي وابن أبي ذئب به (طريق أخرى) قال الامام أحمد حدثنا عوفان حدثنا همام بن أبي قتادة عن عبد

نفسه في البقرة فلا نعيده (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) قدم الظرف على الفعل للدلالة على ان هذا التحريم يخصهم لا يجاوزهم الى غيرهم وهم اليهود وكذا ما حرمه عليهم عقيب ذلك ما حرم على المسلمين والظفر واحد الاظفار ويجمع أيضا على أظفار ورواد الفراء في جمع ظفر وأظفار ورواد الظفر ما له اصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الحافر والخف والمخبط فينال الابل والبقرة والغنم والنعامة والاوز والبط وكل ما له مخبط من الطيور وحافر من الدواب وتسمية الحافر والخف ظفرا مجاز والاولى جل الظفر على ما صدق عليه اسم الظفر في لغة العرب لان هذا التعميم بأياه ماسي من قوله ومن البقرة والغنم فان كان في لغة العرب بحيث يقال على البقرة والغنم كان ذكرهما من بعد تخصصهما آخر حرم الله ذلك عليهم عقوبة لهم على ما وقعوا فيه من الظلم كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم عن ابن عباس قال هو الذي ليس بمفترج الاصابيع من البهائم والطير يعني مشقوقها كالبعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقال مجاهد هو كل شيء لم يفرج قوائمه من البهائم وما انفرج أكلته اليهود قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير في هودنا كله ولم تنفج خف البعير ولا النعامة ولا قائمة الوز شفة فلان أكلها اليهود ولا تأكل جوار الحوش وفي الظفر لغات خمس ذكرها السمين أعلاها بضم الظاء والقائه وهو قرارة الامة (ومن البقرة والغنم حرمنا عليهم شحومها) لا غير هذه المذكورات كدها والشحوم يدخل فيها الترويض وشحم الكلبة وقيل الترويض جمع ترويض وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش والامعاء كافي القاموس والمراد بها شحم الكرش فقط كما فسره القرطبي ولا يراد ما على الامعاء وتفسيره بجمع على الامعاء نظر المعناها اللغوية (الاما حلت ظهورهما) أي ما على الظهور والجنب من داخل بطونهما من الشحم استثنى الله سبحانه من الشحوم هذا الشحم فانه لم يحرمه عليهم وقال السدي وأوصالح الالبه حلت ظهورهما وهذا المختص بالغنم لان البقر ليس لها آلية (أو) حلت (الحواشي) أي الامعاء وهي المباحرة التي يجمع فيها البعير جلت هذه من الشحم غير حرام عليهم به قال جهم والمفسرين وهو قول ابن عباس ورواه حواشي بمنزلة ضارب بوضواري وقيل واحدها حواشي بمنزلة ضارب وقيل حواشي بواضع وقيل حواشي بكسبة وسفنا قال الفارسي يصح أن يكون جمعا لكل من الثلاثة وقال أبو عبيدة

الرجن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الانبياء اخوة العلات أهمهم شتى ودينهم واحد وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لانهم يكن نبى وبنى وبينه والله نازل فأذا رأيتوه فاعرفوه رجل مربوع الى الجرة والياض عليه ثوبان محصران كان رأسه يقطر وان لم يصبه بل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الامانة على الارض حتى ترتفع الاسود مع الابل والنعامة مع البقرة والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضربهم فيكث أربعين ثم يوفى ويصلى عليه المسلمون وكذا رواه أبو داود عن هدي بن خالد عن همام بن يحيى ورواه ابن جرير

ولم يورد عند هذا الآية سواء عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هرون عن سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم وخو مولى أم بر بن صاحب السقاية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قد كرهوه وقال يقاتل الناس على الاسلام وقد روى البخاري عن أبي الياس عن شعيب عن الزهري عن أبي سلة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا أولى الناس بعيسى بن مريم والأنبياء وأولاد علات ليس بيني وبينه شيء ثم واه محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي عمرة عن عيسى بن مريم في الدنيا والآخرة

(٢٢٦)

الحوايا ما تحوى من البطن أى استداروهى متحوية أى مستديرة قيل الحوايا خناثر اللبن وهى تتصل بالمباخر وقيل الامعاء التى عليها الشحوم (أو ما اختلطت بغيره) فانه غير محرم قال الكاشى والقرائى ونعاب معطوف على ما فى ماجلت وقيل على الشحوم ولا وجه لهذا التكليف ولا موجب له لانه يمكن المعنى ان الله حرم عليهم احدى هذه المذكورات والمراد بما اختلط ما لصق بالعظام من الشحوم فى جميع مواضع الحيوان من الخبث والرأس والعين ومنه الآية فانه لا يصقة يعجب الذنب عن ابن عباس قال ما اختلط من شحم الآية بالعصعص فهو حلال وكل شحم القوائم والخبث والرأس والعين والأذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم انما حرم عليهم الثرب وشحم الكلية (ذلك) الحريم المدلول عليه بغيره ما قيل الاشارة الى الجزء المدلول عليه بقوله (جزئناهم) وهو تحريم ما حرم الله عليهم (بغيرهم) أى بسبب بغيرهم وظالمهم بما سقى في سورة النساء من قوله فيما ينقصهم من ناقهم وكرهم أيات الله الى ان قال فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات كانوا أكلوا تركبوا معصية من هذه المعاصى عوقبوا بغير شيء مما أحلهم وهم يشكرون ذلك ويدعون انهم لم يزل محرمه على الامم قبلهم (وأننا لصادقون) فى كل ما نخبر به ومن جله ذلك هذا الخبر وهو موجود عندهم فى التوراة ونصها حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وكل دابة ليست مشقوقه الحافر وكل حوت ليس فيه شقاق أى يابض انتهى (فان كذبوا) أى اليهود فيما وصفت من تحريم الله عليهم تلك الاشياء وقيل الضمير يعود الى المشركين الذين قسموا الانعام الى ثلاث الاقسام وحلوا بعضها وحرموا بعضها (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) للطبعين ومن رحمته حله عنكم وعدم معاجلته لكم بالعقوبة فى الدنيا فلا تعتزوا بذلك فانه اسهل لاهمال وفيه أيضا تطفن بدعائهم الى الايمان وهو وان أمهلهم ورحمكم فانه (لا يرد بأسه) أى عذابه ونقمته (عن القوم المجرمين) اذا أنزل بهم واستحقوا المعاجلة بالعقوبة وقيل المراد لا يرد بأسه الا سورة الاولى أولى فانه سبحانه قد عاجلهم بعقوبات منها تحريم الطيبات عليهم فى الدنيا والمجرمون هم اليهود أو الكفار وانما قال ذلك تفهيم للاعتبار بسعة رحته فى الاجرة على معصيته وثلا يغتروا برجاء رحته عن خوف نقمته وذلك ما بلغ فى التهديد (سيعقوب الذين أشركوا) أخبر الله عن المشركين انهم سيعقوبون هذه المقالة وقد وقع مقتضاها كما حكى عنهم

عيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة الأنبياء اخوة العلات أمهاتهم شئى ودينهم واحد وقال ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عيسى عن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال مسلم فى صحيحه حديث زهير بن حرب حدثنا يعلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق أو يذابن فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقالتهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم فيمزم ثم لا يوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله وينتخ الثلث لا يقتلون أبدا فيفتنون قسطنطينية فيمنعهم يقسمون الغنائم قد علموا سيوفهم بالزيون انصاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلقكم فى أحلكم

غير محزون وذلك باطل فاذا جاء الشام خرج فيمنعهم بعدون القتال يسوون الصفوف اذا قيت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فى مؤتهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح فى الماء فلو تركه ذاب حتى يهلك ولكن يقته الله يده فيه يوم دمى حربه حديث آخر قال أحمد حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن سائر بن عفرارة عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انقبت ليله أسرى ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فذا أكرأهم الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بهافردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بهافردوا أمرهم الى عيسى فقال لا علم بهافردوا أمرا فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الى ربي

عز وجل ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا راى ذاب كما يذوب الرصاص قال فيه لعله اذا راى حتى ان الخمر والشجر يقول يا مسلم ان حتى كافرا فتعال فاقتله قال فيه لعلهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم ووطانهم فعند ذلك يخرج باجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطون بلادهم فلا يأتون على شيء الا اهلكوه ولا يرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس بشكونهم فادعوا الله عليهم فيه لعلهم ويمتسهم حتى تجوى الارض من تنزيمهم وينزل الله المطر فيجترق اجسادهم حتى يقدفهم في البحر ففياهم الى رب عز وجل ان ذلك اذا كان ذلك ان الساعة كالخامل (٢٣٧)

في سورة النحل بقوله تعالى وقال الذين اشر كوا لولاء الله ما عبدنا الخ وهم كفار قرش او جميع المشركين يريدون انه (لواء الله) عدم شركهم وعدم تحريمهم (ما اشر كوا لولاء الله) ولا حرمنا من شيء) أي ما اشر كواهم ولا آناهم ولا حرموا شيئا من الانعام كالخبيزة ونحوها وظنوا ان هذا القول يخصهم عن اخوة التي اشر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان ما فعلوه حق ولم يكن حقا لا لرسول الله الى آباؤهم الذين ماؤا على الشرك وعلى تحريم ما يحرمه الله رسلا يأمر ونهيهم بترك الشرك وبترك التحريم ما يحرمه الله والتحليل ما لم يحله (كذلك) أي مثل ما كذب هؤلاء كذب الذين من قبلهم من كفار الامم الخالصة ومن المشركين انبياء الله (حتى ذاقوا بائسا) أي اسقروا على التكذيب حتى ذاقوا عذابا الذي اشرناهم وقد عسكر القدرة والمعرفة بهذه الآية ولا دليل لهم في ذلك على مذهب الجبر والاعتزال لان امر الله بعزل عن مشيئته وادائه ولا يلزم من ثبوت المشيئة دفع دعوة الانبياء عليهم السلام (قل هل عندكم من علم) امر الله ان يقول لهم هل عندكم دليل صحيح يبعدن العلم النافع وحقه وكذب يوجب اليقين بان الله راض بذلك (فتخبروه لنا) ننظر فيه وتبذره والمقصود من هذا التبكيت لهم لانه قد علم انه لا علم عندهم يصلح للجدو يقوم به البرهان ثم اوضح لهم انهم ليسوا على شيء من العلم فقال (ان تبوءوا الظن) الذي هو محل الخطا وكن الجهل (وان اتمم الاخرصون) أي توهون مجرد توهيم فقط كما توهيم الخارص وتقولون على الله الباطل وقد سبق تحقيقه (قل فله الخجة البالغة) على الناس أي التي تقطع عندها معاذيرهم وتبطل شبههم وظنونهم وتوهماتهم والمرداه بالكتب المنزل والرسال المرسل وما جاؤوا به من المعجزات قال الربيع بن أنس لاجحة لاحد عصى الله وأشرك به على الله بل لاجحة التامسة على عباده وقال عكرمة اخبة السلطان (قافوا شاء) هدايتكم جميعا الى اخبة البالغة (هكذا تم أجعبي) ولكنكم لم يشأ ذلك ومثله قوله تعالى ولو شاء الله ما اشر كوا وما كانوا اليؤمنوا الا ان يشاء الله ومثله كثير فالمتفق في الخارص مشيئة هداية الكل والافقه هدى بعضهم وعن ابن عباس انه قيل له ان ناسا يقولون ليس الشرك بقدر فقال ابن عباس بينا وبين أهل القدر هذه الآية والعجز والكيس من القدر وقال علي بن زيد انقطع حجة القدرية عنده هذه الآية قل فله الخجة الى قوله أجعبي (قل هل شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم

أشهر ارا واه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هرون عن العوام ابن حوشب به نحوه حديث آخر قال الامام أحمد حشد ثنائين يزيد بن هرون حشد ثنائين سلمة بن علي ابن زيد عن أبي نصره قال أئتينا عثمان بن أبي العاص في يوم الجمعة لعرض عليه مصحفنا على مصحفه فلما حضرت الجمعة أمرنا فاعطسنا ثم أتانا طبيب فقطبنا ثم جئنا المسجد فجلسنا الى رجل فحدثنا عن الدجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا اليه فجلسنا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون للمسلمين ثلاثة أمصار مصر بلقي البحرين ومصر بالحيرة ومصر بالشام ففرع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في اعراض الناس فيهرم من قبل المشرق فالوم مصر يرده المصير الذي علمت في البحرين فيصير أهلها ثلاث فرق فرقة تقول تقسيم نسامه فننظر ما هو وفرقة تلقى بالاعراب وفرقة تلقى بالمصر الذي يلهم ومع الدجال سبعون الفا عليهم النجبان وأكثر من معه اليهود والنساء يختار المسلمون الى

عقبة أتفق فيبعثون سر حالهم فيصاب سرهم فيشتد ذلك عليهم ويصعبهم جماعة شديدة وجهه شديد حتى ان أحدهم الجرح وتر قوسه فيا كاه فيبغضهم كذلك اذا نادى مناد من البحر يا أيها الناس أياكم الغوث ثلاثا فيقول بعضهم لبعض ان هذا الصوت رجل شبعان وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الغدير فيقول له أمرهم يا روح الله تقدم صل فيقول هذه الامة امرأ ابغضهم على بعض فيقدم أمرهم فيصلي حتى اذا قضى صلاته أخذ عيسى حبيته فيذهب نحو الدجال فاذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضج حبيته بين يديه فيقتله ويحزم أصحابه فليس يومئذ شيء يورى منهم أحد حتى ان الشيعة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الخمر

يا مؤمن هذا كفر تشريده اجتمع من هذا الوجه حديث آخر قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه حدثنا علي بن محمد حدثنا
عبد الرحمن الحارثي عن اسمعيل بن زافع عن أبي زرعة البجلي يحيى بن أبي غرور عن أبي امامة الداهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان أكثر خطبته حسداً فاحذروا فحذرناه فكان من قوله ان قال لم تكن قسمة في الارض منذ ذرأ الله
ذرية آدم عليه السلام أعظم من قسمة الدجال وان الله لم يبعث نبياً الا حذراً منه الجبال وانما آخر الانبياء وأتم آخر الامم وهو خارج
فيكم لاجل الدجال فان يخرج وانما ينظر انيكم (٢٣٨) فانما يخرج كل مسلم وان يخرج من بعدى فكل خير لنفسه وان الله

خليفة على كل مسلم ولا يخرج
من خله بين الشام والعراق فيعيش
بيننا ويعيش شمالاً لا باعداً الله
أيها الناس فاثبتوا والله سأصفاه لكم
صفاة لم يصفاها يا بني قبل ان يبدأ
فيقول أنا نبي فلا نبي بعدى ثم نفي
فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى
تتولوا والله أعور وان ربكم عز وجل
ليس بأعور والله مكتوب بين عينيه
كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير
كاتب وان من فتنته ان معه جنه
ونارا فان ربه وجننه نارن ابلى
بناره فليس تغيب الله وليقرأوا فتح
الكهف فتكون عليه بردا وسلاما
كما كانت النار بردا وسلاما على
ابراهيم وان من فتنته ان يقول
لا عراني أرايت ان بعثت لك أمك
وأباك اتهم سدائي ربك فيقول نعم
فتمتلل له شيطان في صورة أبيه
وأمه فيقول ان يا بني اتبعه فانه
ربك وان من فتنته ان يسلب على
نفس واحدة فينشرها بالمشار
حتى يلقى شقين ثم يقول انظر
الى عبدى هذا فاني أبعثه الا ان
ثم يزعم ان الربا غيري فيبعثه الله
فيقول له الحديث من ربك فيقول

هذا أمره الله سبحانه ان يقول لهؤلاء المشركين ها توهموا وحضروهم قال السدي
أروني شهداءكم وهل اسم فعل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجوع عند
أهل الحجاز وأهل نجد يقولون هلمنا على هلموا فينطقون به كما ينطقون بغير الافعال
وبلغة أهل الحجاز نزل القرآن ومنه قوله تعالى والقائلين لا تخافنا هم علم النوا والاصل عند
الخليل هاضمت الهاء وقال غيره أصلها هل زيدت عليه الميم وفي كتاب العين التليل ان
أصلها هل أو لم أي هل أقصدك ثم كثرت استعمالهم لها وهذا أيضا من باب التكبكيت لهم
حيث يأمرهم باحضار الشهود على ان الله حرم تلك الاشياء على عباده لا شهم ودلهم لتلزمهم
الحجة ونظهر ضلالهم والله لا تمسك لهم سوى تقليد هم ولذلك قيد الشهاد اما لاضافة اليهم
الله على انهم شهداء معروفيون بالشهادة لهم وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم (فان
شهدوا) لهم بغية علم بل مجازفة وتعبا (فلا تشهد معهم) أي فلا تصدقهم ولم تسلم لهم
(ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بايتنا) فانهم رؤس المكذبين بها (ولا تتبع أهواء الذين
لا يؤمنون بالآخرة) وهم برهم بعدلون أي يجعولون له عدلا من مخلوقاته كالاناث
ويشركون (قل تعالوا) أي تقدموا قال ابن السكيت ان المأمور بالتقدم في أصل وضع
هذا الفعل كانه كان قاعدا فقل له تعال أي ارفع شخصك بالقيام وتقدم واتسعوا فيه
حتى جعلوا له لواقف والمشي وهكذا قال الزمخشري في الكشاف انهم انما
الذي صار عاموا أصله ان يقوله من كان في مكان عال بل هو أسفل منه ثم كثرت اتسع فيه حتى
عم (أقول ما حرم ربكم) أتمل جواب الامر ومما موصولة في محل نصب به والمراد من تلاوة
ما حرم الله تلاوة الآيات المشتملة عليه ويجوز ان يكون ما مصدرية أي أتمل تحريم ربكم
والمعنى ما شتم على التحريم قيل ويجوز ان تكون ما استفهامية أي أتمل أي شئ يحرم
ربكم على جعل التلاوة بمعنى القول وهو ضعيف جدا (عليكم) ان تعلق بأتمل فالعنى
أتمل عليكم الذي حرم ربكم وهو اختيار الكوفيين وان تعلق ببحر فالعنى أتمل الذي حرم
ربكم عليكم وهو اختيار البصريين وهذا أولى لان المقام مقام بيان ما هو محرم عليهم
لامقام بيان ما هو محرم مطلقا (ان لا تشر كواهبا) ان مفسر دفع الالف المعلقة
حرم ولا ناهية وهذا وجه ظاهر لا موزع من جملته ان في اخراج المفسر على صورة التي
مبالغة في بيان التحريم وهو اختيار الفراء وقيل ان ناهية ومحلها نصب بعليكم على انه

اللاغر
ربي الله وأنت عدو الله الدجال والله ما كنت بعدا بشدة بصيرة بك متى اليوم قال أبو الحسن الطنطا في حديثنا
الحارثي حدثنا عبد الله بن الوليد الرضاقي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمي
درجته في الجنة قال قال أبو سعيد والله ما كثرتي ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله ثم قال الحارثي رجعت الى حديث
أبي رافع قال وان من فتنته ان يأمر السماء ان تعطر فتعطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبونه فلا
يبقى لهم ساعة الا هلك وان من فتنته ان يمر بالحي فيصدقه فيا من السماء ان تعطر فتعطر ويأمر الارض ان تنبت فتنبت حتى

فروح مواشهم من يومهم ذلك آمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصه وأدروهم وعاوناه لا يبق شي من الأرض الا وطئته وظهر
عليه الامكة والمدينة فانه لا يأتها من قنب من نقيام الا لقصة الملائكة بالسيف صلته حتى ينزل عند الضرب الاجر عند منقطع
الشفعة فترجف المدينه عليها ثلاث رجفات فلا يبقى منافي ولا منافقة الا خرج اليه فينقي الخبث منها كما ينقي الكبر خبث الحديد
ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي الفكر يا رسول الله فإين العرب يومئذ قال هم قليل وجعلهم يومئذ يبيت
القدس وامامهم رجل صالح قد تقدم يصل بهم الصبح اذنزل عيسى بن (٢٣٩) مريم عليه السلام فرجع ذلك الامام عيسى

القهقري ليقدم عيسى عليه
السلام فيضع يده عيسى بين كتفيه
ثم يقول تقدم فصل فانها لك قيمت
فيصلي بهم امامهم فاذا انصرف قال
عيسى افعلوا الباب مفتوح ووراه
الدجال معه سبعون ألف يهودي
كلهم ذوسيف محلي وتاج فاذا
نظر اليه الدجال ذاب كما يذوب الملح
في الماء وينطق هاريا فيقول عيسى
ان لي فيك ضربة ان تسبقني بها
فسيذكره عند باب الدار فيقتله
ويهمز الله اليهود فلا يبقى شي مما
خلق الله يتوارى به يهودي الا انطق
الله ذلك الشيء لا حصر ولا شجر ولا
حائط ولا دابة الا الغرقه فانها من
شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله
المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان
ايامه أربعون سنة ~~ك~~ نصف
السنة والسنة كالشهر والشهر
~~ك~~ الجمعة وآخر ايامه كالشجرة
يصبح أحدكم على باب المدينة فلا
يلعبها الا اخر حتى عسى فقبل له
كيف نصلي يا بني الله في تلك الايام
القصار قال تقدرون الصلاة كما
تقدرون في هذه الايام الطوال ثم

لأغراء وقيل النصب على البدل مسموح والمعنى على الأغراء الزواني الاشرار
وعنده وهذا وان كان ذكره جماعة كقوله ابن الانباري ضعيف لتفكيك التركيب عن
ظاهره ولانه لا يتبادر الى الذهن وقيل استقديره لا تنسركوا وهذا منقول عن أبي اسحق
وقيل تقديره أو يصيكم ان لا تنسركوا وهو أيضا مذهب أبي اسحق وقيل ان في محل رفع اى
المحرم ان لا تنسركوا وهذا يحوج الى زيادة لا لئلا يفسد المعنى وقيل تقديره عليكم عدم
الاشراك وهو مذهب أبي بكر بن الانباري وقيل استقر عليكم عدم الاشراك وهو
ظاهر قول ابن الانباري فداخرج الترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني
وأبو الشيخ وابن مردويه عن عباد بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ايكم يا بني على هؤلاء الآيات الثلاث ثم تلا قل تعالوا الى ثلاث آيات ثم قال فن وفيهن
فأجره على الله ومن اتقن منهن شيئا فأدركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن أخره الى
الآخرة كان أمره الى الله ان شاء أخذوه وان شاء عاقبهم وأخرج ابن أبي شيبة وابن
الضريس وابن المنذر عن كعب الاحبار قال أول ما أنزل في التوراة عشر آيات وهي العشر
التي أنزلت من آخر الانعام قل تعالوا الى آخرها وأخرج أبو الشيخ عن عبد الله بن عبد الله
ابن عدي بن اخبار قال سمع كعب بن جحلا يقرأ قل تعالوا الخ فقال كعب والذي نفس كعب
بيده انهم الاول آية في التوراة قسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أنزل ما حرم بكم عليكم اى
آخر الآيات انتهى قلت هي الوصايا العشر التي في التوراة أولها أنا الرب الهك الذي
أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك اله غيري ومنها أكرم أبك وأمك
ليطول عمرك في الأرض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشبه على
قريبك شهادة وزلا تشبه بنت قريبك ولا تشبه امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره
ولا جارد ولا شاة ما القريبك فلعن من اد كعب الاحبار هذا ولا يهود هذه الوصايا عناية
عظيمة وقد كتبها أهل الزبور في آخر زبورهم وأهل الانجيل في أول انجيلهم وهي مكتوبة في
لوحين وقد تركها ما يتعلق بالسبب قال أبو السعدي وهذه الاحكام العشرة لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار (و) أحسنوا (بالوالدين احسانا) هو البر بما وامتثال أمرها
ونهيها وقد تقدم الكلام على هذا ولما كان ايجاب الاحسان تحريم تركه الاحسان
ذكر في المحرمات وكذا احكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا اولادكم) لما ذكر في الوالدين

صلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى بن مريم امتي حكا عدلا وامام قسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع
الجزية وينزل الصدقة فلا يسي على شاة ولا يعبر ورتفع الشحانم والتباغض وتترجح كل ذات حتى يدخل الوليد يده في الحية
فلا تضره ويقرب الوليد من الاسد فلا يضره ويكون الذئب في الغنم كاهه كلها وبعث الله الارض من السلم كما يعلو الانعام من الماء وتكون
الكلمة واحدة فلا يعبد الا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريب ملكها وتكون الارض لها نور الفضة وتنبت نباتها كعهد
آدم حتى يجتمع النهر على القطف من الغيب فيشبعهم ويجتمع النهر على الرماة فيشبعهم ويكون النور يكاد وكذا من المال ويكون

الفرس بالدرهم مات قبل يارسل الله وما يخص الفرس قال لا تركب حرب أبدا قيل له فما يعلى الثور فال ثور الأرض كلها وإن
 قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شدادا يصيب الناس فهاجوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها
 ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها يأمر الله السماء في السنة الثانية فتحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها يأمر
 الله عز وجل السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تنطر قطرة ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضرا ولا
 تبقى ذات ظلف إلا ملكك إلا ما شاء الله قبل (٢٤٠) فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد

يجرى ذلك عليهم مجرى الطعام
 قال ابن ماجه سمعت أبا الحسن
 الطنafsي يقول سمعت عبد الرحمن
 المحاربى يقول ينبغي أن يرفع هذا
 الحديث الى المؤدب حتى يعلمه
 الصبان في الكتاب هذا حديث
 غريب جدا من هذا الوجه وبعضه
 شواهد من أحاديث أخرى ولذا ذكر
 حديث النواس بن سمعان ههنا
 لشبهه بهذا الحديث قال مسلم في
 صحيحه حدثنا أبو خزيمة زهير بن
 حرب حدثنا الوليد بن مسلم حدثني
 عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني
 يحيى بن جابر الطائي قاضي حص
 حدثني عبد الرحمن بن جبير عن
 أبيه جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع
 النواس بن سمعان السكلابي
 وحدثنا محمد بن مهران الرازي
 حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد
 الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن
 جابر الطائي عن عبد الرحمن بن
 جبير عن أبيه جبير بن نفير عن
 النواس بن سمعان قال ذكر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات
 عدة خفص ورفع حتى ظنناه في
 طائفة النخل فلما رجعنا إليه عرف
 ذلك في وجوهنا فقال ما شأنكم قلنا

يارسل الله ذكر الدجال خفصت فيه ورفعته حتى ظنناه في طائفة النخل قال غير الدجال أخوف في عليكم إن
 يخرج وأنافكم فانحججه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فأمر وجميع نفسه والله خليفتي على كل مسلم أنه شاب قطعت عينه طافه
 كائى أشبهه بعد العزى بن قطن من أدر كمنكم فليقرأ عليه قواش سورة الكهف أنه خارج من خلة بين الشام والعراق فغان
 عينا وعاش شيا لا يعبد الله فابتوا قلنا يارسل الله قال في الأرض قال اربعون يوما يم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة ويوم كسنة وما
 أيامه كأيامكم قلنا يارسل الله وذلك اليوم الذي كسنة أن كسنا فيه صلالة يوم قال لا قدر والله لا قدر قلنا يارسل الله وما سيرة

في الأرض قال كالتعب استبدت به الریح فأتى على قوم فبدعوهم فيؤمنون ويستجيبيون له فيأمر السماء فتطروا الأرض فتدث
 فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبعه فمرعوا وأمددوا حواصر ثم أتى القوم فبدعوهم فبدون عليه قوله فينصرف
 عنهم فيصحبون معلنين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويأمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيما يسب الخيل ثم
 يدعور رجلا مملثا شابا فيضرب بالسيوف فقطعه جرتين رمية الغرض ثم بدعوه فيقبل وبتهال وجهه ويضع فيسأله وكذلك أذيعت
 الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء مشرق (٢٤١) دمشق بين مهودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين

إذا طافا رأياه فطروا إذا رفعه تحذر
 منه جان كاللؤلؤ لا يحبل لكافر
 يجدر بحقه الامات ونفسه ينهى
 حيث ينهى طرفه فنبذ به حتى
 يدرك سباب الذفقت له ثم أتى عيسى
 عليه السلام قوما قد عصه بهم الله
 منه فيمسخ عن وجوههم ويحدتهم
 بدرجاتهم في الجنة فيبتهلوا وكذلك
 أذنوحى الله عز وجل الى عيسى اني
 قد أخرجت عبادي لايدان لاحد
 بقا الهدم فخرز عبادي الى الطور
 ويبعث الله بأجوج وأجوج وهم
 من كل حذب ينسلون ففروا ولهم
 على بحيرة طبرية فيشربون مافيها وير
 آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة
 جاء ويحضرنى الله عيسى وأصحابه
 حتى يكون رأس الثور لاحدهم
 خير من مائة دينار لاحدكم اليوم
 فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه
 فيرسل الله عليهم الغف فيرقابهم
 فيصحبون فرسي كوت نفس واحدة
 ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى
 الأرض فلا يجسدون في الأرض
 موضع شبر الاملاء زهمهم وتتهم
 فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى
 الله فيرسل الله طيرا كاعناق الجث

وفيه من اللطف والرفق جعلهم أموصيا له تعالى ما لا يخفى من الاحسان ولما كان
 العقل هو مناط التكليف قال (لكم عقول) أى لكي تفهموا مافى هذه التكليف
 من القوائد النافعة في الدين والدنيا فتمتعوا بها (ولا تقر بآمال اليتيم) أى لا تعرضوا
 له بوجده من الوجوه (الآياتى) أى بالحصلة التى (هى أحسن) من غيرها
 وهى مافيه صلاحه وحفظه ونفسيه وقميره ويحصل الریح له فيشغل كل وجه من الوجوه
 التى فيها نفع لليتيم وزبادة فى ماله والاستئناس بفرغ وقيل المراد بالآياتى هى أحسن التجارة
 (حتى) أى الى غاية هى أن (يلبغ) اليتيم (أشده) فان بلغ ذلك فادفعوا اليه ماله وهو اسم
 جمع لا واحد له من لفظه وقيل بالهكس وقيل هو اسم مفرد لفظا ومعنى وقيل هو جمع
 وعلى هذا فخر دة شدة كنعمة أو شد كفلس وأفلس أو شد كصر وأضر أو قال ثلاثة
 في مفرد أو أصلهم شد النهر أى ارتفع وقال سيبويه واحد شدة قال الجوهري وهو
 حسن في المعنى لانه يقال أبلغ الكلام شدته ولكن لا تجمع فعلة على أقول وقيل الاشد
 اسم كمال قوة الشئ والسبب حتى يتأهى في الشئ السبب الى حد الرجال واختلف أهل
 العلم في الاشد فقال أهل المدينة بلوغه واناس رشده وقال عبد الرحمن بن زيد هو البلوغ
 وقيل انه انتهاء الكهولة والاولى في تحقيقه انه البلوغ الى سن التكليف مع اناس
 الزشد وهو ان يكون في تصرفاته جماله سال كمال العقل لا ماسك أهل السفة
 والتشديد ويدل على هذا قوله تعالى في سورة النساء وابشروا النساء حتى اذا بلغوا السكاح
 فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فجعل بلوغ السكاح وهو بلوغ سن التكليف
 مقيدا باناس الرشاد ولعل قد سبق هنالك كلام في هذا قال الشعبي ومالك الاشد اظم
 حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجمع قوته وقال
 أبو حنيفة خمس وعشرون سنة وقال الكلبي هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة
 وقيل الى أربعين وقيل الى ستين وقال الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة
 وقال مجاهد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الأقوال انما هي في نهاية الاشد لا في ابتدائه
 والختار في تفسيره ما ذكرناه (وأوفوا الكيل والميزان) وهما الآلة التى يكال بها ووزن
 وأصل الكيل مصدر ثم أطلق على الآلة والميزان في الاصل ففعال من الوزن ثم نقل لهذه
 الآلة كالمصباح والمقياس لما يستصحب به ويقاس (بالقسط) أى بالعدل في الاخذ

(٢٤١ فتح البيان ثالث) فكم لهم قطر حرمهم حيث شاء الله ثم رسل الله سطر الايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض
 حتى يتركها كالزلفه ثم يقال للأرض أخرجي ثمرك ووردي بركتك فيومئذ تأكل العصاة من الزمانة ويستطون بعقوبتها ويبارك الله
 في الرسل حتى ان الله عز وجل ابل لتكني القنات من الناس فينبأهم كذلك أذيعت الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض
 الله روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهادون فيها تهارج الجرف عليهم تقوم الساعة ورواه الامام أحمد وأهل
 السنن من حديث عبد الرحمن بن زيد بن جابر به وسند كره أيضا من طريق أحمد عند قوله تعالى في سورة الانبياء حتى اذا فتحت

بأجور وما جوج الآية حديث آخر قال مسلم في صحيحه أيضاً حدثنا عبد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن
 النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عروة بن ماسعود الثقفي يقول سمعت عبد الله بن عمرو وجاه رجل فقال ما هذا
 الحديث الذي تحدث به تقول ان الساعة تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان الله أو لا اله الا الله أو كلنحوهما القدره مت ان لا أحدث
 أحداً شيئاً به انما قلت انكم سترون بعد قليل أمر اعظم يحرق البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يخرج الدجال في أمي فيمكت أربعين (٢٤٢) لأدري أربعين يوماً وأربعين شهراً أربعين عاماً فيبعث الله تعالى عيسى

ابن مريم كنه عروبة بن مسعود
 فيطلبه فيه لكمة ثم يكت الناس
 سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم
 يرسل الله رجلاً باردة من قبل الشام
 فلا يبقى على وجه الارض أحد في
 قلبه مثقال ذرة من خيراً وإيمان
 الا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل
 كبد جبل لدخلته عليه حتى يقبضه
 قال سمعتهما من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس
 في خفة الطير وأحلام السباع
 لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون
 منكراً فيمثل لهم الشيطان فيقول
 ألا تنجيون فقولون فأتانا مرنا
 فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك
 دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ
 في الصور فلا يسمعها أحد الا أصغى
 ليتها ورفع لسانها قال وأول من يسمعه
 رجل يلبط حوض ابله قال فيصعق
 ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال
 ينزل الله مطراً كأنه الطل أو قال
 الظل نعمان السائل فتمت منه
 اجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى
 فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها
 الناس هلموا الى ربكم وفقوهم انهم
 مسؤولون ثم يقال أخرجوا بعث

والاعطاء عند البيع والشراء وترك الخبث (لانكف نفساً الاوسعها) أي طاقم في كل
 تكليف من التكليف ومنه التكليف بايقاء الكيل والوزن فلا يخاطب المتولي له ما
 بما لا يمكن الاحتراز عنه في الزيادة والنقصان فان اخطأ في الكيل والوزن والله يعلم حسنة
 نيته فلا مأخذ عليه كما ورد في الحديث ومع ذلك يضمن ما اخطأ فيه كما في كتب الفروع
 (واذا قلتم) بقول في خبراً وشهادة أو جرح أو تعديل (فاعدلوا) فيه وشجروا الصواب
 ولا تتبعوا في ذلك القريب ولا على بعيد ولا يتولوا الى صديق ولا على عدو بل سوا بين
 الناس فان ذلك من العدل الذي أمر الله به (ولو كان) الضمير راجع الى ما يقبضه واذ قلتم
 فانه لا بد للقول من مقول فله أو مقول عليه أي ولو كان المقول فيه أوله أو عطيه
 (ذاقني) أي صاحب قرابة لكم وقيل ان المعنى ولو كان الحق على مثل قربائكم والاول
 أولى ومثل هذه الآية قوله ولو على أنفسكم أو والوالدين والاقربين (وبعهد الله) أي بكل
 عهد وعهد الله اليكم (أوفوا) ومن جملة ما عهد اليكم ما ناله عليكم رسوله بأمر في هذا
 المقام ويجوز ان يراد به كل عهد ولو كان بين المخالفين لان الله سبحانه لما أمر بالوفاء به في
 كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوغاً لاضافته اليه (ذلكم) إشارة الى ما تقدم ذكره
 من الامور الاربعة (وصاكم) أي أمركم (به) أمرامو كذا (لعلكم تذكرون) أي تعظون
 بذلك فتأخذون ما أمركم به ولما كانت الخسرة المذكورة قبل قوله لعلكم تذكرون من
 الامور الظاهرة الجلية مما يجب تعقلها وتفهمها ختمت بقوله لعلكم تذكرون ولما كانت
 هذه الاربعة خفية غامضة لا بد فيها من الاحتياط والذكر الكثير حتى يقف على موضع
 الاعتدال ختمت بقوله لعلكم تذكرون قاله أبو حيان (وأن) بالفتح على تقدير ان قاله
 القراء والكسائي وقيل على تقدير الماء وقيل على تقدير اللام قاله الخليل وسيبويه كما
 في قوله سبحانه وان المساجد لله وبالكسرة استئنافاً (هذان) أي الذي ذكر في هذه الآيات
 من الاوامر والنواهي قاله مقاتل وقيل الاشارة الى ما ذكر في السورة فانها بأمرها في
 اثبات التوحيد والتبوء ببيان الشريعة (صراطى) وفي مصحف ابن مسعود وهذا
 صراط ربكم وفي مصحف أبي ترك والصراط الطريق وهو طريق دين الاسلام (مستقيماً)
 مستوي بالاعوجاج فيه وقد تشعبت منه طرق فمن سلك الحادة نجح ومن خرج الى تلك
 الطرق أقضت به الى النار (فاتبعوه) أمرهم باتباع جلته وتفصيله (ولا تتبعوا السبل)

الشارفة قال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال هذا اليوم يجعل الولدان شيواً وذلك يوم
 يكشف عن ساق ثم رواد مسلم والنسائي في تفسيره جميعاً عن محمد بن بشار عن غندر عن شعبة عن نعمان بن سالم به حديث آخر قال
 الامام أحمد أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الانصاري عن عبد الله بن زيد الانصاري
 عن مجمع بن جارية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم المسيح الدجال باباً لداً الى جانب ادور رواده أحد
 أيضاً عن سفيان بن عيينة من حديث الليث والاوزاعي ثلاثتهم عن الزهري عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة عن عبد الرحمن

ابن زيد عن عمه جهم بن جارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل ابن مريم الدجال سيلب الدوكذار وادهابر
عن ليث بن عبيد قال هذا حديث صحيح قال وفي الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عيينة وأبي برة وسديقة بن أسيدوا
وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسقر بن جندب والناس بن سمعان وعمر بن
عوف وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم ومراهم وياه هو لا مافيه ذكر الدجال وقتل عيسى بن مريم عليه السلام له فأما حديث
ذكر الدجال فقط فكثير جدا هو أي أكثر من أن تحصى لا تشارها (٢٤٣)

ثم اهتم عن اتباع سائر السبل أي الاديان المتباينة طرقها والاهواء المضلة والبدع المختلفة
(فتفرق بكم عن سبيله) أي فمقل بكم عن سبيل الله المستقيم الذي هو دين الاسلام قال
ابن عطية وهذه السبل ثم اليهودية والنصرانية والجوسية وسائر أهل الملل وأهل البدع
والضلالات من أهل الاهواء والشذوذ في التفرع وغير ذلك من أهل التعقيد في الجدل
والخوض في الكلام وهذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد قال قادة العلماء ان
السبل سبيل واحد جاعة الهدى ومصيده الخنة وان ابليس استبدع سبلا متفرقة
جاعة الضلالة ومصيدها الى النار وأخرج أجدوابن حديد والزار والنسائي وابن المنذر
وابن أبي حاتم وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن مسعود قال خط
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطا يده ثم قال هذا سبيل الله مستقيما ثم خط خطوطا
عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو
اليه ثم قرأ هذه الآية وقال ابن عباس السبل الضلالات وعنه هذه الآيات تحكي في
جميع الكتب يلخصن شئ وعن محرمت على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب ومن عمل
بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال ابن مسعود من سره ان ينظر الى الحقيقة
التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات أخرجه الترمذي
وحسنه (ذلكم) أي ما تقدم ذكره (وصاكم) أي كد عليكم الوصية (به لعلمكم تتقون)
ما نهاكم عنه من الطرق المختلفة والسبل المضلة (ثم آتينا موسى الكتاب) أي التوراة
وهذا كلام مسوق لآثار الوصية التي وصي الله بها عبادهم وقد استشكل العطف بضم مع
كون قصة موسى وآياته الكتاب قبل المعطوف عليه وهو ذلكم وصاكم به فمقل ثم هنا
بمعنى الواو من غير اعتبار مهله ولا ترتيب وبذلك قال بعض النحويين قلت وهذه استراحة
وقيل تقديره ثم كما قد آتينا قبل انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن
القشيري وقيل المعنى قل تعالى أول ما حرم بكم عليكم ثم آتينا موسى الكتاب قاله
الزجاج وقيل ان الوصية المعطوف عليها قديمة ليرى كل نبى وصى بما أمته وقيل ان
ثم للتراسخ في الاخبار وقيل غير ذلك (تماما) النصب على الحال والمصدر وعلى انه
مفعول لاجله (على الذي أحسن) قبوله والقيام به كاشان كان وقال الحسن ومجاهد
كان فيهم محسن وغير محسن فانزل الله الكتاب تمام على المحسنين المؤمنين وقيل المعنى

والسبيل وغير ذلك حديث آخر قال
الامام أحمد حدثنا سفيان عن قرات
عن أبي الطفيل عن حذيفة بن
أسيد الغفاري قال أشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم من
عرفقه ونحن ننذا كرا الساعة فقال
لا تقوم الساعة حتى ترد عشر
آيات طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدابة وخروج ياجوج
وماجوج ونزول عيسى بن مريم
والدجال وثلاثة خسوف خفيف
بالمشرق وخفيف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر
عدن تسوقا وتحشر الناس تبت
معهم حيث بانوا وتقبل معهم حيث
قالوا وهكذا واهم مسلم وأهل
السنن من حديث الترمذي
ورواه مسلم أيضا من رواية عبد
العز بن رفيع عن أبي الطفيل
عن أبي شريكة عن حذيفة بن
أسيد الغفاري موقوفا والله أعلم
فهذه أحاديث متواترة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من رواية
أبي هريرة وابن مسعود وعثمان بن
أبي العاص وأبي أمامة والناس
ابن سمعان وعبد الله بن عمرو بن

العاص وجهم بن جارية وأبي شريكة وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وفيه أدلة على صفته ورواه مكانه من انه بالشام بل دمشق
عند المارة الشرقية وان ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح وقد ثبت في هذه الاعصار في سنة احدى وأربعين وسبع مائة منارة
الجماع الاموى بضاء من جارة نخوة وعواضع المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب الى صنيع النصارى عليهم لعائن الله
المتابعة الى يوم القيامة وكان أكثر عماراتهم أموالهم وقويت الظنون انها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الحزبة فلا يقبل الا الاسلام كما تقدم في الصحيحين وهذا من اخبار النبي صلى الله

عليه وسلم بذلك وتفر بروي سريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان حيث تفرح عليهم وترفع سبهم عنهم من أنفسهم ولهذا كليم
 يدخلون في دين الاسلام متابعين لعيسى عليه السلام وعلى يديه ولد اقال تعالى وان من اهل الكتاب الا يؤمنن به قبل موته
 الآية وهذا الآية كقولنا والله لعلم الساعة وقرئ لعلي بالحرى أى أمارة ودليل على اقتراب الساعة وذلك لانه ينزل بعد خروج
 المسيح السجل فيقتله الله على يديه كما ثبت في الصحيح ان الله لم يخلق داء الا لأئذله شفاء ويبعث الله في أيامه يا حوج وما حوج
 فيهلكهم الله تعالى ببركة دعائه وقد قال (٢٤٤) تعالى حتى اذا فحمت يا حوج وما حوج وهم من كل حذب ينسلون

واقرب الوعد الحق الآية * (صفة)
 عيسى عليه السلام * قد تقدم
 في حديث عبد الرحمن بن آدم عن أبي
 هريرة فاذا رأيت ثوبه فاعرفه ورجل
 مربوع الى الجرد البياض عليه
 ثوبان مضممران كأن رأسه يقطروان
 لم يصبه بلل وفي حديث الثواس بن
 سجعان فينزل عند المنارة البيضاء
 شرق دمشق بين مهودتين واضعا
 كفيه على آخضه ملكين اذا طأطأ
 رأسه فطر وإذا رفعه تمدد منه مثل
 بجان اللؤلؤ ولا يحل لكافر أن يجده
 ربح نفسه الامات ونفسه نهى
 حيث انتهى طرفه وروى البخارى
 وسلم من طريق الزهري عن معبد
 ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله
 أسرى بي لقيت موسى ففتحه فاذا
 رجل قال أحسبه مضطرب رجل
 الرأس كأنه من رجال شنوءة قال
 ولقيت عيسى ففتحه النى صلى الله
 عليه وسلم فقال ربعة أحر كأنها
 خرج من ديمان يعنى الحمام ورأيت
 ابراهيم وأنا نأشبه ولده به الحديث
 وروى البخارى من حديث مجاهد
 عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى

أعطينا موسى التوراة فزاد على ما كان يحسنه موسى مما عمله الله قبل نزولها عليه وقيل
 تمام على الذى أحسن به الله عز وجل الى موسى من الرسالة وغيرها وقيل تمام على
 احسان موسى بطاعة الله عز وجل قاله القراء وقال أبو خنيس قداما كان قد أحسن اليه
 وقال ابن زيد تمام النعمته عليهم واحسان اليهم (وقصصا) أى لاجل تفصيل (الكتاب) (الكتاب)
 يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدى) من الضلالة (ورجعه) منا عليهم وصبر
 (لعلهم) راجع الى بنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى (بلقاء ربهم يؤمنون) قال ابن
 عباس لكى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب (وهذا) القرآن (كتاب أنزلناه)
 قدم صفه الانزال لكون الانكار متعلقا بها (مبارك) كثير البركة لما دوشغل عليه من
 المذافع الربوبية والادينية (فأبعوه) بأهل مكة بالعمل بجانبه فأنه لما كان من عند الله وكان
 مشغلا على البركة كان اتباعه متحما عليهم (واقفوا) مخالفتهم والتكذيب بجانبه
 (لعلكم) ان قبلتموه ولم تخالفوه (ترجون) رجعة الله سبحانه (أن تقولوا) قال الكوفيون
 أنزلناه ثلاثا تقولوا قال البصريون كراهة ان تقولوا وقال القراء والكساى واتقوا ان
 تقولوا بأهل مكة (انما أنزل الكتاب) أى التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا)
 هم الهود والنصارى ولم ينزل علينا كتاب وتخصص الانزال بكتابهم لانهم ما للذنان اشهر
 من بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام وفيه دليل على ان اخوس ليسوا
 بأهل كتاب اذ لو كانوا منهم لكانوا ثلاث طوائف قاله ابن الكمال (وان) مخففة واجبا
 محذوف أى انا (كأعن دراستهم) أى تلاوة كتبهم بلغاتهم (لغافلين) أى لا يدرى ما فيها
 ومراهم اثبات نزول الكتابين مع الاعتذار عن اتباع ما فيه ما بعدم الدراية منهم والغفلة
 عن معناها (أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب) كما أنزل على الطائفتين من قبلنا (لكن)
 أهدى منهم) الى الحق الذى طلبه الله والى ما فيه من الاحكام التى هي المقصد الاقصى
 فان هذه المقالة من كفار العرب والمعدرة منهم من دفعه بارسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 اليهم وانزال القرآن عليه ولهذا اقال (فقد جاءكم بينة من ربكم) أى كتاب بلسان عربى
 مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وأنزل الله على نبيكم وهو منكم يا معشر العرب فلا
 تغتذروا بالاعذار الباطلة ولا تعجبوا أنفسكم بالعلل الساقطة فقد أسفر الصبح لنبى
 عيسى (وهدى رجعة) أى جاءكم البينة الواضحة والهدى الذى به تدى بكل من رجعة

الله عليه وسلم رأيت موسى وعيسى وابراهيم فلما عيسى فأجره بعد عرض الصدر وأما موسى فأدم جسم سبط كانه
 من رجال الرطو ولمسلم من طريق موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر كرا النبي صلى الله عليه وسلم يوماين ظهر الى الناس
 المسيح الدجال فقال ان الله ليس بأعورا لأن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كان عينه عصابة طافية وسلم عنه مرفوعا
 وأرأى الله عند الكعبة فى المنام وإذا رجل آدم كاحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لمة بين منكبيه رجل
 الشعر يقطر رأسه ماء واضعا يديه على منكبيه رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هو المسيح من مرمر ثياب وراجل

بعد اقلها أعور العين البني كاشبهه من رأيت باني قطن واضع يديه على سنيكي رجل يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال تابعه عبد الله عن نافع ثم رواه البخاري عن أحمد بن محمد المكي عن ابراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال لا والله ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحر ولكن قال بينما أنا طوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يتهادي بين رجليه ينطف رأسه ماء أو يهرق رأسه ما مافلت من هذا فقالوا ابن مريم فذهبت ألتفت فإذا رجل أحر جسيم جعد الرأس أعور عينه النبي كان عينه غنية طافية قلت من هذا قالوا الدجال وأقرب الناس به شبها (٢٤٥) ابن قطن قال الزهري رجل من خزاعة هلك في الجاهلية هذه كلها ألقاها

في الاهتداء ورجة من الله يدخل فيها كل من يظلمها ويريد حصولها ولكنكم ظلمتم أنفسكم بالتكذيب بآيات الله والصدوق والانصراف عنها وصرف من أراد الاقبال اليها (فن) الاستفهام لا نكار رأى لأحد (أظلم عن كذب آيات الله) التي هي رجة وهدي للناس (وصدق) أي صرف الناس (عنها) فضل بالنصر افعه عنها وأصل بصرف غيره عن الاقبال اليها وصدف لازم وقد يستعمل متعديا كما هنا في القاموس صدف عنه يصدف (يصدفون) ينصرفون (عن آياتنا سوء العذاب) أي العذاب السيئ من اضافة الصفة الى الموصوف (عما كانوا يصدفون) أي بسبب اعراضهم وصدفهم وتكذيبهم بآيات الله ومعنى يصدفون يعرضون قاله ابن عباس وهو مقارب لعنى الصرف وقد تقدم تحقيق معنى هذا اللفظ وفي هذه الآية تبكى لهم عظيم (هل ينظرون) أي لما أتنا عليهم الحجة وأنزلنا الكتاب على رسولنا المرسل لهم فلم ينفعهم ذلك ولم يرجعوا به عن غوايتهم فبأنى بعد هذا (الا) انهم ينظرون (أن تأتيهم الملائكة) لقصص أرواحهم وعند ذلك لا ينفع نفسا اياهم ما تكن آمنت من قبل أو أن تأتيهم الملائكة بالعذاب (أو يأتي ربك) يا محمد كما اقترحوه بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وقيل معناه يأتي أمر ربك باهلاكم وقد جافى القرآن حذف المضاف كثيرا كقوله واسأل القرية وقوله وأشربوا في قلوبهم المجلد أي حب المجلد وقيل آيات الله مجيئه يوم القيامة لفصل القضايا بين خلقه كقوله وجاء ربك والملائكة صفافا قاله ابن مسعود وقادة ومقاتل وقال يأتي في ظل من الغمام وقيل كصفة الايمان من المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله فيجب امر اربابا لا تكسب ولا تعطيل (أو يأتي بعض آيات ربك) الدالة على الساعة قال جهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل عليه ما أخرج أحمد وعبد بن حنبل في مسنده والترمذي وأبو يعلى وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها قال الترمذي غريب وروى موقوف فاذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا فادح فيه فهو واجب التقدير له يستحق الأخذ به ويؤيده ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها

تعالى في آخر سورة المائدة وإذا قال الله عيسى ابن مريم أنت قلت للناس ائذني الى قوله العزيز الحكيم (فظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم يصدفهم عن سبيل الله كذبوا وأخذهم الى باوقد خروا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعدنا للكافرين منهم عذابا أليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمحققين الصلاة والمؤمنين الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنوتهم أجرا عظيما) يخبر تعالى عن سبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة حرم عليهم طيبات كان أحلها لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة

عن عمر وقال قرأ ابن عباس طبائت كانت أكلت لئسهم وهذا الحرم قد يكون قد ربيعتي أنه تعالى قبضهم لأن تاولوا في دكايمهم
وحرروا أولي الأشياء كانت حلالا لئسهم فخرموا على أنفسهم تشديدا منهم على أنفسهم ونصيحة وتضعوا ويحتل أن يكون شرعيا يعني
أنه تعالى حرم عليهم في التوراة أشياء كانت حلالا لئسهم قبل ذلك كما قال تعالى كل الطعام كن حلالا لبني إسرائيل إلا حرم إسرائيل
على نفسه من قبل أن تنزل التوراة أي ما عدا ما كن حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة من لحوم الإبل وألبانها ثم أنه
تعالى حرم أشياء كثيرة في التوراة كما قال (٢٤٦) في -وردة الانعام وعلى الذين هادوا حراما كل ذي ظفر ومن البقر والغنم

حرمانهم شعورهما الاما حلت
 ضرورهما أو احوالهما واختلط
 بعضهم ذلك جزئيا هم بعضهم وأنا
 لصادقون أى افعالهم منا عليهم
 ذلك لانهم يستحقون ذلك بسبب
 بغيتهم وطغيانهم ومخالفتهم
 رسولهم واخذوا فهم عليه ولهذا
 قال فيظلم من الذين خادوا احرامنا
 عليهم طيات أى حلت لهم وبصدم
 عن سبيل الله كثيرا أى هذا الناس
 وعدوا أنفسهم عن اتباع الحق
 وهذه حجة لهم مصفون من
 قديم الدهر وحديثه ولهذا كانوا
 أعداء الرسل وقتلوا خلقا من الانبياء
 وكذبوا عيسى ومحمد اصابوا الله
 وسلامه عليهم ما قولهم واخذهم الربا
 وقد نهوا عنه أى ان الله قد نهاهم
 عن الربا فاستألفوه واخذوه واحتملوا
 عليه بائواع من الخيل وصوف من
 الشبه واكلا أموال الناس بالباطل
 قال تعالى وأعدنا للكافرين منهم
 عدنا أى ألبينا ثم قال تعالى لكن
 الراحضون فى العلم منهم أى التائبون
 فى الدين لهم قدم راحة فى العلم
 النافع وقد تقدم الكلام على ذلك
 فى سورة آل عمران والمؤمنون

فأخذ طلعت ورأى الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية
وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي ذر مر فوعا نحوه وأخرج ابن
أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مر فوعا نحوه أيضا (يوم يأتي بعض آيات ربك)
أنى اقترح جودا وحى التى تضطرهم الى الإيمان وأما وعاءهم من ذلك فيدخل فيه ما ينظرونه
وقيل الآية هي علامات القيامة المذكورة في الأحاديث الثابتة عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم في التى اذا جاءت (لا ينفع نفسا إيمانها) والكبرى منها عشرة وهى
الدجال والذئبة وخسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان
وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج وزلزل عيسى ونار تحبس من عدن
تسوق الناس الى المحشر والبحث مستوفى في كتابنا حجج الكرامة فى آثار يوم القيامة
(لم تكن آمنت من قبل) أى قبل إيمان بعض الآيات فاما التى قد كانت آمنت من قبل
مجى بعضها فإيمانها ينفعها (أو كسبت فى إيمانها خيرا) أى لا ينفع نفسا إيمانها عند
حضور الآيات مصففة بانها لم تكن آمنت من قبل أو آمنت من قبل ولكن لم تكسب فى
إيمانها خيرا فحصل من هذا انه لا ينفع الالجمع بين الإيمان من قبل مجى بعض الآيات
مع كسب الخير فى الإيمان من آمن من قبل فقط ولم يكسب خيرا فى إيمانه أو كسب خيرا
ولم يؤمن فان ذلك لا غير نافعه قال السدى يقول كسبت فى تصديقها عملا صالحا فيه ولا
أهل القبلة وان كانت مصدق لم تعمل قبل ذلك خيرا فعلمت بعد أن رأت الآية لم يقبل
منها وان عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها وقال مقاتل يعنى المسار
الذى لم يعمل فى إيمانه خيرا أو كان قبل الآية مقبلا على الكبر أو أقول وجه الاشكال
فى هذه الآية الكريمة هو ان عدم الإيمان السابق يستلزم عدم كسب الخيرة بلائذ
ولاشبهة اذا لا خير لمن لا إيمان له فيكون على هذا ذكر تكرار ان كان حرف التحذير على
بابه من دون تأويل وأيضا عدم الإيمان مستقل فى إيجابه للخير فى النار فيكون ذكر عدم
الثانى لغوا وكذلك وجود الإيمان مع كسب الخيرة مستعمل فى إيجابه للغاوس عن
النار وعدم الخلود فيها فيكون ذكر الاول أعنى الإيمان بمجرد لغوا فيه ذوجه الاشكال
فى الآية باعتبار حرف التحذير المقتضى لكفاية أحد الامرين على انفراد وقد ذكرنا
الخلاص عن هذا الاشكال وجوها أحدها انه يتحقق النفع بإيمانهما كان ولا يتحقق

عطف على الراحمين وخبره يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك قال ابن عباس أنزلت في عبد الله بن سلام
وثعلبة بن سعيد زيد بن عبدو أسيد بن عبد الذين دخلوا في الاسلام وصدقوا بآثار رسول الله به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
والمؤمنين الصلاة هكذا هو في جميع مصاحف الاثمة وكذا هو في مصحف أبي بن كعب وذكر ابن جرير انها في مصحف ابن مسعود
والمؤمنين الصلاة قال والعجم قراءة الجميع ثم رد على من زعم ان ذلك من غلط الكتاب ثم ذكر اختلاف الناس فقال بعضهم هو
منسوب على المدح كما في قوله والمؤمنون بعدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس قال وهذا ما نفع
في كلام العرب كما قال الشاعر
لا يبعدن قومي الذين هموا أسدا العدا ذؤابة الخنزير

التأويل بكل معتزك * والطبسون معاقد الازر

وقال آخرون هو مخفوف عطف على قوله بما أنزل اليك وما أنزل من قبله يعني وبالمقامين الصلاة كانه يقول وباقامة الصلاة اي بعترفون بوجوبها وكما بها عليهم وأن المراد بالمقامين الصلاة الملائكة وهذا اختيار ابن جرير يعني يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالملائكة وفي هذا انظر والله أعلم وقوله والمؤمنون الزكاة يحتمل ان يكون المراد زكاة الاموال ويحتمل زكاة النفوس ويحتمل الامرين والله أعلم والمؤمنون بالله واليوم الآخر اي يصدقون بأنه لا اله الا الله ويؤمنون بالبعث بعد الموت والجزاء على الاعمال (٢٤٧) خيرها وشهرها أولئك هو الخير عما تقدم سنوهم

أجر اعظم يا بني الجنة (انما أوحينا

اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين

من بعده وأوحينا الى ابراهيم

واسماعيل والاسباط

وعيسى وابوب وولس وهارون

وسليمان وأتينا داود زورا ورسلا

قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا

لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى

تكليمًا رسلاً مبشرين ومنذرين

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد

الرسول وكان الله عزيزاً حكيمًا

قال محمد بن اسحق عن محمد بن

أبي محمد عن عكرمة أو سفيان

جابر عن ابن عباس قال قال

سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان

الله أنزل على بشر من شيء بعده

موسى فانزل الله في ذلك من قولهما

انما أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح

والنبيين من بعده الى آخر الآيات

وقال ابن جرير حديثنا الخبر

حدثنا عبد العزيز حدثنا أبو معشر

عن محمد بن كعب القرظي قال أنزل

الله بآلئك أهل الكتاب ان تنزل

عليهم كتابا من السماء الى قوله

وقولهم على مرهم بنا عظيمًا قال

فلما لا اله الا الله يعني على اليهود

ان هذا تدفعه الأدلة الواردة بعدم الانتفاع بالايمن من دون عمل والوجه الثاني انه لا ينفع الاتمق في الامر من جميعا الايمان وكسب الخير فيه وهذا أيضا دفعه المعنى العربي والاعرابي فانه لو كان هو المراد لقال لم تكن آمنت من قبل وكسبت في ايمانها خيرا الوجه الثالث ان ذكر الشق الثاني من شقي التردد لتقصيد بيان النفع الزائد وتجرى الافضل والاكل وهذا أيضا فيه خروج عما يوجب معنى التردد الذي يقتضيه حرفه الموضوع له الوجه الرابع ان راد الكلام مردد على هذه الصفة المقصودة به التعريض بحال الكفار المفرطين في الامر من جميعا وهذا أيضا خروج عن مقصود الآية بتأويل بعيد جدا لا يدل عليه دليل الوجه الخامس ان الآية من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل وكسبت في ايمانها خبر اورديان معنى اللف التقديري على ان يكون المقدرون هم مات الكلام ومقتضيات اقام قوله ذكره تعالى على دلالة الملفوظ عليه واقضائه اياه وليس هذا من ذلك الوجه السادس انهم ما عاشوا في النفع وان العدول الى هذه العبارة لقصد المبالغة في شأن كل واحد منهم بانه صالح للاسعة لال بالنفع في الجملة ولا يفتي ان هذا مجرد دعوى لا دليل عليها واخراج للترديد عن مفاده الذي تقتضيه لغة الوجه السابع ان ظاهر الآية المقتضى لمجرد نفع الايمان المجرد يعارض بالادلة الصحيحة الثابتة كتابا وسنة انه لا ينفع الايمان الا مع العمل وهذا هو الوجه القوي والتقرير السوي والاستدلال الواضح والتبرجح الرابع لسلاسه عن التكلفات والتسبغات في معنى الآية وعن الاله مال لما فيها من التردد الواضح بين شقي الايمان المجرد والايمن مع العمل ولا ينافي هذا ما ورد من الدالة الدالة على نفع الايمان المجرد فانهم اقموا بالدالة الدالة على وجوب العمل بمسارعه الله له عباده من اصول الشرائع وفروعها فاشدد يدك على هذا ولا تلتفت الى ما وقع من التدقيقات الزائفة والدعاوى الداحضة فان ذلك لاحمال عليه ولا موجب له الا الحماة على المذهب وتقويمها وجعل نصوص الله سبحانه تابعة لها وتأويل ما خلفها حتى كأنها هي الشريعة المحكمة التي يراد بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن العجب ان محقق المفسرين وكبارهم مع ما في هذه الآية الكريمة من الاشكال المقتضى لتوسيع دائرة المقال اكتفوا في الكلام عليها بالزوال الحقيقي والبحث اليسير حتى ان الرازي مع تطوله

واخبرهم بأعمالهم الخبيثة فجحدوا كلما أنزل الله وقالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ولا موسى ولا عيسى ولا علي بن أبي طالب قال في جوابه قال ولا علي أحد أنزل الله عز وجل وما قدره الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء توفي هذا الذي قاله محمد بن كعب القرظي نظرا فان هذه الآية التي في سورة الانعام مكية وهذه الآية التي في سورة التيساع مدية وهي رد عليهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء قال الله تعالى فقد سألو موسى اكبر من ذلك ثم ردوا عليهم وما كانوا عليه وما هم عليه الا ان من الكذب والافتراء ثم ذكر تعالى انه اوحى الى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما اوحى الى غيره من الانبياء

التقدمين فقال أنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والتينين من بعده الى قوله واقتاد اوديزورا والابوراسم الكتاب الذي اوحاه الله الى داود عليه السلام وسنذكر ترجمة كل واحد من هؤلاء الانبياء عليهم من الله افضل الصلاة والسلام عند قصصهم من سورة الانبياء ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان وقوله ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا نقصصهم عليك أي من قبل هذه الآية يعني في السور المكية وغيره وهذه ترجمة الانبياء الذين نص الله على اسمائهم في القرآن (٣) وهم آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق (٢٤٨) ويعقوب ويوسف وسعيب وموسى وعرون ويونس وداود وسليمان واليسع وزكريا وعيسى ويحيى وكذا ذوالكفل

للمباحث في غالب تفسيره اقتصر في تفسيره على قوله والمعنى ان اشراط الساعة اذا ظهرت ذهب أو ان التكليف فلم ينفع الايمان نفسه اما آمنت قبل ذلك وما كسبت في ايمانها خيرا قبل ذلك انتهى بجر وفه فانظر هذا الذي اقتصر عليه واجعله موعظة لك فانه انما يكون تفسير الآية لو كانت هكذا لم تكن آنت من قبل وكسبت في ايمانك اخيرا من دون حرف التحية وهكذا الرخصي قبله فانه اقتصر في تفسير الآية على ما لا يمين ولا بغنى من جوع وفي هذا المقتدر كفاية لمن له هداية والله ولي التوفيق (قل) أمره الله سبحانه ان يقول لهم (انتظروا) ما تريدون اتيانه وما وعدت به من مجي الآيات وهذا أمر تهدي على حد أعمالوا مشتم وذلك انهم لا ينتظرون ما ذكرنا لتكريمهم للبعث وما بعده (انما منتظرون) وهو يقوى ما قيل في تفسير يوم يأتي بعض آيات ربك انها الآيات التي اقتحوها من اتيان الملائكة أو اتيان العذاب لهم من قبل كما تقدم بيانه قال بعض المفسرين وهذا انما ينظره من تأخر في الوجود من المشركين المكذبين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماؤ أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل المراد بهذه الآية الكف عن القتال فتكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون محكمة (ان الذين فرقوا) أي تركوا (دينهم) وخرجوا عنه باختلافهم فيه والمعنى انهم جعلوا دينهم متفرقا فأخذوا ببعضه وتركوا بعضه قيل المراد بهم اليهود قاله جماعة وقيل اليهود والنصارى وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وقد ورد في معنى هذا في اليهود وقوله تعالى وما تفرق الذين أووا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل المراد بهم المشركون عبد بعضهم الاصنام وبعضهم الملائكة وبعضهم الكواكب فكان هذا هو تفرق دينهم وقال أبوهريرة هم أهل الضلالة من هذه الامة وقيل الآية عامة في جميع الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله وهذا هو الصواب لان اللفظ يفيد العموم فيدخل فيه طوائف أهل الكتاب وطوائف المشركين وغيرهم ممن ابتدع من أهل الاسلام وأخرج ابن جرير والطبراني وابن مردويه والحكيم الترمذي والسيرازي في اللقباب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال هم أهل البدع والاهواء من هذه الامة وفي اسناده عديد كثير وهو متروك الحديث ولم يرفع غيره ومن عداه وقفوه

وعيسى ويحيى وكذا ذوالكفل عند كثير من المفسرين وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ورسلا لم نقصصهم عليك أي خلقا آخرين لم يذكر في القرآن ولذا اختلف في عدة الانبياء والمرسلين والمشهور في ذلك حديث أبي ذر الطويل وذلك في حمار واحد ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال حدثنا ابراهيم بن محمد ثنا جعفر بن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قال حدثنا ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر بهم غير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال آدم قلت يا رسول الله نبي هم رسل قال نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلا ثم قال يا اباذر أربعة عشر يايون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهود ادريس وهؤلاء من خط القلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا اباذر

وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث على بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه الا انواع والنقاسم وقد وصفها بالصحيح وخالفه أبو القزح بن الجوزي وقد ذكر هذا الحديث في كتابه الموضوعات واتهم به ابراهيم بن هاشم هذا ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث والله أعلم وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن يحيى بن أحمد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعه عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي هريرة قال قلت يا نبي الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون (٣) قوله وهم آدم الى قوله وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم هكذا في النسخ ولم يذكر أيوب والياس خيرا الاصل ٨١ معصمه

ألقاهم ذلك ثمانية وخمسة عشر جماعفة إيمان بن رفاعة السلاحي ضعيف وعلي بن يزيد ضعيف والقاسم بن عبد الرحمن
 أيضا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن إسحاق أبو عبد الله الجوهري البصري حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا موسى بن
 عبيدة الرزدي عن يزيد الرقاشي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله غمائية آلاف بني أربعة آلاف إلى بني
 إسرائيل وأربعة آلاف إلى مائير الناس وهذا أيضا اسناد ضعيف فيه الرزدي ضعيف وشيخه الرقاشي أضعف منه والله أعلم وقال
 أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا محمد بن ثابت العبدي حدثنا محمد

عن أنس قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم كان فين خلا من
 أخواني من الانبياء غمائية آلاف
 في ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت
 أنا وقدر وساه من أنس من وجهه
 آخر فأخبرنا الحافظ أبو عبد الله
 الذهبي أخبرنا أبو الفضل بن
 عساكر أخبرنا الإمام أبو بكر بن
 القاسم بن أبي سعيد الصفاق
 أخبرنا أبي عائشة بنت أحمد بن
 منصور بن الصفاق أخبرنا الشريف
 أبو السنايك هبة الله بن أبي الصهام
 محمد بن حيدر القرشي حدثنا
 الامام الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني
 قال أخبرنا الامام أبو بكر أحمد بن
 ابراهيم الاسماعيلي حدثنا محمد بن
 عثمان بن أبي شيبة حدثنا أحمد بن
 طارق حدثنا ابن خالد حدثنا زياد بن
 سعد عن محمد بن المنكدر عن صفوان
 ابن سليم عن أنس بن مالك قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بعثت على اثني غمائية آلاف بني منهم
 أربعة آلاف بني من بني إسرائيل
 وهذا غريب من هذا الوجه
 واسناده لا بأس به رجاله كلهم
 معروفون إلا أحمد بن طارق هذا

على أبي هريرة عن أبي امامة قال هم الخروية وروى عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن
 عمر بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعائشة يا عائش ان الذين فرقوا دينهم وكانوا
 شعاعهم أصحاب البدع وأصحاب الاهواء وأصحاب الضلالة من هذه الامة ليست لهم نية
 وهم مني براء رواه الطبراني والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم قال ابن كثير هو غريب لا يصح
 رفعه فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان
 لا يتفرقوا في الدين ولا يتسدعوا البدع المضلة وروى أبو داود والترمذي عن معاوية
 قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب
 افترقوا على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثمان وسبعون
 في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم ان بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي
 على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الامة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال من كان
 على ما أنا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي (وكأنوا شيئا) أي فرقا وأحزابا فيصدق على
 كل قوم كان أمرهم في الدين واحدا مجمعة عام اتبع كل جماعة منهم رأى كبس من كبارهم
 يخالف الصواب ويبيان الحق (لست منهم) أي من تفرقهم وأمن السؤال عن سبب
 تفرقهم والجفت عن موجب تجزئهم (في شيء) من الاشياء فلا يلزمك من ذلك شيء
 ولا يتخاطب به انما عليك البلاغ وهو مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم من غش نفسه فليس
 منا أي نحن براء منه وقال القرطبي لست من عقابهم في شيء وانما عليك الانذار وقيل لست
 في قتال الكفار وعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال والاول أولى (انما
 أمرهم) يعني في الجزاء المكافاة (إلى الله) فيه تسليته صلى الله عليه وآله وسلم أي هو
 مجاز لهم بما تقتضيه مشيئته والحصر بانما هو في حكم التعليل لما قبله والتأكيده (ثم)
 هو (بنوهم) يوم القيامة ويخبرهم بما ينزلهم من المجازاة (بما كانوا يفعلون) من
 الاعمال التي تخالف ما شرعه الله لهم وأوجبهم عليهم ولما وعد سبحانه الخالفين له بما
 يوعدين عقب ذلك مقدار جزاء العاملين بما أمرهم به الممثلين لما شرعه لهم بأن (من)
 جاءوا لحسنه الواحدة من الحسنات عن ابن مسعود أي قال لا اله الا الله وعن ابن عباس
 وأبي هريرة مثله وعن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين

(٣٢ - فتح البيان ثالث) فاني لأعرف بعد الله ولا جرح والله أعلم وحديث أبي ذر الغفاري الطويل في عدد الانبياء عليهم
 السلام قال محمد بن الحسين الأبحري حدثنا أبو بكر جعفر بن محمد بن العربي أملا في شهر رجب سنة سبع وتسعين وماتين حدثنا
 ابراهيم بن هشام بن يحيى الغساني حدثنا أبي عن جده عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم جالس وحده فجلست اليه فقلت يا رسول الله انك أمرتني بالصلاة قال الصلاة خير موضوع فاستكثرت واستقل قال
 قلت يا رسول الله فأى الاعمال أفضل قال آتتكم بالله وجهاد في سبيله قلت يا رسول الله فأى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قلت

يارسول الله فأى الحسن أسلم قال من سلم الناس من لسانه وند فقلت يارسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر النساء ثلاث يارسول الله أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قلت يارسول الله فأى الصيام أفضل قال فرض مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة قلت يارسول الله فأى الجهاد أفضل قال من عقر خواده وأهريق دمه قلت يارسول الله فأى الرقاب أفضل قال أغلاها ثم أوثقها عند أهلها قلت يارسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد من مقل وسر إلى فقير قلت يارسول الله فأى آية ما أنزل عليك أعظم قال آية الكرسي ثم قال يا بأذروما السموات (٢٥٠) السبع مع الكرسي الخلقمة لمقاة بأرض فلا توفى فضل العرش

يارسول الله لا اله الا الله حسنة قال نعم أفضل الحسنات أخرجه عدين جيد وهذا مرسل لا ندري كيف استنده الى سعيد (قله) من الجزاء يوم القيامة (عشر) حسنات (أمثالها) فأقيمت الصفة مقام الموصوف وقد ثبت هذا الضعيف في السنة بأحاديث كثيرة وهذا هو أقل ما يستحقه عامل الحسنة وقد وردت الزيادة على هذا عمومًا وخصوصًا ففي القرآن كمثل حبة أبتت سبع سنابل الآية وورد في بعض الحسنات أن فاعلها يجازى عليها بغير حساب وورد في السنة المطهرة تضعف الجزاء الى سبعين والى سبع مائة والى ألوف مؤلفة وفضل الله واسع وعطاؤه جود وقد قدروا تحقيق هذا في موضعين من هذا التفسير فليجمع اليهما (ومن جاء بالسنة) أى بالاعمال السنية (فلا يجزى الامثالها) من دون زيادة عليها أى على قدرها في الخفة والعظم إن جوزى فالمشرك يجازى على سنية الشرك بخلافه في النار وفاعل المعصية من المسلمين يجازى عليها بما وردت تقدر من العقوبات كما ورد بذلك كثير من الاحاديث المصروفة بأن من عمل كذا فاعلها كذا وما لم رد لعقوبته تقدير من الذنوب فعليان نقول يجازيه الله بمثل وان لم يقف على حقيقة ما يجازى به وهذا ان لم يتب أما اذا تاب أو غلبت حسنة سيئة أو وقع مذهبه برحمته وتفضل عليه بغيره فلا يجازاه وأدلة الكتاب والسنة تصرح بهذا نصريًا لا يقي بعده ريب لم تات (وهم) أى المحسنون والمسيئون (لا ينظرون) ينقص الثواب ولا زيادة العقوبات والاولى في هذه الآية إن اللفظ عام في كل حسنة بعمليها العبد أو سنية واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله وجزاء السنية بمثلها عدل منه سبحانه (قل) لما بين سبحانه ان الكفار تفرقوا فرقا وتجزوا جزاء ما أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم (اننى هدى نبي) أى أرشدني بمأواه الى (التي ضلوا) (مستقيم) هو مله ابراهيم عليه السلام (دينًا قيميا) بكسر القاف والتخفيف وفتح الياء وفتح القاف وكسر الياء المشددة وهما لغتان ومعناه الدين المستقيم الذي لا عوج فيه (مله ابراهيم حنيفا) ما ثلث الى الحق وفي القاموس الحنيف كالمير الصحيح الميل الى الاسلام انما ثبت عليه وكل من حج أو كان على دين ابراهيم ويخفف عمل عمل الحنيفية وأختن أو اعتزل عبادة الاصنام واليه مال انتهى وقد تقدم تحقيقه (وما كان من المشركين) جله معتزلة مقرر لما قبلها وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم

على الكرسي كفضل الفلاة على الخلق قلت يارسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال قلت يارسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جمع غير كثير طيب قلت فمن كان أولهم قال آدم قلت أى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلا ثم قال يا بأذروا عيسى بن مريم آدم وشيث وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بقوف ووح وأربعة من العرب هو وشعيب وصالح ونيك يا بأذروا أول انبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول الرسل آدم وآخرهم محمد قال قلت يارسول الله كم كتاب أنزل الله قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث وخسين صحيفة وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى من قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال قلت يارسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت كلها يا أيها الملك المساط المبني المغروراني لم يبعث

لتجمع الدنيا بعضهم على بعض ولكني بعثت لتدعيني دعوة المظالم فأني لأردها ولو كانت من كافر وكان فيها سؤال وعلى العاقل ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر في صنع الله وساعة يحلونها لحاجته من المظلم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ضاغبا الا ثلاث ترو ولدا أو امرأة لعاش وألدة في غير مجرم وعلى العاقل ان يكون بصير ابرمائه مقبلا على شأنه حافظا لسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عبت لمن أيقن بالموت ثم هو يشرح عبت لمن أيقن بالقدرة ثم هو ينضب وعبت لمن يرى الدنيا

وتقبلها بأهلها ثم بطنها إليها وعجبت لمن أقبل بالحساب غدا ثم هو لا يعمل قال قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في أيدي
 إبراهيم وموسى وما أنزل عليك قال نعم اقرأ ما بأذن قد أنزل من تركي وذرا سمع به فقصي بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخر خير وأبقي
 ان هذا الذي في الصحف الأولى ضعف إبراهيم وموسى قال قلت يا رسول الله فأوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك قال قلت
 يا رسول الله زدني قال عليك صلاة والقرآن وذكرك الله فإنه ذكرك في السماء وفورك في الأرض قال قلت يا رسول الله زدني قال
 أياك وكثرة الخلق فإنه يحب القلب ويذهب بنور الوجه قلت (٢٥١) يا رسول الله زدني قال عليك بالجهاد فإنه

رهبانية أمي قلت زدني قال عليك
 بالصمت إلا من خير فإنه مطردة
 للشيطان وعون لك على أمر دينك
 قلت زدني قال انظر إلى من هو
 تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك
 فإنه أجدر لك أن لا تزدري نعمة
 الله عليك قلت زدني قال احب
 المساكين وجالسهم فإنه أجدر أن
 لا تزدري نعمة الله عليك قلت زدني
 قال صل قرأتك وإن قطعوك
 قلت زدني قال قل الحق وإن كان
 مرا قلت زدني قال لا تحق في الله
 لومة لائم قلت زدني قال يردك عن
 الناس ما تعرف من نفسك أوتجد
 عليهم فيما تجب ثم ضرب يديه
 صدرى فقال يا بأذر لعقل كاتدبير
 ولا ورع كالكتف ولا حسب كحسن
 الخلق وروى الامام أحمد عن أبي
 المغيرة عن معان بن رفاعه عن علي
 ابن يزيد عن القاسم عن أبي امامة
 ان أبازر سأل النبي صلى الله عليه
 وسلم فذكر أمر الصلاة والصيام
 والصدقة وفضل آية الكرسي ولا
 حصول ولا قوة الابانة وأفضل
 الشهادة أو أفضل الرقاب وثبوت
 آدم وأنه مكرم وعبد الانبياء

فأخبر سبحانه أنه لم يكن من بعد الاصنام (قل ان صلاتي) قيل القول الاول اشارة الى
 أصول الدين وهذا الى فروعها واليه تنحأ أبو السعود وغيره وهذا غير ظاهر لان كون
 الصلاة وما بعدها لله من قبيل الاصول لا الفروع كالإيجي والمراد بالصلاة جنبها
 فيدخل فيه جميع أنواعها وقيل صلاة الليل وقيل صلاة العيد وقيل الصلاة المفروضة
 والاول أولى (وتسكى) التسكى جمع نسيك وهي الديكة كذا قال مجاهد والضمحالك
 وسعيد بن جبير وغيرهم أي يذبح في الحج والعمرة وقال الحسن دينا وقال قتادة ضميتي
 وقال الزجاج عبادتي من قولهم نسيك فلان فهو ناسك اذا تعبد وبه قال جماعة من أهل
 العلم ونقل الواحدى عن ابن الاعرابي قال النسيك سبائك النضه كل سبيكة منها نسيكة
 وقيل للمتعب ناسك لانه صفي نفسه كالسبيكة انتهى ولا يتخلو هذا عن تكافؤ وبعد
 (ومحمى ومحمى) أي ما أعده في هاتين الحالتين من اعمال الخير ومنها في الممات الوصية
 بالصدقات وأنواع الفرائض وقيل نفس الحياة ونفس الموت (لله رب العالمين) أي خاصة
 أو مخلوقة (لاشربك الله) في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله لا يشركه
 فيها أحد من خلقه (وبذلك) أي بالتوحيد وأجبا فأدله قوله لله من الاخلاص في الطاعة
 وجعلها لله وحده (أمرت وأنا أول المسلمين) أي المقادير من هذه الامة فالة قتادة
 وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عمران بن حصين قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم يا فاطمة قومي فاشهدى أنت خبيثك فإنه يغفل بأول قطرة تنظر
 من دمها كل ذنب علمته وقول ان صلاتي الى وأنا أول المسلمين قلت يا رسول الله هذا الملك
 ولاهل بيتك خاصة فاهل ذلك أنت أم المسلمين عامة قال لا بل للمسلمين عامة (قل غير الله)
 الاستفهام لا النكار وهو جواب على المشركون لمادعوه الى عبادته غيره سبحانه أي كيف
 (أتبني) غير الله (ربا) مستقلا وأترك عبادة الله وأشر يكافئه فاعبدهما معا (وهو) أي
 والحال انه (رب كل شيء) والذي تدعوني الى عبادته هو من جملة من هو مربوب له مخلوق
 مثلي لا يبقا رعى نفع ولا ضرر فكيف يكون المخلوق شريكا لمالكه وفي هذا الكلام
 من التقرير والتوبيخ لهم ما لا يقادر قدره (ولا تكسب كل نفس الا علىا) أي لا تؤخذ
 بما أنت من الذنب وارثك من المعصية سواها فكل نفس كسبها الشر عليها لا يتعداها
 الى غيرها وهو مثل قوله تعالى إلهامها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله لا تجزي كل نفس

والمرسلين كخوما تقدم وقال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخطه حديثي عبد المتعالى بن عبد الوهاب حدثنا يحيى
 ابن سعيد الاموى حدثنا محمد بن أبي الوداك قال قال أبو سعيد هل تقول بالخارج بالرجال قال قلت لا فقال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انى خاتم ألف نبى وأأكون ما بعثت بى يتبع الا وقد حذرا سمعته وانى قد بين في فم ما بين وانه أورو ان ربكم ليس
 بأعور وعينه اليه عورا فاحظه لا تخفى كأنه انخامه في حائط مجهص وعينه اليسرى كأنها كوكب درى دعه من كل لسان ومعه
 صورة الجنة خضر يعبر فيها الماء وصورة النار سوداء تدخن وقدر وناه في الجزء الذي فيه رواه أبي يعلى الموصلى عن يحيى بن

معنى حدثنا مروان بن معاوية حدثنا محمد بن ابي الوالد عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره انفس الناس
 نبي أو أكثر ما عنت الله من نبي الى قومه الاحد منهم انزل و ذكر تمام اخذت هذا القطع من ابدان ألف وقد تكون مقحمة وانه أعلم
 ومسايق رواية الامام احمد ثبت وأولى الصحة ورجال اسناد هذا الحديث لا بأس بهم وقد روى هذا الحديث من طريق جابر بن
 عبد الله رضى الله عنه قال اخاف أن يكون الزنادقة من عرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا محمد بن ابي عبد الله عن جابر بن ابي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سألت عن النبي أو أكثر وانه ليس منهم الا وقد انزل قومه الى جابر بن ابي قديس
 (٢٥١)

بما تسمى (ولا تزني) تحمل نفس (وازره) حملته (وزر) حمل (أخرى) ولا تؤاخذ نفس
 آتية ثم أخرى وأصل الزر والنقل ومنه قوله تعالى ووضعا عندك وزركم ووجهنا الذنب
 قال ابن عباس لا يؤاخذ أحد بنب غيره ووجه يحيى بن أوزارهم على غيره ووجه وقيل
 لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة التريب بنب قريبه والواحد من التبيل بنب
 الآخر وقد قيل ان المراد بهذه الآية في الآخرة وكذلك التي قبلها لقوله تعالى وتلقوا
 قسمة لثنتين الذين ظفروا منكم خاصة ومثله قول زب بنت جحش يا رسول الله أنه لم
 وفينا الصائون قال نعم اذا كثرا ثبت والاولى حمل الآية على ظاهرها اعني العموم
 وما ورد من المؤاخذة بنب الغير كآية التي تحملها العاقلة وهو ذلك فيكون في حكم
 انخصص بهذا العموم ويعرف في موضعه ولا يعارض هذه الآية بقوله تعالى ولحملن أثقانهن
 وأثقالا مع أثقالهن فان المراد بالاثقال التي مع اثقالهن هي اثقال الذين يصلونهم بغير علم
 الآية الاخرى ليحملوا وزارهم كلمة يوم القيامة ومن أوزار الذين يصلونهم بغير علم
 (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تتكلمون) في الدنيا
 الايام والمال وعند ذلك ينصرف الحق المحققين وباطل المبطلين (وهو الذي جعلكم خلائف
 الارض) جمع خليفة أي جعلكم خلائف الارض المضيعة والقرون السابقة أو المراد به
 يخلف بعضهم بعضا وان هذا النوع الانساني خلفا الله في أرضه قال السدي أقهر
 القرون الاولى فاستخلفنا فيها بعدهم والذخيرة على معنى (ورفع بعضكم فوق بعض
 درجات) في اخلق والرزق والقوة والعنف والعلم والعقل والجهل والحسن والقيح
 والغبى والفقر والغنى والوضع وهذا امتناوت بين اخلق في درجات ليس لاجز العجز
 أو الجليل أو الجليل فان الله سبحانه منزه عن صفات النفس ونما هو (الجليلكم فيما كنتم
 أي لخصبركم في ذلك الا وروى يعالمكم معاد البلي والختبر وهو أعلم بأحوال عباده
 منهم وأولي البلي بعضهم بعض كقوله تعالى وجعلنا بعضهم لبعض قسمة ثم خوفهم فقال
 (ان ربك سريع العقاب) لاعدائه باخلا كونه في الدنيا وانما وصف العقاب السرعة
 وان كثرة في الآخرة لان كل آت قريب كما دل وما أمر الساعة لا تخلص البصر وهو أقرب
 ثم رغب من يستحق الغيب عن المسلمين قتال (وانه يغفر رحيم) أي كثير الغفران
 لاوليائه عظيم الرحمة بجميع خلقه

الى ما لم بين لاحد منهم وانه أعور
 وان ربكم ليس بأعور قوله ولكم
 الله موسى تكليما وهذا انصرف
 لموسى عليه السلام بهذه الصفة
 ولهذا يقال له الكليم وقد قال الخافظ
 أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد
 ابن محمد بن سليمان المالكي حدثنا
 مسيح بن حاتم حدثنا عبد الجبار بن
 عبد الله قال جابر بن ابي بكر
 ابن عياش فقال سمعت رجلا يقرأ
 ولكم الله موسى تكليما فقال أبو
 بكر ما قرأ هذا الا كفر قرأت على
 الاعشى وقرأ الاعشى على يحيى بن
 وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على ابي
 عبد الرحمن السلمي وقرأ أبو عبد
 الرحمن السلمي على علي بن ابي طالب
 وقرأ علي بن ابي طالب على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ولكم الله
 موسى تكليما وانما استمد غضب
 أبي بكر بن عياش رحمه الله على من
 قرأ كذلك لانه حرف لفظ القرآن
 ومعناه وكان هذا من المعتزلة الذين
 يشكرون ان الله كلم موسى عليه
 السلام أو يكلم أحد من خلقه كما
 رويانه عن بعض المعتزلة انه قرأ
 على بعض المشايخ فركم الله موسى
 تكليما فقال له يا ابن فلان كيف

تصنع بقوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه يعني ان هذا لا يحتمل الاخرى ولا تناو يل
 وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا أحمد بن الحسين بن مرام حدثنا محمد بن مردوق حدثنا عاصم بن يحيى
 عن الحسن بن أبي جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان
 يصبر ويب الخلق على الصفا في الليلة الظلماء وهذا حديث غريب واسناده لا يصح واذ اصح موقوفا كئن جيد او قد روى الحاكم
 في مستدركه وابن مردويه من حديث محمد بن قيس الاعرج عن عبد الله بن اخضر عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان على موسى يوم ظهر به جنة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غردكي وقال ابن
 جرير دونه بأسناده عن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله نابعي موسى بمائة ألف كلمة وأربعين ألف كلمة في ثلاثة
 أيام وصايا كاهن أفعلا مع موسى كلام الآدميين مقفهم مما وقع في مسامعهم من كلام الرب عز وجل وهذا أيضا أسناد ضعيف فان
 جابر أضعفت والخبايا لم يدرك ابن عباس رضي الله عنهما فأما الآثار التي رواها ابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهما من طريق
 الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما كلم الله موسى يوم الظور كلمه
 بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يا رب هذا كلامك
 (٢٥٣)

(سورة الاعراف)

هي مكية الأيمان آيات وهي قوله واسألهم عن القرية التي قوله واذا تقننا الجبل فوقهم قاله
 ابن عباس وابن الزبير به قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقال قتادة
 آية من الاعراف مدينة وهي واسألهم عن القرية سائرهم مكية وقد ثبت ان النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم كان يقرأ بها في المغرب يقرأ بها في الركعتين وآياتها مائتان وست آيات
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

(المص) قال ابن عباس معناه ان الله فصل وعنه ان هذا ونحوه من فوائض السور قسم
 أقسم الله به وهي اسم من أسماء الله تعالى وقال السدي هو المصور وقال محمد بن كعب
 القرظي هو الله الرحمن الصمد وقال الضحاك انا الله الصادق وقيل غير ذلك ولا يخفى
 عليك ان هذا كمال قول بالظن وتفسير بالحدس ولا يخفى في شيء من ذلك والحق ما قدمناه في
 فاتحة سورة البقرة والله أعلم بمراده وهو سورة في كتابه العزيز (كَلِمَاتُ اللَّهِ الْبَلَدِ) أي هو
 كتاب وقال الكسائي أي هذا كتاب يعني القرآن أي القدر الذي كان قد نزل منه وقت
 نزول هذه الآية (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) الحرج الضيق أي ضيق من ابلاغه الى
 الناس مخافة ان يكونوا يؤذونه ويؤذونه فان الله حافظك وباصرك وقيل المراد لا يضيّق صدرك
 حينما يؤمنوا به ولم يستحيوا لك فاعلم انك السلاخ وقال مجاهد وقتادة الحرج هنا
 الشك لان السائل ضيق الصدر ان لا يشك في انه منزل من عند الله وعلى هذا يكون النهي
 له صلى الله عليه وآله وسلم لم ين باب التعريض والمراد آية أي لا يشك أحد منهم في ذلك
 والضمير في منه راجع الى الكتاب فعلى الاول التقدير من ابلاغه وعلى الثاني التقدير من
 انزاله (النَّذِيرِ) أي لتسند الناس بالكتاب الذي أنزلناه اليك وهو متعلق بأنزل أي
 أنزل اليك لا نذارك للناس به أو متعلق بالنهي لان اتقاء الشك في كونه منزلا من عند الله
 أو اتقاء الخوف من قومه يقويه على الانذار ويشجعه لان اليقين يقدم على بصيرة
 وبإشراق بقوة نفس وصاحب اليقين حسيوس متوكل على ربه (وَذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ) قال
 البصريون وذكر به ذكر المعنى للأنذار والذكرى وقال أبو اسحق الزجاج هو ذكر
 وتخصيصه بالمؤمنين لانهم الذين يجمع فيهم ذلك وفيه إشارة الى تخصيص الأنذار

بغير الكلام الذي كلمه يوم ناداه فقال له موسى يا رب هذا كلامك
 الذي كلمني به قال لا يا موسى إنما
 كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان وفي
 قوة الالسنه كلها وأنا أقوى من
 ذلك فلما رجع موسى الى بني اسرائيل
 قالوا يا موسى صف لنا كلام الرحمن
 قال لا أستطيعه قالوا فسيبه لنا
 قال ألم تسمعوا الى صوت الصواعق
 فانه قريب منه وليس به وهذا
 اسناد ضعيف فان الفضل الرقاشي
 هذا ضعيف جرة وقال عبد
 الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري
 عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن
 الحرث عن جابر بن جابر الخثعمي
 عن كعب قال ان الله لما كلم موسى
 بالالسنه كلها سوى كلامه فقال له
 موسى يا رب هذا كلامك قال لا
 ولو كلمتك بكلامي لم تستقم له قال
 يا رب فهل من خلقك يشبه كلامك
 قال لا والله خلقني شبيها بكلامي
 أشهد ما سمعون من الصواعق
 فهذا موقوف على كعب الاحبار
 وهو يحكي عن الكتب المتقدمة
 المتقلة على أخبار بني اسرائيل
 وفيها الغث والسمين وقوله رسلا

مشرى ومشرى أي يمشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات وينذرون من خالف أمره وكتب رسلا بالعقاب والعذاب
 وقوله لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عز وجل حكما أي انه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسلا بالبشارة والندارة وبين
 ما يحبه ويرضاه مما يكرهه وبأياه ثلاثي لمعتذر عندك قال تعالى ولولا أنا أهل كلهم بعد ما من قبله انزل الوار بال لا أرسلت اليها
 رسولا فتبع آياتك من قبل أن نذل ونغشى وكذا قوله ولولا ان تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية وقد ثبت في الصحيحين عن ابن
 مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش مظاهر منها وما باطن ولا أحد أحب

اليه المادح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العبد من الله من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين وفي لفظ آخر من أجل ذلك أرسل رسوله وأنزل كتبه (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزل به علم والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها أيذا ركبن ذلك على الله يديرا يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فاستمعوا له اليكم طريقا للتقوى وان تكذبوا فان الله مافي السموات والارض (٢٥٤) وكان الله عليا حكيما

الى آخر السبب اتي اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب قال الله تعالى لكن الله يشهد بما أنزل اليك أي وان كفر به من كفر به بمن كذبك وضالناك فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولهذا قال أنزل به علم أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه من البينات والهدى والقرآن وما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة التي لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب الا ان يعلمه الله به كما قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال ولا يحيطون به علما وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الحسن بن سهيل الجعفي وعبد الله بن المبارك قالوا حدثنا عمران ابن عيسى حدثنا عطاء بن السائب قال أقرأني أبو عبد الرحمن السلمي

بالكافرين (اتبعوا) كلام مستأنف خوطبه كافة المكذبين (ما أنزل اليكم من ربكم) يعني الكتاب ومثله السنة لقوله وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهو ما من الآيات قاله الزجاج وقيل هو أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولائمه وقيل هو أمر اللامعة بعد أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالتبليغ وهو منزل اليهم بواسطة انزاله الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الرازي قوله ما أنزل اليكم يتناول الكتاب والسنة وانما قال أنزل اليكم مع انه أنزل على الرسول لانه منزل على الكل بمعنى انه خطاب لكل ولفظ البيضاوي يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى انتهى وقال الحسن بن ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله ما نزلت آية الا ويحجب ان تعلم قيم أنزلت وما معناها وقيل هو خطاب للكفار اراى اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما أنتم عليه من الكفر والشرك ويدل عليه قوله (ولا تتبعوا من دونه أولياء) والاولى أولى وهو نبي اللامة ان يتبعوا أولياءه من دون الله بعدد ونهم ويجعلونهم شركاء لله من الشياطين والكهان وقال الزنجشري لا تتولوا أحد من شياطين الانس والجن ليعملوك على الاهواء والبدع فالضهير في دونه يرجع الى الرب ويجوز أن يرجع الى مافي ما أنزل اليكم أي لا تتبعه وامن دون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أولياءه وتقلدوهم في دينكم كما كان يفعل أهل الجاهلية من طاعة الرؤساء فيما يحلونه لهم ويحرمونه عليهم وقرأ ما لئن ديننا لو لا يتقوا من الابتغاء قال الرازي هذه الآية تدل على ان تخصص عموم القرآن بالقياس لا يجوز لان عموم القرآن منزل من عند الله تعالى والله تعالى أوجب متابعته فوجب العمل بعموم القرآن ولماوجب العمل به امتنع العمل بالقياس والازم التناقض انتهى والبحث في ذلك يطول وله موضع غير هذا (قليلأما) من يدل لتوكيد أي تذكرا قليلا او زمانا قليلا (تذكرون) ثم شرع الله في انذارهم بما حصل للامم الماضية بسبب اعراضهم عن الحق فقال (وكم من قرية) كم هي القرية المشهدة لا تكثير ولم ترد في القرآن الا هكذا ويجب لها الصمد لكونها على صورة الاستعظامية والقرية موضع اجتماع الناس أي كم من قرية من القرى الكثيرة (أهلكناها) نفسم باهلاك أهلها أو أهلكنا أهلها والمراد اربادنا هلاكها وقوله (بخاءها بأسنا) معطوف على اهلكنا بتقدير

القرآن وكان اذا قرأ عليه أحدنا القرآن قال قد اخذت علم الله فليس أحد اليوم أفضل منك الا يعمل ثم يقرأ الارادة قوله انزل به علم والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا قوله والملائكة يشهدون أي يصدق ما جاءك وأوحى اليك وأنزل عليك مع شهادة الله تعالى بذلك وكفى بالله شهيدا قال محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني لا أعلم والله انكم لتعاونوني رسول الله فقالوا نعم ذلك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزل به علم الآية وقوله ان الذين كفروا وصدا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا أي

كثروا في أنفسهم فلم يتبعوا الحق وسعوا في صد الناس عند اتباعه والاقتداء به قد خرجوا عن الحق وضلوا عنه فبعد وامنه بعدا عظيما شاسعا ثم أخبر تعالى عن حكمه في الكافرين بآياته وكذا دور رسوله الطالين انفسهم بذلك وبالصعد من سبله وارتكاب محاربه وانهم لما تمده بأنه لا يغفر لهم ولا يهديهم طريقا الى الخير الا طريق جهنم وهذا استثناء منقطع خالدين فيها أبدا الآية ثم قال تعالى بأنهم قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فاستأنوا خير لكم اى قد جاءكم محمد صلات الله وسلامه عليه بالهدى وبين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فاستأنوا بما جاءكم به واتبعوه (٢٥٥) يكن خير لكم ثم قال وان تكفروا فان الله

الأرادة كما مر لأن ترتيب مجيء البأس على الأهلak لا يصح إلا بهذا التقدير إذا أهلكها
هو نفس مجيء البأس وقال القراءان القابعين الواو فلا يلزم التقدير والمعنى أهلكها
وجاءها بأسنا والواو لمطلق الجمع لا ترتيب فيها وقيل إن الأهلak واقع لبعض أهل القرية
فيكون المعنى وكمن قرية أهلها بعض أهلها فجاءها بأسنا فأهلكها الجميع وقيل المعنى
وكم من قرية حكمتنا أهلا كما جاءها بأسنا وقيل أهلكها بأرسال ملائكة العذاب إليها
فجاءها بأسنا والبأس العذاب وحكي عن القراء أنه إذا كان معنى الفعلين واحدا
أو كالأول حدثت بهم ما شئت فيكون المعنى وكمن قرية جاءها بأسنا فأهلكها مثل دنا
فقرب وقرب فدنا (بينا) أي لئلا لان البيات فيه أو مصدر واقع موقع الحال يقال بات
يبيت يتبأو يتأوى (أوهم قائلون) أي قائلين وأوفى عذابا للوضع للتفصيل لا للسك
كأنه قيل أنهم بأسنا تارة لإيلا كقولهم لو ط و تارة وقت القيامة كقولهم شعيب وهل يحتاج
إلى تقدير وأوحال قبل هذه الجلالة لم لأخلاف بين التحوين فقد نزع بعضهم ورجحه الزجاج
وبه قال أبو بكر والقيامة هي يوم نصف النهار وقيل هي مجرد الاستراحة في ذلك الوقت
لشد الحزن من دون يوم وخص الوقتين لأنهما وقت السكون والدعة فجى العذاب فيها
أشد وأقطع وأثر وأردع عن الاعتزاز بأسباب الأمن والراحة والمعنى جاءها عذابا غافلا
وهم غير متوقعين له لئلا وهم نائمون أو نائمون في وقت الظهيرة أي جاءهم البأس
على غير تقدم أمارته لهم على وقت نزوله وفيه وعد ونحوه بالكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا
بأسباب الأمن والراحة فإن عذاب الله إذا نزل نزل دفعة واحدة. ثم كان دعواهم
أذ جاءهم بأسنا الآن قالوا أنا كنا ظالمين الدعوى الدعاء أي فما كان دعاءهم واستغاثتهم
بربهم عند نزول العذاب الاعتراف بهم بالظلم على أنفسهم ومثله آخر دعواهم قال سدي به
تقول العرب اللهم اشر كافي صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم
وحكاه الخليل أيضا وقيل الدعوى هنا بمعنى الادعاء والمعنى ما كان يدعون له ينهم
ويتحانونه الاعتراف بهم بظلمة وفساده (فلنأسأ الذين أرسل اليهم) هذا وعد شديد
وبين لعذابهم الآخرى أثر يسان عذابهم الدينوى غير أنه قد تعرض لبيان مبادئ
أحوال المكافين جميعا لكونه داخل في التوبيخ والسؤال للوقوف الذين أرسل اليهم الرسل
من الأمم السابقة للتقريع والتوبيخ واللام القسم أي أنسألتهم عما أجابوا به رسلهم

في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً وصحياً أو كذباً ولهذا قال الله اتخذوا أرباباً من دون الله الآية وقال الامام أحمد حدثنا هشيم قال روى عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما تطرت الجفاري عيسى بن مريم قالوا نأبده فقولوا عبد الله ورسوله ثم رواه وهو على ابن المديني عن سفیان بن عیینة عن الزهري كذلك ولفظه انما نأبده فقولوا عبد الله ورسوله وقال علي بن المديني هذا حديث صحيح مسند وهكذا رواه البخاري عن الحميدي عن سفیان بن عیینة عن الزهري به ولفظه انما نأبده فقولوا عبد الله ورسوله وقال

الامام أحمد حدثنا احسن بن موسى أحد ثمانية بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رجلا قال يا محمد يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهويكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله والله ما أحب أن ترفعوني فوق مرتلي التي أنزلني الله عز وجل تقر دمي من هذا الوجه وقوله تعالى ولا تقولوا على الله إلا الحق أي لا تقولوا عليه وتجهلوا له صاحبه وولدنا على الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا وتزعمون تقديس وتوحشني سوددوكم بآيته وعظمته فلا اله الا هو ولا رب سواه (٢٥٦) ولهذا قال انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلنته القاهالي مريم

وروح منه اى انما هو وعدم من عباد الله وخلق من خلقه قال له كن فكان ورسول من رسله وكلنته القاهالي مريم اى خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل عليه السلام الى مريم فتفخ فيها من روحه باذن ربه عز وجل فكان عيسى بآذنه عز وجل وكانت تلك النعمة التي تفخها في جيب درعها فتزك حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الاب الام والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى انه كلمة الله وروح منه لانه لم يكن له اب بولده وانما هو ناسي عن الكلمة التي قال له بها كن فكان والروح التي ارسل بها جبريل قال الله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل واهمه صدقة كايايا كاذن الطغام وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى والى احدث فرجها فتفخ فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين وقال تعالى ومريم ائمة عمران التي احدثت فرجها الى آخر السورة وقال تعالى اخبارنا عن المسيح ان هو

عند دعوتهم والقاء لترتيب الاحوال الاخرية عبد الاحوال الدنيوية (ولتسألن المرسلين) اى الانبياء الذين بعثهم الله اى يسألهم عما اجاب به أمهم عليهم ومن اطاع منهم ومن عصي وقيل المعنى فلتسألن الذين ارسل اليهم يعنى الانبياء والمرسلين يعنى الملائكة قال ابن عباس يسأل الله الناس عما اجابوا به المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا عنه ونحوه عن السدي ولا يعارض هذا قول الله سبحانه ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون لما قدمنا فيه مره فان في الآخرة مواطن في موطن يسئلون وفي موطن لا يسئلون وهكذا اسما ثم ما ورد مما ظاهره التعارض بان ائمة تارة وفي أخرى بالنسبة الى يوم القيامة قائمة محمول على تعدد المواقف مع طول ذلك اليوم طولا عظيما (فلنقصن عليهم) اى على الرسل والمرسل اليهم لما استكثروا ما وقع بينهم عند الدعوة لهم منهم (يعلم) لا يجهل اى عالين بما يسرون وما يعلنون (وما كنا غافلين) عن ابلاغ الرسل والامم بالخبايا في حال من الاحوال حتى يخفى علينا ناسي مما وقع بينهم وعما عملوا قال ابن عباس وضع الكتاب يوم القيامة فيسلكهم بما كانوا يعملون (والوزن يومئذ الحق) اى الوزن في هذا اليوم العدل الذي لا جور فيه والمعنى الوزن العدل كائن أو استقر في هذا اليوم واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن فقيل الماردي وزن صحائف اعمال العباد بالميزان وزنا حقيقيا وهذا هو الصحيح وهو الذي قامت عليه الدلالة وقيل وزن نفس الاعمال وان كانت اعراضا فان الله يقبلها يوم القيامة اجساما كما جاء في الخبر الصحيح ان البقرة وآل عمران تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وكذلك ثبت في الصحيح ان يأتي القرآن في صورة شاب صاحب اللون ونحو ذلك وقيل ان الموزون هو نفس الأشخاص العاملين وقيل الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء وذ كرهما من باب المثل كما نقول هذا الكلام في وزن هذا فانه مجاهد وقال الزجاج هذا شائع من جهة اللسان والاولى ان يتبع ما جاء في الاسانيد الصحاح من ذكر الميزان قال القشيري وقد أحسن الزجاج فيما قال اذ لا يحصل الصراط على الدين الحق والخسة والنار على ما ريد على الارواح دون الاجساد والشهواتين والجن على الاخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة ثم قال وقد اجعت الأمة في الصدر الاول على الاخذ بهذه الظواهر من غير تأويل واذا جعوا على منع التأويل وجب الاخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصا انتهى

الاعيد اعمنا عليه الآية وقال عبد الرزاق عن معمر بن عتابة وكلنته القاهالي مريم وروح منه هو والحق كقوله كن فيكون وقال ابن ابي خاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي قال سمعت شاذبن يحيى يقول في قول الله وكلنته القاهالي مريم وزوج منه قال ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وهذا أحسن مما ادعاه ابن جري في قوله القاهالي مريم اى اعلاها بها كزعمه في قوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بك كلمة منه اى بملك بكلمة منه ويجعل ذلك كقوله تعالى وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الارجة من ربك بل الصحيح انها الكلمة التي جاء بها جبريل الى مريم فتفخ فيها باذن الله فكان عيسى

عليه السلام وقال البخاري حدثنا صدقة بن النضل حدثنا الوليد حدثنا الاوزاعي حدثني عمير بن هاني حدثنا جنادة بن ابي امية عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكتبه القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل وقال الوليد حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هاني عن جنادة عن ابي جابر عن ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وكذا رواه مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر ومن وجه آخر عن الاوزاعي به فقوله في الآية والحديث وروح منه كقولاه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه أي من خلقه ومن عنده وليس من التبعيض كما تقولوا نناري عليهم لعائن الله المتابعة بل هي لبدء الخلق في الآية الاخرى وقد قال مجاهد (٢٥٧) في قوله وروح منه أي ورسول منه

والحق هو القول الاول واما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فلم يأتوا في استبعادهم بشئ من الشرع ورجع اليه بل غايته ما ثبت به مجرد الاستعدادات العقلية وليس في ذلك حجة على أحد فهذا الذالم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من العبادة والتابيعين وتابعيهم حتى جاءت البدع كالليل المظلم وقال كل ما شاء وتركوا الشر خلف ظهورهم ولم يتم جأوا باحكام عقلية يتفق العقلاء على او يتحدقوا هم لها بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه يوافق ما يذهب اليه هو ومن هو تابع له فتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهم يعرف هذا كل منصف ومن أنكره فليصف فهمه ووعده عن شرائب التعصب والتذهب فانه ان فعل ذلك أسفر الصبح لعينه وقد ورد ذكر الوزن والميزان في مواضع من القرآن كقوله وتضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وقوله فاذا نفض في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله وأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فاهو في الاحاديث في هذا الباب كثيرة جدا منذ كورت في كتب السنة المطهرة ومافي الكتاب والسنة يغني عن غيرهم فلا يلتفت الى تأويل أحد أو تحريفه منه قول الله تعالى ورسوله الصادق المصدوق والصبح يغني عن المصباح (فن ثقلت موازينه) بالحسنة فضلا من الله الناقص السيل والموازين جمع ميزان وثقل الموازين هذا ليكون بثقل ما وضع فيها من محائف الاعمال وقيل ان الموازين جمع موزون أي فن رجحت اعماله الموزونة والاول اولى وظاهر جمع الموازين المضافة الى العامل ان لكل واحد من العامة موازين يوزن بكل واحد منها نصف من اعماله وقيل هو ميزان واحد عبر عنه بلفظ الجمع كما يقال خرج فلان الى مكة على البغال وقيل انما جمعه لان الميزان يشغل على الكفتين والساعين واللسان ولا يتم الوزن الا

(٢٢ - فتح البيان ثالث) باعيسى بن مريم أنت قالت للناس اتخذوني الآية وقال في أولها لقد كذرت الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم الآية والنصارى عليهم لعائن الله من بهلهم ليس لهم ضابط ولا كفهم حد بل أقوالهم وضلالهم منتشر ففهم من يعتقده الها ومنهم من يعتقده مشركا ومنهم من يعتقده ولدا وهم طوائف كثيرة لهم أرائهم مختلفة وأقوال غير مؤلفة وقد أسدأ أحسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى لا فقرعوا عن أحد عشر قولاً ولقد ذكر بعض علماءهم المشاهير عندهم وهو سعيد ابن بطريق زيل الاسكندرية في حدود سنة أربع مائة من الهجرة النبوية أنهم اجتمعوا الجمع الكبير الذي عقدهوا فيه الأمانة الكبيرة التي لهم وانعاشي الخيانة الحقيرة الصغيرة وذلك في أيام قسطنطين باني المدينة المشهورة وأنهم اختلفوا عليه اختلفا لا ينضبط ولا ينحصر فكانوا أترديين ألفين أسقفيا فكانوا أحرابا كثرة كل خمسين منهم على مقالة وعشرون على مقالة روائية على

مقاتلة وسبعون على مائة وتزبد من ذلك وانقص فلما رأى عصاة منهم قد زادوا على الثلاثة بقية عشرة نفر اوقدوا افقوا على
مقاتلة فاخذها الملك ونصرها واثبده وكان فيلسوف اداية وحقق ما عداها من الاقوال وانتظم دست أولئك الثلاثة والتمانية عشر
وبنت لهم الذكيس ووضو الهيم كتبوا قواني أحد ثواقم الامانة التي بالقتونها الولدان من الصغار ليعتقدوها وبعدهم
عليها واتباع هؤلاء هم المالكية ثم انهم اجتمعوا جميعا ثانيا فاخذت فيهم البعوية ثم جمعوا ثانيا فاخذت فيهم النسطورية وكل هذه الفرق
ثبت الاقاييم الثلاثة في المسيح ويختلفون في كيفية ذلك وفي اللاهوت والناسوت على زعمهم هل اتحد أو اتحد أو امتزجا أو حل
فيه على ثلاث مقالات وكل منهم يكفر الفقرة الاخرى ونحن نذكر الثلاثة ولهذا قال تعالى انتو اخبر الكهنة أي يكن خبر الكهنة
انما الله واحد سبحانه ان يكون له ولد (٢٥٨) أي تعالى وتقدس عن ذلك علوا كبيرا له ما في السموات وما في الأرض

واجتماع ذلك كله (فأولئك) إشارة الى من والجمع باعتبار عدده كارجع اليه ضمير موازينه
باعتبار لفظه (هم المخلقون) أي الناجون غدا والناثرون بنواب الله وجزائه ومنه
الكلام في قوله (ومن خفت) بالسمات عدلا (موازينه) والمراد موازين اعماله
وهم الكفار بدليل قوله (فأولئك الذين خسروا انفسهم) أي غبنوا واحفظوا ظاهرا
جزيل ثواب الله وكرامته والباء في (بما كانوا) سببية (بآياتنا بالظلمون) أي يكذبون
ويجحدون وهذا الوزن للمسلمين عند الاكثر واما الكفار فيحفظ اعمالهم على احد الوجهين
في تفسير قوله تعالى فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل انها توزن أيضا وان لم تكن راجعة
ليخفف بهم لهم العذاب عنهم وهو ظاهر النظم وفي من تساوت حسنة وسبئة تسكونا
عنه وهم أهل الاعراف على قول وقد يدرج في القسم الاول لقوله خلطوا عملا صالحا
وأخر سيئا عسى الله ان يرب عليهم وعسى من الله تحقيق كاصرحوا به وللحافظ تأليف
مستقل في الميزان قال فيه انهم اختلفوا في تعدد الميزان وعدمه والصحيح الثاني والوزن
بعد الحساب وأعمال الكفرة يخفف بها عذابهم كما ورد في حق أبي طالب وهو الصحيح كما
قاله القرطبي وقال السخاوي المعقنانه مخصوص بابي طالب والمعتمد ما قاله القرطبي
فلا وجه للتردد فيه فخرج أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه وابن
مردويه والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيشره تسعة وتسعون رجلا
كل سجل منهم المصريف يقول أتذكر من هذا شيئا أظن كنتني الحافظون فيقول
لا يارب فيقول أفألك عذرا أو حسنة فيقول لا يارب فيقول بل انك عندنا
حسنة والله لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا
عبيده ورسوله فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم وضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقد صححه أيضا

وكفى بالله وكلا أي الجميع ملكه
وخلقه وجميع ما فيه ما عبيده وهم
تحت تدبيره وتصرفه وهو وكيل
على كل شيء فكيف يكون له منهم
صاحبة وولد كما قال في الآية الاخرى
بدع السموات والأرض أي يكون
له ولد الآية وقال تعالى وقالوا اتخذ
الرجن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الى
قوله فردا (لن يستنكف المسيح ان
يكون عبيد الله ولا الملائكة
المقربون ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه
جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفى هم أجورهم
ويرزقهم من فضله وأما الذين
استنكفوا واستكبروا فمعدنهم
عدا بالانبياء ولا يحيدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا قال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن موسى
حدثنا هشام عن ابن جريج عن
عطية عن ابن عباس قوله ان
يستنكف لن يستكبر وقال قتادة

لن يحتشم المسيح ان يكون عبيد الله ولا الملائكة المقربون وقد استدلل بعض من ذهب الى تفضيل الملائكة الترمذي
على البشر بهذه الآية حيث قال ولا الملائكة المقربون وليس له في ذلك دلالة لانه عطف الملائكة على المسيح لان الاستنكاف هو
الامتناع والملائكة أقدر على ذلك من المسيح فلهذا قال ولا الملائكة المقربون ولا يلزم من كونهم أقوى وأقدر على الامتناع ان
يكونوا أفضل وقيل انما ذكر الالهة مع الله كما اتخذ المسيح فاجبر تعالى انهم عبيد من عباده وخلق من خلقه كما قال الله
تعالى وقالوا اتخذ الرجن ولدا اسمه بل عبادكم من الآيات ولهذا قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا أي في يوم القيامة ويفصل بينهم بحكم العدل الذي لا يجوز نفسه ولا يحيف ولهذا قال فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفى هم أجورهم ويرزقهم من فضله يعني فيعطهم من الثواب على قدر أعمالهم الصالحة ويرزقهم على ذلك من فضله

واحسانه وسعة رحمته وامتنانه وقد روى ابن مري دو يهن طر يق بقية عن اسمعيل بن عبد الله الكندي عن الاعش عن سنان عن عبد الله مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله قال أجورهم ويزيدهم من فضله قال الشفاعة فمن وجبت له النار من صنع اليهم المعروف في دنياهم وهذا السناد لا يثبت واذ ارادوا عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد وأما الذين استنكفوا واستكبروا واستكبروا عن طاعة الله وعبادته واستكبروا عن ذلك فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا كقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي صاعرين حقيرين ذالين كما كانوا ائتمتعين يستكبرون (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورامينا فالما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويمدهم اليه صراطا مستقيما) يتولى تعالى (٢٥٩) شاطئ البحر يجمع الناس ويخبر بان قد جاءهم منه برهان عظيم وهو الدليل القاطع للعدو والحق المزيل للشبهة ولهذا

قال وأنزلنا اليكم نورامينا أي ضياء واضحا على الحق قال ابن جريج وغيره وهو القرآن فالما الذين آمنوا بالله واعتصموا أي جمعوا بين مقامى العبادة واتوكل على الله في جميع أمورهم قال ابن جريج آمنوا بالله واعتصموا بالقرآن رواه ابن جرير فيدخلهم في رحمة منه وفضل أي برحمتهم فيدخلهم الجنة ويزيدهم ثوابا ومضاعفة ورفعا في درجاتهم من فضله عليهم واحسانه اليهم ويمدهم اليه صراطا مستقيما أي طريقا واضحا قاصدا قواما لا عوجاج فيه ولا انحراف وهذه صفة المؤمنين في الدنيا والآخرة فهم في الدنيا على منباج الاستقامة وطريق السلامة في جميع الاعتقادات والعمليات وفي الآخرة على صراط الله المستقيم المفضي الى روضات الجنات وفي حديث الحارث الاعور عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

الترمذي واسنادا حسنا ولينم ما قيل مهمما تفكرت في ذنوبي * خفت على قلبي احترافه لكنه ينطفي لهيبني * بذكر ما جاء في البطاقة والسجل الكتاب وقيل انه معرب وأصل معناه الكاتب وسجل عليه بكذا شهره ورسمه قاله الزنجبني في شرح مقاماته وفي مسلم نظرت الى مدبصري مكان مد البصر قال النورى كذا هو في جميع النسخ وهو محمى ومعناه منتهى بصرى وأنكره بعض أهل اللغة وقال الصواب مدى بصرى وليس بشكر بل هما الغتان والمدى أشهر انتهى وقوله بطلاقة بكسر الباء رقعة صغيرة وتطلق على حمام تعلق في جناحه وليس مولدة كما قيل فانها اوردت في هذا الحديث وغيره وفي فقه اللغة انها معربة من الرومية وفي المحكم الرقعة الصغيرة تكون في الثوب وفيها رقم تحته حكاية شعر وقال لا تباطا من الثوب قيل وهو خطأ لأنه يقتضى ان الباطر فجر والصحيح ما تقدم كما حكاها الهروى وبؤيده ما أخرجه البخارى مرفوعا كلمتان خفيقتان على اللسان فغلبتاني في الميزان وهما كلمتا الشهادة قال الخفافى ولان تقول المراد بها كلمة التوحيد فامل والكفة بفتح فتشديد كل مستدير وبه سميت كفة الميزان للعروفة وأخرج البخارى ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لياى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (ولقد مكا كم في الارض) أى جعلنا لكم فيها مكانا وأقدرنا كم على التصرف فيها وقيل المراد من التمكن التملك (وجعلنا لكم فيها ما يشاء) أى هيأنا لكم فيها أسباب المعاش والمعايش جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطعوم والمشروب وما يتكون به الحياة وفي القاموس العيش الحياة وأيضا الطعام وما يعاش به والخبز والمعيش من له بركة من العيش وقال الزجاج المعيشة ما يتوصلون به الى العيش وهو ريم جميع وجوده والمنافع التى تحصل به الارزاق من الزرع والثمار وما يتحصل من المكاسب

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال القرآن صراط الله المستقيم وحبل الله المتين وقد تقدم الحديث بتمامه في أول التفسير والله الجود المنة (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ وهالكس له ولولده أخت فلها نصف ما ترك وهو يرث ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فالذكر كمثل حظ الانثيين يسين الله لكم ان تصلوا والله بكل شى عليم) قال البخارى حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراءة قال آخر سورة نزلت براءة وأخر آية نزلت يستفتونك وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه نحيضا لا عقل قال فتوضأ ثم صب على أوقاف عيصوا على فقلت فقلت انه لا يرثي الا كلاله فكيف الميراث فانزل الله آية الفرائض أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة ورواه الجماعة عن طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر

عن جابر بن عبد الله قال قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة قال قال ابن الزبير قال يعني جابر انزلت في يستفتونك قل الله يستفتونك قل الله يستفتونك في الكلاله الاية قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة قال قال ابن الزبير قال يعني جابر انزلت في يستفتونك قل الله يستفتونك في الكلاله وكان معنى الكلاله والله أعلم يستفتونك عن الكلاله قل الله يستفتونكم فيها فدل المذکور على المتروک وقد تقدم الكلام على الكلاله واشتقاقها وانما اخوذة من الاكليل الذي يحيط بالرأس من جوانبه ولهذا قصرها في كثر العلماء بين موت وليس له ولد ولا ولد له ومن الناس من يقول الكلاله من لا ولد له كدلت عليه هذه الاية ان امرؤ ليس له ولد وقد أشكل حكم الكلاله على أمي المؤمنين عمن الخطاب رضي الله عنه كاتبت في الصحيحين انه قال ثلاث وددت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهما السباقيين عبيد انتمهي اليه لاجل الكلاله وباب من أبواب الربا وقال الامام أحمد حدثنا السجستاني (٢٦٠) عن سعيدي بن أبي عروبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طحمة

والارباح في أنواع التجارات والصنائع وكل ذلك بتمكينه سبحانه لعباده واخامه عليهم
(قليل ما تشكرون) الكلام فيه كالکلام فيما تقدم قريبا وحقيقة الشكر تصور النعمة
واظهارها وزيادته الكفر وهو نسيان النعمة واسترها **(ولقد خلقناكم ثم صورناكم)**
عند اذ كرعة أخرى عندهم نعم الله تعالى على عبده والمعنى خلقناكم ثم نطقناكم صورناكم
بعد ذلك بالتخطيط وشن الحواس وقيل المعنى خلقنا آدم من تراب ثم صورناكم في ظهروه
وذكره بانطق الجح لا نه أبو البشر وقيل ثم صورناكم راجع اليه وبذل عليه قوله تعالى ثم خلقنا
للملائكة اسجدوا لآدم فان ترتيب هذا استول على الخلق والتعوير فيبدأ الخلق
المصور آدم عليه السلام وقال ابن عباس خلقنا في اصلاص لرجال وصوروا في ارحام
النساء وعنه قال خلقوا في ظهري آدم وصوروا في الارحام وعنه أيضا ما خلقناكم ثم فآدم
وأما صورناكم كقدرته وقال الاخفش ثم بمعنى الخوا وقيل المعنى خلقناكم من ثم صورناكم
صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق قال الخاس وهذا أحسن الأقوال قال أبو السعود
وانتسب الخلق والتصوير الى الخطابين مع ان المراد خلق آدم وتصويره اعطاه المقام
الامتنان حق وقا كيدا لوجوب الشكر عليهم بالمرضى الى ان لهم خطانا خلقه وتصويره
لانهم ما من الامور والاربابية الى ذريته جميعا وقال التازي نزل خلقه وتصويره مرة خلق
الكل وتصويرهم لانه أبو البشر وقيل المعنى ولقد خلقنا الارواح أولا ثم صورنا الاشباح
(ثم) أي بعد اكمال خلقه وفي السمين اختلف الناس في ثم في هذين الموضعين فذهب من لم يلزم
فيهما ترتيبا وجعله لاجل الترتيب في الالوه ومنهم من قال هي للترتيب في الاخبار لا في الزمان ولا طائل
تحت هذا ومنهم من قال هي للترتيب الزماني وهذا هو موضوعها الاصلية ومنهم من قال
الاولى للترتيب الزماني والثانية للترتيب الاخباري انتمهي **(قلنا لله لا تسبحوا ولا تسجدوا)**
أي امرناكم بذلك فامتثلوا الامر **(فيسجدوا)** أي تعالوا السجود بعد الامر قبل دخول
الجنة وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر وأول من سجد جبريل ثم

قال قال عمر بن الخطاب ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن باصبعه في صدرى وقال يكفكم آية الصيف التي في آخر سورة النساء هكذا رواه مختصرا وأخرجهم مسلم مطولا أكثر من هذا طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك يعني ابن مغول يقول سمعت الفضل بن عرو عن ابراهيم عن عمر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاله فقال يكفكم آية الصيف فقال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب الى من ان يكون لي حجر النعم وهذا السناد جيد الا ان فيه انقطاعا بين ابراهيم وبين عمر فانه لم يذكره قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابو بكر عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قال جابر جل الى الذي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الكلاله فقال يكفكم آية الصيف وهذا السناد

جيد رواه أبو داود الترمذي من حديث أبي بكر بن عياش وهو كان المراد بآية الصيف اسم الزنات في فصل الصيف والله ميكائيل أعلم ولما أرشده النبي صلى الله عليه وسلم الى الله فحسبها فان فيها كفاية نسي ان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن معناه ولذا قال فلان أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أحب الى من ان يكون لي من حجر النعم وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا جابر الشامي عن عمرو بن مرة عن سعيدي بن المسيب قال سأله عن الخطاب رضي الله عليه وسلم عن الكلاله فقال ليس فدين الله ذلك فترأت يستفتونك الآية قال قتادة وذكرنا ان أبا بكر الصديق قال في خطبته الا ان الآية التي نزلت في اول سورة النساء شأن القرائن أنزلها الله في الولد والوالد والآية الثانية أنزلها في الزوج والزوجة والاخوات من الام والآية التي ختم بها سورة النساء أنزلها في الاخوة والاخوات من الأب والام والآية التي ختم بها سورة الانفال أنزلها في أولى الارحام بعضهم أولى ببعض

في كتاب الله بما جرت الرحمة من العصبية رواه ابن جرير * (ذكر الكلام على معناها) وبالله المستعان وعليه التكلان قوله تعالى ان امرؤ وظل ليس له ولد أي مات قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه كل شيء يقضي ولا يبقى الا الله عز وجل كما قال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقوله ليس له ولد تسكن به من ذهب الى انه ليس من شرط الكلالة انتفاء الوالد بل يكفي في وجود الكلالة انتفاء الولد وهو رواية عن عرب الخطاب رواها ابن جرير عنه باسناد صحيح اليه ولكن الذي يرجع اليه قول الجمهور وقضى الصديقي ان الذي لا ولد له ولا ولد ويدل على ذلك قوله وله اخت فلها نصف ماترك ولو كان معها أب لم ترث شيئا لانه يحجبها بالاجماع فدل على انه من لا ولد له بنص القرآن ولا بالبائص عند التأمل أيضا لان الاخت لا يترضى لها النصف مع الوالد بل ليس لها ميراث بالكيفية وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن (٢٦١) مكحول وعطية وحزرة وراشد عن زيد

ابن ثابت انه سئل عن زوج وأخت لأب وأم فأعطى الزوج النصف والاخت النصف فكيف في ذلك فقال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بذلك فترديه أجد من هذا الوجه وقد نقل ابن جرير وغيره عن ابن عباس وابن الزبير أنهم ما كانوا يقولون في الميت ترك بنتا وأختا أنه لا شيء للاخت لقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك قال فإذا ترك بنتا فقد ترك ولدا فلا شيء للاخت وخالفهما الجمهور فقالوا في هذه المسئلة للبنت النصف بالقرض ولاخت النصف الآخر بالتعصيب بدليل غير هذه الآية وهذه نصت أن يقرض لها في هذه الصورة وأما ما رواه ابن عباس فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف للبنت والنصف للاخت ثم قال سليمان

ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون (الابليس) قيل الاستثناء متصل بتعقيب الملائكة على ابليس لانه كان منفردا بينهم أو كما قيل ان من الملائكة جنسية يقال لهم الجن وقيل غير ذلك وقد تقدم تحقيقه في البقرة (لم يكن من الساجدين) جملة متبينة لما فهم من معنى الاستثناء ومن جعل الاستثناء منقطعاً قال ومعناه لكن ابليس لم يكن من الساجدين لا دم عليه السلام (قال مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك) جملة مستأنفة كأنه قيل لماذا قال له الله ولا زادة للتوكيد بدليل قوله تعالى في سورة ص مامنعك ان تسجد قاله الكسائي والقرطبي الزجاج وقيل ان منع بمعنى قال والتقدير من قال لك أن لا تسجد قاله أجد بن يحيى حكاه الواحدي وحكاه أبو بكر عن اسرافيل منع بمعنى دعا أي ما دعاك الى ان لا تسجد قاله القاضي حكاه الرازي وقيل في الكلام حذف والتقدير مامنعك من الطاعة وأوجبك الى أن لا تسجد وقت أن أمرتك قاله الطبري وقد استدلل به على ان الامر للقرور والبحث وقرئ في علم الاصول والاستقهام في مامنعك للتقريع والتوبيخ والافهوس سبحانه عالم بذلك وقال هنا مامنعك وفي سورة الحجر قال يا ابليس مالك ألا تكون مع الساجدين وقال في سورة ص ان تسجد لما خلقت بيدى واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان العين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومناقضة الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم وقد وُجِعَ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكره ما كنهه بما ذكر في موطن آخر وقد تركت حكاية التوبيخ في سورة البقرة والاسراء والكهف وطه (قال) ابليس (أما خير منه) إنما قال هذا ولم يقل معنى كذا لان في هذه الجملة التي جاء بها استأنفة ما يدل على المنافع وهو اعتقاده انه أفضل منه والفاضل لا يفعل مثل ذلك المنفصل مع ما تفيد هذه الجملة من انكار أن يؤمر منه بالسجود لذلك ثم علل ما ادعاه من الخير به بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) اعتقاداً منه ان عنصر النار أفضل من عنصر الطين لانها

قضى فينا ولم يذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري أيضاً عن هزبل بن شرحبيل قال سئل أبو موسى الأشعري عن بنت وبنت ابن وأخت فقال للبنت النصف وللأخت النصف واثبت ابن مسعود فينا يعني فقال ابن مسعود فآخبره بقول أبي موسى فقال لقد ضللت اذا ما تأملت المهديين اقضى فيها بما قضى النبي صلى الله عليه وسلم النصف للبنت ولبنت الابن السدس تكمله الثلثين وما بقي فلاخت فأنتينا بأبا موسى فآخبرناه بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني مادام هذا الخبر فيكم وقوله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد أي والاخر يرث جميع مالها اذا ماتت كلاله وليس لها ولد أي ولا ولد لانها لو كان لها ولد لم يرث الا شيئاً فان فرض ان معناه لم يفرض صرف اليه فرضه كزوج أو أخ من أم أو صرف الباقي الى الاخ لما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى الفرائض فلا ولي رجل ذكر وقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك

أى فإن كان لمن ثبوت كلاله اختان فرض لهما الثلثان وكذا ما زاد على الاختن في حكمهما ومن ههنا أخذ الجماعة حكم المتنين كما استنبذ حكم الأخوات من البنات في قوله فإن كن ثناء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قوله وإن كانوا أخوة رجالا ونساء فلهذا كرم مثل حفظ الاثنين هذا حكم العصابات من البنين وبني البنين والأخوة إذا جتمع كورهم وأنهم أعطى الذ كرم مثل حفظ الاثنين وقوله بين الله لكم أى يفرض لكم فرايضه ويحدد لكم حدوده ويوضح لكم شرائعه وقوله إن تضلوا أى لا تضلوا عن الحق بعد البيان والله بكل شئ عليم أى هو عالم بعواقب الأمور ومصالحها وما فيها من الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القربان بحسب قربه من المتوفى وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن عليه أن أبا نيار بن عون عن محمد بن سيرين قال قالوا فى مسير ورأس من الرحلة حذيفة عند رد فى رحلته رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رأس رحلته عمر عند رد فى رحلته حذيفة قال وترأت

استفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فلماها رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة فلماها حذيفة عمر فلما كان بعد ذلك سأل عمر عنها فقال والله انك لاجق ان كنت ظننت أنه ألقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليفتيكها كما لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أزيدك عليها شيأ أبدا قال فكان عمر يقول اللهم ان كنت بيننا فانه لم يبين لي كذارواه ابن جرير ورواه أيضا عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين كذا ينحوه وهو منقطع بين ابن سيرين وحذيفة وقد قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر البرازى فى مسنده حديثا يوسف بن حماد المعنى ومحمد ابن مرزوق قال حدثنا عبد الاعلى ابن عبيد الاعلى حدثنا عثام بن حسان عن محمد بن سيرين عن ابى عبيدة بن حذيفة عن أبيه قال نزلت آية الكلالة على النبي صلى

جسم نورانى وقد أخطأ عدو الله فان عنصر الطين أفضل من عنصر النار من خيرة زائمه وسكونه وطول بقائه وقبه الأناة والصبر والحلم والحياة والتبث والتأخر خيرة مضطربة سريرة النفاذ وفيها الطيش والارتباع والحدة ومع هذا فهو موجود فى الجنة دونها وفى عذاب دونها وهو محتاج اليه ليخبر فيه وهو وسجد وطهورا وتراب عدة الممالك والاراب عدة الممالك والتارمطة الخباية والأفناء الطين مثنة الامانة والاعماء الطين يطفى النار ويتفاهو النار لا تلتفه وهذه فضائل غفل عنها اللعين حتى زل بفاسه من القياس قال التستبي والقياس مردود عند وجود النص وقياس ابليس عند الامن المنصوص خارج عن الصواب انتهى ولولا سبق شقاوته وصدق كلمة الله عليه لكان له بالامساكة المطعين لهذا الامر أسوة وقدوة فنصرهم النورى أشرف من عنصره التارى عن عكرمة قال خلق ابليس من نار العرة وقد ثبت فى الصحيح من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من نار وخلق آدم مما وصفه لكم وقال ابن سيرين ما عيشت الشمس والقمر الا بالمقاييس وأصل هذا القياس الذى فانه ابليس انه رأى النار أفضل من الطين وأقوى ولم يدرك الفضل ليس بالاصل والجوهر بل بالطاعة وقبول الامر فالؤمن الحبشى خير من الكافر القرشى وقد خص الله آدم بأشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأمجده ملائكة وعلمه أسماء كل شئ وأورثه الاحياء والتوبة والهداية الى غير ذلك للعناية التى سبقت له فى القدر وأورث ابليس بكره اللعنة والظرد للشقاوة التى سبقت له فى الازل وقال الحسن فى الآية أول من قاس ابليس واسناده صحيح الى الحسن اخره ابن جرير وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أول من قاس أمر الدين برأيه ابليس قال الله له امجد لا آدم فقال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال جعفر بن قاس أمر الدين برأيه قرنه الله يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس وشيئ ان ينظر فى اسناده

الله عليه وسلم وهو فى مسيره فوق النبي صلى الله عليه وسلم واذا هو بحذيفة واذا رأس ناقة حذيفة عند رد فى رحلته النى صلى الله عليه وسلم فلماها اياه فطر حذيفة فاذا عمر رضى الله عنه فلماها اياه فلما كان فى خلافة عمر فى الكلالة دعا حذيفة فسأله عنها فقال حذيفة لقد لقانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فليفتيكها كما لقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لصديق والله لا أزيدك على ذلك شيأ أبدا ثم قال البراز وهذا الحديث لا تعلم رواد الاحذية ولا تعلم لطر نقاع حذيفة لاخذا الطريق ولا رواه عن هشام الاعبد الاعلى وكذا رواه ابن مردويه من حديث عبد الاعلى وقال عثمان بن أبى شيبة حديثا بغير عن الشيبانى عن عمرو بن مرة عن سعيد بن المسيب أن عمر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ثبوت الكلالة قال فالزى الله يستفتونك الآية قال فكان عمر لم يفهم فقال لحفصة اذا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب نفس فليسبها فإرأت منه

طيب نفس فسأله عنها فقال أبو بكر ذلك هذا ما أرى أبو بكر يعلم قال فكان عمر يقول ما أرى أعلمها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال رواه ابن مردويه ثم رواه من طريق ابن عيينة عن عمرو بن طاوس أن عمر أمر حصة أن تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلاله فأملأها عليها في كتف فقال من أمر بك بهذا عمر ما أراه يقمها وما تكفه آية الصيف وآية الصيف التي في النساء وان كان رجل يورث كلاله أو أمره أفضالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت الآية التي هي خاتمة النساء أي الكتف كذا قال في هذا الحديث وهو مرسل وقال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن حدثنا عثمان بن عفان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال أخذ عمر كتفا وجع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لا قضين في الكلاله قضاء تحدث به النساء في خدورهن فخرجت حينئذ حية من البيت فتفرقوا فقالوا أراد الله عز وجل أن يمت هذا (٢٦٣) الأمر لآفته وهذا السناد صحيح وقال الحاكم

أبو عبد الله النسابة يورث حدثنا علي ابن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة حدثنا الهيثم بن خالد حدثنا أبو نعيم حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار سمعت محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة يحدث عن عمرو بن الخطاب قال لأن أكون سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثلاث أحب إلى من حجر النعم من الخليفة بعده وعن قوم قالوا أقرب بالزكاة في أموالنا ولا تؤذيها ذلك يحمل قتالهم وعن الكلاله ثم قال صحيح السناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ثم روى هذا الاسناد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عمر قال ثلاث لأن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يمتن لنا أحب إلى من الدنيا وما فيها الخ لافقه والكلالة والرباط ثم قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وهذا الاسناد في سفيان ابن عيينة قال سمعت سالم بن الاحول يحدث عن طاوس قال سمعت

هذا الحديث فأظنه يصح رفعه وهو لا يشبه كلام النبوة (قال فاهبط منها) جملة استثنائية كأي قلبها والفاء لترتيب الامر بالهبوط على مخالفة الامر أي اهبط من السماء التي هي محل المطيعين من الملائكة الذين لا يهبطون الله فيها أمرهم إلى الأرض التي هي مقر من بعضه ويطيع فان السماء لا تصح لمن يتكبر وبعضه أمر به مثل ذلك وقيل اهبط من الجنة والهبوط النزول والافتقار من فوق إلى أسفل على سبيل القهور والهوان والاستخفاف ومن التفاسير الباطلة ما قيل ان معنى اهبط منها أي اخرج من صورتك النارية التي افتقرت بها إلى صورة مظلمة مشوهة وقيل المراد هبوطه من زمرة الملائكة (فما يكون لك أن تتكبر فيها) أي في الجنة لانه لا ينبغي أن يسكن في الجنة أروى السماء متكبر كبحر مخالف لاهم الله عز وجل ولا يهبطونهم انه يجوز أن يتكبر في غير هالان التقدير ما يكون لك أن تتكبر فيها ولا في غير هالوا على هذا المضمون لها وجه (فأخرج) لتأكيد الامر بالهبط من عز على علمه وجه (أنك من الصغار) تعادل الامر بالخروج أي أنك من أهل الصغار والهوان على الله وعلى صالحى عبادته منك كل انسان ويعلم كل لسان تتكبر وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار فكل من تردى برداء الاستكبار عوقب بلبس رداء الهوان والصغار ومن لبس رداء التواضع ألبسه الله رداء الترفع قال الزجاج استكبر عدا الله ابليس فآتاه الله بالصغار والذلة والصغار بالفتح الذل والضم وكذا الصغر والصغار الذليل والراضى بالضم (قال أنظرني إلى يوم يعنون) جملة استثنائية أي أمهلني إلى يوم البعث وكأنه طلب أن لا يعوت لان يوم البعث لا يموت بعده والضم في يعنون لا دم وذريته أي يعنون من قبورهم بالنفخة الثانية عند قيام الساعة (قال) أي أجاهد الله بقوله (أنك من المنظرين) أي الممهلين المؤخرين ثم تعاقب بما فاض الله عليك وأنزله بك في دركات النار وقد بين الله مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال تعالى أنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين

ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر فسمعت يقول القول ما قلت وما قلت قال قلت الكلاله من لا ولده ثم قال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وهكذا رواه ابن مردويه من طريق زعمه من صالح عن عمرو بن دينار وسليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر بن الخطاب قال اختلفت أنا وأبو بكر في الكلاله والقول ما قلت وذكر أن عمر مشرك بين الاخوة للام والاب وبين الاخوة للام في الثلاث اذا اجتمعوا وخالته أبو بكر رضى الله عنهم واول قال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا سحر ابن جهمد العمري عن معمر بن الزهري عن سعيد بن المسيب ان عمر كتب في الجند والكلالة كتابا يكتب بسخر الله يقول اللهم ان علمت فيه خيرا فامضه حتى اذا طعن دعا بكتاب فحنى ولم يدأ حادما كتب فيه فقال اني قد كتبت كتابا في الجند والكلالة وكنت استخترت الله فيه فأريت ان أثر ككهم على ما كنتم عليه قال ابن جرير وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه قال اني لاستحي

ان اختلف فيه انا بكون كان أبو بكر رضى الله عنه يقول هو ما عدا الولد والوالدة الذي قاله الصادق عليه جهور الصحابة والتابعين والائمة في قديم الزمان وحديثه وهو مذهب الامة الاربعة والفقهاء السبعة قاطبة وهو الذي يدل عليه القرآن كما أرشد الله آية قد بين ذلك وصحيفة في قوله بين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم والله أعلم ﴿نفس سورة المائدة﴾

قال الامام احمد حدثنا أبو النضر حدثنا ابو معاوية شيبان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت اني لا اخذة بزمام العضاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه المائدة كلها وكانت من ثقلها اندق عضد الناقة وروى ابن مردويه من حديث صالح بن سهل عن عاصم الاحول قال حدثني أم عمر عن عمه انه كان في مسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سورة المائدة فاندق عنق الراحلة (٢٦٤) من ثقلها وقال أجد أجد أيضا حدثنا حسن بن علي ناقل ليبعة حديثي

حي عن أبي عبد الله عن أبي عبد الرحمن
الحلي عن عبد الله بن عمرو قال
أنزلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة المائدة وهو راكب على
راحله لم تستطع أن تحمله فنزل
عنها فترديه أجدو وقد روى الترمذي
عن عقبه عن عبد الله بن وهب عن
حي عن أبي عبد الرحمن عن
عبد الله بن عمرو قال آخر سورة
أنزلت إذا جاء نصر الله والفتح وقد
روى الحاكم في مستدركه من
طريق عبد الله بن وهب بإسناده
نحو رواية الترمذي ثم قال صحيح
على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال
الحاكم أيضا حدثنا أبو العباس
محمد بن يعقوب حدثنا جرير بن نصر
قال قرأ على عبد الله بن وهب
أخبرني معاذ بن عمار عن أبي
الزاهر بن عبيد بن جبير بن نفير قال
سجيت فدخلت على عائشة فقالت لي
يا جبير تقرأ المائدة فقلت نعم فقالت
فأما أنا آخر سورة نزلت فإنا وجدتم

حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم دحي
الله عليه وسلم منهم وحدنا اجدن
في التوراة انهم المساكين فاما ماروا
علي بن بديعة عن عكرمة عن ابن عباس
الذي صلى الله عليه وسلم أحد الاوتقبي
استناد نظير وقال البخاري عيسى بن راشد هذا مجهول وخبره منكرف وت علي بن بديعة وان كان ثقة الا انه شيعي قال وخبره في مثل
هذا فيه شبهة فلا يقبل وقوله لم يبق أحد من الصحابة الا عوتق في القرآن (٢٦٥)

فروا عن الزهري قال اذا قال الله آية الفرس

حدثنا العاصم عن خزيمة قال كل شيء من القرآن آية

في الصانع البعداى حدثنا معاوية يعني ابن هشام عن عيسى بن راشد عن
آية آية آية الذين آمنوا الا ان عليا سيدنا وشر بنهار أميرها وامن احجاب
من الاعلى بن أبي طالب فانه لم يعاتب في شيء منه فهو ارغر وب ولتفله فيه منكره وفي
استناد نظير وقال البخاري عيسى بن راشد هذا مجهول وخبره منكرف وت علي بن بديعة وان كان ثقة الا انه شيعي قال وخبره في مثل
هذا فيه شبهة فلا يقبل وقوله لم يبق أحد من الصحابة الا عوتق في القرآن (٢٦٥)

الصدقة بين يدي العترة فانه قد ذكر
غير واحد انه لم يعمل بها أحد الا على
ونزل قوله انما نسفتم ان تقدموا بين
يدي نحوكم صدقة فاذ لم تغفلوا وب
الله عليكم الآية وفي كون هذا اعتبا
نظر فانه قد قيل ان الامر كان نديا
لا يجابا ثم قد نسخ ذلك عنهم قبل
الفعل فلم يرد من أحد منهم ثم خلافة
وقوله عن علي الله لم يعاتب في شيء
من القرآن فيه نظر أيضا فان الآية
التي في الانفال التي فيها المعاتبة على
أخذ هذا عمت جميع من أشار
بأخذها ولم يسل منها الا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلم يعلم هذا وبما تقدم
ضعف هذا الاثر والله أعلم وقال ابن
جرير حدثنا المنخى حدثنا عبد الله
ابن صالح حدثنا الليث حدثني يونس
قال قال محمد بن مسلم قرأت كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي
كتب لعمر وبن حزم حين بعثه الى
نجران وكان الكتاب عند أبي بكر بن
حزم فيه هذا بيان من الله ورسوله

الملائكة وقيل المراد من بين أيديهم من دينهم ومن خلفهم من آخرتهم وعن إيمانهم
من جهة حسانتهم وعن شمائلهم من جهة سيئاتهم واستحسنه النحاس قال ابن عباس
أسبق لهم المعادي وأخفى عليهم الباطل وعنه قال من بين أيديهم من قبل الآخرة
فأشبههم فيها ومن خلفهم من قبل الدنيا فأرغمهم فيها وعن إيمانهم أشبههم عليهم أمر
دينهم وعن شمائلهم أشبههم المعاصي وقال الحكم بن عتبة من بين أيديهم أي من قبل
الدنيا فازينهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأنبأهم عنها وعن إيمانهم من قبل الحق
فأصددهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينهم لهم قال قتادة أناك اليس يا ابن آدم
من كل وجه غير الله لم يأتك من فوقك لم يستطع ان يحول منك وب بين رجة الله تعالى ونحوه
عن ابن عباس واقتضه ولا يستطعن ان تأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رجة الله
تعالى قيل ولا يأتي أيضا من تحتهم امال الله متكبر يحب العلو واما لان الاتيان منها ينور
ويشزع الماتى وهو يحب تأنيقه لا يتفسره فلا يأتي الا من الجهات الاربع قال مجاهد
بأنهم من الجهات الاربع من حيث لا يبصرون وقيل من بين أيديهم فيماتى من
أعمارهم فلا يقصدون فيه طاعة ومن خلفهم فيماتى من أعمارهم فلا يتوبون عما
أسلفوا فيه من معصية وعن إيمانهم من قبل الغنى فلا يتفقون ولا يشكرون وعن
شمائلهم من قبل الفقر فلا يجتمعون فيه من محظوراته وعن شقيق البخى ما من صباح
الا قد نلى الشيطان على أربع مرار صد من بين يدي فيقول لا تحف فان الله غفور رحيم
فأقر أو الى لغفارا لمن تاب وآمن وعمل صالحا ومن خلفه فيضو في الضيعة على خلفي أي
وقوع أولادى في الفقر فأقر أو ما من دابة في الارض الا على الله رزقها وعن عيسى قتيابى
من قبل النساء فأقر أو والعاقبة للمتقين وعن شمالي فيأتي من قبل الشهوات فأقر أو حصل
بينهم وبين ما يشتهون قال النسفي ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لكان الرجاء والسجدة
وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع اعلم أريد به التاكيد والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب

(٣٤ - فتح البيان ثالث) يأتيها الذين آمنوا وبقوا بالعقود فكاتب الآيات حتى بلغ ان الله سريع الحساب قال ابن أبي حاتم
حدثنا ابو سعيد حدثنا يونس بن بكير حدثني محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال هذا الكتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا الذي كتبه لعمر وبن حزم حين بعثه الى الين يفقه أهلها ويعلمهم السنة ويأخذ صدقاتهم
فكتب له كتابا وعهدا وأمره فيه بأمره فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله ورسوله يأتيها الذين آمنوا وبقوا بالعقود
عهد من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر وبن حزم حين بعثه الى الين أمره بتقوى الله في أمره كله فان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون قوله تعالى وبقوا بالعقود وقال ابن عباس وغيره ومجاهد وغير واحد يعني بالعقود اليهود وحي ابن جبر الا لاجماع
على ذلك قال واليهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الخلف وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وبقوا بالعقود يعني
باليهود ما أحل الله وما حرم وما فرض وما حدى في القرآن كله ولا تغدروا ولا تنكروا ثم شدد في ذلك فقال تعالى والذين ينقضون

عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل إلى قوله سوء الدار وقال الضحالك أوفوا بالعقود قال ما أحل الله وحرم وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالآيات بالنبي والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من القرائض من الحلال والحرام وقال زيد بن أسلم أوفوا بالعقود هي ستة عهد الله وعقد الحلف وعقد الشركة وعقد البيع وعقد النكاح وعقد العيّن وقال محمد بن كعب هي خمسة منها حلف الجاهلية وشركة المفارقة وقد استدلل بعض من ذهب إلى أنه لا خاف في مجلس البيع بهذه الآية أوفوا بالعقود وقال فهذا يدل على لزوم العقد وثبوته ويقضى نفي خيار المجلس وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وخالفهما الشافعي وأحمد والجمهور والحق في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وفي لفظ آخر للجاري إذا تابع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا (٢٦٦) وهذا صريح في إثبات خيار المجلس المتعقب لعقد البيع وليس هذا

متافيا للزوم العقد بل هو من مقتضاه أنه شرعا فالإتزام به من تمام الوفاء بالعقود وقوله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام هي الإبل والبقر والغنم قاله أبو الحسن وقنادة وغير واحد قال ابن جرير وكذلك هو عند العرب وقد استدلل ابن عمر وابن عباس وغير واحد بهذه الآية على إباحة الجذنين إذا وجد ميتا في بطن أمه إذا ذبحت وقد ورد في ذلك حديث في السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجاهد عن أبي الودائج جبرين نوفل عن أبي سعيد قال قالنا يا رسول الله تنحر الناقة وتذبح البقرة والشاة في بطنها الخنثى نلقه أم نأكله فقال كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه وقال الترمذي حديث حسن قال أبو داود حدثنا محمد بن يحيى بن فارس حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا عتاب بن بشير حدثنا عبد الله بن أبي زياد القسداحي السبكي عن أبي الزبير

ابن آدم وأنه لا يقصر في ذلك والمعنى يأتيهم من جميع الوجود الممكنة لجميع الاعتبار (و) عندنا أن فعل ذلك (لا يتجدد) يارب (أكثرهم شاكرين) موحد بن أنس بن وسوسة فيهم وغاوي لهم وهذا قاله على الظن فأصاب أقوله تعالى وأتصدق عليهم أليس ظنهم لما رأى منهم أن مبدأ الشر متعدد ومبدأ الخير واحد وقيل أنه سبغ ذلك من الملائكة فقوله وقيل رآه مكتوبا في اللوح المحفوظ والاول وأولى وقيل شاكرين مؤمنين وقيل عبر بالسكر عن الطاعة أو هو على الحقيقة ولهم لم يشكروا الله بسبب الإغواء (قال أخرج منها) أي من السماء أو من الجنة أو من بين الملائكة كما تقدم وقاله ذلك حين طرده عن بابها وأبعده عن جنبه (مذموم) من ذمها بدأ ما زادته وعابه ومقته وقيل المذموم المعنى والذام العيب بهم زولا بهمز وحكى ابن الأنباري فيه ذمها وقال الليث الذام الاحتمار وقيل الذم قاله ابن قتيبة (مدحورا) أي مطرودا والشر الظرد والابعد يقال دحره دحرا ودحورا ومنه ويقذفون من كل جانب دحورا وقال ابن عباس صغيرا بمحقوقنا وقال قتادة لعينا مقبليا وقال الكشي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير والمعاني متقاربة (لمن) بفخ اللام على أنها لام القسم وتسمى هذه اللام موطنة لأنها وطأت الجواب القسم المحذوف أي مهدته له وتسمى أيضا المؤنثة لأنها تؤذن بان الجواب بعدها مبني على قسم قبلها لا على الشرط (بعث منهم) أي من بني آدم وجواب القسم (لا ملأ من جهم) وقيل اللام الأولى للتأكيدها لا ابتداء وهذه لام القسم والأول أولى وفي هذا الجواب من التهديد ما لا يقادر قدره (منكم أجمعين) أي منكم ومنهم وفيه تغليب الحاضر وهو ألبس على الغائب وهو الناس (و) قلنا (يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) قاله هذا القول بعد إخراج ألبس من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة والمعنى اتخذها مسكنا وتخصيص الخطاب بآدم لا ليدان بأصاته في نفي الوحي وتعاطى الأمور به واختلصوا في خلق حواء فقال ابن إسحق خلعت قبل دخول آدم

عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكاة الخنزير ذكاة أمه تفرده أبو داود قوله لا مايتلى عليكم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بذلك الميتة والدم ولحم الخنزير وقال قتادة يعني بذلك الميتة وما لم يذكرا سم الله عليه والظاهر والله أعلم أن المراد قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغيب الله به والمنخقة والموقوفة والمتردية والطبيعة وما كل السبع فإن هذه وإن كانت من الأنعام إلا أنها تحرم بهذه العوارض ولهذا قال لا ما ذكيتهم وما ذبح على النصب يعني منها فانه حرام لا يمكن استدرأه وملاحقته ولهذا قال تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم أي إلا مايتلى عليكم من تحريم بعضها في بعض الأحوال وقوله تعالى غير محلي الصيد وأنت حرم قال بعضهم هذا منصوب على الحال والمراد بالأنعام ما يبيع الأنسي من الإبل والبقر والغنم وما يبيع الوحشي كالفيل والبقرة والجرفا مستثنى من الأنسي ما تقدم واستثنى من الوحشي الصيد في حال الأحرار وقيل المراد أكلنا لكم الأنعام في جميع الأحوال فحرموا الصيد في حال الأحرار فالله

حكمهم هذا وهو الحكم في
لهذا قال تعالى ان الله يحكم ما يريد ثم قال تعالى يا أيها الذين

شعائر الله قال ابن عباس
وقال بجاهد الصفا والمروة والهدى والبدن من شعائر الله
محرمة أي لا تحبوا محارم الله التي حرّمها تعالى ولهذا قال تعالى ولا الشهور الحرام يعني بذلك تحريمه والاعتراف بتعظيمه وترك ما نهى
الله عن تعاطيه فيه من الابتداء بالقتال وقتاً كذا جتنب انحرام كما قال تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير
وقال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً الآية وفي صحيح البخاري عن أبي بكره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في حجة الوداع ان الرمان قد استدار اربعة مائة يوم خلق الله السموات والارض اربعة مائة سنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاث متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وربح مضرا الذي بين جمادى وشعبان وهذا (٢٦٧) يدل على استمرار تحريمها إلى آخر وقت كما هو

مذهب طائفة من السلف وقال على
ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي
الله عنه في قوله تعالى ولا الشهور
الحرام يعني لا تسهلوا القتال فيه
وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد
الكريم بن مالك الجزري واختاره
ابن جرير أيضاً وذهب الجمهور إلى
ان ذلك منسوخ وأنه يجوز ابتداء
القتال في الأشهر الحرم واختبوا
بقوله تعالى فإذا انسحبت الأشهر الحرم
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
والمراد أشهر التسيار الاربعة قالوا فلم
يستثن شهر احراماً من غيره وقد حكى
الامام أبو جعفر الاجاع على ان الله
قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر
الحرم وغيرها من شهور السنة قال
وكذلك أجمعوا على ان المشرك لو
قلد عقسه أو ذراع عيه لباح جميع
أشجار الحرم لم يكن ذلك أمناً من
القتل اذ لم يكن تقدم له عقد ذمة
من المسلمين وأما وللهذه المسألة
بحث آخر له موضع أبسط من هذا

الجنة وهو ظاهر هذه الآية
علم الله (فكلام من حيث) أي من أي نوع من أنواع الجنة (شتمها) أي كلفه ومثله
ما تقدم من قوله تعالى وكلامها عند حيث شتمها وقال أبو السعود حيث ظرف مكان
أي فكلام من شتمها في أي مكان شتمها الا كلفه وقال هناك بالواو هو بالفاء قال
الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالقوله من الفاء
نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بينهما في البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع
(ولا تقربوا هذه الشجرة) تقدم الكلام على هذا في البقرة متوفى (فتكونا) أي قصيرا
(من الضالين) لانهما كأي العاصين لله تعالى (فوسوسا لهما الشيطان) الوسوسة
الصوت الخفي وحديث النفس يقال وسوس اليه نفسه وسوسة وسوسا بكسر الواو
والوسوسة بالفتح الاسم مثل الزلزلة والزوال ويقال لهمس الصائد والكلاب وأصوات
الخطي وسواس والوسواس اسم الشيطان ومعنى وسوس له وسوس اليه أو فعل الوسوسة
لأجله قال الحسن كان يوسوس في الارض الى السماء ثم الى الجنة بالقوة القوية التي
جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم الاصباحي بل كان آدم وابليس في الجنة لان هذه الجنة
كانت في الارض وقيل غير ذلك مما لا طائل تحت ذكره والذي يقوله بعض الناس ان
ابليس دخل في جوف الحية وهي دخلت به الى الجنة فهو قصة ركيكة (ليبدى) أي
ليظهر (لهما) اللام العاقبة كما في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل هي لآدم أي فعل
ذلك لتعقبه الابداء ولكن يقع الابداء ويصح ان تكون للعدو والغرض لجواز ان يكون
ظهور وسواسهم ما زادة على وقوعه في المعصية (ما ووري) أي ما ستر وعطى فوعلى من
المواراة (عنهم امن سواتهم) سمي القرع من ماسواة لان ظهوره وانكشافه يسوء
صاحبه ويحزنه أراد الشيطان ان يسوءهما ينظرهما كان مستورا عنهما من عورتهم
فأنهما كانا لا يريان عورتهم ما ولا يراها أحد من الاخر قيل اغلبت لهما لا لغيرهما

قوله تعالى ولا الهدى ولا القتلا
يعني لا تتركوا الا الهدى الى البيت الحرام فان فيه تعظيم شعائر الله ولا تتركوا تقليدها
في أعناقها التميز به عما عداها من الانعام وليعلم انها هدى الى الكعبة فيجتنبها من يريدها يسوء وتبعث من يراها على الاتيان
بثلاثها فان من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيء ولهذا لما حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم باني الخليفة وهو وادي العقيق فلما أصبح طاف على نسائه وكن تسعاً ثم اغتسل وقطب وصلى ركعتين
ثم أشرف هديه وقاده وأهل الحج والعمرة وكان هديه ابلا كثيرة تنف على الستين من أحسن الاشكال والالوان كما قال تعالى ذلك
ومن يعظم شعائر الله فإنهم ينجي القلوب وقال بعض السلف اعظمها استحسانها واستسمائها قال علي بن أبي طالب أمرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن زوار أهل السنن وقال مقاتل بن حيان ولا قتلا فلا تسجلوه وكان أهل
الجاهلية اذا خرجوا من أوطانهم في غيرة الأشهر الحرم قلدوا أنفسهم بالشعر والوبر وقلدوا مشركو الحرم من الجاهنجه فيأمنون

به رواه ابن أبي حاتم قال حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبيد بن سليمان قال حدثنا عباد بن العوام عن شيبان بن حشين عن الحكم عن
 مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال نوح من هذه السورة آيات القلائد وقوله فان جاولك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم
 وحدثنا المنذر بن شاذان حدثنا زكريا بن عدي حدثنا محمد بن أبي عدي عن ابن عوف قال قلت للحسن نسخ من المائدة متى قال لا
 وقال عطاء كانوا يقدون من شجر الحرم قيامون فهي الله عن قطع شجره وكذا قال مطرف بن عبد الله وقوله تعالى ولا تأمن البيت
 الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أي ولا تستحلوا قبل القاصدين إلى بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا وكذا من قصده
 طالبا فضلا لله وراغبيا رضوانه فلا تصدوه ولا تمنعوه ولا تحجوه قال مجاهد وعطاء وأبو العلاء ومطرف بن عبد الله وعبد الله بن
 عبيد بن عمر والريعي بن أسد ومقاتل بن (٢٦٨) حبان وقادة وغير واحد في قوله يبتغون فضلا من ربهم يعني بذلك التجارة وهذا

كما تقدم في قوله ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم وقوله
ورضوانا قال ابن عباس يترضون
الله بحبهم وتذكر عكرمة والسدي
وابن جرير ان الآية نزلت في الخطيم
ابن هند البكري كان قد اغار على
سرح المدينة فلما كان من العام
المقبل اعقر الى البيت فأراد بعض
الصحابية ان يعترضوا في طريقه الى
البيت فانزل الله عز وجل ولا أمين
البيت الحرام يبتغون فضلا من
ربهم ورضوانا وقد حكى ابن جرير
الاجماع على أن المشرك يجوز قتله
اذا لم يكن له أمان وان أم البيت
الحرام أو بيت المقدس فان هذا
الحكم منسوخ في حقهم والله أعلم
فاما من قصده بالحادفية والشرك
عنده والكفر به فهذا يمنع وقال
ابن أبي طلحة عن ابن عباس كان
المؤمنون والمشركون يبتغون فنهى
الله المؤمنين ان يمنعوا أحدا من
مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا

وان كان مستحيبا فمحب أو مباحا فباح ومن قال انه على الوجوب ان تقض عليه بآيات كثيرة
والذي ينظم الأدلة كما هذا الذي ذكرناه كما اختاره بعض علماء الأصول والله اعلم وقوله
المسجد الحرام ان نعتد ومن القرآن من قرأ ان صدركم بفتح الالف من ان ومعناها ظاهر رأى لا
عن الوصول الى المسجد الحرام وذلك عام الحديث على ان نعتدوا بحكم الله فيهم فقطعوا منهم
الله بمن العدل في حق كل احد وهذه الآية كما ساقى من قوله ولا يجبر منكم شئ ان قوم على ان لا تعبدوا اعدوا هو اقرب للتقوى
أى لا يجبر منكم بعض أقوام على ترك العدل فان العدل واجب على كل احد في كل حال وقال بعض السلف ما علمت
من عسى الله فيك بخل ان تطيع الله فيدوا العدل به قامت السموات (٢٦٩) والارض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي

لا
حدثنا سهل بن عفان حدثنا عبد
الله بن جعفر عن زيد بن أسلم قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحدية وأصحابه حين صددهم
المشركون عن البيت وقد اشد
ذلك عليهم فربهم ناس من المشركين
من أهل المشرق يريدون العمرة
فقال أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم
فأمر الله هذه الآية والشأنات هو
البغض قاله ابن عباس وغيره وهو
مصدر من شئنا أنه أسنوه شئنا
بالتعريف مثل قولهم جزارا ودرجان
ورقلا من جرز ودرج ورقل
وقال ابن جرير من العرب من يسقط
التعريف في شأن فيقول شأن ولم
أعلم أحد اقربها ومنه قول الشاعر
وما العيش الا متحب وتشتهى
وان لام فيه ذو الشأن وفندا
وقوله تعالى وتعاونوا على البر
والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان يأمر تعالى بعبادة المؤمنين

المبالغة في صدور الاقسام لهم ان ليس (اى لكل من الناصحين) في ذلك قبل انهما أقسما
لما يقول كما أقسم لهما على المناجحة قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد
يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت قبلكما وأعلم منكما فإني أُرشدكما (فدلاهما
بغرور) أى مناهما والدلية والدلالة ارسال الشئ من أعلى الى أسفل يقال أدلى دلو
أرسلها والمعنى انه أبطهما بذلك من الرتبة العلية الى الاكل من الشجرة أو من السماء
الى الارض وقيل معناه أو قهما في الهلاك وقيل خدعهما وقيل دلاهما من الدالة
وهي الجراة أى جراهما على المعصية فخرجوا من الجنة (فلذا قافاً) أى طعما الشجرة
(بنت) ظهرت (لهماسواتهما) عورتاهما أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودره
بسبب زوال ما كان ساترا لهما وهو تقص النور الذى كان عليهما قال ابن عباس تهاقت
عنهما الباهما حتى أبصر كل واحد منهما ما ورى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك
وقال قتادة كان لباسهما ظفرا كله فقطع عنهما أى غطاء على الجسد من جنس الاظفار
فخرج عنهما وبقت الاظفار في اليدين والرجلين تذكر ونسبة واتمعا وقيل كان من
لباس الجنة وهذا اقرب لان اطلاق اللباس يتبادر فيه وقال مجاهد كان لباسهما التقوى
وقد تدم في البقرة وفيه دليل على انهما تناولا لا السير من ذلك قصد الى معرفة طعمه لان
النبي يدل على الاكل اليسير (وظفقا) طفق يفعل كذا بمعنى شرع يفعل كذا وحكى
الاحفش طفق بطفق مثل ضرب يضرب أى شرعوا وجعلوا أقبالا (يخصفان عليهما من
ورق الجنة) قيل من التين وقيل من الموز قرأ الزهري يخصفان من أخفف وقرأ
الجمهور يخصفان من خصف والمعنى انهما أخذوا يقطعان الورق ويلزقانه بعورتهم
ليسترأها من خصف العمل اذا جعل طبقة فوق طبقة عن عكرمة قال كان لباس كل
دابة منها ولباس الانسان الظفر فادرك آدم التوبة عند ظفره وقال ابن عباس كان
لباس آدم وحواء كان ظفر فلما كلاما من الشجرة لم يبق عليهما الا مثل الظفر وطفقا نزعان

بالمعاونة على فعل الخيرات وهو البر وترك المنكرات وهو التقوى وينهاهم عن الناصر على الباطل والتعاون على الماتم والنجارم
قال ابن جرير الاثم ترك ما أمر الله بفعله والعدوان مجاوزة ما حذر الله في دينكم ومجاوزة ما فرض الله عليكم في أنفسكم وفي غيركم
وقد قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك
ظالمًا ومظلوماً قيل يا رسول الله هذا انصره مظلوماً فكيف انصره اذا كان ظالما قال تتجسس وتعتنه من الظلم فذا انصره اياه أخرجاه
في الصحيحين وقال أحمد حدثنا يزيد حدثنا سفيان بن سعيد عن الاعشى عن يحيى بن زئاب عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عليه
وسلم قال المؤمن الذي يتخالط الناس ويصبر على اذاهم أعظم أجرا من الذي لا يتخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقد رواه أحمد أيضا
في مسنده عبد الله بن عمر حدثنا جاح حدثنا شعبة عن الاعشى عن يحيى بن زئاب عن شيخ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
المؤمن الذي يتخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يتخالطهم ولا يصبر على اذاهم وهكذا رواه الترمذي من حديث شعبة

وإن ما جاء من طريق الحق بن يوسف كلاًهما عن الأعمش به وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد أبو شيبة
الكوفي حدثنا بكر بن عبد الرحمن حدثنا عيسى بن المختار عن ابن أبي ليلى عن فضيل بن عمرو عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إيمان على الخير كنافه ثم قال لا تعلمه بروي الأبهذا إلا بعد ذلك وله شاهد في الصحيح من دعا إلى الهدى كان
له من الأجر مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة لا ينقص من أجره شيء ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثم من تبعه
إلى يوم القيامة لا ينقص ذنبه شيء قال أبو القاسم الطبراني حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الجصبي حدثنا أبي حدثنا
عمرو بن الحرث عن عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال قال عيسى بن يوسف إن أبا الحسن عمر إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من متى مع ظالم يعيب وهو (٢٧٠) يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام (حرم عليكم الميتة والدم وخم افترق وما

في صحيحهما عن أبي خريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وهكذا كاتبي
الجزء لما سألتني من الحديث قوله - والدم يعني المسفوح لقوله أو دما مسفوحا قاله ابن عباس وسعيد بن جبيرة قال ابن أبي حاتم حدثنا
كثير بن شهاب المزني حدثنا محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمار ورويعي بن قيس عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن
الطحال فقال كلوه فقالوا لا ندع دم فقال التحلحلم عليكم الدم المسفوح وكذا رواه مجاهد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة
قالت انحلت مني عن الدم المسفوح وقد قال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي حدثنا عبد الرحمن بن زبير بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر
مرقوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحل لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحمل والجنثان والدمان الدمان فالتكبد والطحال
وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن ماجه والدارقطني والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن زبير بن أسلم وهو ضعيف قال الحافظ البيهقي
ورواه اسمعيل بن أبي إدريس عن أسامة وعبد الله وعبد الرحمن بن زبير بن أسلم عن ابن عمر مرقوعا قلت وثلاثهم ضعفاء ولكن

بعضهم أصح من بعض وقد رواه سليمان بن بلال أحد الأئمة عن زيد بن أسلم عن ابن عمر فوقفه بعضهم عليه قال الحافظ أبو زرعة الرازي وهو أصح وقال ابن أبي حاتم خدثنا علي بن الحسين خدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب خدثنا شيرين بن شرح عن أبي غالب عن أبي امامة وهو صدوق بخلاف قال يعقوب بن مفضل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أدعوهم إلى الله ورسوله وأعرض عليهم شرائع الإسلام فأنبتهم فيبغضونني كذلك إذا جازا بقصة من دم فاجتمعوا عليها كأني أبقواهم بأصدي فكل قال قلت ويحكم انما يتكلم من عندهم من يحرم هذا عليكم فاقبلوا عليه قالوا وما ذلك فتأوت عليهم هذه الآية حرمت عليكم الميتة والدم إلا به ورواه الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث ابن أبي الشوارب بأسانده ماله وزاد بعد هذا السياق قال يبعثون أدعوهم إلى الإسلام وبأنون علي فقلت ويحكم اسقوني شربة من ماء فإني شديد العطش (٢٧١) قال وعلى عياني فقالوا لا ولكن ندعك حتى تعوث

عطشا قال فاعتصمت وضربت برأسي في العباءة وغمت على الرضا في حر شديد قال فإني أتيت منامي بقدر من زجاج لم ير الناس أحسن منه وفيه شراب لم ير الناس ألذ منه فامكنتني منه فشربته فإمرأته من شرابي استيقظت فلا والله ما عاشرت ولا عرفت بعد تلك الشربة ورواه الحاكم في مستدركه عن علي بن حماد عن أعرج بن حنبل حدثني عبد الله بن سالم بن عياش العامري حدثنا صدقة بن هرم عن أبي غالب عن أبي امامة وذكر نحوه وزاد بعد قوله بعد تلك الشربة فسمعهم يقولون أنا كم رجل من سراة قومه فلم يجمعوه بمذقة فأوتوني بمذقة فقلت لا حاجة لي فيها إن الله أطعمني وسقاني وأوربهم بطني فاسألوا عن آخرهم وما أحسن ما أنشدوا الأعشى في قصده التي ذكرها ابن اسحق وأبو الألبان لا تقر بها ولا تأخذن عظمه أحديد النصفدا

كأني قبلها أو عيذا ما للذي ان سيد اتصال ما بعده بما قبله وأما الاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده (ومنها خراجون) إلى دار الآخرة ومثله قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنم الخرج حكمه نارة أخرى قبل الخطاب لآدم وذريته وإبليس وأولاده وقد سبق شرح هذه القصة مستوفى في البقرة فارجع إليه (يا بني آدم) هذا نذير بعض النعم لاجل امتثال ما هو المقصود لا في بقوله لا يفتككم الخ (قد أنزلنا عليكم لباسا) عبر سبحانه بالانزال عن الخلق أي خلقنا لكم لباسا وقيل رزقناكم لباسا وقيل أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكانه أنزله عليهم وقيل جسيع ركبت الارض تنسب إلى سقى اضطرتهم إلى الرق الاوراق فأنتم مستغنون عن ذلك باللباس وقال مجاهد كان ناس من الغرب يطوفون بالبيت عرفا والسوء العورة كاسلف والكلام في قدره هو ما يجب ستره منها بين في كتب الفروع (وريشا) وقرئ يار شاجر ريش وهو اللباس قال القرطبي ورياش كما يقال لبس ولباس وريش الطائر ما ستره الله به وهو لباسه وزيشه كالتياب للانسان وقيل المراد بالريش هنا الخشب ورفاهية العيش قال القرطبي والذي عليه أكثر أهل اللغة ان الريش ما ستر من لباس أو عبية وعن أبي عبيدة وهبت له ذابة وريشها أي ما عليها من اللباس وقيل المراد بالريش هنا لباس الزينة لانه كره بعد قوله لباسا وعطفيه عليه قاله الزمخشري وقال مجاهد والخضاك والسدي ريشا أي المال وعن عروة بن الزبير مثله وقال ابن عباس المال واللباس والعيش والنعيم والايمن وقال ابن زيد الريش الجمال وقيل الاناث وما ظهر مما لبس أو يقرش (ولباس التقوى) أي الناسى عنها أو الماشئة عنه والاضافة قريبة من كونها بيانية أي لباس الورع واتقا معاصي الله وهو الورع نفسه والخشية من الله تعالى وقيل لباس التقوى الحياء وقيل الاسلام وقيل العمل الصالح وقيل هو لباس الصوف والخشن

أي لا تجعل فعل الجاهلية وذلك ان أحدهم كان اذا جاع يأخذ شيئا محمدا من عظم ونحوه فيفصله بغيره أو حيا أو نامن أي صنف كان فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه ولهذا من الله الدم على هذه الامة ثم قال الأعشى وهذا النصب المنسوب لآبائهم ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا قوله لحم الخنزير يعني انسيه ووحشيه واللعن يعم جميع اجزائه حتى الشحم ولا يحتاج إلى تحديق الظاهرية في جودهم ههنا وتعتصمهم في الاحتجاج بقوله فانه رجس أو فسقا يعنون قوله تعالى الآن يكون مبية أو ما مسفوحا ولحم خنزير فانه رجس أعادوا الضمير فيما فهموه على الخنزير حتى يعم جميع اجزائه وهذا بعيد من حيث اللغة فانه لا يعود الضمير إلى المضاف دون المضاف اليه والاظهار ان اللعن يعم جميع الاجزاء كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد في صحيح مسلم عن يزيد بن الحبيب الاسلمي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالترد شرافكا كمن شبع بده في لحم الخنزير ودعه فاذا كان هذا التفسير لمجرد اللبس فكيف يكون التمديد والوعيد الا كيد على آكاه

والتغذي به وفيه دلالة على شمول العلم لجميع الاجزاء من الشجر وغيره. وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه تغطي بها الشفن وتدهن بها الجلود ويستحسب بها الناس فقال لا هو حرام وفي صحيح البخاري من حديث أبي سفيان انه قال لم يقل مالك الروم نهان عن الميتة والدم وقوله وما اهل لغير الله به أي ما ذبح فذكر عليه اسم غير الله فهو حرام لان الله تعالى اوجب ان تذبح شحوقه على اسمه العظيم في عدل نهان ذلك وذكر عليه اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر الخنواقات فانها حرام بالاجماع وانما اختلف العلماء في بتره التسمية اما عداؤا ونسيانا كما سيأتي تقرير في سورة الانعام وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهيثمي حدثنا عيسى بن حماد حدثنا ابن فضيل عن الزيد بن جيع عن (٢٧٤) أبي الطفيل قال نزل آدم بهصر ثم أربع الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله

به وان هذه الاربعة الاشياء لم تحل قط ولم تزل حراما منذ خلق الله السموات والارض فلما كانت بنو اسرائيل حرم الله عليهم طبابت اكلت لهم بنوفهم فلما بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام نزل بالامر الاول الذي جاء به آدم وأحل لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه وهذا أثر غريب وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ربي عن عبد الله قال سمعت الجار ود بن أبي سبرة قال هو جدي قال كان رجل من بني رباح يقال له ابن نائل وكان شاعرا نافر غالبا جدا للفرزدق بانه يظهر الكوفة على ان يعقر هذا مائة من ابه اذا وردت الماء فلما وردت الماء قاما بسيفيهما فجعلا يكشطان عراقيهما قال فخرج الناس على الحرات والبغال يريدون اللحم وعلى الكوفة قال فخرج على على بغله رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الثياب لما فيه من التواضع لله وقيل هو الدرع والمغفر الذي يلبسه من مجاهد سبل الله وقيل هو ستر العورة في الصلاة وقال عثمان هو السميت الحسن وقال الكبي هو العفاف والاول أولى وهو يصدق على كل ما فيه تقوى الله فيندرج تحته جميع ما ذكر من الاقوال ومثل هذه الاستعارة كثيرة الوقوع في كلام العرب (ذلك) أي لباس التقوى هو (خير) أي خير لباس وأجل زينة لانه يستر من فضائح الآخرة وقيل الايمان والعمل خمرين اللباس والريش قاله ابن عباس وأشدوا في المعنى

أدأنت لم تلبس ثيابا من التي * عربت وان واري القميص قبص

(ذلك) أي الانزال المذكور عليه بانزلنا (من آيات الله) الدالة على ان له خلقا (لعلهم يذكرون) نعمته فيسكرونها وفيه التفات عن الخطاب وكان مقتضى المقام لعلمكم بمر كر الله سبحانه التذلل إلى آدم تحذير الهيم من الشيطان فقال (يا بني آدم لا فتنك الشيطان) أي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة فان تعبدكم من دخول الجنة فالتبى وان كان للشيطان فهو في الحقيقة لبني آدم بان لا يفتنوا بفتنته ويتأثروا بذلك كما في قوله لا أرينك هنا (كما أخرج) أي لا يفتن (أبويكم) بان أخرجهم (من الجنة) أو لا يفتنكم فتنة مثل إخراج أبويكم ومثل فتنة إخراج أبويكم أو لا يخرج جنكم فتنته إخراجهم إخراج أبويكم (ينزع عنهم الباسما) قد تقدم تفسيرها وأضاف نزعها إلى الشيطان وان لم يشر ذلك لانه كان بسبب وسوسة فاستداليه وصيغة المضارع لاستحضار الضرورة التي وقعت في الماضي والنزع الجسدي للشي بقوة عن مقره ومنه نزع الناس كلهم إخراجهم من نخل منقر ومنه نزع القوس ويستعمل في الاعراض ومنه نزع الغداوة والمحنة من القلب ونزع فلان كذا سلبه ومنه والنزاعات عرفا لانها تنقلع أرواح الكفرة بشدة ومنه المنازعة وهي المخاصمة والنزع عن الشيء الكف عنه والنزوع الاشتياق الشديد ومنه نزع إلى وطنه واختلاف في الباس فقيل الظفر وقيل النور وقيل التقوى وقيل

البياض وهو ينادي بأيها الناس لانما كانوا من لحومها فانما اهل بها غير الله هذا

أثر غريب يشهد له بالجملة ما رواه أبو داود حدثنا هرون بن عبد الله بن جابر بن مسعدة عن عوف عن أبي رجينة عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معايرة الاعراب ثم قال أبو داود ومحمد بن جعفر هو عن عوف عن ابن عباس تفريده أبو داود وقال أبو داود أيضا حدثنا هرون بن زيد بن أبي الزرقاء حدثنا أبي حدثنا جابر بن حاتم عن الزبير بن جريت قال سمعت عكرمة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتبارزين ان يؤكل ثم قال أبو داود أكثر من رواه غير ابن جابر لا يذكر فيه ابن عباس تفريده أيضا قوله والمختصة وهي التي عوت بالخلق اما قصدا واما اتفاقا فان تضرعت في وثاقها فموت به فهي حرام واما الموقوفة فهي التي تضرب بشئ ثقيل غير محمد حتى عوت كما قال ابن عباس وغير واحد هي التي تضرب بالخشبة

حتى يوقظها فتوت قال فتادته كان أهل الجاهلية يضربون بالعضى حتى إذا ماتت أكلوها وفي الصحيح أن عدى بن حاتم قال قلت
 يا رسول الله أتى أبى بالمعرض الصيد فأصيب قال إذا ربيت بالمعرض فخرق فكلته وإن أصاب بعرضه فأفاهو وقيد فلانأ كله
 ففرق بين ما أصابه بالسهم أو بالمزق ونحوه بجذته فأكله وما أصاب بعرضه فجعله وقيداً وهذا مجمع عليه عند الفقهاء واختلفوا فيما
 إذا صدم الحارحة الصيد فقتله بثقله ولم يجز حرجه على قولين هما قولان للشافعي رحمه الله أحدهما لا يحل كافي السهم والجامع
 أن كلامهم ما ميث بغير حرج فهو وقيد والثاني أنه يحل لأنه حكم بإباحة مصادمه الكلب ولم يستقل نذل على إباحة ما ذكرناه
 لأنه قد دخل في العدم وقد قررت لهذه المسئلة فصلاً فليكتب ههنا * (فصل) * اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فيما إذا
 أرسل كلباً على صيد فقتله بثقله ولم يجز حرجه أو صدمه هل يحل (٢٧٢) أم لا على قولين أحدهما أن ذلك حلال

لعموم قوله تعالى فكأولاً مما مسكن
 عليكم وكذا عمومات حديث عدى
 ابن حاتم وهذا قول حكاه الأصحاب
 عن الشافعي رحمه الله وصححه بعض
 المتأخرين كالنووي والرافعي (قلت)
 وليس ذلك بظاهر من كلام الشافعي
 في الام والمختصر فإنه قال في كلا
 الموضعين يحل معنمين ثم وجهه كلا
 منهما ما يحل ذلك الأصحاب منه
 فاطلقوا في المسئلة قولين عنه
 اللهم الا أنه في بحثه (٣) حكايته
 للقول بالحل وشجعه قليلاً ولم يصرح
 بواحد منهما ولا لاجرم به والقول
 بذلك أعنى الحل نقله ابن الصباغ
 عن أبي حنيفة من رواية الحسن
 ابن زياد عنه ولم يذكر غير ذلك وأما
 أبو جعفر بن جرير فحكاه في تفسيره
 عن سلمان الفارسي وأبي هريرة
 وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وهذا
 غريب جداً وليس يوجد ذلك
 مصرحاً به عنهم اللهم من نصرفه
 رحمه الله ورضى عنه والقول

كان من شيا ب الجنة وهذا أقرب لأن إطلاق اللباس ينصرف إليه ولأن التزاع لا يكون
 إلا بعد اللبس (ليزيمه أسوأ آتيماً) اللام لا مكي وقد تقدم تفسيره أيضاً والضمير في (أنه)
 فيه وجهان الظاهر منهما أنه للشيطان والثاني أن يكون ضمير الشأن وبه قال الزنجشري
 ولا حاجة تدعو إلى ذلك (يراهم هو وقيله) هذه الجلة لتعليل ما قبلها مع ما يتضمنه من
 المبالغة في تحذيرهم منه لأن من كان بهذه المنابة كان عظيم الكبد وكان حقيقاً بان
 يحترس منه أبلغ احتراس والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم
 بعضاً قال الأما كل جبل من جن أو انس قبيل وقيل أعوانه من الشياطين وجنوده
 وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيلة نسلها القبيلة الجماعة من آب واحد
 فليست القبيلة ثابت القبيل لهذه المغارة وقيل الجماعة ثلاثة فصاعداً من قوم شتى قاله
 أبو عبيدة والجمع قبل بضمين والقبيلة لغة فيه وقبائل الرأس القطع المتصل بعضها ببعض
 وبها سميت قبائل العرب (من حيث لا ترونهم) أي إذا كانوا على صورهم الأصلية أما
 إذا صوروا في غير هاتين سم كما وقع كثيراً من ابتدائية أي رؤية متباعدة فمن مكان
 لا ترونهم فيه قبيل خلق الله في عيون الجن أدراكاً كبيراً وبه لا انس ولم يخلق هذا في عيون
 الانس وقالت المعتزلة الوجه في هذا رفقة أجسام الجن ولطافتها وكثافة أجسام الانس
 وقد استدلل جماعة من أهل العلم بهذه الآية على أن رؤية الشيطان غير ممكنة وليس في
 الآية ما يدل على ذلك ونما يتما فيها انهير اناس من حيث لا نراه وليس فيها الا نراه ابدافان
 اتقاء الرؤية مثاله في وقت رؤيته لنا لا يستلزم اتقاءهما مطلقاً قال مالك في دينار ان
 عدو راى الموتى لاترأه لشديد المؤنة الامن عصمه الله وما أحسن ما قاله والمعنى فأحذر وامن
 عدو راى كم ولا ترونه والحق جواز رؤيتهم كما هو ظاهر الاحاديث الصحيحة وتكون
 الآية متخصصة بمتكفون من بين في بعض الاحيان لبعض الناس دون بعض وحكى
 الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الشيطان

(٣٥ - فتح البيان ثالث) الثاني ان ذلك لا يحل وهو أحد القولين عن الشافعي رحمه الله واختاره المزني ويظهر من كلام
 ابن الصباغ ترجمته أيضاً والله أعلم ورواه أبو يوسف ومحمد بن أبي حنيفة وهو المشهور عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه وهذا
 القول أشبه بالصواب والله أعلم لأنه جرى على القواعد الأصولية وأمس بالاصول الشرعية واحتج ابن الصباغ له بحديث رافع
 ابن خديج قلت يا رسول الله أنا لأقو العدو غداً وليس معنا مدى أقنذبح بالصب قال ما أثمر الدم وذكرا سم الله عليه فأكوه
 الحديث بشما وهو في الصحيحين وهذا وإن كان وارداً على سبب خاص فالعبرة بعموم اللفظ عند جمهور من العلماء في الاصول
 والقروع كما سئل عليه السلام عن البتخ وهو نبيذ العسل فقال كل شراب أسكر فهو حرام فيقول فقيه ان هذا اللفظ مخصوص
 بشراب العسل وهكذا استألوه عن شيء من الذكاة فقال لهم كلاماً ما عايشه ذلك المسؤول عنه وغيره لأنه عليه السلام قد أوتي
 قوله اللهم الا أنه في بحثه (٤) الى قوله ولم يصريح لواحد منهما هكذا في الاصل وبحر راء

جوامع الكلم اذا تقرر هذا فخلصه الكلب أو غمه ثقله ليس مما أثر دمه فلا محل لمفهوم هذا الحديث فان قيل هذا الحديث ليس من هذا القليل بشئ لانهم انما سألوه عن الآلة التي يذكي بها ولم يسألوه عن الشيء الذي يذكي ولهذا استثنى من ذلك السن والظفر حيث قال ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعظم وأما الظفر فذي الحيشة والمستثنى يدل على جنس المستثنى منه والام يمكن متصلا بقيل على ان السؤال عنه هو الآلة فلا ينيق فيه دلاله لما ذكرتم الجواب عن هذا بيان في الكلام ما يشكركم عليكم أيضا حيث يقول ما أنزله من دم وكراسم الله عليه فكلوه ولم يقل فاذا جحواه فهذا يؤخذ منه الحكيان معارضة حكم الآلة التي يذكي بها وحكم المذكي وأنه لا ينعمن انما ردمه بالآلة ليس سألوا لظفرها ذلك والمسلكت الثاني طريقة المزني وهي ان السهم جاء التصريح فيه بأنه ان قتل بعرضه فلا

(٢٧٤)

من الخنزق لانهم اشتهر كافي الموجب
وهو الصيد فيجب الجمل هنا وان
اختلف السبب كما يجب حل مطلق
الاتفاق في الظاهر على تقييده
بالإيمان في القتل بل هذا أولى
وهذا يوجهه على من يسلم له أصل
هذه القاعدة من حيث هي وليس
فيها خلاف بين الاصحاب فاطمة
فلا بد لهم من جواب عن هذا وله
ان يقول هذا قتله الكلب بثقله فلم
يحل قياسا على ما قتله السهم بعرضه
والجامع ان كلا منهما آلة للصيد
وقدمات بثقله فيهما ولا يعارض
ذلك بعموم الآية لان القياس
مقدم على العموم كما هو مذهب
الأئمة الاربعة والجمهور وهذا
مسلك حسن أيضا الحديث
الآخر وهو أن قوله تعالى فكلوا
مما أمسكن عليكم عام فيما قتلن
بجرح أو غيره لكن هذا المقتول
على هذه الصورة المتنازع فيها
لا يتخلوا ما ان يكون نظيحا أو في

يجري من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بني آدم منسكنا لهم الامن عصفه الله
تعالى كما قال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرهم
وقال مجاهد قال ابلوس جعل لنا أربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا
شابا (اناجلنا) أي صبرنا (الشياطين أولياء) أي اعوانا وقرناه (لذين لا يؤمنون) من
عباده وهم الكفار (وإذا فعلوا) أي العرب (فأحشاه) هي ما يبالغ في خشه وقبحه من
الذنوب قال أكثر المتأخرين هو طواف المشركين بالبيت عرفه قال ابن عباس والذي
ومحمد بن كعب وقيل هي الشرك قاله عطاء والظاهر أنها تصدق على ما أجمع من
الامر بن جمعها والمعنى انهم اذا فعلوا ذنبا قبيحا مسبا لغافي الفج اعتذروا عن ذلك بعذر من
الاول (قالوا وجدنا عليها آياتنا) أي انهم فعلوا ذلك اقتداء بآياتهم وتقليد المناجذ وهم
مستقرين على فعل تلك الفاحشة والثاني (والله أمرنا بها) أي انهم ما هم برون ذلك
من جهة الله سبحانه وكلا العذر ين في غاية البطالان والفساد لان وجود آياتهم على الفج
لا يسوغ لهم فعله بل ذلك محض تقليد باطل لأصل له والامر من الله سبحانه لهم لم يكن
بالفحشاء بل امرهم بتابع الانبياء والعمال بالكتب المنزل ونهاهم عن مخالفتهم ما يؤمن
نهمهم عنه فعل القوا حش ولهذا رد الله سبحانه عليهم بأن امر نبيه صلى الله عليه وآله
وسلم فقال (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) فكيف تدعون ذلك عليه قال قتادة والله ما ذكرتم
الله عمدا على معصيته ولا رضاه ولا امره ولو كان رضي لكم طاعته ونهاكم عن
معصيته والحاصل ان الامر من باطلان لان الاول تقليد للرجال والثاني افتراء على ذي
الجلال وفي الجمل رد عليهم في المقالة الثانية ولم يتعرض لرد الاولى لوضوح فسادهما بالامر
معلوم ان تقليد مثل الا بليس بحجة ثم انكر عليهم ما اضافوه اليه فقال (أقولون على
الله ما لا تعلمون) وهو من تمام ما امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول لهم وفيه من
التقريب والتوبيخ امر عظيم فان القول بالجهل اذا كان قبيحا في كل شيء فكيف اذا

حكما ومختفقا وفي حكمه وأيا ما كان فيجب تقديم هذه الآية على تلك الوجوه أحدها
ان الشارع قد اعتبر حكم هذه الآية حالة الصيد حيث يقول لعدي بن حاتم وان اصابه بعرض فاعناه وقره فلا تأكله ولم
أخذ من العلماء فصل بين حكمه من هذه الآية فقال ان الوقيد معتبر حالة الصيد والنتج ليس معتبرا فيكون القول بحل
المتنازع فيه خرقا للإجماع لا فائلا به وهو محظور عن كثير من العلماء الثاني ان تلك الآية فكلوا مما أمسكن عليكم ليست على
عمومها الاجماع بل مخصوصة بمصادن من الحيوان المأكول وخروج من عموم أقطها الحيوان غير المأكول لان اتفاق العموم
المحفوظ مقدم على غير المحفوظ الحديث الآخر ان هذا الصيد والحالة هذه في حكم الميتة سواء أذناه قتلنا حتى فيه الدم وما بدعها من
الوطيات فلا تحل قياسا على الميتة الحديث الآخر ان آية التحريم أعني قوله حرمت عليكم الميتة الى آخرها حكمه بطله الشيخ

ولا يتخصيص وكذا ينبغي ان تكون آية التحليل محكمة أعني قوله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات الآية ينبغي ان لا يكون بينهم ما تعارض أصلاً وتكون السنة جاءت ليبيان ذلك وشاهد ذلك قصة السهم فإنه ذكر حكم ما دخل في هذه الآية وهو ما إذا خرقة المعراض فيكون حلالاً لأنه من الطيبات وما دخل في حكم تلك الآية آية التحريم وهو ما إذا أصابه بعرض فلا يؤكل لأنه وقيد فيكون أحد أفراد آية التحريم وهكذا يجب ان يكون حكم هذا سواء كان قد حرجه الكلب فهو داخل في حكم آية التحليل وان لم يحرجه بل صدمه أو قتله بثقله فهو ونطيخ أو فني حكمه فلا يكون حلالاً فان قيل فلم لا يفسل في حكم الكلب فقال ما ذكرتم ان حرجه فهو حلال وان لم يحرجه فهو حرام فالجواب ان ذلك نادر لان من شأن الكلب ان يقتل بظفرو أو ناب أو بهم ما معاً وأما صدمه هو الصيد فنادر وكذا قتله أياً بثقله فلم يحتج

(٢٧٥)

حكمه عنده من علم تحريم الميتة والمنخضة والموقودة والمتردية والنطيحة وأما السهم والمعارض فتارة يخطئ لسوء رعي راسه أو للهوى أو بخوفه ذلك خطأ كثير من اصحابه فلهذا ذكر كلام من حكمه مفصلاً والله أعلم ولهذا ما كان الكلب من شأنه ان يقتل ما من الصيد ذكر حكم ما إذا كل من الصيد فقال ان كل فـ لا تأكل فـ فـ أخاف ان يكون أمسك على نفسه وهذا صحيح ثابت في الصحيحين وهو أيضاً مخصوص من عموم آية التحليل عند كثيرين فقالوا لا يحل ما أسكن منه الكلب حكى ذلك عن أبي هريرة وابن عباس وبه قال الحسن والشعبي والنخعي واليه ذهب أبو حنيفة وصاحبه وأحمد ابن حنبل والشافعي في المشهور عنه وروى ابن جرير في تفسيره عن علي وسعد وسلمان وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس ان الصيد

كان في التقول على الله وفي هذه الآية الشريفة لا عظم زاجر وابلغ واعظ للمقلدة الذين يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق فان ذلك من الاقتداء بهل الكفر لا باهل الحق فأنهم القائلون أنا وجدنا آباءنا على أمية وانا على آثارهم مقتدون والقائلون وجدنا علياً وآباءنا على أمرنا والله امرنا بما هو المقلدولو اغتراره بكونه وجدنا آباءنا على ذلك المذهب مع اعتقاده بأنه الذي امر الله به وانه الحق لم يبق عليه وهذه المصلحة هي التي بقي بها اليهودي على اليهودية والنصراني على النصرانية والمبتدع على بدعته فاقامهم على هذه الضلالات الا كونهم وجدوا آباءهم في اليهودية والنصرانية او البدعة واحسنوا الظن بهم بان ما هم عليه هو الحق الذي امر الله به ولم ينظروا لانفسهم ولا يطلبوا الحق كما يجب ولا يجتهدوا في دين الله كما ينبغي وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص فيامن نشأ على مذهب من هذه المذاهب الاسلامية تألت النذير بالمبالغ في التحذير ان تقول هذه المقالة وتستر على الضلالة فقد أخذت الشر بالخبر والصحيح بالقبيل وفاسد الرأي بصحيح الرواية ولم يبعث الله الى هذه الامة الانبياء واحداً أمرهم باتباعه ونهاهم عن مخالفته فقال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولو كان شخص رأى ائمة المذاهب واتباعهم حجة على العباد لكان لهذه الامة رسل كثيرون متعددون بعدد أهل الرأي المكفون للناس عما يكفهم الله به وان من أعجب العقلة وأعظم الذلول عن الحق اختيار المذلة لا راء الرجال مع وجود كتاب الله ووجود سنة رسوله بين ظهرانيهم ووجود من يأخذونهم عنه بين أيديهم ووجود آلة الفهم لديهم ومملكة العقل عندهم (قل أمر ربي بالقسط) أي العدل وبه قال مجاهد والسدي وفيه ان الله سبحانه يأمر بالعدل لا بمازموه من ان الله أمرهم بالقياس وقيل القسط هنا هو لاله الله قاله ابن عباس وقيل في الكلام حذف أي قل أمر ربي بالقسط فاطيعوه (وأقويوا) عطف على المحذوف والمقدر وقيل عطف على معنى بالقسط (وجوهكم عند كل مسجد) أي توجهوا اليه في صلواتكم الى القبلة في أي

بؤكل وان كل منه الكلب حتى قال سعيد وسلمان وأبو هريرة وغيرهم بؤكل ولولم يبق منه الا نصفه والى ذلك ذهب مالك والشافعي في قوله القديم وما في الجديد الى قولين قال ذلك الامام أبو منصور بن الصباغ وغيره من اصحاب وقد روى أبو داود بإسناد جيد قوى عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في صيد الكلب اذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان كل منه وكل ما ردت عليك يدك ورواها أيضاً النسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان أعرابياً قال لاه أبو ثعلبة قال يا رسول الله فذ كرحوه قال محمد بن جرير في تفسيره حدثنا عمران بن بكار الكلابي حدثنا عبد العزيز بن موسى هو الملاخوني حدثنا محمد بن دينار هو الطاحي عن أبي أياس وهو معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أرسل كلبه على الصيد فأدركه وقد أكل منه فليأكل ما بقي قال ابن جرير رحمه الله بانه قد رواه

قادة وغيره عن سعيد بن المسيب عن سلمان موقوفاً وأما الجهم ورفقه فمواحد في عدى على ذلك ورواهما وضعيف حديثاً أي ثعلبه
 وغيره وقد جعل بعض العلماء على أنها كل بعد ما تنظر صاحبها وظال عليه الفصل ولم يمتي فأكل منه لجوعه ونحوه فانه لا بأس بذلك
 لانه والحالة هذه لا يخشى انه أسهل على نفسه بخلاف ما إذا أكل منه أول وهلة فانه يظهر منه انه أسهل على نفسه والله اعلم فاما
 الجوارح من الطير فبعض الشافعي على أنها كالكل فيحرم ما أكلت منه عند الجهم وروى لا يحرم عند الآخرين واختار المنزلي من
 أصحابنا انه لا يحرم أكل ما أكلت منه الطيور والجوارح وهو مذاهب أي خفيفة وأحمد قال لانه لا يفتن تعلمها كما يعلم الكلب
 بالضرب ونحوه وأيضاً فانهم لا تعلم إلا ما أكلوا من الصيد فيعتق عن ذلك وأيضاً فالصغار ودرى الكلب لافي الطير وقال الشيخ أبو
 علي في الإفصاح اذا قلنا يحرم ما أكل كل منه (٢٧٦) الكلب ففي تحريم ما أكل منه الطير وجهان وأنكر القاضي

مسجد كنتم أو أقصدوا عبادته مستقيمين اليه غير عاقلين الى غير هائي كل وقت سجوداً وفي
 كل مكان سجوداً على ان المراد بالسجود الصلاة قال مجاهد الى الكعبة حيث صليتم في
 كعبة أو غيرها وقيل اجعلوا سجودكم لله خالصاً وقيل غيب ذلك الاول أولى (وأدعوه
 مخلصين له الدين) أي اعدوه حال كونكم مخلصين للدين أو العبادلة لا لغيره وقيل
 وحده ولا تشركوا به (كأبداءكم تعودون) قال السمين تقدير تعودون عوداً مثل
 مبدءاً كم وقيل تقديره يخرجون خرواً ومثل مبدءاً كم ذكرهم مكي والاول الذي لفظ
 الآية الكريمة وقال الزجاج كأنشأكم في ابتداء الخلق وأوجدكم بعد العدم كذلك
 بعدكم فالتشبيه في نفس الاحياء والخلق لافي الكيفية والترتيب فيكون المقصود
 الاحتجاج على منكري البعث فيجازي الحسن باحسانه والمسي عبادته وقيل كما أخرجكم
 من بطون أمهاتكم تعودون اليه كذلك ليس معكم شيء فيكون مثل قوله تعالى ولقد
 جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل كأبداءكم من تراب تعودون الى التراب وقال
 مجاهد تعودون أي شقي وسعيد وقال ابن عباس ان الله بدأ خلقه بآدم مؤمناً وكافراً
 كما قال هو الذي خلقكم فكنتم كافر ومؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كأبداء خلقهم
 مؤمناً وكافراً وعن جابر قال يعنون على ما كانوا عليه المؤمنين على إيمانهم والمناق على
 نفاقه وقال الحسن ومجاهد المعنى كخلقكم في الدنيا ولم تكونوا أشياء فاجابكم ثم عيشتكم
 كذلك تعودون أحياء يوم القيامة ويدله ما روى عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تمشرون الى الله عز وجل بحياة
 عراة غلراً كأبداءنا أول خلقنا نعيدهم وعدا علينا انا كنا عاقلين أخرجنا البخاري ومسلم (فرقا
 هدى وفرقا حق عليهم الضلالة) أي تعودون فريقين سعداء وأشقياء وفي القاموس
 الفرق بالکسر الطائفة من الناس والجمع فرق والفرق كالامبرأ كثر منها وجميع
 افرقاء وأفرقة وفرق والفرق الذي هدا الله هم المؤمنون بالله المتبعون لأينسائه

أبو الطيب هذا التفريع والترتيب
 لنص الشافعي رحمه الله على
 التسوية بينهم والله سبحانه وتعالى
 اعلم وأما المتردية فهي التي تقع من
 شاطئ أو موضع عال فتوقد بذلك
 فلا تحل قال علي بن أبي طلحة عن
 ابن عباس المتردية التي تسقط من
 جبل وقال قتادة هي التي تتردى
 في بئر أو ما النطحة التي مات بسبب
 نطح غير عالها فهي حرام وإن جرحها
 القرن وخروج منها الدم ولو من مذبحها
 والنطحة فعيلة بمعنى مفعولة أي
 منطوحة كما مر هذه البنية
 في كلام العرب بدون ناء التانيث
 فيقولون عين كحيل وكف خضيب
 ولا يقولون كف خضيب ولا عين
 كحيلة وأما هذه فقال بعض النحاة
 انها استعمل فيها ناء التانيث لانها
 أجريت مجرى الاسماء كما في قولهم
 طريقة طويلة وقال بعضهم انها
 اتى ناء التانيث فيها لتسدل على
 التانيث من أول وهلة بخلاف

عين كحيل وكف خضيب لان التانيث مستفاد من اول الكلام وقوله تعالى وما أكل السبع
 أي ما عدا عليها أسداً وفهداً وغيراً وثبأ وكل ما أكل بعض ما ماتت بذلك فهي حرام وإن كان قد سال منها الدم ولو من مذبحها فلا
 تحل بالاجاع وقد كان اهل الجاهلية يأكلون ما فضل السبع من الشاة والبعرة والبقرة ونحو ذلك فحرم الله ذلك على المؤمنين
 وقوله الاما ذكيتم عائد على ما يمكن عوده عليه مما انعم بسبب موته فامكن تدارك ما كان فيه حياة مستقرة وذلك انما عود على قوله
 والمتخلفة والموقودة المتردية والنطحة وما أكل السبع قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله الاما ذكيتم يقول الا
 ما ذبحتم من هؤلاء وفهروا فكلوه فهو ذكي وكذا روى عن سعيد بن جبير والحسن والسدي وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو
 سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث حدثنا جعفر بن محمد عن ابيه عن علي في الآية قال ان مصعب بن زيد اورد كضرب جملها

او طرقت بعينها فكل وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا هيثم وعباد قالوا حدثنا جاج عن حسين عن الشعبي عن الحرث عن علي قال اذا دركت ذكاة الموقودة والمترية والطبخة وهي تحرك يداً أو رجلاً فكلها وهكذا روى عن طاوس والحسن وقادة وعبد بن عمرو الضحاك وغير واحد ان المذقة تحركت بحركة تدل على قضاء الحياتيم بعد الذبح فيبي حلال وهذا مذهب جمهور الفقهاء وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل قال ابن وهب سئل مالك عن الشاة التي يتخرق جوفها السبع حتى يخرج أعماها فقال مالك لا أرى ان تذكي أي شيء يذكي منها وقال أشهب سئل مالك عن الضع بعد وعلى الكرش فسق ظهره أترى ان يذكي قبل ان يموت فيؤكل فقال ان كان قد بلغ الشجرة فلا رى ان يؤكل وان كان أصاب أطرافه فلا أرى بذلك بأساً قبل له وثب عليه فقد ظهره فقال لا يجزى هذا (٢٧٧) لا يعيش منه قبله فالذئب بعد وعلى الشاة فتشقب بطنها ولا تشقب الأمعاء فقال أنشأ في بطنها فلا أرى تؤكل هذا مذهب مالك رحمه الله وظاهر الآية عام فيما استثناه مالك رحمه الله من الصور التي بلغ الحيوان فيها الى حالة لا يعيش بعدها فيحتاج الى دليل مخصوص للآية والله أعلم وفي الصحيحين عن رافع بن خديج انه قال قلت يا رسول الله انما أوقو العدو وعدداً وليس معنما مدي أفندى ببح القصب فقال ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وسأحدثكم عن ذلك أما السن فعضه وأما الظفر فمضى الحيشة وفي الحديث الذي رواه الامام احمد واهل السنن من رواية محمد بن سلمة عن ابي العشر الداري عن ابيه قال قلت يا رسول الله أما تكون الذكاة الامن اللبنة والخلق فقال لو طعنت في فخذه لأخرج أعينك وهو حديث صحيح ولكنه محمول على ما لا يقدر على ذبحه

والفريق الذي حقت عليه الصلاة هم الكفار عن جابر انه ذكر القدرية فقال قائلهم الله أليس قد قال الله سبحانه فربها هدى الآية وفيه دليل على ان الهدى والصلاة من الله وعن ابن عمر بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فأتى عليهم من نوره فنأصاه ذلك النور اهتدى ومن أخطأ أضل أخرجه الترمذي (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) لتعليل لقوله وفربها هدى الصلاة أي ذلك بسبب انهم أطاعوا الشياطين في معصية الله (و) مع هذا فانهم يحسبون انهم مهتدون ولم يعرفوا على أنفسهم الصلاة وهذا أشد في غردهم وعنادهم والآية بجة على أهل الاعتزال في كون الهداية والاضلال الى الله ذي الجلال وفيه دليل أيضا على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجادد والمعاذ في الكفر سواء دلت هذه الآية على ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في صحة الدين بل لابد من الجزم والقطع لانه تعالى ذم الكفار بانهم يحسبون ككونهم مهتدين ولولا ان هذا الحسبان مذموم لآذمهم بذلك ودلت أيضا على ان كل من شرع في باطل فهو مستحق للذم سواء حبس كونه هدى أو لم يحسب ذلك فانه الكرخي (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) هذا خطاب لجميع بني آدم وان كان واردا على سبب خاص فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والزينة ما تزين به الناس من الملبوس أمر وبالزينة عند الحضور الى المساجد للصلاة والطواف وقد استدل بالآية على وجوب ستر العورة في الصلاة واليه ذهب جمهور أهل العلم بل سترها واجب في كل حال من الاحوال وان كان الرجل جالما كدلت عليه الاحاديث الصحيحة قال ابن عباس ان النساء كن يظفن عراة الا ان تجعل المرأة على فرجها خرقه وتقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدانه فلا أحله فترت هذه الآية وعنه قال كان الرجال يطوفون بالبيت عراة فامرهم الله بالزينة والزينة لباس وما يورى السوء وما سوى ذلك من جسد البر والمنازع قال مجاهد

في الخلق واللبنة وقوله وما ذبح على النصب قال مجاهد وابن جريح كانت النصب سجارة حول الكعبة قال ابن جريح وهي ثمانية وستون نصبا كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها ويضجون ما قبل منها الى البيت بدعاء تلك الذبائح ويشرحون الدم واضعونه على النصب وكذلك غيره واحد فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرم عليهم كل هذه الذبائح حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله وينبغي ان يحمل هذا على هذا لانه قد تقدم تحرير ما أحله به غير الله وقوله تعالى وان تفسقوا باالازلام أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالازلام واحداها لم وقد فتح الزاوي فقال لم وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قدام ثلاثة على أحدها مكتوب افعل وعلى الآخر لا تفعل والثالث عقل ليس عليه شيء ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمر في ربي وعلى الآخر نهي في ربي والثالث عطل ليس عليه شيء فإذا

أجلها فاطلع على ستم الأمر فله أو النهي تركه وان طلع الفارغ أعاد والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزمات
هكذا قرر ذلك أبو جعفر بن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا الحجاج بن محمد أخبرنا ابن جرير
وعثمان بن غطاء عن عطاء عن ابن عباس وان تستقسموا بالأزلام قال والأزلام قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور وكذا
روى عن مجاهد وإبراهيم التيمي والحسن البصري ومقاتل بن حيان وكرم محمد بن إسحق وغيره ان أعظم أصنام قريش صنم
كان يقال له همل منصوب على بئر داخل الكعبة فيها وضع الهدايا وأموال الكعبة فيه وكان عنده سبعة أزلام مكتوب فيها
ما يحتاجون فيه مما أشكل عليهم فخرج لهم منها رجوا اليه ولم يفعلوا عنه وثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
دخل الكعبة وحدا إبراهيم وأجعل (٢٧٨) مصورين فيها وفي أيديهم ما للأزلام فقال قائلهم الله لقد علموا انهم لما

يستقسمون أبدا وفي الصحيح ان
سراقة بن مالك بن جهم لما خرج
في طلب النبي صلى الله عليه وسلم
وأبى بكر وهما ذهبا إلى المدينة
ههنا حين قال فاستقسمت بالأزلام
هل أضربهم أم لا فخرج الذي أكره
لا تضربهم قال فقصيت الأزلام
واتبعتم ثم انه استقسم بها ثانية
وثالثة كل ذلك يخرج الذي يكره
لا تضربهم وكان كذلك وكان سراقة
لم يسلم إذ ذاك ثم أسلم بعد
ذلك وروى ابن مردويه عن طريق
إبراهيم بن يزيد عن ربيعة عن عبد
المطلب بن عبيد عن ربيعة بن حيوة
عن أبي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يبلغ الدرجات
من تكهن أو استقسم أو رجع من
سقر طائرا وقال مجاهد في قوله
وان تستقسموا بالأزلام قال هي
سهام العرب وكعب فارس والروم
كانوا يتقارون وهذا الذي ذكره
عن مجاهد في الأزلام انها موضوعة

ما يوزن عوزا تكم ولو عبادة وقبل الزينة المشط والطيب فيستحب التزين والتعطير كما
يجب التستر والتطير والاول أولى وأخرج ابن عسدي وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خذوا زينة الصلاة قالوا وما زينة الصلاة
قال البسوا نعالكم فصولا فيها وأخرج العقيلي وأبو الشيخ وابن مردويه وان عسنا كعن
أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قول الله خذوا زينةكم عند كل مسجد قال
صلوا في نعالكم والاحاديث في بشرعية الصلاة في النعل كثيرة جدا وأما كقول ذلك
هو تفسير الآية كما روى في هذين الحديثين فلا أدري كيف أساءا فادها وقيدوا النهي
عن ان يصلى الرجل في الثوب الواحد ليس على عاتقه منه شيء وهو في الصحيحين وغيرهما من
حديث أبي هريرة (وكواوا شربوا) ما شتم (ولا تشرقوا) أي يقيم الحلال أو بالتهدي
إلى الحرام أو بالأقراط في الطعام أمر الله سبحانه عباده بالاكل والشرب ونهاهم عن
الاسراف فلا زهد في تركه وطعم ولا مشرب وتاركه بالمرة قاتل لنفسه وهو من أهل النار
خاص في الاحاديث الصحيحة والمقل منسه على وجهه يضعف به يده ويهجر عن القيام بما
يجب عليه من طاعة أوصى على نفسه وعلى من يقول بخالف ما أمر الله به وإنشده اليه
والمسرف في انفاقه على وجهه لا يفعله الأهل السفة والتبذير بخالف لما شرعه الله لعباده
واقف في النهي القرآني وهكذا من حرم حلالا أو حراما فانه يدخل في المسرفين
ويخرج عن المقتصد ومن الاسراف الاكل للحاجة وفي وقت شبع قال ابن عباس
أحل الله الاكل والشرب ما لم يكن سرفا أو تخيلا قال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله
الطب كاه في نصف آية تعني هذه الآية وفيه دليل على ان جميع الأطعمة والمشروبات
حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التجريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة
الا ما حظره الشارع وثبت تجريمه بدليل منفصل (انه لا يثبت المسرفين) في الطعام
والشراب واللباس وأخرج عبد بن حميد والسنائي وابن ماجه وابن مردويه والبيهقي

في
للمقار فيه نظرا اللهم الان يقال انهم كانوا يستعملونها في الاستخارة نارة
وفي القمار اخرى والله أعلم فان الله سبحانه قد فرق بينها وبين القمار وهو المسرف فقال في آخر السورة نأيم الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون اغيار يذال الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والغضاء الى قوله مشتهون وهكذا قال ههنا وان تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق أي تعاطيته فسق وعي وضلالة وجهه التورث
وقد أمر الله المؤمنين اذا ترددوا في أمورهم ان يستخبروه بان يعبدوه ثم يسألوه الخفية في الأمر الذي يريدونه كما رواه الامام
أحمد والبخاري وأهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير

الفريضة ثم لعل اللهم اني استخبرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم
وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر ويسجد باسمه خسرني في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال
عاجل أمري وأجله فأقدره لي ويسره لي غير بارئ لي فسه وان كنت تعلم انه خسرني في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري
فاصر في عني واصرفه عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به لنفسي جدد وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لا تعرفه
الامن حديث ابن أبي الموالى وقوله اليوم نفس الذين كفروا من دينكم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بعثني يسوا
ان يراجعوا دينهم وكذا روى عن عطية بن أبي رباح والسدي ومقاتل بن حيان وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قد نيس

(٢٧٩)

في الشعب من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير محلة ولا سرف فان الله سبحانه يحب ان
يرى أثر نعمته على عبده وفي الآية وعبدوه يدفن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله
عبادة عن رضاه عن العبد واصل الثواب له واذ لم يحبه علم انه ليس راض عنه فقلت
الآية على الوعيد الشديد في الاسراف في الماء كالأكل والشرب والملبوس وما أحق بهذا
الوعيد أهل الدول من الفساق والفجار (قل) انكارا على هؤلاء الجهلة من العرب الذين
يطوفون بالبيت عراة والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدم (من حرم
زينة الله) الزينة ما يزين به الانسان من ملبوس وغيره من الاشياء المباحة كالمعادن
التي لم يردن على التزين بها والجواهر ونحوها وقيل الملبوس خاصة ولا وجه له بل هو من
جله ما تشبه الآية فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة اذ لم تكن مما حرمه
الله ولا حرج على من زين بشئ من الاشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع
شرعي ومن زعم ان ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطا عظيما وقد قدمنا في هذا ما يكفي قال
الرازي انه يتناول جميع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولان
الذصر ورد بغيره استعمال الذهب والحجر على الرجال لادخل في هذا العموم (التي
أخرج لعباده) أي أصلها يعني القطن والكتان من الارض والقرمز الدود والاعامن
الشجر والحجر والصوف من الحيوان والدروع والجواهر من المعادن قال ابن عباس
كانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فانزل الله هذه الآية وأمروا
بالثياب ان يلبسوها (والطيبات من الرزق) أي وهكذا الطيبات المستلذات من
المطاعم والمشروبات والمساكن ونحوها مما كسبه الناس فانه لا زهد في ترك الطيب منها
ولهذا جاءت الآية هذه معنونة بالاستعانة بالمتضمن لانكارا على من حرم ذلك على
نفسه وأحرمه على غيره وما أحسن ما قال ابن جرير الطبري ولقد أخطأ من أثرباس

ولكن بالتحرش بينهم وبمخال ان
يكون المراد انهم يسوا من مشابهة
المسلمين لما تزين به المسلمون من هذه
الصفات المخالفة للشرك وأهله
ولهذا قال تعالى أمر العباد
المؤمنين ان يصبروا ويبتغوا في
مخالفة الكفار ولا يخافوا أحدا
الا الله فقال فلا تخشوهم واخشون
أي لا تخافوهم في مخالفتكم اياهم
واخشوني أنصركم عليهم وأبدهم
وأفقركم بهم وأسف صدوركم
منهم وأجعلكم فوقهم في الدنيا
والآخرة وقوله اليوم أكلت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام ديناً هذه
أبرز نعم الله تعالى على هذه الأمة
حاشاً كل تعالى لهم دينهم فلا
يحتاجون الى دين غيره ولا الى شيء
غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه
ولهذا جعل الله تعالى خاتم الانبياء
وبعثه الى الانس والجن فلا حلال
الا ما أحله ولا حرام الا ما حرمه

ولا دين الا ما شرعه وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق ولا كذب فيه ولا خلاف كما قال تعالى وقت
الانذار وعد لا في الاوامر والنواهي فلما اكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ولهذا قال اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فإرضوه أتمم لانفسكم فانه الدين الذي أحبه الله ورضيه وبعث به أفضل الرسل الكرام
وأُنزل به أشرف كتبه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اليوم اكملت لكم دينكم وهو الاسلام وأخبر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين انه قد اكمل لهم الايمان فلا يحتاجون الى زيادة أبداً وقد أتم الله فلا ينقصه أبداً وقد رضي الله فلا يسخن
أبداً وقال اسباط عن السدي نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما قالت أسماء بنت عيسى حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الحجة فبينما نحن نسير اذ نبأني له جبريل فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم على الراحلة فلم تطلق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فترلت فأتته فصبحت عليه بردا كان على وقال ابن جرير وغيره وأخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يوم عرفة بأحد وعشرين يوما رواها ابن جرير ثم قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن فضال عن هرون بن عترة عن أبيه قال لما نزلت اليوم أكلت لكم دينكم وذلك يوم الحج الأكبر بنى عرفة قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قال أبكاني ما كافي زيادة من الدنيا فاما إذا أكل فإنه لم يكمل شيء الا نقص فقال صدقت ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت ان الاسلام بدأ عرييا وسعد عرييا فطوبى للغرباء وقال الامام أحمد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العباس عن عيسى بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين انكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت

(٢٨٠)

الشمع والصوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبل المة من حله ومن كل القول والعدم واختاره على خبز البر ومن ترك أكل العيم خوفا من عارض الشهوة وقد قدمنا نقل مثل هذا عنه مطولا والطيبات المستبذات من الطعام وقال ابن عباس الولد والحم والسمن وقيل اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك جهم فرد الله عليهم بقوله هذا وقال قتادة المدا كان أهل الجاهلية يحرمونه من الجائر والنواب وقيل ان الآية على العموم فيدخل تحتها كل ما يستلزم ويشتهى من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد النص بتحريمه وهو الحق كقوله نعم وقيل هو سمن عام لما طاب كسبه ومطعمه قال أبو السعد وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباح لان الاستفهام في من انكاري انتهى ونحوه في البضاوى (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي انها لهم بالاصلة والاستحقاق وان شاركهم الكفار في ما داموا في الحياة (خالصة يوم القيامة) أي مختصة بهم والتقدير قل هي للذين آمنوا غير خالصة في الحياة الدنيا خالصة للمؤمنين يوم القيامة فهي لهم اصاله والكفار تبة ما لقوله ومن كفر فأتته قليلا ثم اضطروا الى عذاب النار قال ابن عباس في الآية يعني شارك المسلمون الكفار في الطيبات في الحياة الدنيا فاكوا من طيبات طعامها ولبسوا من جاداتها بها ونكحوا من صالحها نسأهم ثم يخص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وقيل خالصة من التكدير والتبغض والتم له قد يقع لهم ذلك في الدنيا والاولى (كذلك) أي مثل هذا التفصيل والتبيين (تفصل الآيات) المشتملة على التحليل والتعريف (لقوم يعلمون) أي ان الله وحده لا شريك له في احوالنا وحرموا حرامى (قل) للمشركين الذين يتجددون من نبياتهم في الطواف والذين يحرمون أكل الطيبات ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحله (انما حرم ربى القواحش) من الافعال والاقوال جمع فاحشة أي كل معصية وقد تقدم تفسيرها

الشمع والصوف على لباس القطن والكتان مع وجود السبل المة من حله ومن كل القول والعدم واختاره على خبز البر ومن ترك أكل العيم خوفا من عارض الشهوة وقد قدمنا نقل مثل هذا عنه مطولا والطيبات المستبذات من الطعام وقال ابن عباس الولد والحم والسمن وقيل اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك جهم فرد الله عليهم بقوله هذا وقال قتادة المدا كان أهل الجاهلية يحرمونه من الجائر والنواب وقيل ان الآية على العموم فيدخل تحتها كل ما يستلزم ويشتهى من سائر المطعومات الا ما نهى عنه وورد النص بتحريمه وهو الحق كقوله نعم وقيل هو سمن عام لما طاب كسبه ومطعمه قال أبو السعد وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباح لان الاستفهام في من انكاري انتهى ونحوه في البضاوى (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) أي انها لهم بالاصلة والاستحقاق وان شاركهم الكفار في ما داموا في الحياة (خالصة يوم القيامة) أي مختصة بهم والتقدير قل هي للذين آمنوا غير خالصة في الحياة الدنيا خالصة للمؤمنين يوم القيامة فهي لهم اصاله والكفار تبة ما لقوله ومن كفر فأتته قليلا ثم اضطروا الى عذاب النار قال ابن عباس في الآية يعني شارك المسلمون الكفار في الطيبات في الحياة الدنيا فاكوا من طيبات طعامها ولبسوا من جاداتها بها ونكحوا من صالحها نسأهم ثم يخص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء وقيل خالصة من التكدير والتبغض والتم له قد يقع لهم ذلك في الدنيا والاولى (كذلك) أي مثل هذا التفصيل والتبيين (تفصل الآيات) المشتملة على التحليل والتعريف (لقوم يعلمون) أي ان الله وحده لا شريك له في احوالنا وحرموا حرامى (قل) للمشركين الذين يتجددون من نبياتهم في الطواف والذين يحرمون أكل الطيبات ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحله (انما حرم ربى القواحش) من الافعال والاقوال جمع فاحشة أي كل معصية وقد تقدم تفسيرها

حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا وان كان شكافي كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم الجمعة فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري رحمه الله فان هذا أمر معلوم مقطوع به لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسيرة ولما من الفقهاء وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها والله اعلم وقد روى هذا من غير وجه عن عمر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا راجع بن ابي سلمة أخبرنا عباد بن نسي أخبرنا أميرنا يحيى قال ابو جعفر بن جرير رواه يحيى بن حوشب عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال قال كعب لو أن غير هذه الآية نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يحتججون فيه فقال عمر أي آية يا كعب فقال اليوم أكلت لكم دينكم فقال عمر قد عابت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة كلاهما بحمد الله لنا عبد قال ابن جرير حدثنا أبو ربيع حدثنا

قصه حدثنا جادين سلمة عن عمار هو مولى بني هاشم ان ابن عباس قرأ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً فقال يهودى لوزنلت هذه الآية علينا لا نخذنا يومها عيداً فقال ابن عباس فانما نزلت يوم عشرين يوم عيسى ويوم جمعة وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن كامل حدثنا موسى بن هرون حدثنا يحيى الجاني حدثنا قيس بن الربيع عن اسمعيل بن سليمان عن أبي عمر الزرار عن ابن الحنفية عن علي قال نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم عشة عرفة اليوم اكملت لكم دينكم وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر اسمعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشيم بن عمار حدثنا ابن عباس حدثنا عمرو بن قيس السكوني قال سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينوع بهذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم حتى خفها قال نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة وروى ابن مردويه عن طريق (٢٨١) محمد بن اسحق عن عمرو بن موسى بن

وحبة عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال نزلت هذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً يوم عرفة وروى الله صلى الله عليه وسلم واقف على الموقف فاما ما رواه ابن جرير وابن مردويه والطبراني عن طريق ابن الهيثم عن خالد بن ابي عمران عن حسن بن عبد الله الصنعاني عن ابن عباس قال ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين فانه أضر غريب واستاده ضعيف وقد رواه الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن الهيثم عن خالد بن ابي عمران عن حسن بن الصنعاني عن ابن عباس قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستثنى يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة الى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين

(ما ظهر منها وما بطن) أي ما أعلن منها وما أسر يعني جهرها وسرها وقيل هي خاصة بفواحش الزنا ولا وجه لذلك وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا أحد أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه الملاح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أخرجه البخاري ومسلم (والاثم) هو يتناول كل معصية يتسبب عنها الاثم وهو عطف عام على خاص لمزيد الاعتناء بها وقبل هو الخبر خاصة وقد أنكره جماعة من أهل العلم قال النحاس فاما ان يكون الاثم الخبر فلا يعرف ذلك وحقيقته انه جميع المعاصي قال الفراء الاثم ما دون الحق والاستطالة على الناس انتهت وليس في اطلاق الاثم على الخبر ما يدل على اختصاصه به فهو أحد المعاني التي يصدق عليها قال في الصحاح وقدمى الخبر انما هو الحسن وعطاء الاثم من أسماء الخبر وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى ان تسمية الخبر بالاثم صحيح لان شربها اثم وانكر أبو بكر بن البار تسمية الخبر بالاثم قال لان العرب ما سمته انما عطفوا في جاهلية ولا الاسلام ولكن قد يكون الخبر اذا خلا تحت الاثم لقوله قل فيه ما اثم كبير وقيل الاثم صغار الذنوب والفواحش كائنها وقيل الاثم اسم لما لا يجب فيه الحد والفاحشة ما يجب فيه الحد من الذنوب وهذا القول قريب من الاول وقيل الاثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكائر والصغار وقيل الفاحشة الكبيرة والاثم مطلق الذنب كبيراً كان أو صغيراً أو في هذه الأقوال أولها (والبقي بغير الحق) أي الظلم الجناح والحد والاستطالة على الناس وأقردها ذكر بعد دخوله فيما قبله لكونه ذنباً عظيماً كقوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى وإذا طلب ما بالحق خرج من ان يكون بغير الحق (وان نشر كوا بال الله الم ينزل به سلطاناً) أي وان تجمعوا لله شر يكالم ينزل عليكم به حجة ونسوة وبه في العباد ذو المارد التيكم بالشر كين لان الله لا ينزل برهاناً ان يكون غير شرى كما له (وان تقولوا اعلى الله ما لا تعاون) بحقيقته وان الله قاله وهذا مثل ما كانوا يشبون الى

(٢٩ - فتح البيان ثلث) وفي يوم الاثنين ووقع الخبر الاسود يوم الاثنين هذا اللفظ أحمد ولم يذكر في المائدة يوم الاثنين فانه اعلم واكمل ابن عباس أراد انهم نزلت يوم عشرين اثنين كما تقدم فاشتبه على الراوى والله اعلم وقال ابن جرير وقد قيل ليس ذلك يوم معلوم عند الناس ثم روى عن طريق العوفي عن ابن عباس في قوله اليوم اكملت لكم دينكم يقول ليس ذلك بيوم معلوم عند الناس قال وقد قيل انهم نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره الى حجة الوداع ثم رواه من طريق أبي جعفر الرازى عن الربيع بن انس قلت وقد روى ابن مردويه عن طريق أبي هرون العبدى عن ابي سعيد الخدرى انها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدیر خم حين قال لعلى من كنت مولاً فعلي مولاه ثم رواه عن ابي هريرة رقيه انه اليوم الثامن عشر من ذى الحجة يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع ولا يصح لا هذا ولا هذا بل الصواب الذي لا شك فيه ولا مربة انها نزلت يوم عرفة

وكان يوم الجمعة كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأول ما أوله الاسلام دعاء ربنا ايا سفيان ورجلان
 القرآن عبد الله بن عباس وسمرة بن جندب رضى الله عنه وأرسله الشعي وقادة من دعامة وشهر من حوشب وغيره واحد من الأئمة
 والعلماء واختاره ابن جرير والطبري رحمه الله وقوله في اضطر في شخصه غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم اى فن احتاج الى
 تناول شيء من هذا الخمر مات الى ذكره الله تعالى لتسرورة ألباتة الى ذلك فله تناوله والله غفور رحيم لباته تعالى يعلم حاجته عبده
 المخطرفاقتار الى ذلك فيجأ وزعمه ويقفله وفي المسند وصحیح ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان الله يحب ان تؤتى رخصته كما يكره ان تؤتى معصيته لفظ ابن حبان وفي لفظ لا جدم لم يقبل رخصة الله كان عليه من الاثم
 مثل جبال عرفة وللهذا قال الفقهاء (٢٨٤) قد يكون تناول الميتة واجبا في بعض الاحيان وهو ما اذا خاف

الله سبحانه من التخليلات أو التحريمات التي لم يأذن بها (ولكل امه) من الامم المولدة
 (أجل) أى وقت معين محدود ينزل فيه عذابهم من الله ويبيتهم فيه ويجوز ان تحمل
 الآية على ما هو أهم من الامر من جميعا (فأذا جاء أجلهم) أى اذا جاء أجل كل أمة من
 الامم كان ما قدره عليهم واقفا في ذلك الاجل قيل المراد بالاجل وقت نزول العذاب وقيل
 أجل الحياة والعمر وعلى هذا الكمل واحداً أجل لا ينقفع فيه تقديم ولا تأخير والاجل يطلق
 على كل من مدة العمر بقضاءها وعلى الجزء الاخير منها أو أجل الشيء مدته ووقته الذي يعمل
 فيه وهو مصدر أجل الشيء أجلا من باب قعب وأجل أجولا من باب قعدلغة وأجلته
 تأجيلا جعلته أجلا وأجلا والجال جمع أجل مثل سبب وأسباب (لا يستأخرون ساعة)
 خص الساعة بالذ كر لانها أقل اسماء الاوقات في العرف وقد استدل بالآية الجهور على
 ان كل ميت يموت باجله وان كان موته بالقتل أو التردى أو نحو ذلك والبحث في ذلك
 طويل جدا ومثل هذه الآية قوله تعالى ما تنسب من أمة أجلاها وما يستأخرون وكان
 الحسن يقول ما أحق هؤلاء القوم يقولون اللهم أطل عمره والله يقول فاذ جاء أجلهم
 الآية عن ابن المسيب قال لما طعن عمر قال كعب لودع الله لاخرف في أجله فقبل له ليس
 قد قال الله فاذ جاء أجلهم الآية فقال كعب وقد قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص
 من عمره الا في كتاب (ولا يستقدمون) مستأنف معناه الاخبار بانهم لا يسبقون أجلهم
 المضروب لهم بل لا بد من استبقا ثم اياه كما انهم لا يتأخرون عنه أقل زمان وقال الخوفي
 وغيره انه معطوف على لا يستأخرون وهذا لا يجوز وقال الواحدي المعنى لا يستأخرون
 عن أجالهم اذا انقضت ولا يستقدمون عليها اذا فاربت الانقضاء قلت هذا بناء منه
 على انه معطوف على لا يستأخرون وهو ظاهر اقوال المفسرين وبالأول قال التفازاني
 والكرخي وقال أبو السعدي معطوف على الجواب لكن لا لبيان استفاء التقديم مع امكانه
 في نفسه كالتأخر بل للسبابة في استفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا وقال القاري

على نفسه ولم يجد غير ما وقد يكون
 مندودا وقد يكون مباحا بسبب
 الاحوال واختلاف اهل تناول
 منها فقدر ما يسد به الرق وله ان يسبغ
 ويتزود على اقوال كما هو مقرر في
 كتاب الاحكام وفيما اذا وجد ميتة
 وطعام الغير وصيدا وهو محرم هل
 يتناول الميتة او ذلك الصيد يلزمه
 الجزء وذلك الطعام ويضمن بدله
 على قولين هما قولان للشافعي رحمه
 الله وليس من شرط تناول الميتة
 ان يمضي عليه ثلاثة ايام لا يجد
 طعاما كما قد يتوهمه كثر من
 العوام وغيرهم بل متى اضطر الى ذلك
 جازله وقد قال الامام احمد حدثنا
 الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثنا
 حسان بن عطية عن ابي واقد الليثي
 انهم قالوا يا رسول الله انا بأرض
 تصيبناها الخصة فتحي تحمل لنا بها
 الميتة فقال اذ لم تصطفوها ولم
 تعقبوها ولم تخففوها بقلافنا نكم
 بهم انقروا به احد من هذا الوجه وهو

اسناد صحيح على شرط الصحيحين وكذروا به ابن جرير عن عبد الاعلى بن واصل عن محمد بن القاسم الاسدي
 عن الاوزاعي به لكن رواه بعضهم عن الاوزاعي عن حسان عن مرثد أو ابى مرثد عن ابي واقد به ورواه ابن جرير عن هناد بن
 السري عن عيسى بن يونس عن حسان عن رجل قد سمى له قد كرهه ورواه ايضا عن هناد بن عبد الله عن ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان
 مرسله وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علبسة عن ابن عون قال وجدت عند الحسن كتاب سمرة فقرأت
 عليه فكان فيه ويجزئ من الاضطرار غشوق او صبح حدثنا هشيم عن النخعي بن زيد التميمي حدثنا
 الحسن ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى يحل الحرام قال فقال الى متى يروى اهله من الذين اوتيتهم غيرهم حدثنا ابر
 اهيم حدثنا سبله عن ابن اسحق حدثني عمر بن عبد الله بن عروة عن جده عروة بن الزبير عن جدته ان رجلا من الاعراب اتى النبي

حاصل

حلى الله عليه وسلم يستفتيه في الذي حرم الله عليه والذي احل له فقال النبي صلى الله عليه وسلم يحل لك الطيبات ويحرم عليك الخبائث الا ان فتقر الى طعام لك فتاكل منه حتى تستغنى عنه فقال الرجل وما تقرى النبي يحل لي وما غنائى الذي يغنيني عن ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رويت اهلك غيرة فامن الليل فاجتنب ما حرم الله عليك من طعام فانتهى مسيرك فليس فيه حرام ومعنى قوله ما تصطحبوا يعني بالغداء وما لم تغتصبوا يعني به العشاء وتختصموا ابتلا فاسألكم بها فاكلوا منها وقال ابن جرير بروى هذا الحرف يعني قوله او تختصموا على اربعة اوجه تختصموا بالهمزة وتختصموا بتخفيف الياء وانما وتختصموا بتثنية السين وتختصموا بالتاء وتختصموا بالهمزة كذا رواه في التفسير حديث آخر قال ابو داود حدثنا شرون بن عبد الله حدثنا الفضل بن دكين حدثنا وهب بن عتبة العامري سمعت ابي يحدث عن الخبيع (٢٨٢) العامري انه اتى رسول الله صلى

حاصل كلام القاضي ان هذا منزلة المثل أى لا يقصد من مجموع الكلام الا ان الوقت تقر لا يتغير ولا يتبدل انتهى أقول قد طال الكلام من أهل العلم على ما يظهر في بادئ الرأي من الأمراض بين هذه الآيات الشر يفته وهي قوله تعالى وان يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها وقوله عز وجل ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقوله تعالى وما كان لنفس ان تعوت الا باذن الله فقيل انها معارضة لقوله عز وجل يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقوله سبحانه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمر الا في كتاب وقوله سبحانه ثم قضى أجله وأجل مسمى عنده فذهب الجمهور الى أن العمر لا يزيد ولا ينقص استدلالا بالآيات المتقدمة وبالأحاديث الصحيحة كحديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أحدكم يجمع خلقه في أر بعين يوم ما ثم يكون علة ثم يكون خضعه مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا يومئذ باربع كلمات ويقال له اكتب عمله ووزن قهره وأجله وشئى أو سعه وعوفي الصحة وغيرهما وما ورد في معناه من الاحاديث الصحيحة واجابوا عن قوله عز وجل يحو الله ما يشاء ويثبت بان المعنى يحو ما يشاء من الشرائع والقرائن فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء فلا يبدله ووجه التامخ والنسخ عنده في أم الكتاب ولا يخفى ان هذا تخصيص له موم الآية بتغير مخصوص وايضا يقال لهم ان القلم قد جرى بما هو كائن الى يوم القيامة كافي الاحاديث الصحيحة ومن جملة ذلك الشرائع والقرائن فهي مثل العمر اذا جاز فيها المحو والاثبات جاز في العمر المحو والاثبات وقيل المراد بالآية محو ما في ديوان الحافظة مما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم ما موروون بكتب كل ما ينطق به الانسان وبجواب عنه بمثل الجواب الاول وقيل بغفر الله ما يشاء من ذنوب عباده وبترك ما يشاء فلا يغفر ويحجب عنه بمثل الجواب السابق وقيل يحو ما يشاء من القرون لقوله لم يروا كم اهل قبلهم من القرون وكندوله تعالى ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخر بن فسمعوا قرنا وثبت قرنا وبجواب عنه ايضا بمثل ما تقدم وقيل هو الذي يعمل بطاعة الله ثم يعمل بمعصية الله ثم يوب فيحواه الله

الله عليه وسلم فقال ما يحل لنا من المستة قال ما طعماكم قلنا نعطج ونفتق قال أبو نعيم فسره لي عقبة قدح غدوة وقدح عشية قال ذلك وأى الجوع وأحل لهم الميتة على هذه الحال تنفريه أبو داود وكانهم كانوا يصطحبون ويغيبقون شيئا لا يكونهم فأحل لهم الميتة لتمام كتابتهم وقد يتبع به من يرى جواز الاكل منها حتى يبلغ حد الشيع ولا يتقيد ذلك بسد الرمي والله أعلم حديث آخر قال أبو داود حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جاد حدثنا حماد عن جابر عن سهرقان بن جلال بن الحر ومعه أهله وولده فقال له رجل ان ناقتي ضلت فان وجدتها فأسسكها فوجدتها ولم يجد صاحبها فرضت فقالت له امرأته انخرها فابي فنفقت فقالت له امرأته اسلنها حتى نقد مدحهما ولجها فأنكاه قال لاحتى أسأل رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأنادى فقال هل عندك غنى يغنيك قال لا قال فكلوها قال فاصحابها فاحبر اخبر فقال هلا كنت فخرتها قال استحييت منك تنفريه وقد يتبع به من يجوز الاكل والشبع وانترود منها مائة تغلب على ظنه الاحتياج اليها والله أعلم وقوله غير متجانف لأمى غير متعاط لمعصية الله فان الله قد أناب ذلك له وسكت عن الآخر كما قال في سورة البقرة فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم وقد استدل بهذه الآية من يقول بان العاصي بسفه لا يترخص بشئ من رخص السفه لان الرخص لست بالعاصى والله أعلم (يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلين تعلمون من مما علىكم الله فكلوا مما مسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب) لماذا كره تعالى ما حرمه في الآية المتقدمة من الخبائث الضارة فكلوا ما في بطنه أو في يده أو في فمها واستثنى ما استثناه في حالة الضرورة كما قال وقد فصل لكم

ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه قال بعد هذا يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات كافي سورة الاعراف في صفة محمد صلى الله عليه وسلم انه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث قال ابن أبي حاتم حدثنا يوزعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن أبي بكر حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعد بن جابر عن عدي بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال يا رسول الله قد حرم الله المستعقذ ايجل لتأمنها فترك يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات قال سعيد بن الزبيري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصنعوه وهو الحلال من الرزق وقد سئل الزهري عن شرب البول للتداوي فقال ليس هو من الطيبات رواه ابن أبي حاتم وقال ابن وهب سئل مالك عن بيع الطين الذي يأكله الناس فقال ليس (٢٨٤) هو من الطيبات وقوله تعالى وما علمتم من الجوارح

من ديوان السبائت ويشتبه في ديوان الحسنات وقيل يجوز ما يشاء يعني الدنيا وبنت الآخرة وقيل غير ذلك وكل هذه الاجوبة تتعاضد وتعاوى بمجرد قول لا تشك ان آية المحو والاثبات عامة لكل ما يشاء الله سبحانه فلا يجوز تخصيصها بالانحصار والا كان ذلك من التقول على الله عز وجل بما لم يقل وقد وعد الله تعالى على ذلك وقرنه بالشرك فقال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاشم والنجس بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون واجابوا عن قوله تعالى وما يعبد من دونه من معبود ولا ينقص من عمره الا في كذب بان المراد بالمعمر الطويل والعمر والمراد بالناقص القصير والعمر وفي عهد انظر لان الضمير في قوله ولا ينقص من عمره يعود الى قوله من معبود والمعنى على هذا وما يعبد من معبود ولا ينقص من عمره ذلك المعمر الا في كذب هذا ظاهر معنى النظم القرآني واما التاويل المذكور فاعلم ان رجاء الضمير المذكور الى غير ما هو المرجع في الآية وذلك لا وجود له في النظم وقيل ان معنى ما يعبد من معبود ما يستقبله من عمره ومعنى لا ينقص من عمره ما قد مضى وهذا ايضا خلاف الظاهر لان هذا ليس بنقص من نفس العمر والقص يقابل الزيادة وجهنا جعله مقابلا للبقية من العمر وليس ذلك بصحيح وقيل المعنى وما يعبد من معبود من بلغ سن الهرم ولا ينقص من عمره أي من عمر آخر غير هذا الذي بلغ سن الهرم عن عمر هذا الذي بلغ سن الهرم ويجب عنه تقدم وقيل المعمر من يبلغ عمره سنتين سنة والمقصود من عمره من يموت قبل السنتين وقيل غير ذلك من التأويلات التي ترددها اللغظ ويدفعها واجابوا عن قوله سبحانه ثم قضى اجلا وأجل معنى عنده بان المراد بالاجل الاول النوم والثاني الوفاة وقيل الاول ما قد انقضى من عمره كل احد والثاني ما بقي من عمره كل احد وقيل الاول أجل الموت والثاني ما بين موته الى بعثته وقيل غير ذلك مما فيه مخالفة للنظم القرآني وقال جمع من أهل العلم ان العمر يزيد وينقص واستدلوا بالآيات المتقدمة فان المحو والاثبات عامان يتناولان للعمر والرزق

ممكن أي أحل لكم الذبايح التي ذكر اسم الله عليها والطيبات من الرزق وأحل لكم ما صدقوه بالجوارح الكلاب والصقور وأشبهها بما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة وعن قال ذلك على بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وما علمتم من الجوارح مكليين وهن الكلاب المعلمة والبازي وكل طير يعلم للصيد والجوارح يعني الكلاب الضواري والفهود والصقور وأشبهها رواد ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن خيثمة وطاوس ومجاهد ومكحول ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك وروى عن الحسن انه قال البازي والصفر من الجوارح وروى عن علي بن الحسين مثله ثم روى عن مجاهد انه كره صيد الطير كله وقرأ قوله وما علمتم من الجوارح مكليين قال وروى عن سعيد بن جبير نحو ذلك ونقله ابن جرير عن الضحاك

والسدى ثم قال حدثنا هناد حدثنا ابن أبي زائدة أخبرنا ابن جرير عن نافع عن ابن عمر قال ما ما صادم من الطير البازيات والسعلاة وغيرها من الطير فإدركت فهو لك والا فلا تطعمه قالت والحكي عن الجمهور ان الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب لانها تكتب اليد بمخالبها كما تكتبه الكلاب فلا فرق وهو مذهب الأئمة الاربعة وغيرهم واختاره ابن جرير واحتج في ذلك بنارواه عن هناد حدثنا عيسى ابن يونس عن مجاهد عن الشعبي عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازي فقال ما أمسك عليك فكل واستثنى الامام أحمد صيد الكلب الاسود لانه عنده مما يجب قتله ولا يحل اقتناؤه لما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقطع الصلاة الجار والمرأة والكلب الاسود فقلت ما بال الكلب الاسود من الاجر فقال الكلب الاسود شيطان وفي الحديث الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الكلاب ثم قال ما بالهم وبان الكلاب اقتناؤها كل أسود

بهم وسعت هذه الحيوانات التي يصطادهم من الجرح وهو الكسب كما تقول العرب فلان جرح أهله خبراً أي كسبهم خبراً
 ويقولون فلان لا جرح له أي لا كسب له وقال الله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم من خير وشراً وقد ذكر في سبب نزول
 هذه الآية الكريمة الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن حمزة حدثنا زيد بن حباب حدثني يونس بن عبيدة حدثني أبان
 ابن صالح عن القعقاع بن حكيم عن سلمي أم رافع عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أمر بقتل الكلاب فقتلت فناء الناس فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها فسكت فأمر الله يسألونك
 ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكيلين الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرسل الرجل كلبه وصحى
 فأمسك عليه فليأكل ما لم يأكل وهكذا رواه ابن جرير (٢٨٥) عن أبي كريب عن زيد بن الحباب بإسناده عن

والسعادة والشقاوة وغير ذلك وقد ثبت عن جماعة من السلف من الصحابة ومن بعدهم
 أنهم كانوا يقولون في ادعيتهم اللهم ان كنت كتبتني في أهل السعادة فابتنى منهم وان كنت
 كتبتني في أهل الشقاوة فاحضني واثبتني في أهل السعادة ولم يأت القائلون بجمع زيادة
 العدد ونقصاته ونحو ذلك بما يخص هذا العموم وهكذا يدل على هذا المعنى الآية
 الثانية فان معناها انه لا يطول عمر الإنسان ولا ينقص الا وهو في كتاب اى فى اللوح
 المحفوظ وهكذا يدل قوله تعالى ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ان لا للإنسان اجلين
 يقضى الله سبحانه بهما بشئ منهما من زيادة ونقص ويدل على ذلك ايضا ما فى الصحيحين
 وغيرهما عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان صلة الرحم تزيد
 في العمر وفى اللفظ في الصحيحين من احب ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في أثره فليصل
 رحمه وفى اللفظ من احب ان يمد الله في عمره واجدوا يبسط في رزقه فليتق الله وليصل رحمه
 وفى اللفظ صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوارح يعمرن الديار ويردن في الاعمار ومن
 اعظم الأدلة ما ورد في الكتاب العزيز من الامر للعباد بالدعاء كقوله عز وجل ادعوني
 استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقوله ام من
 يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقوله واذا سألكم عبادى عنى فانى قريب اجيب
 دعوة الداع اذا دعان وقوله واسألوا الله من فضله والاحاديث المشتملة على الامر بالدعاء
 متواترة وفيها ان الدعاء يدفع البلاء ويرد القضاء كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم فى
 الصحيح انه قال اللهم انى أعوذ بك من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشماتة
 الأعداء وثبت في حديث قنوت الوتر انه صلى الله عليه وآله وسلم قال وفى شر ما قضيت
 ذلواكن الدعاة لا يفيد شيئاً وانه ليس للإنسان الا ما قد سبق فى القضاء الا انى لكان أمره
 عز وجل بالدعاء لغوا لا فائدة فيه وكذلك وعد بالاجابة للعباد الداعين له وهكذا يكون
 ما ثبت فى الاحاديث المتواترة المشتملة على الامر بالدعاء وانه عبادة لغوا لا فائدة فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ العوالي فجاءه من عنده وسعد بن خيمة وعمر بن ساعدة
 فقالوا ماذا أحل لنا يا رسول الله فترأت الآية ورواه الحارث عن طريق ممالك عن عكرمة وكذا قال محمد بن كعب القرظي
 في سبب نزول هذه الآية انه في قتل الكلاب وقوله تعالى مكيلين يحتمل أن يكون حالهم الضمير في علم فيكون حالهم القاعل
 ويحتمل أن يكون حالهم المفعول وهو الجوارح أي وما علمتم من الجوارح في حال كونهم مكليات للصياد وذلك ان تصيدهم بها
 وأظفارها فيستدل بذلك والحالة هذه على ان الخارج اذا قتل الصيد بدميته وبغالبه وظفره انه لا يحل كجوارحه حتى الشاقي
 وطائفة من العلماء ولهذا قال تعلمون من مما علمكم الله وهو انه اذا أرسله استرسل واذا استنسله استنسل واذا أخذ الصيد أمسكه
 على صاحبه حتى يجي إليه ولا يمسكه لنفسه ولهذا قال تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه حتى كان الخارج معلماً

وأُمنسك على صاحبه وكان قد ذكر اسم الله عليه وقت أن ساله حل الصيد وإن قبله بالاجتماع وقد وردت السنة بمثل ما دلت عليه هذه الآية الكريمة كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله أنى أرسل الكلاب المعلمة وأذ كراسم الله فقال إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمنسك عليك قلت وإن قتلن قال وإن قتلن ما لم يشر كها كلب ليس منهن فإنا لن انما سميت على كلبك ولم نسم على غيره قلت فأنى أرى بالمعروض الصيد فقال إذا ربيت بالمعروض فخرق فكله فإن أصابه بعرض فانه وقد فلانا كله وفى النظر لهما إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر الله فان أمنسك عليك فأدركته حيا فادبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله وإن أخذ الكلب كانه وفى رواية لهما فان أكل فلا تأكله فأنى أخاف أن يكون أمنسك على نفسه فهذا دليل على العمهور وهو صحيح من مذهب الشافعى وهو انه

(٢٨٦)

وهكذا يكون استعاذته صلى الله عليه وآله وسلم من سوء القضاء لغو الأفايدة فيه وهكذا يكون قوله صلى الله عليه وآله وسلم وفى شر ما قضيت لغو الأفايدة فيه وهكذا يكون أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالتداوى وإن الله سبحانه ما أنزل من داء إلا وجعل له دواء لغو الأفايدة مع ثبوت الأمر بالتداوى فى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم فان قلت فعلام يحمل ما تقدم من الآيات القاضية بالاجل لا يتقدم ولا يتأخر قلت قد أجاب عن ذلك بعض السلف وتبعه بعض الخلف بأن هذه الآية مختصة بالاجل إذا حضر فانه لا يتقدم ولا يتأخر عند حضوره ويؤيد هذا أنهم أممية بذلك فانه قال إذا جاء أحلهم ومثل هذا التقيد المذكور فى هذه الآية قوله عز وجل ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها وقوله سبحانه أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر فقد أمكن الجمع بحمل هذه الآيات على هذا المعنى فإذا حضر الاجل لم يتأخر ولا يتقدم وفى غير هذه الحالة يجوز أن يؤخره الله بالعداء أو بصل الرحمة أو بفعل الخير ويجوز أن يقدمه لمن عمل شرا أو قطع ما أمر الله به أن يوصل أو أنتهن محارم الله سبحانه فان قلت فعلام يحمل قوله عز وجل ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها وقوله سبحانه قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا وكذلك ما رما ورد فى هذا المعنى قلت هذه أولا معارضة بملها وذلك قوله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فمما كسبت أيديكم ويعقوب عن كثير ومثل ذلك ما ثبت فى الحديث الصحيح القدسي بإعادي انتهى أعمالكم أحصاها عليكم فى وخدخدا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يؤمن بالانفسه وثانيا ما كان الجمع بحمل مثل قوله الا فى كتاب وقوله لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا على عدم التسبب من العبد بأسباب الخير من الدعاء وسائر أفعال الخير وجل ما ورد فيها يخالف ذلك على وقوع التسبب بأسباب الخير الموجبة بحسن القضاء واندفاع شره وعلى وقوع التسبب بأسباب الشر المقتضية لأصاها المكره ووقوعه على العبد وهكذا يكون الجمع بين الأحاديث الواردة بنسب القضاء والله

يستقصوا كما ورد بذلك الحديث وحكى عن طائفة من السلف أنهم قالوا لا يحرم مطلقا ذكر الآثار بذلك قال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا وكيع عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال قال سلمان الفارسي قال كل وإن أكل ثلثه يعنى الصبي إذا أكل منه الكلب وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة وعمر بن عامر عن قتادة وكذا رواه محمد بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سلمان ورواه ابن جرير أيضا عن مجاهد بن موسى عن يزيد بن محمد بن مالك بن خنم الدؤلى انه سأل سعيد بن أبي وقاص عن الصبي إذا أكل منه الكلب فقال كل وإن لم يبق منه إلا حذبه يعنى بضعة ورواه شعبة عن عبد بن سعد عن سعيد بن بكير بن الأشج عن سعيد بن المسيب عن سعيد بن أبي وقاص قال كل وإن أكل ثلثه وقال ابن جرير حدثنا

قد

ابن المنثى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود عن عامر عن أبي هريرة قال لو أرسلت كلبك فأكـ

منه فان أكل ثلثه وبقى ثلثه فكله وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعمر قال سمعت عبد الله وحدثنا هناد بن عباد عن عبد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله قال إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمنسك عليك كل أول ما أكل وكذا رواه عبد الله بن عمر بن أبي ذئب وغير واحد عن نافع فهذه الآثار ثابتة عن سلمان وسعيد بن أبي وقاص وأبي هريرة وابن عمر وهو محكى عن علي وابن عباس واختلف فيه عن عطاء وعلين البصري وهو قول الزهري وزيد بن أسلم واليه ذهب الشافعى فى القديم وأما إليه فى الجديد وقدرى من طريق سلمان الفارسي مر فوعا فقال ابن جرير حدثنا عمر بن بكر الكلابى حدثنا عبد العزيز بن موسى الألاحونى حدثنا محمد بن دينار وهو الطائى عن أبي إياس معاوية بن قرة عن سعيد بن المسيب عن سلمان

الخارجي حدثنا محمد بن الشعبي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انما قوم نصيبنا الكلاب واليازات فما يصلح لنا منها قال يصلح لكم ما علمتم من الجوارح مكبلين تعالجونهم بما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال ما أرسلت من مكبل وذكرت اسم الله عليه فكل ما أمسك عليك قلت وان قتل قال وان قتل ما لم يأكل قلت يا رسول الله وان خالطت كلابنا كلابا غير هاتين فلا تأكل حتى تعلم ان كلبك هو الذي أمسك عليك قلت انما قوم نرمي فليصل لنا قال ما ذكرت اسم الله عليه وخرقت فكل فوجبه الدلالة لهم انه اشترط في الكلب ان لا يأكل ولم يشترط ذلك في اليازات فدل على التفرقة بينهما في الحكم والله اعلم وقوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه أي عند ارساله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم اذا أرسلت كلبك المعمر وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك وفي حديث أبي ثعلبة الخنرجي في الصحيحين أيضا اذا أرسلت

المكروه وليس في ذلك خالف ولا مخالفة لسبق العلم بل فيه تيسيد المسببات بأسبابها كما قدر الشئع والري بالاكل والشرب وقدر الزوال بالطوع وقدر حصول الزرع بالذر فدل على القول عاقل بان ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق أو تضافيه بوجه من الوجوه فلو قال قائل ان الاكل ولا شرب بل انظر القضاء فان قدر الله لي ذلك كان وان لم يقدر لم يكن أو قال قائل ان الاكل لا يزرع ولا أغرس الشجر ولا أعطر القضاء فان قدر الله ذلك كان وان لم يقدر لم يكن أو قال قائل ان الاكل جامع زوجي أو أمي لتحصل لي منهما الدرر فيلزم ان قدر الله ذلك كان وان لم يقدره لم يكن لكان هذا مخالفا لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاءت به كتبهم وما كان عليه صلحاء الامة وعلماؤها بل يكون مخالفا لما عليه هذا النوع الانساني من أينما آدم الى الان بل مخالفا لما عليه جميع أنواع الحيوانات في البر والبحر فكيف ينكر وصول العبد الى الخير بدعائه أو بعده الصالح فان هذا من الاسباب التي ربط الله مسبباتها بها وعلماؤها قبل ان تكون فعله على كل تقدير رأى في المسببات والاسباب ولا يشك من له اطلاع على كتاب الله عز وجل ما أشبه عليه من ترتيب حصول المسببات على أسبابها كما في قوله ان تجتنبوا مكائرا تاتون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وقوله لنن شكرتم لا زيدنكم وقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقوله فاولاؤه كان من المسبحين للرب في بيته الى يوم يعنون وكما بعد العاد من أمثال هذه الآيات القرآنية وما ورد من الأحاديث النبوية وهل ينكر هؤلاء الغلاة مثل هذا ويحذرون مخالفا لسبق العلم بما لا يزلونه فان قالوا نعم فقد أنكروا ما في كتاب الله عز وجل من فاتحته الى خاتمته وما في السنة المطهرة من أولها الى آخرها بل أنكروا أحكام الدنيا والآخرة لانها كلها مسببات مترتبة على أسبابها وجزءات معلقة بشروطها ومن بلغ الى هذا الحد في الغباوة وعدم

كلبك فاذا كراسم الله واذا رمت بسهمك وليذا اشترط من اشترط من الامة كالامام أحمد رحمه الله في المشهور عنه التسمية عند ارسال الكلب والري بالسهم لهذه الآية وهذا الحديث وهذا القول هو المشهور عند الجمهور ان المراد بهذه الآية الاصر بالتسمية عند الارسال كما قال السدي وغيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله واذكروا اسم الله عليه يقول اذا أرسلت جازحت فقل بسم الله وان نسيت فلا ترج وقال بعض الناس المراد بهذه الآية الامر بالتسمية عند الاكل كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علم ربيبة عمر بن أبي سابة فقال سم الله وكل بيمينك وكل بيمينك وفي صحيح البخاري عن عائشة انهم قالوا يا رسول الله ان قوميا أتوا تاجدث عهد بكفر بلمان لا تدري اذك كراسم الله عليها

أم لا فقال هو الله أنهم وكوا حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا ابن يدر حدثنا هشيم عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمر عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الطعام في ستة نفر من اصحابه فجاء اعرابي فأكل بلمتين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ان لو كان ذكرا سم الله لكفناكم فاذا أكل احدكم فليد كراسم الله فان نسي ان يذك كراسم الله في اوله فليقل بسم الله اوله وآخره وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون به وهذا متفق بين عبد الله بن عبيد بن عمر وعائشة فانه لم يسمع منها هذا الحديث بديل ما رواه الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب أخيرناه شام يعني ابن أبي عبد الله الدستوائي عن بديل عن عبد الله بن عبيد بن عمر ان امرأته منهم يقال لها أم كلثوم حدثت عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل طعاما في ستة نفر من اصحابه فجاء اعرابي جائع فأكله بلمتين فقال اما ان لو ذكرا سم الله لكفناكم فاذا أكل احدكم

فلما ذكر اسم الله فان نسي اسم الله في أوله فليقل باسم الله أوله وآخره رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من غير وجه
عن هشام الدستوائي به قال الترمذي حسن صحيح (حديث آخر) قال أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا جابر
ابن صبيح حدثني المثنى بن عبد الرحمن الخزاعي وحجته الى واسط فكان يسمى في أول طعامه وفي آخر لقمة بقول بسم الله أوله
 وآخر فقال أخبرني ان خالد بن أمية بن مخشى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما زال الشيطان يأكل معه حتى سمي فلم
 يبق شي في بطنه حتى قام وهو كذا رواه أبو داود والنسائي من حديث جابر بن صبح الاسدي أبي بشر البصري ووثقه ابن معين
 والنسائي وقال أبو الفتح الأزدى لا تقوم به حجة (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن خزيمة عن أبي
 حذيفة قال أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الامام أحمد واسمه سلمة بن الهيثم (٢٨٩) ابن صهيب من أصحاب ابن مسعود

عن حذيفة قال حضرنا مع
 النبي طعاما فأتت جارية كأنها
 تدفع فذهبت تضع يدها في الطعام
 فأخذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يدها وجاء اعراي كأنها تدفع
 فذهب يضع يده في الطعام فأخذ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
 فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان الشيطان يتكل الطعام
 اذا لم يذكر اسم الله عليه انه جاء
 بهذه الجارية ليتكل بها فأخذت
 يدها وجاء بها الاعراي ليتكل
 به فأخذت يده والنبي نفسي بيده
 ان يده في يدي مع يدها يعني
 الشيطان وكذا رواه مسلم وأبو
 داود والنسائي من حديث الأعمش
 به (حديث آخر) روى مسلم وأهل
 السنن الاثر من طريق ابن
 جريج عن أبي الزبير عن جابر بن
 عبد الله قال اذا دخل الرجل بيته
 فذكر الله عند دخوله وعند طعامه
 قال الشيطان لا مبيت لكم ولا

تعقل الخلة لم يستحق المناظرة ولا ينبغي معه الكلام فبما علق بالدين بل ينبغي الزامه
 باهمال اسباب ما فيه صلاح معاشه وأمر دينه حتى يتعش من غفلته ويستغفقه من
 نومه ويرجع عن ضلالاته وجهالاته والهداية تبرى الخول والقوة ولا خيرا الاخير ثم
 يقال لهم هذه الادعية النابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دواوين الاسلام
 وما يتعلق بها من كتب السنة المطهرة قد علم كل من له علم انها كثيرة جدا بحيث لا يحيط
 بأكثرها الا موفى بسيط ومصنف حافل وفيها تارة استحلاب الخير وفي أخرى استدفاع
 الشر وتارة معلقة بآثار الدنيا وتارة بآثار الآخرة ومن ذلك تعليمه صلى الله عليه وآله
 وسلم لامته ما يدعون به في صلاتهم وعقب صلاتهم وفي صيامهم وفي ليالهم ونهارهم وعند
 نزول الشدائد بهم وعند وصول نعم الله اليهم هل كان هذا كله منه صلى الله عليه وآله
 وسلم لفائدة عائده عليه وعلى أمته بالخبر جالبة لما فيه مصلحة دافعة لما فيه مفسدة فان قالوا
 نعم قلنا لهم فنبعث لاختلاف بيننا وبينكم فان هذا الاعتراض يدفع عنا وعنكم معرفة
 الاختلاف ويرحمنا ويرحمكم من التطويل بالكلام على ما أوردناه وأردناه وان قالوا
 ليس ذلك لفائدة عائده عليه وعلى أمته بالخبر جالبة لما فيه مصلحة دافعة لما فيه مفسدة
 فهم أجهل من دواهم وليس للخصاجة لهم فائدة ولا في المناظرة معهم نفع باعجابكم العجب
 اما بلغهم ما كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أول نبوته الى ان قبضه
 الله من الدعاء به والاطحاح عليه ورفع يده عند الدعاء حتى يندويض ابطيه وحتى يسقط
 رداؤه كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم في يوم بدر فهل يقول عاقل فنعلا عن عالم ان هذا
 الدعاء منه فعلة صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعلم انه لا فائدة فيه وانه قد سبق العلم عاوه
 كائن وان هذا السبق يرفع فائدة ذلك ويقعنى عدم النفع به ومعلوم انه صلى الله عليه
 وآله وسلم أعلم بربه وبفضائه وقدره وبأليته وسبق علمه بما يكون في بره فلو كان الدعاء
 منه ومن أمته لا يفيد شيئا ولا ينفع فنعلا فنعلا ولا أرضد اليه الناس وأمرهم به فان ذلك

(٣٧ - فتح البان ثالث) عشاءه واذا دخل ولم يذكر اسم الله عند طعامه قال أدركم المبيت والعشاء لفظ أبي داود (حديث
 آخر) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن جده ان رجلا قال للنبي صلى
 الله عليه وسلم انانا كل ومانشبع قال فقل لكم تأكلون متفرقين اجتماعكم واذا كروا اسم الله يبارك لكم فيه ورواه
 أبو داود وابن ماجه من طريق الوليد بن مسلم (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أولوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لكم
 والخصنات من المؤمنات والخصنات من الذين أولوا الكتاب من قبلكم اذا أتيتهم فجاءهم من غير مسلحين ولا متخذين
 أخذنا ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخر من الناس من) لما ذكر تعالى ما حرمه على عباده المؤمنين من الخبائث
 وما أحله لهم من الطيبات قال بعده اليوم أحل لكم الطيبات ثم ذكر حكم ذبايح أهل الكتابين من اليهود والنصارى فقال وطعام

الذين أوثروا الكتاب حل لكم قال ابن عباس وأما ما وجدنا من غير وعكروا وعطوا والحسن ومكحول وإبراهيم التقي والسدى وقاتل بن حيان يعني ذبائحهم وهذا أمر يجمع عليه بين العلماء أن ذبائحهم حلال للمسلمين لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغیر الله ولأنه كرون على ذبائحهم الاسم الله وإن اعتقدوا فيه ما هو منزه عنه تعالى وتقدس وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله ابن مغفل قال أدى جرباب من ثمن يوم خيبر فحشنته وقلت لا أعطى اليوم من هذا أحدًا والتفت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فاستدل به الفقهاء على أنه يجوز تناول ما يحتاج إليه من الأطعمة وشحوها من الغنم قبل القسمة وهذا ظاهر واستدل به الفقهاء الخفية والشافعية والحنبالية على أصحاب مالك في منعهم أكل ما يعتقد اليم وتحررهم من ذبائحهم كالشحم وشحوها مما حرم عليهم فالسالك ليجوز للمسلمين (٢٩٠) آكله لقوله تعالى وطعام الذين أوثروا الكتاب حل لكم قالوا

نوع من العبث الذي تنزه عنه كل عاقل فضلا عن خير البشر وسيد ولد آدم ثم يقال لهم إذا كان القضاء أفعالا لا محالة وأنه لا يدفعه شيء من الدعا والالتجاء والالحاح والاستعانة فكيف لم يتأدب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ربه فإنه قد صرح عنه أنه استعاذ بالله سبحانه من سوء القضاء كما عرفنا قال وفي شرا مضيت فكيف يقول هؤلاء الغلاة في الجواب عن هذا وعلى أي محمل يحمل بحالونه ثلث شجرى علام يحملون أمره سبحانه وتعالى لعباده بدعائه بقوله ادعوني أستجب لكم ثم عقب ذلك بقوله إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي عن دعائي كما صرح بذلك آية التفسير فكيف يأمر عباده بالدعاء أولا ثم يجعل تركه استكبارا منهم ثم يرغهم إلى الدعاء ويخبرهم أنه قريب من الداعي مجيب لدعوته بقوله وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ثم يقول معنوا الكلام الكرم بحرف يدل على الاستفهام الانكارى والتقريع والتوبيخ ثم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ثم يأمرهم بسؤاله من فضله بقوله وإسألوا الله من فضله فإن قالوا إن هذا الدعاء الذي أمرنا الله وأرشدنا إليه وجعل تركه استكبارا وتوعد عليه بدخول السامع الذل ورغب عباده في دعائه وعرفهم أنه قريب وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وأنكر عليهم أن يعتقدوا أن غير مجيب المضطر إذا دعاه ويكشف ما نزل بهم من سوء وأمرهم أن يسألوه من فضله ويطلبوا ما عنده من الخير إن كل ذلك فائدة لله للعباد وأنه لا ينال إلا ما قد جرى به القضاء وسبق به العلم فقد نسوا إلى الرب عز وجل ما لا يجوز عليه ولا يحمل نسبه إليه فإنه لا يأمر العبد إلا بما فيه فائدة يعتد بها ولا يرغب إلا فيما يحصل له الخير ولا يرغب إلا بما يكون له عليه الضر ولا بعده إلا بما هو حق يترتب عليه فائدة فهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد ولا يأمرهم بسؤاله من فضله إلا وهذا الفائدة تحصل بالدعاء ويكون بسببه التفضل عليهم ورفع ما هم فيه من الضر وكشف ما حل بهم من سوء هذا هو لم لا يشك فيه إلا من لا يعقل

وهذا ليس من طعامهم واستدل عليهم بالجهور بهذا الحديث وفي ذلك قطرة لانه قضية عين ويحتمل أن يكون شحما يعتقدون حله كشحم الظهور والحوايا وشحوهما والله أعلم وأجود منه في الدلالة ما ثبت في الصحيح أن أهل خيبر أهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية وقد سموا ذراعها وكان يجنيه الذراع فتناوله فتمش منه ثم شاة فأخبره الذراع أنه مسموم فلفظه وأثر ذلك في ثنايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبهره وأكل معه منها بشرى البراء بن معرور فمات فقتل اليهودية التي سمها وكان اسمها زينب ووجه الدلالة منه أنه عزم على أكلها ومن معه ولم يسألهم هل نزعوا منها ما يعتقدون تحريمهم من شحمها أم لا وفي الحديث الآخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضافه يهودي على خبز شعير وإحالة نسخة يعني ودكارتها وقال ابن أبي

حاتم قرأ العباس بن الوليد بن مزبد أخبرنا محمد بن شعيب أخبرني العثمان بن المنذر عن مكحول قال أنزل الله ولأنا كلوا مما رزقكم اسم الله عليه ثم نسخه الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوثروا الكتاب حل لكم فتشبهوا بذلك وأحل طعام أهل الكتاب وفي هذا الذي قاله مكحول رحمه الله نظر فانه لا يلزم من إباحة طعام أهل الكتاب إباحة كل ما لم يذكر اسم الله عليه لأنهم يذكرون اسم الله على ذبائحهم بل ولا يتوقفون فيما بدأ كونه من اللحم على ذكائه بل يأكلون الميتة بخلاف (١) أهل الكتابين ومن شاكلهم من السامرة والصابئة ومن تدل بدین ابراهيم ورشيت وغيرهما من الانبياء على أحد قولی العلماء ونصارى العرب كبني تغلب وتوخ وجر وجرادهم ونظم وعامله ومن أشبههم لا تؤكل ذبائحهم عند الجهور وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عتبة عن أيوب عن محمد بن عبيدة قال قال علي (١) قوله بخلاف أهل الكتابين الخ كذا في النسخ التي بأيدينا وأهل الظاهر بخلاف غير أهل الخ فتأمل اه معجمه

لأنما كواذبا يخفى تغلب لانهم اغنيا تمسكون من النضرانية بشرب الخمر وكذا قال غير واحد من الخلف والسلف قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب والحسن انهما كانا ليريان بأسانيد بصفة نصارى بنى تغلب وأما الجوس فانهم من ان أخذت منهم الجزية تبعوا والخالفوا لاهل الكتاب فانه لا تؤكل ذبايحهم ولا تنكح نسأؤهم خيلا لا في ثور انزاهيم بن خالد الكبيي أحد الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل ولما قال ذلك واشهر عنه أنكرك عليه الفقهاء ذلك حتى قال عنه الامام أحمد أبو نور كاذبه يعني في هذه المسئلة وكذا تعلق بعموم حديثه روى مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سنوابعهم سنة أهل الكتاب ولكن لم يثبت بهذا اللفظ وانما اللفظ في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من الجوس هجر ولو سلم صحة هذا الحديث فعمومه مخصوص بعقوبم (٢٩١) هذه الآية وطعام الذين أوتوا الكتاب

حسب لكم فدل بعقوبه مفهوم الخافضة الى أن طعامهم من عداهم من أهل الاديان لا يحل وقوله تعالى وطعامكم حل لهم أى ويحل لكم أن تطعموهم من ذبايحكم وليس هذا اخبارا عن الحكم عندهم اللهم الا أن يكون خبرا عما أمروا به من الاكل من كل طعام ذكر اسم الله عليه سواء كان من أهل الملة أم من غيرهم والاول أظهر في المعنى أى ولكم ان تطعموهم من ذبايحكم كما أكلتم من ذبايحهم وهذا من باب المكافاة والجزاء كما ألبس النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه بعد الله بن أبي ابن سائل حين مات ودفنه فيه قالوا لانه كان قد كسا العباس حين قدم المدينة ثوبه به فخازاه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ذلك فأما الحديث الذي فيه لا تكتب الامومنا ولا يأكل طعامك الا في نعمه ولا على التسبب والاستحباب والله أعلم وقوله والمحصنات من المؤمنين

حجج الله ولا يفهم كلامه ولا يدري بخبر ولا شر ولا تنفع ولا ضرر ومن بلغ به الجهل الى هذه الغاية فهو حقيق بان لا يحاطب وحين بان لا ينظر فان هذا المسكين المتجرب في جهله المتقلب في ضلالة قد وقع فيها وأكظم خطرا من هذا أو أكثر ضرا منه وذلك بان يقال له اذا كان دعاء الكفار الى الاسلام ومقاتلتهم على الكفر وغزوهم الى عقرب دارهم لا يأتي بفائدة ولا يعود على التنازع به من الرسل واتباعهم وسائر المجاهدين من العباد بفائدة وأنه ليس هناك الا ما قد سبق من علم الله عز وجل وأنه سيبدل في الاسلام ويهتدى الى الدين من قد علم الله سبحانه منه ذلك سواء قبل أو لم يقبل وسواء ادعى الى الحق أو لم يدع اليه كان هذا القتال الصادر من رسل الله واتباعهم ضارعا ليس فيه الا التحصيل الحاصل وتكوين ما هو كائن فعلا أو تر كوا وحيد يكون الامر بذلك عبثا تعالى الله عز وجل عن ذلك وهكذا ما شرعه الله لعباده من الشرائع على لسان أنبيائه وأتزل بها كتبه يقال مثل هذا فانه اذا كان ما قد حصل في سابق علمه عز وجل كائننا سواء بعث الله الى عباده رسله وأتزل اليهم كتبه أو لم يفعل ذلك كان عبثا تعالى الرب سبحانه ويتزه عن أن ينسب اليه فان قالوا ان الله سبحانه قد سبق علمه بكل ذلك ولكنه قديم شرطه بشرط وعلقه بأسباب فعمل مثل أن الكافر يسلم ويدخل في الدين بعدد عاقبه الى الاسلام أو مقاتلته على ذلك وان العباد يعمل منهم من يعمل بعبادتهم الله بعد بعثة رسله اليهم واتزال كتبه عليهم قلنا لهم فليحكم ان يقولوا هكذا في الدعاء وفي اعمال الخير وفي صلته والرحم ولا تطلب منكم الا هذا ولا تريد منكم غيره وحينئذ قد دخلتم الى الوفاق من طريق قريبة فعلا من هذا الجدال الطويل العريض واللباح الكبير الكثير فاما انقول الان الله سبحانه قد علم في سابق علمه ان فلانا بطول عمره اذا وصل رحمه وان فلانا يحصل له من الخير كذا وشدفع عنه من الشر كذا اذا دعا به وان هذا المسببات مترتبة على حصول أسبابها وهذه المشروطات مقيدة بحصول شروطها وحينئذ فارجعوا الى ما قد ساد ذكر من الجمع بين ما تقدم من الأدلة واسترجعوا

أى وأحل لكم نكاح الحرائر العاقبات من النساء المؤمنات وذكر هذا توطئة لما بعده وهو قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فقل أراد بالمحصنات الحرائر دون الامام حكايا بن جرير عن مجاهد وانما قال مجاهد المحصنات الحرائر فيحتمل ان يكون أراد ما حكاها عنه ويحتمل ان يكون أراد بالحريرة العفيفة كما قال في الرواية الاخرى عنه وهو قول الجمهور وهما والاشبه لا يجمع فيهما ان تكون ذمية وهي مع ذلك غير عفيفة فيند حالها بالكلية ويتحصل زوجها على ما قيل في المثل حشفا وسوء كيلة والظاهر من الآية ان المراد بالمحصنات العفيفات عن الزنا كما قال تعالى في الآية الاخرى محصنات غير مسافات ولا متخذات أخذان ثم اختلف المتسرون والعلماء في قوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم هل يعنى كل كايصة عفيفة سواء كانت حر أو أمه حكايا بن جرير عن طائفة من السلف عن فخر المحصنة بالعفيفة وقيل المراد بالهال الكتاب همة الاسير انيليمات

وهو مذهب الشافعي وقيل المراد بذلك الذميات دون الخرافة لقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وقد كان عبد الله بن عمر لا يرى التزويج بالنصرانية ويقول لا أعلم شر كأعظم من أن تقول إن ربها عيسى وقد قال الله تعالى ولا تتكفروا للمشركين حتى يؤمنوا الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن حاتم بن سليمان المرتب حدثنا قاسم بن مالك يعني المزني حدثنا اسمعيل بن جميع عن أبي مالك الغفاري عن ابن عباس قال نزلت ولا تتكفروا للمشركين حتى يؤمنوا قال فخير الناس عنهم حتى نزلت الآية التي بعدها والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فكنه الناس نساء أهل الكتاب وقد تزوج جماعة من الصحابة من نساء النصارى ولم ير بذلك بأساً أخذنا هذه الآية الكريمة والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم فجعلوا أخذنا هذه الآية في سورة البقرة ولا تتكفروا للمشركين (٢٩٢) حتى يؤمنوا إن قيل يدخلون الكليات في عمومها والافلا

من التعبد فله لم يبق بيننا وبينكم خلاف من هذه الحديث وقد كان الصحابة مثل عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي وائل وعبد الله بن عمر يدعون الله عز وجل بأن يذهبهم في أهل السعادة أن كانوا قد كتبوا من أهل الشقاوة كما قدمنا وهم أعلم بالله سبحانه وبما يجب له ويجوز عليه وقال كعب الأحبار حين طعن عمر وحضره الوفاة والله لو دعا الله عمران يؤخر أجله لأخره فقيل له إن ربه عز وجل يقول فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا إذا حضر الأجل فما قبل ذلك فيجوز أن يزاد ينقص وقرأ قوله تعالى وما بعمر من عمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ثم قد علمنا من أهل الإسلام سابقهم ولا تقهم سيما الصالحين منهم أنهم يدعون الله عز وجل فيحبب إليهم ويحصل لهم ما طلبوه من المطالب المختلفة بعد أن كانوا قافدين بها ومنهم من يدعو لمريض قد أشرف على الموت بأن يشفيه الله فيعافي في الحال ومنهم من يدعو على فاجر بأن يهلكه الله في الحال ومن شك في شيء من هذا فليطالع الكتب الصحيحة في أخبار الصالحين ككتاب أبي نعيم وصفوة الصفوة لابن الجوزي ورسالة القشيري فإنه يجد من هذا القبول ما ينشرح له صدره ويشرح به قلبه بل لكل إنسان إذا حقق حل نفسه ونظر في دعائه لم يجد عنده روض الشدائد واجابته ونظر في نفسه ما يغنيه عن البحث عن حال غيره إذا كان من المعتمرين المتفكرين وهذا في الله المسبح عيسى بن مريم عليه السلام كان يحيى المولى بأذن الله ويشفي المرضى بدعائه وهذا ما علموا عنه حسماً أخبرنا الله سبحانه في كتابه الكريم وفي الإنجيل من القصص المتضمنة لأحوال المولى منه وشفاة المرضى بدعائه ما يعرفه من أطلع عليه وبالجمله فهو أول الأئمة الذين قالوا الله لا يقع من الله عز وجل إلا ما قد سبق به القلوب وأن ذلك لا يتحول ولا يتبدل ولا يؤثر فيه دعاء ولا عمل صالح قد دخلوا ما قد مضى من آيات الكتاب العزيز ومن الأحاديث النبوية الصحيحة من غير ملجئ إلى ذلك فقد أمكن الجمع بما قدمناه وهو متعين وقد تدرج الجمع على الترجيح متفق عليه

معارضة بينهما وبينه لأن أهل الكتاب قد انفسخوا في ذكهم عن المشركين في غير موضع كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة وكقوله وقول للذين أوتوا الكتاب والاميين أنفسهم فان أسألو فقد اختلفوا الآية وقوله إذا آتيتهموهن أجورهن أي مهرهن أي كاهن محصنات عفائف فابذلواهن للمهور عن طيب نفس وقد أفتى جابر بن عبد الله وعامر الشعبي وأبراهيم النخعي والحنبل البصري بأن الرجل إذا كسح امرأة فزنت قبل دخوله بها أنه يفرق بينهما وترد عليه ما بذل لها من المهر رواه ابن جرير عنهم وقوله محصنات غير مسافحين ولا متخذى أخذان فكما شرط الإحصان في النساء وهي العفة عن الزنا كذلك شرطها في الرجال وهو أن يكون الرجل أيضاً محصناً عفيفاً ولهذا قال غير مسافحين

وهم الزناة الذين لا يريدون عن معصية ولا يريدون أنفسهم عن جاءهم ولا يتخذى أخذان أي ذوى العسقيات الذين لا يفعلون إلا ما يرون من النساء أو ولهذا ذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لا يصح نكاح المرأة البغى حتى تتوب وما دامت كذلك لا يصح تزويجها من رجل عفيف وكذلك لا يصح عنده عقد الرجل الفاجر على عفيفة حتى تتوب ويقطع عما خوفه من الزنا هذه الآية وللحديث لا ينكح الزاني المخلو الأمثلة وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا سليمان بن حرب حدثنا ثوبان أو هلال عن قتادة عن الحسن قال قال عمر بن الخطاب لقد هممت أن لأدع أحداً أصاب فاحشاً في الإسلام أن يتزوج محصنة فقال له أبي بن كعب يا أمير المؤمنين الشرك أعظم من ذلك وقد يقبل منه إذا تاب وسبى إلى الكلام على هذه المسئلة مستقصى عند قوله الزاني لا ينكح الزانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا إزاراً أو مشركاً وعمر ذلك

على المؤمنين ولهذا قال تعالى ههنا ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين (بأيهم الذين آمنوا اذ قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا فصعدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) قال كثيرون من السلف في قوله اذ قمتم الى الصلاة يعنى وأنتم محدثون وقال آخرون اذ قمتم من النوم الى الصلاة فلا هم اقرب وقال آخرون بل المعنى أعم من ذلك فلا ية أمره بالوضوء عند القيام الى الصلاة لكن هو في حق المحدث واجب وفي حق المتطهر نذوب وقد قيل ان الامر بالوضوء لكل صلاة كان واجبا في ابتداء الاسلام ثم نسخ وقال الامام (٢٩٣) أجدين حنبلي حدثنا عبد الرحمن حدثنا

وهو الحق وقد قابل هؤلاء بضد قوليهم القدر وهو معبد الجهلي وأصحابه فأنهم قالوا ان الامر انفس اى مستأنف وقالوا ان الله لا يعالج بالخرسيات الاعسود وقوعها تعالى الله عن ذلك وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم واجماع المسلمين وقد تبين ان مقالة معبد هذه وأصحابه من أذكرهم من الصحابة منهم ابن عمر كاتب ذلك في الصحيح وقد غلط من نسب مقالتهم هذه الى المعتزلة فانه لم يقل بها أحد منهم قط وكثيرهم مصرح بمذناطقة به ولا حاجة لنا الى نقل مقالات الرجال فقد قدمنا من أدلة الكتاب والسنة والجمع بينهما ما يكفي المصنف ويرحمه من الاجتناب الطويلة العربية الواقعة في هذه المسئلة ومن الارزامات التي ألزم بها بعض الثقاتين البعض الآخر ودين الله سبحانه بين المقرط والغالى وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية والله والى التوفيق (يا باني آدم اما يا تينكم رسل منكم بقصون عليكم آياتي) ان هي الشريعة وما زادته للتوكيد والقص قد تقدم معنا والمعنى ان انا لم رسل كاثنون منكم ومن جنسكم بخبر ونكم باحكاوي ويصونكم الكهم وقل المراد بالرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكره بلفظ الجمع للتعظيم والخطاب لاهل مكة ومن يلحقهم وقيل أراد جميع الرسل والخطاب عام في كل بني آدم وهو ظاهر الآية (فمن اتقى الشرك ومعاصي الله وأصلح) حال نفسه باتباع الرسل واجابتهم (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يوم القيامة وقد تقدم تفسيره مرارا (والذين كذبوا باياتنا) التي يقصها عليهم رسلنا (واستكبروا عنها) أي عن اجابتها والعمل بما فيها (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبدا بسبب كذبرهم بشكذب الآيات والرسال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي من أعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله ويجعل للشركاء من خلقه وهو منزعه عنه (أو كذب بآياته) أي بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أولئك) الإشارة الى المكذبين المستكبرين (بآلهم نصيبهم من الكتاب) أي بما كذب الله لهم من خير

سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يوضأ عند كل صلاة فلما كان يوم الفتح وضأ ومسح على خفيه وصلى الصلوات بوضوء واحد فقال له عمر يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال اني عمدا فعلته باعز وهكذا رواه مسلم وأهل السنن عن حديث سفيان الثوري عن علقمة عن مرثد ووقع في سنن ابن ماجه عن سفيان عن عمار بن مازر بدل علقمة بن مرثد كلاهما عن سليمان بن بريدة وقال الترمذي حسن صحيح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى أخبرنا زياد بن عبد الله بن الطفيل البكافي حدثنا الفضل بن المبرشر قال رأيت جابر بن عبد الله صلى الصلوات بوضوء واحد فاذا بالأنبياء وضأ ومسح بفضل ظهوره الخدين فقلت يا عبد الله شئ تصنع به رأيك

قال بل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصنعها وكذا رواه ابن ماجه عن اسمعيل بن قوبة عن زياد البكائي به وقال أحمد حدثنا يعقوب
حدثنا أي عن أبي اسحق حدثني محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري عن عميد الله بن عبد الله بن عمر قال رأيت وضوء عبد الله بن عمر
لكل صلاة طاهر أو غير طاهر عن هو قال حدثته أسماء بنت زيد بن الخطاب أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل حدثها أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان أمر بالوضوء لكل صلاة طاهر أو غير طاهر فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه
الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان بدقوة على ذلك كان يفعله حتى مات وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عوف الجصبي عن
أحمد بن خالد الذهبي عن محمد بن اسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عميد الله بن عبد الله بن عمر ثم قال أبو داود ورواه أبو داود بن
سعد عن محمد بن اسحق فقال عميد الله بن عمر يعني كما تقدم في رواية الامام أحمد وأيا ما كان فهو اسناد صحيح وقد صرح ابن اسحق فيه

عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عبد الله بن علقمة بن وقاص عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد البول نكاهه ولا يكتمه ولا ينسلم عليه فلا يرد علينا حتى نزلت آية الرخصة يأثم الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة الآية ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن مسلم عن أبي كريب بن محمود وهو حديث غريب جدا وجاهر هذا من ابن زيد الحنفي ضعفه وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا السبعيل حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الخلاء فقدم إليه طعام فقالوا لا تأمض وضوء فقال اغماضت بالوضوء إذا قمتم إلى الصلاة وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع والنسائي عن زياد بن أيوب عن السبعيل وهو ابن عليته وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن الجوري عن ابن عباس (١٩٥) قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم

فألقى الخلاء ثم انه رجع فألقى بطعام فقيل يا رسول الله ألا ترأض فقال لم أصلي فألوضأ وقوله فأغسلوا وجوهكم قد استدل طائفة من العلماء بقوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم على وجوب التيمم في الوضوء لأن تقديم الكلام إذا قمتم إلى الصلاة فأغسلوا وجوهكم لها كما تقول العرب إذا رأيت الأمير فقم أي له وقد ثبت في الصحيحين حديث الأعمال بالنيات وإعمال الكل امرئ مأنوى ويستحب قبل غسل الوجه أن يذ كرام الله تعالى على وضوءه لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا وضوء لمن لم يذكر الله عليه ويستحب أن يغسل كفيه قبل ادخالهما في الأناة ويتأكد ذلك عند القيام من النوم لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

مستقركم ومأواكم (كما دخلت أمة) من الأمم الماضية النار (لغنت أخنأ) أي الأمة الأخرى التي سبقتهم إلى النار وجعلت أخنأ لها اعتبار الدين أو الضلالة أو الكون في النار قال السدي يلعب المشركون المشر كين واليهود والنصارى والصابئون والصابئين والجوس والجوس تلعب الأخرى الأولى (حتى إذا أذاركم ووافها جميعا) استدارك التلاحق والتتابع والاجتماع في النار (فألت آخرهم) دخولهم (لاؤلاهم) أي لأجلهم يعني قال آخر كل أمة لاؤلاهم والام للتعامل ولا يجوز أن تكون للتبليغ قال الزخشي لا يخطبهم مع الله لا معهم وقد بسط القول قبله في ذلك الزجاج وقيل هي للتبليغ وخطبهم معهم يدل قوله فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال السدي قالت آخرهم الذين كانوا في آخر الزمان لاؤلاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقيل آخرهم أي سفلتهم واتباعهم لاؤلاهم لرؤسائهم وبكارهم قاله مقاتل وهذا أولى كما يدل عليه (ربنا هؤلاء ضلونا) عن الهندي فإن المضلهم الرؤساء ويجوز أن يراد أنهم أضلوا لأنهم اتبعوهم واقتدوا بهم يدينهم من بعدهم فيصح الوجه الأول لأن آخرهم تبع دين أولاهم (فأستهم عبد اباضعنا من النار) الضعف الزائد على مثله مرة أو مرات ومثله قوله تعالى ربنا آتتهم ضللتهم من العذاب والعنهم لعنا كبير أو قيل الضعف هنا الأفعى والحيات وقال أبو عبيدة الضعف مثل النبي مرة واحدة قال الزهري والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في بحارهم كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين فیرد نفسه إلى موضوع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصود على مثلين بل أقل الضعف محذور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج ضعفا أي مضاعفا يعني تضعيف الشيء وزيادة له أي لا ينهى (قال لكل) أي لكل طائفة منكم (ضعف) من العذاب أما القادة فيكفرهم وتبليغهم وأما الاتباع فيكفرهم وتبليغهم قاله الكرخي (ولكن لاتعلمون) بما لكل فريق من نوع العذاب (وقالت

إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يمد يده إلى الأنا قبل أن يغسلها ثلاثا فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده وحدث الوجه عند الفقهاء ما بين ثابت شعر الرأس ولا اعتبار بالصلع ولا بالعمه إلى مشهي اللحية والذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا وفي الزنميين والتخفيف خلاف ذلك ما من الرأس والوجه وفي المسترسل من اللحية عن محل الفرض قولان أحدهما أنه يجب إفاضة الماء عليه لأنه يقع بالواجبة وروى في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا مغطيا لحية فقال اكشفها فإن اللحية من الوجه وقال مجاهد هي من الوجه ألا تسمع إلى قول العرب في الغلام إذا نبت لحية طلع وجهه ويستحب للموتوسي أن يخل لحية إذا كانت كشفة وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا إسرائيل عن عامر بن شقيق بن جزة قال رأيت عثمان بن ماضة فذكر الحديث قال ويخل اللحية ثلاثا حين غسل وجهه ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل الذي رأيتوني فعلت رواه الترمذي وابن

ما حدث من حديث عبد الرزاق وقال الترمذي حسن صحيح وحسنه البخاري وقال أبو داود وحديثنا أبو نعيم بن ماجة حدثنا أبو
 الملقح حدثنا الوليد بن زروان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فادخله تحت خنجره
 يخال به لحية وقال هكذا أمرني به ربي عز وجل فقرب به أبو داود وقدرى عن عثمان بن عفان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 تحليل البيعة عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم
 والحسن بن علي بن عثمان عن جماعة من التابعين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه في الصباح وغيره أنه
 كان إذا توضأ تفضض واستنشق فاحتلف الأئمة في ذلك هل هما وإحسان في الوضوء والغسل كما هو مذموم أم أحسن من غسل وجهه الله
 أو مستحبان فيهما كما هو مذهب الشافعي (٢٩٦) ومالك لما ثبت في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه ابن

أولاهم لأخراهم) أي قال السابقون للأخيين أو المتقدمون للتابعين متشابهة ومخاطبة
 لها (فما كان لكم علينا في الدنيا من فضل) بل نحن وأنتم سواء في الكفر بالله واستحقاق
 عذابه وقد ضلتم كما ضلنا فهذا رد لقول الطائفة الأخرى هؤلاء أضلوا قال مجاهد من
 فضل تخفيف من العذاب (فذوقوا العذاب) النار كما ذقناه (بما كنتم تكسبون)
 من معاصي الله والكفر به والقائل لهذا القول القادة للتابع أو الأئمة الأولى للأخري
 أو الله سبحانه (إن الذين كذبوا بآياتنا) ولم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسالتنا (واستكبروا
 عنها) أي عن الإيمان والتصديق بها (لأنفتح لهم أبواب السماء) يعني أنها لا تنفتح
 لأرواحهم إذا ما توارى تفتح لأرواح المؤمنين وتصعد روحهم إلى السماء السابعة وقد
 دل على هذا المعنى وأنه المراد من الآية ما جاء في الأحاديث الصحيحة أن الملائكة إذا انتهوا
 بروح الكافر إلى السماء الدنيا يستفتحون فلا تفتح لهم أبواب السماء فقل لا تفتح أبواب
 السماء لا دعيتهم إذا دعوا قاله مجاهد والخفي وقيل لا تفتح لهم أي لا تقبل بل ترد عليهم
 فيضربهم في وجوههم وقيل المعنى أنها لا تفتح لهم أبواب الجنة بل لا يدخلون الجنة في
 السماء وعلى هذا العطف بجملة ولا يدخلون الجنة الآتية يكون من عطف التفسير ولا
 مانع من جعل الآية على ما بين الأرواح والدعاء والأعمال ولا نافية ورود ما ورد من أنها
 لا تفتح أبواب السماء لو أحدهم هذه فإن ذلك لا يدل على عدم فتحها غيره مما يدخل تحت
 عموم الآية (ولا يدخلون الجنة) أي هؤلاء الكفار المكذبون المستكبرون لا يدخلونها
 مجال من الأحوال ولهذا علقه بالاستحليل وقال (حتى يبلغ الجبل في سيم الخياط) الولوي
 الدخول بشدة وخص الجبل بالذكور من بين سائر الحيوانات لكونه يضرب به المثل في كبر
 الذات وعظم الحرم عند العرب فحسمه من أعظم الأجسام وخص سم الخياط وهو ثقب
 الأبرهة بالذكر لكونه غاية في الضيق وأضيق المنافذ وهو لا يبلغ فيه أبداً فثبت أن الموقوف على
 المحال محال فوجب بهذا الاعتبار دخول الكفار الجنة ما يؤمن منه قطعاً والجبل الذي ذكر

خزيمة عن رفاعه بن رافع الزرق
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 للهيء صلاته وضاً كما أمرك
 الله أو يجبان في الغسل دون
 الوضوء كما هو مذهب أبي حنيفة
 أو يجب الاستنشق دون المضمضة
 كما هو رواية عن الإمام أحمد لما
 ثبت في الصحيحين أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من توضأ
 فليستنشق وفي رواية إذا توضأ
 أحكم فليجعل في منخره من الماء
 ثم يلتبثوا لا تثارها المبالغة في
 الاستنشاق وقال الإمام أحمد
 حدثنا أبو سلمة الخزاعي حدثنا
 سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم
 عن عطاء بن يسار عن ابن عباس
 أنه توضأ فغسل وجهه أخذ غرفة
 من ماء فمضمض بها واستنشق ثم
 أخذ غرفة من ماء فغسل بها يديه
 اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل
 بها يده اليسرى ثم مسح رأسه ثم
 أخذ غرفة من ماء ثم رش على رجله

اليمنى حتى يغسلها ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها رجله اليسرى ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يعني بتوضأ ورواه البخاري عن محمد بن عبد الحارث عن أبي سلمة منصور بن سلمة الخزاعي به وقوله وأيديكم إلى المرافق أي مع المرافق
 كما قال تعالى ولأنا كنا وآموالهم إلى أموالكم أنه كان حواكباً كبيراً وقدرى الحافظ الدارقطني وأبو بكر البيهقي من طريق
 القاسم بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جده جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توضأ أدار الماء
 على مرفقيه ولكن القاسم هذا متروك الحديث وبجده ضعيف والله أعلم ويستحب للمؤمن أن يشترع في الغسل فيغسله مع
 ذراعيه لما روى البخاري ومسلم من حديث نعيم الجهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أمي تدعون يوم
 القيامة غزاً محجلين من آمار الوضوء فمن استطاع منكأن لم يظلم غرة فليفعل وفي صحيح مسلم عن قتادة عن خلف بن خليفة عن

أبي مالك الأشجعي بن أبي حازم عن أبي هريرة قال سمعت خليلي صلى

الله عليه وسلم يقول تعالوا نسبحوا ربكم فاستمعوا له فإنه خير لكم

وقوله تعالى واستمعوا له فإنه خير لكم والاصوليين من قال هذا مجمل فليرجع في بيانه إلى السنة وقد ثبت في الصحيحين من طريق أبي مالك عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد بن عاصم وهو جده عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ فقال عبد الله بن زيد نعم فدعا بوضوء فأفرغ على يديه مرتين مرتين ثم غصص واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل به ما وأدبره فأقبل رأسه ثم ذهب به إلى المقعد فجلس عليه ثم رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجله وفي حديث عبد جابر عن علي في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا (٢٩٧) وروى أبو داود عن معاوية والمقداد

ابن معد يكرب في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ففي هذه الأحاديث دلالة لمن ذهب إلى وجوب تكميل مسح جميع الرأس كما هو مذهب الإمام مالك وأحمد بن حنبل لا سيما على قول من زعم أنها خرجت بخروج البيان لما جمل في القرآن وقد ذهب الحنفية إلى وجوب مسح ربع الرأس وهو مقدار الناصية وهذا مذهب أصحابنا إلى أنه لا ينبغي ما يطلق عليه اسم مسح لا يتقدر ذلك بحديث بل لو مسح بعض شعرة من رأسه أجزأه واحتج الفريقان بحديث المغيرة بن شعبة قال تخلف النبي صلى الله عليه وسلم فخلعت معه فلما قضى حاجته قال هل معك ماء فأبته بظهرة فغسل كفيه ووجهه ثم ذهب يحسره عن ذراعيه ومسح بناصرته وعلى العمامة وعلى خفيه وذكركم في الحديث وهو في صحيح مسلم وغيره فقال لهم أصحاب الإمام

من الأنبل والجمع جمال وأجل وجالات وانما يسمى جلا إذا أربع وقرأ ابن عباس الجبل بضم الجيم وفتح الهمزة مشددة وهو جبل السفينة الذي يقال له القلنس وهو جبال مجموعة قاله نعلب وقيل الجبل للعلف من القلب وقيل الجبل الذي يصعد به إلى الخلل وقرأ ابن مسعود حتى يلج الجبل الاصفى وقرئ بالجر كان الثلاث لكن السبعة على الفتح والضم لغة لأهل العالية والكسر لغة لبي غيم وجمعه سمائم وكل ثقب ضيق فهو سم وقيل كل ثقب في البدن أو أنف أو أذن فهو سم وجمعه سموم والسم القاتل سمي بذلك لطفه وناسيه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب وهو في الأصل مصدر ثم أريد به معنى القاتل لدخوله بإذن البدن والسم ثقب لطيف ومنه ثقب الآبرة والخطاط ما يحاط به يقال خطاط ويخط قاله الفراء والمراد به الآبرة في هذه الآية قال بعض أهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجبل في سم الخطاط وهو خرق الآبرة كان ذلك نصيباً لدخولهم الجنة على التأييد وذلك أن العرب إذا علفت ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحالة كون ذلك الجبل وهذا كقولك لا آتاك حتى يشيب الغراب ويبيض القار (وكذلك تجزى الجحرمين) أي مثل ذلك الجزء القطيع تجزى جنس من أجزام وقد تقدم تحقيقه (لهم) أي الذين كتبوا واستكبروا فهذه آيات جزاء آخر لهم غير الجزاء السابق (من جهنم مهادومن فوقهم غواس) المهاد أفراس والغواس جمع غاشية أي نيران تحيط بهم من تحتهم وتغشاهم من فوقهم كالأغطية قال ابن عباس الغواس اللعب وبه قال القرطبي والتمك والبدى (وكذلك تجزى الظالمين) أي مثل ذلك الجزاء العظيم تجزى من انصف بصفة الظلم وذكركم في جزئهم من الجنة والظلم في دخول النار تنبيهاً على أن الظلم أعظم الأجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم من وحى الله وقبضه عليه من شرائع دينه وعملوا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهىهم عنه (لا تكاف نفس الاوسعها) أي لا تكاف العباد بالعباد دخل تحت وسعهم ويقصدون

(٢٩٨) فتح البيان ثالث) أجدنا اقتصر على مسح الناصية لأنه كمل مسح بقية الرأس على العمامة ونحن نقول بذلك والله يقع عن الموقع كما ورد بذلك أحاديث كثيرة وأنه كان يمسح على العمامة وعلى الخفين فهذا أولى وليس لكم فيه دلالة على جواز الاقتصار على مسح الناصية أو بعض الرأس من غير تكميل على العمامة والله أعلم ثم اختلفوا في أنه هل يجب تكرار مسح الرأس ثلاثاً كما هو المشهور من مذهب الشافعي وانما يجب مسحاً واحدة كما هو مذهب أحمد بن حنبل ومن تابعه على قولين فقال عبد الرزاق عن معمر بن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن جرمان بن أبيان قال رأيت عثمان بن عفان يتوضأ فأفرغ على يديه ثلاثاً فغسلهما ثم غصص واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه اليمنى إلى المرفق ثلاثاً ثم غسل يديه اليسرى ثم مسح رأسه ثم غسل قدميه اليمنى ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً ثم غسل ذلك ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا ثم قال من

توضأ نحو وضوءي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفلة ما تقدم من ذنبه أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين من طريق الزهري به نحو هذا وفي سنن أبي داود من رواية عبد الله بن عبد الله بن أبي مليكة عن عثمان بن عفان في صفة الوضوء ومسح برأسه مرة واحدة وكذا من رواية عبد خير عن علي بن مثله واحتج من استحب تكرار مسح الرأس بعصم الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال أبو داود وحديثنا محمد بن المنذر حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا عبد الرحمن بن وردان حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثني جحزان قال رأيت عثمان بن عفان توضأ فذكر نحوه ولم يذكر المضمضة والاستنشاق قال فيه ثم مسح رأسه ثلاثاً ثم غسل رجله رجله ثلاثاً ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ هكذا وقال من توضأ هكذا كفاد تفرده أبو داود ثم قال (٢٩٨) وأحد حديث عثمان في الصحيح يدل على أنه مسح الرأس مرة واحدة

عليه ولا تكلفهم ما لا يدخل تحت وسعهم وهذه الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر ومثله لا يكف الله نفساً إلا ما أتاه قال الزجاج الوضوء ما بقدر علمه ولا يعجز عنه وقد غلط من قال أن الوضوء بذل المجهود (أولئك) إشارة إلى الموصول مبتدأ وخبره (أحسب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل) هذان من جملة ما منح الله به على أهل الجنة أن نزع ما في قلوبهم من غل بعضهم على بعض حتى تصفوا قلوبهم ويود بعضهم بعضاً فإن الغل لو بقي في صدورهم كما كان في الدنيا لكان في ذلك تنغيص لنعم الجنة لأن المتشاكسين لا يطيب لأحدهما عيش مع وجود الآخر والمعنى خلقناهم في الجنة على هذه الحالة وليس المراد أنهم دخلوا الجنة بما ذكر ثم نزع منهم فيما بل المراد أنهم دخلوها من غير منه قاله أبو حيان والغل الحقد الكامل في الصدور وقيل نزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل المنازل قال علي بن أبي طالب فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (تجبرى من تحتهم الأنهار) أى من تحت قصورهم قد تقدم تفسيره مراراً (وقالوا) عند الاستسقاء رافى منازلهم (الجنة الذي هذا أنا لهذا) الجزاء العظيم وهو الخلود في الجنة ونزع الغل من صدورهم والهداية هذه لهذا هى الهداية المسببة من الإيمان والعمل الصالح في الدنيا (وما كنا لنهتدى) فطريق لهذا الأمر جملة موصفة للاولى واللام لتوكيد النفي (ولولان هذا أنا الله) جملة مستأنفة أو حالية أخرج التيساني وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل أهل النار يرى منزلة من الجنة يقول لو هذا أنا الله فنكون حسرة عليهم وكل أهل الجنة يرى منزلة من النار فيقول لو لولان هذا أنا الله فهذا شركهم (أفد جاءت رسلنا بالحق) اللام لام القسم قالوا هذا لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الجزاء العظيم اغتباطاً بما صاروا فيه بسبب ما تقدم منهم من تصديق الرسل وظهور صدق ما أخبروهم به في الدنيا من أن جزاء الإيمان والعمل الصالح هو هذا الذي صاروا فيه ونودوا أن تلكم الجنة) أى وقع النداء للهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقبل لهم ذلك

قوله وأرجلكم إلى الكعبين قرئ وأرجلكم بالنصب عطفاً على فأغسلوا وجوهكم وأيديكم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو سلمة حدثنا وهيب بن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قرأها وأرجلكم بقول رجعت إلى الغسل وروى عن عبد الله بن مسعود وعروة وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وأبراهيم والفضلاء والسدى ومقاتل بن حيان والزهري وأبراهيم التيمي نحو ذلك وهذه قراءة تظاھر في وجوب الغسل كما قاله السلف ومن ههنا ذهب من ذهب إلى وجوب الترتيب في الوضوء كما هو مذهب الجمهور خلافاً لابي حنيفة حيث لم يشرط الترتيب بل لو غسل قدميه ثم مسح رأسه وغسل يديه ثم وجهه أجزأه ذلك لأن الآية أمرت بغسل هذه الاعضاء والواو لا تدل على الترتيب وقد سدلك الجمهور في الجواب عن

هذا البحث طرفاً منهم من قال الآية دللت على وجوب غسل الوجه ابتداء عند القيام إلى الصلاة لأنه مأمور به بقاء التعقيب وهى مقتضية للترتيب ولم يقل أحد من الناس بوجوب غسل الوجه أولاً ثم لا يجب الترتيب بعده بل القائل اثنان أحدهما يوجب الترتيب كما هو واقع في الآية والاخر يقول لا يجب الترتيب مطلقاً والآية دللت على وجوب غسل الوجه ابتداء فوجب الترتيب فيما بعده لاجتماع لافرق ومنهم من قال لا نسلم أن الواو لا تدل على الترتيب بل هى دالة كما هو مذهب طائفة من النحاة وأهل اللغة وبعض الفقهاء ثم يقول بتقدير كونهم لا يدل على الترتيب اللغوى هى دالة على الترتيب شرعاً فيما من شأنه أن يرتب والدليل على ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت خرج من باب الصفا وهو يقول له تعالى ان الصفا والروضة شعائر الله ثم قال ابتداء عباد الله به لفظ مسلم ولفظ التيساني ابتداء عباد الله به وهذا اللفظ أمر واسناده صحيح فدل على وجوب البدء به ابتداءً

الله به وهو معنى كونهما يدل على الترتيب شرعا والله
 المنظر عن الظل وأدخل المسوح بين المغسولين دل ذلك على إرادة الترتيب ومنهم من قال لاشك أنه قد روى أبو داود وغيره من
 طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع مرة ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به
 قالوا فلا يتخلوا ما آمن أن يكون وضوءا من تأجيل الترتيب أو يكون وضوءا غير مرتب فيجب عدم الترتيب ولا فائز به فوجب ما ذكرناه
 وأما القراءة الأخرى وهي قراءة من قرأ وأرجلكم بالخض فسد احتجهم الشيعة في قولهم بوجوب مسح الرجلين لأنها عندهم
 معطوفة على مسح الرأس وقد روى عن طائفة من السلف ما يوجب القول بالمسح فقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا
 ابن عليه حدثنا جدي قال قال موسى بن أسد لانس ونحن عنده (٢٩٩) يا أبا جزة ان الخراج خطبنا بالاهواز ونحن

معه قد ذكر الظهور فقال اغسلوا
 وجوهكم وأيديكم وامسحوا
 برؤوسكم وأرجلكم وأنه ليس شيء
 من ابن آدم أقرب من خيشمه من
 قدميه فاعسلوا بطونهم وظهورهم
 وعراقيبهم فقال أنس صدق الله
 وكذب الخراج قال الله تعالى
 وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم قال
 وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما
 اسناد صحيح اليه وقال ابن جرير
 حدثنا علي بن مهمل حدثنا مؤمل
 حدثنا جاد حدثنا عاصم الاحول
 عن أنس قال نزل القرآن بالمسح
 والسنة بالغسل وهذا أيضا اسناد صحيح
 وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب بن
 ميسرة الخراساني حدثنا محمد عن ابن
 جرير عن عمرو بن دينار عن عكرمة
 عن ابن عباس قال الوضوء غسلمان
 ومسحتان وكذا روى سعيد بن أبي
 عروبة عن قتادة وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا أبو معمر الملقري
 حدثنا عبد الوهاب حدثنا علي بن

والمنادي هو الله وقيل الملائكة وقيل هذا المداي يكون في الجنة عن أبي سعيد الخدري وأبي
 هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادان
 لكم أن تحبوا ولا تموتوا أبدا وان لكم أن تسقوا ولا تسقوا أبدا وان لكم أن تشموا فلا
 تهمروا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تنبأوا أبدا فذلك قوله عز وجل يعني هذه الآية
 أخرجه مسلم (أورثوها) أعطيتهم ههنا لأن أهل النار وهو حال من الجنة ومما ههنا أنا
 لأنهم لا تسحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالبر من الميت ليس
 بعوض عن شيء بل هو صلة تالصة حصلت لكم بلا تعب (عما كنتم تعملون) أي أورثتم
 منازلها بعملكم قال في الكشف بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطل انتهى
 أقول بالمسكين هذا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما صح عنه سد ووافر بوا
 وأعماله أن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني
 الله برحمته والتصریح بسبب لا يستلزم في سبب آخر ولولا التفضل من الله سبحانه وتعالى
 على العامل باقدا رة على العمل لم يكن عمل أصلا فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الأقدار لكان
 القائلون به محقة لا لمبطله وفي الترتيل ذلك الفضل من الله وفيه فسد خلهم في رحمة منه
 وفضل وفي فتح الباري المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول والمثبت في الآية
 دخولها بالعمل المتقبل والقبول إنما يحصل من الله تفضلا وفي القرطبي وبالجملة فالجنة
 ومنازلها لا تنال إلا برحمته فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ودخلوها برحمته إذا
 أعمالهم رحمة منه لهم وتفضل منه عليهم انتهى (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) بعد
 استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يقول أهل الجنة يا أهل النار وهذه المناداة
 لم تكن لقصد الأخبار لهم بما نادوهم به بل لقصد تبيكتهم وإيقاع الحسرة في قلوبهم (أن قد
 وجدنا) هو نفس النداء أي أنا قد وصلنا إلى (ما وعدنا نارنا حقا) أي ما وعدنا الله به من
 النعيم على السنة رساله (فهل وجدتم) أي وصلتم إلى (ما وعد) به (بكم حقا) أي من العذاب

زيد بن يوسف بن مهران عن ابن عباس وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعنين قال هو المسح ثم قال وروى عن ابن عمرو وعقمة
 وأبي جعفر محمد بن علي والحسن في إحدى الروايات وجابر بن زيد ومجاهد في إحدى الروايات نحوه وقال ابن جرير حدثنا يعقوب
 حدثنا أبو عتبة حدثنا أيوب قال رأيت عكرمة يسبح على رجله قال وكان يقول ابن جرير حدثني أبو السائب حدثنا ابن إدريس
 عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال نزل جبريل بالمسح ثم قال الشعبي ألا ترى أن التيمم إن مسح ما كان غسلا ويغني ما كان
 مسحاً وحدثنا ابن أبي زياد حدثنا زيد أخبرنا اسمعيل قلت لعاصم إن ناسا يقولون أن جبريل نزل بغسل الرجلين فقال نزل جبريل
 بالمسح بهذه آثار غريبة جدا وهي مجعولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف كما سئذ كره من السنة الثابتة في وجوب غسل
 الرجلين وإنما جاءت هذه القراءة بالخض على الجوارق وتناسب الكلام كافي قول العرب جبرض خرب وكقوله تعالى عالمهم ثياب

سندس خضر واستبرق وهذا ذائع شائع في لغة العرب سائع ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين اذا كان عليهما الخفان
 قاله ابو عبد الله الشافعي رحمه الله ومنهم من قال هي دالة على مسح الرجلين ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة
 وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين على كل فرض لا بد منه الاية والاحاديث التي ستوردونها ومن أحسن ما يستدل به على أن
 المسح بطلاء على الغسل الخفيف ما رواه الحافظ البيهقي حيث قال أخبرنا أبو علي الروزبادي حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن جويه
 العسكري حدثنا جعفر بن محمد القلانسي حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عبد الملك بن ميسرة سمعت أن الزال بن سبرة يحدث
 عن علي بن أبي طالب أنه صلى الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحية الكوفة حتى حضرت صلاة العصر ثم أتى بكون من ماء فأخذ
 منه خفقة واحدة فمسح بها وجهه ويديه (٢٠٠) ورأسه ورجليه ثم قام فشرب فضله وهو قائم ثم قال ان ناسا

الايام والاستقهام وللتقريع والتوبيخ (قالوا نعم) وجدنا ذلك حقا وظاهرا لا ينفيد
 العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة يشادى من
 كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا (فأذن مؤذن) أي فنادى مناد (بينهم) أي بين الفريقين
 قبل المنادى هومن الملائكة وقيل انه اسرافيل ذكره الواحدى وأخرج ابن أبي شيبة وأبو
 الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما وقف على قلب بدر نزل
 هذه الآية (أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ) أي يقول المؤذن هذا القول ثم يفسر الظالمين من هم
 فقال (الذين يصدون عن سبيل الله) الصلة مع أي يمنعون الناس عن سلوك سبيل الحق
 (ويغفون عوجا) أي يطلبون اعوجاجها أي يتفرون الناس عنها ويقصدون في
 استقامتها بقولهم انها غير حق وان الحق ما هم فيه والعوج بالكسر في المعالي والاعيان
 ما لم يكن منتصبا بالفتح ما كان في المستصباح كالمرح والخائط (وهي بالآخرة كافرين)
 أي جاحدون منكرين لها (وبينهم مخاب) أي حاجر بين الفريقين أو بين الجنة والنار
 والحجاب هو السور المذكور في قوله تعالى فيضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) جمع
 عرف وهو كل مرتفع من الارض وهي هنا شرفات السور المضروب بينهم ومنه عرف
 القمر وعرف الديك لارتفاعه على مساوئه من الجسد سمى بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار
 أعرف وأبين مما انخفض والاعراف في اللغة المكان المرتفع وهذا الكلام خارج عن خروج
 الملح كما في قوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عن حذيفة قال الاعراف سور
 بين الجنة والنار وبه قال مجاهد وقال ابن عباس هو الشيء المشرف وقال سعيد بن جبير
 الاعراف جبال بين الجنة والنار فهم على اعرافها أي على ذراها وقبل ان تاتل بينهم حين
 عليه ناس من أهل الذنوب وعن ابن جرير قال زعموا انه الصراط وقال ابن عباس أيضا
 سور له عرف كعرف الديك وقيل الاعراف هو نفس الحجاب عرسته تارة بالحجاب وتارة
 بالاعراف قاله الواحدى ولم يذكر غيره ولذلك عرف الاعراف لانه عني به الحجاب وقال

يكرهون الشرب قائما وان رول
 الله صلى الله عليه وسلم صنع
 ما صنعت وقال هذا وضوء من
 يحدث رواه البخارى في الصحيح
 عن آدم بعض معناه ومن أحب
 من الشيعة مسحهما كما مسح الخف
 فقد ضل وأضل وكذا من جوز
 مسحهما وجوز غسلهما فقد أخطأ
 أيضا ومن نقل عن جعفر بن جرير
 انه أوجب غسلهما للأحاديث
 وأوجب مسحهما للآية فلم يحقق
 مذهبه في ذلك فان كلامه في تفسيره
 انما يدل على انه أراد انه يجب ذلك
 الرجلين من دون سائر أعضاء
 الوضوء لانهما يليان الارض
 والطاين وغير ذلك فأوجب ذلكهما
 ليذهب ما عليهما ولكنه عبر عن
 ذلك بالمسح فاعتقد من لم يتأمل
 كلامه انه أراد وجوب الجمع بين
 غسل الرجلين ومسحهما فحكاه
 من حكاه كذلك ولهذا يستشكله
 كثير من الفقهاء وهو مذهب ورثناه

لا معنى للجمع بين المسح والغسل سواء تقدم أو تأخر عليه لانه راجع فيه وانما أراد الرجل ما ذكره والله
 أعلم ثم تأملت كلامه أيضا فانه هو يحاول الجمع بين القراءتين في قوله وأرجلكم خفضا على المسح وهو الدليل ونصا على الغسل
 فأوجبهما أخذ بالجمع بينهما وهذه (ذكر الاحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد) وقد تقدم في حديث أمير المؤمنين عثمان
 وعلي وابن عباس ومعاوية وعبد الله بن زيد بن عاصم والمقداد بن معدى كبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الرجلين في
 وضوءه اما مرة واما مرتين أو ثلاثا على اختلاف رواياتهم وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم توضأ فغسل قدميه ثم قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن يوسف
 ابن ماهك بن عبد الله بن عمرو قال تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة فأسفرتا فادركنا وقد أدهقنا الصلاة صلاة

القرطبي

العصر ونحن نتوضأ فجعلنا نسمح على أن جلنا فنادى بأعلى صوته أسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار و

عن أبي هريرة روى في صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار وروى الليث ابن سعد عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبد الله بن الحرث بن جرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للاعقاب وبطون الأقدام من النار ورواه البيهقي والحاكم وهذا الإسناد صحيح وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحق أنه سمع سعيد بن أبي كرب عن شعيب بن أبي كرب قال سمعت جابر بن عبد الله وهو على جبل يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعراقيب من النار وحدثنا أسود بن عامر أخبرنا سائرئيل عن أبي اسحق عن سعيد بن أبي كرب عن جابر ابن عبد الله قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم في رجل رجل مثل (٣٠١) الدرهم لم يغسله فقال ويل للاعقاب من

القرطبي الاعراف جبل أحد موضع هناك وذكر الزهراوى حديثا فيه ما ذكر (رجال) من أفاضل المسلمين أومن آخرهم دخولوا في الجنة أومن لم يرض عنه أحد أبوه وقد اختلف العلماء في أصحاب الاعراف من هم على ثلاثة عشر قولاً ذكر الخازن منها ثمانية وزاد عليه القرطبي خمسة فقيل هم الشهداء ذكره القسيري وشريح بن جليل ابن سعد وقيل هم فضلاء المؤمنين فرغوا من شغل أنفسهم وتفرغوا لمطالعة أحوال الناس ذكره شهاب وقيل هم قوم أتيا بعد كرم الزجاج وحكاما بن الأنباري وقيل هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم قاله ابن مسعود وحدثني في الإيمان وابن عباس والشعبي والحاكم وسعيد ابن جبيرة وقيل هم العباس وحزرة وعلى وجعفر الطيار يعرفون بحبيهم بياض الوجوه وبعضهم بسوادها حكى ذلك عن ابن عباس وقيل هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة واختار هذا القول النحاس وقال هومن أحسن ما قيل فيهم وقيل هم أولاد الزناروى ذلك القسيري عن ابن عباس وقيل هم أطفال المشركين وقال مجاهد هم قوم صالحون فقهاء علماء وقيل هم ملائكة موكلون بهذا السور يميزون الكافرين عن المؤمنين قبل ادخالهم الجنة والنار ذكره أبو مجاز وضعفه الطبري وقال إن لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الأعلى الذي كور من بني آدم دون أناتهم ودون سائر الخلق وفي هذه الأقوال ما يدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وإن كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وفيه ما يدل على أنهم أفضل من أهل الجنة وأعلى منهم منزلة وليس في الباب ما يقطع به من نص جلي وبرهان نير وقال حديثه أصحاب الاعراف قوم كانت لهم أعمال أعجبهم الله بها من النار وهم آخرون يدخل الجنة قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار وقيل هم قوم كانت لهم صفات لم تكفر عنهم بالأكام والمصائب في الدنيا وأبست لهم كما ترهبون عن الجنة لئلا ينالهم بذلك غم فيقع في مقابله صغارهم وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضى عنهم أبائهم دون أمهاتهم وأمهاتهم دون آبائهم ورواه

النار ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن الاحوص عن أبي اسحق عن سعيد بن شوه وكذا رواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وغير واحد عن أبي اسحق السبيعي عن سعيد بن أبي كرب عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ثم قال حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا حفص عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قوما يتوضئون لم يصب أعقابهم الماء فقال ويل للاعقاب من النار وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أيوب بن عقبة عن محمد بن أيوب كذا عن أبي سلمة عن معيقيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل للاعقاب من النار فترد به أحمد وقال ابن جرير حدثني علي بن عبد الأعلى حدثنا الحماري عن مطر

ابن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للاعقاب من النار ويل للاعقاب من النار فابني في المسجد شريف ولا وضيع الا نظرت اليه يقاب عرقويه ينظر اليهما وحدثنا أبو كريب حدثنا حسين عن زائدة عن ليث حدثني عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة عن أيوب عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر قوم يصلون وفي عقب أحدهم أو كعب أحدهم مثل موضع الدرهم أو موضع الظفر لم يصبه الماء فقال ويل للاعقاب من النار قال فجعل الرجل إذا رأى في عقبه شيئا لم يصبه الماء أعاد وضوءه وجهه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرة وذلك أنه لو كان فرض الرجلين مسحهما أو أنه يجوز ذلك لما توعد على تركه لأن المسح لا يستوعب جميع الرجل بل يجري فيه ما يجري في مسح الخف وهكذا وجه الدلالة على الشيعة الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى وقد روى أيوب مسلم في صحيحه من طريق أبي

الزبير بن جابر عن عمر بن الخطاب ان رجلا فوضأ فترك موضع ظفر على قدمه فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فأحسن وضوءك وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا محمد بن اسحق الصنعائي حدثنا عرو بن بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جابر بن حاتم انه سمع قتادة بن دعامة قال حدثنا أنس بن مالك ان رجلا جاء الى حدثنا عرو بن بن معروف حدثنا ابن وهب حدثنا جابر بن حاتم انه سمع قتادة بن دعامة قال حدثنا أنس بن مالك ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قد وضأ وترك على قدمه مثل موضع الظفر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فأحسن وضوءك وحك ذراياه وأودع عن هرون بن معروف وابن ماجه عن حذيفة ويحيى كلاهما عن وهب بن وهب وهذا الاسناد جدير باله كائيه نقادة لكن قال أبو داود ليس هذا الحديث بغيره ولم يروا هذا ابن وهب وحدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جابر بن أنس وحدثنا إبراهيم بن أبي الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٠٢)

عن ابراهيم وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي زرعة بن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد فاذ فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم آخر حجتكم حسنة انكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقاني فارغوا من الجنة حيث شئتم قال ابن كثير وهذا من اجل حسن وأخرج البيهقي في البعث عن حذيفة أراه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة الى الجنة ويؤمر بأهل النار الى النار ثم يقال لأصحاب الاعراف ما تنتظرون قالوا نتظر أمرنا فقال لهم ان حفاتكم بخباواتكم بالنار ان تدخلوها وحالت فيكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوها بعفوني ورحمتي وعن عبد الرحمن المزني قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية آباءهم فقتلهم من النار فقلهم في سبيل الله وسعهم من الجنة معصيتهم آباءهم أخرجه البيهقي والطبراني وسعيد بن منصور وابن منيع وعبد بن حيد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وغيرهم وروى بطريق عن جماعة من الصحابة نحوه من فوقه فان ثبت الرفع فالصير اليه متعين ولا قول لا خيد بعد والله أعلم (يعرفون كلاب ما هم) السبا العلامة أي يعرفون كلاب من أهل الجنة والنار بعلاماتهم كلباض الوجوه وسوادها أو مواضع الوضوء من المؤمنين أو علامة يجعلها الله لكل فريق في ذلك الموقف يعرف رجال الاعراف بها السعداء من الاشقاء قال السدي انما سمى الاعراف لان أصحاب يعرفون الناس أي زيادة على معرفتهم بكونهم في الجنة أو كونهم في النار (ونادوا) أي نادى رجال الاعراف (أصحاب الجنة) حين رأوهم (أن سلام عليكم) أي نادوهم بقولهم هذا تحية لهم والكرامات وبشيرا أو أخبروهم بسلامتهم من العذاب والآفات (لم يدخلوها) أي لم يدخل الجنة أصحاب الاعراف ولا يحمل له لانه استأنف (وهم يطمعون) أي والحال يطمعون في دخولها وانهم قيل معنى يطمعون يعلمون انهم يدخلونها وذلك معروف

العباس حدثنا بقرية حدثني بقرية ابن سعد عن خالد بن معدان عن بعض أرواح النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي وفي ظهري قدمه لعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعيد الوضوء ورواها أبو داود من حديث بقرية وزاد والصلاة وهذا اسناد جيد قوي صحيح والله أعلم وفي حديث عمران بن عثمان في صفة وضوء النبي صلى الله عليه وسلم انه خلل بين أصابعه وروى أهل السنن من حديث اسمعيل بن كثير عن عاصم بن دقيق ابن صبرة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء فقال أسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبانغ في الاستنشاق الا ان تكون صائما وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شاذان بن عبد الله الدمشقي

قال قال أبو امامة حدثنا عمرو بن عيسى قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال ما منكم من أحد يقرب عند وضوءه ثم يغمض ويستنشق ويستنشق خطايا من فقه وخياشيمه مع الماء حين يشتر ثم يغسل وجهه كما أمر الله الاخر خطايا وجهه من أطراف حية مع الماء ثم يغسل يديه الى المرفقين الاخر خطايا يديه من أطراف أمانه ثم يغمض رأسه الاخر خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ثم يغسل قدميه الى الكعبين كما أمر الله الاخر خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقوم فيحمد الله ويثني بالذي هو له أهل ثم يركب ركبتين الاخر من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال أبو امامة يا عمرو وانظر ما تقول سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى هذا الرجل كاه في مقامه فقال عمرو بن عيسى يا أبا امامة لقد كسرني ورق عظمي واقرب أجلى وما بي حاجة أن أكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا امره

أمر تين أو ثلثا ألف سنة سبعمرات أو أكثر من ذلك وهذا السناد صحيح وهو في صحيح مسلم من وجه آخر وفيه ثم يغسل قدميه
 كما أمره الله فدل على أن القرآن يأمر بالغسل وهكذا روى أبو إسحق السبيعي عن الحرث بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه
 قال اغسلوا القدمين إلى الكعبين كما أمرتم ومن ههنا يتضح لك المراد من حديث عبد خبير عن علي أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رشح على قدميه الماء وهما في التعلين فدل كنهها أنها أراد غسل أخفيها وهما في التعلين ولا مانع من إيجاب الغسل والرجل في
 نعلها ولكن في هذا رد على المعتمدين والمنطعمين من الموسوسين وهكذا الحديث الذي أورده ابن جرير على نفسه وهو من روايته
 عن الأعشى عن أبي وائل عن حذيفة قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما ثم دعا فمضوا ومسح على
 نعليه وهو حديث صحيح وقد أجاب ابن جرير عنه بأن النقا (٣٠٣)

وأما عن حذيفة قال فبال قائما
 ثم توضأ ومسح على خفيه قلت
 ويحتمل الجمع بينهما بأن يكون في
 رجله خفان وعليه ما نعلان
 وهكذا الحديث الذي رواه الامام
 أحمد بن حنبل حديثنا يحيى عن
 شعبة حديثه يعلى عن أبيه عن
 أوس بن أبي أوس قال رأيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم توضأ
 ومسح على نعليه ثم قام إلى الصلاة
 وقد رواه أبو داود عن مسدد
 وعبد بن موسى كلاهما عن
 هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه
 عن أوس بن أبي أوس قال رأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى
 سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على
 نعليه وقدميه وقد رواه ابن جرير
 من طريق شعبة ومن طريق هشيم
 ثم قال وهذا محمول على الله توضأ
 كذلك وهو غير محدث إذ كان غير
 جائزا أن تكون فرائض الله وسنن
 رسوله متنافية متعارضة وقد صح

عند أهل اللغة أي طمع يعني علم ذكره النحاس وهذا القول أعنى كونهم أهل الاعراف
 مروى عن جماعة منهم ابن عباس وابن مسعود وقال أبو جليز هم أهل الجنة أي أن أهل
 الاعراف قالوا لهم سلام عليكم حال كون أهل الجنة قد دخلوها والحال أنهم بطمعون
 في دخولها قال الحسن ماجل الله ذلك الطمع في قلوبهم الاكرامة يدها بهم (وإذا
 صرقت أبصارهم) أي أبصار أهل الاعراف لأن قسدا لان المكروه لا ينظر اليه
 الانسان قصد في العادة (تلقاه أصحاب النار) أي وجاههم وحيالهم وأصل معنى
 تلقاه جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولم يأت مصدر على تفعل بكسر أوله غير مصدرين
 أحدهما هذا والآخر تبيان وما عداها بالفتح وزاد بعضهم الزلزال (قالوا) أي أهل
 الاعراف إذا نظروا إليهم وإلى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب (ربنا اجعلنا
 مع القوم الظالمين) سألوا الله أن لا يجعلهم منهم (ونادى أصحاب الاعراف رجلا) من
 الكفار كانوا أعظم ما في الدنيا (يعرفونهم بسيماهم) أي بعلاماتهم (قالوا ما أغنى عنكم
 جمعكم) الذي كنتم تجتمعون من الأموال والعدد في الدنيا للصدع بسبل الله والاستفهام
 للتقريع والتوبيخ (و) ما أغنى عنكم (ما كنتم تستكبرون) أي استكباركم عن
 الإيمان شأ (أهلؤا الذين أقسمت لينا لهم الله برجة) هذا من كلام أصحاب الاعراف
 أي قالوا للكفار مشيرين إلى المسلمين الذين صاروا إلى الجنة هذه المقابلة وقد كان الكفار
 يسمون في الدنيا عند رؤيتهم أضعاف المسلمين بهذا القسم وهذا تكبير للكفار وتفسير
 لهم (ادخلوا الجنة) بفضل ورجحى (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) هذا تمام كلام
 أصحاب الاعراف أي قالوا للمسلمين ادخلوا الجنة فقد اتفقت عنكم الخوف والحزن بعد
 الدخول (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفضوا علينا من الماء أو عمار فركم الله)
 من الطعام قاله السدي والفاضة التوسعة يقال أفاض عليه نعمة ويتضح أن أفضوا معني
 القوار أو بمعنى الواو لقوله خرهما أي على باع من اقتصاصها لاحد الشئين امتحيرا

عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بعموم غسل القدمين في الوضوء بما لا يفعل المستفيض القاطع عذر من انتهى إليه وبلغه ولما كان
 القرآن أمر بغسل الرجلين كما في قراءة النصب وكما هو الواجب في كل قراءة الخفض عليها توهم بعض السلف أن هذه الآية ناسخة
 لخصه المسح على الخفين وقد روى ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن لم يصح استاده ثم الثابت عنه خلافه وليس كما زعموه فإنه قد ثبت
 أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة وقال الامام أحمد حديثنا هشيم بن القاسم حديثنا زياد بن
 عبد الله بن علقمة عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن جرير بن عبد الله البجلي قال أنا سألت بعد نزول المائة وأنا
 رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بعدما سأل تفريده أجد وفي الصحيحين من حديث الأعشى عن إبراهيم عن همام قال
 بال جرير ثم توضأ ومسح على خفيه فقيل ففعل هنا فقال نعم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم توضأ ومسح على خفيه قال

الاعشى قال ابراهيم فكان يحجم هذا الحديث لان اسلامه يزك ان بعد نزول المائدة لفظ مسلم وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من روى عنه المسيح على الخفين قول الله وفعلنا كما هو مقرر في كتاب الاحكام الكبير وما يحتاج الى ذكره هناك من تأييد المسيح أو عدمه التفصيل فيه كما هو مبسوط في موضعه وقد خالف الروافض في ذلك بالاستناد بل بجعل وضلال مع الله ثابت في صحيح مسلم من روى عنه المؤمنين على بن ابي طالب رضي الله عنه كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم النبي عن نكاح المتعة وهم يتجنبونها وكذلك هذه الآية الكريمة دالة على وجوب غسل الرجلين مع ما ثبت بالتواتر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على وفق ما دلت عليه الآية الكريمة وهم يخالفون لذلك كله وليس لهم دليل صحيح في نفس الامر والله الجيد وهكذا خالفوا الآية والسلف (٣٠٤) في الكعبين الذين في القدمين فنعبد لهم انهم ما في ظاهر القدم

أو اباحة أو غير ذلك مما يليق بهم وعلى هذا تقديره حرم كلاهما ما وكاهما كما سابق والمعنى طلبوا منهم أن يواسوهم بشئ من الماء أو بشئ مما رزقهم الله من غيره من الأثربة والاطعمة (قائلوا) أي فأجابوا بقولهم (ان الله حرمهما) أي حرم الماء وما رزقنا (على الكافرين) ومنعهما فلا واسوكم بشئ مما حرمه عليكم والتحرر مستعمل في لازمه لانتفاع التكليف حيث تزداد ان هذا النداء كان من أهل النار بعد دخول أهل الأعراف الجنة قال ابن عباس سادى الرجل أخاه فيقول يا أخي أغثنى فاني قد احترقت فأفوض على من الماء فيقال أجبه فيقول ان الله حرمهما على الكافرين وقال ابن زيد يستقونهم ويستطعمونهم وان الله حرمهما أي طعام الجنة وشربها وهو تحررهم منع (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وعزتهم الحياة الدنيا) قد تقدم تفسير اللهو واللعب والغرر قال ابن عباس هم المستهزون وذلك أنهم كانوا اذا دعوا الى الإيمان سخرؤا عن دعاهم اليه وهزوا به استهزا بالله عز وجل وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحرر الجائر والسائب والمكاثرة تصدبة حول البيت وسائر الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكر الله فيه (فاليوم نساهم) أي تتركهم في النار وقال مجاهد يؤخرهم جباة عطاءها والمعنى يفعل بهم فعل الناسي بالنسي من عدم الاعتناء بهم وتركهم في النار كما كيا والقاه فصيحة وكثر مثل هذه الاستعارة في القرآن لان تعليم المعاني التي في عالم الغيب لا يمكن ان يعبر عنها بالاعمالها من عالم الشهادة (كما سوا الله يومهم هذا) أي كما تركوا العمل للقاء هذا اليوم قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقال ابن عباس أيضا نسيم من الخير ولم ينسهم من الشر وسى جزاء نسيمهم بالنسيان مجاز لان الله لا ينسى شيئا (وما كانوا يأتينا بجدون) أي شكرونها (ولقد حسبناهم نكابا فضلنا على علم) أي علمين بتقصيره حال كونه (هدى ورجة لقوم يؤمنون) المراد بالكتاب الجنس

فنعبد في كل رجل كعب وعند الجمهور ان الكعبين هما العظمان الثانتان عند مفصل الساق والقدم قال الربيع قال الشافعي لم أعلم مخالفا في أن الكعبين الذين ذكرهما الله في كل قدم كما هو المعروف عند الناس وكادت عليه السنة في الصحيحين من طريق جرير عن عثمان أنه توضأ فغسل رجله اليمنى الى الكعبين واليسرى مثل ذلك وروى البخاري تعليقا مجزوما به وأبو داود وابن خزيمة في صحيحه من رواية أبي القاسم الحسين بن الحرث الجدي عن الثعلب بن بشير قال أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال أقبوا صفوفكم ثلاثا والله لتقبن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم قال فرأيت الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه ويركبه بركبة صاحبه ومنكبه بمنكبه لفظ ابن خزيمة فليس يمكن ان يسبق

كعبه بكعب صاحبه الا والمراد به العظم الناتج في الساق حتى يخازي كعب الا حفر ذلك على ما ذكرناه من أنهم العظمان الثانتان عند مفصل الساق كما هو مذهب أهل السنة وقد قال ابن أبي حاتم حديثنا أي حديثنا السمعيل بن موسى أخبرنا ريث عن يحيى بن الحرث التيمي يعني البخاري قال نظرت في قلبي أشجأ زيد فوجدت الكعب فوق ظهر القدم وهذه عقوبة عوقب بها الشيعة بعد قتلهم تنكيلا بهم في مخالفتهم الحق واسرارهم عليه قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلا حاجة بنا الى إعادة هذا ليطول الكلام وقد ذكرنا سبب نزول آية التيمم هناك لكن البخاري روى في حديثنا خاصا بهذه الآية الكريمة فقال حديثنا يحيى بن سليمان حديثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحرث ان عبد الرحمن

ابن القاسم حذبه عن أبيه عن عائشة قالت سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل فغنى رأسه في حجرى راقدًا فقبل أبو بكر فلكزني لكره شديد وقال حبست الناس في قلادة فغنت الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منى وقد أوجعي ثم أتاني النبي صلى الله عليه وسلم استنقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد فغزت بأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم إلى آخر الآية فقال أسيد بن الحضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم إلا بركة لهم وقوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي فلهذا سهل عليكم ويسر ولم يعسر بل أباح التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم وجعله في حق من شرع له يقوم مقام الماء الأيمن بعض الوجوه كما تقدم بيانه وكما هو مقرر في كتاب الأحكام الكبير وقوله تعالى ولكن يريد ليظهركم وليمسح نعمته عليكم (٣٥٠) لعلكم تشكرون نعمه عليكم فيما شرعه لكم من التوسعة والراحة والرحمة

والتسهيل والمساحة وقد وردت السنة

بالحث على الدعاء عقب الوضوء بأن

يجعل فاعله من المتطهرين الذين

في امتثال هذه الآية الكريمة كما

رواه الامام أحمد ومسلم وأهل

السنة عن عتبة بن عاصم قال كانت

عليها رعاية الأبدل فجاءت نوبتي

فرحتهما ابتداءً فادركت رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأتاني يحدث

الناس فادركت من قوله ما من

مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم

فيصلي ركعتين مقبلًا عليهما بقلبه

ووجهه الا وجبت له الجنة قال قلت

ما أجود هذه فإذا قائل بين يدي

يقول التي قبلها أجود منها فخطرت

فإذا عمر رضي الله عنه فقال اني قد

رأيتك جئت أنا قال ما منكم

من أحد يتوضأ فيصلي أو فيسبح

الوضوء يقول أشهد أن لا إله إلا الله

وأن محمدًا عبده ورسوله الا نصت

له أبواب الجنة التمانية يدخل من

ان كان الضمير للكنة ارجعها وان كان للمعاصر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد به القرآن والتفصيل التبيين أي ما يناله بالاخبار والوعود والوعيد وكذا بقية الانواع التسعة التي نظمها بعضهم في قوله

حلال حرام محكم متشابه * بشر بن زبير قصة عظيمة مثل

وقال السمين المراد بتقصيحه إيضاح الحق من الباطل أو تنزيهه في فصول مختلفة كقوله

وقرأنا فرقناه وقرأ فصلناه من التفصيل أي على غيرهم من الكتب السماوية (هل

ينظرون) النظر الانظار أي ما ينتظرون أهل مكة (الأنابلية) أي ما وعدوا به في الكتاب

من العقاب الذي يؤل الأحرار اليه وقيل تأويل جزاؤه وقيل عاقبة ما فيه والمعنى مقارب

(يوم يأتي تأويله) وهو يوم القيامة (يقول الذين نسوه) أي التاويل وتروكوا العمل بالقرآن

(من قبل) أي قبل ان يأتي تأويله (قد جاءت رسلنا بالحق) الذي أرسلهم الله به اليها

(فويل للذين شفعا) استشفعوا بمعناه التقي ومن زائدة (فيسئعوا لنا) جواب الاستفهام

والمعنى هل لنا شفعا يخصونا بما نحن فيه من العذاب (أو) هل (ترد) الى الدنيا

(فنعزل) صالحا (غير الذي كنا نعمل) من المعاصي فيبدل الكفر بالايان والتوحيد

والمعاصي بالطاعة والالابة فيقال لهم في جواب الاستفهام (قد خسروا أنفسهم) أي

صاروا الى الهلاك ولم ينتفعوا بما فكنا تلبسهم فكلهم خسروا كما

يخسر التاجر رأس ماله وقيل خسروا النعيم وحظ الانفس (وضل عنهم ما كانوا

يقفرون) أي افتراهم أو الذي كانوا يقفرونه من دعوى الشريك والمعنى انه بطل كذبهم

الذي كانوا يقولون في الدنيا أو غاب عنهم ما كانوا يجعوا فيه شريكه فلم ينتفعهم ولا حضر

معهم وعلو انهم كانوا في دعواهم كاذبين (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض)

هذا نوع من بديع صنع الله وجليل قدرته وتفرد به بالايجاد الذي يوجب على العباد

توحيده وعبادته وأصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في ابداع الشيء من غير أصل

(٣٩ - فتح البيان ثالث) أي ما شاء لفظ مسلم وقال مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء

فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتمها رجليه

مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج نقيما من الذنوب واهم مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن مالك بن وهب عن ابن جبر حدثنا

أبو زرير حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن كعب بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن من رجل يتوضأ فيغسل يديه أو ذراعيه الا خرجت خطايا من رجليه فإذا غسل وجهه خرجت خطايا من وجهه فإذا مسح رأسه

خرجت خطايا من رأسه فإذا غسل رجليه خرجت خطايا من رجليه هذا النظم وقد رواه الامام أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبه

عن منصور عن سالم عن مرة بن كعب أو كعب بن مرة السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وإذا توضأ العبد فغسل يديه خرجت خطاياه من بين يديه وإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وإذا غسل ذراعيه خرجت خطاياه من ذراعيه وإذا غسل رجليه خرجت خطاياه من رجليه قال شعبة ولم يذكر مسح الرأس وهذا السناد صحيح وروى ابن جرير من طريق شعير بن عطية عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة خرجت ذنوبه من سمعه وبصره وبنيه ورجليه وروى مسلم في صحيحه من حديث يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن جده مطور عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور شرط الإيمان والحمد لله تملأ الميزان والقرآن جنة لك وأعطيت كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها وفي صحيح مسلم (٣٠٦) من رواية مالك بن حريز عن مصعب بن سعد عن ابن عمر قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صدقة من غلول ولا صلاة بغير طهور وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا المليح الهذلي يحدث عن أبيه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فسمعت يقول إن الله لا يقبل صلاة من غير طهور ولا صدقة من غلول وكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة (وإذا كروا نعمة الله عليكم ومشاقة الذي وثقكم به أذقتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور) بأبيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدوا عدوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله حسيب عابدهم واعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم بأبيها الذين آمنوا إذا كروا نعمة الله عليكم أذهم قوم إن يسخطوا اليكم أيديهم

سبق ولا ابتداء تقدم ففني الآية أنشأ خلقهما وقدر أحوالهما (في ستة أيام) اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وهو من طلوع الشمس إلى غروبها قيل هذه الأيام من أيام الدنيا وقيل من أيام الآخرة قال ابن عباس كل يوم مقداره ألف سنة وفيه قال الجمهور وهذه الأيام الستة أولها الاحد وآخرها الجمعة وبه قال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري وهو سبحانه قادر على خلقها في لحظة واحدة يقول لها كوني فتكون ولكنه أراد أن يعلم عباده الرفق والتأني في الأمور وقال سعيد ابن جبير تعليماً لخلقها التثبت في الحديث الثاني من الله والمجته من الشيطان أو خلقها لتكون كل شيء عنده أجل وفي آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وحديث خلق الله الارض يوم الاحد والاثني وخلق الجبال وما فيها من منافع يوم الثلاثاء والخميس ورواه مسلم والحاكم عن ابن عباس لكن يشك على هذا التوزيع انه لم يكن ثم أيام لعدم الشمس والقمر حيث لا يتعين الاحد والاخر من الايام الوجودها بالفعل ذكره سليمان الجمل وقال والجواب بقوله أي في قدرها لا يدفع هذا الاشكال كما لا يخفى (ثم استوى على العرش) قد اختلف العلماء في معنى هذا على أربعة عشر قولاً وأحقها وأولها باصواب مذهب السلف الصالح انه استوى سبحانه عليه بلا كيف بل على الوجه الذي يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه والاستواء في لغة العرب هو العلو والاستقرار قال الجوهري استوى على ظهر دابته أي استقر واستوى إلى السماء أي صعد واستوى أي استوى وظاهر وبه قال المعتزلة وجاعة من المتكلمين واستوى الرجل أي انتهى شبابه واستوى أي اتسق واعتدل وحكى عن أبي عبيدة أن معنى استوى هنا علواً ورفع وللشوكافي رسالة مستقلة في اثبات اجراء الصفات على ظواهرها منها صفة الاستواء وشرح الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني والحافظ الامام محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزي المام تام بمسئلة الاستواء هذه واثبات التفوقية

فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليست كل المؤمنين يقول تعالى مذ كرا عباده المؤمنين والعالم نعمته عليهم في شرعه لهم هذا الدين العظيم وارساله اليهم هذا الرسول الكريم وما أخذ عليهم من العهد والميثاق في مباحته على متابعتهم ومناصرتهم وموارزتهم والقيام بدينه وبالاعنه عنه وقبوله منه فقال تعالى وإذا كروا نعمة الله عليكم ومشاقة الذي وثقكم به أذقتم سمعنا وأطعنا وهذه البيعة التي كانوا يبايعون عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الاسلام كما قالوا يا ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا واثره علينا وان لا تزع الا امرأه قال الله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعونكم لنؤمنوا بهكم وقد أخذتم ما فكم ان كنتم مؤمنين وقيل هذا تذكار لما وعدكم الله من المواعيد والعهد وفي متابعتهم محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه ورواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل تذكار لما أخذ تعالى من

العهد على ذرية آدم حين استقرّ جهم من صلبه وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا قال ابجأهذو بمقاتل بن حيان
والقول الاول أظهر وهو المحكي عن ابن عباس والسدي واختاره ابن جرير ثم قال تعالى واتقوا الله أن يمسح وجهكم من العترة
النقوى في كل حال ثم أعلمهم أنه يعلم ما يستجيب في الضمائر من الأسرار واخواطر فقال ان الله عليهم بذات الصدور وقوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله أي كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة وكونوا شهداء ما لم تقضوا أي بالعدل
لا بالجرور وقد ثبت في الصحيحين عن العثمان بن بشير أنه قال ضلني أي ضل لاف قال أي عرقت راحة لأرضي حتى تشهد عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فخافه ليشهد علي صدقتي فقال أي كل ولد فخلت مثله قال لا فقال اتقوا الله واعملوا بدينه وأولادكم
وقال اني لأشهد علي جور قال فرجع أي فرد تلك الصدقة (٣٠٧) وقوله تعالى ولا يجرمكم شركان أن تقوم

على ان لاتعدلوا أى لايحملنكم
بغض قوم على ترك العدل فيهم بل
استعملوا العدل في كل أحد صدقاً
كان أو وعدوا ولهذا قال اعدلوا
هو أقرب للتقوى أى عدلكم أقرب
الى التقوى من تركه وذل الفعل
على المصدر الذى عاد الضمير عليه
كأى نظائره من القرآن وغيره كإى
قوله وان قتل لكم ارجعوا فارجعوا
هو أركى لكم وقوله هو أقرب
للتقوى من باب استعمال افعال
التفضيل فى المحل الذى ليس فى
الحال الآخر منه شئ كإى قوله
أحباب الجنة يومئذ خير مستقراً
وأحسن مقيلاً وكقول بعض
الحماديات لعمرأت أظ وأعظ
من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال تعالى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون أى وسيجزيكم
على ما علم من أفعالكم التى علموها
ان خير اخير وان شراً فشر ولهذا
قال بعده وعد الله الذين آمنوا

والعاقلة تعالى على خلقه ولهما في ذلك رسائل مستقلة ما بين مطولة منها ومختصرة وتوكل
العالم الحافظ الذي فيه جميع ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث وغيرها وقد وضحت
هذا المقام في كلتي الانتقاد الرجح في شرح الاعتقاد الصحيح وعن أم سلمة قالت الاستواء
غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود كفر أخرجه ابن مردويه
وعن مالك بن أنس نحوه وزادوا السؤال عن مدعى قال التثنية وتنسب العرش بالسري
والاستواء بالاستقرار كما نقله المشبه باطل انتهى وأقول بإمكانين أما شعرت أن
العرش في اللغة هو السري والاستواء هو الاستقرار وبفسره جبر الامة وترجمان القرآن
ابن عباس كما في البخاري وليس في ذلك تشبيه أصلا لا التثنية في بيان الكيفية بل
الإنكار عن ذلك تعطيل بخلاف مذهب سلف الامة وأئمتها وهو امرار الصنات كما جاءت
وأجرؤها على ظواهرها بلا تنكيف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ويعالج التشبيه
بكلمة اجالية ليس كشله شيء والعرش قال الجوهرى هو سري الملك وقيل هو ماعلا
فاطل وسعى مجلس السلطان عرشا اعتبارا للعلو ويكنى عن العز والسلطان والمملكة
بالعرش على الاستعارة والجاز ويطلق على معان أخر منها عرش البيت سقفه وعرش البئر
طيا بالخشب وعرش السمك أربعة كواكب صفار وعبارة الخفافى العرش هو فلان
الافلاك اما حقيقة لانه بمعنى المرتفع أو استعارة من عرش الملك وهو سري ومنه ورفع
أبويه على العرش أو بمعنى الملك بضم الميم وسكون اللام ومنه ثل عرشه اذا انتقص ملكه
واختل انتهى وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفته عرش الرحمن وأحاطته بالسמות
والارض وما بينهما وما عليهما وهو المراد هنا قال الراغب وعرش الله عز وجل مما
لا يعلمه البشر إلا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما نذهب إليه وأهم العامة فانه لو كان
كذلك لكان حامله لا تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكبرى
فلك التكوكب قيل والمراد به هنا والجسم النوراني المرتفع على كل الاجسام المحيطة

وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير وهو في الجنة التي هي من رحمته على عباده لا يخالفها بأعمالهم بل برحمته وفضل وان كان سبب وصول الرحمة إليهم أعمالهم وهو تعالى الذي جعلها أسبابا إلى نيل رحمته وفضله وعفوه ورضوانه فالكل بمنه وله فله الحد والمنة ثم قال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم وهذا من عدله تعالى وحكمته وحكمه الذي لا يجوز فيه بل هو الحكم العادل الحكيم القدير وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا كروا نعمة الله عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء فيكشف أيديهم عنكم قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ذكره عن أبي سلمة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق الناس في العشاء يستظلون تحتها وعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فناء أعرابي إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذته فسله ثم أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يعنفني قال الله عز وجل قال الأعرابي من أين أولئنا من يعنفني والي النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله قال فشام الأعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي

وهو جالس الى جنبه ولم يعاقبه وقال معمر كان قتادة يكرهه وداوود كان قوما من العرب أرادوا ان يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارادوا اخذ الاعرابي وتاول اذ كروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يسطوا اليكم ايديهم الامة وقصة هذا الاعرابي وهو غورث بن الحارث ثابت في الصحيح وقال العوفي عن ابن عباس في غزاة الامة الذين آمنوا اذ كروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يسطوا اليكم ايديهم فكذب ايديهم عنكم وذلك ان قوما من اليهود صنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحاسبه طعاما لقتلهم فارضى الله اليه بسأئهم فريأت الطعام وأمر أصحابه فأتوه وراه ابن أبي حاتم وقال أبو مالك نزلت في كعب بن الاشرف وأصحابه حين أرادوا ان يغدروا بعمه وأصحابه في دار كعب بن الاشرف ورواه ابن أبي حاتم وذكر محمد بن اسمعيل بن يسار ويحاجه وكرمه وغير واحد انهم نزلت في شأن بني النضير حين أرادوا ان يلقوا (٢٠٨) على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمن لما جاءهم يستعينهم في دية

العاصم بن وكرار وعمر بن جحاش ابن كعب بذلك وأمره ان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم تحت الجدار واجتمعوا عنده ان يأتي تلك الرمن من فوقه فاطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عايناه فرجع الى المدينة وتبعه أصحابه فانزل الله في ذلك هذه الآية وقوله تعالى وعلى الله فليمتوكل المؤمنون يعني من توكل على الله كفاه الله ما أهمه وحفظه من شر الناس وعصمه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغدو اليهم فحاصرهم حتى أئزلههم فاجلاهم (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثناهم من اثني عشر نفيسا وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزيتوهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفهرن عنكم سيا تتكلم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك

بكلها (يعني الليل النهار) أي يجعل الليل كالغشاء النهار فيغطي بظلمته ضياه قري يعشى بالناس يدنو التحصيف وهما اللتان يقال أغشى يغشى وغشى يغشى والتعشية في الاصل لباس الشيء الشيء ولم يذكر في هذه الآية يعشى الليل بالنهارا كقضاء احد الامر من عن الآخر كقوله اسرائيل تقيكم الحر وأولاد لالة الحال عليه أولان اللانظ يحفظه ما يجعل الليل منعدولا ولا والنهار فعدولا ثانيا وبالعكس وذكر في آية أخرى يكثر الليل على النهار ويكثر النهار على الليل ذكره الكرخي والتقدير راستوى على العرش غشيا الليل النهار والآية الكريمة من باب أعطيت زيدا عمرا لان كلا من الليل والنهار يصلح ان يكون غاشيا وغشيا فوجب جعل الليل هو الفاعل المعنوي والنهار هو المفعول من غير عكس (يطلبه حثينا) أي حال كون الليل طال بالنهار طلبا لا يفر عنه بحال والحث الحث على فعل الشيء كالخص عليه والاستعجال والسرعة يقال ولحق حثينا أي مسرعا والحث والحض أخوان يقال يقال حثت فلانا فاحث فهو حثيث ويحثو وفعله من باب رد قال الرازي انه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك ان تعاقب الليل والنهار انما يحصل بحركة النلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في أشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يجر له تلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهي ألف فرسخ ولهذا قال يطلبه حثينا للسرعة وحر كنه أي يعقبه سرعا كاطالب له لا يفضل بينهما شي والجملة حال من الليل لانه هو المحدث عنه أي يعشى النهار طال بالليل وأمن النهار أي مطول بالليل من كل منهما وعليه الجلال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي خلقها حال كونها مسخرات والاعبار عن هذه التسخير وهو التذليل لما يرام منها من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هي قادرات بانفسهن وانما يتصرفن على ارادة المبدئ لهن على ما أراد منهن (الا) اداة استفتاح (له) خبر مقدم والمبتدأ (الخلق والامر) اخبار منه سبحانه لعباده ما يناله والخلق الخلق والامر كلامه وهو كن في قوله انما أمرنا نأشي

منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه اذا نوسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فأعف عنهم وأصفى ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا اننا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغفرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبتهم الله بما كانوا يصنعون لما أمر تعالى عباده المؤمنين بالوفاء بعهده وميثاقه الذي أخذهم عليه على اسباب عهده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالقيام بالحق والتهادة بالعدل وذكرهم بعهدهم الظاهرة والباطنة فيما جاهدوا به من الحق والهدى شرع بين لهم كيف أخذ العهود والمواثيق على من كان قبلهم من أهل الكتابين اليهود والنصارى فلما نقضوا عهودهم وواثيقه أعقبهم ذلك لعناهم لههم وطرد أعن بابه وجنابه وحبنا القلوب بهم عن الوصول الى الهدى وبين الحق وهو العلم النافع والعمل الصالح فقال

تعالى ولقد أحسد الله سبحانه بنى اسرائيل وبغضناهم اثني عشر تقيما يعنى عرفا على قباثلهم بالمباينة والسمع والطاعة لله ولرسوله
ولكاتبه وقد ذكر ابن عباس عن ابن اسحق وغير واحد ان هذا كان لما توجه موسى عليه السلام لقتال الجابرة فامر بن يقيم تقيما
من كل سبط نقيب (١) قال محمد بن اسحق فكان من سبط روييل شامون بن ركوت ومن سبط شعرون شافاط بن جدى ومن سبط
يهودا كالب بن يوفنا ومن سبط كان فيخايل بن يوسف ومن سبط ابن يوسف وهو أفرام بن يوسف ومن سبط بنيامين قنطلى بن
دفون ومن سبط زبولون جدى بن شوى ومن سبط منمشا بن يوسف جدى بن سوسى ومن سبط دان جلاس بن جل ومن سبط
اشاسا طور بن بلديك ومن سبط نفتالى بن يجرى بن قيسى ومن سبط يساخر لابل بن مكيد وقد رأيت فى السفر الرابع من التوراة
تعداد النقباء على اسباط بنى اسرائيل وأسماء مختلفا لما ذكره ابن اسحق (٣٠٩) والله أعلم قال فيما فعلى بن روييل الصوفى بن

سادون وعلى بنى شعرون شموال بن
صورشكى وعلى بنى يهودا الحشون
ابن عباداب وعلى بنى يساخر شال
ابن صاعون وعلى بنى زبولون الياب
ابن حلوب وعلى بنى أفرام
منمشا بن عنهور وعلى بنى منشا
جليايل بن يرصون وعلى بنى بنيامين
أيسيد بن جدعون وعلى بنى دان
جديد بن عمشدى وعلى بنى اشار
نحاييل بن يجران وعلى بنى كان السيف
ابن دعوايل وعلى بنى نفتالى أجذع
ابن عيمان وهكذا المبانيع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الانصار
لسبلة العقبة كان فيهم اثنا عشر
تقيما ثلاثة من الاوس وهم اسيد
ابن الحضر وسعد بن خيمه ورفاعة
ابن عبد المذوري قال بدله أبو الهيثم
ابن التيهان رضى الله عنه وتسعة
من الخزرج وهم أبو امامة أسعد بن
زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله
ابن رواحة ورافع بن مالك بن
الجلان والبراء بن معرور وعبد

اذا أردناه ان نقول له كن فيكون أو المراد بالامر ما أمر به على التفصيل والتصرف فى
مخالفاته قال سليمان بن عيينة الخلق مادون العرش والامر فوق ذلك واستخرج من هذا
المعنى ان كلام الله ليس مخلوق لانه فرق بين الخلق والامر ومن جعل الامر الذى هو
كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله فقيه رد على من
يقول ان الشمس والقمر والكواكب تأثرت فى هذا العالم فاجاب انه هو الخالق المدبر
لهذا العالم لانه وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والنهى الذى يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله رب العالمين) أى
كثرت بركته واتسعت ومنه بورك الشيء وبورك فيه كذا قال ابن عرفة وقال الأزهري
معناه تعالى وتعظيم وقيل تمجد وارتفع وختم الآية بالثناء عليه لانه هو المستحق للمدح
المطلق وقال ابن عباس معناه اجاب بكل بركة وقيل تقدس وقيل باسمه تبارك فى كل
شئ وقيل معناه ثبت ودام وفى الجمل تبارك فعل مضارع لا يتصرف أى لم يجئ منه مضارع
ولا امر ولا اسم فاعل وقال الزجاج تبارك من البركة وهى الكثرة فى كل خير (ادعوا
ربكم نضر عا وخفية) امرهم الله سبحانه بالدعاء وقد ذلك بكون الداعي متضرعا بدعائه
مخفيا له أى متضرعين بالدعاء مخفيا له او ادعوه دعاء نضرع ودعاء خفية وقيل الدعاء هنا
بمعنى العبادة الاولى اولى وانضرع من الضراعة وهى الذلة والخشوع والاستكانة
والخفية الامر اربعة فان ذلك اقطع لعرف الربا واحسم لادته مخالفا للاخلاص وقال
الزجاج نضرعا يعنى تخافا وقال الحسن بن سعيد دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا
وقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا وعن أبى موسى الاشعري قال كالمع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أيها الناس اربعواي أنفسكم انكم لاتدعون أنفسكم ولا غائبانكم تدعون سمعنا بصيرا
وهو معكم وتدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته الحديث أخرجه الشيخان ثم

ابن انصاف وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنشل (٢) رضى الله عنهم وقد ذكرهم كعب بن مالك فى شعر
له كما أورده ابن اسحق رضى الله عنه والمقصود ان هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم يلتذعن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وهم الذين
ولوا المعاقدة والمباينة عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا جاد
ابن زيد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق قال كان جوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرأ القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن
(١) قال محمد بن اسحق فكان من سبط روييل الى قوله وعلى بنى نفتالى أجذع بن عيمان هكذا فى الاصل الذى يابى ساو اسماء
النقباء فيه محرف فخر بقا فاحش على كتاب الروايتين فتلخص من النسخ والاصول الصحيحة وأما أسماء الاسباط فقد حررها من كتاب
بداية القدماء وهداية الحكماء ترجمة تاريخ اليونان ومع هذا فقررهما ما قدرت عليه من التسخن الصحيحة اه معججه
(٢) قوله عمر بن حنشل كذا فى الاصل وحرر

دل سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يكلك هذه الامنة من خليفة فقال عبد الله ماسألى عنها اى احد منذ قدمت العراق قبل ان تم قال نعم ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنا عشر كعدة نقيباً بنى اسرائيل هذا حديث غريب من هذا الوجه وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال امر الناس ماضياً ما ولتهم اثنا عشر رجلاً ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكامة خفيت على فالت أى ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم قال كلهم من قريش وهذا القسط لم ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا ان النبي وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلاشك عند الأئمة وبعض

(٢١٠)

منهم المهدي المنتظر في الاحاديث الواردة بذلك انه يواطى اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه فيمالا الارض عدلاً وقسطاً كما ماتت جوراً وظلماً وليس هذا بالمعنى الذي يتوهمه الرافضة وجوده ثم ظهوره من سر داب سامراً فان ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الأئمة الذين يعتقدهم الاثنا عشرية من الروافض الجاهلهم وقلة عقلهم وفي التوراة البشارة بانه يعمل عليه السلام وان الله يقيم من صلبه اثني عشر عظيماً وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون في حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجاهل ممن اسلم من اليوم واذ اقرن بهم بعض الشيعة يوهونهم انهم الأئمة الاثنا عشر فتشيع كثير جهل

عالم ذلك بقوله (انه لا يحب المعتدين) اى المجاوزين لما أمر وابه في الدعاء بالتشديد ورفع الصوت وفي كل شيء عن جاوز ما أمره الله به في شيء من الاشياء فقد اعتدى وتدخل المجاوزة في الدعاء في هذا العموم دخولا اولياً ومن الاعتداء في الدعاء ان يسأل الداعي ما ليس له كالحصول في الدنيا وادراك ما هو محال في نفسه او يطلب الوصول الى منازل الانبياء في الآخرة او يرفع صوته بالدعاء صراحته (ولا تشدوا في الارض) نهاهم الله سبحانه عن التشدد في الارض بوجه من الوجوه قليلاً كان او كثيراً ومنه قتل الناس وتجرى منازلهم وقطع اشجارهم وتغير احوالهم ومن الفساد في الارض الكثر بالله والوقوع في معاصيه (بعد اصلاحتها) اى بعد ان اصلحها الله بارسال الرسل وانزل الكتب وتقرر للشرائع فانه الحس والسدى والفضائل والكلي وقيل بعد اصلاح ائمة اياه بالمر والخصب (وادعوه خوفاً وطمعاً) فيه انه يشرع للداعي ان يكون عند دعائه خائفاً وحالطاً معاني اجابة الله لدعائه فانه اذا كان عند الدعاء جامعاً بين الخوف والرجاء ظفر بطلابه قال القرطبي أمرنا الله تعالى بان يكون العبد وقت الدعاء في حال تقرب وتحيوف وأسل في الله حتى يكون الخوف والرجاء للانسان كالجنائحين للطائر يرجح لانه في طريق استقامته واذا انفرداً أحدهما خلك الانسان فبدعو الانسان خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه والخوف الاترجاع في الباطل من المضار التي لا يؤمن من وقوعها وقيل وقع مكروه فيماله والطمع توقع حصول الامر المحبوب في المستقبل قال ابن جرير يجيء معناه خوف العدل وطمع النفع وقيل خوفاً من الرجاء وطمعاً في الاجابة قال بعض أهل العلم ينبغي للعبد ان يغلب الخوف حال حياته فاذا جاء الموت غلب الرجاء قال صلى الله عليه وآله وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن انقلن بالله تعالى اخرجه مسلم والاية الاولى في بيان شرط صحة الدعاء والثانية في بيان فائدة الدعاء (ان رجعت الله قريبت من المحسنين) هذا اخبار من الله سبحانه بان رجسته قريبت من عباده المحسنين بأي نوع من الانواع كان احسانهم وفي هذا ترغيب لاهل ابداً

وسنها لقله علمهم وعلم من انهم ذلك بالنسبة التي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وقال الله الخبر الى معكم اى بحفظي وكلا في نصري لئن اقمتم الصلوات وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي اى صدقوهم فيما يحضرونكم به من الوحي وعزروهم اى نصرتموهم ووارثوهم على الحق واقرضتم الله قرضاً حسناً وهو الاتساق في سبيله واتقوا مرضاه لا كفرن عنكم سياكم اى ذنبكم أمحواها واسترأوا ولاواخذكم بها ولا دخلتكم جنات تجري من تحتها الانهار اى ادفع عنكم الخذور واحصل لكم المقصود وقوله فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل اى من خالف هذا الميثاق بعد عقده وقوله وشده وبعده وعامله من لا يعرفه فقد اخطأ الطريق الواضح وعدل عن الهدى الى الضلال ثم اخبر تعالى عما حل بهم من العقوبة عند خذلانهم ميثاقه وتقضيه عهد فقال فيما تقضيه من اقامهم لعناهم اى فبسبب تقضيه الميثاق الذي اخذ عليهم لعناهم اى بعد ذنابهم عن الحق وطردناهم عن الهدى وجعلنا قلوبهم قاسية اى فلا يعطون بوعظ لغفلتهم وقساوتها

يخرفون الكلام عن مواضعه اى فسدت فهمهم وساء تصرفهم في آيات الله وتاولوا
وقالوا عليه ما لم يقل عباد الله من ذلك ونحو احظا بما ذكرناه اى وتركوا العمل به رغبة عنه

وظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل الا بها وقال غير متر كوا العمل فصاروا الى حالة رديئة فلا تلو

اعمال قومية ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعنى مكرمهم وغدرهم لك ولا يحابك وقال مجاهد وغيره يعنى بذلك عيبهم على الفتن
برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وهذا موجب النصر والظفر كما قال عمر ما علمت من عصى الله فيك بقل ان تطيع
الله فيه وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق ولعل الله ان يهديهم ولهذا قال تعالى ان الله يحب المحسنين يعنى به الصفح عن اسياء
البدل وقال قتادة هذه الآية فاعف عنهم واصفح منسوخة بقوله فاتلوا (٣١١) الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية

وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا

نصارى اخذنا ميثاقهم اى ومن

الذين ادعوا الانفسهم انهم نصارى

متابعون المسيح بن مريم عليه

السلام وليسوا كذلك اخذنا

عليهم العهود والمواثيق على متابعة

الرسول صلى الله عليه وسلم ومما صرته

وموازيته واقفاة اناره وعلى

الايمان بكل نبى رسله الله الى اهل

الارض ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا

المواثيق ونقضوا العهود ولهذا قال

تعالى فنسوا احظا بما ذكرناه فاعرينا

بينهم العداوة والبغضاء الى يوم

القيامة اى فالتقينا بينهم العداوة

والبغضاء لبعضهم بعضا ولا يزالون

كذلك الى قيام الساعة وكذلك

طوائف النصارى على اختلاف

أجناسهم لا يزالون متباغضين

متعادين يكفر بعضهم بعضا وبلغن

بعضهم بعضا فكل فرقة تحرم

الآخرى ولا تدعها تلج معبدها

فالملكية تكفر باليعقوبية وكذلك

الخير وتشيط لهم فان قرب هذه الرحمة التي يكون بها الفوز بكل مطلب مقصود لكل عبد
من عباد الله وقد اختلف أئمة اللغة والاعراب في وجهه تذكير خبر رحمة الله حيث قال
قريب ولم يقل قريصة فقال الزجاج ان الرحمة مأولة بالرحم لكونها بمعنى العفو والغفران
ورجح هذا التأويل النحاس وقال النضر بن شبل ان الرحمة مصدر بمعنى الترحم وحق المصدر
التذكير وقال الاخفش أراد بالرحمة هنا المطر وتذكير بعض المؤنث جائز وقال أبو عبيدة
المعنى مكان قريب قال علي بن سليمان الاخفش وهذا خطأ ولو كان كما قال لكان
قريب منصوبا وقال القسراء ان القريب اذا كان بمعنى المسافة فيذكرون يؤنثون وان كان
بمعنى النسب فيؤنث بلا اختلاف بينهم وروى عن الفراء انه قال في النسب قريصة فلان
وفي غير النسب يجوز التذكير والتأنيث يقال دارك منا قريب وفلان منا قريب قريصة فلان
تعالى وما يدرىك لعل الساعة تكون قريصة وروى عن الزجاج انه خطأ الفراء فيما قاله
وقال ان سبيل المذكر والمؤنث ان يجريا على أفعالهما وقيل انهما كان تأنيث الرحمة
غير حقيقي جائز في خبرها التذكير كرمعنا الجوهري وأصل الرحمة رقة تقتضى الاحسان
الى المرحوم وتستعمل تارة في مجرد الرقة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها
البارى راد بها الاحسان فقط وقيل هى ارادة ايصال الخير والمنة على عباد فعله
الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى الثانى من صفات الذات قال سعيد بن جبير
الرحمة ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ (و) قوله (هو الذى يرسل
الرياح بشرا بين يدي رحمة) يتضمن ذكر نعمة من النعم التي أنعم بها على عباد مع ما في
ذلك من الدلالة على وحدانيته وشمسوت الهيمنة ورياح جمع ربح وأصل ربح ربح وروح وقرئ
نشر انضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب أى ذات نشر وقرئ يضم النون
واسكان الشين وبفتح النون واسكان الشين ومعنى هذه القراءات يرجع الى النشر الذى هو
خلاف الطي فكان الريح مع سكونها كانت مطوية ثم ترسل من طيها فتصير كالمنفحة

الآخر وكذلك السطورية والاريسية كل طائفة تكفر الاخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ثم قال تعالى وسوف ينبتهم
الله بما كانوا يصنعون وهذا تهديد وعيداً كيد للنصارى على ما ارتكبه من الكذب على الله وعلى رسوله وما نسبوه الى الرب عز
وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة وولد اتعالى الواحد الاحد الفرد الصمد الذى يلد ولم يولد ولم يكن له
كفووا احد يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفون عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ربانهم ويهديهم الى صراط مستقيم يخبر تعالى
عن نفسه الكريمة انه قد ارسل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق الى جميع اهل الارض عزبهم وبهجهم اممهم
وكانهم وانه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل فقال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفون عن كثير اى بين ما يبلوه وحرفوه وأولوهم واقترعوا على الله فيه وبسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه وقد

روى الحارثي في مستدركه من حديث الحسين بن واقد عن يزيد العوفي عن عكرمة بن ابن عباس رضى الله عنه قال من كفر بالرحم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب قوله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كتمانكم تحفون من الكتاب فكان الرحم محمداً خفوه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبرنا عن تأخيرنا عن القرآن العظيم الذي اترأه على نبيه الكريم فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يدعى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام أى طرق النجاة والسلامة ومنهاج الاستقامة ويخرجهم من الظلمات الى النور اذ لا يهديهم الى صراط مستقيم أى يخرجهم من المظلمة ويوضح لهم أبن المسالك فيصرف عنهم المخذور ويحصل لهم أحب الامور ينفي عنهم الضلالة ويرشدكم الى اقوم خاتمة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح من قبل فبذلك من الله شأن أراد ان يهلك المسيح من مزمومه (٢١٢) ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخفى

ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر ان يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يقول تعالى يخبرنا عن كفر النصارى في ادعائهم في المسيح من مزمومه وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه انه هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم قال يخبرنا عن قدرته على الاشياء وكونها تحت قهره وسلطانه قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح من مزمومه ومن في الارض جميعا لى لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يتمعه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخفى ما يشاء أى جميع الموجودات ملكه وخلقهم وهر القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتابعة الى يوم

وقال أبو عبيدة معن بن عاصم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كتمانكم تحفون من الكتاب فكان الرحم محمداً خفوه ثم قال صحيح الاسناد ولم يخبرنا عن تأخيرنا عن القرآن العظيم الذي اترأه على نبيه الكريم فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يدعى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام أى طرق النجاة والسلامة ومنهاج الاستقامة ويخرجهم من الظلمات الى النور اذ لا يهديهم الى صراط مستقيم أى يخرجهم من المظلمة ويوضح لهم أبن المسالك فيصرف عنهم المخذور ويحصل لهم أحب الامور ينفي عنهم الضلالة ويرشدكم الى اقوم خاتمة (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح من قبل فبذلك من الله شأن أراد ان يهلك المسيح من مزمومه (٢١٢) ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخفى ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر ان يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يقول تعالى يخبرنا عن كفر النصارى في ادعائهم في المسيح من مزمومه وهو عبد من عباد الله وخلق من خلقه انه هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ثم قال يخبرنا عن قدرته على الاشياء وكونها تحت قهره وسلطانه قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح من مزمومه ومن في الارض جميعا لى لو أراد ذلك فمن ذا الذي كان يتمعه أو من ذا الذي يقدر على صرفه عن ذلك ثم قال ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخفى ما يشاء أى جميع الموجودات ملكه وخلقهم وهر القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل بقدرته وسلطانه وعدله وعظمته وهذا رد على النصارى عليهم لعائن الله المتابعة الى يوم

القيامة ثم قال تعالى راد على اليهود والنصارى في كذبهم واقرارهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أى نحن منتسبون الى أبنائه وهم يشبهونه بهم غناية وهو يحبنا ونقبلوا عن كذبهم ان الله قال لعبد اسراييل أنت ابني بكري خذوا هذا على غير ما يلهو حر فوه وقد رد عليهم غير واحد من أسلم من عقلاهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والاکرام كما نقل النصارى عن كذبهم ان عيسى قال لهم اني ذاهب الى ابي واسمكم يعني ربي وربكم ومعالمهم انهم يدعوا لانفسهم من النبوة ما ادعوا هو في عيسى عليه السلام وانما أراد بذلك معزتهم لديه وخطوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى راد عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم أى لو كنتم على كفركم وكذبكم واقراركم وقد قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء ان يحنى القرآن ان الحبيب لا يعذب بخبيته فلم رد عليه قوله عليه السلام في هذه الآية قل فلم يعذبكم بذنوبكم وهذا الذي قاله حسن وله شاهد في المسند للإمام أحمد حديث قال حدثنا ابن أبي عمير عن أبيه عن جده عن أنس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه وصبي

في الطريق فلما رأته أمه القوم خشيت على ولدها ان يوطأ فاقبلت تسعي وتقول ابني ابني وسعت فاختذه فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه تلتقي ولدها في النار قال فخفضهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا والله ما يلقي حبيبه في النار فرددته أجد بل أنت بشر من خلقي أي لكم أسوة أمثالكم من بني آدم وهو سبحانه الخاتم في جميع عبادته يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء أي هو فعال لما يريد لا معقب لحكمه وهو سر ريع الحساب والله ملك السموات والأرض وما بينهما أي الجميع ملكه ويحت قهره وسلطانه واليه المصير أي المرجع والمآب اليه فيحكم في عبادته بما يشاء وهو العادل الذي لا يمحور وروى محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعد بن جبير عن ابن عباس قال وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهران أصابا وبحر من عمرو وشاس بن عدى فكلوه وهكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقيضه فقالوا ما نخوفنا (٣١٣) يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباءه كقول

النصارى فانزل الله فيهم - وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ورويا أيضا من طريق اسباط عن السدي في قول الله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه أما قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فأنهم قالوا ان الله أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فيسد خلفهم النادر فيكونون فيها أربعين لسلته حتى تظهرهم وتاكل خطاياهم ثم نادى منادان اخر حواكل محتون من ولد اسرائيل فاخرجوهم فذلك قولهم لن نؤمن النار الا بما بعددوات (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى انه قد أرسل اليهم رسولا محمد صلى الله

عالم ومسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد وادعيره والمفازة تسمى بلدة لكلونها مسكن الوحش والجن والبلد يذ كرو بؤت والجمع بلدان (فاتر لتأبى الماء) أي بالبلد الذي سقاه لاجله قاله الزجاج وابن الانباري وهذا هو الظاهر وقيل أنزلنا بالسحاب الماء الذي تحمله أو فانزلنا بالسحاب المرسل بين يدي المطر الماء وقيل ان الباء هنا بمعنى أي فانزلنا الماء وقيل انها سبيبة أي فانزلنا الماء بسبب السحاب وقيل يعود على السوق المقهوم من الفعل أي بسبب سوق السحاب وهو ضيق لعود الضمير على غير مذكور مع امكان عوده على المذکور (فاتر حنابه) أي بالماء او بذلك البلد الميت والاول اولى بل لا ينبغي ان يعدل عنه (من كل الثمرات) أي من جميع انواعها ومن تبعيضية أو ابتدائية (كذلك) أي مثل اخراج الثمرات (فخرج الموتي) من القبور يوم حشرهم بعد فناءهم ودرس آثارهم والتشبيه في مطلق الاخراج من العدم وهذا رد على منكري البعث ومحصله ان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على احياء الموتي من قبورهم (اعلمكم تذكرون) فعملون تعظيم قدرة الله وبديع صنعته وتؤمنون بانه قادر على بعثكم كما قدر على اخراج الثمرات التي تشاهدونها وانخطاب لمنكري البعث (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه) أي التربة الطيبة السهلة السجة يخرج نباتها باذن الله وتيسيره خروجا حسنا تاما وافيواخص خروجا نبات الطيب بقوله باذن ربه على سبيل المدح والتشريف وان كان كذلك من النباتين يخرج باذنه تعالى قاله أبو حنيفة في التهر والمعنى بمشيئته وعسبه يعن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه واقعه في مقابلة قوله (والذي جذبت) أي والتربة الخفيفة السجة (لا يخرج نباتها الا نكدا) أي قليلا لاجل فيه وقيل عسرا عسقا وكانه يقال نكدا نكدا من باب تعسف فهو نكدا تعسرا ونكدا العيش نكدا اشتد عسرا وفي القاموس نكدا عيشهم كقصر اشتد عسرا والبئر قل مأواها

(٤٠ - فتح البيان ثالث) عليه وسلم خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال على قرقم الرسل أي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى بن مريم وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال أبو عثمان النهدي وقادة في رواية عنه كانت ستائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خسمائة وستون سنة وقال معمر عن بعض أصحابه خسمائة وأربعون سنة وقال الضحاك أربع مائة وثلثون سنة وذكر ابن عساکر في ترجمة عيسى عليه السلام عن الشعبي انه قال ومن رفع المسيح الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة والمشهور هو الاول وهو ائتمائة سنة ومنهم من يقول تسعمائة وعشرون سنة ولا منافاة بينهما فان القائل الاول أراد تسعمائة سنة شمسية والآخر أراد قريتين بين كل ثلاثين سنة شمسية وقريتين شمسين ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف ولبنوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا

أى قرية لتكميل ثلاثمائة الشمس التى كانت معلومة لأهل الكلب وكانت الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بنى إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بنى آدم على الإطلاق كما ثبت في صحيح البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أولى الناس بابن مريم لأدليس يبنى وينهني وهذا فيه رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى بنى يقال له خالدين سنان كما حكاه القاضي وغيره والمقصود ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وطموح من السبل وتغير الأديان وكثرة عبادة الأوثان والذبحان والصلبان فكانت النعمة به اتم النعم والحاجة اليه أحرع الحاج فان الفساد كان قد عم جميع البلاد والطغیان والجهل قد ظفروا في سائر العباد الا قليلا من المتسكين بقيام من دين الانبياء الاقدمين من بعض احوار اليهود وعباد النصارى والصابئين كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد (٢١٤) حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حماد الجاشي

رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته وان ربي أمرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومى هذا اكل مال مخلة عبادة حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وان الشياطين أثمهم فأضلهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرهم أن يشركونا ما لم أنزل به سلطانا ثم ان الله عز وجل نظر الى أهل الارض فقتلهم عربهم وعجمهم الا بقايا من بنى إسرائيل وقال انما بعثت لابتلك واسئلك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظانا ثم ان الله أمرني ان ابليهم فريسا فقلت يا رب اذى ينزلون ارسى فيدعوهم فقتل استخرجهم كما استخرجوك واغزهم بغزوا ونفق عليهم فسينفق عليك وابعث جيشا بعث خمسة أمثاله وقتل من أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة وسو سلطان مقسط موفق

ونكذ زيد حاجة عمر وكصر منعه اياها ورجل نكذ شؤم عمر وقوم انكادومنا كسد والنكذب الضم قلبه العطاء ويفتح وقيل معنى الآية التشبيه شبه تعالى السرب القوم بالبلد الطيب والبلد بالبلد الخبيث ذكر الدحاس وقيل هذا مثل للقلوب فشب القلوب القابل للوعظ بالبلد الطيب والناسى عنه البلد الخبيث قاله الحسن وقيل هو مثل لقلب المؤمن والمنافق قاله قتادة وقيل هو مثل للطيب والخبيث من بنى آدم قاله مجاهد عن أبى موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان مثل ما بعنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فذلك من فقهه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعنى الله تعالى به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله تعالى الذى أرسلت به أخرجاه في الصحيحين وليس في هذا ما يدل على انه السبب في نزول الآية (كذلك) أى مثل ذلك التصريف (تصرف الآيات لقوم يتكبرون) الله ويعترفون بنعمته وينفقون بسماع القرآن (لقد أرسلنا نوحا على قومه) لما بين الله سبحانه كمال قدرته وبديع صنعته في الآيات السابقة ذكرهنا أفاضل الامم وما فيها من تحذير الكفار ووعيدهم لتبسيه هذه الامة على الصواب وان لا يقتدوا بمن خالف الحق من الامم السالفة واللام جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا نوحا ملكا بن مشولح ومعنى أرسلنا بعننا وكان نوح نجارا ربعة الله وهو ابن أربعين سنة وقيل أربعين سنة وقيل مائتين وخمسين سنة وقيل ابن مائة سنة وهو أول الرسل الى أهل الارض بعد آدم أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أول نبي أرسل نوح قال بنى الدرقاشي إنما هي نوحا طول ماناح على نفسه وكان اسمه عبد الغفار بن ملك واختلف في سبب نوحه فقيل ادعوه على قومه

متصدق ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذى قرى مسلم ورجل عفيف فقير ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف بالهلاله الذى لا دين له والذين هم فيكم تبسج أو تبسجوا لا يتبعون أهلا ولا مالا ولا خائشا الذى لا يتبع له طمع وان دق الاخاه ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يتخادعك عن أهلك ومالك وذكر الجبل أو الكذب والشتطير الفاحش ثم رواه الامام أحمد ومسلم والنسائي من غير وجه عن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن النخعي وفي رواية شعبة عن قتادة التصريح بسماع قتادة هذا الحديث بن مطرف وانما معه من أربعة عنه ثم رواه هرون عن روح عن عوف عن حكيم الازهر عن الحسن قال حدثني مطرف عن عياض ابن حماد ذكره رواه النسائي من حديث غندر عن عوف الاعرابي به والمقصود من ايراد هذا الحديث قوله ان الله نظر الى أهل الارض فقتلهم وعربهم الا بقايا من بنى إسرائيل وفي لفظ مسلم من أهل الكلب وكان الدين قد التبس على أهل الارض كلهم

بشيء الله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الذي الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشرعية
 الغراء ولهذا قال تعالى أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير أي لئلا نتحجوا ونقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيرهم ما جاءنا من رسول
 يبشر بالخير وينذير من الشر فقد جاءكم بشير ونذير يعني محمد صلى الله عليه وسلم والله على كل شيء قدير قال ابن جرير معناه أي قادر
 على عقاب من عصاني وثواب من أطاعني (واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا النعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعل لكم
 ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدكم من العالمين يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على اديباركم فتقبلوا خاسرين
 قالوا يا موسى ان فيها قوموا مجابرين وآنال يدخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فاما ادخلون قال رجلان من الذين يخافون
 أنهم الله عليهم اذ ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلوا فماتكم فالبون وعلى الله (٢١٥) فماتوا وان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى

اما ان يدخلها أبدا ماذا فيها
 قال هب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا
 قاعدون قال رب اني لأملك الا
 نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم
 الفاسقين قال فانها محرمه عليهم
 أربعين سنة يتيهون في الارض فلا
 تأمن عن القوم الفاسقين يقول
 تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وكلهم
 موسى بن عمران عليه السلام فيما
 ذكر به قومه من نعم الله عليهم
 وآلائه لا يهيم في جمعه لهم خيرا الدنيا
 والاخرة واستقاموا في طريقهم
 المستقيمة فقال تعالى واذا قال موسى
 لقومه يا قوم اذكروا النعمة الله عليكم
 وقوله اذ جعل فيكم أنبياء أي كل
 هلك النبي قام فيكم نبي من لدن أيكم
 ابراهيم الى من بعده وكذلك كانوا
 لا يزال فيهم الانبياء يدعون الى الله
 ويحذرون نقمته حتى خفوا بعيسى
 عليه السلام ثم أوحى الله الى خاتم
 الانبياء والرسل على الاطلاق محمد
 ابن عبد الله المنسوب الى اسمعيل

بالهلاله وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانهم بكل مجذوم فقال له
 ان خسايا قبيح فاحي الله تعالى اليه اعبتني أم عبت الكلب وقوم لرجل أقرباؤه الذين
 يجتمعون في حدودا حد وقد يقيم الرجل بين الجانب فيسهم قومهم مجازا للعجوبة وفي
 التنزيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين وكان معيما دينهم ولم يكن منهم قائلوا قومه قال
 ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق وقد تقدم ذكر نوح
 في آل عمران فاعني عن الاعادة هنا وما قيل ان ادر يس قبل نوح فقال ابن العربي انه وهم
 قال المازري فان صح ما ذكره المؤرخون كان محمولا على ان ادر يس كان نبيا غير مرسل
 (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) أي اعبدوه لانه لم يكن لكم اله غيره حتى
 يستحق منكم ان يكون معبودا (الي أخاف عليكم) ان عديتم غيره (عذاب يوم عظيم)
 جملة متضمنة لتعليل الامر بالعبادة والمراد عذاب يوم القيامة وعذاب الطوفان وانما قال
 أخاف على السلك وان كان على يقين وجرم من حاول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم
 يعرف وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم تأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملا
 من قومه) الملا اشرف القوم ورؤسأولهم وقيل هم الرجال سهوا بذلك لانهم هم عيال ليس
 عندهم من المعروف وجودة الرأي ولا منهم علون العيون ابهة والصدور هيبة والجمع املاء
 مثل سبب وأسباب وقد تقدم بيانه في البقرة (الاناراك في ضلال ميين) الضلال العدول
 عن طريق الحق والذهاب عنه يقال ضل الرجل الطريق وضل عنه بضل من باب ضرب
 ضلالا وضلالا لزل عنه فلم يهتد اليه فهو ضال هذه لفظة مجذوهي الفصحى وبها جاء القرآن
 في قوله ان ضللت فائما أضل على نفسي وفي لفظة لاهل العالم من باب تعب والاصل في
 الضلال الغيبة ومنه قيل للحيوان الضائع ضال بالهاء المذكر والمؤنث والجمع الضوال
 مثل دابة ودواب أي ان انترك في دعائه الى عبادة الله وحده في ضلال عن طريق الحق
 وخطا وزوال عنه بين والرؤية قلبية (قال يا قوم ليس بي ضلالة) كاتزعمون وهي أعم من

ابن ابراهيم عليه السلام وهو اشرف من كل من تقدمه منهم صلى الله عليه وسلم وقوله وجعلكم ملوكا قال عبد الرزاق عن الثوري
 عن منصور عن الحكم واغويه عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال الخادم والمراد اؤا البيت وروي الحاكم في مستدركه من
 حديث الثوري بضاعن الاشع عن مجاهد عن ابن عباس قال المرأة والخادم وآتاكم ما لم يؤت أحدكم من العالمين قال الذين بين
 ظهر انهم يؤمنون ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وروي ميمون بن مهران عن ابن عباس قال كان الرجل من بني
 اسرائيل اذا كان له الزوجة والخادم والمراد أي يسمى ملكا وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو هانئ
 أنه سمع ابا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله نزل وقال السمت من فقره المهاجر بن فقال عبد الله
 ألك امرأتاؤا الىها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فأتت من الاغنياء فقال ان لي خادما قال فأتت من الملوكة وقال

الحسن البصري هل الملك الامر بخدمته واداره ابن جرير يروي عن الحكم ومجاهد ومصور وسفيان الثوري نحو ما
 هذا وحكاها ابن أبي حاتم عن معوية بن مهران وقال ابن شاذان كان الرجل من بني اسرائيل اذا كان له منزل وخدام واستوفى عليه
 فهو ملك وقال قتادة كانوا اول من اتخذ الخدم وقال السدي في قوله ويجعلكم ملوكا قال تلك الرجل منكم نفسه وماله وأهله
 رواد ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن ابن مسعود مرفوعا كان نواسرا اميل اذا
 كان لاحدهم خدام وداية واهراة كتب ملكا وقال ابن جرير حدثنا الزبير بن بكار حدثنا أبو صخرة أنس بن عياض سمعت زبدي
 أسلم يقول ويجعلكم ملوكا فلا اعم الا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له بيت وخدام فهو ملك وهذا امر سهل
 غريب (١) وقبور في الحديث من أصبح (٣١٦) منكم معاني في جسده أسنان في سره عنده قوت يومه فكانت عا حيزت له

الذي ياجحد فادبرها وقوله وآتاكم
 ما لم يوت أحد من العالمين يعني
 على زمانكم فانهم كانوا أشرف
 الناس في زمانهم من اليونان والقبط
 وسائر أصناف بني آدم كما قال ولقد
 آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
 والنسوة ورزقناهم من الطيبات
 وفضلناهم على العالمين وقال تعالى
 اخبارا عن موسى لما قالوا اجعل
 لنا الها كالهة قال انكم قوم
 مجنون ان هؤلاء متبر ما هم فيه
 وباطل ما كانوا يعبدون قال أعير
 الله أن يغفكم الها وهو فضلكم على
 العالمين والمقصود انهم كانوا أفضل
 أهل زمانهم والافهذه الامة أشرف
 منهم وأفضل عند الله وأكمل
 شريعة وأقوم منها جاوا أكرم نبيا
 وأعظم ملوكا وأعز رازقا واكثر
 أموالا وأولادا وأوسع مملكة
 وأدوم عز قال الله تعالى كنتم خير
 أمة أخرجت للناس من سورة آل
 عمران وقال وكذلك جعلناكم أمة

الضلال ففهموا بلغ من نفيه (رأيتكم رسول) جائل لكن هنا أحسن مجيئ لانها بين
 نقضين لان الانسان لا يخلو من أحدثين ضلال وهدي والرسالة لا تتجمع الضلال
 (من رب العالمين) صفة لرسول ومن لا يتدأ الغاية المجازية أي أرسلني لسوق الخير اليكم
 ودفع الشر عنكم في عن نفسه الضلالة وأثبت لها ما هو أعلى منصب وأشرف رفعة وهو
 انه رسول الله اليهم (أبلغكم رسالاتي) جمع الرسالة لاختلاف أوقاتها وتنوع معانيها
 أولان المراد بها المرسل به وهو تعدد أي ما أرسله الله به اليهم مما أوحاه اليه (وأنتصركم)
 يقال نصحتك ونصحت له وفي زيادة اللام دلالة على المبالغة في المحاض النصيح قال الاصمعي
 الناصح الخالص من الغلو وكل شيء خلص فقد نصح فغني النصيح خالص التوبة لكم عن
 شوائب الفساد والاسم النصيحة وقيل النصيح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل
 ارادة الخير لغيرك مما تریده لنفسك أو النهاية في صدق العناية (و) جملته (أعلم من الله
 ما لا تعلمون) مقرر لرسالة ومبينه لزيد عليه وأنه يختص بعلم الاشياء التي لا يعلمونها
 بأخبار الله بذلك ومنها قدرته الباطنة وشدة بطشه على أعدائه وان بأسه لا يدع القوم
 المجرمين (أو نجيتكم) الاستغناء لانكاروا والاول للطف على مقدر ينبغي عليه الكلام
 كأنه قيل استبعدتم أو أؤذنتكم وتعبتكم من (أن جاءكم ذكر) أي وحى ورسالة
 أو موعظة (من ربكم) والمراد به الكتاب الذي أنزل على نوح وقيل المحنة التي جاءها
 نوح والاول أولى (على) لسان (رجل منكم) أي من جنسكم تعرفونه ولم يكن ذلك على
 لسان من لا تعرفونه ولا تعرفون لغته وقيل على معنى مع قاله الفراء (لست ذركم) بهلة
 للمعنى (ولست قوا) ما يخالفه عليه ثالثة مرتبة على العلة قبلها (ولعلكم ترجون) بسبب
 ما يفيد الانذار لكم والتقوى منكم من التعرض لرحمة الله سبحانه لكم ورضوانه عنكم
 وهي علة ثالثة مرتبة على التي قبلها وهذا الترتيب في آية من الحسن لان المقصود من
 الارسال الانذار ومن الانذار التقوى ومن التقوى الفوز بالرحمة (فكذبوه) أي فبعد ذلك

وسطا لتكونوا شهداء على الناس وروي ابن جرير عن ابن عباس وأبي مالك وسعيد بن جبيرة انهم قالوا في قوله كذبوه
 وآتاكم ما لم يوت أحد من العالمين يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانهم أرادوا ان هذا الخطاب في قوله وآتاكم ما لم يوت أحد
 مع هذه الامة والحيور على انه خطاب من موسى لقومه وهو محمول على عالمي زمانهم كما قد تناوئل المراد وآتاكم ما لم يوت أحد من
 العالمين يعني بذلك ما كان تعالى نزله عليهم من المن والسواوي وظلهم بالقيام وغير ذلك مما كان تعالى يخصهم به من خوارق العادات
 فآله أعلم ثم قال تعالى مخبرا عن تحريض موسى عليه السلام لبني اسرائيل على الجهاد والدخول الى بيت المقدس الذي كان
 بأيديهم في زمان ايهم يعقوب لما ارتحل هو وبنيه وأهله الى بلاد مصر أيام يوسف عليه السلام فوجدوا فيها قوما من العمالة
 في بعض النسخ بعد بياض زيادة فتنها مالكا بيت وخدام وزوجة وحررها فاعلها راية عن مالك ٥٥

الجبارين قد استحوذوا عليها وقبضوا عليها فها قام بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى بالبحر
بالنصرة والظفر عليهم فنكلا وعضوا وخالقوا أمره فعوقبوا بالذهب والتيد والقادي في سيرهم حاربين لا يدرون كيف
يتوجهون الى مقصد مدته أربعين سنة عقوبتهم على تقربهم في أمر الله تعالى فقال تعالى مخبر عن موسى انه قال يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة اى المطهرة وقال سفيان الثوري عن الاعش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ادخلوا الارض المقدسة قال شى
الطور وما حوله وكذا قال مجاهد وغير واحد وروى سفيان الثوري عن أنس سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هى
أريحا وكذا ذكر غير واحد من المفسرين وفى هذا نظر لان اريحا ليست هى المقدسة ولا فتح ولا كانت فى طر يقهم الى بيت المقدس
وقد قدموا من بلاد مصر حين اهلك الله عدوهم فرعون الا ان يكون المراد (٣١٧) به هذه البلدة المعروفة فى طرف الطور
شرق بيت المقدس وقوله تعالى

كذبوا ولم يعملوا بما جاء به من الانذار واستمروا على تكذيبه فى دعوى التوبة وما نزل
عليه من الوحى الذى بلغه اليهم (فأجبتاه) من الطوفان والفرق (والذين معه) من
المؤمنين به المستقرين معه قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل كانوا تسعة
اسائة الثلاثة وستة من غيرهم (فى الثلاث) أى السفينة روى انه اتخذها فى سنتين وركبها
فى عاشر رجب ونزل منها فى عاشر محرم والفلك واحد وجع تذكرون وث (واغررنا الذين
كذبوا بآياتنا) أى استمروا على ذنوبهم ولم يرجعوا الى التوبة (انهم كانوا قوما عمن) عن الحق
وفهمه قاله مجاهد أى لكونهم على القلب لا ينجح فيهم الموعظة ولا يفيدهم التذكير قال
ابن عباس عين كفارا قال الزجاج عمو عن الحق والايمن يقال رجل عمى فى البصيرة
واعمى فى البصر قاله الليث وقيل هما بمعنى وقال مقاتل عمو عن نزول العذاب هم
وهو الغرق وعين جمع عم صفة مشبهة لكن تصرف فيه بخلاف لامة كقاص اذا جمع فاصله
عمين قال بعضهم عم فيه دلالة على ثبوت الصفة واستقرارها كفرح وضيق ولواريد
الحدث لقل عام كما يقال فارح وضائق وقد قرئ عامين حكاه الزمخشري (و) أرسلنا
(الى) قوم (عاد) وهومن ولد سام بن نوح قيل هو عاد بن عوص بن ارم بن شالخ بن ارفخشذ
ابن سام بن نوح وهى عاد الاولى وعاد الثانية قوم صالح ورهم عودو بينهم مائة سنة (أخاهم)
أى واحدا من قبيلتهم وأصاحبهم وسماه أخا لكونه ابن آدم مثلهم قاله الزجاج والعرب
تسمى صاحب القوم أخاهم (هودا) هو ابن عبد الله بن رياح بن الخلود بن عاد بن عوص
المذكور قاله السيوطى فى التفسير وقال ابن اسحق هو هود بن شالخ المذكور والاول
أولى واشترى فى السنة الثالثة ان هود اعربى وفيه نظر لان الظاهر من كلام سيبويه لعماده
مع نوح ولو ط أنه أجمعى وكان ينمو بين نوح ثمانمائة سنة وعاش اربعمائة واربعمائة وستين
سنة وصرح هنا بين المرسل اليهم دون ما سبق فى نوح وما سبأ فى لوط لان المرسل اليهم
اذا كان لهم اسم قد اشتروا به وذكر رويها والا فلا وقد امتازت عاد وعود ودين بناماء

وهى اريحا فبعث اليهم اثني عشر عينا من كل سبط منهم عين لآل نوح بنحصر القوم قال فدخلوا المدينة قروا امر اعظميامن هبتهم
وجسمهم وعظمهم فدخلوا حائط البعضهم فباء صاحب الحائط ليحتمى الثمار من حائطه فجعل يحتمى الثمار وينظر الى آثارهم
فتبعهم فكما اصاب واحدا منهم اخذه فجعله فى كه مع اثنا كثة حتى التقط الاثني عشر كلهم فجعلهم فى كه مع الفاكهة
وزهبهم الى ملكهم فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك قد رايت شأنا و امرنا فاذهبوا فاخبروا صاحبكم قال فرجعوا الى موسى
فاخبروه بما عاينوا من امرهم وفى هذا الاستدناظر وقال على بن ابى طلحة عن ابن عباس لما نزل موسى وقومه بعث منهم اثني عشر
رجلا وهم النقباء الذين ذكرهم الله فجعلهم لآل نوح بنحصرهم فساروا فلقهم رجل من الجبارين فجعلهم فى كسائه فجعلهم حتى اتى بهم
المدينة ونادى فى قومه فاجتمعوا اليه فقالوا من انتم قالوا نحن قوم موسى بعثنا نأتى بنحصركم فاعطوهم حبة من عنب تكفى الرجل

فقالوا لهم اذهبوا اليه فقولوا له هذا قد راى كهنتهم فرجعوا الى موسى فاخبروه بما راوا فقام امرهم موسى عليه السلام بالخول عليهم وقتالهم قالوا يا موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واه ابن الى حاتم ثم قال حدثنا بنى حديثنا بنى الى مريم حديثنا بنى بن ايوب عن بن زيد بن الهادي حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال رايت انس بن مالك اخذ عصاف ذرع فيها بشى لا ادري كم ذرع ثم قاس بها في الارض خمسين او خمسا وخمسين ثم قال عكذ اطول العماليق وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا اخبارا من وضع بنى اسرائيل في عظمتهم خلق هؤلاء الجبارين وان منهم عوج بن عتق بنت آدم عليه السلام وان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة وثلاثون وثلاثون ذراعا وثلاث ذراع تحصر الحساب وهذا شى يستحي من ذكره ثم هو يخالف لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم وطوله (٢١٨) ستون ذراعا لم يزل الخلق تنقص حتى الان ثم ذكر وان هذا الرجل كان

كافرا وانه كان وازنية وانه امتنع من ركوب سفينة نوح وان الطوفان لم يصل الى ركبته وهذا كذب واقراء فان الله تعالى ذكر ان فوحا دعا على أهل الارض من الكافرين فقال رب لا تدعنى على الارض من الكافرين ديارا وقال تعالى فاتخذناه من معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين وقال تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وادنا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبق عوج بن عتق وهو كافر ولد زنية هذا اليسوع في عقل ولا شرع ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عتق نظروا الله أعلم وقوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنهم الله عليهم ما أى فلما نكل بنو اسرائيل عن طاعة الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضهم رجلان لله عليهم ما عظمة عظيمة وهما ممن يخاف أمر الله ويخشى عقابه وقرأ بعضهم من

مشهورة قال الربيع بن خثيم كانت عاد ما بين العين الى الشام مثل الذر وقيل كانت منازل عاديا لاحقاق بالعين والاحقاق الرمل الذي عند عمان وحضرموت وقال وهب كان الرجل من عادتين ذراعا يدراعيهم وكان هامة الرجل مثل القبة العظيمة وكان عين الرجل لتفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وقال قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر ذراعا طولوا عن ابن عباس كان الرجل منهم ثمانين باعا وكانت البرية فيهم ككبيلة البقرة والرمان الواحد يقعد في قشر خا عشرة نفقرو ولا تخافوه الا قاول بل عن ضعف وبعد قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولم يقل ههنا فقال كما قال في قصة نوح لان الفاء تدل على التعقيب وكار فوح مواظبا على دعوة قومه غير متوان فبهما وكان هود دون نوح في المبالغة في الدعاء وقيل هذا على تقدير رسؤال سائل قال خافا لهم هود فقبل قال يا قوم (أفلا تتقون) استبعادا وانكارا أى أفلا تتخافون ما نزل بكم من العذاب وقال في سورة هود أفلا تعقلون ولعله خاطبهم بكل منهم وقدا كفى بحكمة كل منهم ما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكره ههنا ما ذكره الله من قوله ان أنتم لا امقرتون وقس على ذلك حال بقية ما ذكره وما لم يذكر من اجراء القصة بل حال نظاره في سائر القصص لاسيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله أعلم قاله أبو السور قال الملا الذين كفروا من قومه اننا نراك في سفاهة هي الخفة والحق وقد تقدم بيانها في البقرة نسبها الى الخفة والطيش وقلة العقل والجهالة ولم يكتفوا بذلك حتى قالوا (وانا نلقنك من الكاذبين) مؤكدين لظنهم كذبه فيما ادعاهم من الرسالة قال يا قوم ليس بسفاهة كما تدعون (ولكني رسول من رب العالمين) اليكم استدرك على ما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك فكأنه قيل ليس بشى مما نسبوا اليه ولكني في غاية من الرشد والصدق ولم يصرح بنى الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لا يبداء الغاية وقد تقدم بيان معنى هذا فريسا وكذا سبق تفسير قوله

الذين يهايون أى ممن لهم مهابة وموضع من الناس ويقال انهم يوشع بن نون وكالب بن يوفنا قاله ابن عباس (البلغكم) وبجاءه دعوكم مرة وعطية والسدى والربيع بن أنس وغير واحد من السلف والخلف رجعهم الله فقالوا ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلوه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا وان كنتم مؤمنين أى ان قولكم على الله واتبعتم أمره ووافقتم رسوله نصركم الله على أعدائكم وأيدكم ونظركم بهم ودخلتم البلد التي كتبها الله لكم فلم يتفزع ذلك منهم شيئا قالوا يا موسى انال نندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وهذا انكول منهم عن الجهاد ومحاربة رسوله لهم وتخلف عن مقاتله الاعداء ويقال انهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف الى مصر سجد موسى وهرون عليهم السلام قدام ملا من بنى اسرائيل اعظاما لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولا ما قومهما على ذلك فيقال انهم سجدوا وجوهها وجرى أمر عظيم وخطر حليل

وما أحسن ما أجاب به العجايب رضي الله عنهم يوم بدر
 العبر الذي كان مع أبي سفيان فلما فات اقتتاص العرب وأصر
 الفجر ^{وهم يسمون ما بين التسعمائة إلى الألف في العدة والبض}
 واليب فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فأحسن ثم تكلم من العجايب من المهاجرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أشيروا علي
 أيها المسلمون وما يقول ذلك إلا ليستعلم ما عند الانصار لأنهم كانوا جهور الناس ومثد فقال سعد بن معاذ كأنك تعرض بنا يا رسول
 الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقا بنا عدونا غدا
 إلا نصر في الحرب صدق في اللقاء لعل الله أن يرزقنا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 سعد ونشطه ذلك وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن الحسين حدثنا (٣١٩) أبو حاتم الرازي حدثنا محمد بن عبد الله

الانصاري حدثنا حميد عن أنس
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار
 إلى بدر استشار المسلمين فأشار عليه
 عمر ثم استشارهم فقاتل الانصار
 بامعشر الانصار أيكم يريد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قالوا إذا
 لا نقول له كما قالت بنو اسرائيل
 لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
 ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت
 وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون
 فكان من أجاب يومئذ المقداد بن
 عمرو الكندي رضي الله عنه كما قال
 الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا
 سفيان عن مخارق بن عبد الله الجبلي
 الاحمسي عن طارق هو ابن شهاب
 ان المقداد قال لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم يوم بدر يا رسول الله
 انا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل
 لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
 ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت
 وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون هكذا
 رواه أحمد من هذا الوجه وقد رواه

(أبلغكم رسالاتي وأنا لكم ناصح) فيما أمركم به من عبادة الله وترك عبادة ما سواه
 (أمن) هو المعروف بالأمانة والثقة على ما اتفق عليه وفيه دليل على جواز مدح الانسان
 نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها وفي إجابة الانبياء من ينسبهم إلى السفاها والضلال
 بما جالوا بهم من الكلام الصادر عن الحلم والاعتدال المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم
 بأن خصوصهم أفضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم وتعليم من الله لعباده كيف
 يحاطبون السفاها وكيف يغضون عنهم ويسبواون أذيال حلهم على ما يكون منهم ونحوه
 قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي هو دجال الجلالة الاسمية فوج بالقليلة حيث
 قال وانصح لكم وذلك لأن صيغة الفعل تدل على تجدد ساعة بعد ساعة وكان نوح يكرر
 في دعائهم لا يلا وتوار من غير تراخ فناسب التعبير بالفعل واما هو فدل يكن كذلك بل كان
 يدعوهم وقتادون وقت فلهذا ذكر بالاسمية (أو عجبت) من (أن جاءكم ذكركم من ربكم على)
 لسان (رجل منكم لينذركم) بأسر بكم ويخوفكم عقابه وقد سبق تفسيره (واذكروا إذ
 جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي جعلهم سكان الارض التي كانوا فيها إذ كرههم الله
 نعمة من نعمه عليهم وأجعلهم ملوكا جعل الذكركم للوقت والمراد ما كان فيه من
 الاستخلاف على الارض لقصد المبالغة لأن الشيء إذا كان وقته مستحقا للذكركم فهو
 مستحق بالاولى (وزادكم في الخلق بسطة) أي طولاً في انطلق وعظم جسم وقوة زيادة على
 ما كان عليه بآنا وفيه الايدان وقيل بسطة أي شدة قاله ابن عباس وعن أبي هريرة قال
 كان الرجل من قوم عاد ليخذل المصراع من الحجارة لولا اجتماع خصلاته من هذه الاسمة لم
 يستطيعوا ان يلقاه وان كان أحدهم ليدخل قدمه في الارض فتدخل فيها قال
 السدي والكبي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصيرتين وقيل سبعين
 ذراعاً وقد ورد عن السلف حكايات عن عظم اجرام قوم عاد وفيها بعد كما تقدم (فأذكروا
 الآلة) أي نعمه عليكم جمع إلى بكسر الهمزة وسكون اللام كمل واجمال وإلى بضم

من طريق أخرى فقال حدثنا اسود بن عامر حدثنا اسرا تيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله هو ابن مسعود رضي
 الله عنه لقد شهدت من المقداد مشهد الآن أن أكون أنا صاحب أحب إلى مما عدل به في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعوني
 المشركين فقال والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وليكنا قاتل
 عن يمينك وعن يسارك ثمن بين يديك ومن خلفك قرأت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرقا ذاك وسر ذلك وهكذا رواه
 البخاري في المغازي وفي التفسير من طرق عن مخارق به ولفظه في كتاب التفسير عن عبد الله قال المقداد يوم بدر يا رسول الله لا نقول
 لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن امض ونحن معك ففكنا تسري عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم قال البخاري رواه وكيع عن سفيان عن طارق ان المقداد قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن

يزید حیدرنا سید عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحج بغير يوم الحديبية حتى
 يذهبوا من بين مناسكهم الى ذاهب بالهدى فصار عند البيت فقال له المقداد بن الاسود نا والله لا نكون
 من بين الهالكين اذهب أنت وربك فقاتلا فانهما قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فانهما قاعدون
 او حيا الله عليهم وسلم يتابعوا على ذلك وهذا ان كان يحقوا طوام الحديبية فيحتمل انه صكر هذه المقالة
 كما قاله يوم بدر وقوله قال رب اني لاملك الانتفى وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يعني لما نكل نواس اسرائيل عن
 القتال غضب عليهم موسى عليه السلام وقال داعيا عليهم رب اني لاملك الانتفى وأخي هرون فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
 قال العوفي عن ابن عباس يعني اقضي بيني وبينهم وقد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس افضل بيننا وبينهم
 كما قال الشاعر

يا رب فافرق بيني وبين
 أشد ما فرقت بين اثنين
 وقوله تعالى فانها محزنة عليهم
 أربعين سنة يتوبون في الارض
 الآية لما دعا عليهم موسى عليه
 السلام حين نكوا عن الجهاد
 حكم الله بحريم دخولها عليهم
 قدر مدة أربعين سنة فوقعوا في التيه
 يسرون دائما لا يمتدون الخروج
 منه وفيه كانت أمور عجيبة وخوارق
 كثيرة من تظليلهم بالغمام وانزال
 المن والسلاوي عليهم ومن اخرج
 الماء الجاري من صخرة صماء تحمل
 معهم على دابة فاذا ضرب بها موسى
 بعصا انفق جرت من ذلك الخراج اثنا
 عشرة عينا تجرى لكل شعب عين
 وغير ذلك من المعجزات التي ايد الله
 بها موسى بن عمران وهناك نزات
 التوراة وشرعت لهم الاحكام
 وعملت قبة العهد ويقال لها
 قبة الزمان

الهمة وسكون الامم كقفل واقفال أو الى بكسر الهمزة وفتح اللام كضلع واضلاع وعنت
 واعتاب أو الى فتحهما كدنا وافتقاهما ومن جلت انعمة الاستخلاف في الارض والسطوة في
 الخلق وغير ذلك مما انعم به عليهم وكره راند كيزيادة التقرير (اعلحكم تظليون) ان
 تذكرتم ذلك لان الله كرر النعمة سبب باعث على شكرها ومن شكرها ومن شكرها فقد افلح (قالوا) في
 جواب فتحهم لهم (أجتمنا عند الله وحده) هذا استسكار منهم لدعائه الى عبادة الله وحده
 دون معبوداتهم التي جعلوها شركا لله وانما كان هذا استسكارا عندهم لانهم وجدوا
 آباءهم على خلاف ما دعاهم اليه فلذا قالوا (وندرما كان بعدنا ابونا) أي تركت الذي كانوا
 يعبدونهم من الاصنام وهذا داخل في جملة ما استسكروا به وهكذا يقول المقلدة لاهل الاتباع
 والمتدعة لاهل السنة (فأتنا بعدنا ان كنت من الصادقين) هذا استسجال منهم للعذاب
 الذي كان هو ديعبدهم به لشدة قتردهم على الله ونكوصهم عن طريق الحق وبعدهم عن
 اتباع الصواب (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) جعل ما هو متوقع كالواقع
 تنبيه على تحقق وقوعه كاذكر أئمة المعافى والبيان وقيل معنى وقع وجب والرجس
 العذاب وقيل السخط وقيل هو هذا الرين على القلب بزيادة الكفر ثم استسكروا عليهم
 ما وقع منهم من المجادلة فقال (أتجادلونني في أسماء) يعني أسماء الاصنام التي كانوا
 يعبدونها جعلها أسماء عارية لان مسماها احق حقيقة لها بل تسميتها بالالهة باطل فكأنها
 معدومة لم توجد بل الموجود أسماءها فقط والاستفهام على سبيل الانكار (تسميها)
 أي تسميتم بها معبوداتكم من جهة أنفسكم (أنتم وآباؤكم) ولا حجة لذلك (مازل الله
 بهم امن سلطان) أي من حجة تتجشون بها على ما تدعونون لها من الدعوى الباطلة ثم وعدهم
 بأشد وعيد فقال (فاستظروا الى معكم من المتظفرن) أي فاستظروا ما طبقوه من العذاب
 وهو واقع بكم لانه انزل عليكم بلائكم (فأتيناهم والذين معه بريح معنا) أخبر الله
 سبحانه انه نجى هودا ومن معه من المؤمنين بهم من العذاب النازل عن كفرهم ولم يقبل رسالته

هرون عن أصبغ بن يزيد عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير سألت ابن عباس عن قوله فانها محزنة
 عليهم أربعين سنة يتوبون في الارض الآية قال فتأهوا في الارض أربعين سنة يصحون كل يوم يسبون ليس لهم قرار ثم ظال عليهم
 الغمام في التيه وأنزل عليهم المن والسلاوي وهذا قطعة من حديث القنوت ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ثم بعد عدة ثلاث سنين
 وفاة موسى الكليم عليه السلام وأقام الله فيهم يوم سبع بنون عليه السلام نبيا خليفة عن موسى بن عمران ومات أكثر بني اسرائيل
 هناك في تلك المدة ويقال انه لم يبق منهم أحد سوى يوشع وكاب ومن ههنا قال بعض المفسرين في قوله قال فانها محزنة عليهم هذا
 وقف تام وقوله أربعين سنة متعصوب بقوله يتوبون في الارض فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع بن نون عليه السلام أربعين فيهم
 وسائر بني اسرائيل من الجبل الثباتي فقص عليهم بيت المقدس فاصبرها فكان قبحها يوم الجمعة بعد العصر فلما انصرفت الشمس

لغروب وخذى دخول السبت عليهم قال انك مأمورة وانما أمور الله هم احبسهم على فحسبها الله تعالى حتى فقهها وأمر الله يوشع بن نون ان يأمر بني اسرائيل حين يدخلون بيت المقدس ان يدخلوا باب اسجدوا لهم يقولون حطة أى حط عنا ذنوبنا فمدلوا ما أمروا به فدخلوا بن حفرون على استأهم وهم يقولون حبة في شعرة وقد تقدم هذا كله في سورة البقرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن ابي عمار العدنى حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قوله فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض قال فتأهوا أربعين سنة قال فهلم موسى وهارون في التيه وكل من جاوز الاربعين سنة فلما ضت الاربعون سنة ناهضهم دشم بن نون وهو الذى قام بالأمر بعد موسى وهو الذى افتتحها وهو الذى قبله اليوم يوم الجمعة ففتحها وافتتاحها ودفنت الشمس للغروب فخشى ان دخلت ليلة السبت ان يسبقوا فتأدى الشمس الى (٣٤١)

فوجدتهما من الاموال مالم يرمثله قط فقرىوه الى النار فلم تأته فقال فيكم الغول فذعاروس الاسباط وهم اثنا عشر رجلا فباعهم والتصقت يد رجل منهم بده فقال الغول عندك فاخرجه فاخرج رأس بقرة من ذهب لها عيمان من ياقوت واسنان من لؤلؤ فوضعه مع القربان فأتت النار فأكته وهذا السباق له شاء في الصحح وقد اختار ابن جرير ان قوله فانها محرمة عليهم هو العامل في أربعين سنة وانهم مكثوا لا يدخلونها أربعين سنة وهم تائهون في البرية لا يهتدون لقصد قال ثم خرجوا مع موسى عليه السلام ففتحهم بيت المقدس ثم احتج على ذلك قال باجاع علماء أجبوا الاولين ان عوج بن عتق قتله موسى عليه السلام قال فلو كان قتله ايا قبل التيه لما دفنت بنو اسرائيل من السم الملق فدل على انه كان بعد التيه قال واجمعوا على ان بلغام

فالمعية مجاز عن المتابعة أخرج ابن عساكر لما أرسل الله الزم على عاد اعزل هودوس معهم المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم من الرمح الاما تلى عليهم الجلود وتذهب الانفس وانما القربا العادى فقهه بين السماء والارض وتدمعها بالجارحة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشيء وهو الآخر واذا قطع الآخر فقد قطع ما قبله فحصل الاستئصال أى الاستيعاب بالقطع وقد تقدم تحقيق معناه والمعنى استأصلنا هؤلاء القوم الجاهلين بين التكذيب بآياتنا وعدم الايمان وأراد بالآيات المعجزات الدالة على صدقه وعن أبي هريرة قال كان عمر هودا ربعا مائة سنة واثنين وسبعين سنة وعن علي بن أبي طالب قال قبر هود بحضر موت في كتيب أجر عند رأسه سدرة وعن عثمان بن أبي العاتكة قال قبله مسجد دمشق قبر هود وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزمن قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويرى ان كل نبى من الانبياء اذا هلك قومه جاءهوا الصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يؤمنوا بالله والله أعلم بصحة ذلك (وما كانوا مؤمنين) مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وقد أطال القوم في بيان قصة قومه وهالا كههم واجال القرآن يغنى عن تفصيل لا يسند (والى ثودا أخاهم صالحا) ثود قبيلة سموا باسم أبيهم وهو عود بن عاد بن ارم بن شالخ بن ارغش بن سام بن نوح وصالح هو ابن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن عود وكانت مساكن ثودا الجبل بين الجاز والشم الى وادى القرى وماحوله قال أبو عمرو ابن العلاء سميت ثودا تلة ماؤها والتمد الماء القليل وكان صالح أخاهم في النسب لافى الدين وكان بينه وبين هود مائة سنة وعاش صالح مائتين وعشرين سنة وكفى التحبير (قال ياقوم اعبدوا الله) أى وحدود ولا تشركوا به شيئا (ما لكم من الله غيرة) يستحق ان يعبد سواه وقد تقدم تنبيهه في قصة نوح (قد جاءكم بينة من ربكم) أى معجزة ظاهرة وبرهان حلى وهى اخراج النافث من الحجر الصلد عن أبي الطفيل قال قالت ثودا صالح استأبنا بآية ان

(٤١ - فتح البيان ثالث) ابن باعورا اعان الجبارين بالدعاء على موسى قال وما ذاك الا بعد التيه لانهم كانوا قبل التيه لا يخافون من موسى وقومه هذا الاستدلال ثم قال حدثنا أبو بكر بحدثنا ابن عطية حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت عصا موسى عشرة أذرع وثبته عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع فوثب فأصاب كعب عوج فقتله وكان جسر الاهل النبل سنة وروى أيضا عن محمد بن بشير حدثنا سفيان عن أبي اسحق عن نوفى البكالى قال كان سرير عوج بثلاثة ذراع وكان طول موسى عشرة أذرع وعصاه عشرة أذرع ووثب في السماء عشرة أذرع فضر عوجا فأصاب كعبه فسط ميتا وكان جسر الناس يمرون عليه وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين تسليط موسى عليه السلام عنهم أى لا تأسف ولا تحزن عليهم فيما حكمت عليهم فانهم استحقوا ذلك وهذه القصة تضمنت قريع اليهود بيان فضائلهم ومخالفاتهم لله ولرسوله

ونكولهم عن طاعتهم فيما أمرهم من الجهاد فضعف أنفسهم عن مصابرة الأعداء وشجاعتهم ومقاتلتهم مع أن بين أطوارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم وصفه من خلقه في ذلك الزمان وهو بعدهم النصر وانقصر باعدائهم خلد مع مشاهدوا من فعل الله بعدوهم فروع من العذاب والتكامل والفرقة ولجود في اليوم ونظرون لتقريبه أعينهم وما باله من قدم ثم يكون عن مقاتله أهل بلدي بالنسبة إلى ديار مصر لا تواتر عن الحصار في عدة أعليها وعددهم وظهورت قبائح صنيعهم الخاص والعام وانضموا فضيحة لا يغطيها الليل ولا يستخفيها الليل وهم في جهنم يعمهون وفي غيهم يزددون وهم البغضاء إلى الله وأعداءه وبقولون مع ذلك نحن أبناء الله وأحباؤه ففهم الله وجوعهم التي مسح منها الخنازير والقرود والزئيم لعنة تعصمهم إلى النار ذات الرقود ومضى لهم فيها بئساً ما دخلوا وقد فعل (٢٢٢) وله الحمد من جميع الوجوه وائل عليهم نبأ أبي آدم بالحق اذكر بقرابا

فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتللك قال أنا يتقبل الله من المتقين لننسلط إلى ربك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لاقتل اني أخاف الله رب العالمين اني أريد ان تسوء بأخي وأنت تكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه قتل فأمسح من انفسهم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف لواري سواة أخيه قال يا ويلتا أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فالواري سواة أخي فأمسح من النادمين يقول تعالى بينا وخیم عاقبة البغي والحسد والظلم في جرائب آدم لصلبه في قول الجهور واما قایل وهابيل كيف عدا أحدهما على الآخر قتل بغياع عليه وحسد الله فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القسريان الذي أخلص فيه الله عز وجل فصار المقتول بوضع

كتسب الصادق قال اخرجوا تفرحوا إلى حضبة (١) من الأرض فاذا هي تخض كما تخض الحامل ثم انها تفرح ثم تفرح الناقة من وسطها ايقال لهم صالح (خذوا ناقة الله لكم آية) وليس هذا أول خطاب ليم بل بعدما منحهم كاقص في سورة عود من قوله هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها الآيات وهذه الآية مشهورة على بيان الينة المذكورة وفي اضافة الناقة إلى الله تشریف لها وتكریم وكونها آية على صدق صالح انها اخرجت من حجر في الجبن لا من ذكر ولا أنثى وكل خلقها من غير رجل ولا ندر يجر وقيل غير ذلك (فذرهما وكل في أرض الله) فترجع على كونها آية من آيات الله فان ذلك لا يجب عدم التعرض لها أي دعواها في ناقة الله والأرض أرضه فلا تمنعها ما ليس لكم ولا تمنعكم (ولا تسوءا بسوء) أي لا تعرضوا للباوجه من الزوج الذي تسوءا به عن المس التي هو مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لأنواع الاذى (فياخذكم عذاب أليم) أي شديد الألم بسبب عقرها واذها ومنعها من الرعي (واذكروا ان جعلكم خلفا من بعد عاد) أي استخلفكم في الأرض أو جعلكم ملوكها كما تقدم في قصة هود (وتوأكم في الأرض) أي جعل لكم فيها ما تروهي المنزل الذي تسكنونه أي أسكنكم وأزلكم في أرض الحجر بكسر الحاء (تتخذون من سهولها قصورا) أي من سهول الأرض وهي ترابها تتخذون منه البر والآخر وتجو ذلك فتبنون به القصور وانما سميت بذلك لقصور الله فقرأه عن محصلها وجسمهم عن نيلها (وتتخون) أي تشقون والنحت شجر الشئ الصلب وفي القاموس نحتته بنحته براد والحانة البراءة والمحت ما ينحت به (الجليل يونا) تسكنون فيها وقد كانوا اقربهم وصلاية آبائهم يحنون الصبور فيتخذون فيها كهوا فاسكنون فيها لأن الابنة والسقوف كانت تقني قبل بناء أعمارهم قال الضحاك كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف سنة وكذا كان قوم هود وقبل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبيل في الشتاء وهذا يدل على انهم كانوا متعصمين مترفعين (فأذكروا آلاء الله)

الاتمام والدخول إلى الجنة وحلب القابل ورجع بالصقعة الخاسرة في الدار بن فقال تعالى وائل عليهم نبأ أبي علكم آدم بالحق أي اقص على هؤلاء الناقة الحسدة اخوان الخنازير والقرود من اليهود وأمنائهم واسطاعهم خبر أبي آدم وخمائله وقایل فيما ذكره واحد من السلف والظلم أي على الخلة والامر الذي ليس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان لقوله تعالى ان هذا هو القاصص الحق وقوله نحن قص علينا نبأهم بالحق وقال ذلك عيسى بن حريم قول الحق وكان من خبرهم ما فاضل ذكره واحد من السلف واختلف ان الله تعالى شرع لا دم عليه السلام ان يزوجه من نبيه لم ضرورة الحال ولكن قالوا كان يولد في كل بطن ذكر واتي فكان يزوجه اتي هذا البطن لذكر البطن الآخر وكتب اخت حابيل ذمجة واخت قایل وضيته فأراد ان يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك الا أن يقرباقرابا نحن فتقبل منه فبى له (١) الهضبة الجبل المنبسط على وجه الأرض أد منه

يقبل من هابل ولم يقبل من قاييل فكان من أمرهما ما فاضه الله في كتابه ﴿ذكر أئوال المفسرين ههنا﴾ قال السدي فيما ذكر عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يولد آدم مولودا ولا ولده معه جارية فكان من زواج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له اثنتان يقال لهما هابل وهابيل وكان قاييل صاحب زرع وكان هابل صاحب زرع وكان قاييل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابل وإن هابل طلب أن ينكح أخت قاييل فابى عليه وقال هي اختي ولدت لي وهي أحسن من اختك وأنا أحق أن أتزوج بها فأمره أبوه أن يزوجه هابل فابى وانهم ما قرأوا في الله عز وجل أيهما أحق بالخيارية وكان آدم عليه السلام قد غاب عنهما إلى مكة فينظر إليهما

(٢٢٣)

الارض قال اللهم لا قال ان لي بيتا بمكة فانه فقال آدم للسماء احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض فابت وقال للسماء فابت فقال لقاييل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فإنا انطلق آدم قرا قرا بنا وكان قاييل يغير عليه فقال أنا أحق به منك هي أختي وأنا أكبر منك وأنا راضي والدي فلما قرا قرا هابل جذعة سمينة وقرب قاييل حزمة سنبيل فوجد فيها سنبلة عظيمة فقصرها وأكلها ففرزت النار فأكلت قربان هابل وترك قربان قاييل فغضب وقال لا تملك حتى لا تنكح اختي فقال هابل إنما يقبل الله من المتقين رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا ججاج عن ابن جريج أخيه بنى ابن خنيم قال أقبلت مع سعيد بن جبيرة فحدثني عن ابن عباس قال نهى أن تنكح المرأة

عليكم واشكروا عليها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) العن والعتو لغتان قال قتادة معناه الانسبر والاعتوا أشد الفساد وقيل أراد به عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد وقد تقدم تحقيقه في البقرة بما يغني عن الإعادة (قال الملا الذين استكبروا من قومه) أي الرؤساء المستكبرون من قوم صالح الذين تعظموا عن الإيمان به والسين زائدة (ل الذين استضعفوا) أي المساكين الذين استضعفهم المستكبرون والام التليخ (من آمن منهم) بدل من الموصول بإعادة العامل بدل الكل إن كان ضمه عنهم لقومه وبدل البعض إن كان للذين على أن من المستضعفين من لم يؤمن والأول هو الوجه إذا دأبني إلى توجيه الخطأ أولا إلى جميع المستضعفين مع إن المجاورة مع المؤمنين منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين أي قالوا المؤمنين الذين استضعفواهم واستذلواهم (أن تعاون أن صالحا مرسل من ربه) اليكم قالوا هذا على طريق الاستهزاء والسخرية (قالوا انما أرسل به مومنون) أجابوهم بأنهم مومنون برسالة الله كون سؤال المستكبرين لهم انما هو عن العلم منهم هل تعلمون برسالة أم لا مسارعة إلى اظهار ما لهم من الإيمان وتبنيها على أن كونه مرسل أمر واضح مكشوف لا يحتاج إلى السؤال عنه (قال الذين استكبروا) عن أمر الله والإيمان به برسوله صالح ثم زاد وعنادا (انما الذي آمنتم به كافرين) أي جاحدون وهذه الجمل المعنونة يقال مستأنفة لانها جوابات عن سوالات مقدرة ولم يقولوا انما أرسل به كافرين اظهار انخالقهم اياهم وردا لمقالتهم (فقروا للناقة) أعقر الجرح وقيل قطع عضو يؤثر في تلف النفس يقال عقرت الفرس إذا ضربت قوائمها بالسيف وقيل أصل العقر كسر عرقوب البعير ثم قيل للنحر عقر لان العرسب النحر في الغاب وأسند العقر إلى الجميع مع كون العاقر واحدا منهم لانهم راؤن ذلك موافقون عليه وقال عاقر الناقة لأنها حتى ترضوا البعيرين فجعلوا يداخلون على المرأ في خسر هافيقولون أن أرضين فتبول نم والنسبي حتى رضوا البعيرين فعقروها

أطاعوا أمي وأمر ابن نكحها غيره من أخواتها وكان يولد في كل بطن رجل واحد وأخواتهم كذلك إذ ولد له امرأة وضمة وتولد له أخرى فيجدة ذمية فقال أخو الذمية انكحني اختك واتكح اختي فقال لا أنا حق باختي فقرا باقرا فاقبل من صاحب الكبش ولم يقبل من صاحب الزرع فقتله اسناد جديد وحدثنا أبي حدثنا أسلمة حدثنا جابر بن سلمة عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله إذ قرا باقرا فاقرا باقرا بأنهما خافا صاحب الغنم بكبش أعين أقرن أبيض وصاحب الحرن بصرة من طعام فقبض الله الكبش فخرنه في الجنة أربعين خريفا وهو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام اسناد جديد وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي الغيرة عن عبد الله بن عمر قال ان ابن آدم الذي قرا باقرا فاقرا فاقبل من أحدهما ولم يقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرن والآخر صاحب غنم وانهم ما قرأوا في الله عز وجل أيهما أحق

واستحموا وأطيبوا أنفسهم وان صاحب الحرق قرب أكثر حرته الكردن والزان غير طيبة بها نفسه وان الله عز وجل تقبل قربان صاحب النعم ولم يقبل قربان صاحب الحرث وكان من قصته ما ماقص الله في كتابه قال وايم الله ان كان المقتول لاشد الرحلين ولكن منعه الصرح ان يسط يده الى اخيه وقال امهيل بن رافع المدني القاص بلغني ان ابي آدم لما أمر بالقربان كان أحدهما صاحب غنم وكان ائنه حمل في غنمه فاجبه حتى كان بؤره بالليل وكان يحمله على ظهره من جبه حتى لم يكن له مال أحب اليه منه لما أمر بالقربان قرب به الله عز وجل فقبله الله منه فزال يرتفع في الجنة حتى قدى به ابراهيم عليه السلام رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا الانصاري حدثنا القاسم بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن علي بن الحسين قال آدم عليه السلام لهايل وقايل ان ربي عهد الى أنه كان من ذريتي من يقرب القربان (٣٢٤) فقر بأقرب بائتي تقر عيني اذا تقبل قربانك فقر بأقربا وكان هايل صاحب

غنم فقترب أ كولة غنم خير ماله وكان قايل صاحب زرع فقرب مشاققة من زرعه فانطلق آدم معهما ومعهما اقربا بهما فصعدا الجبل فوضعا قربا بهما ثم جلسا وانلا نهم آدم وهما يتظران الى القربان فبعث الله نار احق اذا كانت فوقهما دنما هنا حتى فاقتهل قربان هايل ورث قربان قايل فانصرقوا وعلم آدم ان قايل مسخوط عليه فقال ويلك يا قايل رد عليك قربانك فقال قايل احببته فصليت على قربانه ودعوت له فتقبل قربانه وورد على قرباني فقال قايل لهايل لاقتلك واسترح منك ودعا لك أبوك فصلى على قربانك فتقبل منك وكان يتواصده بالقتل الى ان احتبس هايل ذات عشية في غنمه فقال آدم يا قايل ان أخوك قال قال (٣) وتعيى له راعيا لا ادري فقال آدم ويلك يا قايل انطلق فاطلب أخاك فقال قايل في نفسه اليلة

وقبه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث أصابت عائله الكل ما لا يخفى وقد اختلف في عاقر الناقمة كان اسمه فقيل قد ار بن سالف وكان رجلا أحرأ زرق يرعون انه ابن زانية ولم يكن اسانف ولكنه ولد على فراشه وكان عزيزا منيعا في قومه وقيل غير ذلك وقوله الناقمة هاربا فانفتحت له الصخرة التي خرجت منها أمه فدخلها واظبقت عليه وقيل انهم أدركوه وذبحوه (وتعوا عن أمر ربه) اي استكبروا يقال عتايعتو عتوا الاستكبر وتعنى فلان اذا لم يطع والليل العاني الشديد الظلمة والمراد بالامر الحكم (وقالوا يا صالح انت انا عاتنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) هذا استعجال منهم للنفقة وطلب منهم لنزول العذاب وحلول البلية بهم قالوا ذلك استعزاه وتنجيزه (فأخذتهم الرحمة) أي الزلزلة الشديدة العظيمة قاله الزجاج والقراء يقول رجف الشيء يرجف رجفانا وأصله حركة مع صوت ومنه يوم ترجف الراجفة وقيل كانت صيحة شديدة خلعت قلوبهم قاله مجاهد والسدي فقيل انه أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وعلى هذا في الآية كفاية وقد وقع التصريح بها في آية أخرى فكان عذابهم بالرجفة والصيحة فذكر في كل موضع واحدة منهما (فأصبحوا في دارهم) أي بلدهم وأرضهم (جائين) أي لاصقين بالارض على ركبهم ووجوههم كما يجيئ الطائر وأصل الجثوم للأرنب وشبهها وقيل الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لا طشا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمراد أنهم أصبحوا في دارهم مستبين لا حراهم (فتولى عنهم) صالح عند اليأس من اجابتهم وقيل بعد أن ماتوا وهلكوا (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونفخت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) يحتمل انه قال لهم هذه المقالة بعد موتهم على طريق الحكاية الماضية كواقع من النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السكام لاهل قلب بدر بعد موتهم أوقاله لهم عند نزول العذاب بهم وكأنه كان شاهدا لذلك فحسرى ما فاتهم من الامعان والسلامة من العذاب وقيل انما خاطبهم بذلك

أقتله وأخذ معه حديد فاستقبله وهو منقلب فقال يا هايل تقبل قربانك وورد على قرباني لاقتلك فقال هايل قربت أطيب ليكون مالي وقرب أنت أحب ما لك فان الله لا يقبل الا الطيب انما تقبل الله من المتقين فلما قاله اغضب فاقبل فرفع الحديد وشر به بها فقال ويلك يا قايل ان أنت من الله كيف يجزيك بعملك فقتله فطرحه في حوب من الارض وحى عليه شيأ من التراب وروى محمد ابن اسحق عن بعض أهل العلم بالكاب الاول ان آدم أمر ابنه قايل ان ينسكح اخته نومة هايل وأمر هايل أن ينسكح اخته نومة قايل فسلم لذلك هايل ورضي وأبى ذلك قايل وكره تكرم عن اخت هايل ورغب باختمه عن هايل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فانا أحق بائتي ويقول بعض أهل العلم بالكاب الاول كانت أخت قايل من أحسن الناس فضن بها عن أخيه وارادها لنفسه والله أعلم أي ذلك كان فقال له أبو يابني قرب قربا بنا ويقرب أخوك هايل قربا بنا فليقبل قربانه فهو أحق بها وكان (٣) قوله وتعيى له راعيا لا ادري كذا في الاصل وحرر

قائِل على بند الأرض وكان هابيل على رعاية الماشية فقبِل قايِل فمخا وقرب هابيل أبكاراً من أيكاريغته وبعضهم يقول قرب بقرة
 فأرسل الله ناراً أيضاً فأكلت قربان هابيل وترك قربان قايِل وبذلك كان يقبل القربان أذا قبله رواه ابن جرير وروى العوفي عن
 ابن عباس قال من شأنهم ما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل فيمنأ بنا آدم فعدان أذا قالوا قربنا
 قربانا وكان الرجل أذا قرب قرباً بأفرضه الله أرسل إليه ناراً فتأكله وإن لم يكن رضيه الله خبت النار فقربا قرباناً وكان أحدهما
 زاعياً وكان الآخر حراً وأما صاحب الغنم قرب خير غنمه واسمها وقرب الآخر بعض زرعهم فحانت النار فزلت بينهما فأكلت الشاة
 وترك الزرع وابن آدم قال لأخيه أمتني في الناس وقد علموا أنك قربت قرباً بنا فقبل منك ورد على فلا والله لا ينظر الناس إلى
 وأنت خير مني فقال لا تقل ذلك فقال له أخوه ماذا نبي اغما يتقبل الله (٣٢٥)

من المتقين رواه ابن جرير فهذا الأثر
 يقتضي أن تقرب القربان كان
 لأعن سبب ولاعن تدار في امرأه
 كما تقدم عن جماعة ممن تقدم
 ذكرهم وهو ظاهر القرآن أذا قربا
 قرباً باقتبل من أحدهما ولم يتقبل
 من الآخر قال لا تقل ذلك قال إنما
 يتقبل الله من المتقين فالسياق
 يقتضي أنه إنما غضب عليه وحده
 بقبول قربانه دون غيره المشهور عند
 الجمهور أن الذي قرب الشاة هو
 هابيل وأن الذي قرب الطعام هو
 قايِل وأنه تقبل من هابيل شاة
 حتى قال ابن عباس وغيره أنها
 الكبش الذي فسد به الذبيح وهو
 مناسب والله أعلم كذلك نص عليه
 غير واحد من السلف والخلف وهو
 المشهور عن مجاهد أيضاً ولكن
 روى ابن جرير عنه أنه قال الذي
 قرب الزرع قايِل وهو المتقبل منه
 وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ
 عنه جيداً والله أعلم وقوله إنما
 يتقبل الله من المتقين أي من أتى

ليكون عبداً لمن يأتي من بعدهم فينزع عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها ثم أي أن من
 نفسه أنه لم يبال جهداً في إبلاغهم الرسالة ومحض النصح ولكن أي أذاك فلم يقبلوا منه بحق
 عليهم العذاب ونزل بهم ما كذبوا به واستحلوه عن قتادة أن صالحاً قال لهم حين عقروا
 الناقة تمعوا ثلاثة أيام ثم قال لهم آية هلاككم إن تصبج وجوهكم غداً مصفرة واليوم
 الثاني حمرة واليوم الثالث مسودة فأصبحت كذلك فلما كان اليوم الثالث أقبلوا بالهلاك
 فكذبوا وتخطوا ثم أخذتهم الصيحة فأهدتهم وأخرج أحدهم حديث ابن عمر قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بالبحر لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن
 تكونوا أبائكم لم تكونوا أبائكم فلا تدخلوا عليهم إن يصيبكم مثل ما أصابهم وأصل
 الحديث في الصحيحين من غير وجه وفي لفظ لا جد من هذا الحديث قال المازن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم على تبول نزل بهم الحجر عند بيوتهم قيل وكانت الفرقة
 المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات
 صالح فسمى حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضرواء وقال قوم توفي
 صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة (و) أذكر (لوطاً) أذا قال
 لقومه أي وقت أن قال لقومه قال القار لوط مشفق من قولهم هذا ألبط بقلبي أي
 ألسن الأمانة لا تشفق وقال الزجاج ومن زعم أنه من لظت الحوض أذا لمسته بالطين فقد غلط لأن
 صرف لوط هو ابن هارن بن تارخ فهو ابن أخي إبراهيم وليس من أنبياء بني إسرائيل
 وكان يابل بالعراق فهاجر إلى الشام فنزل إبراهيم أرض فلسطين ونزل لوط بالاردن وهي
 قرية بالشام وبه الله الأمة يقال لها سدوم بالذال المعجمة وهي بلد يمحض (أنثاؤن)
 الخصلة (الفاحشة) الخسيسة المتفادية في الفحش والقبح وهي أديار الرجال قاله ابن
 عباس قال ذلك إنكاراً عليهم وتوبيخاً لهم (ما سبقكم به من أحد من العالمين) أي لم

الله في فعله ذلك وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا إبراهيم بن العلاء من زيد حدثنا السميع بن عباس حدثني صفوان بن عمرو عن
 تميم يعني ابن مالك المقرئ قال سمعت أبا الدرداء يقول إنما يتقبل الله من المتقين وحدثنا أي حدثنا عبد الله بن عمران حدثنا إسحق
 ابن سليمان يعني الرازي عن الغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حرة قال كنت جالساً عند أبي وائل فدخل علينا رجل فقال له أبو
 عفيف من أصحاب معاذ فقال له سفيان بن مسلمة أي أبا عفيف لا تتحدثنا عن معاذ بن جبل قال بل سمعته يقول يتخس الناس في بقيق
 وأخذ فينادي منادين المتقون فيقومون في كف من الرحمن لا يجيب الله منهم ولا يستترق من المتقون قال قوم ألقوا
 الشر والعبادة الاوثان وأخلصوا العبادة فيرون إلى الخسنة وقوله لن يسط يدك لتقتلني ما أيا سيط يدك لا تقل أني
 أخاف الله رب العالمين يقول له أخوه الرجل الصالح الذي تقبل الله قربانه ليقواه حين يوافيه أخوه بالقتل على غير ما ذنب منه إليه

وابن ماجه من طريق حماد بن زيد عن أبي عمران عن اشعث بن طريف عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر بنحوه قال أبو داود
ولم يذكر اشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وقال ابن مردويه حديثنا محمد بن علي بن دحيمة حديثنا أحمد بن حنبل
قصة بن عقبة حديثنا سفيان عن منصور عن ربعي قال كلني جنازة حذيفة فسمعت رجلا يقول سمعت هذا يقول في اناس مما
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقتصم لا تطرن الى اقصى بيت في داري فلا تجنسه فلئن دخل على فلان لا أقول
هابي يا بني وانك فاء كون كخبر ابي آدم قوله اني اريد ان تبوء يا بني وانك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين قال ابن
عباس ومجاهد والفخاك وقتادة والسدي في قوله اني اريد ان تبوء يا بني وانك أي بانتم قتلي وانك الذي عليك قتل ذلك قاله ابن
جرير وقال آخرون يعني بذلك اني اريد ان تبوء بخصيتي فتحمّل وزرها (٢٢٧) وانك في قتلك اياي وهذا قول وجده عن

مجاهد واخشي ان يكون غلط لان
الصحيح من الرواية عنه خلافه
يعني ما رواه سفيان الثوري عن
منصور عن مجاهد اني اريد ان تبوء
يا بني وانك قال بما كان منك قبل
ذلك وكذا روى عيسى بن أبي شريح
عن مجاهد بمثله وروى شبل عن
ابن أبي شريح عن مجاهد اني اريد ان
تبوء يا بني وانك يقول اني اريد ان
يكون عليك خطي ودي وتبوء
بهما جميعا قلت وقد يتوهم كثير من
الناس هذا القول وبذ كرون في
ذلك حديثا لأصله ماترك القاتل
على المقتول من ذنب وقد روى
الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه
هذا ولكن ليس به فقال حديثا عرو
ابن علي حديثا عمار بن ابراهيم
الاصماني حديثا يعقوب بن عبد
الله حديثا عتبة بن سعيد عن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل الصبر لا عري بذب

عليهم (انهم اناس يتطهرون) أي يتزهدون من ادبار الرجال والنساء والتطهر لتعليل لما
امر واهم من الاخراج ووصفهم بالتطهر يمكن ان يكون على حقيقته وانهم ارادوا ان
هو لا يتزهدون عن الوقوع في هذه الفاحشة فلا يساكنوننا في قريتنا ويحتمل انهم قالوا
ذلك على طريق السخرية والاستهزاء وقيل ان البعد عن المعاصي والا تأم باسم طهارة
فن تاعد عنهم ما فقد تطهر (فانجيئناه واهله الامراء) كانت من الغابر بن) اخبر سبحانه
اننا انجي لوطا واهله المؤمنين به وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب والمراد باهله
واستثنى امرأته من الاهل لكونهم لم تؤمن به والمعنى انها كانت من الباقيين في عذاب
الله لانها كانت كافرة يقال غير الشيء اذا مضى وغبر اذا بقي فهو من الازداد وحكي ابن
فارسي في المجل عن قوم انهم قالوا الماضي عابر بالمهمله والباقي غابر بالمجهمه وقال
الزجاج من الغائبين عن النجاة وقال أبو عبيد المعنى من المعمرين وكانت قد هربت
وانى عليها دهر طويل ثم هلكت واكثر أهل اللغة على ان الغابر الباقي قال سعيد بن أبي
عروبة كان قوم لوط أربعة آلاف ألف ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال
(وأما مطرنا عليهم مطرا) قيل أمطر بمعنى ارسل المطر وقال أبو عبيد مطر في الرحمة وأما
في العذاب وهذا امر دود بقوله تعالى هذا عارص مطرنا فانهم اتعابوا بذلك الرحمة وهو
من أمطر رباعيا ومطر بمعنى واحد والمعنى هنا ان الله أمطر عليهم بخار من سجيل
قد بخت بالكبريت والنار (فانظر كيف كان عقوبة المجرمين) هذا خطاب لكل من يصلح
لذا ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله الاصمعي في تفسيره وسيأتي في هود قصة لوط بأين
مما هنا قال مجاهد نزل جبريل فادخل جناحه تحت مدين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى
السما ثم قلبها فجعل اعلاها سفلا ثم اتبعوا بالجارحة (وراسنا) (الى مدين) اسم قبيلة
وقيل اسم بلد والاول اولى وسميت القبيصة باسم ابيهم وهو مدين بن ابراهيم كما يقال بكر

الاحياء وهذا هذا الاصبح ولو صح فعنه ان الله يكفر عن المقتول بالم القتل ذنوبه فاما ان تحمل على القاتل فلا ولكن قد يتفق هذا
في بعض الاشخاص وهو الغالب فان المقتول يطالب القاتل في العرصات فيؤخذ منه من حسنة به بقدر مظنة فان فقدت لم
يستوف حقها أخذ من سيئات المقتول فطرح على القاتل فربما لا يبق على المقتول خطيئة الا وضعت على القاتل وقد صح
الحديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم كلها والقتل من اعظمها واشدها والله أعلم واما ابن جرير فقال والصواب
من القول في ذلك ان يقال اننا نؤيده اني اريد ان تبوء يا بني وانك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين قال ابن
عباس ومجاهد والفخاك وقتادة والسدي في قوله اني اريد ان تبوء يا بني وانك أي بانتم قتلي وانك الذي عليك قتل ذلك قاله ابن
جرير وقال آخرون يعني بذلك اني اريد ان تبوء بخصيتي فتحمّل وزرها (٢٢٧) وانك في قتلك اياي وهذا قول وجده عن
مجاهد واخشي ان يكون غلط لان
الصحيح من الرواية عنه خلافه
يعني ما رواه سفيان الثوري عن
منصور عن مجاهد اني اريد ان تبوء
يا بني وانك قال بما كان منك قبل
ذلك وكذا روى عيسى بن أبي شريح
عن مجاهد بمثله وروى شبل عن
ابن أبي شريح عن مجاهد اني اريد ان
تبوء يا بني وانك يقول اني اريد ان
يكون عليك خطي ودي وتبوء
بهما جميعا قلت وقد يتوهم كثير من
الناس هذا القول وبذ كرون في
ذلك حديثا لأصله ماترك القاتل
على المقتول من ذنب وقد روى
الحافظ أبو بكر البزار حديثا يشبه
هذا ولكن ليس به فقال حديثا عرو
ابن علي حديثا عمار بن ابراهيم
الاصماني حديثا يعقوب بن عبد
الله حديثا عتبة بن سعيد عن
هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتل الصبر لا عري بذب

وانما يؤخذ القاتل بانما يقتل المحرم وسائر آفام معاصيه التي ارتكبها بنفسه دون ما تركه قتله هذا الظن ثم اورد سؤالا حاصله كيف اراد هابيل ان يكون على اخيه قاتل ثم قتله وانما نفسه مع ان قتله محرم واجاب بما حاصله ان هابيل اخبر عن نفسه بان له قاتل اخاه ان قاتله بل يكف عنه يد طالiban وقع قتل ان يكون من اخيه لانه قتله وهذا الكلام متضمن موعظة له لولا تعظ وزجر لوان جز وليذا قال اني اريد ان تسميائي واغتلت فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين وقال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر وقوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه قتله فاصبح من الخاسرين أي خست وسولت له نفسه وشجعته على قتل اخيه فقتله أي بجديده هذا الذي قد تقدم في الرواية عن أبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين انه قتله بجديده في يده وقال السدي عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس (٢٢٨) وعن مرة عن عبد الله وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فطوعت له نفسه قتل اخيه قتله

وتيم وقيل مدين اسم الماء الذي كانوا عليه وقيل مشترك بينهما (اخاهم شعيبا) وهو شعيب بن ميكائيل بن يشجب بن مدين بن ابراهيم قاله عطاء وابن اسحق وغيرهما وقال الشريفي بن القطامي انه شعيب بن عفيف بن ثوب بن مدين بن ابراهيم وزعم ابن سعد انه شعيب بن حرة بن يشجب بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقال ابن اسحق هو شعيب بن مكيل بن شجر بن مدين بن ابراهيم وأم مكيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن شيرون بن مدين وقال قتادة هو شعيب بن صفوان بن عفيف بن ثابت بن مدين عن عكرمة والسدي قالوا ما بعث الله نبيا منهم الا اشعبا مره الى مدين فاخذتهم الصيحة وهرقوا الى اصحاب الايكة فاخذهم الله بعد ذاب يوم الظلة وكان شعيب أعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لمحسن مر اجعته قومه وكان قومه اهل كفر ويحس في المكيال والميزان (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الاله غيره) قد سبق شرحه في قصة نوح (قدمتكم بينة من ربكم) قد سبق تفسيره ايضا ولم يتبين هذه المعجزه في القرآن العظيم كما كثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان المراد بها نفسه وقيل ان المراد بها قوله (قاو قوا الكيل والميزان) وقيل غير ذلك وامرهم بايضا الكيل والميزان لانهم كانوا اهل معاملة بالكيل والوزن وكانوا لا يوفونهم ما وذر الكيل الذي هو المصدر وعطف عليه الميزان الذي هو اسم للاكالة واختلف في توجيه ذلك فقيل المراد بالكيل المكيال فيناسب عطف الميزان عليه وقيل المراد بالميزان الوزن فيناسب الكيل والمعنى أعوهما وأعطوا الناس حقوقهم (ولا تبغوا الناس اشيائهم) البغى النقص وهو يكون بالتعيب للسلعة او الترهيد فيها واتخاذها لصاحبها والاحتيايل عليه وكل ذلك من اكل اموال الناس بالباطل وظاهر الآية انهم كانوا يتبخسون في كل الاشياء وقيل كانوا مأكسين يتكسبون كل ما دخل الى أسواقهم وقال ابن عباس لا تبغوا أي لا تطلبوا الناس

فطوعت له نفسه قتل اخيه قتله لمقتله فراغ الغلام منه في رؤس الحبال فاناه يوم امن الايام وهو يرى غمالة وهو نام فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات فتركه بالعراء ورواه ابن جرير وعن بعض اهل الكتاب انه قتله خنقا فمات كما تقتل السباع وقال ابن جرير لما اراد ان يقاتله جعل يلوى عذة فاخذ ابليس دابة ووضع راسها على حجر ثم أخذ حجرا آخر ف ضرب به راسها حتى قتله وابن آدم ينظر ففعل بأخيه مثل ذلك ورواه ابن أبي حاتم وقال عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن ابن زبد بن أسلم عن أبيه قال اخذ برأسه ليقطعه فاضطجع له وجعل يغمس رأسه وعظامه ولا يدري كيف يقتله فجاءه ابليس فقال أتريد ان تقتله قال نعم قال فخذ هذه الصخرة فاطرحها على رأسه قال فاخذها فانقاها عليه فشدخ رأسه

وبه

ثم جاءه ابليس الى حواء مسرعا فقال يا حواء ان قاتل هابيل فقالت ويحك أي شيء يكون القتل قال لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك قالت ذلك الموت قال فهو الموت فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم وهي تصيح فقال نالك فلم تكلمه فخرج اليها مرتين فلم تكلمه فقال عليك الصيحة وعلى شائك وانا وبني منها برأء رواه ابن أبي حاتم وقوله فاصبح من الخاسرين أي في الدنيا والآخرة وأي خسارة أعظم من هذه وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية ووكيع قالوا حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلم الا كان على ابن آدم الاول كفضل من دمها لانه كان أول من سن القتل وقد اخرجه الجماعة سوى ابى داود من طرق عن الاعمش به

وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثني حجاج قال قال . . . فقلت لعبدى رجل القاتل بساقها الى
 فخذها من يومئذ ووجهه في الشمس حيثما دارت دار عليه في الصيف خفيفة ومن نار وعلية في الشتاء خفيفة من ثلج قال وقال عبد
 الله بن عمر ان العبد ابن آدم القاتل يقاسم أهل النار قسمة صحيحة العذاب عليه شطر عذابهم قال ابن جرير حدثنا ابن جندب حدثنا
 سلمة عن ابن اسحق عن حكيم بن حكيم انه حدث عن عبد الله بن عمر انه كان يقول ان أسنى أهل النار رجلان آدم الذي قتل أخاه
 مامق دم في الارض منذ قتل أخاه الى يوم القيامة الا الحق به منه شرو ذلك انه أول من سن القتل وقال ابراهيم النخعي ما من
 مقتول يقتل ظلم الا كان على ابن آدم الاول والسيطان كفل منه رواه ابن جرير أيضا قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض
 ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يابوتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي

(٣٢٩)

فأصبح من النادمين وقال السدي
 بإسناده المتقدم الى الصحابة رضى
 الله عنهم لما مات الغلام تركه
 بالعري ولا يعلم كيف يدفن فبعث
 الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل
 أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثي
 عليه حنينا فلما رآه قال يابوتى
 أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب
 فأواري سوءة أخي وقال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس قال جاء غراب
 الى غراب ميت فحثى عليه من
 التراب حتى واره فقال الذي قتل
 أخاه يابوتى أعجزت أن أكون
 مثل هذا الغراب فأواري سوءة
 أخي وقال الضحاك عن ابن عباس
 مكث يحسب أخاه في جراب على
 عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين
 فرأهما فقال أعجزت أن أكون
 مثل هذا الغراب فأواري سوءة
 أخي فأصبح من النادمين رواه

وبه قال قتادة (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بعد أن أصلحها الله
 ببعثة الرسل وأقامة العدل قبل كانت الارض قبل ان يبعث الله شعيبا رسولا تعمل
 فيها المعاصي وتفسد فيها المحارم وتفسد فيها الدماء فذلك فسادها فلما بعث الله شعيبا
 ودعاهم الى الله صلحت الارض وكل شيء يبعث الى قوم فهو صلاحهم ويدخل تحتها
 قليل الفساد وكثيره ودقيقه وجليله (ذلكم) إشارة الى العمل بما أمرهم به وترك
 ما نهاهم عنه (خير لكم) المراد بالخير به هنا الزيادة المطلقة لانه لا خير في عدم إبقاء
 الكيل والوزن وفي بخس الناس وفي الفساد في الارض أصلا (ان كنتم مؤمنين) أي
 مصدقين بما أقول ومريدن الايمان فبادروا اليه (ولا تفسدوا) لهم (بكل صراط)
 محسوس (تعودون) الصراط الطريق قيل كانوا يفسدون في الطرقات المفضية الى
 شعيب فيتعودون من أراد الحجى اليه ويقولون انه كذاب فلا تذهب اليه كما كانت
 قريش تفعله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن عباس وقتادة ومجاهد
 والسدي وغيرهم وقيل المراد القعود على طرق الدين ومنع من أراد سلوكها وليس المراد
 به القعود على الطرق حقيقة ويؤيده وتصدون عن سبيل الله من آمن به كسأفئ وقيل
 المراد بالآية النهي عن قطع الطريق وأخذ السلب وكان ذلك من فعلهم وقيل انهم
 كانوا عشارين يأخذون الجباية في الطرق من أموال الناس فنهوا عن ذلك والقول
 الاول أقرب الى الصواب مع انه لا مانع من حمل النهي على جميع هذه الأقوال المذكورة
 والمعنى لا تفسدوا بكل طريق موعدين لاهله ولم يذ كر الموعظه لتذهب النفس كل
 مذهب (وتصدون عن سبيل الله) أي صادين عنه باغين لها عوجا والمراد بالصد عنه صد
 الناس عن الطريق الذي قعدوا عليه ومنه هم من الوصول الى شعيب فان سألوا الناس
 في ذلك السبيل للوصول الى نبي الله هو سألوا سبيل الله والضمير في (من آمن به) يرجع
 الى الله وإلى السبيل وإلى كل صراط وإلى شعيب (وتبعوهم عوجا) أي تطلبون سبيل

(٤٢ - فتح البيان ثالث) ابن جرير وابن أبي حاتم وقال عطية العوفي لما قتله ندم فضمه اليه حتى أروح وعكفت عليه الطيور
 والسباع تنظر متى يرحى به فتأكله رواه ابن جرير وروى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول لما قتله سقط في يده أي
 ولم يدرك كيف يواريه وذلك انه كان فيما يرمعون أول قتل في بني آدم وأول ميت فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
 سوءة أخيه قال يابوتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين قال وزعم أهل التوراة ان
 قابيل لما قتل أخاه هابيل قال له الله يا قابيل أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقبيا فقال الله ان صوت دم أخيك ليناديني
 من الارض الآن أنت ملعون من الارض التي فحمت فاهافتقت دم أخيك من يدك فان أنت عملت في الارض فانها لا تعود
 تعطيك سرتها (٣) حتى تكون فرعا منها في الارض وقوله فأصبح من النادمين قال الحسن البصري علاه الله بندامة بعد خسار
 (٣) قوله حتى تكون فرعا منها في الارض وقوله فأصبح من النادمين قال الحسن البصري علاه الله بندامة بعد خسار

فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على أن هذين ابنا آدم أصليه كما هو ظاهر القرآن وكما نطق به الحديث في قوله
 الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها الا هذا ومن بين القتل وهذا نظيره حتى ليكن قال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا سفيان
 ابن يوسف عن عمر بن الحسن هو البصري قال كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله وابل عليهما بنو آدم بالحق من بني
 اسرائيل ولم يكنوا بنو آدم اصليه وانما كان القر يان في بني اسرائيل وكان آدم اول من مات وهذا غير بعيد وفي اسناده نظر
 وقد قال عبد الرزاق عن معمر بن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني آدم عليه السلام ضربا بالهذه الامة مثلا
 نخذوا بالخبر منها ورواه ابن المبارك عن عاصم الاجول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب لكم ابني
 آدم مثلا لخذوا من خبرهم ودعوا شرهم (٢٣٠) وكذا أرسل هذا الحديث بكر بن عبد الله المزني روى ذلك كله ابن

الله ان تصكون معوجة غير مستقيمة وقيل معناه تلتصقون لها الزنح والضلال
 ولا تستقيمون على طريق الهدى والراشدين قد سبق الكلام على العوج وقال الزاج كسر
 العين في المعاني وقصها في الاجرام (واذ كروا) نعمته عليكم (اذ كنتم) أي عديكم
 أو مالكم أو قوتكم (قليلًا فكنتم) بالنسل والقوة والغناء (وانظروا كيف كان عاقبة
 المفسدين) قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا ربه فان
 الله أهلهم وأزل بهم من العقوبات مآذ بهم ومخآئهم وأقر بهم اليك قوم لوط
 فانظروا كيف أنزل الله عليهم حجارة من السماء (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي
 أرسلنا به) اليكم من الاحكام التي شرعها الله لكم (وطائفة) منكم (لم يؤمنوا) به
 (فاصبروا) أي انتظروا (حتى يحكم الله بيننا) وبينكم (وهو خير الحاكمين) أي أعدهم
 هذا من باب التهديد والوعيد الشديد لهم وليس هو من باب الامر بالصبر على الكفر وحكم
 الله بين الفريقين هو نصرا المحقين على المبطلين ومثله قوله تعالى فترصوا انامكم مترصون
 أو هو امر المؤمنين بالصبر على ما يحل بهم من أذى الكفار حتى ينصرهم الله عليهم وقيل
 للفريقين وهذا هو الظاهر (قال الملا الذين استسكبروا) أي الاشراف المستكبرون
 عن الايمان (من قومه) استناف ياتي كافة قيل غادا قالوا بعد جماعهم هذه المواظ
 من شعيب (الفرح بك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أوتعتدون في ملتنا) لم
 يكتفوا بترك الايمان والتمرد عن الاجابة الى ما دعاهم اليه بل جاوزوا ذلك لغيره بطرا
 وأشر الى توعد نبيهم ومن آمن به بالاخراج من قريتهم أو وعدهم في ملتهم الكفر به أي
 لا دمن أحد الامر من اما الاخراج أو العود ومقصودهم الاضي هو العود وانما ذكر النبي
 والاجل المحض التسر والجاه كما يفسح عنه عدم تعرضه لجواب الاخراج على ما هو ظاهر
 النظم وتوسيط النداء بسبعه العلي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن
 غاية الوفاحة والطغيان أي والله لنخرجنك وتابعك وانما يقولوا أوله عيسدكم على

جرير وقال سالم بن أبي الجعد
 لما قتل ابن آدم أخاه مكث آدم مائة
 سنة حزينا لا يفتح ثم أتى فقيل له
 جبال الله زبالة أي أضحكك رواء
 ابن جرير ثم قال حدثنا ابن جعد
 حدثنا سفيان عن غياث بن ابراهيم
 عن أبي اسحق الهمداني قال قال
 علي بن أبي طالب لما قتل ابن آدم
 أخاه بكاه آدم فقال

تغيرت البلاد ومن عليا
 فلون الارض مغبر قبيح
 تغير كل ذي لون وطعم
 وقل بشاشة الوجه الملبج
 فأجيب آدم عليه الصلاة والسلام
 أياها بيل قد قتلنا جميعا
 وصار الخي باليت الذبيح
 وجاء بشمر قد كان منه
 على خوف فجاءهم اصبح
 والظاهر أن قابيل عوجل
 بالعقوبة كما ذكره ابن مجاهد وابن جرير
 أنه علق ساقه بغضده يوم قتله
 وجعل الله وجهه الى الشمس حيث

دارت عقوبة له وتنبه لآله وقد ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
 قال ما من ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البقي وقطعة من الرحم وقد اجتمع في قيل قابيل
 هذا وهذا فان الله وانا الهه را حعون (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا غفر نفس أو فسدا في الارض فكا مما
 قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرًا منهم بعد ذلك في الارض
 لسرفون المتجاوزين لحد الله ورسوله لم ينعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلوا أو يتقطع أيديهم وأرجلهم من
 خلاف أو ينقضوا الارض ذلك لهم حرم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن نتقدر عليهم فعلموا ان
 الله غفور رحيم) يقول تعالى من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلموا وعدوا ناكثا على بني اسرائيل أي شرعنا لهم وأعلمناهم انه

من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا أي من قتل نفسا بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض واستقل قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنما قتل الناس جميعا لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ومن أحياها أي حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار ولهذا قال فكأنما أحيا الناس جميعا وقال الاعشى وغيره عن أبي صالح عن أبي هريرة قال دخلت على عثمان يوم الدار فقلت جئت لأتصغر لك وقد طاب الضرب يا أبا عبد الله المؤمن فقال يا أبا هريرة أيسر لك أن تقتل الناس جميعا وأبى معهم قلت لا قال فان أن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتل الناس جميعا فانصرف مأذونا لك ما جورا غير مأذور قال فانصرف ولم أقاتل وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو كما قال الله تعالى من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا (٢٣١)

قتل نفسا حرمها الله فذلك الذي أحيا الناس جميعا يعني أنه من حرم قتلها بحق حي الناس منه وهكذا قال مجاهد ومن أحياها أي كف عن قتلها وقال العوفي عن ابن عباس في قوله فكأنما قتل الناس جميعا يقول من قتل نفسا واحدة حرمها الله فهو مثل من قتل الناس جميعا وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعا ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعا وهذا قول وهو الاظهر وقال عكرمة والعوفي عن ابن عباس من قتل نبيا أو امام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن شدد على عضد نبي أو امام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا رواه ابن جرير وقال مجاهد في رواية أخرى عنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس وذلك لأنه من قتل النفس فله النار فهو كالو قتل الناس جميعا قال ابن

طريقه ما قبله ما إن مر أدهم العود بطريق الاختيار وصوره الطوعية وكلمة عادلهما في إسنادهما استعملان أحدهما وهو الأصل إلى ما كان عليه من الحال الأولى والثاني استعملها بمعنى صار قال السمين واستشكوا على كونهم بمنعها الأصلي أن شعيب الميكن قط على دينهم ولا في ملتهم فكيف يحسن أن يقال أو لتعودن أي ترجعن إلى حالتكم الأولى والخطاب له ولا تباعه وقد أجيب عن ذلك بثلاثة أوجه أحدها أن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبس على العوام والايهام لهم أنه كان على دينهم وعلى ملتهم الثاني أن يرد بعوده رجوعه إلى حاله قبل بعثته من السكوت لأنه قبل أن يبعث إليهم كان يخفي إيمانه وهو ساكت عنهم يرى من معبوداتهم غير الله الثالث تغليب الجماعة على الواحد لأنهم لما أحببوا مع قومه في الانخارج حكموا عليه وعليهم بالعود إلى الملة تغليبا لهم عليه وأما إذا جعلناها بمعنى صار فلا إشكال في ذلك إذ المعنى التصريح في ملتنا بعد أن لم تكونوا وفي ملتنا حال على الأول خبر على الثاني وعدي عادي في الظرفية تنبيه على أن الملة صارت لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم انتهى الأولى ما قال الزجاج يجوز أن يكون العود بمعنى الابتداء يقال عاد إلى من فلان مكره أي صار وان لم يكن مسبقه مكره قبل ذلك فلا يرد ما يقال كيف يكون شعيب على ملتهم الكفرية من قبل أن يبعثه الله رسولا ويحتاج إلى الجواب بتغليب قومه المتبعين له عليه في الخطاب بالعود إلى ملتهم والقرية هي مدين وبينها وبين مصر ثمانية أميال (قال أولو كذا كاريهن) الهمة لا تنكار وقوع ما طلبوه من الانخارج أو العود أي أتعيدوننا في ملتكم حال كراهتنا للعود إليها أو اقتضوا شئنا من قريستكم في حال كراهتنا للخروج منها أو في حال كراهتنا للامرين جميعا والمعنى أنه ليس لكم أن تكرهوا على أحد الأمرين ولا يصح لكم ذلك فإن المصكره لا اختيار له ولا تعذر موافقته مكرها موافقة ولا عوده إلى ملتكم مكرها عودا وبهذا التقرير يرفع ما استشكله كثير من المفسرين في هذا المقام حتى تسبب عن ذلك تطويل ذيول

جريح عن الأعرج عن مجاهد في قوله فكأنما قتل الناس جميعا من قتل النفس المؤمنة جعل الله جزاءه جهنم وغضب عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا يقول لو قتل الناس جميعا لم يزد على مثل ذلك العذاب قال ابن جرير قال مجاهد ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا قال من لم يقتل أحدا فقد حيي الناس منه وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من قتل نفسا فكأنما قتل الناس يعني فقد وجب عليه القصاص فلا فرق بين الواحد والجماعة ومن أحياها أي عفا عن قاتل وليه فكأنما أحيا الناس جميعا وحكي ذلك عن أبيه زاده ابن جرير وقال مجاهد في رواية ومن أحياها أي أنجىها من غرق أو حرق أو هلكة وقال الحسن وقتادة في قوله أنه من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا هذا تعظيم لتعاطي القتل قال قتادة عظيم والله وزرعه عظيم والله أجرها وقال ابن المبارك عن سلام بن مسكين عن سليمان بن علي الربيعي قال قلت للحسن هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لنبى إسرائيل فقال

اي والذي لا اله غيره كما كانت لبني اسرائيل وما جعل دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دماءنا وقال الحسن البصري فكأنما
 قتل الناس جميعا قال وزرنا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا قال أجرة وقال الامام أحمد حدثنا ابن لهيعة حدثنا يحيى بن
 عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو قال جاء جرة بن عبد المطلب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 نار رسول الله اجعلني على شيء أعيش به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جرة تقس تحببنا أحب اليك أم تقس تنفثها قال بل نفس
 أحبيها قال عليك بنفسك قوله تعالى ولقد جاءتهم ربنا بالبينات أي بالبرهان والبراهين والدلائل الواضحة ثم ان كثير منهم بعد ذلك
 في الارض لم يرففوا وهذا تقرير لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بشور رظة والنزير وغيرهم من بني
 قينقاع من حول المدينة من اليهود الذين (٢٣٢) كانوا يقاتلون مع الاوس والخزرج اذا وقعت بينهم الحروب في

الكلام (قد افترى على الله كذبا ان عدنا في ملتكم) التي هي الشرك والجملة
 استثناف اخبار فيه معنى التعجب قاله الزمخشري كأنه قيل ما كذبنا على الله ان عدنا
 في الكفر وأنه جواب قسم محذوف والتقدير والله لقد افترى ما وجعله ابن عطية احتمالا
 (بعد انخبا الله منها) بالايان فلا يكون معاود اليها أصلا (وما يكون) أي ما يصح
 (لنا) ولا يستقيم ولا ينبغي (أن نعود فيها) بحال من الاحوال (الآن يشاء الله) أي الا
 في حال وقت مشيئة الله عودنا فانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن قال الزجاج أي الاجمعة
 الله عز وجل قال وهذا قول أهل السنة والمعنى انه لا يكون معاودا الى الكفر الا ان
 يشاء الله ذلك فالاستثناء منقطع وقيل ان الاستثناء هنا على جهة التسليم لله عز وجل كافي
 قوله وما توفيق الا بالله وقيل هو كقولهم لا أكلت حتى يبض الغراب وحق بلغ الجبل
 في سم الخياط والغراب لا يبض والجبل لا يلغ فهو من باب التعليق بالمحال ولم تزل الانبياء
 والا كابر يخافون العاقبة والقلب الامر الاتري الى قول الخليل واجنبي وبني ان تعبد
 الاصنام وكان ينيصلى الله عليه وآله وسلم كثيرا يقول يا قلب القلب ثبت قلبي على
 دينك وقيل المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها أي القرية بعد ان حرمت مجاورتنا لكم
 الآن يشاء الله عودنا اليها (وسمع ربنا كل شيء علما) أي أحاط علمه بكل المعلومات
 فلا يخرج عنه من شيء (على الله توكلنا) أي عليه نعتمد واليه نستند في ان يثبتنا على
 الايمان ويجعل حولنا بينا وبين الكفر وأهله ويتم علينا نعمته ويعصمنا من تقهته (ربنا
 افق بينا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) اعراض عن مكالمتهم لما ظهر له من شدة
 عنادهم بحيث لا يتصور منهم الايمان واقبال على الله بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق
 بحال كل من الفرقين أي احكم بيننا بالحق والفتاحة بالضم الحكومة وحكمه سبحانه
 لا يكون الا بنصر المحققين على المظلمين كما أخبرنا به في غير موضع من كتابه وكأنهم طلبوا
 نزول العذاب بالكافرين وحاولوا نعمة الله بهم قال القراء ان أهل عمان يسمون القاضي

الجاهلية ثم اذا وضعت الحروب
 أو زارها فدا من أسره وودوا من
 قتله وقد أنكر الله عليهم ذلك في
 سورة البقرة حيث يقول واذا اخذنا
 منكم ميثاقا لتسفكون دماءكم ولا
 تخرجون أنفسكم من دياركم ثم
 أقررتم وأنت تمشدون ثم أنت هم ولا
 تقاؤون أنفسكم وتخرجون فريقا
 منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
 بالاثم والعدوان وان يأتوكم أسارى
 تفادوهم وهو حرم عليكم
 اخراجهم أفقونهم ببعض
 الكتاب وتكفرون بعض فاجزاء
 من يفعل ذلك ينكحكم الاخرى في
 الحماقة الدنيا ويوم القاصمة يردون
 الى أشد العذاب وما الله بغافل عما
 تعملون قوله انما جزاء الذين
 يحاربون الله ورسوله ويسعون في
 الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا
 أو تقطع أيديهم وأرجلهم من
 خلاف أو ينفوا من الارض الآية
 المحاربة هي المضادة والمخالفة وهي

صادقة على الكفر وعلى قطع الطريق واخافة السبيل وكذا الافساد في الارض يطلق على أنواع
 من الشر حق قال كثير من السلف منهم سعيد بن المسيب ان قرض الدراهم والذنان من الارض وقد قال الله تعالى واذا
 تولي سعي في الارض لفسد فيها وبها الحارث والنسل والله لا يحب الفساد ثم قال بعضهم زلت هذه الآية الكريمة في المشركين
 كما قال ابن جرير حدثنا ابن جندب حدثنا يحيى بن زاذع حدثنا الحسن بن واقد بن زيد عن عكرمة والحسن البصري قال انما جزاء
 الذين يحاربون الله ورسوله الى ان الله عفو رحيم زلت هذه الآية في المشركين فمن تاب منهم من قبل ان يقتلوا وعليه لم يكن عليه
 سبيل وليست تخرجه الآية الرجل المسلم من الجدان قتل أو أفسد في الارض أو حارب الله ورسوله ثم أخفق بالكفر وقبل ان يقتل
 عليه لم يتعه ذلك ان يقام عليه الحد الذي اصاب ورواه أبو داود والنسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس انما جزاء الذين يحاربون

الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا زلت في المشركين فمن تاب منهم قيل أن يقدر عليهم لم ينج ذلك أن يقام عليه الجذ الذي أصابه وقال علي بن أبي طلحة عن أبي في قوله انما جاءه الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا الآية قال كان قوم من أهل الكتاب منهم وبن النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخير الله رسوله أن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف روه ابن جرير وروى شعبة عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد عن أبيه قال زلت في الحروب انما جاءه الذين يجارون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا رواه ابن مردويه والصحاح انما عامته في المشركين وغيرهم ممن ارتكب هذه الصفات كإرواه البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبد الله بن زيد الحر البصري عن أنس بن مالك أن نقران من عكل ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أن لا تحرجوا مع

(٢٣٣)

راعيها في الله فقصصوا من أبو الهيا وألبانهم فقالوا بلى فخر جوا فشرروا من أبو الهيا وألبانهم ففجوا فقتلوا الرعي وطردوا الأبل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في أنارهم فادر كوا فيهم فأمر بهم ففقتع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماو الفظ مسلم وفي لفظ لهما من عكل أو عريضة وفي لفظ ألقوا في الحرة فجعلوا يستسقون فلا يسقون وفي لفظ مسلم ولم يصحبهم وعند البخاري قال أبو قلابة فهو لا مسرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله ورواه مسلم من طريق هشيم عن عبد العزيز بن صهيب ووجد عن أنس بنحوه وقال سعيد بن قتادة من عكل وعريضة ورواه مسلم من طريق سليمان التيمي عن أنس قال انما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أعين أولئك لأنهم سملوا أعين الرعاة

النافع والفتاح وقال غيره من أهل اللغة هي لغتهم اذ هو هذا قول قتادة والسدي وابن جرير وجهور المفسرين وقيل لغة جبر وقال الزباج المعنى ربنا اظهر أمرنا حتى يتفتح بيننا وبين قومنا ويكشف وعلى هذا أفتح مجاز بمعنى اظهر وبين ومنه فتح المشكل لسانه وخيل تشبها به بفتح الباب وازالة الإغلاق حتى يوصل إلى ما خلقه (وقال الملا) الذين كفروا من قومه) يحتمل أن يكون هؤلاء هم الذين استكبروا ويحتمل أن يكونوا غيرهم من طوائف الكفار الذين أرسل إليهم شعيب (لئن أسمعتم شعيبا) أي دخلتم في دينه وتركتم دينكم (أنكم إذا أناسرون) في الدين أو الدنيا وخسرانهم هلاكهم أو ما يجسر وبه يسب إلقاء الكيل والوزن وترك الطغف الذي كانوا يعاملون الناس به وهو جواب القسم الموطن باللام قاله الزمخشري (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وقيل الرجفة كما في قوله وأخذت الذين ظلموا الصيحة ولعلها كانت في سبيل الرجفة فاستبدلوا بهم إلى السبب القريب نارة وإلى البعيد أخرى (فاصبحوا في دارهم جاعين) باركن على الركبتين قد تقدمتفسره في قصة صالح قال قتادة بعث الله شعيبا إلى أصحاب الأيكة وإلى مدين فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلمة وأما أهل مدين فأخذتهم الرجفة صالح بهم جبريل صيحة فلهذا كوا جميعا وروى أن الله تعالى حبس عنهم الرياح سبعة أيام ثم سخط عليهم الحرق حتى هلكوا (الذين كذبوا شعيبا كأنهم يغنوا فيها) جملة مدينة لما حل بهم من النعمة يقال غنيت بالمكان إذا أقت به وغنى القوم في دارهم أي طال مدة ما هم فيها والمغنى المنزل والجمع المغاني وهي المنازل التي بها أهلها والمعنى كأن لم يغيروا في دارهم أصلا ولم ينزلوها وما من الدهر فإن الله سبحانه استأصلهم بالعذاب وقيل المعنى كأنهم يعيشوا فيها مستعنين مستغنيين يقال غنى الرجل إذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر والاول أولى (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم أناسرون) هذه الجملة مستأنفة كالاولى متضمنة لبيان خسار القوم المكذبين وعادة الوصول والصلوة كما

رواه مسلم من حديث معاذ بن قرعة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر من عريضة فأسلموا وابعوا ووقع بالمدينة الموم وهو البرسام ثم ذكر نحو حديثهم وزاد عنده شباب من الأنصارى قريب من عشرين فارسا فرسلهم وبعث معهم قائما يقتلوا أثرهم وهذه كلها ألفاظ مسلم رحمه الله وقال جادين بآية حدثنا قتادة وثابت البناني وحميد الطويل عن أنس بن مالك أن ناسا من عريضة قدموا المدينة فتاجتو وهاجمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبل الصدقة وأمرهم أن يشرعوا من أبو الهيا فقتلوا ففجوا فارتدوا عن الإسلام وقتلوا الرعي وساقوا الأبل فإرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنارهم فقتل أيديهم وأرجلهم من خلاف ونشر أعينهم وألقاهم في الحرة قال أنس فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشا حتى ماو وزلت انما جاءه الذين يجارون الله ورسوله الآية وقد روهما أبو داود والترمذي والنسائي وابن مردويه وهذا القظه وقال الترمذي حسن صحيح وقد

رواه ابن مردويه عن طريق كثيرة عن أنس بن مالك منها ما رواه عن طريقين عن سلام إلى الصبيان عن ثابت عن أنس بن مالك قال فامدمت على حديث سأنعت على حديث سألني عنه الجحاج قال أخبرني عن أشد عقوبة عاقبها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من عرب منهم البحر من فشكلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا من بطونهم وقد اصفرت ألوانهم وشرت بطونهم فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأووا إلى الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها حتى إذا رجعت إليهم ألوانهم وانحطت بطونهم عمدوا إلى الراعي فقتلوه واستاقوا الأبل فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسعأ عنقهم ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا ثم ألقاهم في الرمضاء حتى ماتوا فكان الجحاج ينجح صلى الله عليه وسلم فذ قطع أيدي قوم وأرجلهم (٣٣٤)

هذه زيادة القريروا الايدان ما ذكر في حيز الصلاة هو الذي استوجب العقوبة بين (قولي) أي فأعرض (عنهم) شعيب شاخصا من بين أظهرهم لما شاهد من زول العذاب بهم (وقال) أي قبل زول العذاب أو بعده على قولين سبقي قصة صالح عليه السلام (واقوم لقدأ بلقتكم رسالاتي) التي أرسلني بها إليكم (ونصحت لكم) بيان ما فيه سلامته وسلامتكم ودينكم (فكيف آسى) أي أحرزن (على قوم كافرين) بالله مصرين على كفرهم متعدين عن الاجابة والاستجابة الحزن آسى على ذلك فهو آس قال شعيب هذه المقالة تحسر على عدم الايمان ثم على نفسه بانه كيف يقع منه الاساءة على قوم ليسوا بأهل الحزن عليهم لكفرهم بالله وعدم قبولهم لما جاء به رسول الله وأراد لقد أعذرت لكم في الأبلأغ والتحذير فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف أحرزن عليكم يعني انكم لستم مستحقين لأن يحزن عليكم والاول أوفى عن ابن عباس قال في المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسمعيل وقبر شعيب فقبر اسمعيل في الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود وعن وهب بن منبه ان شعيبا مات بمكة ومن معه من المؤمنين فقبروهم في غربي الكعبة بين دار الندوة وبين باب بني سهم وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم عن أبي اسحق قال ذكرني يعقوب بن أبي مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء الحسن مر اجعته قومه فمات يدهم به فلما كذبوه ووقعوه بالرحم والنقي من بلادهم وعتموا على الله أخذهم عذاب يوم الظلة (وما أرسلنا) لما فصل الله سبحانه أحوال بعض الانبياء مع أمهم المذكورون سابقا أجل حال سائر الامم المرسل اليها والمعنى ما أرسلنا في حال من الاحوال (في قرية) من القرى (من) مزينة لتوكيد النبي (ص) من الانبياء فكذبه أهلها (الآخذنا أهلها) استثناء مفرغ من أعم الاحوال (بالبأساء) أي البؤس وشدة الفقر (والضراء) أي بالضر وقال الزجاج البأساء كل ما ناله من الشدة في أموالهم والضراء كل ما ناله من الامراض

بهذا الحديث على الناس وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد يعني ابن مسلم حدثني سعيد عن قتادة عن أنس قال كانوا أربعة نفر من عربته وثلاثة من عكلى فلما أفيهم قطع أيديهم وأرجلهم وسعل أعينهم ولم يحسهم وتركهم بقلتهم من الحجارة الحارة فأنزل الله في ذلك انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا ابو مسعود يعني عبد الرحمن بن الحسن الزجاج حدثنا ابو سعيد يعني النبال عن أنس بن مالك قال كان رط من عربته أو أرسل الله صلى الله عليه وسلم بهم جهده مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فأمرهم أن يلحقوا بالأبل فيشربوا من أبوالها والبانها ففعلوا فصفت ألوانهم وخصت بطونهم وسمنوا فقتلوا الراعي واستاقوا الأبل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم فأتى بهم

فقتل بعضهم وسمر أعين بعضهم وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم ونزلت انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية فكتب اليه أنس يخبره ان هذه الآية تنزلت في أولئك النفر العربيين وهم من بجيلة قال أنس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الأبل وأحرقوا السبيل وأصابوا الفرج الحرام حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن أبي الزناد عن عبد الله بن عبيد الله بن عمرو وعمر بن عثمان بن نونس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك يعني بقصة العربيين ونزلت فيهم آية المحاربة ورواه أبو داود والنسائي من طريق أبي الزناد وفيه عن ابن عمر بن غير شك وقال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف حدثنا الحسن بن حماد عن عمرو بن هاشم عن موسى بن عبيدة عن محمد

ابن ابراهيم عن جرير قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا شدة وقلوا راءه اللقاح عامدين بها الى ارضهم فومهم فاجابهم ريفعني رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المسلمين حتى اذكرناهم بعد ما اشرفوا على بلاد قومهم فقد مناهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم فعملوا يقولون الماء ورسول الله ورسوله الى آخر الآية هذا حديث غريب وفي اسناده الزيد وفي اسناده فائدة وهو ذكر اكرم هذه السرية وهو جرير بن عبد الله الجبلي وقد تقدم في صحيح مسلم ان هذه السرية كانوا ثمانين فارسا من الانصار واما قوله فذكره الله صلى الله عليه وسلم الاعين فانزل هذه الآية فانه منكر (٢٣٥) وقد تقدم في صحيح مسلم انهم عملوا

اعين الرعاء فكان ما فعل بهم قصاصا والله اعلم وقال عبد الرزاق عن محمد بن محمد الاسدي عن صالح مولى التومة عن ابي هريرة قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال من بني فزارة قد ماوا هزالا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم الى لقاحه فشر بوا منها حتى صحو ثم عدوا الى لقاحه ففسر قوها فطلبوا فاقى بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم قال ابو هريرة فقمهم نزلت هذه الآية فاجرا الذين يجارون الله ورسوله فترك النبي صلى الله عليه وسلم سمر الاعين بعد وروى من وجه آخر عن ابي هريرة وقال ابو بكر بن مردويه حدثنا اجدين اسحق حدثنا الحسين بن اسحق القشيري حدثنا ابو القاسم محمد بن الوليد عن عمرو بن محمد المدني حدثنا محمد بن طلحة عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي سلة

وقيل البأساء الشدة وضيق العيش والضراء سوء الحال وقد تقدم تفسيرهما (العلم بضرعون) أي لكي يضرعوا ويطلبوا فاعيدوا ما هم عليه من الاستكبار وتكذيب الانبياء وفيه تحذير وكفارة لفرش وغيرهم من الكفار لينجز واعماهم عليه من الكفر والتكذيب (ثم أي بعد الاخذ لاهل القرى) (بدلتنا) هم (مكان السينة) التي اصنامهم بها من البلا والامتحان الخصلة (الحسنة) فصاروا في خير وسعة وان وصحة وقال ابن عباس أي مكان الشدة الرخاء قال اهل اللغة السينة كل ما يسهو صاحبه والحسنة كل ما يتحسسه الطبع والعقل فآخبر الله في هذه الآية بأنه يؤاخذناهل المعاصي والكفر نارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج (حتى عقوا) يقال عقا التبات اذا كثرت وكثف ومنه اعفاء العلي والمجي بالضم والكسر كما في كتاب العين وعقار درس فهو من الاخذاد والمراد انهم كثروا عددا وعددا (وقالوا) عندنا صاروا في الرخاء بعد الشدة (قدمس) آباءنا الضراء والسراء أي ان هذا الذي مسنا من البأساء والضراء ثم من الرخاء والخصب من بعدهم امر واقع لا يا ناعقلنا مثله فسيهم من البأساء والضراء ما مسنا ومن العمة واخبر ما نانا وصر ادهم ان هذه العادة الجارية في السلف والخلف وان ذلك ليس من الله سبحانه ابتلاء لهم واختبار الما عندهم وفي هذا من شدة عنادهم وقوة تدرهم وعدوهم لا يخفى ولهذا عاجلهم الله بالعقوبة ولم يعجلهم كما قال (فاخذناهم بغتة) أي خاتمة ان قالوا هذه المقالة من دون تراخ ولا مهال ليكون ذلك اعظم لحسرتهم والمراد من ذكر هذه القصة ان يعتبر من معهما فينجز (وهم لا يشعرون) بذلك العذاب البازل بهم ولا يتقربونه (ولان اهل القرى) التي ارسلنا اليها رسلا ويجوز ان تكون اللام للجنس والمراد لاهل القرى (والقرى) التي ارسلنا اليها رسلا ويجوز ان تكون المرسل اليهم (واتقوا) ما صمموا عليه من الكفر ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح (لتحقنا عليهم) أي يسرنا لهم (بركات من السماء والارض) أي خيرهما كما يحصل التيسر

ابن عبد الرحمن عن سلمة بن الاكوع قال كان النبي صلى الله عليه وسلم غلام يقال له يسار فنظر اليه يحسن الصلاة فاعقته فبعثته في لقاحه بالحرة فكان بها قال فاطهر قوم الاسلام من عريته وجاوا وهم مرضى موعو كون قد عظمت بطونهم قال فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الي يسار فكنوا يشربون من آلبان الابل حتى انطوت بطونهم ثم عدوا على يسار فذبحوه ووجعوا السوء في عينيه ثم أطردوا الابل فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين كبيرهم كرز بن جابر القهري فلحقهم فجاء بهم اليه فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم غريب جدا وقد روى قصة العرينيين من حديث جماعة من الصحابة منهم جابر وعائشة وغير واحد اعنى الحافظ الجليل ابو بكر بن مردويه بطرق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدا فرجه الله وأعلمه وقال ابن جرير حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق سمعت ابي يقول سمعت ابا جزة بن عبد الكريم وسئل عن ابوال ابل فقال حدثني سبعة من بني جهم عن

المخاريق فقال كان اناس اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا يعنى على الاسلام فباعوه وهم كذبة وليس الاسلام يريدون ثم قالوا يا نجيح فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه القساح تقعدو عليكم وتروح فأمرهم ان يوالها والبايها قال فيفعلهم كذلك اذ جاءهم الصريح فصرخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلوا الراعى واستاقوا النعم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فتودى في الناس ان يخيل الله اركبى قال فركبو الا ينتظر فارس فارسا قال وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثرهم فلم يزالوا يطلبونهم حتى ادخلوهم ما منهم فرجع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسروا منهم فاني ايهم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ان الذين يحاربون الله ورسوله الآية قال فكان فقيمهم ان تقوهم حتى ادخلوهم ما منهم وأرضهم ونفخهم من ارض المؤمنين وقتل نبي الله صلى الله عليه وسلم (٢٣٦) منهم واصل وقطع وسمر الاعين قال فاشمل رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل ولا بعد قال ونهى عن المثلة قال ولا تمثلوا بشيئ قال وكان انس يقول ذلك غير انه قال احرقيم بالنار بعد ما قتلهم قال وبعضهم يقول هم ناس من بني سليم ومنهم من عريته ناس ومن بجيلة واختلف الاتمة في حكم هؤلاء العريين هل هو منسوخ او يحكم فقال بعضهم هو منسوخ بهذه الآية ووزعوا ان فيها عتابا للنبي صلى الله عليه وسلم كافي قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم ومنهم من قال هو منسوخ بنبي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وهذا القول فيه نظر ثم قال لمطالب ببيان تأخر النسخ الذي ادعاه عن المنسوخ وقال بعضهم كان هذا قبل ان تنزل الحدود قاله محمد بن سيرين وفيه نظر فان قصة منسوخة وفي رواية جرير بن عبد الله لقصتهم ما يدل على تأخرها فانه اسلم بعد نزول المسألة ومنهم من قال لم يسلم النبي صلى الله عليه وسلم اعينهم

للاواب المغلفة بفتح اواها قيل المراد بفتح السماء المطر ويحضر الارض انبات والثمار والاولى حل ملى الآية على ما هو اعلم من ذلك من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وجميع ما فيه سوا كل ذلك من فضل الله واحسانه وأصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء ويسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ من بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أى رفعا عنهم القطع والجذب وتابعنا عليهم المطر والنبات (ولكن كذبوا) بالآيات والانباء لم يؤمنوا بهم ولا اتقوا وقد استغنى به كرايهم لاستزامة الثاني (فاخذناهم) بأنواع العذاب (عما كانوا يكسبون) أى بسبب ما كسبوا من الكفر والذنوب الموجبة لعذابهم ومن جلتها قولهم قدس آياتنا الآية (أقامن) الاستفهام للتقرير والتوبيخ وهو مثل أقمكم الجاهلية يغيثون والفاء للعطف على أخذناهم بغية وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك الأخذ من أهل القرى ذكره أبو السعود وقال الزحشرى قال الشيخ وهذا رجوع عن مذهبه في مثل ذلك الى مذهب الجماعة وذلك ان مذهبه في الهمزة الداخلة على حرف العطف تقدير معطوف عليه بين الهمزة وحرف العطف ومذهب الجماعة ان حرف العطف في يسة التقديم وانما تأخر وتقدمت عليه الهمزة لقوة قصد رها في أول الكلام والزحشرى هنا لم يقدر بينهما معطوف عليه بل جعل ما بعده الفاعل معطوف على ما قبلها من الجمل وهو قوله فاخذناهم بغية ذكره السمين (أهل القرى) المذكورة قبله وقيل المراد بالقرى مكة وما حولها لكذبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والعموم أولى (أن يأتيهم بأسياننا) أى وقت يات وهو الليل (وهم نائمون) غافلون عنه (أو آمن أهل القرى) انكار بعد انكار الله بالغة في التوبيخ (أن يأتيهم بأسياننا) أى نهأوا والضحي ضحوة النهار أى صدره وهو في الأصل اسم لقوة الشمس اذا شرقت وارتفعت وفي السمين الضحي اشتداد الشمس واستدادانهار

وانما عزم على ذلك حتى نزل القرآن فيحكم المخاريق وهذا القرآن ايضا فيه نظر فانه قد تقدم في الحديث المتفق عليه يقال انهم لم يروا رواية سمروا عنهم وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال اذا كرت اللبث بن سعد ما كان من سهل النبي صلى الله عليه وسلم اعينهم وترك حسمهم حتى ماؤا قال سمعت محمد بن جحلان يقول انزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم معاشة في ذلك وعلمه عقوبة منسلمهم من القتل والقطع والنفى ولم يسلم بعدهم غيرهم قال وكان هذا القول ذكره لابي عزير يعنى الاوزاعي فانكرا ان يكون نزلت معاشة وقال بل كانت عقوبة أولئك النفر بأعينهم ثم نزلت هذه الآية في عقوبة غيرهم من حارب بعدهم ورفع عنهم السهل ثم قد اختلف في عموم هذه الآية جهو والعلما في ذهابهم الى ان المخارية في الامصار وفي السبلات على السواء لقوله يسعون في الارض فسادا وهذا مذهب مالك والاوزاعي والليث بن سعد والشافعي واجسد بن حنبل حتى قال مالك

في الذي يغتال الرجل فيخذه حتى يدخله يتافقه وأخذ ما معه ان هذه مخازن

يعفوه عنه في انقاذ القتل وقال أبو حنيفة واصحابه لا تكون الحاربة الا في الطرف

استغاث بخلاف الطريق لبعده عن يغيبه ويعينه وقوله تعالى ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم

خلاف أو ينقوا من الارض قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية من شرب السراح في فقة الاسلام وأخاف السبيل

ثم ظفريه وقدر عليه فامام المسلمين فيه بالخيار ان شاء قتله وان شاء صلبه وان شاء قطع يده ورجله وكذا قال سعيد بن المسيب

ومجاهد وعطاء والحسن البصري وابراهيم الخفي والضحك وروى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير وحكى مثله عن أنس

رجه الله ومستند هذا القول ظاهر ولا تخيير نظر من القرآن (٣٣٧)

ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

منكم حديثا بالغ العكبة أو كفارة

طعام مساكين أو عدل ذلك

صا بما وقوله في كفارة الترفه من

كان منكم مريضاً أو به أذى من

رأسه ففدية من صام أو صدقة أو

نسك وقوله في كفارة العين

اطعام عشرة مساكين من أوسط

ما تطعمون أو هلككم أو كسوتهم أو

تحرير رقبة هذه كلها على الخير

فكذلك فلتكن هذه الآية

وقال الجوهري هذه الآية منزلة

على أحوال كما قال الشافعي أنبأنا

ابراهيم بن أبي يحيى عن صالح مولى

التوامسة عن ابن عباس في قطاع

الطريق اذا اقتسلا أو أخذوا المال

قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا

المال قتلوا ولم يصلبوا واذا أخذوا

المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم

وارجلهم من خلاف واذا أخافوا

السيل ولم يأخذوا المال فنقوا من

الارض وقدر واه ابن أبي شيبة

يقال ضحى وضياء اذ ضمه قصر ته واذا فتحته مددته وقال بعضهم الضحى بالضم
والقصر لاول ارتفاع الشمس والضياء بالفتح والمدلوعة ارتفاعها قبل الزوال والضحى
مؤث انهم (وهم يلعبون) أي حال كونهم مستغلين بما لا يعود عليهم بقاؤه (أقامنا)
مكر الله الاستفهام للتقرير والتوبيخ وانكار ما هم عليه من أمان مالم يؤمن من مكر الله
بهم وعقوبته لهم وفي تكرير هذا الاستفهام زيادة تقرير لانكار ما أنكره عليهم وقيل
مكر الله استدراجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا والنعمة والحكمة والاولى جمل الآية
على ما هو أعم من ذلك ثم بين حال من آمن مكر الله فقال (فلا يأمن مكر الله) المكر
الاحتيال والخديعة والمراد بمكر الله هنا فعل ما يعاقبه الكفرة على كفرهم وأضيف
الى الله لما كان عقوبة على ذنبهم فان العرب تسمى العقوبة على أي وجه كانت باسم الذنب
الذي وقعت عليه العقوبة وهذا نص في قوله ومكروا ومكر الله قاله ابن عطية قلت وهو
تأويل حسن وانهم باب المقابلة أيضا والفاء في قوله فلا يأمن للتنبه على أن العذاب
يعقب آمن مكر الله (الا القوم الخسرون) أي الذين أفرطوا في الخسران ووقعوا في
وعيده الشديد حتى صاروا الى النار قال السبيل مكرهم ترك اياهم على ما هم عليه (أولم
يهد) أي أولم يبين فالهداية هنا معنى التبيين ولهذا عديت باللام (للذين يرون الارض
من بعد) اهلاكم (أهلها) أي المشركين قاله السدي وقيل المراد بهم أهل مكة وما حولها
أي الذين كانوا من قبلهم ففروا عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أي
ان الشأن هو هذا والمعنى عاقبتناهم بسبب كفرهم فأهلكا الوارثين كما هلكا الموروثين
(وطع) تختم (على قلوبهم) مستأنفة ولا يصح عطفه على أصبناهم لانهم ممن طبع الله
على قلبه لعدم قبولهم للايمان (فهم لا يسمعون) أي اخبار الامم المهلكة فضلا عن
التدبر والتفكير فيها والاعتبار بها والاعتناء بما في تضعيفها من الهداية أي صاروا
بسبب الطبع على قلوبهم لا يسمعون ما ينالهم عليهم من ارسل الله اليهم من الموعظة والاعداد

(٤٣ - فتح البيان ثالث)

عن عبد الرحمن بن سليمان عن ججاج عن عطية عن ابن عباس نحوه

وعن أبي مجاز وسعيد بن جبير وابراهيم الخفي والحسن وقادة والسدي وعطاء الخراساني نحوه ذلك وهكذا قال غيره واحد من

السلف والائمة واختلفوا هل يصلب حيوا يترك حتى يموت يجمعه من الطعام والشراب أو يقتله برمح أو يخنقه أو يقتل ولا ثم يصلب

تسكلا وتشديد الغيرة من المفسدين وهل يصلب ثلاثة أيام ثم ينزل أو يترك حتى يسيل صديده ذلك كله خلاف في محرفي موضعه

وبالله الثقة وعليه التسكلا ويشهد لهذا التفصيل الحديث الذي رواه ابن جرير في تفسيره ان صح سنده فقال حدثنا علي بن سهل

حدثنا الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب الى أنس بن مالك يسأله عن هذه الآية فكتب اليه يخبره

أنها نزلت في أولئك الفراعين وهم من مجيلة قال أنس فارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الابل وأخافوا السيل

وأصابوا الفرج الحرام قال أنس فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل عليه السلام عن القضاء فمن حارب فقال من سرق مالا وأخاف السبيل فاقطع يده بسرقة ورحله بأخافته ومن قتل فاقطعه ومن قتل وأخاف السبيل واستحل الفرج الحرام فاصليه وقوله تعالى أو ينفوا من الأرض قال بعضهم هو أن يطلب حتى يقدر عليه فيمقام عليه الحد أو يهرب من دار الإسلام رواه ابن جرير عن ابن عباس وأنس بن مالك وسعيد بن جبيرة والخصال عن الربيع بن أنس والزهرى والليث بن سعد ومالك بن أنس وقال آخرون هو أن ينفي من بلدى إلى بلد آخر أو يخرج السلطان أو أن يئسه من معاملته بالكسوة وكان الشعبي يشبهه كما قال ابن هبيرة من عمله كله وقال عطاء الخراساني ينفي من جند إلى جندتين ولا يخرج من دار الإسلام وقال آخرون المراد بالنفي ههنا السجن وهو قول أبي حنيفة وأصحابه واختار ابن

(٣٣٨)

والأنذرا سمع تدبر (تلك) مبتدأ مشاربها إلى ما بعدها و (القرى) خبر ما أى التى أهل كلها وهى قرى قوم نوح وهو دود وعود وصالح ولوط وشعيب المقدم ذكرها (نقص) حال أى قاصين وهذا كقوله تعالى هذا يعلى شيخا فى كونه مبتدأ وخبره وحالاً قاله الزمخشري (عليكم من أناسها) أى أخبارها وهذه تسليط لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين وتحذير للكافرين من قرىش وغيرهم ومن للتبعض لأنه أخافص عليه صلى الله عليه وآله وسلم ما فيه عظمة وإن جار دون غيرهما ولها أنباء غير هالم يقصها عليه وانما قص عليه أنباء أهل هذه القرى لأنهم اغتروا بطلان الإمهال مع كثرة النعم فتوهموا أنهم على الحق فذكرها الله لقوم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليحترزوا عن مثل تلك الأعمال (ولقد) لام قسم (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الباهرات كسابق بيانه فى قصص الأنبياء المذكورين قبل هذا (فأما كان ليؤمنوا) عندهجى الرسل اللام زائدة لتوكيد النفي (بما كذبوا) به (من قبل) أى قبل مجيئهم أو كما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل فى حال من الأحوال وفى وقت من الأوقات بما كذبوا به قبل مجيئهم بل هم مستترون على الكفر متشبثون بأذيال الطغيان دائماً ولم ينزع فيهم حجج الرسل ولا ظهر له أثر بل هالم عند مجيئهم كحالم قبله وقيل المعنى فـ كانوا ليؤمنوا بعد هلاكهم بما كذبوا به أو حينئذ كقوله ولوردوا العادوا قاله سبحانه وقيل سألو المعجزات فلما رأوها لم يؤمنوا بما كذبوا به من قبل رؤيتها والأولى ومعنى تكذيبهم قبل مجيئ الرسل أنهم كانوا فى الجاهلية يكذبون بكل ما سمعوا به من أسرار الرسل وأنزال الكتب وقال أبى بن كعب كان فى علم الله يوم أقر والبالساق حينئذ أخرجه من ظهر آدم من يكذب به عن يصدق به وهو معنى قول ابن عباس والسدى آمنوا كرها يوم أخذ السباق وقال الطبري وأولى الأقوال قول أبى بن كعب والربيع بن أنس وذلك أن من سبق فى علم الله أنه لا يؤمن به فلا يؤمن أبداً (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الشديد على قلوب أهل

وقوله تعالى ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم أى هذا الذى ذكرته من قتلهم ومن صلبهم وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ونفيم خزي لهم بين الناس فى هذه الحياة الدنيا مع ما ذخر لهم من العذاب العظيم يوم القيامة وهذا يؤيد قول من قال أنها نزلت فى المشركين فأما أهل الإسلام فى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء لأشركن بالله شياً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا يعص بعضنا بعضاً نحن وفى منكم فأجره على الله تعالى ومن أصاب من ذلك شياً فهو كفار له ومن ستره الله فأمره إلى الله أن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذنب ذنباً فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه قاله أن كرم من أن

يعود عليه فى شئ فقد عفا عنه رواه الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب وقد سئل الحافظ الدارقطى عن هذا الحديث فقال روى عن فروعا وموقوفا قال ورفعهم صحيح وقال ابن جرير فى قوله ذلك لهم خزي فى الدنيا يعنى أسر أو فسكاً كاذلة وعقوبة فى عاجل الدنيا قبل الآخرة وعذاب عظيم أى إذا لم يتوبوا من فعلهم ذلك حتى هلكوا مع الجزء الذى جازيتهم به فى الدنيا والعقوبة التى عاقبتهم بها فى الدنيا وقوله تعالى إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم اماعلى قول من قال انها فى أهل الشرك فظواهر وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم تحميم القتل والصلب وقطع الرجل وهل يسقط قطع السدام لا فيه قولان للعلماء وظاهر الآية يقتضى سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة كما قال ابن أبى حاتم حديثاً بوسعيد الأشج حديثاً أبو اسامة عن مجاهد عن الشعبي قال كان

القرى

لعلكم تفقهون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لم يفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولا هم عذاب
 لهم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب عظيم) يقول تعالى امر اعباده المؤمنين بتقواه وهي اذا
 قربت بطاعته كان المراد به الانكفاف عن الحارم وترك المنهات وقد قال بعدها وانتعوا اليه الوسيلة قال سفيان الثوري عن
 طلحة عن عطاء بن ابن عباس أي القربة وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن وابن زيد وغير واحد وقال قتادة أي تقربوا اليه
 بطاعته والعمل بما يرضيه وقرأ ابن زيد أولئك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين
 المفسرين فيه وأشد عليه ابن جرير قول الشاعر
 اذا غفل الواشون عن الوصلها * وعاد التصافي بيننا والوسائل
 والوسيلة هي التي يتوصل بها الى تحصیل (٣٤٠) المقصود والوسائل أي بضع على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة

رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة
 الجنة الى العرش وقد ثبت في صحيح
 البخاري من طريق محمد بن المنكدر
 عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من قال
 حين يسمع النداء اللهم رب هذه
 الدعوة التامة والصلاة القائمة آت
 محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
 محمودا الذي وعدته الا حلت له
 الشفاعة يوم القيامة حدث آخر
 في صحيح مسلم من حديث كعب بن
 علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن
 عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع
 النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا
 سمعت المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
 صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى
 الله عليه عشرا ثم سألوا الوسيلة
 فانه امنزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد
 من عباد الله وأرجو أن أكون أنا
 هو فن سألني الوسيلة حلت عليه
 الشفاعة حديث آخر قال الامام

سبعة أشبار وعن الحسن قال كان عليمان همدان وعن ابراهيم بن مقسم قال مكث
 فرعون أربع مائة سنة لم يصدع له رأس (ومثله) أي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر
 مع عموم الرسالة لهم ولغيرهم لان من عذابهم كالإسباع لهم (فظلوا) أي فكفروا (بها)
 أطلق الظلم على الكفر ليكون كفرهم بالآيات التي جاء بها موسى كان كفر امتثالاً لغير وجود
 ما يوجب الايمان من المعجزات العظيمة التي جاء بها أو المعنى ظالموا الناس بسبب ما لما
 صدروهم عن الايمان بها أو ظلموا أنفسهم بسببها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين)
 أي انظر بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بالمكذابين بالآيات الكافرين بها وكيف
 أهلكناهم وجعلناهم مفسدين لان تكذيبهم وكفرهم من أقمج أنواع الفساد (وقال موسى
 يا فرعون اني رسول من رب العالمين) أخبره بأنه مرسل من الله اليه وجعل ذلك عذوانا
 لكلامه معه لان من كان مرسل من جهة من هورب العالمين أجمعين فهو حقيق
 بالقبول لما جاء به كما يقول من أرسله الملك في حاجة الى رعيته ان أرسل الملك اليكم ثم يحكي
 ما أرسل به اليهم فان في ذلك من تربية الهامة وادخال الروعة ما لا يقادر قدره (حقيق) جذير
 (على أن) أي بان (لا أقول على الله الا) القول (الحق) قيل في توجيه هذه القراءة
 ان على بمعنى الباء كما سبق ويؤيده قراءة أي والاعمش فانه مما قرأ حقيق بان لا أقول
 وقيل ان حقيق مضمع معنى حرص وقيل انه لما كان لازماً للحق كان لازماً له فقول
 الحق حقيق عليه وهو حقيق على قول الحق وقيل انه أعرق في وصف نفسه في ذلك
 المقام حين جعل نفسه حقيقاً على قول الحق كانه وجب على الحق ان يكون موسى هو
 قائده وقرى على أي واجب على ولازمي أن لا أقول فيما أبلغكم عن الله الا القول الحق
 وقرئ حقيق ان لا أقول باسقاط على ومعناها واضح والاستثناء مفرغ ثم قال بعد هذا
 (قد جئتكم بينة من ربكم) أي بما بين بينه صدق واني رسول من رب العالمين والمراد
 به ما يحجز به وهي العصا واليسد البيضاء وقد طوى هناك كرماد ايرثه سمان المحاورة كافي

أجد حديثا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال اذا صليتم على فسلوا الى الوسيلة قبل يا رسول الله وما الوسيلة قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو
 أن أكون أنا هو ورواه الترمذي عن بندار عن أبي عاصم عن سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن كعب قال حدثني أبو هريرة
 به ثم قال غريب وكعب ليس بمعروف لا نعرف أحدا روى عنه غير ليث بن أبي سليم حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
 أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الباقي بن قانع حدثنا محمد بن نصر الترمذي حدثنا عبد الجيد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن ليث عن
 المعلى عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلوا على صلاتكم وسألوا الله الى الوسيلة فسلواوه وأخبرهم ان الوسيلة درجة في
 الجنة ليس ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا حديث آخر قال الحافظ أبو القاسم الطبراني أخبرنا أحمد بن علي الأبار

حدثنا الوليد بن عبد الملك الحرابي
أنه صلى الله عليه وسلم سألوا الله

عن أبي أيوب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن
أبي أيوب عن عبد الله بن الدنيا أن

أهل أبي عبد الله في الدنيا أن لا تشهدوا شفعائهم القليلة ثم

برود عن أبي أيوب عن موسى بن عبيدة عن محمد بن عمرو بن عطاء

الله بن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن عمرو بن عطاء قد ذكر بإسناده نحوه حديث آخر روى ابن مردويه بإسناده عن
عمار بن غزير عن عبيد بن موسى بن وردان أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الوسيلة درجة عند الله
أفوقها درجة قسوا الله أن يأتيني الوسيلة على خلقه حديث آخر روى ابن مردويه أيضاً من طريقين عن عبد الجيد بن بحر حدثنا
شريك عن أبي اسحق عن الحرث بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٤١) قال في الجنة درجة تدعى الوسيلة فإذا سألتم
الله فسألوها الوسيلة قالوا يا رسول

الله من يسكن معك قال علي
 وفاطمة والحسن والحسين هذا
 حديث غريب منكروا هذا
 الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 علي بن الحسين حدثنا الحسن
 البشتي حدثنا أبو زهير حدثنا
 سعد بن طريف عن علي بن الحسين
 الأزدي مولى سالم بن نوبان قال
 سمعت علي بن أبي طالب ينادي على
 منبر الكوفة يا أيها الناس إن في
 الجنة لأمرين أحدهما بيضاء
 والاخرى صفراء أما الصفراء فإنها
 إلى بطنان العرش والمقام المحمود
 من الأولوة البيضاء سببها أن
 غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال
 وغرس فيها أبوابها وأسرستها وكانت
 من عرق واحد واسمها الوسيلة
 هي لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل
 بيته وهذا أثر غريب أيضاً وقوله
 وجاهدوا في سبيل الله لعلكم تفلحوا
 لما أمرهم بذلك الخارم وفعل

موضع آخر أنه قال فرعون فربك يا موسى ثم قال بعد جواب موسى وطرب العالمين
 الآيات الخالصة لمدار بينهما (فأرسل معي بني إسرائيل) أمره أن يدعوهم يذهبون معه
 ويرجعون إلى أوطانهم وهي الأرض المقدسة وقد كانوا يفتنون له مستعدين ممنوعين من
 الرجوع إلى وطنهم والفاء الترتيب ما بعده على ما قبلها وكان سبب سكاظهم عصر مع أن
 إياهم كان بالأرض المقدسة أن الأسباط أولاد يعقوب جاؤا مصر إلى أخيه يوسف
 فكنسوا وتناشوا في مصر فلما توفي يوسف غلب فرعون على نسل الأسباط واستعبدهم
 واستعملهم في الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من هذا الأسر ويذهب بهم
 إلى أرض الشام التي هي وطن آبائهم فأنشد الله موسى وكان بين اليوم الذي دخل يوسف
 عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى أربع مائة عام فلما قال ذلك (قال) له
 فرعون (أنا كنت جئت بآبائه) من عند الله كما تزعّم (فأتيتها) حتى تشاهدها وتتطرقها
 (إن كنت من الصادقين) في هذه الدعوى التي جئت بها (فأتني عصاه) أي وضعها على
 الأرض (فأداسي ثعبان مبين) أي فأنقلب ثعباناً بعبني حية عظيمة من ذكور الحيات
 ظاهرة وأخفا لا لبس فيه في تلك الحال ووصفها في آية أخرى بأنها جان والجان الحية
 الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين أنها كانت في عظم الحنسة كالثعبان العظيم وفي خفة
 الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال قتادة ذكر لنا أن تلك العصا آدم أعطاها إياها
 لما كان حين توجهه إلى مدين فكانت تنفي بالليل ويضرب بها الأرض بالنهار فتخرج له رزقه
 ويهبس بها على غنمها فإذا هي حية تكاد تساوره وعن ابن عباس قال لقد دخل موسى على
 فرعون وعليه زمرانته من صرف ما تجار مرقه فقيه فأسأذن على فرعون فقال ادخلوه
 فدخل فقال إن الهوى أرساني إليك فقال للقوم حوله ما علمت لكم من الهوى غيري خذوه
 قالوا إن قد جئتكم بآية قال فأتهم فألقى عصاه فصارت ثعبانين أحيمه ما بين السقف
 إلى الأرض وعصاه موسى اسمها ماس قال السدي فاتحة فيها واضعة لحيها الأسفل في

الطاعات أمرهم بقتال الأعداء من الكفار والمشركين الخارجين عن الطريق المستقيم التاركين للدين القويم ورغبهم في ذلك
 بالتي أعد للعباد في سبيل يوم القيامة من التلاح والعادة العظيمة الخالدة المستمرة التي لا تبيد ولا تحول ولا تزول في الغرف
 العالية الرفيعة الآمنة متناظرة الطبيعة مساكنها التي من سكنها ينعم لا ييس ويحيى لا يموت لا تلبى ثيابهم ولا يفتى شجابه ثم أخبر
 تعالى بما أعد لأعدائه الكفار من العذاب والتكاليف القاصمة فقال إن الذين كفروا وأن لهم ما في الأرض جميعاً ومنه لا معه
 لينتدوا بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به وعين وصوله إليه ما تنقلب ذلك منه بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص
 ولهذا قال ولهم عذاب عقيم كما قال تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيسوا وأنها الآية فلا يزالون يريدون الخروج مما هم فيه من
 عذابهم ولا يلبسهم ولا يسيل لهم إلى ذلك كلما كفروا بهم الهيب فصاروا في أعلى جهنم ضربتهم الزاوية بالمقامع الحديد فيردوهم إلى

أسفلها ولهم عذاب مقيم أي دائم مستمر لا خروج لهم منها ولا يحجب عنهمها وقد قال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل من أهل النار فيقال له يا ابن آدم كيف وجدت مضجعا فيقول شرا مضجعا فيقال هل تقتدي بقرب الأرض ذهباً قال فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى كذب قد سألتك أقل من ذلك هل تفعل فمؤمرته إلى النار واهم مسلم والنسائي من طريق حماد بن سلمة بنحوه وكذا رواه البخاري ومسلم من طريق معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن قتادة عن أنس بن مالك ورواه ابن مردويه بن طريق السعدي عن يزيد بن ضبيب الفقيه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٤٢) قال يخرج من النار قوم فيندخلون الجنة قال فقلت جابر بن

عبد الله يقول الله بر يدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال أتى أول الآية أن الذين كفروا وأن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليقعدوا به الآية الأتية الذين كفروا وقد روى الإمام أحمد ومسلم هذا الحديث من وجوه أخر عن يزيد الفقيه عن جابر وهذا أبسط سياقا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن أبي شبة الواسطي حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا مبارك بن فضالة حدثني يزيد الفقيه قال جلس إلى جابر بن عبد الله وهو يحدث حدثنا أن ناسا يخرجون من النار قال وأنا يومئذ أنا كذا فغضبت وقلت ما أعجب من الناس ولكن أعجب منكم يا أصحاب محمد زعمون أن الله يخرج ناسا من النار والله يقول بر يدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها الآية فأنه في أصحابه وكان أحلمهم فقال دعوا

الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب فأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا ومن ربك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها موسى فصارت عصا (وزرع يده) إلى أي أخرجهما وأظهرها من جيبه ومن تحت إبطه وفي التنزيل وأدخل يدك في جيبك فخرج بيضاء من غير سوء والزرع عبارة عن إخراج الشيء عن مكانه (فأذا هي بيضاء للناظرين) أي تلالا نورا يظهر لكل مبصر قال ابن عباس أخرجهما مثل الرق نلقع الابصار فخرأ على وجوههم وقيل لها شعاع غلب نور الشمس وأخذ موسى عصاه ثم خرج ليس أحد من الناس إلا انقلب منه وكان موسى آدم اللون (قال الملا من قوم فرعون) أي الأشراف لما شاهدوا انقلاب العصا صيحة ومصري يده بيضاء من غير سوء (أن هذا) أي موسى (لساحر عليم) أي كثير العلم بالسحر يأخذ بعين الناس حتى يخيل لهم أن العصا صارت حية ويرى الشيء بخلاف ما هو عليه ولا ينافي نسبة هذا القول إلى الملا هنا ولا إلى فرعون في سورة الشعراء فكأنهم قد قالوا فكذا ذلك معجبا بالنسبة اليهم تارة واليه أخرى (بريدان يخرج حكم) أيها القبط (من أرضكم) وهي أرض مصر وهذا من كلام الملا (فأذا تأمرؤن) هو من كلام فرعون قاله للملا قالوا بما تقدم أي بأي شيء تأمرؤن وتشبهون أن نفعل به وقيل هو من كلام الملا أي قالوا الفرعون فبأي شيء تأمرؤنا وخطبوه بما يخاطبونه الجاعة تعظيما له كما يخاطب الرؤساء اتباعهم وكون هذا من كلام فرعون هو الأولى بدليل ما بعده وهو (قالوا أرحه) أي أخره وفيه ست قراآت في المشهور المتواتر ثلاث مع الهمزة وثلاث مع عدمه والاربعاء في اللغة التأخير وقيل معناه احبس به وهو ضعيف وقيل هو من رجا برحو أي اطعمه ودعه يرجو كحكاه الكاس عن المرء (و أرح) أخاه وأرسل في المدائن حاشرين أي أرسل جماعة حاشرين في المدائن التي فيها السحرة والمدائن جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان أي أقام به معنى مدائن مع عدم مصر ومعنى حاشرين جامع بين

الرجل أنما ذلك الكفار فقرأ أن الذين كفروا وأن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليقعدوا به من عذاب يوم القيامة حتى يبلغ ولهم عذاب مقيم أما تقرأ القرآن قلت بلى قد جعته قال أليس الله يقول ومن الليل فيجعله نافلا لك عسى أن يعتذر ربك مقام محمود فهو ذلك المقام فإن الله تعالى يحبس أقواما يحفظ أياهم في النار ما شاء لا يكملهم فإذا أراد أن يخرجهم أخرجهم قال فلم أعد به لذلك كذب ثم قال ابن مردويه حدثنا علي بن أحمد حدثنا عرو بن حصص السدوسي حدثنا عاصم بن علي أخبرنا العباس بن الفضل حدثنا سعيد بن المهلب حدثني طلحة بن حبيب قال كنت من أشد الناس تكذبا في الشفاعة حتى لقيت جابر بن عبد الله فقرأت عليه كل آية أقدر عليها يذكر الله فيها خلود أهل النار فقال ياطلق أترك أقرأ الكتاب الله وأعلم بنسبة رسول الله مني أن الذين قرأتهم أهلها هم المشركون ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوبا فعذبوا ثم أخرجوا منها ثم أحوى الله إلى أنفسهم فقال صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرجون من النار بعد ما دخلوا ونحن نقرأ كما قرأت

(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما كسائر الاثام) الله يحكم من بعد ظله وخلق فان الله
 يتوب عليه ان الله غفور رحيم. الم تعلم ان الله لملك السموات والارض يعذب من يشاء ويعفون من يشاء والله على كل شيء قدير
 يقول تعالى كما و امر اقطع يد السارق والسارقة. وروى الثوري عن جابر بن زيد الجعفي عن عامر بن شراحيل الشعبي ان
 ابن مسعود كان يقرؤها والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وهذا قراءة شاذة وكان الحكم عند جميع العلماء موافقاً لها
 لانها دلالة مستفادة من دليل آخر وقد كان القطع معمولة في الجاهلية فقررت في الاسلام وزيدت شروط اخر كما سجد كره ان شاء الله
 تعالى كما كانت القسامة والدية والقراض وغير ذلك من الاشياء التي ورد الشرع بتقريرها على ما كانت عليه وزيادات هي من
 تمام المصالح ويقال ان اول من قطع الايدي في الجاهلية قريش (٢٤٣) قطعوا رجلاً يقال له دويك مولى لابي ملج

ابن عمرو من خزاعة كان قد سرق
 كنز الكعبة ويقال سرقه قوم
 فوضه عنده وقذف بعض
 الفقهاء من اهل الظاهر الى انه سرق
 سارق السارق شيئاً قطعت يده
 سواء كان قليلاً او كثيراً العموم هذه
 الاية والسارق والسارقة فاقطعوا
 ايديهما فليعتبر والنصاب ولا حرج
 بل اخذوا بعد السرقة وقدر روى
 ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق
 عبد المؤمن عن شعبة الخنفي قال
 سألت ابن عباس عن قوله والسارق
 والسارقة فاقطعوا ايديهما اخص
 ام عام فقال بل عام وهذا يحتل ان
 يكون موافقاً لابن عباس لمذهب
 اليه هؤلاء ويحتل غير ذلك فانه اعلم
 وتمسكوا بما ثبت في الصحيحين عن ابي
 هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لعن الله السارق يسرق
 البضة فتنقطع يده ويسرق الحبل
 فتنقطع يده وأما الجهور فاعتبروا
 النصاب وان كان قد وقع بينهم

يعني رجالا لا يشترط ان الملك السحرة من جميع مداثر الصعيد (يا تولى) أي هؤلاء الذين
 ارسلت يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار أي الماهر في السحر قيل الساحر من يكون
 سحره وقتادون وقت السحار من يدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليه) أي كثير العلم
 بصناعة السحر (وجاء السحرة فرعون) قد اختلفت كلمة السلف في عددهم فقال ابن
 عباس كانوا سبعين رجلاً اصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وقيل كانوا اثنين وسبعين اثنان
 من القبط وسبعون من بني اسرائيل فانه مقاتل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلين
 محوسمين من اهل ينشوى وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفاً وقيل خمسة عشر ألفاً
 فانه ابن اسحق وقيل سبعة عشر ألفاً وقيل تسعة عشر ألفاً وقيل ثلاثين ألفاً وقيل سبعين
 ألفاً فانه عكرمة وقيل ثمانين ألفاً فانه محمد بن المنكدر وقيل ثلاثمائة ألف وقيل تسعمائة
 ألف (قالوا ان ابا ابراهيم كان كائن في الغالين) الاجر الجائز والعتا والجمع الزموا
 فرعون ان يجعل لهم جعلاً ان غلبوا موسى بسحرهم وقرئ ان ناعلي الاستهتام للتقرير
 أي استفههم وافرعون عن الجعل الذي سيجعله لهم على الغلبة وعلى القراءة الاولى كانوا هم
 فاطعون بالجعل وانه لا بد لهم منه (قال نعم) لكم الاجر (وانكم) مع هذا الاجر
 المطالبون بكم (لمن المقرين) لدنيا قال الكلبي تكونون اول من يدخل على وآخر من
 يخرج من عنده وفي الخطيب والاية تدل على ان كل المخلوق كانوا عاقلين بان فرعون كان
 عند ذلك لاهماً مناجراً والامام احتاج الى الاستعانة بالسحرة وتدل أيضاً على ان السحرة
 ما كانوا قادرين على قلب الاعيان والامام احتاجوا الى طلب الاجر والمال من فرعون
 لانهم لو قدروا على قلب الاعيان لقلبوا التراب ذهباً ولقلبوا ملك فرعون لانفسهم ولجعلوا
 انفسهم ملوك العالم ورؤساءهم والمقصود من هذه الايات تنبيه الانسان لهذه الدقائق
 وان لا يعتبر بكلمات اهل الباطل والا كاذب انتهى (قالوا) أي السحرة باموسى
 اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين يعني انهم خير واموسى بن ان يشد بالقاء ما يليه

الخلاف في قدره فذهب كل من الائمة الاربع الى قول علي حدة فعند الامام مالك بن انس
 خالصة في سرقها او ما يبلغ عنها فاقطع وجب القطع واحتج في ذلك بجمارواه عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قطع في محن ثمانية دراهم اخرجاه في الصحيحين قال مالك رحمه الله وقطع عثمان رضى الله عنه في اترجة قومت بثلاثة دراهم وهو
 أحب ما سمعت في ذلك وهذا الاثر عن عثمان رضى الله عنه قدر واه مالك عن عبد الله بن ابي بكر عن ابيه عن عروة بنت عبد الرحمن
 ان سارقاً سرق في زمن عثمان اترجة فأمس بها عثمان أن تقوم فقومت بثلاثة دراهم ربع اثني عشر درهماً فقطع عثمان يده قال
 أصحاب مالك ومثل هذا الصنيع يشترطه ولم يشكر في مثله يحكي الانجاع السكوتي وفيه دلالة على القطع في الثمار خلافاً للحنفية وعلى
 اعتبار ثلاثة دراهم خلافاً لهم في أنه لا بد من عشرة دراهم وللشافعية في اعتبار ربع دينار والله أعلم. وذهب الشافعي رحمه الله الى

أن الاعتبار في قطع يد السارق ربع دينار وما يساوي به من الأثمان أو العروض فصاعدا والحكمة في ذلك ما أخرجه الشيخان البخاري
ومسلم من طريق الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تقطع يد السارق في ربع دينار
فصاعدا والمسلم من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا قال أصحابنا في هذا الحديث فاصل في المسئلة ونص في اعتبار ربع الدينار لما سواه قالوا
وحديث ثمن الجن وأنه كان ثلاثة دراهم لا ينافي هذا لأنه أذالك كان الدينار ياتي عشر دراهم فهي ثمن ربع دينار فمكن الجمع
بهذا الطريق وروى هذا المذهب عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم وبه يقول عمر بن عبد
العزيز والليث بن سعد والاوزاعي والشافعي (٣٤٤) وأصحابه واسحق بن راهويه في روايته عنه وأبو ثور ودาวود بن

عليهم أو يتدوههم بذلك تأذيهم به وثقة من أنفسهم بأنهم عابون وإن تأخر وأقال
الكسائي والقرءاء ما بان تفعل الالقاء أو تفعله نحن (قال القوا) اختار أن يكونوا
المتقدمين عليه بالقام ما يليقونه غير ما يليقهم ولا هائب لما جاز به قال القراء في الكلام
حذف والمعنى قال لهم موسى انكم لن تقبلوا ربكم ولن يظلموا آيائهم وقيل هو تهنيتي
ابتدؤا باللقاء فستظنون ما يجلبكم من الاقتضاح والموجب لهذين التأويلين عند
من قال بهم ما انه لا يجوز لموسى ان يأمرهم بالسحر وقيل انما أمرهم لتظهر معجزته لانهم
اذ لم يلقوا قبله لم تظهر معجزته والاول أولى (قال القوا) حبائهم وعصمهم قال ابن عباس
حبا لا غلاظا وخشبا طوا لا فاقبلت بخيل الله من سحرهم انما تسمى (سحر وواعين
الناس) أي قلوبها وغير وهاعن صحة ادراكها بما جازوا به من القوية والتخييل الذي
يفعله المشعوذون واهل الخفة وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين
معجزة الانبياء التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصر فها عن ادراك الشيء
والمعجزة قلب نفس الشيء عن حقيقة كقلب عصا موسى حية تسمى (واسر هوهم)
أي ادخلوا الرهبة في قلوبهم ادخالا شديدا بما فعلوه من السحر واستفعل هناعني افعل
أي ارهبوهم وهو قريب من قولهم قروا سحرا وعظم واستعظم وهذا راى المبرد وقيل السين
على باهم أي استعدوا رهبة الناس منهم وهو راى الزجاج (وجاؤا بسحر عظيم) في أعين
الناظرين وان كان لا حقيقة له في الواقع وكانت تلك الواقعة في اسكندرية قاله الخطيب
والخازن (واوحينا الى موسى ان الق عصا) امره سبحانه عند ان جاء السحرة بما جازوا
به من السحر على اسان جبريل ان يلقى عصاه وصرح السحرة ان يقتضى ان القاء العصا
واقفلا بما حصة وقع من تين بحضرة فرعون الاولى كانت سببا في جمع السحرة والثانية
بمحضرهم فالاولى ذكرت سابقا بقوله فالتى عصاه والثانية هي المذكورة هنا ووقع
انقلاهما حية أيضا مرة أخرى قبل هاتين المراتين ولم يكن هناك حاضر احد غير موسى

على الظاهري رحمهم الله وذهب
الامام أحمد بن حنبل واسحق بن
راهويه في روايته عنه إلى أن كل
واحد من ربع الدينار والثلاثة
دراهم حر دشر في سرق واحد
منهما أو ما يساويه قطع عملا
لحديث ابن عمر وحديث عائشة
رضي الله عنها ووقع في لفظ عند
الامام أحمد عن عائشة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال: اقطعوا
في ربع دينار ولا تقطعوا فيما هو
أدنى من ذلك وكان ربع الدينار
يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني
عشر درهما وفي لفظ للنسائي
لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن
الجن قيل لعائشة ما ثمن الجن قالت
ربع دينار فهذه كلها نصوص دالة
على عدم اشتراط عشرة دراهم والله
أعلم وأما الامام أبو حنيفة وأصحابه
أبو يوسف ومحمد ورفو وكذا سفيان
الثوري رحمهم الله فانهم ذهبوا إلى
أن النصاب عشرة دراهم مضروبة

غير مغشوشة واحتجوا بأن ثمن الجن الذي قطع فيه السارق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
كان ثمنه عشرة دراهم وقد روى أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن غير وعبد الأعلى عن محمد بن إسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن
جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقطع يد السارق في دون ثمن الجن وكان ثمن الجن عشرة دراهم قالوا فهذا ابن عباس
وعبد الله بن عمر وقد خالفان عن ثمن الجن فالأخضا لا كثيرا لان الحدود تدبر بالسهمات وذهب بعض السلف إلى
أنه تقطع يد السارق في عشرة دراهم أو دينار أو ما يبلغ قيمة واحد منها يحكي هذا عن علي وابن مسعود وابرهم التيمي وأبي جعفر
الباقر رحمهم الله تعالى وقال بعض السلف لا تقطع الحسن إلا في ثمن أي في خمسة دنانير أو خمسين درهما وبقيل هذا عن سعيد
ابن جبير رحمه الله وقد أجاب الجمهور عن غلط هذا الظاهر بفتح من حديث أبي هريرة بسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع

بذبحه بأجوبة أجددها منه نسوخ بحديث عائشة وفي هذا نظر لأنه لا بد من بيان

ببعض الحسد وحيل

السفن قاله الأعشى فيها حكاه البخاري وغيره والثالث أن هذه وسب له إلى التدبر في السرقة من القليل إلى الكثير الذي
تقطع فيه يده ويحتمل أن يكون هذا خرج مخرج الأخبار عما كان الأمر عليه في الجاهلية حيث كانوا يقطعون في القليل
والكثير فلعن السارق بذله الأئمة في الأشياء المهمة وقد روي أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد أسكالا
على الفقه فيها جعلهم نصاب السرقة ربع دينار وتظم في ذلك شعر ادل على جهله وقلة عقله فقال

يدبح خمس مئين عسجد وديت * ما بالها تقطعت في ربع دينار
وما قال ذلك واشتهر عنه تطلبه الفقهاء فهرب منهم وقد أجابه الناس (٢٤٥) في ذلك فكان جواب القاضي عبد

وقد ذكرت هذه المرة في سورة طه في قوله اذ رأى نارا الى قوله ألقها يا موسى قالها فاذا هي
حية تسعى (فاذا هي) أى العصا (تلقف) من تلقف يلغف وقيل من تلقف يتلف يقال
للقف الشيء وتلقفته اذا أخذته أو بعته بسرعة وقال أبو حاتم بلعى في بعض القراءات
تلقف بالميم والتشديد (ما يافكوب) أصل الا فقلب الشيء عن وجهه وسنقل
للكذاب أفالك لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل أفك يافك أفكاف من باب
ضرب رأفكته صرفته وكل أمر صرف عن وجهه فقد أفك وسماه أفكالا لأنه لا حقيقة له
في الواقع بل هو كذب وزور وغويه وشعوذة قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية
فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فكت فاهما ثمانين ذراعا فاذا هي تتبلغ كل شيء أو ثوبه
من السحر (فوقع الحق) أى ظهر وتبين بما جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون)
من سحرهم أى تبين بطلانه (فقلبا) أى السحرة (هالك) أى في الموقف الذى أظهروا
فيه سحرهم وهذا هو الظاهر (وانقلبوا) من ذلك الموقف (صاغرين) أذلامه قهورين
(وألقى السحرة ساجدين) أى خروا كما اتقاهم ملق على هيئة السجود أولم تتالكوا
مبارا وأفكانهم ألقوا أنفسهم قال السدي ألقى موسى عصافا كلت كل حبة لهم فاماروا
ذلك سجدا وعن قتادة سمحوا قال ابن عباس لما رأيت السحرة ما رأيت عرفيت أن ذلك من
أمر السماء وليس بسحر فخرنا وسجدا قيل كانت مع السحرة رجل ثلاثمائة بعير فلما اتلعت
عصاموسى كلها آمنوا به وخروا ساجدين (قالوا آمنا) وانما قالوا هذه المقالة وصرخوا
بانهم آمنوا (رب العالمين) ثم لم يكتبوا بذلك حتى قالوا (رب موسى وهرون) لئلا يتوهم
متوهم من قوم فرعون المقرين بالله أنه ان السجود له قال الاوزاعي لما سحر السحرة سجدا
رفعت لهم الجنة حتى نظروا اليها وقد حو موسى الى الذكروا وكان كل هرون أس منه لكبره
في الرتبة أولا لأنه وقع فاصلا له هنا ولذلك قال في سورة طه رب هرون وموسى لوقوع موسى
فاصلا أولا ليكون كل طائفة منهم قالت إحدى المقالتين فذهب فعل البعض الى المجموع

الوهاب لما ملكي رحمه الله انه قال
لما كانت أمينة كانت غشمة ولما
خانت هانت ومنهم من قال هذا
من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار
الشرعية العظيمة فان في باب
الجنائات ناسب ان نغظم قيمة اليد
بخصوصه دينار لا يحن عليها وفي
باب السرقة ناسب أن يكون القدر
الذى تقطع فيه ربع دينار لا
يسارع الناس في سرقة الاموال
فهذا هو عين الحكمة عند ذوى
الالاب ولهذا قال جوابا بما كسبا
نكالا من الله والله عز وجل حكيم أى
بجواز اذ على صنيعهما السيئ في
أخذهم أموال الناس بأيديهم
فناسب أن يقطع ما سبعا نابه في
ذلك نكالا من الله أى تنكيلا من الله
بهما على ارتكاب ذلك والله عز وجل
أى في انتقامه حكيم أى في أمره
ونبيه وشعره وقدره ثم قال تعالى
فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله
يتوب عليه ان الله غفور رحيم أى

(٤٤ - فتح البيان ثالث) من تاب بعد سرقته وأتاب الى الله فان الله يتوب عليه فيما ينمونه فإما قاله والناس فلا بد
من ردها اليهم أو بدلها عند الجهور وقال أبو حنيفة متى قطع وقد تلقت في يده فأنه لا يرد لها وقد روى الحافظ أبو الحسن
الدارقطني من حديث
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسارق قد سرق شاة فقال ما حاله سرق فقال
السارق بلى يا رسول الله قال اذهوا به فاقطعوه ثم أحسموه ثم أتوني به فقطع فأتى به فقال تب الى الله فقال تب الى الله فقال
و تاب الله عليك وقد روى من وجه آخر مرسلا روي عن ابن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم روى ابن ماجه من حديث
ابن الهيثم عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري عن أبيه ان عمر بن مرة بن حبيب بن عبد شمس جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى سرتك جلابنى فلان فظهرني فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اننا نقدرنا

جدا لنا فامر به فقطعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهر في منك أردت ان تدخل جسدي النار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب
حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو قال سرق امرأة
حليبا فجاء الذين سرقهم فقالوا يا رسول الله سرقنا هذه المرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا ايديها الجني فقالت المرأة دخل
من ثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت اليوم من خطيئتكم كيوم ولدك أمك قال فأنزل الله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه
وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وقدره الامام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا حسن بن حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى
ابن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو ان امرأة سرقت عن عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم الذين
سرقهم فقالوا يا رسول الله ان هذه المرأة سرقنا (٣٤٦) قال قومها فحنن فقدمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا

يديها فقطعت يدها اليمنى فقالت
المرأة دخل من ثوبه يا رسول الله
قال نعم أنت اليوم من خطيئتكم
كيوم ولدك أمك فأنزل الله في
سورة المائدة فمن تاب من بعد ظلمه
وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله
غفور رحيم وهذا المرأة هي
الخزيمية التي سرقت وحديثها
ثابت في الصحيحين من رواية
الزهري عن عائشة ان قريشا
أهمهم شأن المرأة التي سرق في
عهد النبي صلى الله عليه وسلم في
عزوة الفتح فقالوا لمن يك فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد
حب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأقربهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكمه فيها أسامة بن
زيد فقلوبهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال أنشف في حد
من حدود الله عز وجل فقال له
أسامة استغفر لي يا رسول الله فلما

في سورة وقيل بعض آخر الى الجوع في أخرى (قال فرعون آمنتم به قبل أن أذن لكم)
والاستفهام لان تكار والتوبيخ والقرآن هنا أربع كلها سبع عذبة كرها السبعين أنكر
فرعون على السحرة ايمانهم موسى قبل أن ياذن لهم بذلك وقال (ان هذا لمكر مكرتوه)
أي حيلة احتلتوها أنت وموسى عن مواطئة ينسبكم سابقة ومعنى (في المدينة) ان هذه
الحيلة والمواطئة كانت ينسبكم وأنتم عبد ستة مصر قبل ان تبرز وأنتم وموسى الى هذا
الصراع (اتخرجوا منها) أي من مدينة مصر (أعليها) من القبط وتستولوا عليها وتسكنوا
فيها أنتم وبني اسرائيل وهاتان شبهتان ألقاهما الى اسماعيل عوام القبط تسميتا لهم على
ما هم عليه وتبين حال ادواتهم لموسى ثم هددهم بقوله (فدوف تعلمون) عاقبة صنعكم هذا
وسوء معتبه ابراهيم ان له قوة ثم لم يكف بهذا الوعيد والتمديد المحمل بل فصله فقال
(لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أي الرجل اليمنى واليد اليسرى أو الرجل
اليسرى واليد اليمنى قال ابن عباس هو اول من قطع الايدي والارجل من خلاف
وقال قتادة أي يدمرهم ههنا اورجلهم ههنا ثم لم يكف عدو الله به هذا بل جاوز الى غيره
فقال (ثم لا صليبتكم) في جذوع النخل على شاطئ نيل مصر أي أجعلكم عليها
مصلوبين زيادة لتسكيلهم واهراط في تعذيبهم قال ابن عباس أول من صلب فرعون
وبني هانئ وفي السورتين ولا صليبتكم بالاولان والواو صلح لضمه فلا تنافي بين
الآيات (أجمعين) تأكيد في بهدون كل وان كان الأكثر سبعة بكل وجاء بجمع قسمة
تأكيد المايعة يقال صلبه بصلبه وصبه وهما لغتان في المضارع (قالوا أنا الى ربنا
منقلبون) أي انك وان فعلت بنا هذا الله فعل فبعده يوم الجزاء سبحانه الله بصنعك
ويحسن التناجيا أيضا تنافي ذاته فتوعده بعذاب الله في الآخرة لمناوعدهم بعذاب الدنيا
ويحتمل ان يكون المعنى أنا اليه منقلبون بالموت أي لا بد لنا من الموت ولا يضرنا كونه

بجدا لنا فامر به فقطعت يده وهو يقول الحمد لله الذي طهر في منك أردت ان تدخل جسدي النار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب
حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو قال سرق امرأة
حليبا فجاء الذين سرقهم فقالوا يا رسول الله سرقنا هذه المرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا ايديها الجني فقالت المرأة دخل
من ثوبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت اليوم من خطيئتكم كيوم ولدك أمك قال فأنزل الله عز وجل فمن تاب من بعد ظلمه
وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وقدره الامام أحمد بأبسط من هذا فقال حدثنا حسن بن حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى
ابن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمرو ان امرأة سرقت عن عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم الذين
سرقهم فقالوا يا رسول الله ان هذه المرأة سرقنا (٣٤٦) قال قومها فحنن فقدمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقطعوا

كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب قائم على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنا
أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اسرق فيهم الشرف تركوه واذ اسرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وانى والذي نفسى بيده
لو أن فاطمة بنت محمد سرت فقطعت يدها ثم سرت تلك المرأة التي سرق فقطعت يدها قالت عائشة فحسنت وبتا بعد وتزوجت
وكانت تأتي بعد ذلك فارفع حاجتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا القبط مسلم وفي لفظه عن عائشة قالت كانت امرأة
مخزومية تسير للمناع وتجدده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها وعن ابن عمر قال كانت امرأة مخزومية تسير للمناع
أسنة جاراتها ووجدده فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها واه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وهذا القبط وفي لفظه
ان امرأة كانت تسير الى الناس ثم تمسكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بالليل فخذ يدها فاقطعها وقد ورد في أحكام

السيرة واحدة كثيرة مذكورة في كتاب الاحكام والله الحمد والمنة ثم قال تعالى ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض أى هو
المالك لجميع ذلك الخاكم فيه الذى لا معقب لحكمه وهو التسعالم لما يدبغقر لمن يشاءو يعذب من يشاء والله على كل شى تقدير
بما هم الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا باقوا هم ولم يؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون
للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلام من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتهم هذا أخذوا وان لم توتهم فاحذروا ومن
بردا لله فنته فلن علبه من الله شأ أولك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خرى ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون
للكذب آكلون للسحت فان جاولك فاحكم بينهم وأعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شى وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة (٣٤٧) فهاحكم الله ثم يتولون من بعد ذلك

وما أولئك بالمؤمنين انما نزلنا

التوراة فيها هدى ونور يحكم بها

النبيون الذين أساءوا للذين هادوا

والرأسيون والاحبار جمعا استحقوا

من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا

تخشوا الناس واخشوني ولا

تشتروا ناني غنا قل لا من لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون

نزلت هذه الآيات الكريمة في

المسارعين في الكفر الخارجين عن

طاعة الله ورسوله المقدمين

آراءهم وأهواءهم على شرائع الله

عز وجل من الذين قالوا آمنا

بأقواهم ولم تؤمن قلوبهم أى

أظهروا الايمان بألسنتهم وقلوبهم

خواب خالية منه وهؤلاء لهم

المنافقون ومن الذين هادوا أعداء

الاسلام وأهل هؤلاء كلهم سماعون

للكذب أى يستحيون منه متعقلون

عنه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

أى يستحيون لا قوام آخرين

لا يأتون مجلسك يا محمد وقيل المراد

بسبب منك (وما تنقم) بكسر القاف وقرئ بففتحها قال الاخفش هي لغة يقال نقتم

الامر أنكرته أى لست تعيب علينا وتكر (مننا) قال عطاء أى ما لنا عندك من ذنب

تعذبنا عليه وقيل ما نكرهنا وما نطعن علينا وقد ح فينا (الان آمنا بايات ربنا لما

جاءتنا) مع ان هذا هو الشرف العظيم والخير الكامل وأصل الفاخر ومثله لا يكون

موضع اللعب ومكان اللانكار بل هو حقيق بالثناء الحسن والاستحسان البالغ فلان عدل

عنه أصلا طلبا لمراضاة والاستثناء مفرغ ثم ذكر كوا خطايه وقطعوا الكلام معه والتفتوا

الى خطاب الجناح العلى مفوضين الامر اليه طالبين منه عز وجل ان يشتمهم على هذه الحقنة

بالصبر قائلين (ربنا أفرغ علينا صبرا) الافراغ الصب أى اصبه كما لا ناما حتى يفيض

علينا وبغربنا ولهذا أى يلفظ التكثير يعنى صبرا أى صبر عظيم يصب صبرا ذريعا كما

يفرغ الماء فراغا طلبوا ابلغ أنواع الصبر استعدادا منهم لما سينزل بهم من العذاب من عدو

الله ووطنينا لانفسهم على التصلب في الحق وشيوت القدم على الايمان ثم قالوا (ووقنا)

اليك (مسلمين) أى ثابتين على الاسلام غير محرفين ولا مبذلين ولا مقتونين بالوعيد ولقد

كان ما هم عليه من الصبر والمهارة في علمهم مع كونه نشر المحض سببا للقوز بالعبادة لانهم

علوا ان هذا الذى جاء به موسى خارج عن طوق البشر وانهم فعل الله سبحانه فوصلوا

بالسر الى الخير ولم يحصل من غيرهم من لا يعرف هذا العلم من أسباع فرعون ما حصل منهم

من الادعاء والاعتراف والايمان واذا كانت المهارة في علم الشر قد تافى بمثل هذه الفائدة

فبالا بالمهارة في علم الخير اللهم انفعنا بما علمنا وثبت أقد امتاعلى الحق وأفرغ علينا

سجال الصبر ووقنا فاستسلم امين قال ابن عباس كانوا في أول النهار حرة وفي آخر النهار

شهداء قيل فعل بهم فرعون ماتو عدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى آتينا ومن آتينا

الغالبون (وقال الملا من قوم فرعون أنذر) الاستفهام منهم للانكار عليه أى أنذر

(موسى وقومه لفسدوا في الارض) أى في مصر باقاع القرقة وتشتيت الشمل (ويذكر)

انهم يستمعون الكلام وينهونه الى قوم آخرين عن لا يحضر عسلك من أعدائك يحرفون الكلام من بعد مواضعه يتأولونه على

غير تأويله يبدلونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون يقولون ان أوتيتهم هذا أخذوه وان لم توتهم فاحذروا وقيل نزلت في قوم من اليهود

فتأولوا وقالوا اتعالموا حتى نتحا كم الى محمد فان حكم بالدية فأفاده وان حكم بالقصاص فلا تسمعوا منه والجميع انما نزلت في

اليهودين الذين زناوا كانوا قد بدلوا كتاب الله الذى بأيديهم من الامر برجم من أحص منهم خرفوا واصطلموا فمباينتهم على الجلد

مائة جلدة والتعقيم والاركاب على حمار مقلوبين فلما وقعت تلك الكا شت بعد الهجرة قالوا فمباينتهم تعالوا حتى نتحا كم اليه فان حكم

بالجلد والتعقيم فخذوا عنه واجعلوه حجة ينسبكم وبين الله وبينكم يكون نيامن أنبياء الله قد حكم بذلك وقد وردت الاحاديث بذلك فقال

ما كنت نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامرأة

زينا قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا انفعهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم قالوا يا ابنا التوراة فتمسرها فوضع احدكم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمرهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجا فقرأت الرجل يحكي على المرأة يدها الجارية أخرجاه وهذا القطر البخاري وفي لفظه فقال لليهود ما تصنعون بهما قالوا اتهمهم وجوههما ونصر بهما قال فأتوا يا ابنا التوراة فتلوهما ان كنتم صادقين فأتوا فقالوا الرجل منتم من روضون أعور أقرأ فقرأ حتى انتهى الى موضع منها فوضع يده عليه فقال ارفع يدك فرفع فاذا آية الرجم تلوح قال يا محمد ان فيها آية الرجم وكذا كانت مكتوبة فينا فأمرهم ما فرجوا وعندك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بهودى وهم ودية (٣٤٨) فذريتنا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم ود فقال ما تجدون

في التوراة على من زنى قالوا نود وجوههما ويطاف بهما قال فأتوا يا ابنا التوراة فتلوهما ان كنتم صادقين قال فأتواهم فقرؤوها حتى اذا مر بآية الرجم وضع التقي الذي يقرأه على آية الرجم وقرأ ما بين يديه وما وراءه فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فاذا احتمت آية الرجم فأمرهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجا قال عبد الله بن عمر كنت فبين رجمهما فلقد رأيته يقبها من الجارية بنفسه وقال أبو داود حدثنا جدنا سعيد بن جهمادى حدثنا ابن وهب حدثنا هشام بن سعد بن زيد بن أسلم حدثه عن ابن عمر قال أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى انفق فأتاهم في بيت المسداس فقالوا يا أبا القاسم ان رجلا منا زنى بامرأة فاحكم قال ووضعهوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وساد فجلس عليها ثم قال اتوني يا علمكم فأتى بهنى شاب ثم ذكر قصة الرجم نحو حديث مالك عن نافع وقال الزهري سمعت رجلا من حريته ممن يتبع العلم وبغية ونحن عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا الى هذا الذي فانه بعث التحفيف فان أفتانا بقتلنا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عذ الله قلنا انما بيننا وبينهم ما قالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة تمهزنا فلم يكلمهم بكلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى اذا حصن قالوا اتهمهم ونحيبهم وتخلدوا الخيمة ان يحول الزنايان على حمار وتقابل أفتيهم ما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ألقا به رسول الله صلى الله عليه وسلم الشدة فقال اللهم اذنسنا

بساء الغيبة ونصب الرأفة هذه قراءة العامة وفيها وجهان أظهرهما انه على العطف على ليفسدا والثاني انه منصوب على جواب الاستفهام كما نصب في جوابه بعد الفاء والمعنى كيف يكون الجمع بين ترك موسى وقومه منفسدين وبين تركهم ما لله وعبادة الله أى لا يمكن وقوع ذلك وقرئ رفع الرأفة لثلاثة أوجه أظهرها انه منصوب على أن يرى أطلق له ذلك والثاني انه استئناف اخبار بذلك الثالث انه حال ولا بد من ضم ما مر بدا أى وهو يترك وقرئ بالجزم اما على التحفيف بالسكون لنقل الضمة أو على ما قبل في أو أكن من الصالحين في توجيه الجزم وقرئ بالتون والرفع والمعنى اتهمهم أخبروا عن أنفسهم بأنهم سيذرونك (والله أعلم) اختلف المفسرون في معناها السكون فزعون كان يدعى الروبية كما في قوله ما علمت لكم من الله غيرى وقوله انار بكم الاعلى فليل ومعنى آله طاعتك وقيل بمعناه عبادتك ويؤيده قراءة على وابن عباس والخلخال والله أعلم وفي حرف أبي ليفسدوا في الارض وقد تركوا ان يعبدوك وقيل انه كان يعبد بقرة وقيل كان يعبد النجوم وقيل كان له أصنام بعد ما قومه تقرر باليه فنسبت اليه ولهذا قال انار بكم الاعلى فانه الزجاج وقيل كان يعبد الشمس والكواكب والاقرب ان يقال ان فرعون كان دهر يامسك للوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السندلي هو الكواكب فالتخذ أصناما على صورتها وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انار بكم الاعلى قال سعيد بن جبيرة ومحمد بن المنكدر كان ملاك فرعون أربعةائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لم يرمكرها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أو وجع ليلة أو وجع ساعة ادعى الروبية (قال) فرعون مجيها

لهم ومشتبأ القلوبهم على الكفر (سقتل) قرئ بالتشديد والتحفيف (أبناءهم ونسختي نساهم) أى تتركهم في الحياة ولم يقل سنقتل موسى لانه يعلم انه لا يقدر عليه قيل كان ترك القتل في بني امراة بعد ما ولد موسى فلما جاء موسى بالرسالة وكان من أمر ما كان اعاد الزهري سمعت رجلا من حريته ممن يتبع العلم وبغية ونحن عند ابن المسيب عن أبي هريرة قال زنى رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا الى هذا الذي فانه بعث التحفيف فان أفتانا بقتلنا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عذ الله قلنا انما بيننا وبينهم ما قالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا يا أبا القاسم ما تقول في رجل وامرأة تمهزنا فلم يكلمهم بكلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى اذا حصن قالوا اتهمهم ونحيبهم وتخلدوا الخيمة ان يحول الزنايان على حمار وتقابل أفتيهم ما ويطاف بهما قال وسكت شاب منهم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ألقا به رسول الله صلى الله عليه وسلم الشدة فقال اللهم اذنسنا

فأتينا في التوراة الرجم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما أول ما لم يخصتم أمراً الله قال زنى وذو قرابة من ملك من ملوكنا فأنه عنه
الرجم ثم زنى رجل في أثر من الناس فأراد رجمه فقال قوم مدونه وقالوا لا يرجم صاحبنا حتى تجيء بصاحبك فبرجه فاصططحو هذه
العقوبة بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاني أحكم بما في التوراة فأمر به ما أمر به الزهري فبلغنا أن هذه الآية تنزلت فيهم
أننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فساكن النبي صلى الله عليه وسلم منهم رواه أحمد وأبو داود وهذا القوله
وابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مردويه عن البراء بن عازب قال مر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم به ودى عجم مجاور فدعاهم فقال هكذا اتحدون حد الزاني في كتابكم فقالوا نعم فدعا رجلاً من علمائهم فقال أشهدك
بالذي أنزل النوراة على موسى أهكذا اتحدون حد الزاني في كتابكم فقال لا والله (٣٤٩) ولولا أنك نشدني به لم أخبرك بنجد حد

أعاد فيهم القتل (وأنافوقهم قاهر) أي متعاون عليهم بالقهر والغلبة وهم تحت قهرنا وابن أيدنا ما شئنا أن نفعله بهم ففعلناه بهم ذلك فشكلوا أسرائيل (قال موسى لقومه استعينوا بالله وأصبحوا) أي لما بلغ موسى ما قاله فرعون أمر قومه بالاستعانة بالله والصبر على الحنة ثم أخبرهم (أن الأرض لله) يعني أرض مصر وإن كانت الأرض كلها لله أو أراد جنس الأرض والاول أولى (يورثها من يشاء من عباده) هو وعدم موسى لقومه بالصبر على فرعون وقومه وإن الله سبورتهم أرضهم وديارهم (والعاقبة) المجودة في الدنيا والآخرة وعاقبة كل شيء آخره وقيل أراد الجنة (للمؤمنين) من عباده وهم موسى ومن معه (قالوا) وذيئنا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وذلك بقتل فرعون أبناءه مدلولك لما أخبر به الله سبورتهم ولو يد يكون زوال ملكه على يده وبقتل أبناءنا الآن وقيل المعنى أو ذيئنا من قبل أن تأتينا بالرسالة باستعمالنا في الأعمال الشاقة بغير جعل كضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك ومن بعد ما جئنا بأمرنا فيه الآن من الخوف على أنفسنا وأولادنا وأهلنا وقيل إن الذي من قبل ومن بعد واحد وهو قض الجزية منهم (قال) موسى بحسب ألهم (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) مستأنفة كالتى قبلها وعدهم بأهلك الله لعدوهم وهو فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) هو نصر يخرجهم من أرضهم إلى ما بقا من أن الأرض لله وقد حقق الله رجاءه ولم يتركوا مصر في زمان داود وسليمان وفصحوا بيت المقدس مع يوشع بن نون وأهلك فرعون وقومه بالغرق وأنجاهم (ينظر كيف تعلمون) فيهم من الأعمال أى من الإصلاح والأفاد بعد أن عين عليهم بأهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فيجاءكم بكم ما علمت من خير وشرا ثم أجاب ابن الجحاشم عن ابن عباس قال إن بسا أهل البيت يفتح ويختم ولا بد أن تقع دولة لبني هاشم فأظن وافين يكون من بني هاشم وفيهم نزلت عسى ربكم أن يهلك عدوكم الآية وينبغي أن ينظر في حجة هذا عن ابن عباس فالآية نازلة في بني إسرائيل واقعة في هذه القصص

غير وجهه عن الأعمش به وقال الامام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديثا سفيان بن عيينة عن مجاهد بن سفيان عن
الهمداني عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال زفر رجل من أهل فدك فكتب أهل فدك الى ناس من اليهود بالمدينة أن يسألوا
عبد الله عن ذلك فان أمرهم بالجلد فنفذوا عنه وان أمرهم بالرحم فلا تأخذوا عنه فسالوه عن ذلك قال ارسلوا الى أعلم رجلين فيكم
فجاؤا برجل أعور يقال له ابن صوريا وآخر فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم ليس عندكما التوراة فيها حكم الله قالوا بلى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم فأنشدكم بالذي قلني الجبراني اسراييل وظل عليكم الغمام وأنبأكم من آل فرعون وأنزل المن والساوى على
بنى اسراييل ما لم يجدون في التوراة في شأن الرحم فقال أحدهما لا آخر ما شئت بعمله قط قال انجد مواد النظر زينة والاعتناق زينة
والقبيل زينة فاذا شهدكم أربعة منهم أو خمسة أو سبعة لا يدخل الميل في المسكلة فقد وجب الرحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو

ذالك فامر به فخرجهم فقلت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث محمد بن عبد الله بن جحوة ولفظ أبي داود عن جابر قال جاءت اليهود برجل وامرأة منهم زينبا قال اتوني بأعلم رجلين منكم فأقربا بيني صوريا فتشدهما كيف تجدان أمر هذين في التوراة قال لا نجد في التوراة اذا شهد أربعة انهم رأوا ذكروا في قريحتهما مثل الميل في المكحلة رجلا قال فاحكمكم ان ترجوهما قال لا ذهب سلطاننا فكري هذا القتل فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهود فأتوا أربعة فشهدوا انهم رأوا ذلك مثل الميل في المكحلة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجعهما ثم رواه أبو داود عن الشعبي وابراهيم النخعي عن سفيان بن عيينة عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمهم عواقفة (٣٥٠) حكم التوراة وليس هذا من الالزام لهم بما يعتقدون صحة لانهم يؤثرون

الحكمة لما جرى بين موسى وفرعون لافي بنى هاشم (ولقد اخذنا) لام قسم اى والله لعن ابائنا وهذا شروع في تفصيل مبادئ هلاكهم وتصدير الجلبه بالقسم لاطهار الاعضاء بضمونها (آل فرعون) اى قومه (بالسنتين) اى الجلبه والقطع وهذا معروف عند أهل اللغة بقولون اصابهم سنة اى جدي سنة و يقال أسنتوا كما يقال أجدوا وفى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالداة والنجم والمعنى اخذناهم بالجوع سنة بعد سنة واكثر العرب يعربون السنين اعراب الجمع المذكور سالم ومنهم من يعربه اعراب المفرد ويجرى الحركات على النون قاله ابو زيد وحكى الفراء عن بنى عامر انهم يقولون اقت عدده سنينا مصر وفا قال وبنو عقيم لا يصر فونه قال ابن مسعود السنين الجوع وقال مجاهد الجوع قال ابن عباس لما اخذ الله آل فرعون بالسنتين يبس كل شئ لهم وذهب مواشيهم حتى يبس نيل مصر واجتمعوا الى فرعون فقالوا ان كنت كما تزعم فأتنا في نيل مصر عاء قال غدوة يصحكم الماء فلما خرجوا من عنده قال أى شئ صنعت ان لم اقدر على ان اجري في نيل مصر ماء غدوة كذبوني فلما كان جوف الليل قام فاعتسل وليس مدرعة صوف ثم خرج حافيا حتى اتى نيل مصر فقال اللهم انك تعلم انى اعلم انك تقدر على ان تعلق نيل مصر ماء فاملا ماء فاعلم الانجز الماء يقبل فخرج وأقبل النمل يزغ بالماء لما اراد الله بهم من الهلكة (ونقص من الثمرات) بسبب عدم نزول المطر وكثرة العاهات واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار والمعنى اخذناهم بها (لعلهم يذكرون) يتعظون ويرجعون عن غوايتهم ثم بين انهم عند نزول العذاب وقال الحن عليهم والسدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا كما قال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة) اى الحسنة الحسنة من الخصب بكثرة المطر وصلاح الثمار ورخا الاسعار والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لئانه) اى أعطيناها بما يستحقاق وهى مختصة بنا ونحن أهلها على العادة

بإتباع الشرع ان محمد بنى هاشم (ولقد اخذنا) لام قسم اى والله لعن ابائنا وهذا شروع في تفصيل مبادئ هلاكهم وتصدير الجلبه بالقسم لاطهار الاعضاء بضمونها (آل فرعون) اى قومه (بالسنتين) اى الجلبه والقطع وهذا معروف عند أهل اللغة بقولون اصابهم سنة اى جدي سنة و يقال أسنتوا كما يقال أجدوا وفى الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالداة والنجم والمعنى اخذناهم بالجوع سنة بعد سنة واكثر العرب يعربون السنين اعراب الجمع المذكور سالم ومنهم من يعربه اعراب المفرد ويجرى الحركات على النون قاله ابو زيد وحكى الفراء عن بنى عامر انهم يقولون اقت عدده سنينا مصر وفا قال وبنو عقيم لا يصر فونه قال ابن مسعود السنين الجوع وقال مجاهد الجوع قال ابن عباس لما اخذ الله آل فرعون بالسنتين يبس كل شئ لهم وذهب مواشيهم حتى يبس نيل مصر واجتمعوا الى فرعون فقالوا ان كنت كما تزعم فأتنا في نيل مصر عاء قال غدوة يصحكم الماء فلما خرجوا من عنده قال أى شئ صنعت ان لم اقدر على ان اجري في نيل مصر ماء غدوة كذبوني فلما كان جوف الليل قام فاعتسل وليس مدرعة صوف ثم خرج حافيا حتى اتى نيل مصر فقال اللهم انك تعلم انى اعلم انك تقدر على ان تعلق نيل مصر ماء فاملا ماء فاعلم الانجز الماء يقبل فخرج وأقبل النمل يزغ بالماء لما اراد الله بهم من الهلكة (ونقص من الثمرات) بسبب عدم نزول المطر وكثرة العاهات واتلاف الغلات بالآفات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار والمعنى اخذناهم بها (لعلهم يذكرون) يتعظون ويرجعون عن غوايتهم ثم بين انهم عند نزول العذاب وقال الحن عليهم والسدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا كما قال تعالى (فاذا جاءتهم الحسنة) اى الحسنة الحسنة من الخصب بكثرة المطر وصلاح الثمار ورخا الاسعار والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لئانه) اى أعطيناها بما يستحقاق وهى مختصة بنا ونحن أهلها على العادة

ابن مسعود وغير ذلك اى ومن كانت هذه صفته كيف يظهر الله قلبه واتى يستجيب له ثم قال لنبيه فان جاؤك أى بما يكون اليك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا أى فلا عليك أن لا تحكم بينهم لانهم لا يقصدون بها حكمهم اليك اتباع الحق بل ماوافق أهواءهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وزيد بن أسلم وعطاء الخراسانى والحسن وغير واحد هى منسوخة بقوله وأن احكمهم بينهم بما أنزل الله وان حكمت فاحكمهم بالقسط أى بالحق والعدل وان كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل ان الله يحب المقسطين ثم قال تعالى منكر اعلمهم فى آرائهم القاسدة ومقاصدهم الزائغة فى تركهم ما يعتقدون صحة من الكتاب الذى بأيديهم الذى يزعمون انهم مأمورون بالفسق به أبدا ثم خرجوا عن حكمه وعدلوا الى غيره مما يعتقدون فى نفس الامر بطلانه وعدم لزومه لهم فقال وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يقولون من بعد ذلك وما

أولئك بالمؤمنين ثم مدح التوراة التي أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران فقال أن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها
النبيون الذين أسألو الذين هادوا أي لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يجرعونها والبايون والاحبار أي وكذلك البايون
منهم وهم العلماء العباد والاحبار وهما العلماء استمضوا من كتاب الله أي بما استودعوا من كتاب الله الذي أمر وأن يظهره ويعملوا
به كانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني أي لا تخافوا منهم وخافوني ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلًا ومن لم يحكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون فيه قولان سبأى بيانهم ما سبب آخر في نزول هذه الآيات الكريكات قال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن العباس
حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال ان الله أنزل ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم
الكافرون وأولئك هم الظالمون وأولئك هم القاسقون قال قال ابن عباس (٣٥١) أنزلها الله في الطائفتين من اليهود وكانت

احدهما ما قد قهرت الاخرى في
الجاهلية حتى ارتضوا واصطلحوا
على أن كل قبيل قتلته العزيرة من
الذليل فذبحته خون وسقا وكل
قبيل قتلته الذليل من العزيرة
فدسسه مائة وسق فكانوا على ذلك
حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم
فقتل الذليل من العزيرة قتيلا
فأرسلت العزيرة الى الذليل أن ابغضوا
لنا بمائة وسق فقاتل الذليل وهل
كان في حين دينهما واحد ونسبهما
واحد وبلدهما واحدة وبعضهم
نصف دية بعض انما أعطيناكم
هذا ضياعنا منكم لنا وفرأنا منكم
فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك فكدت
الحرب تهيج بينهما ثم ارتضوا
على أن يجعلا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ذكرت العزيرة
فقاتل والله ما محمد يعطيك
منهم ضعف ما يعطيهم منكم
ولقد صدقوا ما أعطوا هذا الضياع
منا وقهرهم ففسدوا الى محمد من

التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم ير واذل من فضل الله فيسكروهم على
انعامه (وان تصبهم) خصله (سبعة) من الجذب والقطط وكثرة الامراض ونحوها من
البلاء قليل ووجه تعريف الحسنة انما كثيرة الوقوع وتعلق الارادة باحداها ووجه تكبير
السبعة ندرة وقوعها وعدم القصد لها الا بالتبع وهذا من محاسن علم المعاني قال مجاهد
الحسنة العافية والرخاء والسبئية بلا وعقوبة (يطيروا) يشاموا (عوسى ومن معه) من
المؤمنين به وقد كانت العرب تطير بشيا من الطيور والحيوانات ثم استعمل بعد ذلك
في كل من تشاء بشي في قول جميع المفسرين ومثل هذا قوله تعالى وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك (آل) التصدير بكلمة التبيين لارزاق العافية بعضه منه (انما)
أداة قصر (طائرهم) أي سبب خيرهم وشرهم بجميع ما يالههم من خصب ونحو
(عند الله) بآتيهم به ليس بسبب موسى ومن معه وكان هذا الجواب على غط ما يعتقدونه
وبما يفهمونه ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذي يجري بقدر الله وحكمته ومشيئته
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) بهذا بل يسبون الخير والشر الى غير الله جهلا منهم والحق
ان الكل من الله (وقالوا) بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الفئار (مهما) اسم
شرط (ثأنتابه) من عندك (من آية) بيان لهما ومهما آية استشهد بموسى كما يفيد
ما بعده وهو (لتهكرنا بها) أي لتصرفنا عما نحن عليه كما يفعل السحرة بسحرهم وضرب
عائذ الى مهم ما وضعتهم اعائذ الى آية وقيل انه ما عائد ان الى مهم ما تذكير الاول باعتبار
اللفظ وثأنت الثاني باعتبار المعنى (فما نحن للبعوثين) أخبروا عن أنفسهم انهم
لا يؤمنون بشي مما يحيى به من الآيات التي هي في زعمهم من السحر فعند ذلك نزل بهم
العقوبة من الله عز وجل المينة بقوله (فأرسلنا عليهم الطوفان) وهو المطر الشديد قال
الاخفش واحد طوفانة وقيل هو مصدر كالبحان والنقصان فلا واحده وقيل الطوفان
الموت ورويه عائشة عنه صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما

يجز لكم رأيها ان أعطاكم ما تريدون حكمته وان لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه ففسدوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا من
الناقضين لغيره والهم رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بأمرهم كله وما أرادوا فأنزل الله تعالى يا أيها رسول لا يجوز لك الذين يسارعون في الكفر الى قوله القاسقون فقيمهم والله أنزل وياهم
عن الله عز وجل ورواه أبو داود ومن حديث ابن أبي الزناد عن أبيه بنحوه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا هناد بن السري وأبو
كريب قالوا حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان الآيات في المسألة قوله
فاحكم بينهم أو اعرض عنهم الى المقسطين انما أنزلت في الدية في بني النضير وبني قريظة وذلك ان قتلى بني النضير كان لهم شرف
يؤدى الدية كاملة وان قريظة كانوا يؤدى لهم نصف الدية فتحاكموا في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ذلك فيهم

فحكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق في ذلك فجعل الدينة في ذلك سبوا والله أعلم أي ذلك كان ورواه أحمد وأبو داود
والنسائي من حديث ابن اسحق بنحوه ثم قال ابن جرير حدثنا أبو رباح حدثنا عبد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماعة عن
عكرمة عن ابن عباس قال كانت قرية من قرى النضير وكانت النضير أشرف من قرية فمات رجلان من النضير قتله
واذ قتل النضير رجلان من قرية ودي عاتقة وسق من عمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير ورجل من
قرية فماتوا في الدفوة اليه فقالوا يا نبينا ويا نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير ورجل من قرية ورواه
والنسائي وابن حبان والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن موسى بنحوه وهكذا قال قتادة ومقاتل بن حبان وابن زيد
 وغير واحد وقد روى العوفي وعلي بن أبي (٣٥٢) طلحة والوالبي عن ابن عباس أن هذه الآية قرأت في اليهود والنصارى

كانت قدمت الاحاديث بذلك وقد
قال ابن كثير وهو حديث غريب وبه قال مجاهد وعطاء وقال النحاس الطوفان في اللغة
ما كان مهلكا من موت أو سيل أي ما يطفئ به سم فيهلكهم وقال ابن عباس الطوفان
أمر من أمر ربك ثم قرأ فطاف عليهم طائفت من ربك وقال مجاهد هو الماء والطاعون
وقال وهب هو الطاعون بلغه أهل الجن وقال أبو قتادة الطوفان هو الجدرى وهم أول من
عذبوا به ثم بقي في الأرض وقال مقاتل الماء طافوق حروهم وذلك أنهم مطروا غمانية أيام
من السبت إلى السبت في ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمر ولا يقدر أحد أن يخرج من دياره
وقيل دخل الماء في بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فن جلس غرق وتدخل
بيوت بني اسرائيل قطرة قال ابن عباس مطروا غماتيا بالسل والنهار غماتية أيام (والجراد)
جمع جرادة الذكر والانثى فيه سواء قال أهل اللغة هو مشتق من الجرذ فالواو الاشتقاق
في أسماء الاحناس قليل جدا يقال أرض جرداء أي ملساء وتوب أجرد أذهب وبره
والمراد به هنا هو الحيوان المعروف أرسله الله لاكل زرعهم فأكلها واكل ثمارهم
وسقوف بيوتهم وثيابهم وأمتعهم وابتلى الجراد بالجرع فكان لا يشبع وأمتلأت دور
القبط منه ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء (والقمل) بضم القاف وفتح الميم المشددة
وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم قيل هي الدبابة قاله مجاهد وقتادة والسدي
والكشي والدبابة الجراد قيل أن تطير وقال عطاء الله القمل المعروف قال كل ما يقاه الجراد
ولحسن الأرض وقيل هي البوس الذي يخرج من الحنطة قاله ابن عباس وقيل البراغش
وقيل دواب سود صغار وقيل ضرب من القردان وقيل الجعلان قال النحاس يجوز أن
تكون هذه الاشياء كلها أرسلت عليهم وقد فسر عطاء الجراد سائر القمل بالقمل قال
ابن عباس القمل الجراد الذي له أجنحة وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من القراد
وأقام عليهم من السبت إلى السبت (والضفادع) جمع ضفدع وهو الحيوان المعروف
الذي يكون في الماء وكانت تقع في طعامهم وشربهم حتى إذا نكس الرجل تقع في فيه

كانت قدمت الاحاديث بذلك وقد
يكون اجتمع هذان السببان في وقت
واحد فزالت هذه الآيات في ذلك
كلامه والله أعلم ولهذا قال بعد ذلك
وكتبنا عليهم في ان النفس بالنفس
والعين بالعين إلى آخرها وهذا يقوى
ان سبب النزول قضية القصص
والله سبحانه وتعالى أعلم بقوله تعالى
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون قال البراء بن عازب
وحذيفة بن اليمان وابن عباس وأبو
محمزة وأبو رجا العطاردي وعكرمة
وعبيد الله بن عبد الله والحسن
البصري وغيرهم زلت في أهل
الكتاب زاد الحسن البصري وهي
عليها واجبة وقال عبد الوارث عن
سفيان الثوري عن منصور عن
ابراهيم قال زلت هذه الآيات
في بني اسرائيل ورضي الله له هذه
الإمامة بارواه ابن جرير وقال ابن
جرير أيضا حدثنا يعقوب حدثنا
هشيم أخبرنا عبد الملك بن أبي
سليمان عن سلمة بن كهيل عن علقمة

ومسروق أنه ما سالا ابن مسعود عن الرثوة فقال من السحت قال فقالوا في الحكم قال ذلك الكفر ثم تلا
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقال السدي ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون يقول ومن لم يحكم
بما أنزل الله فقد كفر وهو يعلم فهو من الكافرين وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الكافرون قال من يحكم الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق رواه ابن جرير ثم اختار أن الآية المراد بها
أهل الكتاب أو من يحكم الله التل في الكتاب وقال عبد الرزاق عن الثوري عن زكريا عن الشعبي ومن لم يحكم بما أنزل الله
قال الحسن قال ابن جرير حدثنا المنشي حدثنا عبد الصمد حدثنا شعبة عن ابن أبي السرح عن الشعبي ومن لم يحكم بما
أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذا في المسلمين ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قال هذا في اليهود ومن لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون قال هذا في التصاري وكذا رواه هشيم و
الزاني أيضاً أخبرنا محمد بن ابن طاوس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله ومن لم يحكمكم الآية قال هي بكم قال ابن طاوس
وليس كن بكثرة بالله وملائكته وكتبه ورسله وقال الثوري عن ابن جريج عن عطاء الله قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق
دون فسق رواه ابن جرير وقال وكيع عن سعد المكي عن طاوس ومن لم يحكمكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ليس بكفر
ينقل عن الملة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن زيد المقرئ حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن جبير عن طاوس عن
ابن عباس في قوله ومن لم يحكمكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال ليس بالكفر الذي تذهبون إليه ورواه الحاكم في مستدركه
من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢٥٣) (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن واللسان باللسان والجروح
قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له
ومن لم يحكمكم بما أنزل الله فأولئك هم
الظالمون) وهذا أيضاً ما يحتج
به اليهود وقسروا عليه فان
عندهم في نص التوراة أن النفس
بالنفس وهم يخالفون حكم ذلك
عمداً وعناداً ويقيدون التضييق من
القرطبي ولا يقيدون القرطبي من
التضييق بل يعدلون إلى الدية
كما خالفوا حكم التوراة المنصوص
عندهم في رجم الزاني المحصن
وعدوا إلى ما سطحو عليه من
الجلد والتخميم والأشعار ولهذا
قال هناك ومن لم يحكمكم بما أنزل الله
فأولئك هم الكافرون لأنهم
جحدوا حكم الله فصدوا عنه
وعناداً وعصداً وقال ههنا فأولئك
هم الظالمون لأنهم لم ينصفوا المظلوم
من الظالم في الأمر الذي أمر الله
بالعدل والتسوية بين الجميع فيه

وأقامت عليهم ثمانية أيام قال ابن عباس كانت الضفادع ربة فلما أرسلها على آل فرعون
سمعت وأطاعت فجعلت تقذف نفسها في القدر وهي تقلى وفي التناثر وهي تفور وبكت
موسى في آل فرعون بعدما غلب السحرة أربعين سنة يربهم الآيات والحراد والقمل
والتيغادع (والدم) روى أنه سأل عليهم النيل دماً قاله مجاهد وقيل هو الرعاف قاله زيد بن
اسلم وقيل مياهمهم انقلبت دماً قاله استقون من بئر ولا نهر الا وحده وده ما عبطاً حجر قال
ابن عباس يكف فيهم سبنا إلى سبت ثم رفع عنهم شهرها (آيات) حال من الخمسة المذكورة
(مقصودات) أي مميزات تتبع بعضها بعضاً لتكون لله الحجة عليهم والمعنى أرسلنا عليهم
هذه الأشياء حال كونها آيات ظاهرة لا يشك على عاقل أنهم من آيات الله وأمورات بين
كل آيتين شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعاً عتقن فيه أحوالهم وينظراً يقابلون الحجة
والدليل أو يسهرون على الخلاف والتقليد (فاستكبروا) أي ترفعوا عن الإيمان بالله
(وكافروا بمجربين) لا يمتدنون إلى حق ولا ينزعون عن باطل (ولما وقع عليهم الرجز) أي
العذاب بهذه الأمور التي أرسلها الله عليهم وقيل كان هذا الرجز طاعوناً مات به من القبط
في يوم واحد سبعون ألفاً قاله سعيد بن جبير وعلى هذا هو العذاب السادس بعد الآيات
التي تقدمت وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا جمعته به
بارض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فراراً منه أخرجه الشيخان
(قالوا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما وصالاً أو استدعاء من العلم أو بما
اختصك به من النبوة أو بما نبأك أو بما عهد اليك أن تدعوه فيحييكم والباء متعلقة بادع
على معنى أسعفتنا إلى ما نطلب من الدعاء بحق ما عندك من عهد الله وأدع لنا توسلاً
إليه بهداه عندك وقيل إن الباء للقسمة وجوابه لنؤمنن إلا أي أي أسعفتنا بهداه الله عندك
(لكن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) أي لنصدقن بما جئت به (ولترسلن معك بنى

(٤٥ - فتح البيان ثالث) خافوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضاً وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن
يونس بن يزيد عن علي بن يزيد أخى يونس بن يزيد عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ وكتبنا عليهم فيها
أن النفس بالنفس والعين بالعين ونصب النفس ورفع العين وكذا رواه أبو داود والترمذي والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله
ابن المبارك وقال الترمذي حسن غريب قال البخاري نفرد ابن المبارك بهذا الحديث وقد استدل كثير من ذهب من الأصوليين
واللغاة إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكى بقررا ولم ينسخ كما هو المشهور وعن الجمهور وكما حكاه الشيخ أبو إسحق الأسفرائيني
عن نص الشافعي وأكثراً أصحابه - هذا لا يثبت كان الحكم عندنا على وفقها في الجنائيات عند جميع الأئمة وقال الحسن
البصري هي عليهم وعلى الناس عامة رواه ابن أبي حاتم وقد حكى الشيخ أبو زكريا النووي في هذه المسئلة ثلاثة أوجه ثالثها أن شرع

ابراهيم جعدون غيره وصحح منها عدم الحجة ونقلها الشيخ أبو حنيفة الاسفرائيني عن نص الشافعي وأكثر الأصحاب ورخ انه جعد عند
الجهوريين أصحابنا قالته أعلم وقد حكى الأمام أبو منصور بن الصباغ رحمه الله في كتابه الشامل اجتماع العلماء على الاحتجاج بهذه
الآية على ما دللت عليه وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية الكريمة وكذا ورد في الحديث الذي رواه
التستائي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم أن الرجل يقتل بالمرأة وفي الحديث الآخر المسلمون
تسكافو دماؤهم وهذا قول جمهور العلماء وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وحكي عن الحسن وعثمان البتي ورواية عن أحمد
أن الرجل إذا قتل المرأة لا يقتل به بل يجب ديتاه وهكذا احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى بعموم هذه الآية على أنه يقتل المسلم بالكافر
الذي وعلى قتل الحرب بالعدو وقد خالفه الجمهور فيما (٢٥٤) ففي الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل
مسلم بكافر وأما العبد فمعه عن
السلف آثار متعددة أنهم لم يكونوا
يقيمون العبد من الحر ولا يقتل
حر بعبد وجاء في ذلك أحاديث
لا تصح وحكي الشافعي الإجماع
على خلاف قول الحنفية في ذلك
ولكن لا يلزم من ذلك بطلان قولهم
الابديل مخصوص لآية الكريمة
ويؤيد ما قال ابن الصباغ من
الاحتجاج بهذه الآية الكريمة
الحديث الثابت في ذلك كما قال
الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي
عدي حدثنا حميد عن أنس بن
مالك أن الربيع عمه أنس كسرت
ثنية جارية فطلبوا إلى القوم العفو
فأتوا فأبوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال القصاص فقال أخوها
أنس بن النضر يا رسول الله تكسر
ثنية فلانة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أيا أنس كتاب الله
القصاص قال فقال لا والذي بعثك

إسرائيل أي لتطينهم حتى يذهبوا حيث شاؤوا وقد كانوا حاسبين لبني إسرائيل عندهم
يعتقونهم في الأعمال فوعدهم بأرسالهم معه (فلما كشفنا عنهم الزجر) بدعوة موسى
عليه السلام (إلى أجل هم القوه) أي أجل الضرر لاهلاكهم بالغرق لا رفقاً مطلقاً
(إذا هم ينكبون) أي يتقصون ما عقدوه على أنفسهم وإذا هم النجاشية أي جأوا التكت
وبادروهم وأصل التكت من نكت الصوف لغزلة ثياباً فاستعملت لقص العهد بعد أحكامه
وأبرأه فآله زاده (فأقمنا) أي أردنا الانتقام (منهم) لما نكثوا بسبب ما تقدم لهم
من الذنوب المتعددة واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب وقيل هو ضد الانعام
كأن العقاب ضد الثواب (فاغرقناهم في البحر) أي في البحر قيل هو الذي لا يدرك قعره
وقيل هو بطنه وأوسطه قال الأزهري اليم معروف لفظة سريانة عز بها العرب ويقع
على البحر الملح والعذب والمراد به نيل مصر وهو عذب (بأنهم كذبوا بآياتنا) تغليل للاغراق
(وكانوا غافلين) أي عن النعمة المدلول عليها بالتقصا وعن الآيات التي لم يؤمنوا بها
بل كذبوا بها فكأنهم في تكذيبهم عتلة الغافلين عنها والثاني أولى لأن الجملتين تغليل
للاغراق والمراد بالاعتذار عدم التدبر وهذا مأخوذه فسقط ما يقال إن الغفلة لأمواخذة
بها وقد تستعمل الغفلة في ترك الشيء أهلاً ولا عاراضاً في القاموس غفل عنه غفولاً تركه
وسماعنه (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني إسرائيل الذين كانوا يذلون
ويعتقون بالخدمة لفرعون وقومه (مشارك الأرض) هي مصر والشام (ومغاربها)
المراد جهات مشرقها وجهات مغربها وهي التي كانت لفرعون وقومه من القطب فلكها
بؤس إسرائيل بعد الفراعنة والعماقة وتصرفوا فيها شر فاعربا وكف شأوا وقال الزجاج
المراد بجميع جهات الأرض ونواحياها لا داود وسليمان كانا من بني إسرائيل وقد ملكا
الأرض وقيل أراد الأرض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب
(التي بارك فيها) بانخراج الزرع والثمار مناعلى أعينها يكون واقف ما تنفق قال الحسن

بالحق لا تكسر ثنية فلانة قال فرضى القوم فعفوا وتركوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من عبادة الله
من لو أقسم على الله لأبره أخر جاد في الصحيحين وقدره محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري في الجزء المشهور من حديثه عن حميد
عن أنس بن مالك أن الربيع بنت النضر عمته لطمت جارية فكسرت ثنيها فغضبوا عليهم الأرض فأبوا انظلموا الأرض والعفو فأبوا
فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص فغاء أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيع والذي
بعثك بالحق لا تكسر ثنيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيا أنس كتاب الله القصاص فقال القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
من عبادة الله من لو أقسم على الله لأبره وروى أبو داود حدثنا جابر بن حبيل حدثنا عاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن أبي نضرة
عن عمران بن حصين أن غلاماً لابن قفر أقطع أذن غلاماً لآس اغتياه فأبى إلهه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

انا ناس فقراء فلم يجعل عليه شيئا وكذا رواه الترمذي عن اسحق بن راحو به عن معمر بن هاشم السدوسي عن ابيه عن قتادة به وهذا
استاذ قري رجاله كلهم ثقات وهو حديث مشكل اللهم الا ان يقال ان الجاني كان قبل البلوغ فلا قصاص عليه ولعله تحتل ارش
ما نقص من غلام الاغنياء عن الفقراء واستعفاهم عنه وقوله تعالى والجروح قصاص قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال
تقتل النفس بالنفس وتفقأ العين بالعين ويقطع الانف بالانف وينزع السن بالسن وتقص الجراح بالجراح فهذا ياب توى فيه
احرار المسلمين فيما بينهم رجالهم ونساءهم اذا كان عدائي النفس ومادون النفس ويستوى فيه العبيد رجالهم ونساءهم فيما بينهم
اذا كان عدائي النفس ومادون النفس رواه ابن جرير وابن ابي حاتم (قاعدة مهمة) * الجراح نارية يكون في مفصل فيجب فيه
القصاص بالاجاع كقطع اليد والرجل والكف والقدم ونحو ذلك (٢٥٠) وأما اذا لم تكن الجراح في مفصل بل في عظم

فقال مالك رحمه الله فيه القصاص
الا في النخذه وشبهها لانه مخوف
خطر وقال أبو حنيفة وصاحبا
لا يجب القصاص في شيء من
العظام الا في السن وقال الشافعي
لا يجب القصاص في شيء من العظام
مطلقا وهو مروي عن عمر بن
الخطاب وابن عباس وبه يقول
عطاء والشعبي والحسن البصري
والزهري وابراهيم النخعي وعمر
ابن عبد العزيز واليه ذهب
سفيان الثوري والليث بن سعد
وهو المشهور من مذهب الامام
أحمد وقد اخرج أبو حنيفة رحمه الله
بحديث الربيع بنت النضر على
مذهبها لاقصاص في عظم الا في
السن وحديث الربيع لاجتماعه
لانه ورد بلفظ كسرت ثنية جارية
وجائزان يكون سقطت من غير
كسر فيجب القصاص والحالة هذه
بالاجاع وقوله والدلالة بما رواه ابن
ماجه من طريق أبي بكر بن عياش

هي الشام وعن قتادة وزيد بن اسلم نحوه وقال عبد الله بن شاذب هي فلسطين وقد
روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل الشام احاديث ليس هذا موضع ذكرها
(وقت) أي مضت واستمرت على تمام (كلمة بك) هي قوله تعالى ونريد أن نمن على
الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين وهذا وعد من الله سبحانه
بالنصر والظفر بالاعداء والاستيلاء على أملاكهم فتناهي عن المجازاة (الحسن)
صفة للكلمة وهي ثابث الاحسن (على بن اسرائيل عاصروا) أي تمام هذه الكلمة
عليهم بسبب صبرهم على ما أصيبوا به من فروع ونجومه وقال مجاهد تمام الكلمة ظهور
قوم موسى على فروع وتعين الله لهم في الارض واهلاك عدوهم وما ورثهم منها
(ودمر) ما كان يصنع فروع ونجومه (التمديرا لاهلاك أي اهلكا ما كانوا يصنعونه في
أرض مصر من العمارات وبناء القصور وفيها أربعة أوجه من الاعراب ذكرها السمين
(وما كانوا يعرشون) من الخنازير والخنزير والاعناب قاله الحسن ومنه قوله تعالى وهو
الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات وقيل يسقون من ذلك البنين وقيل
المعنى ما كانوا يفعلون من الابنية المشيدة في السماء يقال عرش يعرش أي بني يبن قال
مجاهد ما كانوا يفعلون من البيوت والتصور وهذا آخر قصة فروع ونجومه (وجاوزنا
بني اسرائيل البحر) هذا شروع في بيان ما فعله بنو اسرائيل بعد الشراغ مما فعله فروع
وقومه ومعنى جاوزنا جرد بهم وقطعنا يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراء
ظهره وهو كقولهم واذا فرغنا بكم البحر قال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعلمه هلاك
فروع ونجومه فصامه شكر الله تعالى (فالواعي قوم يعكفون على أصنام لهم) يقال
عكف يعكف ويعكف بالضم والكسر بمعنى أقام على الشيء ولم يمه والمصدر منه ما عكف
قيل هؤلاء القوم الذين أناسهم بنو اسرائيل هم من عظم وحضام كانوا نازلين بالرقعة يعني
ساحل البحر كانت أصنامهم عماليل بقرن نحاس فلما كان يعل السامري شبه لهم انه

عن دهم بن قران عن غرثان بن جارية عن أبيه جارية بن ظفر الحنفي ان رجلا ضرب رجلا على
نظفها فاستعدى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر له بالدية فقال يا رسول الله أريد القصاص فقال خذ بارك الله لك فيها ولم يقض له
بالنصاص وقال الشيخ أبو عمر بن عبد العزيز ليس لهذا الحديث غير هذا الاسناد ودهم بن قران العكلي ضعيف اعرابي ليس
حديثه ما يحتج به وثران بن جارية ضعيف اعرابي أيضا وأبوه جارية بن ظفر مذكور في النجاعة ثم قالوا لا يجوز أن يقتص من الجارحة
حتى تندمل جرحه انجني عليه فان اقتص منه قبل الاندمال ثم زاد جرحه فلا شيء له والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد عن عمرو بن
شعب عن أبيه عن جده ان رجلا طعن رجلا بقرن في ركبته فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أودني فأقاده فقال يا رسول الله
عرجت فقال قد نسيته فكفمتني فأبعدك الله وبطل عرجك ثم هي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتص من جرح حتى يبرأ

صاحبه تشرده بأجد * (مسئله) ٦ فلواقص الجني عليه من الخاني غلات من القصاص فلاشي عليه عندما لك والسافعي وأجد ابن خنبل وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم وقال أبو حنيفة تجب الدية في مال المقتص وقال عامر الشعبي وعطاء وطاوس وعروة بن زيار والحارث العكلي والحارث بن أبي ليلى وحماد بن أبي سليمان والزهري والثوري تجب الدية على عاقلة المقتص له وقال ابن مسعود وبرايم النخعي والحكم بن عتيبة وعثمان البستي يسقط عن المقتص له قدر تلك الجارحة ويجب الباقي في ماله وقوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فمن تصدق به يقولن غنا عنه وتصدق عليه فهو كفارة له لا طوبى وأجر لا طاب وقال سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فمن تصدق به فهو كفارة الجارح وأجر للخير روح على الله عز وجل رواه ابن (٢٥٦) أبي حاتم ثم قال وروى عن حنيفة بن عبد الرحمن ومجاهد وبرايم في أحد

من تلك البقرة فلذلك كان أول شأن العجل لتكون لله عليهم الخجة فينتقم منهم بعد ذلك
وقيل كانوا من الكتانيين الذين أمر موسى بقتالهم (قالوا) أي بنو إسرائيل عند
مشارعتهم تلك التماثيل (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) أي صنما لعبده كالصنما
كالذي لهؤلاء القوم قال البغوي لم يكن ذلك شكاً من بني إسرائيل في توحيد الله
وانما المعنى اجعل لنا صنماً ننظمه ونقرب بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لا يضر وفيه بعد
وقيل أنهم قوم توهّموا أنه يجوز عبادة غير الله فخلعهم جهلهم على ما قالوا قال الكرخي
وعلى كل فالقائل للقول المذكور بعضهم لا كلهم إذ كان من جملة من معه السبعون
الذين اختارهم موسى للسياقات ويعد منهم مثل هذا القول (قال) أي أجاب عليهم موسى
(انكم قوم تجهلون) وصنمها بالجهل لانهم قد شاهدوا من آيات الله ما ينجز من له أدنى علم
عن طلب عبادة غير الله ولكن هؤلاء القوم اعنى بني إسرائيل أشد خلقاً لله عناداً وجهلاً
وتلوا وقد سلف في سورة البقرة بيان ما جرى منهم من ذلك واخرج ابن أبي شيبة وأحمد
والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ
وابن مردويه عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل
حين فرزنا بسيرة فقاتل يارسول الله جعل لنا صنم هذه ذات أنواط كما للكنفاز ذات أنواط
وكان الكنفاز شوطون سلاحيهم بسيرة ويعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة انكم تركبون
سنن الذين من قبلكم ثم قال لهم موسى (ان هؤلاء) يعنى القوم العاكفين على
الاصنام (متبر) التبارك الهالكة وكل اناء منكسر فهو متبر أي ان هؤلاء الهالك (ما هم فيه)
مدمر منكسر والذي هم فيه هو عبادة الاصنام أخبر به ان هذا الدين الباطل الذي هؤلاء
القوم عليه هالك مدمر لا يتم منه شيء وقال ابن عباس متبر خسران (وباطل ما كانوا
يعملون) أي ذاهب مضاعف لجميع ما كانوا يعملونه من الاعمال مع عبادتهم للاصنام

قوله وعاصم الشعبي وجابر بن زيد
فهو ذلك الوجه الثاني ثم قال ابن
أبي حاتم حدثنا جابر بن زاذان حدثنا
سحري يعني ابن عماره حدثنا شعبة
عن عماره يعني ابن أبي حصص عن
زجل عن جابر بن عبد الله في قول
الله عز وجل فمن تصدق به فهو
كفارة له قال للجروح وروى
عن الحسن البصري وأبراهيم
النخعي في أحد قوله وأبي اسحق
الهمداني فهو ذلك وروى ابن
جرير عن عاصم الشعبي وقتادة مثله
وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس
ابن حبيب حدثنا أبو داود الطيالسي
حدثنا شعبة عن قيس يعني ابن
مسلم قال سمعت طارق بن شهاب
يحدث عن الهيثم بن العريان النخعي
قال رأيت عبد الله بن عمرو عند
معاوية أحرشيبا يالموا في فسألته
عن قول الله فمن تصدق به فهو
كفارة له قال بل يهدم عنه من ذنوبه
بقدر ما تصدق به وهكذا رواه

سفيان الثوري عن قيس بن مسلم وكذا رواه ابن جرير من طريق سفيان وشعبة وقال ابن مردويه حدثني محمد بن علي قال حدثنا عبد الرحيم بن محمد الجاشعي حدثنا محمد بن أحمد بن الحجاج المهری حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي حدثنا علي بن بلال أنه سمع أن ابن تغلب عن العريان بن الهيثم بن الأسود عن عبد الله بن عمرو عن أبيان بن تغلب عن الشعبي عن رجل من الأنصار عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله فمن تصدق به فهو كفارة له قال هو الذي تكسره يده أو تقطع يده أو يقطع الشئ منه أو يجرح حتى يندفع عفو عن ذلك قال فيحط عنه قدر خطاياه فإن كان ربع الديعة فرج خطاياه وإن كان الثلث فثلث خطاياه وإن كانت الديعة حطت عنه خطاياه كذلك قال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبي زائدة حدثنا ابن فضيل عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السحر قال دفع رجل من قريش رجلا من الأنصار فاندقت ثنته فرقعته الأنصار إلى معاوية فلما ألح عليه الرجل قال شأنك وصاحبك قال وأبو الدرداء

عند معاوية فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يصاب بشئ من جسده فيهبه الارتفاعه الله به
درجة وحط عنه به خطيئة فقال الانصاري أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته أنا ذى ووعاد قلبي خلفي سبيل
القرشي فقال معاوية والله يعمل هكذا رواه ابن جرير ورواه الامام أحمد فقال حدثنا وكيع عن حدثنا وكيع عن أنس بن مالك عن أنس
السفر قال كسر رجل من قريش سن رجل من الانصار فاستعدي عليه معاوية فقال معاوية اناسن ضربه فأخ الانصاري فقال
معاوية شاك بصاحبك وأبو الدرداء عالس فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يصاب بشئ من
جسده في تصدق به الارتفاعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة فقال الانصاري فاني قد عفوت وهكذا رواه الترمذي من حديث
ابن المبارك وابن ماجه من حديث وكيع كلاهما عن يونس بن أبي اسحق به (٣٥٧) ثم قال الترمذي غريب من هذا

الوجه ولا أعرف لاني للسفر سمعنا
من أبي الدرداء وقال ابن مردويه
حدثنا علي بن أحمد حدثنا محمد بن
علي بن زيد حدثنا سعيد بن منصور
حدثنا سفيان عن عمران بن ظبيان
عن عدي بن ثابت ان رجلا أهرم
فهرجل على عهد معاوية رضي الله
عنه فأعطى دية فاني الآن يقتص
فأعطى دية فاني فأعطى ثلاثا
فاني فحدث رجل من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من
تصدق بدم فادونه فهو كفارة لمن
يولد الى يوم يموت وقال الامام
أحمد حدثنا شريح بن النعمان
حدثنا هشيم عن المغيرة عن الشعبي
ان عباد بن الصامت قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل يجرح من
جسده جرحه فيصدهق بها الا
صدقه الله عنه مثل ما تصدق به
ورواه انسائي عن علي بن حجر عن

قال في الكشف وفي ايقاع هؤلاء اساميان وتقدم خبر المتد من الجملة الواقعة خبرا
لها وسم بعدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبارؤ أنه لا يعسدهم البتة وأنه لهم ضربة
لا يلب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويغض الله بهم ما أحبوا (قال أعز الله أنبياءكم الها)
الاستفهام للانكار والتوبيخ أى كيف أطلب لكم غير الله الها تعبدونه وقد شاهدتم من
آبائه العظام ما يكفي منه السعض والمعنى ان هذا الذى طلبتم لا يكون ابدا وادخال الهمزة
على الغير للاشعار بان المنكر هو كون المبتغى غير الله الها (وهو فضلكم على العالمين) من
اهل عصركم وهم القبط بما انعم به عليكم من اهلاك عدوكم واستخلافكم فى الارض
واخر احكم من الذل والهوان الى العز والرفعة فكيف تقابلون هذه النعم بطلب عبادة غيره
(واذا أنجيكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) أى اذكروا وقت انجائكم من
آل فرعون بعد ان كانوا لما كن لكم يستعبدونكم فيما يريدونه منكم ويمتنونكم
بانواع الامتنان هذا على ان هذا الكلام محكى عن موسى وأما اذا كان فى حكم الخطاب
للمؤمنين الموجودين فى عصر محمد فهو بمعنى اذكروا اذا أنجيكم أسلافكم حال كونهم
يسومونكم سوء العذاب ويجوز ان تكون مستأنفة لبيان ما كانوا فيه مما أنجىكم
منه (يقولون أناءكم ويستجيبون نسائكم) مفسرة للجملة التى قبلها وأبدل منها وقد سبق
بيان ذلك (وقد ذلككم) أى هذا العذاب الذى كنتم فيه (بلاء) عليكم نعمة أو محنة (من
ربكم عظيم) وقد تقدم تفسيرها فى البقرة والسائد فى ذكرها فى هذا الموضع انه تعالى هو
الذى أنعم عليكم بهذه النعمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل
لنا الها كما لهم آلهة (وواحدنا موسى ثلاثين ليلة) نكلمه عند انتهائهم ابان يصومها وهى
ذو القعدة اعطاء التوراة (وأعصاهما) أى المواعدة المفهومة من واعداؤنا وثلاثين ليلة
قاله الحوفي فى الاول اولى (بعشر) ليال من ذى الحجة للتقرب فانه ابن عباس ومجاهد وفى
محدث أبي وعنه ما بالضعيف وحذف تيز بعشر لئلا لالة الكلام عليه (فتم ميقات ربه)

جرير بن عبد الحميد ورواه ابن جرير عن محمود بن خداس عن هشيم كلاهما عن المغيرة
القطان عن مجاهد عن عامر عن الحرير بن أبي هريرة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصيب بشئ من جسده
فتذكر لله كان كفارة لقله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون قد تقدم عن طاوس وعطاء عنهما قالوا كفرون كفر وظلم
دين ظلم فسحق دون فسوق (وقضينا على آتاهم يعيسى بن مريم مصداق لما بين يديه من التوراة) أى ابتداء الانجيل فيه هدى ونور
ومصداق لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين واجحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك
هم الظالمون (يقول تعالى وقضينا أى استعنا على آتاهم يعيسى بن مريم مصداق لما بين يديه من التوراة
أى مؤمنها احكاما فيها وآتاهم هدى ونور رأى هدى الى الحق ونور يستضاء به في إزالة الشبهات وحل المشكلات

ومصدق فالمؤمن يتدبر من التوراة أي متبعها غير مخالف لما فيها الا في القليل مما بين يدي اسرائيل بعض ما كانوا يحتفلون فيه كما قال تعالى اخذوا عن المسيح انه قال لبي اسرائيل ولا حول لكم بعض الذي حرم عليكم ولهذا كان المشهور من قول العلماء ان الانجيل نسخ بعض احكام التوراة وقوله تعالى وهدي وموعظة للمتقين أي وجعلنا الانجيل هدى يهتدى به وموعظة أي وزاجرا عن ارتكاب المخارم والماس ثم للمتقين أي لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه وقوله تعالى وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه قرئ وليحكم أهل الانجيل بالنصب على أن اللام لام أي أي ابتداء الانجيل ليحكم أهل ملتهم في زمانهم وقرئ وليحكم بالجرم على أن اللام لام الامر أي ليؤمنوا بجميع ما فيه وليقيموا ما أمر به كما قال تعالى قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم الا يتوفاك تعالى (٢٥٨) الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يحدونه مكتوباً عندهم في التوراة

الى قوله المنطوق ولهذا قال ههنا ومن ليحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون أي الخارجون عن طاعتهم المائلون الى الباطل التاركون الحق وقد تقدم ان هذه الآية نزلت في النصارى وهو ظاهر السياق (وازلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاء من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن لبسوكم فبما آتاكم فاستبقروا الخبرات الى الله من جعلكم جميعاً فينبشكم بما كنتم فيه مختلفون وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ليصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أخكم بالجاهلية

المقات هو الوقت الذي قد ران بعمل فيه عمل من الاعمال ولذا قيل مواقيت الحج أي وقت وعده بكلامه اياد (أربعين ليلة) حذا من جلالة ما كرم الله به موسى عليه السلام وشرفه ولقد أجزل ذكر الاربعين في البقرة وذكره هنا على التفصيل وضرب هذه المدة موعداً لمناجاة موسى ومكاشفته قاله مجاهد وابن عباس قيل وكان التكليم في يوم النحر والقائد في أربعين ليلة مع العلم بان الثلاثين والعشر أربعون لثلاثين وهم ان المراد أعمنا الثلاثين بعشر منها فبين ان العشر غير الثلاثين وفي نصب أربعين ثلاثة أوجه أحدها انه حاله ان الخشري أي تم بالغاه هذا العدد الثاني على المفعول به الثالث على الظرف قاله ابن عطية وفيه ضعف (وقال موسى لآخيه هرون) عنده ذهابه الى الجبل للمناجاة (اخلفني في قوى) أي كن خليفتي فيهم (وأصلح) أمر بني اسرائيل بحسن سياستهم والرفق بهم وتقدراً لحوالهم واجلهم على عبادة الله تعالى (ولا تتبع سبيل المفسدين) أي لاتسلك سبيل العاصين ولا تكن عوناً للظالمين قال ابن عباس ان موسى قال لقرمه ان ربي وعدني ثلاثين ليلة ان ألقاه وأخاف هرون فيكم فلما فصل موسى الى ربه زاده الله عشراً فكانت قنتهم في العشر التي زاده الله فلما مضى ثلاثون ليلة كان السامري قد أبصر جبريل فاخذ من أثر الفرس قبضة من تراب ثم ذكر قصة السامري (ولما جاء موسى ليقاتنا) اللام للاختصاص أي كان مجيؤه مختصاً بالمقات المذكور بمعنى انه جاء في الوقت الموعود وكان يوم الخميس وكان يوم عرفه واعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (وكلمه ربه) أي أسمعه كلاماً من غير واسطة ولا كيفية وازال الخجائب بين موسى وبين كلامه فسمعوه وليس المراد انه أنشأه كلاماً من غير ان كلام الله قد علم ولم نرى في التفاسير هنا بيان ما فهمه موسى من ذلك الكلام أخرج الزاوي ابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحاشية والبيهقي في الاسماء والصفات من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذي كلمه به يوم ناداه فقال له موسى يارب أهذا

يعنون ومن أحسن من الله حكم القوم وقنون لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كلمه ومدحها وأثنى عليها وأمر بتابعها كما تقدم بيانه وذكر الانجيل ومدحه وأمر بتابعه شرعاً في ذكر ان القرآن العظيم الذي أنزل على عبده ورسوله الكريم فقال تعالى وازلنا اليك الكتاب بالحق أي بالصدق الذي لا ريب فيه انه من عند الله مصدقاً لما بين يديه من الكتاب أي من الكتب المتقدمة المتخذة كمدحه وانه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكان نزوله كما أخبر به عمار اذا حصد فاعند حاملها من ذوى البصائر الذين انقادوا لامر الله واتبعوا شرايع الله وصدقوا رسل الله كما قال تعالى ان الذين آمنوا وآتوا العلم من قبله اذا تبلى عليهم يحرزون لا ذل فان سجدوا يقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً ولا ان كان ما وعدهم الله على السنة رساله المتقدمة من محبي محمد عليه السلام لمفعولاً ولاي لكاننا لا لاجحاً ولا بد وقوله تعالى ومهيئاً

عليه قال سفيان الثوري وغيره عن أبي اسحق عن التميمي عن ابن عباس اي مؤتمنا عليه وقال علي بن أبي طلحة عنه المهين الامين
قال القرآن أمين على كل كتاب قبله - وروى عن عكرمة وسعد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب وعطية والحسن وقناة وعطاء
الخراساني والسدي وابن زيد نحو ذلك وقال ابن جريح القرآن امين على الكتب المتقدمة قبله لغوافقه منها فهو حق وما خلفه منها
فهو باطل وعن الوالي عن ابن عباس ومهنا أي شهيداً وكذا قال مجاهد وقناة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس ومهنا أي
حاكماً على ما قبله من الكتب وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فان اسم المهين يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد حاكم على كل كتاب
قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتماً أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاد من
الكالات ما ليس في غيره فلماذا جعله شاهداً أميناً وحاكماً عليها كلها (٣٥٩) وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فاما ما حكاه ابن أبي حاتم عن عكرمة
وسعد بن جبير وعطاء الخراساني
وابن أبي شحج عن مجاهد انهم قالوا
في قوله مهنا عليه يعني محمد صلى
الله عليه وسلم أمين على القرآن فانه
صحيح في المعنى ولكن في تفسير هذا
بهذا انظر وفي تنزيهه عليه من حيث
العريسة أيضاً نظر وبالجمل فالحجج
الاول وقال أبو جعفر بن جرير
بعد حكايته له عن مجاهد وهذا
التأويل بعد من المفهوم في كلام
العرب بل هو خطأ وذلك ان المهين
عطف على المصدق فلا يكون الا
صفة لما كان المصدق صفة له قال
ولو كان الامر كما قال مجاهد ان قال
وأزلنا اليك الكتاب بالحق مصداقاً
لما بين يديه من الكتاب مهنا عليه
يعني من غير عطف وقوله تعالى
فاحكم بينهم بما نزل الله أي
فاحكم بالمحمديين الناس عربهم
ومجهمهم أمهم وكناهم بما نزل الله

كلامك الذي كتبت به قال ياموسى انما كلكت بك قوة عشرة آلاف لسان وفي قوة الالسن
كها واوقوى من ذلك فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا ياموسى صف لنا كلام
الرحمن فقال لا تستطيعونه ثم روى الى اصوات الصواعق التي تقبل في أحلى حلاوة
سمعه فذلك قريب منه وليس به وفيه دليل على كلام الله مع موسى قال الزخشرى
تكلمه ان يحكى الكلام منطوقه في بعض الاجرام كما خلقه مخفوطاً في الاواح انتهى
والله ذهب المعتزلة وهو مذهب فاسد يردده الكتاب والسنة وابن الشجر وذلك الجرم ان
يقول اننى انا الله الآية وذهب الحنابلة ومن وافقهم من اهل الحديث ان كلامه تعالى
حروف واصوات مقطعة وانه قديم وهو الحق وقد نطق به السنة المطهرة وقال جمهور
المتمكمن ان كلامه صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وارادوا به الكلام النفسى
ولا ترجله راحة في السنة المطهرة وكذا ما ذكره الشيخ في التأويلات ان موسى سمع صوتاً
دال على كلام الله وهو ظاهر البطالان لخالفة نص القرآن وقد سكبت جمع من السلف
واختلف عن الخوض في تأويل صفة كلام الله تعالى وقالوا انه متكلم بكلام قديم يليق
بذاته فيجرف وصوت لا يشبه كلام المخلوق ليس كمثل شئ وله المثل الاعلى ولما سمع موسى
كلام ربه عز وجل اشتاق الى رؤيته وسألهما بقوله (قال رب أرني) اى ارني نفسك قاله
الزجاج وقال ابن عباس أعطى وأرني فعل امر مبني على حذف الياء والمعنى مكنى من
رؤيتك وهينئى لها فان فعلت في ذلك (أنظر المكن) فتغير الشرط والجواز بالجمله فقد
سأله النظر اليه اشتاقاً الى رؤيته لما سمعه كلامه وسؤال موسى للرؤية يدل على انها
جارية عنده في الجلية ولو كانت مستحيلة عنده لما سألهما (قال ابن ترائي) جملة مستأنفة
لكونها اجواب الاسوال مقدر كانه قيل فقال الله والمعنى ان تراني بعين فانية بالسؤال بل
بعين باقية بالطاعة والنوال أوله لا يراه ههنا الوقت الذي يطلب رؤيته فيه ساء وأنه لا يرى
مادام الرائي حياً في دار الدنيا وأما رويته في الآخرة فقد ثبتت بالاحاديث المتواترة

التي في هذا الكتاب العنسلم وبما قرره له من حكم من كان قبله من الانبياء ولم ينسخه في شرعك هكذا اوجهه ابن جرير بعبارة
قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد عن
ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخبر ان شاء محكم بينهم وان شاء اعرض عنهم فردهم الى احكامهم فترت وان احكم
بينهم بما نزل الله ولا تتبع اهواءهم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بينهم بما في كتابه وقوله ولا تتبع اهواءهم أي اراءهم
التي اضطجروا عليها وتركوها بسببها ما نزل الله على رسوله ولهذا قال تعالى ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق أي لا تصرف عن
الحق الذي أمر الله به الى اهواءهم لا من الجهلة الاشقياء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنها قال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الاجر عن يوسف بن أبي اسحق عن أبيه عن التميمي عن ابن عباس لكل جعلنا منكم شرعة قال

سبيلاً وحدهم أبوسعيد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحق عن التميمي عن ابن عباس ومنها جازأل وسنة وكذا روى العوفي
عن ابن عباس شرعة ومنها بسبيلاً وسنة وكذا روى عن شجاع وعكرمة والحسن البصري وتاددة والنفذالك والسدي وإبي إسحق
السبيعي أنهم قالوا في قوله شرعة ومنها أي سبيلاً وسنة وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد أي وعطاء انخراساني عكسه أي سنة
وسبيلاً والاول أنسب فان الشرعة هي ما يتدأ في الشيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه وكذا الشرعة وهي ما يشرع
فيها إلى الماء أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل والسنة الطارئة فتفسر قوله شرعة ومنها جازأل وسبيلاً والسنة الظاهرة في المناسبة
من العكس والله اعلم ثم هذا الخبر عن الامم المختلفة الاديان باعتبار ما بعث الله به رسوله الكرام من الشرائع المختلفة في الاحكام
المختلفة في التوحيد كما ثبت في صحيح (٣٦٠) الجارى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شن معاشر

الانبياء اخوة لعالم ديننا واحد
يعنى بذلك التوحيد الذى بعث الله
به كل رسول ارسله وضمنه كل كتاب
انزله كما قال تعالى وما ارسلنا من
قبله من رسول الا بوحى من الله انه
لا اله الا نافع عبدون وقال تعالى
ولقد بعنا فى كل امة رسولا أن
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
الآية وأما الشرائع فمختلفة في
الاورام والنواهي فقد يكون
الشيء في الشريعة حراما ثم يحل في
الشرعية الاخرى وبالعكس
وتخفيفا في الشدة في هذه دون
هذه وذلك لما له تعالى في ذلك من
الحكمة البالغة والحنّة الدامغة
قال سعيدين أي عروبة عن قيادة
قوله لكل جعلنا منكم شرعة
ومنها جازأل وسبيلاً وسنة والسنة
المختلفة هي في التوراة شرعة وفي
الانجيل شرعة وفي الفرقان شرعة
يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء
ليعلم من يطعه ممن يعصيه والدين

واترا لا يخفى على من يعرف السنة المظهرة والجدال في مثل هذا والمراد في الآتي بقائه
ومنهج الحق واضح ولكن الاعتقاد المذهب نشأ الانسان عليه وادرك عليه اياه واهل بلده
مع عدم التنبيه لما هو المطلوب من العباد من هذه الشرعة المظهرة بوقع في التعصب
والتعصب وان كان بصره صحيحا فبصره عيما وأذنه عن سماع الحق صمما يدفع الحق
وهو يظن انه مادمع غير الباطل ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق غفلة منه وجهل لاعبا
أوجب الله عليه من النظر الصحيح وتلقى ما جاء به الكتاب والسنة بالادعان والتسليم
وما اقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الاصول والفروع فانه صار بها باب الحق
حررته وطريق الانصاف مستوعرة والامر لله سبحانه والهداية منه
يا أي القى الاتباع الهوى ومنهج الحق له واضح
ولم يقل ان ارى ليكون نفسا الجواز ولو لم يكن حريثا لا يخبر بأنه ليس يترقى اذا الحالة حالة
الحاجة الى البيان وقد علم اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرحبة بظاهر هذه
الآية وقالوا ان النأي دوا وادوم وهذا غلط اذ ليس يشهد لما قاله نص عن اهل اللغة
العربية ولم يقل به أحد منهم والكتاب والسنة على خلاف ذلك فقد قال تعالى في حق
اليهود ولئن تمنوا يذامع انهم يمتنون الموت يوم القيامة كما قال تعالى ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك وقوله يا مالك كانت القاضية والسنة أكثر من أن تحصى وعبر بان ترائي
دون ان تتطراي مع انه المطابق لقوله أنظر اليك لان الرؤية هي المقصودة والنظر مقدمتها
وقد يحصل دونها وأما المطابقة في الاستدلال بقوله (ولكن انظر الى الجبل) فواضحة
لان المقصود منه تعظيم امر الرؤية ومعناه انك لا تثبت لرؤيتي ولا تثبت لها ما هو اعظم
منك من امر صلابه وقوة وهو الجبل فانظر اليه (فان استقر مكانه) وبقي على حاله ولم يتزلزل
عند رؤيتي له (فسوف ترائي) أي تثبت لرؤيتي وان ضعف عن ذلك فانت منه اضعف
ولا طاقا لك فهذا الكلام بمنزلة ضرب المثل لموسى عليه السلام بالجبل وقيل هو من باب

الذي لا يقبل الله غيره التوحيد والاخلاص الذي جاء به جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل الخطاب
بهذه الآية خذ الامة ومعنا لكل جعلنا القرآن منكم آياتها الامة شرعة ومنها جازأل وسنة وكذا روى عن
المنصوب في قوله لكل جعلنا منكم أي جعلنا يعني القرآن شرعة ومنها جازأل وسنة وكذا روى عن
واضحنا بينا هذه الامم من ما حكمه ابن جرير عن مجاهد رحمه الله والصحيح القول الاول ويدل على ذلك قوله تعالى ولو شاء الله لجعلناكم
امة واحدة فلو كان هذا اخطا بالهذه الامم لما صح أن يقول ولو شاء الله لجعلناكم امة واحدة ولكن هذا خطاب لجميع الامم واختبار
عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لم يجمع الناس كلهم على دين واحد وشرعة واحدة لا يفسخ شيء منها ولكنه تعالى شرع لكل رسول
شرعة على حدة ثم نبيها وبعضها رسالة الآخر التي بعد هاتحي نسخ الجميع بما بعث الله به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

استعنه الى اهل الارض قاطبة وجعله خاتم الانبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن لسؤلوكم فيما آتاكم
 آتى الله تعالى شرع الشرائع مختلفة فاختبر عباده فيها شرع لومهم وبينهم أو يعاقبهم على طاعة أو معصيته بما فجاءه وعزموا عليه من
 ذلك كله وقال عبد الله بن كثير فيما آتاكم يعني من الكتاب ثم قال تعالى سبهم الى المسارعة الى الخسرات والمبادرة اليه فقتال
 فاستبقوا الخسرات وهي طاعة الله وآتباع شرعه الذي جعله لنا خيرا لما قبله واتصدق بذكره التران الذي هو آخر كتاب أنزل الله ثم قال
 تعالى الى الله مرجعكم أي معادكم أي الناس ومصيركم اليه يوم القيامة فينبغيكم بما كنتم في مختلفون أي في غيركم بما اختلفتم فيه
 من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ويعذب الكافرين بما كانوا يعملون المكيدين بالحق العادلين عنه الى غيره بلا دليل ولا برهان بل هم
 معاندون للبراهين القاطعة والخبير بالباطل والادلة الدامغة (٣٦١) وقال الضحاك فاستبقوا الخسرات يعني أمة محمد

صلى الله عليه وسلم والاول أظهر
 وقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله
 ولا تتبع أهواءهم أي كيد لما تقدم
 من الامر بذلك والنهي عن خلافه
 ثم قال واحذرهم أن يفتنوك عن
 بعض ما أنزل الله اليك أي واحذر
 أعداءك اليهود ان يأسوا عليك
 الحق فيما ينوبه المسك من الامور
 فلا تغتر بهم فانهم كذبة كفر خونة
 فان يوتوا أي عما تحكيهم بينهم من
 الحق وخالفوا شرع الله فاعلم انما
 يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم
 أي فاعلم ان ذلك كائن عن قدر الله
 وحكمته فيهم أن يصرفهم عن
 الهدى لما لهم من الذنوب السابقة
 التي اقضت اضلالهم ونكالهم
 وان كثر من الناس لافساقون
 أي ان أكثر الناس لخارجون عن
 طاعتهم مخالفون للحق نأون عنه كما
 قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت
 بمؤمنين وقال تعالى وان تطع
 من في الارض يضلوك عن سبيل الله
 وقال محمد بن اسحق حدثني محمد بن

التعليق بالخال وعلى تسليم هذا فهو في الرؤية في الدنيا لما قدمنا وقد عرفت هذه الآية كالا
 طائفة المعتبرة والاشعرية فالاعتزلة استدلوا بقوله ان تراني كما تقدم وبما به بان ينظر الى
 الجبل والاشعرية قالوا ان تعليق الرؤية باستقرار الجبل يدل على انها جائزة غير مستعجلة ولا
 يتحقق ان الرؤية الاخرى به هي معزلة عن هذا كله والخلاف بينهم هو في الاثرية
 في الدنيا فقد كان الخلاف في اثنى زمن العبادة وكلامهم فيها معروف (فما يتجلى ربه) يتجلى
 معناه ظهر من قولك جلوت العروس أي أبرزتها وجلوت السيف اخلصته من الصدى
 ويتجلى الشيء انكشف والمعنى فلما ظهر ربه وقيل المتجلى هو امره وقدرته فانه قاطرب
 وغيره (لجبل جعله ذكرا) ذلك مصدر بمعنى المنعول أي جعله مذكورا كدقوا فافصارا
 هذه قراءة اهل المدينة واهل البصرة والدق أخوان وهو تفتيت الشيء ومحققه
 وقيل تسويته بالارض وقرأ اهل الكوفة ذكرا على التأنيث والجمع ذكوات كحمراء
 وجراوات وهي اسم للراية لا تنظر من الارض والارض المستوية فالعنى ان الجبل
 صار صغيرا كالراية وأرضه مستوية قال الكسائي الذك الجبال العراض واحدها
 أدك والذكوات جمع ذكاه وهي رواه ابن طين ليست بالغلط والدك كذلك ما التبس من
 الارض فلم يرتفع وناقذ ذكاه لا سنام لها قال سهل بن سعد الساعدي ذكاه يعني مستويا
 بالارض وقيل ترابا وقيل ساخ حتى وقع في البحر وقال عطية العوفي صار رملا هائلا
 وقال الكلابي يعني كسر جبال الصغار قيل واسم الجبل زبير قال الضحاك اظهر الله من
 نوره مثل مخفر الثور وقال ابن سلام وكعب ما تجلي الامثل سم الخياط وقال السدي
 الاقدار الخضر واخرج احمد والترمذي والحاكم وصححه وابن جرير وغيرهم عن أنس
 ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فجعله ذكاه قال هكذا وأشار
 باصبعه ورضع ابهامه على آغله الخضر وفي لفظ على المنصل الاعلى من الخضر فساخ
 الجبل وخر موسى صخرة في لفظ فساخ الجبل في الارض فهو يوم في ايام يوم القيامة

(٤٦ - فتح البيان ثالث) أي محمد بن زيد بن ثابت حدثني سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس قال قال كعب بن أسد
 وابن صلام وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نقسمه عن دينه فاقول فقالوا يا محمد انك قد عرفت
 اننا حياريم وودأشرا فهم وساداتهم وانانا استعمالنا تعابيم وودولم يخالفونا وان ينسأون قومنا خسرمة ففما حكمهم اليك فتقضي
 لنا عليهم ونؤمن لك ونصدقك فالى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل فيهم وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع
 أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك الى قوله اقم يوم توتون رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقوله تعالى ألقاكم
 الجاهلية يفتون ومن أحسن من الله حكم القوم يوتون يشكر تعالى على من خرج عن حكم الله الحكم المشقل على كل خبير الناهي
 عن كل شر وعدل الى مساوهم والآراء والاهوال الاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل
 الجاهلية يحكمون بهن الفضالات والجهالات مما يضرعون بها رآهم وأهواءهم وكما يحكم به التمارن السياسات الملكية

الماخوذة عن جنسك من الذي وضع لهم الباسق وهو عبارة عن كذب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع مشي من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام اخذها من مجرد نظره وهو اذ قصارت في فيه شرعاً متبعاً بقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يتكلم سواه في قليل ولا كثير قال الله تعالى اخفكم الجاهلية يغيثون أي يفتنون ويريدون عن حكم الله يعدلون ومن أحسن من الله حكمه لعم يوقون أي ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شره وآمن به وأيقن وعلم أن الله تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بخلقهم من الوالد تولد هافاة تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا هلال بن أبي فاضل حدثنا أبو عبيدة النخعي (٢٦٢) قال سمعت الحسن يقول من حكم بغير حكم الله فحكم الجاهلية

وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم وقال ابن عباس هذا الجبل هو البثور وما تجل منه الا قدر انخصر جعله تراباً وقال سهل بن سعد أظهور روارق الدرهم من سبعين ألف حجاب وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما تجلج الله للجبل صارت لعظمته ستة أجبل فوعدت ثلاثة بالمدنة وثلاثة بمكة بالمدنة أحد دورقان ورضوى ومكة واهوثير وثور آخره أبو الشخ وأبو نعيم في الحلية وابن أبي حاتم وغيرهم وفي لفظ سبعة أجبل في الدين اثنان حضور مصر (وخروسي) أي سقط والخروج السقوط وقيدته الراغب بسقوط يستمع له خيرو الخريز يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يستقط من علو (صعقاً) أي مغشياً عليه لهول ما رأى ما خوذ من الصاعقة والمعنى انه صار له لما غشى عليه كحال من يغشى عليه عند اصابة الصاعقة له يقال صعق الرجل فهو صعق ومصعوق اذا أصابته الصاعقة قال الكلبي صعق موسى يوم النجيس وهو يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم الخمر قال ابن عباس فلم يزل مصعقاً ما شاء الله وقال قتادة سمعنا قال اول لقوله (فلما آفاق) والميت لا آفاق له انما يقال آفاق من غشيته والآفاق رجوع النهيم والعقل الى الانسان بعد جنونه أو سكر أو فحوه ما ومنه آفاق المريض وهي رجوع قوته وآفاق الحلب هي رجوع للدرالى الضرر قال الواقدي لما خرو موسى مصعقاً قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤال الرؤية فلما آفاق وعرف انه سأل أمر اعطيه بالانبياء له (قال سبحانه) أي أنزهك تنزيهاً من أن أسأل شمساً أن تاذن لي به أو عن أن ترى في الدنيا أو من النقائص كلها (كتب الملك) عن العود الى مثل هذا السؤال قال النبطي وأجبت الامه على ان هذه التوبة ما كانت عن معصية فان الانبياء معصومون وقيل هي توبته من قتله للقبلي ذكره الله يري ولا وجهه في مثل هذا المقام وقيل لما كانت الرؤية خصوصاً صفة مجمعة صلى الله عليه وآله وسلم لم يقعها قال تبت اليك يعني من سؤال ما ليس لي وما أبعد والاول أولى (وأنا أول المؤمنين) بل قبل ذوي الموجودين في هذا العصر المعترفين بعظمة وجلالة وبانك

واخبرنا يونس بن عبد الاعلى قراءة حدثنا ثمانيان بن عيسى عن ابن أبي نجيح قال كان طائوس ادا سأل رجل أفضل بين ولدي في التحليل قرأ أخفكم الجاهلية يغيثون الآية وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن مجدة الحوطي حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع أخـ برنا شعيب ابن أبي حمزة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الناس الى الله عز وجل من يتقي في الاسلام سنة الجاهلية وطالب دم امرئ بغير حق ليريق دمه ورواه البخاري عن أبي اليمان بإسناده بن يادة (بأبيها) الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم فهم منهم قاله منهم ان الله لا يهدي القوم

الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يراءون فهم يقولون نختصي ان تصناداً ثم غشى الله انى لا ترى بالفتح وأمر من عذبه فصبوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين ويقولون الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعدكم حطاً أعمالهم فاصبحوا خاسرين) بنو تبارك وتعالى عبادة المؤمنين عن موالاتهم اليهود والنصارى الذين هم أعداء الاسلام وأهل قلوبهم الله ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعضهم ثم تعدوا نوعاً من يعاطى ذلك فقال ومن يتولهم منكم فانه منهم الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا كثير بن شهاب حدثنا محمد بن عيسى ابن سعيد بن سابق حدثنا عمرو بن أبي قيس عن سماعة بن حرب عن كح عياض ان عمر أمر أماسوس الاشعري أن يرفع اليه ما أتت قاراً لئلا تكافى المسجد من الشام فقال انه لا يستطيع فقال عراً أجنب هو قال لا بل نصراني قال فأنه ترضى وضرب فخذي ثم قال اخرجوه ثم رأينا أي الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء الآفة وحده شامخ محمد بن الحسن بن الصبا
 عتبة لم يتق أحدكم ان يكون مديونا ونصرانيا هو لا يشعر قال فظنناه يريد هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى
 أولياء الآية وحده شامخ محمد بن الحسن بن الصبا عن عاصم عن عكرمة عن ابن عباس انه سئل عن ذبايح نصارى العرب فقال
 قال الله تعالى ومن يتولهم فبهم مذهبهم وروى عن أبي الزناد نحو ذلك وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض أى شك وريب
 ونفاق يسارعون فيهم أى يسارعون الى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أى يقولون في
 مودتهم وموالاتهم انهم يخشون ان يقع أمر من ظفر الكفار بالمسلمين فتكون لهم أباد عند اليهود والنصارى فينفقهم ذلك عند
 ذلك قال الله تعالى فعسى الله أن يأتى بالفتح قال السدي يعنى (٣٦٣) فتح مكة وقال غيره يعنى القضاء والفصل
 أو أمر من عنده قال السدي يعنى

ضرب الجزية على اليهود والنصارى
 فيصحبوا بعضى الذين والوا اليهود
 والنصارى من المنافقين على ما
 أسروا فى أنفسهم من الموالات
 نادى من أى على ما كان منهم مما
 لا يجدى عنهم شأ ولا رفع عنهم محذورا
 بل كان عين المنفعة فانهم فضحوا
 وأظهر الله أمرهم فى الدنيا لعباده
 المؤمنين بعد ان كانوا مستورين
 لا يدري كيف حالهم فلما عقدت
 الاسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم
 لعباد الله المؤمنين فتجسروا منهم
 كيف كانوا ينظرون انهم من
 المؤمنين ويحلفون على ذلك
 ويتأولون فيما كذبهم واقتروا لهم
 ولهذا قال تعالى ويقول الذين
 آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد
 ايمنهم انهم لمعكم حطبت أعمالهم
 فأصبحوا خاسرين وقد اختلف
 القراء فى هذا الحرف فقرأه الجمهور
 بآبائ الواء فى قوله ويقول الذين
 ثم منهم من رفع ويقول على الابتداء

لا ترى فى الدين ما جوازها (قال موسى الى اصفهين) جملة مستأنفة كالتى قبلها متضمنة
 لا كرام موسى واختصاصه بما اختصه الله به والاصطفاء الاختيار والاجتماع أى اخترتك
 (على الناس) المعاصر من لك (برسالاتي) كانه نظر الى ان الرسالة الهى على ضرب من جمع
 لاختلاف الأنواع وقري بالافراد (وبكلامى) المراد به هنا التكليم امتن الله سبحانه عليه
 بهذين النوعين العظيمين من أنواع الاكرام وهما الرسالة والتكليم من غير واسطة (فخذ
 ما أنت بك) أمره بان يأخذ ما آتاه أى أعطاه من هذا الشرف الكريم والفصل الجسيم
 (وكن) أمره بان يكون (من التاكرين) على هذا العطاء العظيم والاكرام الجليل
 (وكنتم له فى الألواح من كل شئ) مما يحتاج اليه بنو اسرائيل فى دينهم ودنياهم وقال
 السدي من كل شئ أمره وبه ونحوه وعنه عن مجاهد مثله وقد اختلف السلف فى المكتوب
 فى الألواح اختلفا كثيرا ولا مانع من حمل المكتوب على جميع ذلك لعدم التاقي وهذه
 الألواح هى التوراة قيل كانت من زهرة خضر اوقيل من باقوة خضراء وقيل من زبرجدة
 خضراء اوقيل من حجر زدهاء وقيل من خشب نزل من السماء وقد اختلف فى عدد
 الألواح وفى مقدار طولها وعرضها والألواح جمع لوح وسعى لوحا لكونه تلوخ فيه المعانى
 وأسند الله سبحانه الكتابة الى نفسه تشريفا للكتب فى الألواح وهى مكتوبة بأمره
 سبحانه وقيل هى كتابة خلقه الله فى الألواح وفى الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب
 التوراة بيد وعرس شجرة طوبى بيده وفى لفظ عرس الفردوس بيد ووالدارى وابن
 النجار وغيرهما عن عبد الله بن الحرث والحفوظ انه موقوف وفيه يوم عشر متكلم فيه
 وقال ابن جرير خلق الله أربع عشرة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم وعن ميسرة ان الله
 لم ينس شيئا من خلقه غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيد وعرس جنة عدن بيده
 ونحوه عن كعب واهم الدارى وص على بن أبى طاب قال كتب الله الألواح لموسى
 وهو يسمع سر يق الاقلام فى اللوح وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبي صلى

ومهم من نصب عطنا على قوله فعسى الله ان يأتى بالفتح واخر من عنده فتقديره ان يأتى وان يقول وقرأ أهل المدينة يقول الذين
 آمنوا بغير واو وكذلك هو فى مصاحفهم على ما ذكره ابن جرير قال ابن جرير عن مجاهد فعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنده
 تقديره (١) حينئذ يقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمنهم انهم لمعكم حطبت أعمالهم فأصبحوا خاسرين
 واختلف المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات الكريمة فخذ كذا السدي انها نزلت فى رجلين قال أحدهما الصحابة بعد رقة
 احدا ما أنا فأتى ذلك اليهودى فأوليه وأهمودعه لعليه شقنى اذا وقع أمر او حدث حدث وقال الآخر وأما أنا فأتى
 ذاهب الى فلان النصرانى بالشام فأولاه الله وأتصرمعه فأزل الله بأهلها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء الآية
 (١) قوله تشدير الخ كذا الأصل لا بد لنا ولا يخفى ان الكلام غير مرتبط بمقابله ولا يفيد معنى فعله فيه سقطا اختلفت العبارة
 وعبارتها من الجاهل وقيل أنكره ونافعه واعرهم يقول بغروا وعل انه استئناف سأل كانه قبل بها ذاق له المنة منه حينئذ

وتبرأ إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم خلفهم وقال يا رسول الله أبرأ إلى الله وإلى رسوله من خلفهم وأبى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من خلف الكفار ولا يتهم فقيده وفي عبد الله بن أبي نزيلات الآيات في المسألة أيها الذين آمنوا اتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض إلى قوله ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حرب الله هم الغالبون وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن محمد بن إسحق عن الزعري عن عروة عن أسامة بن زيد قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي نعوذة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قد كنت أنهلك عن حب وقد قال عبد الله فقد اغتضهم سعد بن زرارة قتلت وكذا رواه أبو داود عن حديث محمد بن إسحق (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أفله على المؤمنين أعز علي الكافرين مجاهدون في سبيل الله (٢٦٥) ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
أفأولئك الله ورسوله والذين آمنوا
الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون ومن يتولى
الله ورسوله والذين آمنوا فإن
الله هم الغالبون) يقول تعالى
نخبر عن قدرته العظيمة أن من تولى
عن نصرته دينه وأقامه شر بعته
فإن الله سيستبدله من هو خير
لهامنه وأشد منعة وأقوم سيلا
كما قال تعالى وإن تولوا يستبدل
قومنا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم
وقال تعالى إن يشاء يذهبكم إجماع
الناس ويأت بتاخرين وقال تعالى
إن يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز أي بمستع
ولاصعب وقال تعالى ههنا أيها
الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
أي يرجع عن الحق إلى الباطل وقال
محمد بن كعب بن زيات في الولاية من
قريش وقال الحسن البصري تزات
في أهل الردة أيام أبي بكر وقال ابن

(سأريكم دار الفاسقين) أي الكفار قاله ابن عباس وهي أرض مصر التي كانت النمرعون وقومه قاله عطاء بن ربيع وقاله الكلبي وقيل هي جهنم قاله الحسن وعطاء وقيل منازل الكفار من الجبارة والعمالقة ليعبر وأما قاله السدي وقال قتادة سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية وقيل الدار الهلاك والمعنى سأريكم هلاك الناسين وقد تقدم تحقيق معنى النسق وقال مجاهد سأريكم مصيرهم في الآخرة وقال قتادة منازلهم في الدنيا ومعنى الآراء الإدخال بطريق الأرض ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالآلة المثلثة كافي قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها قاله أبو السعود وهذه القرائت ترد القول بأنهم جاهلهم والعجب من السيوطي بعد هذا الخلاف المقرر كيف يريد دعوى التحفيف والتخفيف فإنه قد ذكر في حسن المخاضرة مانصه أشهر على أسنة كثير من الناس أنهم مصر وقد أخرج ابن الصلاح وغيره من الحفاظ أن ذلك خلط نشأ عن تحفيف وأما الواوارد عن مجاهد وغيره من مفسري السلف في قوله تعالى سأريكم الخ قال مصيرهم فصحت انتهى وجهوا للمفسرين على أن يقرأ أسير أسير بعد ذهابهم إلى الشام رجعوا إلى مصر وملكوها أرض القبط وأما الهم وبه قال القرطبي والبكرخي وهو قول الحسن وقيل أنهم لم يعودوا إلى مصر وهو قول ضعيف جدا (سأصيرن عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) قيل معناه سأمنعهم فهم كلابي أي أخرج عنهم فهم القرآن قاله سفيان بن عيينة وقال السدي عن أن يتفكر وفي آياتي وقال ابن جرير عن التفسير في خلق السموات والأرض والآيات التي فيها وما قيل سأصير فهم عن الإيمان بها والتصديق بما فيها وقيل عن نفعها مجازاة على تكبرهم كافي قوله فلما راعوا أن أراهم الله قلوبهم وقيل سأطبع على قلوبهم حتى لا يتفكر وفيها ولا يعتبر وأما واختلاف في تفسير الآيات فقليل هي المعجزات التسع التي أعطها الله لموسى وقيل الكتب المنزلة وقبل خلق العالم ولا مانع من جعل الآيات على جميع ذلك وحمل الصرف على جميع

عباس فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هم أهل القادسية وقال ليت بن أبي سالم عن مجاهد هم قوم من سبا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد الله بن الأجلع عن محمد بن عمرو عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال ناس من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون وحدثنا أبي حدثنا محمد بن الحنفى حدثنا معاوية بن يحيى بن أبي زياد الحلبي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون ثم من يحب وهذا حديث غريب جدا وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة حدثنا عبد الصمد يعني ابن عبد الوارث حدثنا شعبة عن سماك سمعت عياضا يحدث عن أبي موسى الأشعري قال لما تزات فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا ورواه ابن جرير بن

حدثت شعبة نحوه وقوله تعالى اذله على المؤمنين اعز على الكفار من هذه صفات المؤمنين الكامل ان يكون اخذهم متواضعا
 لآخيه ووليته متعز زاعلي خصه وعده كما قال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشد على الكفار رجاء منهم وفي صفته رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه الضحك القتل فهو ضحك لا وليا له قتال لا عدائه وقوله عز وجل يحاهدون في سبيل الله ولا يخافون
 لومة لائم اي لا يردهم عاهم فيه من طاعة الله واقامة الحدود وقال أعدائه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ لا يصددهم
 عنه صا ولا ينفع فيهم لومة لائم ولا عدل عادل قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن محمد بن واسع عن عبد الله بن
 الصامت عن أبي ذر قال أمرني خليلي صلى الله عليه وسلم بسبع أمر في بحق المساكين والفقراء منهم وأمرني ان انظر الى من هو دوني
 ولا أنظر الى من هو فوقني وأمرني ان أصل (٣٦٦) الرحم وان أدبر وأمرني ان لأسأل أحدا شيئا وأمرني ان أقول الحق وان

كان مرا وأمرني أن لا أخاف في
 الله لومة لائم وأمرني أن أكثرت
 قول لا حول ولا قوة الا بالله فان كنت
 من تحت العرش وقال الامام أحمد
 أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان
 عن أبي المثني ان أباه رضى الله عنه
 قال يا بني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم خمس ما وثقتي سمعوا وأشهد
 الله على سماعي لا أخاف في الله
 لومة لائم قال أبو ذر فدعا في رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لك
 الى بيعة ولك الجنة قلت نعم قال
 وبسط يدي فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم وهو يشترط على ان لا
 تسأل الناس شيئا قلت نعم قال ولا
 سوطك وان سقط منك يعني تنزل
 اليه فتأخذه وقال الامام أحمد أيضا
 حدثنا محمد بن الحسن حدثنا جعفر
 عن المعلى القردوسي عن الحسن
 عن أبي سعيد الخدري قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
 لا تمنعن أحدكم رهبة الناس ان

المعاني المذكورة والتكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق العباد أي
 يقتعلون الكبر ويرون انهم أفضل من غيرهم لذلك قال (بغير الحق) أي يتكبرون بما
 ليس بحق أو متلبسين بغير الحق (وان يروا كل آية لا يؤمنون بها) أي سأصرف عن آياتي
 المتكبرين التاركين للإيمان بما يرونه من الآيات ويدخل تحت كل آية الآيات المتزايدة
 والآيات التكوينية والمعجزات أي لا يؤمنون بما يفهم من الآيات كائنتها كانت (وان يروا
 سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) معطوفة على ما قبلها ادخاله في حكمه وكذلك (وان يروا
 سبيل الحق يتخذوه سبيلاً) والمعنى انهم اذا وجدوا سبيلاً من سبيل الرشداً يعني طريق
 الحق والهدى والسداد والصواب تركوه وتجنبوه وان رأوا سبيلاً من سبيل الغي والضلال
 سلوكوه واختاروه لانفسهم قال أبو عبيدة فرق أبو عمرو بين الرشداً والرشداً فقال الرشداً
 الصلاح والرشداً في الدين وقال النحاس سيبويه يذهب الى ان الرشداً والرشداً كالسخط
 السخط وهما اتقان وأصل الرشداً في اللغة ان ينظر الانسان بما يردوه وضد الحجة (ذلك)
 اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم الايمان بالآيات وتجنب سبيل الرشداً وسبيل
 التي وهو مبتدأ خبره قوله سبحانه (بانهم كذبا بآياتنا وكانوا عتوا لعافلين) أي بسبب
 تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها (والذين كذبا بآياتنا ولقاء الدار) (الآخرة) يعني لقاءهم
 لها ولقاءهم ما وعدوا به فيها ذكرهما الرخصى (حبطت أعمالهم) الحطاط المظلل أي
 بطل ما عملوه في الدنيا مما صورته صورة الطاعة كالصدقة والصلة وان كانوا في حال كفرهم
 لاطاعات لهم كان لم تكن ويحتمل ان يراد انهم ابطال بعدما كانت من جوة النفع على تقدير
 اسلامهم لما في الحديث الصحيح أسلمت على ما أسلفت من خير (هل يجوزون الاما أي
 بما) (كانوا يعاملون) او على ما كانوا يخرجون اما كانوا اقدره الواحدى وقال هنا لا بد منه قال
 السمين وهو واضح لان نفس ما كانوا يعاملونه لا يجوزونه انما يجوزون بمقابله أعمالهم من
 الكفر بالله والتكذيب بآياته وتكذب سبيل الحق وسبيل الحق (واخذ قوم

يقول بحق اذا رآه وشهده انه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق أن يقول بحق أو ان يذكر بعظيم تقديده أو جندوا قال موسى
 أجد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن زيد بن عمرو بن مرة عن أبي الجحدي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى امر الله فقال فلا يقول فيه فيقال له يوم القيامة ما منعك أن تكون قلت في كذا وكذا
 فيقول بخافة الناس فيقول ماى أحق أن تخاف وروى ابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الى طوله عن ابن عباس عن عبد الله
 العبدى المدني عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى انه ليسأله يقول له أى
 عبدى رأيت منكرا فلم تذكره فاذا لقى الله عبد احبته قال أى رب وثقت بك وخفت الناس وثبت في الصحيح ما ينبغي للمؤمن أن يذل
 نفسه قالوا وكيف يذل نفسه يا رسول الله قال يتحمل من البلاء ما لا يطيق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أى من انصف هذه الصفات

موران عن ابن عباس في قوله اذ جاءكم الله ورسوله نزلا في المؤمنين وعلى بن أبي طالب أو لهم قال ابن جرير حديثنا عن سعد بن عبد الله عن عبد الملك عن أبي جعفر قال سألت عن هذه الآية عليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يعقون الصلاة يؤتون الزكاة وهم راكعون قلنا من الذين آمنوا قلنا نعم انهم نزلا في علي بن أبي طالب قال علي بن الذين آمنوا وقال اسناط عن السدي نزلا هذه الآية في جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب من بساثل وهو راكع في المسجد فاعطاه ثيابه وقال علي بن أبي طلحة الخواشي عن ابن عباس من أسلم فقتل في الله ورسوله والذين آمنوا وفان جرير وقد تقدم في الاحاديث التي أوردناها ان هذه الآية كلها نزلا في عبادة من الصامت رضي الله عنه حين تبرأ من خلفه وودى بولاية الله ورسوله والمؤمنين ولهذا قال تعالى بعذر هذا كله ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا (٢٦٨) فان حرب الله هم الغالبون قال تعالى كتب الله لا طغيا أما ورسلي ان الله قوري

عزير لا يتبدد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم السم الايمان وأبدىهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حرب الله الا ان حرب الله هم المفلحون فكل من رضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصود في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكرسيه ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حرب الله هم الغالبون (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين آمنوا وبنوا الكتاب من قبلكم والكنز والولاء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وإذا نادى الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون) هذا

(وكأن الظالمين) لانفسهم في اتخاذها ألقا في كل شيء ومن جملة ذلك اتخاذ (ولما سقط في أيديهم) أي دمهوا وتجرى وابتعدوا من موسى من الميقات يقال للنادم المتجر قد سقط في يده قال الأخفش يقال سقط وأسقط وقيل أيضا القراء والزجاج الا ان اللزأ قال سقط أي السلافي أكثر وأجود وهذه اللفظة تستعمل في الندم والتجريح وقد اضطربت أقوال أهل اللغة في أصلها قال الواحدى قدبان من أقوال المفسرين وأهل اللغة ان سقط في يده ندم وأنه يستعمل في صفة النادم فالما القول في أصله وما أخذه من أرا لخدم من أمة اللغة شيأ أثر فيه فيه الا ما ذكره الزجاجة فانه قال ان جمعي ندموا وقال أبو عبيد بن ندم على أمر وعجز عنه سقط في يده وقال الزنجشري معناه لما اشتد ندمهم ومن قال سقط على البناء لافاعل فالعنى عنده سقط الندم وأصله ان من شأن من اشتد ندمه وحسره ان بعض يده عما نصير يد مسمقو طافها ان فاه قد وقع فيها وفي الجبل سقط فعل ماض مبنى للمجهول وأصله سقطت أقراهم على أيديهم ففي معنى على وذلك من شدة الندم فان العادة ان الانسان اذا ندم بقبله على شيء عض بقمته على أصابعه فسقوط الاقواء على الابدى لازم للندم فاطلق اسم اللازم وأريد المزموم على سبيل الكناية وهذا التركيب لم تعرفه العرب الابعة من قول القرآن ولم يوجد ذلك في أشعارهم والسقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل وقال الأزهري والزجاج والحاس وغيرهم معنى سقط في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكر وهو ان كان محالا ان يكون في اليد شيئا لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد لان مباشرة الأشياء في الغالب باليد قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يعقلون (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين آمنوا وبنوا الكتاب من قبلكم والكنز والولاء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وإذا نادى الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون) هذا

تفسير من موالاة أعداء الاسلام وأهل من الكافرين والمشركين الذين يتخذون أفضل ما بعد الله العالون عبادتهم وهي شرائع الاسلام المظهرة المحكمة المشتقة على كل خير دينوى وآخرى هزوا يستهزئون بها ولعبا يعتقدون انها خارج عن الغيب في نظرهم الفاسد وفكرهم البارد كما قال القائل وكمن من عائب قولنا صحيحا وآفة من الفهم السقيم وقوله تعالى من الذين آمنوا والكتاب من قبلكم والكفار من هم ليسان الجففس كقوله فاتخذوا الرحمن من الأوثان وقرأ بعضهم والكفار باخذ فض عطفوا قرأ آخرون بالنصب على الله معمولة لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين آمنوا والكتاب من قبلكم تقديره لا الكفار أو لبياء أى لا تتخذوا هؤلاء هؤلاء ولبياء والمراد بالكفار هم المشركون وكذلك وقع في قراءة ابن مسعود فيماروا ابن جرير لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين آمنوا والكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا وقوله واتقوا

هو وأولعيا كما قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل

تفادو يحذرهم الله نفسه وإلى الله المصير وقوله وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا أي

التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوى اللباب اتخذوها أيضا هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يشعرون الله

وشرائعهم وهذه صفات أتباع الشيطان الذي إذا سمع الأذان أدبر وله حصاص أي ضراط حتى لا يسمع التآذين فإذا قضى التآذين

أقبل فإذا قرب الصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل حتى يحضر بين المراء وقبلة فيقول اذكركذا اذكركذا المالم يكن يذكرك حتى ينظر

الرجل لا يدري كم صلى فإذا وجد أحدكم كذلك فليستجبد سجدتين قبل السلام (٣٦٩) متفق عليه وقال الزهري قد ذكر

الله التآذين في كتابه فقال وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا

ذلك بأنهم قوم لا يعقلون رواه ابن أبي حاتم وقال أسباط عن السدي

في قوله وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا قال كان رجل

من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي أمته أن محمدًا

رسول الله قال حرق الكذاب قد دخلت خادمه ليلا من الليالي

بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحترق البيت فاحترق هو

وأهله رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وذكر محمد بن اسمعيل بن يسار في

السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه

بلال فأمره أن يؤذن وأبوسفیان ابن حرب وعتاب بن أسيد والحارث

ابن هشام جالوس بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله

أسدا أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحارث بن هشام

عبادتهم العجلى (قالوا لئن لم يرجعنا بنا ويعقر لنا المبكون من اننا سرين) وفي هذا الكلام

منهم ما يفيد الاستغاثة بالله والتضرع والابتغال في السؤال والاعتراف بعظم ما قدموا

عليه من الذنب والندم على ما صدر منهم والرجع إلى الله في آفلة عثرتهم واعترا فهم على

أنفسهم بالخسران إن لم يعقر لهم ربهم وتب عليهم ويحبوا زعنهم ويرجعهم وسيأتي في

سورة طه إن شاء الله ما يدل على أن هذا الكلام المحكي عنهم هنا وقع بعد رجوع موسى

وانما قدم هنا على رجوعه لقصد حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد

(والرجع موسى إلى قوم غصبان أسفا) هذا بيان لما وقع من موسى بعد رجوعه

والأسف شديد الغضب قاله محمد بن كعب وقيل هو منزلة وراء الغضب أشد منه فاه أبو

الدرهم وقال ابن عباس والسيوفى الأسف الحزن والأسف الحزن قال الواحدي

والهولان متقاربان لأن الغضب من الحزن والحزن من الغضب فإذا جاءك ما تكره من

هو دونك غضبت وإذا جاءك ما تكره من هو فوقك حزن فتسمى أحدهما هاتين الحاليتين

حزنا والآخرى غصبا يقال هو أسف وأسيف وأسفان وأسوف قال ابن جرير الطبري

أخبره الله قبل رجوعه بأنهم قد قتلوا وإن السامري قد أضلهم فلذلك رجع وهو غضبان

أسفا (قال بئسما خلقه قومي من بعدى) هذا من موسى لقومه أي بئس العمل

ما عملوه من بعد غيبي عنكم وفراق أياكم يقال خلقه بخير وخلقه بشر استنكر عليهم

ما فعلوه وذمهم ليكونهم قد شاهدوا من الآيات ما يوجب بعضه الانزعاج والايان بالله

وجيده ولكن هذا شأن بني إسرائيل في نلون حالهم واضطراب أفعالهم ثم قال منكرا

عليهم أعجلتم أمر ربكم العجلة التهميم بالشي قبل وقته يقال عجلت الشيء سبقت وأجلت

الرجل جلسته على العجلة ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لأن معناها عمل

الشي في أول وقته والمعنى أعجلتم عن انتظار أمر ربكم أي معياده الذي وعده به وهو

الاربعون ففعلتم ما فعلتم قاله الحسن وقيل معناها تعجلتم بحظر ربكم وقيل معناها أعجلتم

(٤٧ - فتح البيان ثالث) أما والله لو أعلم أنه محقق لاحتبه فقال أبوسفیان لأقول شيئا لو تكلمت لا خبرت عني هذه الحصى

فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب شهد أنك رسول الله ما طلع

على هذا أحد كان معنا فتقول أخبرك وقال الامام أحد حدثنا ورجح عبادة حدثنا ابن جريج أخبرني ناعبد العزيز بن عبد الملك

ابن أبي مخذومة أن عبد الله بن محمرا أخبره وكان يتبعني في جبر أبي مخذومة قال قلت لابي مخذورة يا أعمى إلى الشام وأخشي

أن أسأل عن ناذيك فأخبرني أي أيا مخذومة قال نعم خرجت في نفر وكنا ببعض طريق حين مقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حين فلقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فسمعنا صوت المؤذن ونحن مستكفون فصرخنا عليه فاستمروا به فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل

الناس إلى أن وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع فأسار القوم كلهم إلى وصدقوا
 فأرسل كلهم وحسني وقال قم فأذن فقامت ولا شيء أكرأني من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما بدأ عرضي به فقصت بين يدي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتني على رسول الله صلى الله عليه وسلم التآذين هو بنفسه قال قل الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله
 الا الله أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم التآذين هي على الصلاة هي على الفلاح هي
 على النجاة الله أكبر الله أكبر لا إله الا الله ثم دعاني حين قضيت التآذين فأعطاني صرة قميصاً من فضة ثم وضع يده على ناصية أبي
 محذورة ثم أمره على وجهه ثم بين ثدييه ثم على كبده حتى بلغت بذر رسول الله صلى الله عليه وسلم سرراً أبي محذورة ثم قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك وبارك (٢٧٠) عليك فقلت يا رسول الله مرني بالتآذين بمكة فقال قد أمرتك به وذهب

كل شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم من كراهة وعاد ذلك كله
 محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مدت على عتاب بن أسيد عامل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذنت معه بالسلامة عن أمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي من أدرك
 أبا محذورة على نحو ما أخبرني عبد الله بن محير عن أبي محذورة
 وأمه سمرة بن مغيرة بن لؤي أن أحد مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الأربعه وهو مؤذن أهل مكة وامتنعت أيامه رضي الله عنه وأرضاه
 (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الآن أم نأمن الله وما آتزلنا وما آتزل من قبل وأن أكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
 وعصب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك هم مكانا وأضل عن سواء السبيل
 وإذا جاءكم قالوا آمنوا وقد دخلوا بال كفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الأثم والعدوان وكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لو لا ينهاهم الرائيون والاحبار عن قولهم الاثم وكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب هل تنقمون منا الآن أم نأمن بالله وما آتزلنا وما آتزل من قبل أي هل لكم علينا من غير أو عيب الا هذا وهذا ليس بعيب ولا مذنبه فيكون الاستثناء منقطعاً كما في قوله تعالى وما تنقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وكوله وما تنقموا الا أن آمنوا بالله واليوم الآخر وفي الحديث المنفق عليه ما ينقم ابن جيل الا ان كان فقيراً فأغناه الله وقوله وأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم ثم قال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تنقمونه بتأوههم أثم الذين

وأصبحتم بعبادة الجبل قسبل ان بانيكم أمر ربكم قاله الكلب وقسبل معنى أجمعتم تركتم
 والاول اولى (وألقى الالواح) التي فيها التوراة أي طرحها لما اعتراه من شدة الغضب
 والاسف وفطو الرجعية للدين حين أشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة الجبل
 قال ابن عباس لما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفعت الاسد سهواً وعنه كما أخرج ابو
 الشيخ رفع الله مناساة اسباعها وبقي سبع وقال مجاهد لما ألقاها موسى ذهب التفصيل
 يعني اخبار الغيب وبقي الهدى أي ما فيه المواعظ والاحكام وعن ابن جريج قال كانت
 تسعة ورفع منها لوحان وبني سبعة وفي زاده المراءيا لقاها الله وضعا في موضع لتفرغ لما
 قصده من مكالمته قومه لارغبة عنها فلما عاد اليها أخذها بعينها (وأخذ برأس أخيه) هرون
 أو بشعر رأسه وحبسه حال كونه (بجبره اليه) من شدة غضبه لاهوانا به قال ابن
 الانباري مدبده الى رأسه لشدة وجده عليه وفعل به ذلك لكونه لم يسكر على السامري
 ولا غير ما رآه من عبادة بني اسرائيل للجبل (قال) هرون معتذرا منه يا (ابن أم) اغنا قال
 هذا مع كونه أخاه لايه وأمه لانها كلمة دين ورفق وعطف ولأن حق الام اعظم وأحق
 بالمرعاة وقد فاست فيه المخاوف والشدة اذ مع انها كاقيل كانت مؤمنة وقال الزجاج
 قيل كان هرون أخا موسى لاهل لانيه قال أبو السعود وكان أكبر منه بثلاث سنين وكان
 جولا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني) أي
 اني لم أطق تفسير ما فعلوه لهذين الأمرين استضعفاهم لي ومقاربتهم لقتلي مع اني لم أزل
 جهدا في كفهم بالوعظ والانهاد (فلا تفتنني الاعداء) الشمانية أصلها القرحة بيلة
 من تعاديه وبعادك يقال شمت فلان بفلان اذا سمر بكسر وزل به والمعنى لانس الاعداء
 بما تفعل لي من المكر وهو في المصباح شمت به يشمت من باب سلم اذا فرح بحصية زلت به
 والاسم الشمانية وأثبت الله العدو به ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اني أعوذ بك
 من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشمانية الاعداء وهو في الصحاح قيل والمعنى

لأنهم
 وإذا جاءكم قالوا آمنوا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا بالله والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الأثم والعدوان وكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لو لا ينهاهم الرائيون والاحبار عن قولهم الاثم وكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من أهل الكتاب هل تنقمون منا الآن أم نأمن بالله وما آتزلنا وما آتزل من قبل أي هل لكم علينا من غير أو عيب الا هذا وهذا ليس بعيب ولا مذنبه فيكون الاستثناء منقطعاً كما في قوله تعالى وما تنقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وكوله وما تنقموا الا أن آمنوا بالله واليوم الآخر وفي الحديث المنفق عليه ما ينقم ابن جيل الا ان كان فقيراً فأغناه الله وقوله وأن أكثركم فاسقون أي خارجون عن الطريق المستقيم ثم قال قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله أي هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تنقمونه بتأوههم أثم الذين

تتفقون بهذه الصفات المفسرة بقوله من لعنه الله أي أبعد من رجه وغضب عليه أي غضبا لا يرضى بعده أبدا وجعل منهم القردة
والخنازير كما تقدم بيانه في سورة البقرة وقد قال سفيان الثوري عن علقمة بن ممر عن المغيرة بن عبد الله عن المعمر بن سويد عن
ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أي مما سمخ الله فقال إن الله لم يملأ قوما إلا ما يستحقون فسمخ قوما
فجعل لهم نسل ولا عقبا وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسلم كلاهما عن
مغيرة بن عبد الله البسكري به وقال أبو داود الطيالسي حدثنا داود بن أبي القرات عن محمد بن زيد عن أبي العباس الجدي عن أبي
الأحوص عن ابن مسعود قال سألت أبا داود الطيالسي عن القردة والخنازير أي مما سمخ الله فقال لا إن الله لم
يلعن قوما قط فسمخهم فكان لهم نسل ولكن هذا خلق كان قداما (٢٧١) غضب الله على اليهود فسمخهم جعلهم

لا يفعل في ما يكون سببا للشهامة منهم وقال مجاهد ومالك بن دينار لا يكون ذلك منهم لقل
تفعل بهي وقال ابن جني والمعنى فلا تشبهني أنت يارب وما أبعد هذا المعنى عن الصواب
وأبعد تأويلها عن وجوه الأعراب (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) أي لا تجعلني بغضبك
في عداد القوم الذين عبدوا العجل أو لا تعتقدني منهم مع راعي منهم ومن ظلمهم (قال
رب اغفر لي ولا تخ) طلب المغفرة له أو لا ولا أخيه ثانيا ليزيل عن أخيه ما خافه من الشهامة
فكانه قد ندم مما فعله بأخيه وأظهر أنه لا وجه له وطلب المغفرة من الله عما فرط منه في
جانبه ثم طلب المغفرة لأخيه أن كان قد وقع منه تقصير فيما يجب عليه من الإنكار عليهم
وتغيير ما وقع منهم (وأدخلنا في رحمتك) التي وسعت كل شيء (وأنت أرحم الراحمين) فيه
ترغب في الدعاء لأن من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي
في نجاح طلبته (إن الذين اتخذوا العجل) الها عبدوه ومن دون الله (سينالهم غضب
من ربهم) الغضب ما نزل بهم من العقوبة في الدنيا بقتل أنفسهم وما سينزل بهم في الآخرة
من العذاب (وذلة في الحياة الدنيا) الذلة هي التي ضربها الله عليهم بقوله ضربت
عليهم الذلة وقيل هي إخراجهم من ديارهم والأولى أن يقصد الغضب والذلة بالذية والقوله
في الحياة الدنيا وإن ذلك يخص بالتخذين للعجل الها لأن بعدهم من ذرارهم ومجرد
مأمر وأمر به من قتل أنفسهم هو غضب من الله عليهم وبه يصرون أذلاء وكذلك خروجهم
من ديارهم هو من غضب الله عليهم وبه يصرون أذلاء وأما نال ذرارهم من الذل على
عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قال ابن عباس وعطية العوفي فلا يصح تفسير
ما في الآية به إلا إذا تعدر رجل الآية على المعنى الحقيقي وهو لم يتعدرنا وقال ابن جرير
إن هذا الغضب والذلة إن مات منهم على عبادة العجل وإن قُتل وهذا الذي قاله وإن
كان له وجه لكنه جميع المفسرين على خلاف ذلك (وكذلك) أي مثل ما فعلنا
بهؤلاء (يجزي المقتربين) أي يفعل بهم عن أيوب قال هو جازم مقتري يكون إلى يوم

مثلهم ورواه أحمد من حديث
داود بن أبي القرات به قال ابن
مرويه حدثنا عبد الباقي حدثنا
أحمد بن صالح حدثنا الحسن بن
محبوب حدثنا عبد العزيز بن
المختار عن داود بن أبي هند عن
عكرمة عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحيات مسخ الجن كما مسخت
القردة والخنازير هذا حديث غريب
جدا وقوله تعالى وعبد الطاغوت
قرئ وعبد الطاغوت على أنه فعل
ماض والطاغوت منصوب به أي
وجعل منهم من عبد الطاغوت
وقرئ وعبد الطاغوت بالإضافة أي
إن المعنى وجعل منهم خدام
الطاغوت أي خدامه وعبيده
وقرئ وعبد الطاغوت على أنه جمع
لجمع عبد وعبد وعبيد مثل غار
وغر كما قال ابن جرير عن الأعمش
وحكى عن بردة الأسلمي أنه كان
يسمونها وعابد الطاغوت وحكى

ابن جرير عن أبي جعفر القاري أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت على أنه مفعول مالم يسم فاعله ثم استعمل معناها والظاهر أنه لا بد في
ذلك لأن هذا من باب التعريض بهم أي وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه وكل هذه القراءات ترجع معناها إلى أنكم
يا أهل الكتاب الطاغوتين في ديننا الذي هو ربنا وحده الله وأفراده بالعبادة دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجدتمكم
جميع ما ذكر ولهذا قال أولئك شر مكانا أي مما تظنون بنا أو أضل عن سواء السبيل وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل
فيما ليس في الطرف الآخر مشاركة كقوله عز وجل أحببنا الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى وإذا جاءكم
قالوا آمنوا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذه صفة المنافقين منهم أنهم يصنعون المؤمنين في الظاهر ويقولونهم منطوية على
الكفر ولهذا قال وقد دخلوا أي إلى عندك يا محمد بالكفر أي مستعجبين بالكفر في قلوبهم ثم خرجوا وهو كامن فيهم لم ينتفعوا

برواجر ولهذا قال وهم قد خرجوا به خصمهم بدون غيرهم وقوله تعالى
 وما تطوى عليه ضمائرهم وان اظهروا الخلقه خلاف ذلك وتربوا باليس فيهم
 وسيجزهم على ذلك اتم الجزاء وقوله وترى كثيرا منهم يسارعون في الاتم والعدوان
 واعلم انهم ليسوا على ذلك من تعاطى الماسم والحارم والاعتداء على الناس واكلمهم امواهم بالناتل لبس ما كان
 يعملون اى لبس العمل كان عليهم وليس الاعتداء اعتداؤهم وقوله تعالى لولا انهم الرانيون والاحبار عن قولهم الاتم واكلمهم
 السبت لبس ما كانوا يصنعون يعنى هلا كان نهاهم الرانيون والاحبار عن ذلك منهم والرانيون هم العلماء العمال ارباب
 الولايات عليهم والاحبارهم العلماء فقط يعنى من تركهم ذلك قاله على بن ابي طلحة

عن ابن عباس وقال عبد الرحمن
 ابن زيد بن اسلم قال لهؤلاء حسين
 لم ينهوا هؤلاء عن عملوا قال
 وذلك الامر كان قال ويعلمون
 ويصنعون واحد رواه ابن ابي
 حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابو
 كريب حدثنا ابن عطيّة حدثنا
 قيس عن العلاء بن المسيب عن
 خالد بن دينار عن ابن عباس قال
 ما في القرآن آية أشدق بخامن
 هذه الآية لولا انهاهم الرانيون
 والاحبار عن قولهم الاتم واكلمهم
 السبت لبس ما كانوا يصنعون
 وكذا قال الضحاك ما في
 القرآن آية أخوف عندي منها اى
 لا تنهى رواد ابن جرير
 ابي حاتم وذكره يونس بن حبيب
 حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن مسلم
 ابن ابي الوضاح حدثنا ثابت بن
 سعيد الهمداني فاني اقيته بالرأى
 فحدثت عن يحيى بن يعمر قال
 خطب على بن ابي طالب خدم الله

القبامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مستدع الى يوم القيامة وقال مالك
 ابن انس ما من مستدع الا وهو يحمد ما فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمية قد غفر
 في دين الله انتهى والافتراء الكذب فمن افترى على الله سيئ له غضب وذلة في الحياة الدنيا
 وان لم يكن نفس ما عوقب به هؤلاء بل المراد ما يصدق عليه انه من غضب الله سبحانه وان
 فيه ذلة باقى نوع كان ولا فربة اعظم من قول السامري هذا الهكيم والهموسى (والذين
 عملوا السيئات) اى سيئة كانت حتى الكفر وما دونه ومن جلمت اعبادة الجبل (ثم تابوا
 من بعدها) اى من بعد عملها (واستوا بالله) ان ربك ايهما التائب او يا محمد (من بعدها)
 اى من بعد هذه التوبة اومن بعد عمل هذه السيئات التي قد تاب عنها فاعلموا ان ربك
 (الغفور الرحيم) اى كثير الغفران لذنوب عباده وكثير الرحمة اليهم وفي الآية دليل على ان
 السيئات باسرها صغيرة واسيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضل
 ورحمته وهذان أعظم البشائر للمذنبين التائبين (ولما سكنت) وقرئ أسكت (عن
 موسى الغضب) اصل السكوت السكون والامساك عن الشيء يقال جرى الوادي ثلاثا
 ثم سكنت أى امسك وسكن عن الجري قيل هذا مثل كان الغضب كان يغره على ما فعل
 ويقول له قل لقولكم كذا والى الاواح ويرأس أخذ فترك الاغراء وسكت وقيل هذا
 الكلام فيه قلب والاصل سكنت موسى عن الغضب كقولهم ادخلت الاصبغ الختام
 والخاتم الاصبغ وادخلت القلنسوة رأسى ورأسى القلنسوة والاولى اولى وبه قال أهل
 اللغة والتفسير وفيه مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الجامل له على ما فعل
 كالأمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكوتها بالسكوت (أخذ الاواح) التي ألقاها عند
 الغضب قال الرازي وظاهر هذا يدل على ان الاواح لم تسكن ولم يرفع من التوراة اثني
 (وفي أسكتها) فغله بمعنى دفعه كالحطمة والنسخ نقل ما في كتاب الى كتاب آخر ويقال
 للاصل الذي كان النقل منه نسخة وللمنقول نسخة أيضا قال القشيري والمعنى اى فيها

واثني عليه ثم قال ايهما الناس انما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الرانيون
 والاحبار فلما تبادوا أخذتهم العقوبات فمروا بالمعروف وانهم واعن المنكر قبل ان ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا ان الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا شريك عن ابي اسحق
 عن المذنب بن جرير عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز
 منه وأمنع ولا يفسروا الاصابهم الله منه بغضب تفريده أجدا من هذا الوجه ورواه ابو داود عن مسدد ابي الاحوص عن ابي
 اسحق عن المذنب بن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيه بالمعاصي
 فيقدرون أن يغفروا عليه فلا يغفروا الاصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا وقدرناه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع

نسخ

عن اسرئيل عن ابي اسحق عن عبد الله بن جرير عن ابيه قال قال الحافظ المزني وهكذا رواه شعبة عن ابي اسحق به (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل بدها ميسوطتان يتفق كيف يشاءوا لزيدن كثير منهم ما نزل اليك من ربك فاعيانا وكفراوا قلنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قلنا اقدوا نار الحرب اظننا الله ويسعون في الارض فنبأدا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا واثقوا بالكفر واعينهم سيئاتهم ولا دخلناهم جنت النعم ولو انهم قاموا بالتوراة والتخيل وما نزل اليهم من ربهم لا كانوا من قومهم ومن تحت ارجلهم منهم امة مقصودة وكثير منهم سامع ما يعاملون) يخبر تعالى عن اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة بانهم وصفوه تعالى عن قولهم علوا كبيرا بالله يجذل كل مصدق به بأنه فقير وهم اغنياء وعبروا عن الجذل بأن قالوا يد الله مغلولة وقال ابن ابي حاتم حدثنا (٣٧٣) أبو عبد الله الظهري اني حدثنا حفص

نسح من الاواح المتكسرة ونقل الى الاواح الجديدة وقيل المغنى وفيما نسجه منهم ائمن من الواح المحفوظ وقيل المغنى وفيما كتب فيها فلا يحتاج الى أصل ينقل عنه وهذا كما يقال انسح ما يقول فلان أي اثبت في كتابك (هـ) أي ما يثبتون به من الاحكام (ووجه) أي ما يحصل لهم من الله عند عملهم غافق من الرحمة الواسعة قال مجاهد ولو يذكر التفصيل ههنا وقال ابن عباس هدى من الصلاة ورحمة من العذاب (الذين هم) أي كاسية لهم أو لاجلهم والملام في (ربهم) التقوية للفعل وقد صرح الكسائي بانها زائدة وقال الاخفش هي لام الاجل وقال المبرد التقدير للذين هم ربهم (ربهم) أي يخافون منه سبحانه (واختار موسى قومه سبعين رجلا) هذا شروع في بيان ما كان من موسى ومن القوم الذين اختارهم والاختيار اقتعال من الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ منه وخياره والمعنى اختار من قومه مذهب فكلهم من ذلك شافع في العريضة دلالة الكلام عليه قيل اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال يختلف مسكنكم رجلا فقتلوا فقال ان قد علمتكم مثل اجر من خرج فقتلوا سبع بنون وكاب ان يوفوا وذهب معه السابقون وروى انه لم يصب الاستين شيئا فوحي الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاخترهم فاصبحوا شيوخا فامرهم موسى أن يصوموا وبطهر واثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء ذكره الخطيب وقيل غير ذلك (لمقاتلة) أي للوقت الذي وقفا له بعد ان وقع من قومه ما وقع والمقاتلة الكلام الذي تقدم ذكره لان الله أمره أن يأتي الى الطور في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه سبحانه من عبادة الجبل كذا قيل وقال مجاهد المعنى لتنام الموعد وقيل هذا المقاتلة غير مقاتلة الكلام السابق في قوله وواعدنا موسى فهذا ايدي مقاتلة الكلام ولم يبينوا مدة هذا وقال ابن عباس أمره الله أن يختار سبعين رجلا فاخترهم ورزهم ليدعوا ربهم فكان فيمادعوا الله ان قالوا اللهم أعطنا ما لم نعط أحد من قبلنا ولا تعطه أحد بعدنا فذكر الله ذلك من دعائهم فآخذتهم

ابن عمر العدني حدثنا الخ كمن بن أبيان عن عكرمة قال قال ابن عباس مغلولة أي مجذولة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة قال لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون مجذولة يعني أمسك ما عنده مجذولا تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وكذا روى عن مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي والضحاك وقرا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها لكل الدساة فتقع فدهلوما محسورا يعني الله يسهى عن الجذل وعن التبذير وهو زيادة الاتفاق في غير محله وعبر عن الجذل بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله وقد قال عكرمة انها نزلت في فخصاص اليهودي عليه لعنة الله وقد تقدم انه الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فصر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقال

محمد بن اسحق حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس ان ربك يجذل لا يتفق فأمر الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل بدها ميسوطتان يتفق كيف يشاء وقد ردد الله عز وجل عليهم ما قالوه وقال عليهم فيما اختلفوه واقتروه واستفكوه فقال غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا فان عندهم من الجذل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم كما قال تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤثرون الناس فقير أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله الآية وقال تعالى ضربت عليهم الذلة الالة ثم قال تعالى بل بدها ميسوطتان يتفق كيف يشاء أي بل هو الواسع النضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء الا عنده خزائنه وهو الذي ما يخلق من نعمة فنه وحده لا شريك له الذي خلق لنا كل شيء بما يحتاج اليه في ليلنا ونهارنا وحضرنا وسبقنا وفي جميع احوالنا قال وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان

لثلاثون كفارا والاثبات في هذا كثيرة وقد قال الامام اجد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين الله والى لا يغضاه ثقة سبحانه الليل والنهار ارايتهم ما اتفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في عيونه وقال عرشه على الماء وفي يده الاخرى الفيض او القبض يرفع ويخفض وقال يقول الله تعالى اتفق اتفق عليك اتجر جاهد في الصبحين البخاري في التوحيد عن علي بن المديني وصل رحمه عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به وقوله تعالى ولين يدن كثيرا منهم ما اتزل اليك من ربك طغيانا وكفرا أي يكون ما اتاك الله يا محمد من النعمة تقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكثير اذبه المؤمنون تصديقا وعلاصا لحاولا نفعنا اذبه الكافرون الحاسدون لك ولامتك طغيا واهوا وباللغة والمجازة للحد في الاشياء (٣٧٤) وكفرا أي تكذبا كما قال تعالى قل هو الذي آمنوا هدي وشفاء

والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى وتترل من القرآن ما هوشفاء ورجة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة يعني انه لا يجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما لانهم لا يجتمعون على حق وقد خالفوه وكذبوه وقال ابراهيم النخعي وألقينا بينهم العداوة والبغضاء قال الخصومات والجدال في الدين رواه ابن أبي حاتم وقوله كلما أودوا نار الحرب أطفأها الله أي كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها وكلما أبرموا أمورا يماربونك بها أبطأها الله ورد كمدهم عليهم وحاق مكرهم السيئ بهم ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين أي من سببتهم انهم دائما يسعون في الافساد في الارض والرجفة كما قال (فلما أخذتهم الرجفة) هي في اللغة الزلزلة الشديدة قيل انهم زلزلوا حتى ماؤا أو ماؤا ليله وقال وهب لم تكن موتا ولكن أخذتهم الرجفة وقلقوا ورحقوا حتى كادت ان تبين مفاسلهم ومعظم الروايات انهم ماؤا قال مجاهد ماؤا ثم أحياهم الله تعالى وسبب أخذ الرجفة لهم ما حكى الله عنهم من قولهم واذا قلتم يا موسى ان لوئس لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الساعة على ما تقدم في البقرة وقيل هؤلاء السبعون غير من قالوا أرانا الله جهرة بل أخذتهم الرجفة بسبب عدم انتهائهم عن عبادة العجل وقيل انهم قوم لم يرضوا بعبادة العجل ولا نهوا السامري ومن معه عن عبادة فأن أخذتهم الرجفة بسبب سكوتهم فلما رأى موسى أخذ الرجفة لهم (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل) المعنى لو شئت أهلا كالأهلكتنا بنو نابقبل هذا الوقت وقال ذلك اعترافا منه عليه السلام بالذنب وتلفه افعلى ما فرط من قومه (وياي) معهم وذلك انه خاف ان يتهمة بنو اسرائيل على السبعين ولم يصدقوا بانهم ماؤا (أنهم لك بما فعل السفهاء منا) الاستقهام للعبادة أي لست بمن يفعل ذلك فانه ثقة منه بركة الله والمقصود منه الاستعطاف والنضرع قاله ابن الانباري وقيل معناه الدعاء والطلب أي لاتهلكنا قاله المبرد وقيل قد علم موسى انه لا يهلك أحد ذنب غيره ولكنه كقول عيسى عليه السلام ان تعدنيهم فانهم عبادك وقيل المراد بالسفهاء السبعون والمعنى أنهم لا يبنو اسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء في قولهم أرانا الله جهرة وقيل المراد بهم السامري وأصحابه (ان هي) قال الواحدى الكافية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيدا (الافتتنك) التي تختبر بها من شئت وتحنن بها من أردت ولعله عليه السلام استفاد هذا من قوله سبحانه انا قد فتينا قومك من بعدك قال أبو العالية بليتك وقال ابن عباس مشيتك (تضل بها) أي بهذه الفتنة (من نشاء) من عبادك (وتهدى) بها (من نشاء) منهم ومثله ليسوا لكم أيكم أحسن عملا قال الواحدى وهذه الآية من الحجج الظاهرة على القدرة التي لا يتيق لها من معها اندر

والله لا يحب من هذه صفته ثم قال جل وعلا ولان أهل الكتاب آمنوا واثقوا أي لو انهم آمنوا ثم بالله ورسوله واثقوا ما كانوا يعاطونه من المآثم والمحارم لكثرة ما عنهم سياهم ولا دخلناهم جنات النعيم أي لا زلنا عنهم المخدور وأنما هم المقصود ولأنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم قال ابن عباس وغيره هو القرآن لا كوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الانبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك الى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمد صلى الله عليه وسلم فان كتبهم ناطقة تصديقه والامر بابا عساه حتما لا لمحالة وقوله تعالى لا كوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني بذلك كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنايت لهم من الارض وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا كوا من فوقهم يعني لا رسل السماء عليهم مدرارا ومن تحت أرجلهم يعني يخرج من الارض

بركانها وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والسدي كما قال تعالى ولئن أن هـل القري آمنوا واتقوا لَنَحْصُرَنَّهم بركت من السماء والارض الآية وقال تعالى نظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس الآية وقال بعضهم معناه لا كما ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم يعني من غير كد ولا تعب ولا مشاق ولا عناء وقال ابن جرير قال بعضهم معناه لكنا في الخبر كما يقول القائل هو في الخبر من فرقه الى قدمه ثم رد هذا القول لمخالفة أقوال السلف وقد ذكر ابن أبي حاتم عند قوله ولئن أنهم آفاموا التوراة والانجيل أثرًا فقال حدثنا علقمة عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير بن نهر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشع أن يرفع العلم فقال زياد بن لبيدار رسول الله وكيف يرفع العلم وقد قرأنا القرآن وعلمنا أبناءنا فقال شكلت أملك يا ابن لبيد ان كنت لاراه من أفعه أهل المدينة أوليست التوراة والانجيل (٣٧٥) بأبدي اليهود والنصارى فما أغنى عنهم حين

تركوا أمر الله ثم قرأوا ثم آفاموا التوراة والانجيل الآية وهكذا أورده ابن أبي حاتم معلقا من أول اسناده مرسل في آخره وقد رواه الامام أحمد بن حنبل متصل موصولا فقال حدثنا وكيع حدثنا الامش عن سالم بن أبي الجعد عن زياد بن لبيد انه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم شيا فقال فذلك عند ذهاب العلم قال قلنا يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقره أبناءنا وبنائنا يقرونه أبناءهم الى يوم القيامة فقال شكلت أملك يا ابن لبيد ان كنت لاراه من أفعه رجل بالمدينة أوليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والانجيل ولا يتفنون بمافيها مابشئ وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع بن عوف وهذا اسناد صحيح وقوله تعالى منهم أمة مقتصد وكثير منهم ساء ما يعملون كقوله ومن قوم موسى أمة يهدون

ثم رجع الى الاستعطف والدعاء فقال (أنت ولينا) أي المتولى لامورنا وهذا يفيد الحصر أي لا ناصر ولا حافظ إلا أنت (فأغفر لنا) ما أذنبناه (وارجنا) برحمتك التي وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) للذنوب (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) بتوفيقنا للأعمال الصالحة أو تفضل علينا بأفاحة النعم من الحياة الطيبة والعافية وسعة الرزق (وأكتب لنا في الآخرة) الجنة بما تجازيناه أو بما تفضل به علينا من النعيم في الآخرة (أنا نهدنا) نهدنا لما قبلها من سؤال المغفرة والرحمة والحسنة في الدنيا وفي الآخرة أي أنا نبنا (الملك) ورجعنا عن الغواية التي وقعت من بني اسرائيل واليهود التوبة وقد تقدم في البقرة وبه قال جميع المفسرين قيل وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قيل نخشع يعظم ثم صار اسم دم وهو لازم لهم وأصل اليهود الرجوع برقي والمهادنة المصالحة قال عكرمة فكتب الرحمة يومئذ هذه الأمة وقال أبو وجرة السعدي وكان من أعلم الناس بالعربية لا والله ما علمها في كلام العرب هـ نا قيل فكيف قال هـ نا بكسر الهاء يقول ملنا (قال) عذاب أي أصيب به من أشياء) قيل المراد بالعذاب هنا الرحمة وقيل أمره سبحانه لهم بان يقتلوا أنفسهم أي ليس هذا اليك يا موسى بل ما شئت كان وما لم أشأ لم يكن والظاهر ان العذاب هنا يندرج تحته كل عذاب ويدخل فيه عذاب هو لا مدخل أوليا وقيل المراد من أشياء من المستحقين للعذاب أو من أشياء ان أضله واسلبه التوفيق ليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي (ورجعت وسعت كل شئ) من المكلفين وغيرهم قيل هذا من العام الذي أريد به الخاص فرجة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة قاله الحسن وقتادة وقال جمع من المفسرين من لم ازلت هذه الآية تطاول بلبس اليها قال وأناس ذلك الشئ فترعها الله من ابليس قاله السدي وابن جرير وعن قتادة نحوه فقال (فسأكتبكم الذين يتقون) الذنوب أو الشرك قاله ابن عباس (ويؤمنون الزكاة) المفروضة عليهم (والذين هم بايتاء يؤمنون) أي يصدقون ويذعنون لها فأبليس

بالحق وبه يعدلون وكقوله عن أناس عيسى قائنا الذين آمنوا منهم أجرهم الآية فجعل أعلى مقاماتهم الاقتصاد وهو أوسط مقامات هذه الأمة وفوق ذلك رتبة السابقة كما في قوله عز وجل ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها الآية والصحيح ان الاقسام الثلاثة من هذه الأمة كلهم يدخلون الجنة وقد قال أبو بكر بن مردويه حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا أحمد بن حنبل عن عاصم بن علي حدثنا أبو معشر عن يعقوب بن يزيد بن طلحة عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تفرقت أمة موسى على احدى وسبعين ملة سبعون منها في النار وواحدة في الجنة وتفرقت أمة عيسى على ثنتين وسبعين ملة واحدة منها في الجنة واحدة وسبعون منها في النار وتعالوا أمتي على الفرقتين جميعا واحدة في الجنة وثمان وسبعون في النار قالوا من هم يا رسول الله قال الجاعات

الجماعات قال يعقوب بن يزيد كان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلافيه قراؤا لأن
أهل الكتاب آمنوا وأتوا فقالوا أكثرنا عنهم سياهم ولا دخلناهم بآيات النعيم التي قول تعالى منهم آمنة بقصد وقد كتبهم ساء ما يعملون
ولا يضاف قوله تعالى وعن خلقنا آمنة منهم بدون بائع وبه يعدلون يعني آمنة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا حديث غريب جدا من هذا
الوحيد وبهذا السياق وحديث افتراق الإجماع إلى بضع وسبعين مروى من طرق عديدة وقد ذكرنا في موضع آخر والله الحمد والمنة
(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تقول فلما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي الكافرين)
يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله بمحمد صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة وأمره بالإبلاغ جميع ما أرسله الله به وقد أمثل عليه الفضل
الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام (٣٧٦) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا محمد بن يوسف حدثنا

ابليس وقالت اليهود نحن تنسى وننسى آل كاهن وثمن بآيات ربنا فزعها الله من اليهود
وأثبتها لهذه الأمة وأخرج مسلم وغيره عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن
لله مائة درجة فمهما راحة يتراجعهم الخلق وبها تعطف الوحوش على أولادها وآخر تسعة
وتسعين إلى يوم القيامة وعن ابن عباس قال سأل موسى ربه مسئلة فاعطاها محمد صلى
الله عليه وآله وسلم وأعطى محمد صلى الله عليه وآله وسلم كل شئ سأل موسى عليه الصلاة
والسلام به في هذه الآية ثم بين سبحانه هولا الذين كتب لهم هذه الترجمة ببيان أوضح
مما قبله وأصرح فقال (الذين ينسون) قال الرازي هم من بني إسرائيل خاصة وقال
الجهور هم جميع الأمم سواء كانوا منهم أو من غيرهم (الرسول النبي الأبي) هو محمد صلى
الله عليه وآله وسلم باجماع المفسرين فخرجت اليهود والنصارى وسائر الملل والأبي إما
نسبة إلى الأمة الإسلامية التي لا تكتب ولا تحسب ولا تقرأ وهم العرب قاله الزجاج أو نسبة
إلى الامم والمعنى أنه باق على حاله التي ولد عليها لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وقيل نسبة
إلى أم القرى وهي مكة والأول أولى وكونه أياما أكبر مجازا وأما عظمها قال السيد
الغريبي المقرئ شارح البدة أن كونه أياما مجزاة بآية قوله حتى لا يرتاب أحد في كلام
الله يرد عليه ما لو تم قبل عليه لم يخلق أفصح الناس ولم يخلق غيره فصح حتى يعلم أن ما تلاوه
من الكلام المجزى لا يغتبه ليس كلامه قال الشهاب في الرحانة قوله هذا ليس بشئ لأن
الامية سابقة في أكثر فصحاء العرب وهم في غناء عن الكتابة وإما عديم القضاة فليكن
وعيب عظيم منزه عنه عال مقامه وطاهر فطرته وجوه رحلته وهذا البحث مما لا تراها
في غير كتابها إذ قال في حاشية البضاوي وقيل أنه منسوب إلى الامم بفخ الهمة بمعنى
القصد لانه المقصود وضم الهمة من تغيير النسب ويؤيده قراءة يعقوب بن يحيى الهمة انتهى
قال أبو السجود أي الذي يعارض القرآن والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الأولين
والآخرين انتهى وهل صدر عنه ذلك في كتابه صلح الحديث كما هو ظاهر الحديث المشهور

عن اسمعيل عن الشعبي عن
مسروق عن عائشة رضي الله عنها
قالت من حدثك أن محمدا كتم
شياء ما أنزل الله عليه فقد كذب
والله يقول يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل إليك من ربك الآية هكذا
رواهها المختصر أوقد أخرجه في
مواضع من صحيحه مطولا وكذا
رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي
والنسائي في كتاب التفسير من
سنتهم من طرق عن عامر الشعبي
عن مسروق بن الأجدع عنها
رضي الله عنها وفي الصحيحين عنها
أيضا أنها قالت لو كان محمد صلى
الله عليه وسلم كاتميا ما من القرآن
لكتم هذه الآية وتحت في نفسك
ما الله سبحانه وتعالى الناس والله
أحق أن يخشاه وقال ابن أبي حاتم
حدثنا أحمد بن منصور الرمادي
حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا
عباد عن هرون بن عتبة عن أبيه
قال كنت عند ابن عباس فحارجل

فقال له إن ناسيا أتوا فخبرونا أن عندكم شيئا لم يسدروا الله صلى الله عليه وسلم للناس فقال ابن عباس ألم تعلم أن
الله تعالى قال يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سودا في بيضاء وهذا الحديث
وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جعفر وهب بن عبد الله السوائي قال قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل عندكم شئ من
الوحي مما ليس في القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم ما يعطيه الله وحلا في القرآن وما في هذه الحجة قلت وما
في هذه الحجة قال العقل وفكالك الأسير وأن لا يقتل مستسلم بكافر وقال البخاري قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول
البلاغ وعلينا التسليم وقد شهدنا له أمته ما لا يبلغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك في أعظم الحافل في خطبته يوم حجة الوداع
وقد كان هناك من أصحابه نحو ثمانين ألفا كاتبت في صحيح مسلم عن طائر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

في خطبته يومئذ أيها الناس انكم مسؤلون عن شيأ أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فجعل يرفع رأسه ويرفع يده الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت قال الامام أحمد حدثنا ابن عمر حدثنا في فضل يعنى ابن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفتح الله دواعيها لناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام قال أى بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأى شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان أموالمكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام كرمه يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ثم أعادها مرارا ثم رفع اصبعه الى السماء فقال اللهم هل بلغت مرارا قال يقول ابن عباس والله لو صيصة الى ربك وعز وجل ثم قال ألا فيبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقد روى البخارى عن علي بن المدينى عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان به (٢٧٧)

بلغت رسالتك يعنى وان لم تؤدالى الناس ما أرسلتك به فابلغت أى قد علم ما يرتب على ذلك لو وقع وقال ابن أبى طلحة عن ابن عباس وان لم تفعل فابلغت رسالتك يعنى ان كنت آية مما أنزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتك قال ابن أبى حاتم حدثنا أى حدثنا قيس بن عتبة حدثنا سفیان عن رجل عن مجاهد قال لما نزلت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك قال يا رب كيف أصنع وأنا واعدى يجتمعون على قتل وان لم تفعل فابلغت رسالتك ورواه ابن جرير من طريق سفیان وهو الثوري به وقوله تعالى والله يعصمك من الناس أى بلغ أنت رسالتى وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم فلا تخف ولا تحزن فلان يصل أحد منهم اليك بسوء يؤذيك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول هذه الآية يحرس كما قال

أولاه لم يكتب وإنما اسند اليه مجازا قيل انصد رعتك ذلك على سبيل المجزوءة وتفصيله في فتح البارى (الذي يجذونه) يعنى اليهود والنصارى أى يجبدون نعتهم (مكتوباً بعدهم في التوراة والانجيل) وهما امر جمعهم في الدين وهذا الكلام منه سبحانه مع موسى هو قبل نزول الانجيل فهم من باب الاخبار بما سيكون قال الرازى وهذا يدل على ان نعتهم وصحة نبوته مكتوب فيها لان ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفقات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفقات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينقر الناس عن قبول قوله فلما قال ذلك دل هذا على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته انتهى وسأيت الكلام على ذلك في آخر هذه الآية ان شاء الله تعالى مستوفى أخرجه ابن سعد والبخارى وابن جرير والبيهقى في الدلائل عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أجل والله انه لم يوصف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي اننا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزلا لا ميين أنت عبدى ورسولى سميت المتوكل ليس بفظ ولا غلط ولا خضاب فى الاسواق ولا يجزى بالسبيبة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها أعين عبادنا ذات احصاء وقلوا باغلفا وروى نحوه هذا مع اختلاف فى بعض الالفاظ وزيادة وتقصير فى بعض عن جماعة وذكر الخبيسى فى تاريخه ان لفظ محمد مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ النخمن ومعنى هذا اللفظ فى تلك اللغة هو معنى لفظ محمد وهو الذى يحمد الناس كثيرا وذكر ان لفظ أحمد مذكور فى الانجيل بهذا اللفظ العربى الذى هو أحمد (يا مريم الملقب) أى بكل ما نعرفه القلوب ولا تنسكه من الاشياء التى هي من مكارم الاخلاق (وينهاهم عن المنكر) أى عما تنسكه القلوب ولا تعرفه وهو ما كان من مساوى الاخلاق قال عطاء يا مريم

(٤٨ - فتح البيان ثالث) الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضى الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سر ذات ليلة روى الى جنبه قالت فقلت ما شأنك يا رسول الله قال ليت رجلا صالحا من أنجبى يحرسنى الليلة قالت فينأى تعالى ذلك اذ سمعت صوت السلاح فقال من هذا فقال أنا سعد بن مالك فقال ما جاء بك قال جئت لاحرسك يا رسول الله قالت فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فومه أخرجاه فى الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الانصارى به وفى لفظ شهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدمه المدينة يعنى على اثر هجرته بعد خواجه عائشة رضى الله عنها وكان ذلك فى سنة ثنتين منها وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابراهيم بن مرزوق البصرى نزيل مصر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحرث بن عبيد يعنى أباقدامة عن الجريرى عن عبد الله بن شقيق عن عائشة

قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يصعقك من الناس قالت فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال يا أيها الناس انصرفوا فقد عصي الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد وعن نصر بن علي الجعفي كلاهما عن مسلم بن إبراهيم ثم قال وهذا حديث غريب وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه عن طريق مسلم ابن إبراهيم ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وكذا رواه سعيد بن منصور عن الحرث بن عبيد الله قدامة عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة ثم قال الترمذي وقد روى بعضهم هذا عن الجريري عن ابن شقيق قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ولم يذكر عائشة قلت هكذا رواه ابن جرير عن طريق اسمعيل بن عيسى وابن مردويه عن طريق غريب كلاهما عن الجريري (٣٧٨) عن عبد الله بن شقيق مرسلًا وقد روى هذا امر سلا عن سعيد بن

جبير ومحمد بن كعب القرظي رواه ابن جرير والريبع بن أنس رواه ابن مردويه ثم قال أحمد ثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن رشد بن المصيري حدثنا خالد بن عبد السلام الصدفي حدثنا الفضل بن المختار عن عبد الله بن موهب عن عصة بن مالك المظني قال تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل حتى نزلت والله يصعقك من الناس فتركنا الحرس حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد أبو نصر الكاتب البغدادي حدثنا كردوس ابن محمد الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال كان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن يحرسه فلما نزلت هذه الآية والله يصعقك من الناس ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرس حدثنا علي بن أبي حماد المديني حدثنا أحمد بن محمد بن

يجمع الانداد واصله الارحام وينهاهم عن عبادة الاصنام وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) أي المستلذات التي تستطيعها الانفس فتكون الآية دالة على ان الاصل في كل ما تستطيعه النفس ويستلذه الطبع الحل وقيل ما حرم عليهم من الاشياء التي حرمت عليهم بسبب ذنوبهم من لحوم الابل وشحوم الغنم والمغن والبقرة وقيل ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من الجائر والسوايب والوصائل والحواي (ويحرم عليهم انبائت) أي المستخبئات كالخشرات والنخازير والباوا الرشوة وقال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يبخسه الذئب أو تستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الامالة دلل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) الاصر النقل أي يضع عنهم التكليف الشاق الثقيل أو العهد الذي أخذ عليهم ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام وقد تقدم بيانه في البقرة (والاغلال التي كانت عليهم) الاغلال مستعمارة للتكليف الشاق التي كانوا اقدكوها وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخائضة وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكائس الى غير ذلك (فالذين آمنوا به) أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واتبعوه فيما جاء به من الشرائع (وعزروه) أعظموه ووقروه قاله الاخفش وقيل معناه منعوه من عدوه وأصل العز لمنع (ونصروه) أي قاموا بضمه على من يعاديه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن الذي أنزل عليه مع نبوته وقيل المعنى واتبعوا القرآن المنزل اليه مع اتباعه بالعمل بسنته بما أمر به وبنيى عنه أو اتبعوا القرآن مصاحين له في اتباعه (أو لئن) إشارة الى المتصفيين بهذه الاوصاف (هم المفلحون) أي الناجحون الفائزون بالخير والفلاح والهداية لاغيبرهم من الامم وهذه الآية فيها دلالة واضحة وحجة تامة على كون ذرئتنا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نابتا في الكتب القديمة فلنذكرهنا ما وافقها منها فاقول قال أهل الكتاب يجب على النبي

سعيد حدثنا محمد بن مفضل بن ابراهيم الاسعري حدثنا أي حدثنا محمد بن معاوية بن عمار حدثنا أي قال سمعت أبا الزبير المكي يحدث عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه أبوطالب من يكافئه حتى نزلت والله يصعقك من الناس فذهب ليبحث معه فقال يا عم ان الله قد عصي لاجلنا الى ان من تبعنا وهذا حديث غريب وفيه نكارة فان هذه الآية مدنية وهذا الحديث يقتضي انها مكية ثم قال قال محمد بن أحمد بن ابراهيم حدثنا محمد بن يحيى حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الجاني عن النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس فكان أبوطالب يرسل اليه كل يوم رجلا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فلنأتيناك رسالتنا والله يصعقك من الناس قال فأراد عهده أن يرسل معه من يحرسه فقال ان الله قد عصي

من الجن والانس ورواه الطبري
لان العمانى عن ابي كريبه وهذا ايضا حديث غريب والصحيح

الاية مدنية بل هي من اواخر ما نزل بها والله اعلم ومن عصية الله لرسوله حفظه له من اهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها
ومتروك مع شدة العداوة والبغضة ونصب الحارث بن ابي ليلى وثار اباي خلقه الله من الاسباب العظيمة بقدره وحكمته العظيمة فضانه
في ابتداء الرسالة بعهه ابي طالب اذ كان رئيسا مطاعا كبيرا في قريش وخلق الله في قلبه محبة طيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لا شرعية ولو كان أسلم لا خسر عليه كندارها وكيارها ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر بهاؤه واحترموه فلما مات
عنه اوطالب نال منه المشركون اذى يسيرا ثم قبض الله له الانتصار فبايعوه على الاسلام وعلى أن يتحملوا الى دارهم وهي المدينة
فلما صار اليها تعود من الاحمر والاسود وكلما علم أحد من المشركين (٢٧٩)

كبدته عليه كما كاده اليهود بالسحر
فحماد الله منهم وأُنزل عليه سورتي
المعوذتين دواء لذلك الداء ولما سمعه
اليهود في ذراع ذلك الشاة تجسبر
أعلمه الله به وجهه منه ولهذه الاشياء
كثيرة جدا يطول ذكرها فمن ذلك
ما ذكره المفسرون عن هذه الاية
الكريمة فقال أبو جعفر بن جرير
حدثنا الحرث حدثنا عبد العزيز
حدثنا أبو معشر حدثنا شاذان بن
سكعب القرظي وغيره قالوا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة
ظليله فيقيل تحتها فانه أعرأى
فاختار سيفه ثم قال من يبعثك مني
فقال الله عز وجل فرعدت
يدا الاعرابي وسقط السيف منه
قال وضرب برأسه الشجرة حتى
استدماغه فانزل الله عز وجل
والله يبعثك من الناس وقال
ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد
أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد
القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيدة حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني أنمار نزل ذات الرقاع وأعلى فخل فينا هو جالس على رأس يترقد لي رجليه فقال الوارث من بني الحجار
لاقتل محمد اذ قال له أصحابه كيف قتله قال أقول له اعطى سيفك فاذا أعطاه قتله به قال فانه فقال يا محمد اعطى سيفك أشبه
فأعطاه اياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الله بينك وبين ما تريد فانزل الله عز وجل
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فإلغيت رسالتك والله يعصمك من الناس وهذا حديث غريب من هذا الوجه
وقصة خويرث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أبو عمرو وأحمد بن محمد بن ابراهيم أنبا نا محمد بن عبد
الوهاب حدثنا آدم حدثنا جابر بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال يا محمد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يكون منصو صا عليه فيما قبله من الكتب ومحمد لم يكن منصو صا عليه فليس ينسب
أما الصغرى فلانه لو لم يكن منصو صا عليه لا شكل على الامة معرفته وأما الكبرى فلعدم
وجود النص والجواب عنه يجمع الصغرى لانه لا يجب أن يكون منصو صا عليه في سجل
من قبله لان شرط صدق النبوة الايمان بالخارقة ولو كان شرطه النص لامتنع الاستحجاز
وعليه أهل التحقيق فيبطل القياس ويغنى الكبرى لان محمد اصاب الله عليه وآله وسلم
قد نص عليه موسى ويوشع وداود وسليمان وأشعيا وارميا وملاخيا وزكريا وعيسى
عليهم السلام فيكون نبيا ومن البراهين على اثبات نبوته صلى الله عليه وآله وسلم
ما ورد في الاعمال من كتاب الاستثناء وسيعلم لكم الرب الهكم من اخوتكم نبيائهم
فامعوا جميع ما يأمركم به فان كل نفس لاتسمع أمر ذلك النبي تستأصل من بين القوم
وهذا هو الدليل الذي تتكلم به جماعة من المسلمين على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم
وأثبتوا دلالة على ذلك عشرة وجود كرت في محلها وفسره النصارى في شأن المسيح
وزعوا انه هو الذي وعد بموسى لانه تولد في دار يوسف بن يعقوب بن مئان من زوجته
مريم بنت عمران وهذا التفسير يدهى البطالان اذ لو كان المراد به نبيان من بني اسرائيل
ليكان الاول به يوشع بن نون أو اسحق أو داود أو سليمان أو اشعيا وغيره من
أنبياء بني اسرائيل عليهم السلام لكنه تعالى فرزه عن بني اسرائيل بقوله من اخوتكم
نظر الى أنهم نفس الحق فتكونوا اخوتهم ثم واسمعيلا بلما فاشته وهذا حوار مطرد
عند اليهود والعرب كما قال سائق المنقذين صهيون ويخرج النفاق من يعقوب أي من
بني يعقوب الى غير ذلك والافاقول ان عيسى بن مريم بن اسرائيل واسرائيل أخ لنفسه
بنحان عيسى بن مريم ابن أخ لنفسه وليس الامر كذلك أما الصغرى فلا اعتراف النصارى
بأن المسيح من اولاد داود ولاشك أن داود من اولاد اسرائيل وولد الولد ولد وأما الكبرى
فلما ظهر من هذا النص من أن أخ الانسان عبارة عن نفسه وأجيب بجمع الصغرى لان

القطان حدثنا زيد بن الحباب حدثنا موسى بن عبيدة حدثني زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال لما غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني أنمار نزل ذات الرقاع وأعلى فخل فينا هو جالس على رأس يترقد لي رجليه فقال الوارث من بني الحجار
لاقتل محمد اذ قال له أصحابه كيف قتله قال أقول له اعطى سيفك فاذا أعطاه قتله به قال فانه فقال يا محمد اعطى سيفك أشبه
فأعطاه اياه فرعدت يده حتى سقط السيف من يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حال الله بينك وبين ما تريد فانزل الله عز وجل
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فإلغيت رسالتك والله يعصمك من الناس وهذا حديث غريب من هذا الوجه
وقصة خويرث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أبو عمرو وأحمد بن محمد بن ابراهيم أنبا نا محمد بن عبد
الوهاب حدثنا آدم حدثنا جابر بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال يا محمد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

في سائر ذلك اعظم شجرة رأيناها في نزل تحتها اقبل ذات يوم تحت شجرة وعلق سمينه فيها فامر رجل فاحذنه فقال يا محمد من يمنعك مني فتنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ينهني من ذلك وضع السيف فوضعه فأقبل الله عز وجل والله يعلم من الناس وكذا رواديو جاتهم في جبان في محبته عن عبد الله بن محمد عن اسحق بن ابراهيم عن المؤمل بن سماعة عن حماد بن سلمة بن وهب وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت اسما ايل يعني الجشعي سمعت جعدة ثوراب خالد بن الصمة الجشعي رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ورأى رجلا من اجلنا خلع النبي صلى الله عليه وسلم يوثى الى بطنه بيده ويقول لو كان هذا في غير هذا المكان خير لك قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقيل هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ترع ولو اردت ذلك لم نسلط على وقوله ان الله (٣٨٠) لا يهدي القوم الكافرين أي بلغ أنت والله هو الذي يهدي من

الاخوين لفظان متباينان لا يصدق أحدهما على مفهوم الآخر والا يلزم ترادف المتباين وهو باطل ولا يرد عليه مثل البيع لان العمد في اللغة السماع ولم يقل عن أحد فيكون المنصوص عليه محمد أصلي الله عليه وآله وسلم بلا مناقشة بدليل قوله فاهموا جميع ما يأمركم به الخ لان عيسى عليه السلام لم يأت في دعوة بقهر يجبر به القوم لان دعوته كانت على سبيل الترغيب لا غير والا فليكن المسيح هو المنصوص عليه وحينئذ أقول كل نصراني يسلم أو يهودي يجب عليه القتل وكل نصرانية ترى يجب عليها الرحم لقوله كل نفس الخ لكن النصراني اذا ارتد أو النصرانية اذا زنت لا يحدأ فالبيع ليس بمنصوص عليه في هذا المقام أما المتقدم فلو ضوح النص في قوله كل نفس لا تسمع الخ لانه أمر بالاستقامة على الدين والاحسان والا فليس بنبي وأما الثاني فلعدم اجراء الحدرد في ملته ألم تر أن النصراني يسلم ويهودي يسلم ولا يجب عليه حد وانه ربما ينقض جميع سنن الانجيل وأحكامه ويرتكب ما يحالفه وما ولا يشكر عليه أحد وهذا بخلاف مله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان عدم امتثال بعض أو اهره يوجب هرق الدم وازهاق النفس فيكون هو المنصوص عليه بهذا النص وهذا هو معنى قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله وفي الانجيل متى وفي كذابا شعبا هذا هو عبدى الذى اتخبت ومحجوبى الذى رضيت عليه فساحل روى عليه وسيظهر للعوام الذين ينفون بل يصرخون يصيحون لسمع صوتي في الاوقات حدون بكسر قصبة مروضه ولن يطفى ذبالة مدخنة حتى يخرج الذينة المنصرة وبشكل على اسمه العوام انتمى وهذا نص صريح على اثبات نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأما استدلال النصارى بهذا على كون المسيح ابن الله وخاتم الانبياء فلا دلالة له عليها اذا الجزاء فيه اكمال العوام عليه وقد صلب أو رفع ولم يشكل عليه العوام وقدمه من ارتفاعه أو ضربه الى زمان تحرير هذه السطور ١٨٧٩ سنة ولم يجتمع عليه من العوام أحد الا اليونانيون

يشاء ويضل من يشاء كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب (قل يا أهل الكتاب اسمعوا على شيء حتى تقوموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأمن على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابغون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يقول تعالى قل يا محمد يا أهل الكتاب اسمعوا على شيء أى من الدين حتى تقوموا التوراة والانجيل أى حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الانبياء وتعملوا بما فيها وما يحلفها الايمان بمحمد والامر بانساعه صلى الله عليه وسلم والايمان بجمعه والاقتداء بشريعته ولهذا قال لست بنبي سليمان عن

مجاهد في قوله وما أنزل اليكم من ربكم يعني القرآن العظيم وقوله وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك ان الذين آمنوا وهم طغيانا وكفرا تقدم نفسه فلا تأمن على القوم الكافرين أى فلا تحزن عليهم ولا يهديك ذلك منهم ثم قال ان الذين آمنوا وهم المسلمون والذين هادوا وهم حلة التوراة والصابغون الماطال الفصل حسن العطف بالرفع والصابغون طائفة من النصارى والمجوس ليس لهم دين قاله مجاهد وعنه من اليهود والمجوس وقال سعد بن جبير من اليهود والنصارى وعن الحسن انهم كالجوس وقال قتادة هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى غير القبلة ويتبرئون الزبور وقال وهب بن منبه هم قوم يعرفون الله وحده ولا يستلهم بشيء يعبدونهم لم يجدوا كفرا وقال ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد عن أبيه قال الصابغون هم قوم بمالي العراق وهم يلوثوا وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون كل سنة ثلاثين يوما ويصلون الى العن كل يوم خمس صلوات وقيل غير ذلك وأما النصارى

يكون ذلك كذلك حتى يكون موافقاً للشرعة المتخذة بعد ارسال صاحبها المبعوث الى جميع القطين فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا على ما تركوا ورايه ظهوره به ولا هم يحزنون وقد تقدم الكلام على نظريته في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته (لقد أخذنا من سابق بني اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا أن لا تكون فتنة وعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون) يذكر تعالى أنه أخذ العهد والمواثيق على بني اسرائيل على السمع والطاعة لله ولرسوله فنقضوا تلك العهد والمواثيق واتبعوا آراءهم وأهواءهم وقدموها على الشرائع فخافوا فقههم منها قبوله وما خالفهم ردوه (٢٨١)

والارمن والجرج ووج والفرنج وبعض الحبش وهذا ليس باجتماع لان أقل مراتب الاجماع أعظم النصفين وقد يظهر لك بالنظر في جغرافيا أن النصارى أقل من عشر غيرهم فينتقص الاجماع وما حاول الروح عليه واظهاره الدينونة للعوام واتصافه بهذه الصفات المرضية فلا دلالة لها على كونه ابن الله وخاتم الانبياء لان زول الروح عما يختص بالاخبار واظهاره الدينونة لم يخلص بالملوك ولا شأن أن روح القدس قد حلت عليه وأنه قد أخبرنا بالدينونة العظمى التي هي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لكنه يدل على أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وهو ممنوع وأما اظهاره الدينونة واتكال العوام عليه فليس كما أوله النصارى بل انما المراد باظهاره الاخبار واتكال العوام عليه اتكالهم على ذلك الاخبار لا غير ولا انفسد المعنى لان حاول الروح عليه واظهاره الدينونة للعوام وعدم صراخه وصياحه الى آخره مقيد باخبار الدينونة للنصرة واتكال العوام على اسمه ووقوع المشروط عين اطلاق الشرط فما يكون بعد ذلك فان قلت سيكون سلطاناً شديداً منعمه لعدم وقوعه وعدم ادعاء النصارى به وان قلت شيطاناً عنيداً منعمه لتقدس ذاته وانكار النصارى له ولأنى أقول ان كان عيسى بن مريم هو المخصوص بهذا النص فبعد اخراج الدينونة للنصرة واتكال العوام على اسمه لا بد أن ترفع عنه روح الله التي حلت عليه لكن المسيح هو المقصود بهذا النص ينتج أن روح الله قد رفعت عنه والتالي باطل فالقديم مثله أما بطلان التالي فلان روح الله لا ترفع عن أنبيائه وأما بطلان المقدم فالصدق استثناء نفسه اذا علمت ذلك فاعلم أي ذلك الله بروجه القدسية ان خلاصة هذا النص انه تعالى قد أخبر بأن عيسى عليه السلام هو نبيه الذي انتخب في ذلك الزمان ومحجوبه الذي رضى عليه في تلك الايام وعده انه سيجل عليه ووجهه وسيظهره الدينونة أى القضاء للعوام أى يخبرهم باوصفه بالسكوت وعدم المكابرة والى ذلك لا نهم يقولون ان المسيح ملك عظيم الشأن وقيد ذلك باخراج الدينونة للنصرة التي هي محمد صلى الله عليه

بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لا تكون فتنة أى وحسبوا ان لا يترتب لهم شر على ما صنعوا فتقرب وهو انهم عموا عن الحق وصموا فلا يسمعون حقاً ولا يهتدون اليه ثم تاب الله عليهم أى بما كانوا فيه ثم عموا وصموا أى بعد ذلك ككثير منهم والله بصير بما يعملون أى مطلع عليهم وعلم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية منهم (لقد كفر) الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انهم يشركوا بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينهوا عما يقولون ليمسك الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله انظر كيف تبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون) يقول تعالى كما يكفر فرق النصارى من الملكية والعقوبة والتسطورية بمن قال منهم بأن المسيح هو الله تعالى الله عن قولهم وتزهو وتقصد علواً كبيراً هذا وقد تقدم لهم أن المسيح عبد الله ورسوله وكان أول كلمة نطق بها وهو صغرى المهدان قال انى عبد الله ولم يقل انى آنا الله ولا بن الله بل قال انى عبد الله آتأى الكتاب وجعلنى نبيا الى ان قال وان الله ربى وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم وكذلك قال لهم في حال كهولته ونبوته أمرهم بعبادة الله به وربهم وحده لا شريك له ولهذا قال تعالى وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انهم يشركوا بالله اى فيعبد غيره وقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار أى فقدأ وجب له النار وحرم عليه الجنة كما قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال تعالى ونادى

أصحاب النار أوجب الجنة أن أقضوا علينا من الماء أو عمار زكمت الله قالوا إن الله حرهم على الكافرين وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث متناديا ينادي في الناس أن الجنة لا يدخلها إلا الذين مسلمة وفي القلم مؤمنة وتقدم في أول سورة النساء عند قوله إن الله لا يعقر أن يشرك به حديث يزيد بن بابنوس عن عائشة النواوين ثلاثة فقد كرمهم ديوانا لا يعقره الله وهو الشريك بالله قال الله تعالى ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة الحديث في مسند أحمد وهذا قال تعالى أخبارا عن المسيح أنه قال لبي أسراييل اذهب يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار أي ومالهم عند الله ناصر ولا معين ولا منقذ مما هم فيه وقوله لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة قال ابن أبي خاتم حدثنا علي بن الحسن الهيثمي عن حذينا سعيد بن الحكم بن أبي مريم حدثنا الفضل (٣٨٢)

ثلاثة قال هو قول اليهود عزير بن الله وقول النصارى المسيح ابن الله فجمعوا الله ثالث ثلاثة وهذا قوله غريب في تفسير الآية والصحيح أنها في النصارى خاصة قاله مجاهد وغير واحد ثم اختلفوا في ذلك فقبل المراد بذلك كفارهم في قولهم بالاقانيم الثلاثة وهو أقنوم الابن وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الابن إلى الابن تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال ابن جرير وغيره والطوائف الثلاثة من الملكية واليعقوبية والنسطورية تقول هذه الاقانيم وهم مختلفون فيها اختلافات متباينة ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق إن الثلاثة كفرة وقال السدي وغيره زانت في جعلهم المسيح وأمه الهين مع الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار قال السدي وهو قوله تعالى في آخر السورة وإذا قال الله يا عيسى بن حريم آئت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم ليس قال الله تعالى وما من اله إلا اله واحد أي ليس متعدد بل هو وحده لا شريك له جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعد الههم ومتهادوا ولم ينتموا عما يقولون أي من هذا الاقتراء والكذب ليجنس الذين كفروا منهم عذاب أليم أي في الآخرة من الإغلال والنكال ثم قال أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا من كرمه تعالى وجوده وطلعه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الاقتراء والكذب والافتاد بدعوههم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه وقوله تعالى ما المسيح بن حريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال إن هو إلا عبد أتبعنا عليه وجعلنا من قبله لبيئ إسرائيل وقوله وأمه صديقة أي مؤمنة به صديقة له

وآله وسلم وفي بعض التراجم حتى يخرج الحكم بالغلبة عوض يخرج الدينونة للنصرة وهما مترادفتان لأنه هو الذي نصر دين الله وباتكال العوام على اسمه أي عليه يعنى على أخباره يريد بذلك أن العوام سيكونون على أخباره حين ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيؤمنون به فتكون هذه الأورباة بعثته عليه السلام وبعد نفوذها يوثب إلى ما به الأصلي سواء كان بالصلب ثم الرفع أو بالرفع بغير الصلب فتكفر في هذا المقام فإنه دقيق وأمعن نظرك فيه وفي كتابهم ودواوكل ذكر إن الرب قد جاء أو سبي من روات مقدسة ليقضى على جميع الناس ويوبخ المنافقين بجميع أعمال نفاقهم التي نافقوا بها وجميع الأقوال الصعبة التي تكلم بها عليهم الخاطئون انتهى ودلالة هذا النص على النعاش نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بديهية لا تحتاج إلى نظرية لتخصيص جميع هذه الصفات في ذاته المقدسة لكونه معوثا بالسياف أي بالجهاد ولو يبروات صناديد العرب ولقصاته على جميع الناس ولتبويجها هل النفاق ولانقل أنه لم يقض على جميع الناس لما صرح ذلك فمقابل هذا أن الإجماع عبارة عن أعظم التصديقات وإما استدلال النصارى بهذه الدلالة على ربوبية المسيح فنقل عن حقيقه زكريا فلاشك في صحة النقل الآية لا دلالة فيه على ما دعوهم مطلقا ولا على ثبوته بل لا دلالة له عليه بوجه من الوجوه لأن الموضوع عليه بالاثبات بهذه الروايات المقدسة والقضاء على جميع الناس وفي بوج المناققين ينبغي أن ان يقوم بالأمر لجد الحديث الآخر ولا دلالة لشيء من هذه الصفات على المسيح عليه السلام لأنه لم يأت إلا في بعض الزهاد المختلفين بالمسوح والرماد والأفان كان المسيح هو المقصود بهذا النص فلاشك أنه قد قهر اليهود وصلب يسلاطوس الذي لكن المسيح هو المقصود بهذا النص فيكون كذلك والتالي باطل فالقديم مثله ما بطلان التالى فلعدم وقوع ذلك ولا نسكار النصارى إياه وما بطلان المقدم فلصدق استثناءه نقيضه وكيف يجوز العقل احتياج الآلهة في الانتقام من الأعداء إلى الجند والسلاح فان قيل أنه

حريم آئت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه الآية وهذا القول هو الأظهر والله أعلم ليس قال الله تعالى وما من اله إلا اله واحد أي ليس متعدد بل هو وحده لا شريك له جميع الكائنات وسائر الموجودات ثم قال تعالى متوعد الههم ومتهادوا ولم ينتموا عما يقولون أي من هذا الاقتراء والكذب ليجنس الذين كفروا منهم عذاب أليم أي في الآخرة من الإغلال والنكال ثم قال أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وهذا من كرمه تعالى وجوده وطلعه ورحمته بخلقه مع هذا الذنب العظيم وهذا الاقتراء والكذب والافتاد بدعوههم إلى التوبة والمغفرة فكل من تاب إليه تاب عليه وقوله تعالى ما المسيح بن حريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي له أسوة أمثاله من سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام كما قال إن هو إلا عبد أتبعنا عليه وجعلنا من قبله لبيئ إسرائيل وقوله وأمه صديقة أي مؤمنة به صديقة له

وهذا على مقاماته اقل على انها ليست بتيمة كازعم ابن حزم وغيره عن ذهب الى نفي عقاره ثم الحق
عيسى استدل لادانهم بخطاب الملائكة لسارة ومريم وقوله وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه وهذا معنى
الجهور ان الله لم يعث نبيا الا من الرجال قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقد حكي الشيخ أبو
الحسن الاشعري رحمه الله الاجماع على ذلك وقوله تعالى كائنا ما كان الطعام أى يحتاجان الى التغذيةه والى خروجه من مافهما
عدان كسائر الناس وليس باليهان كازعمت فرق النصارى الجوهلة عليهم لعائن الله المتباعدة الى يوم القيامة ثم قال تعالى انظر كيف
نمن لهم الآيات أى نوضحها ونظهرها ثم انظر انى يوفقون أى ثم انظر بعد هذا البيان والوضوح والحلاء أين يذهبون وبأى
قول يتمكون والى أى مذهب من الضلال يذهبون (٣٨٣) قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضررا ولا

نفعا والله هو السميع العليم قل

يا أهل الكتاب لا تغشوا فى دينكم

غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد

ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا

عن سواء السبيل يقول تعالى

منكر اعملى من عبد غيره

من الاصنام والانداد والوثان

وميناله انها لا تستحق شيئا من

الالهية فقال تعالى قل أى يا محمد

لهؤلاء العابدن غير الله من سائر

فرق بنى آدم ودخل فى ذلك النصارى

وغيرهم اتعبدون من دون الله

مالا يملك لكم ضررا ولا نفعا أى

لا يقدر على دفع ضرر عنكم ولا

ايصال نفع اليكم والله هو السميع

العليم أى السميع لا قول عباد الله العليم

بكل شىء فقل عبدتم عنه الى جناد

لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئا ولا

يملك ضررا ولا نفعا لغيره ولا لنفسه

ثم قال قل يا أهل الكتاب لا تغشوا

فى دينكم غير الحق اى لا تجاوزوا

الحدة فى اتباع الحق ولا تطروا من

دينكم باله لكنكم ابن الله قلت لا أسلم عدم الألوهية لان جميع النصارى قد اتفقوا فى
تفسير هذا النص بالألوهية قوله من الاعمال فاحتاطوا على انفسكم وعلى الرعية التى
أقامكم الروح القدس عليها أساقفة اترعوا كنيسة الله التى اقتناها بخالص دمه مع
ان الضمير يرجع الى عيسى المذكور باللفظ والى الروح القدس الذى هو عبارة عن نفس
المسيح فتأمل فيه ومع قطع النظر عن هذا كله اذا كان الله يجب على آيسته ان يذب
عنه وفى مرقس وفى متى ثم طفق يضرب لهم الامثال ويقول اغترس رجل كرم
وحقته يحافظ ويحث فيه معصرة وبني برجا وأجره للفلاحين وسافر ولما جاء الموسم
أرسل الى الفلاحين خادما ليئالا من ثمرة الكرم شيئا فآخذوه وضربوه وخافا فرسل
اليهم خادما ثانيا فآخذوه وشجوه وردوه ومحقرا ثم أرسل ثالثا فآخذوه وكثيرين آخرين ضربوا
بعضهم وقتلوا بعضا وكان قد بقي له ابن وحيد وهو محب به فارسله اليهم آخر الامر وقال انهم
سيكرمون ابنى فقال الفلاحون فيما بينهم ان هذا هو الوارث فهما واثباتا قتلوه فصرخ الميراث
لثالثا فآخذوه وقتلوه وآخر جوه خارج الكرم فآخذوا يفتعل رب الكرم نعم انه سياتى ويملك
الفلاحين ويسلم الكرم الى آخرين ألم تقرؤ هذا المرقوم قوله ان الحجر الذى رفض البنائون
صارت رأس الزاوية هذا هو ما وقع عند الرب وهو فى نظركم عيب انتهى وهذا من أعظم
الدلائل الواردة فى الانجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد تغافل عنه النصارى
وأولوه بناويل باطل وتقرير ذلك ان هذا أول الفصل وهو جلة استثنائية فانمارس فيه هو
المازى تعالى شأنه والمغرسه الدنيا والكرم بنو آدم والحائط التاموس والمعصرة الاحكام
التاموسية والبرج الانبياء والفلاحون الذين بلغتهم الدعوة قاوول الرسل موسى بن عمران
عليه السلام وثانيهم يوشع بن نون وثالثهم يحيى بن زكريا والرابع هو لولن المتوسطون من
موسى الى زمان عيسى عليه ما السلام والوالد الوحيد عيسى عليه السلام وناهيك به من
مثل لطيف نبيه وأتباعه عيسى على نفسه أيضا والآخر من الذين يسلم اليهم الكرم هم

أمرهم بتعظيمه قتلوا فيه حتى يخرجوه عن حيز النبوة الى مقام الألوهية كما صنعتهم فى المسيح وهو بنى من الانبياء فجعلتموه
الهام من دون الله وما ذاك الا لاقدا انكم بشيؤكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم من ضل قديما واضلوا كثيرا واضلوا عن
سواء السبيل اى وخروجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال الى طريق الغواية والضلال وقال ابن ابي حاتم حدثنا فى حديثنا
أحمد بن عبد الرحمن حدثنا عبد الله بن ابي جعفر عن آيسته بن الربيع بن أنس قال وقد كان قائما علىهم فآخذوا بالكتاب
والسنة زمانا فأتاهم الشيطان فقال اغترسوا كرم اترأوا وأمر اعد عمل قبلك فلا تحمد عليه ولكن ابدع أمران قبل نفسك وادع
اله واجر الناس عليه فتسعل ثم اذكر بعد فعله زمانا فأراد أن يتوب منه فخلع سلطانه ونسكه وأراد أن يتعبد فلبث فى عبادته أياما
فأتى فقبيل له لو انك تبت من خطيئة علمت فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك ولكن ضل فلان وفلان وفلان فى سبيلك

حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة فكشف الله باهم فلا يري تلك الايدافقه مع ما في اشباه هذه الاية اهل الكتاب لانهم لا يرون دينكم غير الحق ولا تتبعوا هواهم قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ان يخطئوا الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله واليومئذ وما انزل اليه ما اتخذوهما ولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون) يخبر تعالى انه لعن الكافر من بني اسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على دودنيه عليه السلام وعلى لسان عيسى بن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه قال العوفي عن ابن عباس اعنوا في التوراة الانجيل وفي الزبور وفي (٢٨٤)

العرب فان قلت لم كنى في الاول الانبياء وهم تبا لامة قلت تجديله صلى الله عليه وآله وسلم واكراما لامة اذ هم افضل الامم وقصد بقوله سبحانه كنتم خيرا امة أخرجت الناس الاية وقوله صلى الله عليه وآله وسلم علماء امة كانبيا بني اسرائيل على كلام فيه وفيه من عظمة شأنه وسوء مكانه ما لا يخفى بل ما يفوق على شأن جميع الانبياء فتأمل ثم انظر الى حسن أداء المثل فكانه عليه السلام قد سئل عن ذلك فقال انه من اولاد اسمعيل فاجيب بانه هل يبعث من اولاد الفتاة نبي فقال عليه السلام لم تقرؤا ما قال اشعيا في قوله انه انجزة التي رفض الخ فان كذبوني فماتوا فقول نبكم اشعيا فهذا الذي اتم تستحقونه يكون في الدرجة العليا لانه هو قضاء الرب وهو الوفاء لعهد الذي عاهد به ابراهيم عليه السلام في بابت اسمعيل حيث قال في التكوين قوله واما اسمعيل فاني قد سمعت دعائه له وهما اذا ذا قديار كنت فيه وجعله مفر اوسا كثره تذكر اوسيلد انني عشر ملكا و اسأصوهم امة عظيمة واما ما ذهب اليه اليهود والنصارى من ان المراد بالاولاد الاثني عشر اولاد اسمعيل الاثنا عشر فهو باطل لانهم لم يخلقوا ولم يدعوا الملكة والحق انه في شأن الائمة الاثني عشر من قريش كما ورد في ذلك الحديث وعهده الذي عاهد به هاجر في كتاب الخليفة حيث قال فقال لها أي هاجر ملك الرب انك حامله وستلدن ابنا نسميه اسمعيل لان الله قد سمع اضطرابك وسيكون بديا وتكون يده معارضة لجميع الناس ويد جميع الناس معارضة له وهذا في غاية اللطافة والعموم وفي كتاب متى وكتاب اشعيا وفي المزامير ان تلك انجزة التي رفض البناتون صارت رأس الزاوية هذا هو عمل الرب وهو في أعيننا عجيب انتهى ولا شك ان هذا النص يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لانه من ولد اسمعيل وهو المرفوض قبل وجود موسى ورأس الزاوية هو ملتي الخطي فيكون هو الخاتم لان طرفي الخطيين يذهبان الى حيث ما يذهبان اليه ولا حاجة لتعيين اسمها فيكون ملتي الخطيين هو منتهاهما وهذا هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي ختم الله به فيلق رسله وقوله هذا هو

تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون أي كان لا يهني أحد منهم أحد اعان ارتكاب الماسم والمحارم ثم دعاهم على ذلك ليجذران يركب مثل الذي ارتكبوه فقال لبئس ما كانوا يفعلون وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن عبيد الله عن علي بن بذيمة عن أبي عبيد الله عن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي فنهتهم علماءهم فلم ينهوا وبنو اهل السوءم في مجالسهم قال يزيدوا بحسبه قال في أسواقهم وواكلهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس فقال لا والذي نفسي بيده حتى تظروهم على الحق اطراء وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن

محمد النفيل حدثنا يونس بن راشد عن ابن بزيمة عن عبيد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يدخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما نهى الله عنه فانه لا يصلح لك ثم يلقاه من الغد فلا يتبعه ذلك ان يكون اكله وشربه وقعبه فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم على قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالعرف وتنهين عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتطرنه على الحق اطراء أو تقصرنه على الحق قصرا وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من طريق علي ابن بزيمة وقال الترمذي حسن غريب ثم رواه هو وابن ماجه عن شدراع ابن مهيدي عن سفيان عن علي بن بزيمة عن أبي عبيد الله سلا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وهارون بن ابيح الهمداني قالوا حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي عن

العلامن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة

عليه وسلم ان الرجل من بني اسرائيل كان اذرا

ان ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال

بينهم عنه تعذير اذا كان من القدامى

اكيله وخطيه وشريكه وفي حديث هرون وشريكه ثم اتفقوا في المتن فلما رأى الله منهم ذلك ضرب قلوب بعضهم عن بعض وبلغهم على لسان نبيهم داود وعيسى بن مريم ذلك بما عاصوا وكانوا يعتدون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين تشبهوا بهم بالمعروف واتهم عن المنكر ولما أخذن على يد المسبي وتطرده على الحق اطراء أولي ضرب الله قلوب بعضهم عن بعض أو وليعتكم كالعلمهم والسياق لابي سعيد كذا قال في رواية هذا الحديث وقد رواد داود ايضا عن خلف بن هذ عن ابي جندب انبطا عن علي بن المسيب عن عمرو بن مرة عن سالم وهوان

(٢٨٥)

عمل الرب الخ جواب سؤال مقدر تنذير هل يمكن ان تستقر الحجة المرفوضة رأس الزاوية وهل يجوز ان يقوم من أولاد الجارية المصرية ها جري فيكون الجواب هذا هو عمل الرب الخ وسياقة في أشعيا قوله هذا لما يقول الرب الاله ها انا قد اقبلت في صهيون حجرة أساس الابن لزاوية وأساس محقق لا يتجمل من يعتد بهما فقول هذا التحضيض والترغيب في الاستماع وما مقرر في معنى الكل ويقول في معنى القول فيكون المعنى هذا كل قول الرب الاله وصفة الرب للتعظيم والتخويف ها انا انا الى قوله حجرة أساس الاضافة بمعنى اللام الابن لزاوية بدل من الأساس وأساس محقق بدل من البديل لا يتجمل من يعتد بها غاية القامه فيكون معنى قول أشعيا ان هذا هو قول الرب عن يعتد به ويتلوه وقوعه ويؤمن به ان يتجمل والمراد به نفس النص ومعنى قول متى ان تلك الحجة يعني اسمعيل التي رفض البناءون ابراهيم وسارة والجمع للحوار العبراني وأول تخميم والمضى في رفض لغبور الفعل فيه صارت للتأ كيد رأس الزاوية خاتمة للرسول وجه المطابقة ان كلام أشعيا يدل على الاخبار وكلام متى يدل على التحقيق جعلني الله ويا لك عن يسا لك سواء الطس ربي وذهب النصاري الى تأويل هذا النص في شأن عيسى عليه السلام على عاتقهم وقالوا ان اليهود كانوا يحتقرونه فيكون النص في شأنه وهو باطل لان تأ كيد التعريف بنيد العهد الذهني وليس في بني اسرائيل محقق ولا مرفوض من حيث الله من بني اسرائيل وعيسى ابن مريم من بني اسرائيل فلا دلالة للنص عليه مع ان العهد الخارجي المشار اليه في أيام موسى يجب ان يكون غابرا والفعل ماض فيجب مضى العهد وان كان المسجج بن مريم قد رفضه اليهود في أيام موسى أو قبل أيامه فهو المنصوص عليه لكنه لم يكن كذلك فلن يكون كذلك ولا شأن ان النص دال على ما ذكرناه من نبوة محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم برمته وفي رومية ويوشع سادعو الذين ليسوا من شيعتي في شيعه والتي ليست بعبودي لي محبوبة انتهت واختلس النصاري هذا النص على عاتقهم

الله بن مسعود عن ابيه عن نبي صلى الله عليه وسلم بخصه ثم قال ابو داود كذا رواه عنه عن العلامن عمرو بن مرة ورواه البخاري عن العلامن المسيب عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن سالم الافطس عن ابي عبيدة عن عبد الله قال شيخنا الحافظ ابو الخياط المزني وقد رواه خالد بن عبد الله الواسطي عن العلاء عن عمرو بن مرة عن ابي موسى والا حديث في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جدا ولقد كرمها ما يناسب هذا المقام قد تقدم حديث جابر عند قوله لولا ينههم الرائيون والاحبار وسألت عند قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم حديث ابي بكر الصديق وأبي ثعلبة الخشني فقال الامام أحمد حديثنا سليمان الهاشمي أنا أنا اسمعيل بن جعفر اخبرني عمرو بن ابي عمرو عن عبد الله بن عبد

(٤٩ - فتح البيان ثالث) الرحمن الاشعري عن حديثه بن الجمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لأمرن بالمعروف ولنهم عن المنكر أو ليسوكم الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لئد عنه فلا يستجيب لكم ورواه الترمذي عن علي بن جرير عن اسمعيل بن جعفر بن وهب وقال هذا حديث حسن وقال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه حديثا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن هشام بن سعد عن عمرو بن عثمان عن عاصم بن عمر بن عثمان عن عروة عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مر يا بالمعروف وانهموا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا يستجاب لكم تقر به وعاصم هذا مجهول وفي الصحيح من طريق الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن ابيه عن ابي سعيد وعن قيس بن مسلم عن طارق بن هشام عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسا به فان لم يستطع فليقله وذلك اضعف

الايمان وادعهم وسلم وقال الامام احدثنا ابو عمر حدثنا سيف هو ابن ابي سليمان سمعت عدي بن ابي عدي الكندي يحدث عن
 مجاهد قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يعني عدي بن عميرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
 لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان يشكروه فلا يشكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله
 الخاصة والعامة ثم رواه اجدع بن الجاحج عن عبد الله بن المبارك عن سيف بن ابي سليمان عن عيسى بن عدي حدثني مولى
 لنا انه سمع جدي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره هكذا وادع الامام احدثنا حذيفة بن اليمان عن عيسى بن عدي حدثني ابو
 العلاء حدثنا ابو بكر حدثنا المغيرة بن زياد الموصلي عن عدي بن عدي عن العرس يعني ابن عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 اذا علمت الخطيئة في الارض كان من (٢٨٦) شهدا فافكرها وقال مرة فافكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها

فرضها كان كمن شهدا فتدبره ابو
 داود ثم رواه عن اجدع بن يونس عن
 ابي شهاب عن مغيرة بن زياد عن
 عدي بن عدي مرسلًا وقال ابو
 داود حدثنا سليمان بن حرب
 وحفص بن عمر قالوا حدثنا شعبة
 وهذا اللفظ عن عمرو بن مرة عن ابي
 الجحدي قال اخبرني من سمع النبي
 صلى الله عليه وسلم وقال سليمان
 حدثني رجل من اصحاب النبي صلى
 الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ان هلك الناس حتى
 يعذبوا أو يعذبوا من انفسهم
 وقال ابن ماجه حدثنا عمران بن
 موسى حدثنا جاد بن زيد حدثنا
 علي بن يزيد بن جده عن ابي ذريرة
 عن ابي سعيد الخدري ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا
 فكان فيما قال الا لا ينعن رجلا
 هيبه الناس ان يقول الحق اذا علمه
 قال فبكى ابا سعيد وقال قد والله
 رأينا أشياء فبهنا وفي حديث

وأولوه في شأن اتساع المسيح وقالوا انه لم يأت الا لاستدعاه العوام مع انه خلاف لما واثق
 عليه النص منه ما ورد في متى اني لم أرسل الا لغنم بيت اسرائيل الضالة فجاءت الامرأة
 وسجدت له وقالت أعني يارب فقال لها هو يحاورها انه لا يجوز ان يؤخذ
 خبز الاولاد وبقي الكلاب وما ورد في متى لما أرسل الحواريين لل دعوة حيث قال
 بل سيروا الى غنم بيت اسرائيل الضالة الى غير ذلك وتقرير الاولين ان امرأة اسرائيل أتت
 اليه تلتصقه ان يرى بها فقال لها اني لم أرسل الا ليرى بني اسرائيل الذين هم احياء الله
 ولا يجوز لاحد ان يأخذ خبز الاولاد وبقي الكلاب فاذا كان بعض الابراوا الوعظ
 ليس عامورا أن يرى أو يعظ غير اليهود فكيف تكون نبوته عامة واما استدلالهم بما
 ذكره في رومية فلا دلالة له أضعافا على الخصوصية لان موضوع هذا الفصل بمصلحة اليهود
 لليونانيين عن النصر فاستدل بولس على جواز ذلك باضافة الاختيار الى المختار الحقيقي
 حيث قال فمن أتت اياها الانسان حتى تحبب الله تعالى لعل الجبله تقول لجاليلها لم صنعتي
 هكذا أو لعل الفخار لسلطان له على الطين حتى يعمل من كتلة واحدة ثم اذكر امه وانه
 لا الهة الخ فخذ كذلك استدلالا على جواز اضطرار العوام استحسانا لان الجواز غير
 الوجوب بخلاف نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه قد أوجب عليه دعوة الثقلين
 وعليه الاجماع ولو كانت علة تحجب عيسى دعوة العوام لما احتاج الى الاستدلال فينتقص
 ويدل على محمد نفسه صلى الله عليه وآله وسلم بالضرورة لانه لم يكن من بني اسرائيل فلم
 يكن من شيعة الرب الخاصة ولم يكن من شيعة الخاصة فلم يكن له محبوبا فيكون
 الباري تعالى قد تبرع بارساله وهو باطل وأظهر للقادة لان اليهود كانوا يتفخرون على
 العرب لما ورد في متى من سفر الخروح لانهم من أولاد اسحق وهو ابن سارة ومحمد صلى
 الله عليه وآله وسلم من أولاد اسمعيل وهو ابن هاجر جارية سارة لكن الواجب تعالى
 رغم أنفهم به وصوره له محبوبا وشيعته له شيعة وان لم يكن كذلك فنقول ان كان اليونانيون

اسرائيل عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
 جائر رواه ابو داود الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غير مبين من هذا الوجه وقال ابن ماجه حدثنا راشد بن سعيد
 الرمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا جاد بن سلمة عن ابي غالب عن ابي امامة قال عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل عند
 الجرة الثانية سأله فسكت عنه فلما جرى جرة العقبة ووضع رجله في الغر زلرك قال أين السائل قال أنا رسول الله قال كلمة حق
 تقال عند ذي سلطان جائر تدبره وقال ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عيسى بن عدي عن ابي
 مرة عن ابي الجحدي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر أحدنا
 نفسه قال (٢) يرى أمر الله فيه فقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيامة ما منعك ان تقول في كذا كذا وكذا فيقول خشيت
 (٣) قوله يرى أمر الله فيه فقال الخ هكذا افيما بأيدينا من النسخ وحرر الله محمده

الناس فيقول فايأى كمت أحق أن تحشى قفردبه وقال أيضا حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن فضل حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أبو طوطاة حدثنا هار العبدي أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول مامنعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا قال الله عبد اجتهت قال يا رب رجوتك وفرقت الناس قفردبه أيضا ابن ماجه واستاده لأبأس به وقال الامام أحمد حدثنا عمرو بن نعيم عن خالد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لسلطان أن يذل نفسه قبل وكيف يذل نفسه قال تعرض من البلاه ما لا ينطبق وكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشر عن عمرو بن عاصم به وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي حدثنا

(٣٨٧)

زهيد بن يحيى بن عبيد الخزازي حدثنا الهيثم بن جيسه حدثنا أبو عبد الله حفص بن غياث عن ابن أبي عمير عن أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمرء وف والنهي عن المنكر قال اذا ظهر فيكم مظاهر في الامم قبلكم قلنا يا رسول الله ومظاهر في الامم قبلنا قال الملك في صغاركم والقاحشة في كباركم والعلم في رذايلكم قال زيد تفسير معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والعلم في رذايلكم اذا كان العلم في الفساق قفردبه ابن ماجه وسأق في حديث أي ثعلبة عند قوله لا يضركم من ضل اذا اهديتهم شاهداه هذا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وقوله تعالى ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا قال مجاهد يعني بذلك المنافقين وقوله لبئس ما قدمت بذلك لهم انفسهم يعني بذلك موالاتهم للكافرين وتوكلهم موالاة المؤمنين التي أعقبهم نقفا في قلوبهم

هم الذين رفضتهم سارة لما حكمت على ابراهيم عليه السلام ان يخبرهم الى البر وطردتهم من بيتهم لما حلت جاريتهما المصرية هاجر من ابراهيم فيهم هذا النص صادق عليهم لكن اليونانيون ليسوا بالذين طردتهم سارة فلا يصدق عليهم النص أما المقدم فلا دعاء اليهود بان يفي اسمعيل ليسوا من شبيعة الرب وهم المرفوضون ولا وجه للعموم لان استيلاء غير الخصم لا يبق مشقة استيلاء الخصم وأما التالي فلان هذا النص لا يصدق الاعلى من يصدق عليه المقدم لان التعريف يفيد العهد الذهني وفي رومية والاستثناء اني سأعيركم بأمة أخرى وأغنيظكم بأمة لافهم لها انتهى استدلال النص على عموم تبوة المسيح وقالوا الله خاص في شأن اليونانيين والرومانيين وهو باطل لانهم كانوا أعلم من اليهود في جميع الفنون وتقريره في هذا الفصل ان بولس كان يرض اليهود ويعرض عليهم لما تنقروا ومن نصر اليونانيين والرومانيين ويقول انهم لم يعيروا الكتب ولم يعنوا النظر في النواميس حيث قال الله تعالى على لسان موسى اني سأعيركم الخ فلهذا الدلالة على عموم تبوة النبوة البتة اذ لا دلالة له على دعوة كلالا القريين لكنه تنبيه لليهود حتى يرتدوا عما كانوا عليه من الغرور ويذكروا هذا النص ويحذروا يوم يعيرهم الله بأمة أخرى ويغنيظهم بأمة لافهم لها والمراد بهم العرب أو لادهاجر والبرهان على ذلك انهم كانوا أميين لانهم هم الذين لافهم لهم ولا علم وسياق النص في الاستثناء قوله انهم قد عيروني بلاه واغاطوني بعينهم فسأعيرهم بلافة وسأغنيظهم بأمة لافهم لها قوله عيروني بلاه أي بعبادة الاوثان لما اتخذوا الجبل واغاطوني بعينهم أي لعبت الاصنام منهم لما قالوا يا موسى اجعل لنا الهة كالهة آلهة فأناس أعيرهم بلافة يريد بها أولادهاجر المصريين يعني بني اسمعيل وأغنيظهم بأمة لافهم لها لانهم كانوا في تلك الامم لا يعاطون شيأ من العلوم العقلية ولا النقلية مما سوى علم الشعر والمنازل وليسأشئ والا فقول ان كان اليونانيون في زمان موسى جهلا لا دخل لهم في شيء من العلوم بحيث ان اليهود كانوا

وأخطت الله عليهم بخطا ستم الى يوم معادهم ولهذا قال أن سخط الله عليهم وفسر بذلك ما ذمهم به ثم أخبر عنهم انهم هم العذاب خالدون يعني يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا هشام بن عمار حدثنا مسلم بن علي عن الاعمش باسناد ذكره قال يا معشر المسلمين اياكم وزان فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب اليها وبورث الفقر وينقص العمر واما التي في الآخرة فانه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلو في النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هكذا ذكره ابن أبي حاتم وقدر رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عمار عن مسلم عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وسأق أيضا من طريق سعيد بن عفير عن مسلم عن أبي عبد الرحمن الكوفي عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وله هذا الحديث

ضعف على كل حال والله أعلم وقوله تعالى ولو كنوا بمؤمنون بالله والتي وما أنزل اليه ما أخذوا وهم أولياء أي لو آمنوا حتى الإيمان بالله والرسول والقرآن لما ارتكبوا ما ارتكبوا من موالاة الكافرين في الباطن ومعاداة المؤمنين بالله والتي وما أنزل اليه ولكن كثير منهم فأسقوا أي خارجون عن طاعة الله ورسوله مخالفون لأوامر الله وحكمه وتزبد (يحدثن أسد الناس عداوة للبشر آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنهم مودة للبشر آمنوا الذين قالوا أنا نصارى ذلك ان منهم قيسيين ورضيانا وأنهم لا يتكبرون وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا أنما كنا كنا نتابع الشاهدين وما لنا لا تؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونقطع ان يدخلنا مع القوم الصالحين فأنابهم الله بما كانوا جنات تجري من تحتها الأنهار خلد فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) قال علي بن

يستمحرونهم بالنظر الى جبهاتهم فهذا النص صادق عليهم لكن اليونانيون في زمان موسى كانوا أعلم من اليهود في جمع الاحوال فلا يكون هذا النص صادقا عليهم اما ما تقدم فلان النصاري يدعون ذلك وما التالى فلا نلاش في ان اليونانيين كانوا أعلم من اليهود في جمع العلوم سيما الالهيات الا عفا الله عنهم وليس بشئ والدليل على ذلك ما حققه داود جازي في كتابه الذي سماه صحيح داود قوله شرع مطريوس الحكيم في تعليم المساحة في مصر أيام مطريوس أول ملوك بابل سنة ٢٢٨٥ من تاريخ الخليقة ولاطينوس اللاتيني علم الطبيعيات وبحث عن كائنات الجوزمان سقزيس ١٥ من ملوك بابل سنة ٢٢٦٥ وأريستوس الحكيم اليوناني بحث عن حركات الافلاك هو ولد اسيرديثوس وقريسيقوس عهدا ديسوس ١٩ من ملوك بابل سنة ٢٤٧٥ وكانت ولادة موسى سنة ٢٢٦٨ ولم يزل اليونانيون يزدادون بسطة في الملك والعلم حتى ظهر رب الجنود صلى الله عليه وآله وسلم ومن الذين ظهره وأيام بني اسرائيل مر قورياس علم الموسيقي سنة ٢٢٢٦ ولوسيسوس قيسر ابحاث في حركة الشمس مع فيلقوس الحكيم سنة ٢٨١٥ وكان فيلقوس فاضلا مر تاض في علم النجوم وابقراط أو بقراط الطبيب الحاذق وابنه أوقليس المهندس واقلاطون الحكيم بحثوا عن كثر فتن الحكمة النظرية عهد هرديان واستير سنة ٢٤١ (١) واسكندريين فيلقوس أو داراب واستاذ لقوما خشبوس بحثوا عن كثر فتن الحكمة سنة ٢٤٤٢ أيام العزيز عليه السلام الى غير ذلك فعلى هذا يكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو المكنى عنه وبه وأمه المهدية هي المشار اليها وفي رومية وأشعيا قوله اني قد وجدت عندي لم يطلبي وظهرت عندي لم يسأل عني انتهى أول النصاري هذا النص الصريح في حق اليونانيين الذين اتبعوا عيسى عليه السلام في زمان الفتنة وقالوا انهم لم يطلبوا معرفة الله تعالى قبل المسيح فيقتص النص بهم وسياقه في رومية يظهر للمعاقل ولادلائله عليهم لانه لا يبعد في الاعلى مقوم

أنى طلحة عن ابن عباس نزلت هذه الآيات في التجاشي وأصحابه الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضبوا لحاسم وهذا القول فيه نظر لان هذه الآية مدنية وقصة جعفر مع التجاشي قبل الهجرة وقال سعيد ابن جبير والسدي وغيرهما نزلت في وفد بعثتهم التجاشي الى النبي صلى الله عليه وسلم لاسمعوا كلامه وروا صفاه فلما رأوه قرأ عليهم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا الى التجاشي فاخبروه قال السدي فيما بين التجاشي فأتى الطريق وهذا من افراد السدي فان التجاشي مات وخو ملك الحبشة وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوم مات واخبر به أصحابه واخبرانه مات بارض الحبشة ثم اختلف في عدة هذا الود فقليل اثنا عشر سبعة قساقه وخمسة رهاين وقيل بالعكس وقيل خسون وقيل بضع وستون وقيل

سعون رجلا والله أعلم وقال عطاب بن ابي رباح هم قوم من أهل الحبشة أسلموا حين قدم عليهم مهاجرة الحبشة من المسلمين ما وقال قتادة هم قوم كانوا على دين عيسى بن مريم فلما رأوا المسلمين وسعوا القرآن أسلموا ولم يتبعوا واختر ابن جرير ان هذه الآيات نزلت في صفه أقوام بهذا المثابة سواء كانوا من الحبشة أو غير ذلك قوله تعالى لتجدن أسد الناس عداوة للبشر آمنوا اليهود والذين أشركوا وما ذاك الا ان كفر اليهود كفرا عناد وجور ومباحة للحق وغفل الناس ونقص بحمله العلم ولقد اقلوا بشر اكثر من الانبياء حتى هو باقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ومعه وسحره وألبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة قال الحافظ أبو بكر بن مردويه عند تفسير هذه الآية حديثا عن محمد بن السري حديثا عن محمد بن علي بن حبيب أنزي حديثا عن علي بن سعيد العلاف حديثا عن أبي النصر عن الأنجي عن سفيان عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال (١) قوله سنة ٢٤١ كذا بالأصل وكذا جميع الاعداد في هذه الحقيقة هي كذلك في الاصل وحروا معجمه

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ حَبْلًا، وَآتَى مِمَّا رَزَقَهُهُ وَخَفِيَ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِرًّا مِثْلَ نَجْدٍ».

وقد يجتمع على قسوس والرهبان
جمع راهب وهو العابد متفق من
الرهبنة وهي الخوف كراكب وربكان
وفارس وفرسان قال ابن جرير وقد
يكون الرهبان واحدا وجمعا

وجوازين وقد يجمع على رهبانة
 ومن الدليل على انه بكسر الهمزة
 العرب واحد اقوال الشاعر
 لو عايت رهبان در في القل
 لا تخدر الـ رهبان عيشي وزر
 وقال الحافظ أبو بكر البزار حدث
 بشر بن آدم حدثنا نصير بن
 الاشعث حدثني الصلت الدهان
 حاتم (١) بن رباب قال سألت سلمة
 عن قول الله تعالى ذلك بان منهم
 قسيسين ورهبانا فقال دع القسيس
 في البيع والخرب أقرأني رسول
 صلى الله عليه وسلم ذلك بأن
 صديقين ورهبانا وكذا رواه
 مردويه من طريق يحيى بن عبد
 الحميد الجاني عن نصير بن

سين ورهبانا فقال لهم الرهبان الذين هم
تم قسيسين فاقرأنى ذلك بان منهم صد
ان فيهم العلم والعبادة والتواضع ثم و
بعض من الدمع محامروا من الحق اذ
أى مع من يشهد بصحة هذا يؤمن به
ان اسمع عبد الله بن الزبير قال نزلت
الدمع محامروا من الحق يقولون رب
ضبط هذين الاسمين فخر اه

فأكتبنا مع الشاهدين وقال الطبراني حدثنا أبو إسحاق عبد الله بن عبد الله بن واذ حدثنا أبي حدثنا العباس بن الفضل عن عبد الجبار بن نافع الصبي عن قتادة وجعفر بن أبياس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قول الله تعالى وإذا سمعوا ما أنزل ال رسول ترى أعينهم تفيض من الدمع قال انهم كانوا كرايين يعني فلاحين قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن آمنوا واقتات أعينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم إذا رجعت إلى أرضكم أن تتعلم إلى يد منكم فقالوا إن نتعلم عن ديننا فإنزل الله ذلك من قولهم وروى ابن أبي حاتم و ابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق سماعة عن عكرمة عن ابن عباس في قوله فكتبنا مع الشاهدين أي مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمنه هم الشاهدون يشهدون لنبيهم صلى الله عليه وسلم أنه قد بلغ والرسول انهم قد بلغوا (٣٦٠) ثم قال الحاكم صحيح الاستاذ ولم يخرجاه وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من

الحق ونطمع أن يدخلنا بامع القوم الصالحين وهذا الصنف من النصارى هم المذكورون في قوله تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليهم من آياته وهم الذين قال الله فيهم الذين آمنوا وما كنا لنهتكم من قبله فسموا باسمهم من قبله قالوا آتاهم الله الحق من ربنا أنا كنا من قبله مسلمين إلى قوله لا نتبعي الجاهلين ولهذا قال تعالى ههنا فأنابهم الله بما قالوا جنان تجرى من تحتها الأنهار أي فازاهم على إيمانهم وتصديقهم واعتراهم بالحق جنان تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أي ساكنين فيها أبدا لا يمحون ولا يزولون وذلك جزاء المحسنين أي في آساعهم الحق وانقيادهم له حيث كان وابن كان ومع من كان ثم أخبر عن حال الاشقياء فقال والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي جحدوا بها وأخلفوها أولئك أصحاب

جبل وأمة ستضع وتعتدل المعوجات وتلين الصعبات ويشاهد خلاص الله كل ذي جسد انتهى وهذا من أوضاع البراهين الواردة في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد تغافل اليهود والنصارى عنه فأوله اليهود في شأن مسيحهم الموهوم وأوله النصارى في حق الهمم المعلوم والحق انه لا يدل على ذلك أمانه لا يدل على المسيح الموهوم فلان مساقفه في أشعياء قوله ساواشعبي سلوهم قال الهمم ساوا أورشليم وقولوا الهنا تعبا قد تم وخطبنا قد غفرت لانه قد وقع عليها من يد الرب لخطيئتها ضعفتان من العذاب وهذا صوت صارخ يقول في الهدية حيثوا طربق الرب ووطئوا الجبل الهنا في البادية سبيلا مرقة عافان كل وادسير ترفع وكل جبل واكتستضع وسيقتدل المعوج وستلين الصعبات وسيظهر مجد الله ويشاهده كل ذي جسم لانهم الله نطق به فقل الصوت اصرخ فقال بماذا اصرخ فان جميع الاجسام كلاً وكل مجدها كثرها لخل الكلا يذبل والزمير يسقط لان روح الرب يرفي عليه ولا شك ان الملا كلاً فيجف الكلا ويسقط الزمير وكذا الله تمكث الى الابد ثم قوله ساوا من العذاب ظاهر الدلالة على ان الواجب تعالى بقوله لنبيه ان يسلي ويخبره به بما هو مع الوقوع وباستقامته دعائهم وأورشليم في آخر الزمان وفي قوله ضعفتان من العذاب اشارة الى انها كانت قد أخطأت فاتقمت الله منها بما يحدث عليها من الذل بعد المسيح عليه السلام في أيام نسط الروم والنصارى عليها الى زمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيام نسط العرب عليها وهي أيامنا هذه الى زمان ظهور القائم إن شاء الله تعالى وبعد ذلك تستقيم دعائهم وتعم رسوماً وقد ذكر بعض أهل العلم ان المهدي سينطلق الى أورشليم ويصلي فيها ويجتمع هناك بالمسيح عليه السلام عند نزوله ومن قوله هذا صوت صارخ الى قوله نطق به اشارة الى يحيى بن زكريا عليه السلام لما كان يعظهم هذه الجملة على شاطئ شط الاردن وقوله ووطئوا في البادية سبيلا مرقة لا يدل على غير السبل المستقيم من مكة الى أورشليم البسة لأن أورشليم ليست

الحكيم أي أهلها والاله اخلاص فيها (أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبقات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين في وكما أعمار رزقكم الله خلاصا وطبقاته والله الذي آتاهم به مؤمنون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس زلت هذه الآية في رط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قطع هذا كبرنا وتركنا مشروبات الدنيا ونسبح في الارض كما تفعل الرمان فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فإرسل اليهم فذكر لهم ذلك فقالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأأم وأتبع النساء فمن أأخذ بسنتي فهو مني ومن لم يأخذ بسنتي فليس مني رواه ابن أبي حاتم وروى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحو ذلك وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها ان ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألو أرواح النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا أكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه

وسلم فقال ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا الكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم وأكل اللحم وأزوج النساء في رغب عن سنتي فليس مني وقال ابن أبي حاتم حدثنا جحد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عاصم الفخاري بن محمد عن عثمان يعني ابن سعد أخبرني عن كرمة عن ابن عباس ان رجلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا أكلت اللحم انتشرت للنساء واني حرمت على اللحم فزلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وكذا رواه الترمذي وابن جرير جميعا عن عمرو بن علي بن النلاس عن أبي حاتم عن النبي به وقال حسن غريب وقدرى من وجه آخر مرسل ورؤي موقوف على ابن عباس فآله أعلم . وقال سفيان النوري وكيع عن اسحق بن عيسى بن خالد عن قيس بن ابى حازم عن عبد الله بن مسعود قال كان نزع رواع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا الانشخصي فنهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وخص (٣٩١) لان نكح المرأة النوب الى أجل ثم

قرأ عبد الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية أخرجاه من حديث اسحق وهذا كان قبل تحريم نكاح المتعة والله أعلم وقال الاعش عن ابراهيم عن همام بن الحرث عن عرو بن شرحبيل قال جاء معقل بن مقرن الى عبد الله بن مسعود فقال اني حرمت فراشي فقلنا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقال الثوري عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق قال كان عبد الله بن مسعود يخفى بضرع فتخفى رجل فقال عبد الله اذن فقال اني حرمت ان أكله فقال عبد الله اذن فاطم وكفر عن عينك وقلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية رواه ابن أبي حاتم وروى الحسن بن محمد بن الأثير في الحديث المتقدم لم يأمره النبي

في البداية وقوله فان كل وادير يده الجهال كاهل السواحل والارتفاع عبارة عن الصعود على ذروة طود الاميان وكل جبل وأكمة يشرب به الى الجبار من القرس والروم والاتضاع الانقياد الى أوامر الدين الخفيف وسيعتدل المعوج إشارة الى اليونانيين وحكام الهند بقبول الشريعة الغراء لا تحراف طاعتهم عن الانعطاف الى اتباع النواميس الالهية وقوله تلمين الصعاب كناية عن العزب لانهم هم أقوى الناس جنانا وأبعدهم إيماناً الى ذلك أشار بقوله ولوز لناه على بعض الأجهمين الخ وقوله وسيساهد مجد الله أى المهدي والسين للاستقبال البعيد والمعنى انه اذا كملت جميع هذه الامور بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنظر المهدي وقوله لان فهم الرب قد نطق به إشارة الى وجوب وقوعه ومن قوله فقال الصوت اصرخ الخ ضرب من شديد التأكد لوجوب وقوعه فلا دلالة لشيء منه على مسيح اليهود الموهوم اللهم الآن يريدوا بالمسيح نفس المهدي فينتسبوا إليهم الاعتراف بنسبه عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمانه لا يدل على عيسى بن مريم فلان سباقه في أشعياء قد مر بيانه ولا يحتمل لغيره ولان لو قال يذكر مستدلا به عليه ولا قرينة هناك يؤل اليها الضمير بل انه جله مستأنفة في أول الاصحاح وضمون الاصحاح على الاجمال ان لو قال أخبرني في زمان كذا جاء عيسى بن زكريا الى البرية بصرخ ويقول كذا وهذا لا يدل على المسيح بن مريم بوجده من الوحدوه لكنه يدل على بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيام المهدي لان الجملة مستأنفة والقاعدة في المستأنفات ان تحمل على ما يناسبها فيكون ما ذكره لو قال ضربا من التأكد لكلام أشعياء عليه السلام لا غير فعلى أن تتأمل في هذا البرهان فانه في غاية اللطافة وفي معنى ضرب لهم مثلا آخر وقال ان ملكوت الله تعالى حبة خردل أخذها رجل وزرعها في خرعته وهي أصغر جميع الحبوب فلما نمت صارت أعظم النباتات وأصبحت شجرة تأقي الهياطور والجو وتسكن في أغصانها انتهى وسياق هذا المثل ان المسيح كان جالسا على ساحل البحر فاجتمع عنده القوم فاخذ يضرِب

ثم قال على شرط الشيخين ولم يخبرناه ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب أخبرني عثمان بن سعد أن زيدا بن أسلم حدثه أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهل قريته وهو عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى أهل قريته فحدثهم لم يطعموا ضيفهم انتظارا له فقال لا مرأه نجست ضيفي من أجلى هو على حرام فقالت امرأته هو على حرام وقال الضيف هو على حرام فلما رأى ذلك وضع يده وقال كوا باسم الله ثم ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الذي كان منهم ثم انزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وهذا أثر منقطع وفي صحيح البخاري في قصة الصديق مع اضافة شبيهة بهذا وفيه وفي هذه القصة دلالة لمن ذهب من العلماء كالشافعي وغيره الى ان من حرم ما كلاً وملبساً وأشياء ما عدا النساء انه لا يحرم عليه ولا كفارة عليه أيضا لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولان الذي حرم اللحم على نفسه كافي الحديث المتقدم لم يأمره النبي

فلى الله عليه وسلم بكفارة وذهب آخرون منهم الامام احمد بن حنبل الى ان من حرم ما كلاً أو شيئاً من الاشياء فانه يجب عليه تلك كفارة عين كما اذا التزم تركه بالعين فكذلك يوافقهم في تركه على نفسه الزاماً لعنا التزمه كما أتى بذلك ابن عباس وكما في قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك يتبع مرضات أزواجك والله غفور رحيم ثم قال قد فرض الله لكم تحلة آياتكم الآية وكذلك خُصا لما ذكره الحكم عقبه بالآية المينة لتكفير العيون فدل على ان هذا منزل منزلة النبي في اقتضاء التكفير والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا جراح عن ابن جرير عن مجاهد قال اراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو ان يتنابوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح فنزلت هذه الآية الى قوله والله الذي أنتم به مؤمنون قال ابن جرير عن عكرمة بن أسد عن عثمان بن مظعون (٢٩٢) وعلى بن أبي طالب وابن مسعود والمقداد بن الاسود وسالم بن أبي

حذيفة في أحاديثه يتنابوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء ولبسوا المسوح وحرروا الطعام واللباس الاما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني اسرائيل وهم وابا الاخفاء واجعوا القيام الليل وصام النهار فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين يقول لا تسيروا بغير سنة المرسلين يريد ما حرموا من النساء والطعام واللباس وما أباحه والله من قيام الليل وصيام النهار وما هو أباحه من الاخفاء فلما نزلت فيه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لا تنسكم حقاً وان لا اعتكم حتما صوموا أو افطروا وصابوا واناموا فليس منكم ترك ستمنا فقلوا اللهم سلنا واتعنا ما أنزلت وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين مرسله ولها شاهد في الصحيحين من رواية عائشة أم المؤمنين كما تقدم ذلك والله الحمد والمنة وقال أسباط عن السدي في

لهم الامثال ومن جعلهم هذا المثل وقد أوله النصارى في حق من يكون محبا للمسيح ومواظبا على عمل الخير وهل فيه بالرجال على هذا المعنى الضعيف دلالة ولا شك انه من الامثال التي كان يضر بها المسيح عليه السلام في شأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتأويل المثل ان الزارع هو الواجب تعالى والمزرعة الدنيا وجبة خرد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي أصغر جميع الحبوب على بادي الرأي لان جميع الامم كانوا يستمرون بالعرب لكونهم من أهل البادية وعدم رواج العلم في أممهم وعدم تعميمهم بالذات الجسمية واليهود كانوا يستحقرونهم لكونهم من أولاد هاجر فقوله هي أصغر الحبوب جلة حاليتها فلما تمت أي بلغ الى رشد واستوفى من درجة الرسالة العامة أشده صارت اعظم النباتات أي صار أشرف الرسل وأكملهم لبقاء ملته الى قيام القيامة ولانه لم يلقه ما قبله من الرسل الرسالة العامة أصبحت أي صارت شجرة تأتي اليها طيور الجوارح جلة حاليتها وقعت صفة الشجرة والمراد بطيور الجوارح الامم الذين لم يلقوا نبيهم الناموس وتسكن في اغصانها أي قطع تحت احكامهم شرعية صلى الله عليه وآله وسلم وهذه احد عشر نصا يحدو به مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ولا يقدر احد من اهل الكتاب على انكار وجوده فيها والبراهين على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب القديمة السماوية من التوراة والانجيل والابوركتية جدا لا يسع بسطها هذا المقام فان شئت الاطلاع عليها فارجع اليها والى ما نقله الاسلاميون عنها في كتب الرد على النصارى وهذه الأدلة كما هي الالهة الصريحة على ما نطق به القرآن الكريم في هذه الآية أعني يحدو به مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وفي أممها وهذا مع تحريف تلك الكتب لفظاً أو معنى أو بكلامها أو ما لبشارات التي وردت في حقه صلى الله عليه وآله وسلم كما قال سبحانه وتعالى مشيراً الى ذلك في قوله تعالى لا تعصى بن عباس بن مريم عليه السلام ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد فهو كثيرة جدا أيضا سند كبره تحت الآية الكريمة المدكورة

قوله يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً فذكر الناس ثم قام ولم يردهم على التخويف فقال ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون ما حقتان لم تحدث علما فان النصارى قد حرموا على أنفسهم فحرم بعضهم ان يأكل اللحم والودك وان يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساء وكان لا يدور من أهل ولا تدوم فأتى امرأته عائشة رضي الله عنها وكان يقال لها الحولا فقالت لها عائشة ومن عندنا من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ما بال يا حولا متغيرة اللون لا تمسطين ولا تطسين فقالت وكيف أمشط وأطيب وما وقع علي زوجي وما رفع علي ثوباً منذ كذا وكذا قال فجعلن يضحكن من كلامها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن فقال ما يضحكن قالت يا رسول الله ان

الحولاء سألنها عن أمرها فقالت ما رفع عني زوجي ثوباً منذ كذا وكذا فأرسل الله تعالى ليعبادة وقص عليه أمره وكان عثمان أراد أن يجيب نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمت الاربعات الحولاء فواقعت أهلك فقال رسول الله اني صائم فقال أظطر وأتى أهله فرجعت الحولاء الى عائشة وقد امتشطت واكتحلت ونطبت فضحكت عائشة وقالت مالك يا حولاء فقالت انه أناهاأمس وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم إلا اني أنام وأقوم وأظطر وأصوم وأكح النساء فمن رغب عني فليس مني فقلت يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبابت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا يقول عثمان لا تحب نفسك فان هذا هو الاعتذار وأمرهم ان يكفروا عن أيما منهم وقال لا يؤاخذكم الله بالغفوي أيما كنتم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم (٢٩٣) الايمان ورواه ابن جرير وقوله تعالى

ولا تعتدوا يحتمل ان يكون المراد منه ولا بالغفوي التضيق على أنفسكم ببحرهم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف ويحتمل ان يكون المراد ولا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وطاعتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى وكوا واشربوا ولا تسرفوا الآية وقال الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً فسرع الله عدل بين الغالي فيه والخافى عنه لا افراط ولا تفرط ولهذا قال لا تحرموا طبابت ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ثم قال وكوا كما رزقكم الله حلالاً طيباً أي في حال كونه حلالاً طيباً واتقوا الله أي في جميع أموركم واتبعوا طاعته ورضوانه واتركوا محارمه وعصائه الذي أتمت به مؤمنون (لا يؤاخذكم الله بالغفوي أيما كنتم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

ان شاء الله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) لما تقدم ذكره واصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المكتوبة في التوراة والانجيل امره سبحانه ان يقول هذا القول مقتضى لعدم رسالته الى الناس والجن جميعاً كما كان غيره من الرسل عليهم السلام فانهم كانوا يعنون الى قومهم خاصة قال ابن عباس بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسود والاحمر والاحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا المعنى مشهورة فلا تضل بذلك (الذي له ملك السموات والارض) ملكاً وعبداً وقصراً وقوله (لا اله الا هو) يدل من الصلة مقر لمخوضها من الهال من ملك السموات والارض وما فيها ما هو الاله على الحقيقة وهكذا من كان (بحي ويميت) هو المستحق لتفريده بالربوبية ونفي الشركاء عنه والجلالة سبقت لبيان اختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاموات غيره قاله الزمخشري وذكره السمين فلذا قال (فآمنوا) والامر بالايمان بالله (ورسوله) متفرع على ما قبله وفي العدول عن المظهر الى الاسم الظاهر بلاغة (التي الامي) هما وصفان لرسوله وكذلك (الذي يؤمن بالله وكلماته) وصف له والمراد بالكلمات ما نزل الله عليه وعلى الانبياء من قبله وآياته أو عيسى قاله مجاهد والسدى والقرآن نقط قاله قتادة والعموم أولى وجله (واتبعوه) مقرر لجلاله فآمنوا به والاتباع عزم الاقوال والافعال والاعتقاد والاعمال (لعلكم تهتدون) علة للامر بالايمان والاتباع (ومن قوم موسى أمة) لما قص الله سبحانه عليه ما وقع من السامري واصحابه وما حصل من بني اسرائيل من التزلزل في الدين قص الله سبحانه ان من قومه أمة متخالفة لأولئك الذين تقدم ذكرهم ووصفهم بأنهم (يهودون) أي يدعون الناس الى الهداية حال كونهم متبشرين (بالحق) أو يهتدون به ويستقيمون عليه ويعملون به وبردون اليه (وبه يعدلون) بين الناس في الحكم أي بالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون وبه يمتنعون واحتلفوا في هؤلاء فقيل هم القوم الذين بقوا على الدين الحق الذي جاءه موسى قبل

(٥٠ - فتح البيان ثالث) فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تعتر برقيقة فمن لم يجد فسد ام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيما كنتم اذا حلقتهم واحفظوا أيما كنتم كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) قوله تعالى لا يؤاخذكم الله بالغفوي أيما كنتم قد تقدم الكلام على الغفوي العيني في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا والله الحد والمنة وانه قول الرجل في الكلام من غير قصد لا والله وبلى والله وهذا ذهب الشافعي وقيل هو في الهزل وقيل في المعصية وقيل على غلبة الظن وهو قول أبي حنيفة وأحمد وقيل العيني في الغضب وقيل في النسيان وقيل هو الخلف على ترك المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك واستدلوا بقوله لا تحرموا طبابت ما أحل الله لكم والصحيح انه العيني من غير قصد ليدل قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان أي بما صممتم عليه من اوقصدتموه فكفارته اطعام عشرة مساكين يعني يحجب من الفقراء ومن لا يجد ما يقيمهم قوله من أوسط

ما تظعنون أهلكم قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة أي من أعدل وقال عطاء من أمثل قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد
الأنجي حدثنا أبو خالد الأحمر عن جراح عن أبي إسحق السبيعي عن الحارث عن علي قال خبز ولبن وخبز ومن وقال ابن أبي حاتم أنا
يونس بن عبد الأعلى قال حدثنا شفيان بن عيينة عن سليمان يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كان الرجل
يقوت الله قوت دون وبعضهم قوت الله فقال الله تعالى من أوسط ما تظعنون أهلكم أي الخبز واللبن وحدثنا أبو سعيد الأنجي
حدثنا وكيع حدثنا مراميل عن جابر عن عامر عن ابن عباس من أوسط ما تظعنون أهلكم قال من عسرهم ويسرهم وحدثنا
عبد الرحمن بن خلف الحمصي حدثنا محمد بن شعيب يعني ابن شاذان وحدثنا شفيان بن عبد الرحمن التميمي عن ليث بن أبي سليم عن
عاصم الأحول عن رجل يقال له عبد الرحمن (٢٩٤) التميمي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال من أوسط ما تظعنون

أهل بيته قال انخبروا الله وانخبروا
والذين وانخبروا الزيت وانخبر
وانخل وحدثنا على بن حرب
الموصلي حدثنا ابو معاوية عن
عاصم عن ابن سيرين عن ابن عمر
قوله من أوسط ما نفعه مون اهليكم
قال انخبروا السمن وانخبروا اللبن
وانخبروا زيت وانخبروا القروم
أفضل ما نفعه مون اهليكم انخبر
والسمن ورواه ابن جرير عن حماد
وابن وكيع كلاهما عن أبي
معاوية ثم روى ابن جرير عن عبيدة
والاسود وشرح القاضي ومحمد بن
سيرين والحسن والضحاك وأبي
رزين انهم قالوا اشهد ذلك وحكاه
ابن أبي حاتم عن مكحول أيضا
واختار ابن جرير ان المراد بقوله
من أوسط ما نفعه مون اهليكم أي
في القلة والكثرة ثم اختلف العلماء
في مقدار ما يطعمهم فقال ابن أبي
حاتم حدثنا ابو سعيد حدثنا ابو خالد
الاخر عن مجاهد عن حصين الحضرمي

عن الشعبي عن الحرث عن علي رضي الله عنه في قوله من أوسط ما تطعمون أخليكم قال يغذيهم
وبعشهم وقال الحسن ومحمد بن الحنفية يكفيه أنه يطعم عشرة مساكين أكلة واحدة خير والجار إذا الحسن فإن لم يجد خبزاً أو سمناً
ولبتاً فإن لم يجد خبزاً وزيتاً وخلصاً حتى يشبعوا وقال آخر من يطعم كل واحد من العشرة نصف صاع من بر أو تمر وشحوا هما فهذا
قول عمر وعلي وعائشة ومجاهد والشعبي وسعيد بن جبيرة وأبراهيم الغني وميمون بن مهران وأبي مالك والفضالة والحكم ومكحول
وأبي قلابة ومقاتل بن حيان قال أبو حنيفة نصف صاع بر وصاع مما عدها وقد قال أبو بكر بن مرزويه حدثنا محمد بن أحمد بن
الحسن الثقفي حدثنا سعيد بن الحسن بن يوسف حدثنا محمد بن معاوية حدثنا زياد بن عبد الله بن الطويل بن جابر بن أخى عائشة
لأمة حدثنا عمر بن يعلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال كثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر

وأمر الناس به ومن لم يجد فمصف صاع من بر وزواه ابن ماجه عن العباس بن يزيد عن زياد بن عبد الله البكائي

الله بن يعلى الثقفي عن المنهال بن عمرو به لا يصح هذا الحديث لحال عمر بن عبد الله هذا وأنه يجمع على ضعفه وقد كروا

يشرب الخمر وقال الدارقطني متروك وقال ابن أبي حاتم حديثاً أبو سعيد الأشج حديثاً ابن ادريس عن داود يعني ابن أبي هند عن

عكرمة عن ابن عباس أنه قال مدمن بر يعني لكل مسكين وبعده ادمه ثم قال وروى عن ابن عمر وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب

ومجاهد وعطاء وعكرمة وأبي الشعثاء وأبي القاسم وسالم وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسليمان بن يسار والحسن ومحمد بن سيرين

والزهري نحو ذلك قال الشافعي الواجب في كفارة اليمين مذهب النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ولم يتعرض للادم واحتج

بأمر النبي صلى الله عليه وسلم للذي جامع في رمضان (٣٩٥) بأن يطعم ستين مسكيناً من مكمل يسع

خمس عشرة صاعاً لكل واحد منهم

مد وقد روي حديث آخر صريح

في ذلك وقال أبو بكر بن مردويه

حديثاً أحمد بن علي بن الحسن

المقري حديثاً محمد بن اسحق

السراج حديثاً ثقاته بن سعيد

حديثاً النضر بن زرارَةَ الكوفي عن

عبد الله بن عمر العمري عن نافع

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يقيم كفارة اليمين مداً

من خنطة بالمد الأول اسناده

ضعيف والنضر بن زرارَةَ بن عبد

الآكرم الذهلي الكوفي نزيل

بلخ قال فيه أبو حاتم الرازي هو

مجهول مع أنه قد روي عنه غير

واحد وذكره ابن حبان في الثقات

وقال روى عنه ثقاته بن سعيد أشياء

مستقيمة فأنه أعلم ثم إن شيخه

العمري ضعيف أيضاً وقال أحمد

ابن حنبل الواجب مدمن بر أو

مدان من غيره والله أعلم وقوله تعالى

أو كسوتهم قال الشافعي رحمه الله

لودفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة قص أو سراويل أو أزار أو عمامة أو مئذنة أو برءة ذلك

واختلف أصحابه في القنوس وهل تجزئ أم لا على وجهين فمنهم من ذهب إلى الجواز احتجاً بما عرواه ابن أبي حاتم حديثاً أبو سعيد

الأشج وعمر بن خالد الواسطي قال أحدهما القاسم بن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال سألت عمران بن الحصين عن قوله أو كسوتهم

قال لو أن وفداً قدموا على أميركم وكساهم قنوساً وقنوساً قلم قد كسوا ولكن هذا اسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله أعلم

وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الاسترغيني في الخلف وجهين أيضاً والصحيح عدم الاجزاء وقال مالك وأحمد بن حنبل لا بد أن يدفع إلى كل

واحد منهم من الكسوة ما يصلح فيه أن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس عبادة لكل

مسكين أو شاة وقال مجاهد أنه ثوب وعلامة ما شئت وقال ليث عن مجاهد يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا الثياب وقال الحسن

الافرقه ولتترقن هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة قالوا المود فان الله يقول ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تجوز وأما النصارى فان الله يقول منهم أمة مقتصدة فهذه التي تجوز وأما المجن فيقول ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تجوز من هذه الامة وقد قدما ان زيادة كلها في النار لم تصح لأمر فوعة ولا موقوفة (وأوحينا إلى موسى إذا استسقا قومهم) أي وقت استسقا قومهم لما أصابهم العطش في التيه (أل) تفسيره لعل الإبحاء (اضرب بعصاك الحجر) الذي فرشوه فضربه (فأنجيت) الانجاس الانفجار أي فأنجيت وقيل عرفت (منهنا اثنا عشرة عيناً) بعدد الاسباط لكل سبط عين يشربون منها (قد علم كل أناس) اسم جمع واحده انسان وقيل جمع تكسيره والانسان اسم جنس يقع على الذكرو الانثى والواحد والجمع والاناس بالضم مشتق من الانس وقد تحذف همزة تحقيفا على غير قياس فيصير اناسا (مشر بهم) والمعنى علم كل سبط منهم بالعلم الضروري الذي خلقه الله في كل العين المختصة به التي يشرب منها لا يدخل بسبط على سبط في مشربهم وقد تقدم في البقرة ما فيه كفاية مغنية عن الاعادة (وظلنا عليهم الغمام) أي جعلناه ظللا عليهم في التيه يسير يسيرهم و يقيم باقائهم و يقيم حر الشمس (وانزلنا عليهم) في التيه (المن والساوي) أي الترحمين والسماني طعاما لهم وقيل الساوي جنس من الطير وقد تقدم تحققة في البقرة (كوا) من طيبات ما رزقناكم أي وقتلناهم كوا من المستلذات التي رزقناكم (وما ظلموا) بما وقع منهم من المخالفات وكفران النعم وعدم تقديرها حق قدرها (ولكن كانوا أنفسهم هم يظلمون) أي كان ظلمهم محتصاهم مقصورا عليهم لا يجاوزهم إلى غيرهم (وأذبل) أي اذكروا قيل (لهم) هذا القول وهو (اسكنوا هذه القرية) أي بيت المقدس أو أريحا وقيل غير ذلك مما تقدم بيانه وفي البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكاومنا) أي من الما كوا لث الموجودة

لودفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة قص أو سراويل أو أزار أو عمامة أو مئذنة أو برءة ذلك

واختلف أصحابه في القنوس وهل تجزئ أم لا على وجهين فمنهم من ذهب إلى الجواز احتجاً بما عرواه ابن أبي حاتم حديثاً أبو سعيد

الأشج وعمر بن خالد الواسطي قال أحدهما القاسم بن مالك عن محمد بن الزبير عن أبيه قال سألت عمران بن الحصين عن قوله أو كسوتهم

قال لو أن وفداً قدموا على أميركم وكساهم قنوساً وقنوساً قلم قد كسوا ولكن هذا اسناد ضعيف لحال محمد بن الزبير هذا والله أعلم

وهكذا حكى الشيخ أبو حامد الاسترغيني في الخلف وجهين أيضاً والصحيح عدم الاجزاء وقال مالك وأحمد بن حنبل لا بد أن يدفع إلى كل

واحد منهم من الكسوة ما يصلح فيه أن كان رجلاً أو امرأة كل بحسبه والله أعلم وقال العوفي عن ابن عباس عبادة لكل

مسكين أو شاة وقال مجاهد أنه ثوب وعلامة ما شئت وقال ليث عن مجاهد يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا الثياب وقال الحسن

وأبو جعفر الباقر وعطاء وطاس وابراهيم الخفي وجواد بن أبي سليمان وأبو مالك ثوبان وبعن ابراهيم الخفي أيضا ثوبان جامع كالمخيفة والرداء ولا يرى الدرع والقميص والخمار ونحوها جامعا وقال الأنصاري عن أشعث بن ابن سيرين والحسن ثوبان ثوبان وقال الثوري عن داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب عصابة لم يسمعها وقال ابن جرير حدثنا هناد حدثنا ابن المبارك عن عاصم الاحول عن ابن سيرين عن أبي موسى الخخفي على بن فكساويين من عقدة الجربين وقال ابن مردويه حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جدي الملقب حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسمعيل بن عياض عن مقاتل بن سليمان عن أبي عثمان عن أبي عياض عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله أو كسوتهم قال عصابة لكل مسكين حديث غريب وقوله أو تضر برقبة أخذوا بخنيفة باطلا فلا (٢٩٦) فقال تجزي الكائنات تجزي المؤمنة وقال الشافعي وآخرون لا بد أن تكون

مؤمنة وأخذت بقصد هاب الأيمان من كفارة القتل لاتحاد الموجب وان اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسنده الشافعي وصحيح مسلم أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بخمار به سودا فقال له ارسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال اعنقها فانها مؤمنة الحديث بطوله فهذا مخصال ثلاث في كفارة اليمين أي ما فعل الحائث اجزأ عنه بالاجماع وقد بدأ بالاسهل فالاسهل فالاطعام أسير من الكسوة كإنا الكسوة أسير من العتق فرقي فبهما من الأدنى الى الأعلى فان لم يقدر المالكف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام وروى ابن جرير عن سعيد بن جبيرة والحسن البصري أنهم قالوا من وجد ثلاثة دراهم زمة الاطعام والاصام وقال

فيا من الفار والزور ع والجوب والقول (حيث) أي في أي مكان (تنتم) من أي مكانها لا مانع لكم من الاكل فيه وقال في البقرة فكوا بالاقاء لان الدخول حادثة مقضية لا كل عقبه فحسن دخول الماء للتعقيب والسكنى جالة استقرأ والاكل حاصل متى شأوا ولم يقل رعدا هنا كما قال في البقرة لان الاكل عقب الدخول ألدراكا ولمع السكنى ليس كذلك (وقولوا حطة) أي حط عنا ذنوبنا وقد تقدم تفسيرها في البقرة (وادخلوا الباب) أي باب القرية المتقدمة حال كونكم (ساجدين) أي ذنوبكم وجمعوا بين قولهم حطة وبين الدخول ساجدين فلا يقال كيف قدم الامر بالقول هنا على الدخول وأخره في البقرة وقد تقدم معنى السجود الذي أمروا به (تغفر لكم خطيأتكم) أي ذنوبكم ولم يؤخذ لكم بها وإنما قال هنا خطيأتكم في البقرة خطاياكم لان المصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا أتوا بالاعاء والتضرع (ستزيد المحسنين) على المغفرة للخطايا بما عطف به عليهم من النعم وقال في البقرة وستزيد بالاول وان هنا استثناء على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له ستزيد (فبقل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم) يعني أمروا ان يقولوا حطة فقالوا حطة في شعبة فكان ذلك سدا بهم وتغييرهم ودخلوا رخصون على استأجرهم وأدبارهم وقد تقدم بيان ذلك في البقرة لكن ألفاظ هذه الآية تختلف الآية المذكورة في سورة البقرة من وجوه عديدة ذكرها الخطيب وقد أشرفنا إليها فيما تقدم (فأرسلنا عليهم رجلا من السماء) أي عذابا كان منهم وهو الطاعون ومات به منهم في وقت واحد سبعون ألفا وقال في البقرة أرسلنا ولا منافاة بينهما لانهم لا يكونان الا من أعلى الى أسفل (بما كانوا يظلمون) أي بسبب ظلمهم وقال في البقرة عما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا لأنفسهم عما غيروا بولوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى (و) أذكر اذ قيل لهمو (أسألهم عن القرية) هذا سؤال تقرير وتوبيخ والمراد من سؤال القرية سؤال اهلهما أي أسألهم عن هذا الحادث الذي حدث لهم فيها الخالف لما أمرهم الله به

ابن جرير كما عن بعض متأخري متفقه زمانه أنه جازل لم يكن له فضل عن رأس مال له لا يتصرف والاولى فيه لمعاشه ومن الفضل عن ذلك ما كتبه به عن عيشته ثم اختار ابن جرير الذي لا يفضل عن قوته وقوت عياله في يومه ذلك ما يجوز به كفارة اليمين واختلف العلماء على يجب فيها التتابع أو يستحب قولان أحدهما لا يجب وهذا مستصوص الشافعي في كتاب الأيمان وهو قول مالك لاطلاق قوله فصيام ثلاثة أيام وهو صادق على المجموع والمفرقة كما في قضاء رمضان لقوله فعدة من أيام أخر ونص الشافعي في موضع آخر في الامم على وجوب التتابع كما هو قول الحنفية والحنابلة لانه قد روى عن أبي بن كعب وغيره أنهم كانوا يقرؤن فصيام ثلاثة أيام متتابعات قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي الغالية عن أبي بن كعب أنه كان يقرء فصيام ثلاثة أيام متتابعات وحكاها جاهد بن السعفي وأبو اسحق عن عبد الله بن مسعود قال ابراهيم في قراءة عبد الله بن مسعود فصيام ثلاثة

أيام متتابعات وقال الاعشى كاذب أصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك وهذه اذ لم يثبت كونها قرأ نامة واثرا فلا أقل ان يكون خبر واحد أو تفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا علي بن محمد حدثنا محمد بن جعفر الاشعري حدثنا الهيثم بن خالد القرشي حدثنا زبد بن قيس عن اسمعيل بن يحيى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الكفار قال حدثني يا رسول الله نحن بالخيار قال أت بالخيار ان شئت أعتقت وان شئت كسوت وان شئت أطعمت فن لم يجد قصيما ثلاثة أيام متتابعات وهذا حديث غريب جدا وقوله ذلك كفارة أي ما نكحتم اذا حلقتهم واحتفظوا ايمانكم قال ابن جرير معناه لا تتركوه اذ كفرتم فكيف ذلك بين الله لكم أي أنه أي يوضحها ينشرها لعلكم تشكرون (أيام الدين آمنوا الخ والميسر والاضراب والارلام رجس من عمل الشيطان فاجنبوه لعلكم تكونوا عماريذ الشيطان) (٣٩٧) ان يقع بينكم العداوة والبغضاء في

والاولى عدم تقدير المضاق كما سألني تحقيقه في سورة يوسف ان شاء الله تعالى وفي ضمن هذا السؤال فائدة جلية وهي تعريف اليهود بان ذلك مما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان اطلاعه عليه لا يكون الا بخبار له من الله سبحانه فيكون دليلا على صدقه واختلف أهل التفسير أي قرية هي فقيل آيلة فالة على وقيل مدين وقيل ايلياء وقيل قرية بين مصر والمدينة والمغرب فالة ابن عباس وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طرية الشام وقال وهب هي ما بين مدين وعيموى وقيل قرية من قرى ساحل الشام (التي كانت حاضرة البحر) أي التي كانت بقرب بحر القلزم يقال كنت بحضرة الدار أي بقريةها والمعنى صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء اليهود الموجدون الذين هم جيرانك عن قصة أهل القرية المذكورة (اذ يبعدون) أي يتجاوزون حدود الله بالصعيد وقرى يشهد بالعدل من الاعداد لئلا (في) يوم (السبت) الذي هم وعان الاصداد فيه والسبت هو اليوم المعروف وأصله السكون يقال سبت اذا سكن وسبت اليهود تركوا العمل في سبتهم والجمع أسبوت وأسبات (اذ تأتيتهم حينئذ) جمع حوت وأضيفت اليهم لمزيد اختصاص لهم بما كان منها على هذه الصفة من الايمان (يوم سبتهم) دون ما عاده قال الضحاك تأتيتهم متتابعة يتبع بعضها بعضا (شرعا) جمع شارع أي ظاهرة على الماء قريمان الساحل وقيل رافعة رؤسها وقيل انها كانت تشرع على أبوابهم كالكشف البيض قال في الكشف يقال شرع علينا فلان اذا نادا وأشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرائيته يفعل كذا انتهى (ويوم لا يسبئون) أي لا يفعلون ولا يراعون أمر السبت وذلك عند خروج يوم السبت والمعنى لا سبت ولا مراعاة (لا تأتيتهم) الحيتان كما كانت تأتيتهم في يوم السبت (كذلك) أي مثل ذلك البلاء العظيم والاختبار الشديد (تأولهم عما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم (واذ قالت أمة منهم) أي جماعة من صلحاء أهل القرية لاخر من من كان يجتهد في وعظ المتعدين في السبت حين

الخروج والميسر ويصدقكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان لم يلبثتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الدين آمنوا وعملوا الصالحات خناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو القمار وقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال الشطرنج من الميسر رواه ابن أبي حاتم عن ابيه عن عيسى بن مرقوم عن حاتم عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان وأئمتنا منهم قالوا كل شيء ممن

القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز وروى عن ريشدين بن سعد وضمرة بن حبيب قال احب الكعباء والجوز والبعض التي لعب بها الصبيان وقال موسى بن عتبة عن نافع عن ابن عمر قال الميسر هو القمار وقال الضحاك عن ابن عباس قال الميسر هو القمار كانوا يتقارون في الجاهلية الى محبي الاسلام فنهاهم الله عن هذه الاخلاق القبيحة وقال مالك عن داود بن الحصين انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ميسر أهل الجاهلية يبيع اللحم بالساق والشاوتين وقال الزهري عن الاعرج قال الميسر الضرب القداح على الاوال والثمار وقال القاسم بن محمد كلف الله عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر رواه ابن أبي حاتم وقال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه الكعباء الموسومة التي

يزجر بها زجر افانهم من اليسر حديث غريب وكان المراد به ما هو التردد الذي ورد الحديث به في صحيح مسلم عن بريرة بن الحبيب الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه وفي موطن مالك ومسدأ أجد وسنن أبي داود وابن ماجه عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله وروى موقوفاً عن أبي موسى من قوله قاله أعلم وقال الامام أحمد حديثاً شاعلي بن ابراهيم حدثنا الجعدي عن أبي موسى بن عبد الرحمن الخطمي انه سمع محمد بن كعب وهو يسأل عبد الرحمن يقول أخيراً في ما سمعت أنك تقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل الذي يلعب بالنرد ثم يقوم فيصلي مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي (٢٩٨) وأما الشرط فخرج فقد قال عبد الله بن عمر انه شر من الترد وتقدم

عن علي انه قال هو من اليسر ونقص على تحريمه ما لا يؤيد حقيقته وأجد وكراهه الشافعي رحمه الله تعالى وأما الانصاب فقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والحسن وغير واحد هي حجارة كانوا يذبحون قرايتهم عندها وما الا زلام فقتلوا أيضاً في قدام كانوا يستقون بها رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى رجس من عمل الشيطان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي يحط من عمل الشيطان سعيد بن جبيرة قال يزيد بن أسلم أي شر من عمل الشيطان فاجتنبوه الضمير عائدة على الرجس أي اتركوه لعلمكم فتلحون وهذا ترغيب ثم قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر واليسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وهذا تهديد وترغيب (ذكر الاحاديث الواردة في بيان

أيسر وأمن قبولهم للموعظة واقتلاعهم عن المعصية لم تعظون قوما الله مهلكهم أي مستأصل لهم بالعقوبة (أو معذبهم عذاباً شديداً) بما أنتم كوا من الحرمة وفعلا من المعصية وقبل ان الجماعة القائله لم تعظون قوما هم العصاة القاعلون للصديق يوم السبت قالوا ذلك للوا عظم لهم حين وعظوهم والمعنى اذا علمت ان الله مهلككم كما تزعجون فلم تعظوننا (قالوا) أي قال الواعظون للجماعة القائلين لهم لم تعظون وهم طائفة من صلحاء القرية على الوجه الاول أو القاعلون على الثاني أي فعلنا ذلك (معدرة) أي لأجل المعذرة أو موعظتنا معذرة على قراءة الرفع (التي ربكم) حتى لا يؤاخذنا بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين أوجهما علينا نزل جاء ان تعظوا فاستقوا وبقوله واما هم فيه من المعصية قال جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افترقت ثلاث فرق فرقعة عصت وصادت وكانت نجوسين ألقوا وقرعة اعترلت فلم تنه ولم تنص وقرعة اعترلت ونهت ولم تعص فقاتل الطائفة التي لم تنه ولم تعص للفرقة الناهية لم تعظون قوما يريدون الفرقة العاصية الله مهلكهم ومعذبهم قالوا ذلك على غلبة الظن لما حرت به عادة الله من اهلاك العصاة أو تعذيبهم من دون استئصال الهالك فقاتل الناهية موعظتنا معذرة الى الله (ولعلمهم يقول) ولو كانوا فرقتين فقط ناهية غير عاصية وعاصية اقل لعلمكم تتقون (فانما نسوا ما ذكروا به) أي لما تركوا العصاة من أهل القرية ما ذكروا به الصالحون الناهون عن المنكر ترك الناس الشيء المعرض عنه كاية الاعراض (أنجيئنا الذين ينهون عن السوء) أي الذين فعلوا النهي ولم يتركوه (وأخذنا الذين ظلموا) وهم العصاة المعتدون في السبت (بعذاب بئيس) أي شديد وجيع من بؤس الشيء بئس بأسا اذا اشتد وفيه احدى عشرة قرعة السبعة وغيرهم (بما كانوا يفسقون) أي بسبب فسقهم واعتدائهم ونحوهم عن طاعتنا قال ابن عباس فبخت الفرقة الساكنة وقال عيان بن رباب فبخت الطائفتان واهلك الذين أخذوا الخيانتا وبه قال الحسن وقال ابن زيد فبخت الناهية

تحریم الخمر قال الامام أحمد حدثنا شرح بن حاشا أبو عيسى عن أبي وهيب وولي أبي هريرة عن أبي هريرة وهلك قال حرمت الخمر ثلاث مرات قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فبشروهم بالخمر وبأكون اليسر فسأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ما قلن الله يسألونك عن الخمر واليسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس إلى آخر الآية فقال الناس ما حرم علينا انما قال فيهما اثم كبير ومنافع للناس وكلاهما يشربون الخمر حتى كان يوم من الايام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب فخلط في قراءته فارتل الله يا أيا أعظم منها يا أيا الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان الناس يشربون حتى يأتي أحد منهم الصلاة وهو مغترب ثم ارتل آية أعظم منها يا أيا الذين آمنوا انما الخمر واليسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلمكم فتلحون قالوا انهم ياربنا وقال الناس يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماؤنا على سرفهم كانوا يشربون

النجري يا كلون الميسر وقد جعله الله رجلا من عمل الشيطان فأزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إلى آخر الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو حرم عليهم تركوه كما تركتم أفرد به أحد وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه قال لما نزل تحريم النجس بين لنا في النجس بينا ناشافيا فنزلت الآية التي في البقرة يسألونك عن النجس والميسر قل فيما هم كبير فدمي عمر ففرت عليه فقال اللهم بين لنا في النجس بينا ناشافيا فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وسكران فدمي عمر ففرت عليه فقال اللهم بين لنا في النجس بينا ناشافيا فنزلت الآية التي إذا قال حي على الصلاة نادى لا يقرب من الصلاة سكران فدمي عمر ففرت عليه فقال اللهم بين لنا في النجس بينا ناشافيا فنزلت الآية التي في المائة فدمي عمر ففرت عليه فلما بلغ قول الله تعالى فهل أنتم متنتون (٣٩٩) قال عمر انتبهنا أنتبهنا وهكذا رواه أبو داود

والترمذي والنسائي من طرق عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمر بن عبد الله السديعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شرحبيل الهمداني عن عمرو بن وهب وليس له عنه سواء قال أبو زرعة ولم يسمع منه وصحح هذا الحديث علي بن المديني والترمذي وقد ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن نزل تحريم النجس وهي من خمسة من الغيب والقر والعسل والخنفرة والشعر والنجر ما خاها العقل وقال البخاري حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا محمد ابن بشر حدثنا عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز حدثني نافع عن ابن عمر قال نزل تحريم النجس بالمدية يومئذ خمسة أشهر ما فيها شراب الغيب حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن أبي جهم عن المصري يعني اباطعة

وهلك الفرقان وهذه الآية أشد آية في ترك النبي عن المنكر (فلما اعتوا عمنوا عنه) أي تجاؤزوا الحد في معصية الله سبحانه وأبو ان يرجعوا عنه وأمر دوتكبرا (قلنا لهم كونوا) أي امرناهم امر اتكروا بنا لأمر أو قولي أي معي مسخناهم (قرنة) قيل أنه سبحانه عذبهم أولا بسبب المعصية فلما لم يقلعوا مسخهم الله قرنة وقيل إن قوله فلما اعتوا تكرر لقوله فلما نسوا ما ذكروا به لثبات كيد والتقرير وإن المسخ هو العذاب البئيس (خاستين) الخاستي الصاغر الذليل أو الملبأ بالمطرود يقال خاسته خست أي باعدته فباعده قال قتادة لما اعتوا عمنوا عنه مسخهم الله فصبرهم قرنة تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء قيل صار شيان القوم قرنة والمسخة خنازير وبقوا ثلاثة أيام ينظر الناس إليهم ثم هلكوا جميعا وأعلم أن ظاهر النظم القرآني هو أنه لم ينجم من العذاب إلا القرنة النهائية التي لم تعص لقوله الخبيث الذين ينهون عن السوء وأنه لم يعذب بالسرخ إلا الطائفة العاصية لقوله فلما اعتوا عمنوا عنه قلنا لهم كونوا قرنة خاستين فإن كان الطوائف منهم ثلاثا كما تقدم فالطائفة التي لم تنه ولم تعص يحتمل أنها مسخوخة مع الطائفة العاصية لأنها قد ظلت نفسها بالسكوت عن النبي وعتت عمنها الله عنه من ترك النبي عن المنكر ويحتمل أنهم لم تسخ لأنهم وإن كانت ظالمة لنفسهم عاتية عن أمر ربهم ونهيهم لكنهم لم يظلموا أنفسهم بهذه المعصية الخاصة وهي صيد الحوت في يوم السبت ولا عتت عن نهيها عن الصيد وأما إذا كانت الطائفة الثالثة ناهية كالثانية فمما في الحقيقة طائفة واحدة لاجتماعهما في النبي والاعتزال والخجاة من المسخ وانما جعلت طائفة مستقلة لأنها قد جرت المقابلة بينها وبين الطائفة الأخرى من الناهين المعتزلين (وإذا تأذنت ربك) أي وأسألهم وقت تأذنت ربك تأذنت فعل من الأيدان وهو الأعلام قال أبو علي الفارسي آذنت بالمدا علم وآذنت بالتشديد نادى وقال قوم كلاهما بمعنى أعلم كما يقال أيقن وتيقن وقيل معناه قال ربك وقيل حكيم ربك وقيل آلى ربك وقال الزمخشري عز ربك وقيل معناه حتم وأوجب

فأرى مصر قال سمعت ابن عمر يقول نزلت في النجس ثلاث آيات فأول شيء نزل يسألونك عن النجس والميسر الآية فقبل حرمت النجس فقالوا يا رسول الله دعنا نتفقه بها كما قال الله تعالى قال فسكت عنهم ثم نزلت هذه الآية لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى وقيل حرمت النجس فقالوا يا رسول الله أنا لا نشرب الصلاة فسكت عنهم ثم نزلت يا أيها الذين آمنوا انما النجس والميسر والانساب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوا الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت النجس حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا محمد بن اسحق عن القعقاع بن حكيم ان عبد الرحمن بن وعلية قال سألت ابن عباس عن بيع النجس فقال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة من ثقيف أو من دوس فلقية يوم الفتح براوية يهدهم إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان لماذا أمرته فقال أمرته علمت ان الله حرمه فأقبل الرجل على غلامه فقال أذهب فبعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فلان لماذا أمرته فقال أمرته

ان يبيعها قال ان الذي حرم شرهم احرم بيعها فامر فافترعت في البطيخ رواه مسلم من طريق ابن وهب عن مالك عن زيد بن اسلم ومن طريق ابن وهب ايضا عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد كلاهما عن عبد الرحمن بن وعلة عن ابن عباس به ورواه النسائي عن قتيبة عن مالك به حديث آخر قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا عبد الحليم بن جعفر عن شهر بن حوشب عن عيم الداري انه كان يهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم راوية من خمر فلما أنزل الله تسميم الخمر فيها فإمرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم خيول وقال انها قد حرمت بعد ذلك قال يا رسول الله فابعوها أو اتفعق بفتحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرم عليهم شحم البقر والغنم فإذا ذبحوا بعدهم والله حرم الخمر وغنمها وقدرناه ايضا الامام أحمد فقال حدثنا روح (٤٠٠)

والمعنى واسألهم وقت ان وقع الاعلام لهم من ربك وقيل في هذا الفعل معنى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب كما يجاب به القسم حيث قال (ليعني) أي ليسان (عليهم) وبسلطان كقوله بعننا عليهم عبادنا أو في رأس شديد (الي يوم القيامة) غاية لقوله (من) يسومهم يذيقهم (سوء العذاب) مما يعميه الله عليهم وقد كانوا أقامهم الله هكذا الاذلاء مستضعفين وعذابين يابدي أهل المال وهكذا هم في هذه الملة الاسلامية في كل قطر من اقطار الارض في الذلة والمضروبة عليهم والعذاب والصغار يملكون الجزية بلحق دماءهم ويمتتهم المسلمون فيما يفسد ذلة من الاعمال التي يستمرعونها غيرهم من طوائف الكفار وعن ابن عباس قال يسومهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتمه سوء العذاب أي الجزية والخراج وقيل هو يختصرو وسجاريب ومولوك الروم وهذا نص في ان العذاب انما يحصل لهم مستقر الي يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذنأفوضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم ثم علل ذلك بقوله (ان ربك لسريع العقاب) لمن أقام على الكفر يعاجل به في الدنيا كما وقع لهؤلاء (وانه لعفور رحيم) أي كثير الغفران والرحمة لمن آمن منهم ودخل في دين الاسلام (وقطعناهم في الارض أجمعاً) أي فرقناهم في جوانبها وأشتتنا أفرقهم فلم يجتمع لهم قلة قال ابن عباس هم اليهود بسططهم الله في الارض فليس فيها قعة الا وفيها اعصابه منهم وطائفة وقيل المعنى وجعلنا كل فرقة منهم في قطر بحيث لا تتخالط ناحية من الارض منهم حتى لا تكون لهم شوكة قاله ابو السعد فلا توجد بلدة كلها يهود ولا قعة ولا سلطان بل هم متفرقون في كل الاماكن (منهم الصالحون) قيل هم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن مات قبل البعثة المحمدية غير مبطل قال الطبري وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بهم ويدل لقوله الآتي يخلف من بعدهم خائف وقيل هم الذين سكنوا اوراق الصين ولا يصح كما تقدم بيانه (ومنه دون ذلك) أي دون هذا الوصف الذي انصفت به

حدثني عبد الرحمن بن عثمان الداري كان يهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حرمت جاء راوية فلما نظر اليه خجرت فقال أشعرت انها قد حرمت بعد ذلك فقال يا رسول الله لا أبيعها أو أتفعق بفتحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود انظر لقلوبهم الى ما حرم عليهم من شحم البقر والغنم فإذا ذبحوا فباعوا به ما ياكلون وان الخمر حرام وغنمها حرام وان الخمر حرام وغنمها حرام حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن نافع بن كيسان ان أباه أخبره انه كان يبيع في الخمر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريدها التجارة فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جئت بك بشر اب طيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كيسان

انها قد حرمت بعد ذلك قال فباعها يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قد حرمت وحرم غنمها فانطلق كيسان الى الزقاق فأخذ بأرجلها ثم هراقها حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن أسد قال كنت أسقي أبا عبد الله بن الجراح وأبي بن كعب وسهيل بن يساف ونفر من أصحابه عند أبي طلبة حتى كاد الشربان يأخذ منهم فأتى أت من المسلمين فقال أما شعرت أن الخمر قد حرمت فقالوا حتى تظروا نسال فقالوا يا أسد اسكب ما بقي في اناءك فوالله ما عار فإيه أو ما هي الا الترو والبسرو وهي خمرهم يومئذ آخر جاء في الصحيحين من غير وجه عن أسد وفي رواية جابر بن زيد عن ثابت عن أسد قال كنت ساق القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلبة وما شربهم الا الفضيخ البسرو والتمز فاذا منادى نادى قال اخرج فانظر فاذا منادى نادى الا ان الخمر قد حرمت فخرجت في سلك المدينة قال فقال لي أبو طلبة اخرج فاهرقها فاهرقها فقالوا أأقول يا أسد انهم قد حرموا فلان وفلان

وهي في بطونهم قال فانزل الله ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثني عبد الكبير بن عبد المجيد حدثنا عبد بن راشد عن قتادة عن أنس بن مالك قال بينما أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة الجراح وأبي دجاجة ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء حتى مالت رؤسهم من خيل طبرس وعمرهم منادى نادى ألا ان الجرف قد حرمت قال فدخل علينا داخل ولا نخرج منا خارج حتى أهرق الشراب وكسرنا القلال وقوضنا بعضنا وغتسل بعضنا وأصبنامن طيب أم سليم ثم خرجنا إلى المسجد فآذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الآية فقهيل أنتم مشركون فقال رجل يا رسول الله فأتى فين مات وهو يشرب فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فقال (٤٠١) رجل لقد أدهأت سمعته من أنس بن مالك قال نعم وقال رجل لأنس بن مالك أت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم إذ حدثني من لم يكذب ما كان يكذب ولا يدري ما الكذب

حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن الحقيق أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة عن قيس بن سعد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ربى تبارك وتعالى حرم الخمر والكوبة والقنين واباككم والغبيراء فانها ثلاث خسر العالم (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن جرج بن فضالة عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن رافع عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على أمي الخمر والمزور والكوبة والقنين وزاد في صلاة الوتر قال يزيد القنين الربيط تقرد به أحمد وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عاصم وهو البديل أخبرنا عبيد المجيد بن جعفر حدثنا يزيد بن أبي

الطائفة الاولى وهو الصلاح والتقدير ومنهم أناس أقوم دون ذلك والمراد بهم هؤلاء من لم يؤمن بل انهم مل في الخيانة قلم أمر الله به (وبلوا نعم بالحسنات والسيئات) أي امتحنناهم جميعا الصالح وغيره بالخير والشر قال ابن عباس الحسنات الرخاء والعافية والسيئات البلاء والعقوبة وأخلصه والحب (لعلهم يرجعون) أي رجاه ان يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي (خلف من بعدهم خلف) المراد بهم اولاد الذين قطعهم الله في الارض قال أبو حاتم الخلف بسكون اللام الاولاد والاولاد والجمع سواء والخلف بفتح اللام البديل ولدا كان أو غير وروى قال ابن الاعرابي الخلف بالفتح الصالح وبالسكون الطالح ومنه قيل الردى من الكلام خلف بالسكون وقد يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر والمعنى جاء من بعدهم هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يحيى بعدهم كان قبله (ورثوا الكتاب) أي التوراة من اسلافهم يقرؤونها ولا يعاون بها والمراد بآيته اتقوا الله فيهم ووقوعه في أيديهم (ياخذون عرض هذا الاذى) أخبر الله عنهم بأنهم يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا الشدة حرصهم وقوة متهم والعرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها السرب والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدرهم والدنانير والادنى مأخوذ من الدنو وهو القرب أي يأخذون عرض هذا الشيء الاذى وهو الدنيا يتجولون مصالحها بالرشا وما هو محمول لهم من السحت في مقابلته تحريفيهم لكلمات الله وتوهم منهم للعمل بأحكام التوراة وكهتة لما يكتفونه منها وقيل ان الاذى مأخوذ من الدناءة والسقوط أي أنهم يأخذون عرض الشيء الذي الساقط النافع الخسيس الحقير والمعنى متقارب لان الدنيا بأسرها حقيرة فانية والراغب فيها أحقر منها وعن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال اقوام يقبلون على الدنيا فيأكلونها ويتبعون رخص القرآن ويقولون سيغفر لنا ولا يعرض لهم شيء من الدنيا الا أخذوه وقال مجاهد هم النصارى يأخذون عرض هذا الاذى ما أشرف لهم

(٥١ - فتح البيان ثالث) حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال على ما لم أقل فليتبوأ عقابه من جهنم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة والغبيراء وكل مسكر حرام تفرد به أحمد أيضا حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن أبي طلحة مولا هم وعن عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي انهما سمعا ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنت الخمر على عشرة أوجه لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وكل من شربها أو أودعها وابن ماجه من حديث وكيع به قال أحمد حدثنا حسن بن أحمد بن الهبة حدثنا أبو طعامة سمعت ابن عمر يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البدر فخرجت معه فكانت عن عييته وأقبل أبو بكر فأتى خرت عنه وكان عن عييته وكنت عن يساره ثم أقبل عمر

فتنحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء فإذا بن قاق على المرء فيها آخر قال ابن عمر فدعا نى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قال ابن عمر وما عرفت المدينة إلا يومئذ فأمر بالزقاق فشق ثم قال لعنت الخمر وشاربها وساقبها وباتعها ومبتاعها وحاملها والنحولة اليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها قال أجد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن حمزة بن حبيب قال قال عبد الله بن عمر أمر نى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتته بجدية وهى الشفرة فأتيته بها فأرسل بها فأهزقت ثم أعطاها وقال أعدل على ما فعلت نخرج بأصحابها إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة متى فشق ما كان من تلك الزقاق يجتصره ثم أعطاها وأمر أصحابها الذين كانوا معه أن يعضوا معى وأن يعاونونى وأمر نى أن آتى الأسواق كلها فلا أجد فيها زقاق خمر (٤٠٢) الاشقة ففعلت فلم أترك فى أسواقها زقاقا لاشقة حديث

آخر قال عبد الله بن وهب أخبر نى عبد الرحمن بن مريم وابن ليعة واليبت بن سعد عن خالد بن زيد عن ثابت أن يزيد الخولانى أخبره أنه كان له عم يبيع الخمر وكان يصدق قال فتميته عنها فلم ينه فقدمت المدينة فلقيت ابن عباس فسأله عن الخمر وعنها فقال هى حرام وثنها حرام ثم قال ابن عباس رضى الله عنه بانه عشرة أمه محمد لو كان كاذب بعد تكليمهم وبى بعد نبيكم لا نزل فيكم كما أنزل فبين قبلكم ولكن آخر ذلك من أمر كى لم يوم القيامة ولعمرى لهوا أشد عليكم قال ثابت فلقيت عبد الله بن عمر فسأله عن ثمن الخمر فقال سأخبرك عن الخمر انى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فبينما هو محبب على حبوه ثم قال من كان عنده من هذه الخمر شئ فليأتها فجعوا يأتونه فيقول أحدكم عندى راوية ويقول الآخر عندى زقاق أو ماشاء الله ان يكون عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوه يبيع كذا وكذا فإذا كان فأذونى ففعلوا ثم أذونه فقام وقت معه ومشيبت عن عيذه وهو متسكى على فلقه أتوا بكرضى الله عنه فأخبر نى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلنى عن شماله وجعل أبابكرى مكانى ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبر نى وجعله عن يسار مقضى بينهم حتى أذا وقف على الخمر قال للناس أتعرفون هذه قالوا نعم يا رسول الله هذا الخمر قال صدقتم ثم قال فان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والنحولة اليه وباتعها ومبتصرها وأكل ثمنها ثم دعا يسكن فقال اشهدوه ففعلوا ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرق بها الزقاق قال فقال الناس فى هذه الزقاق منفعة فقال أجهل ولكنى أقول ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سيظه فقال عمر أنا أكفيك يا رسول الله قال قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض فى قصة الحديث رواه الليث بن

شئ من الدنيا حلالا أو حراما يشربونه أخذوه ويتنمون المغفرة وإن يجدوا مثله يأخذوه كما سبأنى (ويقولون سيغفر لنا) أى يقولون انفسهم بالمغفرة ومع تعاديبهم فى الضلالة وعدم رجوعهم إلى الحق ويتنمون على الله الامانى الباطلة الكاذبة والمراد بهم هذا الكلام التقريع والتوبيخ لهم عن شداد بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتقى على الله الامانى أخرجه الترمذى وكان اليهود يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التقي بعينه والحال انهم (أن يأتهم) كما يؤخذ من الكشاف وقال السفاقي انه سبأنى (عرض مثله بأخذوه) أى مثل الذى كانوا يأخذونه أخذوه غير مبالين بالعقوبة ولا خائفين من التبعة وقيل الضمير فى يأتهم لليهود المدينة أى وان يأت هؤلاء اليهود الذين هم فى عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم عرض مثل العرض الذى كان يأخذه اسلافهم أخذوه كما أخذ اسلافهم (أبو أخذ عليهم) أى على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم والاستفهام للتقريع والتوبيخ والالتقير فالمعنى أخذ عليهم الميثاق لان القصد منه اثبات ما بعد التقي (ميثاق الكتاب) أى التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) فيما يوجبون على الله من عقران ذنوبهم التى لا يرون يعودون اليها ولا يتوبون منها قاله ابن عباس (و) الحال انهم قد (درسوا ما فيه) أى الكتاب وعلومه ولم يأتوه بجهالة فكان الترتك منهم عن علم لاعن جهل وذلك أشد ذنبا وأعظم جرما وقيل معناه محوه بترك العمل به واللهم لله من قولهم درست الرمح الا نارا اذا محمها (والدار الاخرة خير) من ذلك العرض الذى أخذوه وأثروه عليها وارثوا فى الاحكام (الذين يتقون) الله ويحافظون عقابه ويحتملون معاصيه (أفلا تعقلون) فتعلمون بهذا وتنهون عنه وفى هذا الالتفات من التوبيخ والتقريع ما لا يقادر قدره (والذين يسكنون بالكتاب) قرأ الجاهلون بالمشهد من مسك بالشيء وعسكه أى استسكوا بالكتاب وهو التوراة وقرى بالتخفيف من أسسك

الله ان يكون عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوه يبيع كذا وكذا فإذا كان فأذونى ففعلوا ثم أذونه فقام وقت معه ومشيبت عن عيذه وهو متسكى على فلقه أتوا بكرضى الله عنه فأخبر نى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلنى عن شماله وجعل أبابكرى مكانى ثم لحقنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبر نى وجعله عن يسار مقضى بينهم حتى أذا وقف على الخمر قال للناس أتعرفون هذه قالوا نعم يا رسول الله هذا الخمر قال صدقتم ثم قال فان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وساقبها وحاملها والنحولة اليه وباتعها ومبتصرها وأكل ثمنها ثم دعا يسكن فقال اشهدوه ففعلوا ثم أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرق بها الزقاق قال فقال الناس فى هذه الزقاق منفعة فقال أجهل ولكنى أقول ذلك غضبا لله عز وجل لما فيها من سيظه فقال عمر أنا أكفيك يا رسول الله قال قال ابن وهب وبعضهم يزيد على بعض فى قصة الحديث رواه الليث بن

أبو بكر البيهقي أبنا أبو الحسين بن بشر ابن أبي عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الله الملقب بـ **دع** حدثنا
 حدثنا شعبه عن سماعة عن مصعب بن سعد قال أنزلت في الخمر أربع آيات فذكر الحديث قال وضع رجل من الانصار طما
 فسر بنا الخمر قبل ان تحرم حتى أنعشنا فتنافروا فقال الانصار نحن أفضل وقالت قريش نحن أفضل فأخذ رجل من الانصار
 حتى جزو فضر به انفسه ففرقه فزنت انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل أنتم متنون أنخرجه مسلم من حديث شعبه
 حديث آخر قال البيهقي وأخبرنا أبو نصر بن قتادة أبنا أبو علي الرفا حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال حدثنا ربيعة
 ابن كنفوم حدثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزلت تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شر واثمانان غل
 القوم عيب بعضهم ببعض فلما احتوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ورأسه (٤٠٣) ولحيته ففعل ما صنع في هذا أثنى فلان
 وكأوا اخذوه ليس في قلوبهم هم

ضغائن فيقول والله لو كان بي رؤفا
 رحما ما صنع في هذا حتى وقعت
 الضغائن في قلوبهم فأزل الله تعالى
 هذه الآية انما الخمر والميسر
 والانصاب والازلام رجس من
 عمل الشيطان الى قوله تعالى
 فهل أنتم متنون فقال ناس من
 المتكافين هي رجس وهي في بطن
 فلان وقد قيل يوم أحد فأزل
 الله تعالى ليس على الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات جناح فيما
 طعموا الى آخر الآية ورواه النسائي
 في التفسير عن محمد بن عبد الرحيم
 صاعقة عن حجاج بن منهال حديث
 آخر قال ابن جرير حدثني محمد بن
 خلف حدثنا سعيد بن محمد الحري
 عن أبي ثعلبة عن سلام مولى حنص
 أبي القاسم عن أبي بريدة عن أبيه
 قال بينما نحن نقعد على شراب لنا
 ونحن على رءسنا ونحن ثلاثة أو
 أربعون عندنا باطية لنا ونحن نشرب
 الخمر يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى

مسك والمعنى ان طائفة من أهل الكتاب لا يتبعون بالكتاب ولا يعاون بمافيهم مع
 كونهم يدروسوه وعرفوه وهم من تقدم ذكرهم وطائفة يتبعون بالكتاب أي انشورا
 ويعملون بمافيهم ويرجعون اليه في أمر دينهم فهم المحسنون الذين لا يضيع أجرهم عند
 الله وقال عطاء عم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وأقاموا الصلاة) أي داموا على
 اقامتها في مواقيتها قال الحسن هي أهل الايمان منهم كعب الله بن سلام وأصحابه وقال
 مجاهد هي لليهود والنصارى وانما وقع التخصيص على الصلاة مع كونها داخل في سائر
 العبادات التي يقع عليها المتمسكون بالثورة لانها رأس العبادات وأعظمها وعباد الدين
 وناهية عن الفحشاء والمنكر وكان ذلك وجه التخصيص بالذكر وقيل لانها تقام في
 أوقات مخصوصة والتسليم بالكتاب مستقر فذكر كرت لهذا وفيه نظرفان كل عبادتي الغالب
 تختص بوقت معين (انا لا نضع أجر للصالحين) الجملة خبر الذين وفيه موضع الظاهر موضع
 المظهر (وإن) أي أسألهم انوا الغرض من هذا الزام اليهود والرد عليهم في قولهم ان بني
 اسرائيل لم يصدر منهم مخالفة في الحق (تقيا) المتى اختلفت فيه عبارات أهل اللغة فقال
 أبو عبد الله هو وقع الشيء من موضعه والرجوع اليه ومنه تنو ما في الجواب اذا انقضت فرى مافيهم
 وأمره أن يأتى ويستاق اذا كانت كثيرة الولادة وفي الحديث عليكم بزواج البكار فانهم
 أتتني أرحاما وأطيب أفواها وأرضى باليسير قيل التيق الحذب بشدة ومنه نقت السقاء
 اذا جذبته بشدة لتقطع الزبد منه وقال الفراء والرفع وقال ابن قتيبة هو الزعزة
 وبفسر مجاهد وكل هذه معان متقاربة أي رفعا (الجليل) من أصله وهو الطور الذي
 سمع موسى عليه كلام ربه وأعطى الألواح وقيل هو جبل من جبال فلسطين وقيل هو
 الجبل عند بيت المقدس وكان ارتفاعه على قدر قامة فم كان مجازا بالرفع والسم كالمسقية
 فوقهم كأنه لا ارتفاعه (ظله) أي سحابة تظلمهم وهي اسم لكل ما ظل وقال البيضاوي
 كأنه سقية وهي كل ما أظلك وقرئ ظلة بالطاء من أظلم عليه اذا أشرف (وظنوا) قيل

الخمر (١) أحلا اذا لقت حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه اذنزلت تحريم الخمر يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الى
 آخر الآية فهل أنتم مسلمون فثبت الى أصحابي فقرأها عليهم الى قوله فهل أنتم متنون قال وبعض القوم شر بته في يده قد شرب
 بعضهم اوبى بعض في الاء فقال يا دنا تحت سفته العلماء كما فعل الحجاج ثم صوما في بطونهم فقالوا انتهينا ربنا حديث آخر قال
 البخاري حدثنا صدق بن الفضل اخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن جابر قال صبح أناس غدا أحد الخمر فقتلوا من يومهم جميعا شهداء
 وذلك قبل تحريمها هكذا رواه البخاري في تفسيره من صحيحه وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا جابر بن عبد الله
 سفيان بن عمرو بن دينار سمع جابر بن عبد الله يقول اصطحب ناس الخمر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قتلوا شهداء يوم أحد
 فقالت اليهود فقدمت بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم فأزل الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ثم قال
 قوله أحلا اذا لقت هكذا في الاصل الذي يابدينوا وحر لفظ الحديث اه صحيحه (١)

وهذا السناد صحيح وهو كما قال ولكن في سياقه غريبة حديث آخر قال أبو داود التميمي حديثا شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بين كان يشربها أقبل ان تحرم فزلت ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيها طعموا الآية ورواه الترمذي عن بندار عن غندر عن شعبة بن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر من خيبر حدثنا جعفر بن حميد الكوفي حدثنا يعقوب القمي عن عيسى بن جارية عن جابر بن عبد الله قال كان رجل يحمل الخمر من خيبر الى المدينة فبيعهما من المسلمين فحصل منها مال فقدمهم المدينة فلققه رجل من المسلمين فقال يا فلان ان الخمر قد حرمت فوضعها حيث انتهي على تل وصحب عليها باكية ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني ان الخمر قد حرمت قال أجل قال لي ان أردت دعالي من ابتعتها حسنة (٤٠٤) قال لا يصلح ردّها قال لي أن أهدمها الى من يكافئني منها قال لا قال فان

فيهما ما لا يسامى في تجسرى قال اذا أنا ما مال البحر من فأتنا فنعوض أيتامك من مالهم ثم نادى بالمدينة فقال رجل يا رسول الله الأوعية تنتفع بها قال فقلوا أو كيتها فانصت حتى استقرت في بطن الوادي هذا حديث غريب حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن السدي عن أبي هيرة وهو يروي عن عبد الله بن أنس بن مالك ان أبا طلحة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أيتام في حجره ورواها فقال أهرقها قال أفلا تجعلها خلا قال لا ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من حديث الثوري به نحوه حديث آخر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا عبد العزيز بن سلمة حدثنا هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال ان هذه الآية التي في القرآن يأيتها الذين آمنوا الخمر والميسر والاضايب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجنبوه لعلكم تفلحون قال هي في التوراة ان الله أنزل الحق

الطن هنابعي العلم قيل هو على باب (أنه) أي الجبل (واقع بهم) أي ساقط عليهم (خذوا) أي قلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) هي الجداول العريضة أي أخذنا كاتبه بقوة واجتهاد قال ابن عباس أي خذوا ما آتيناكم ولا أرسلته عليكم ورفعته الملائكة فوق رؤسهم فكانوا اذا نظروا الى الجبل قالوا اسمعنا أو اطعنا واذا انظروا الى الكتاب قالوا اسمعنا وعصنا وعنه قال اني لاعلم لم يسجد اليهود الاعلى حرف قال الله واذا تمنا الجبل قال لنا خذنا أمرى ولا رمينكم به فسجدوا وهم ينظرون اليه مخافة ان يسقط عليهم وكانت محبة رضيها الله سبحانه فاتخذوها حسنة وقال قتادة في الآية انترعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤسهم فسجد كل واحد منهم على خدوه وحاجبه اليسر وجعل ينظر بعينه اليه الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الاعلى شق وجوههم الياسر (واذكروا ما فيه) من الاحكام التي شرعها الله لكم ولا تنسوها (لعلكم تتقون) أي رجاء أن تتقوا ما نهيتهم عنه وتعملوا بما أمرتهم به وقدة قدمت تفسيرها في البقرة مستوفى فلا نعيد (واذا خذركم من بني آدم) وكذا من آدم فالأخذ منه لازم للأخذ منهم لان الأخذ منهم بعد الأخذ منه في الآية لا اكتشافا للزوم (من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الحار قاله الكواشي والذي في الكشف انه بدل بعض من كل قال الخبي وهو الظاهر واثار الأخذ على الخارج للاعتناء بشأن المأخوذ من انما من اختيار الاصطفاء وهو السبب في اسناده الى الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي وضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف (ذر يهيم) هي تقع على الواحد والجمع واستدل بهذا على ان المراد بالماخوذ من هاهنا ذرية بني آدم أخرجهم الله من اصلاهم فلا بعد نسل على نحو ما يوالد الاناس من الايام فلذلك قال من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم لما علم انهم كلهم بنو آدم وقد ذهب الى هذا جماعة من المفسرين وقالوا معنى (وأشهدهم عن انفسهم) دلهم بخلقه على انه خالقهم فقامت هذه الدلالة مقام

الاشهاد ليزه به الباطل ويضل به اللعب والمزايير والزمن واليكارات يعني البرابط والزمارات يعني به الدف والطناوير والشعور والخمره لمن طعمها أقسم الله ببيته وعزته من شره ما بعد ما حرمها لا عطشه يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمها لا اسقية اياها في حظيرة القدس وهذا السناد صحيح حديث آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان عمرو بن شبيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة سكرامرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها ومن ترك الصلاة سكراربع مرات كل حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عصارة أهل جهنم ورواه أحمد بن طريق عمرو بن شبيب حديث آخر قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا ابراهيم بن عمر الصنعاني قال

الاشهاد ليزه به الباطل ويضل به اللعب والمزايير والزمن واليكارات يعني البرابط والزمارات يعني به الدف والطناوير والشعور والخمره لمن طعمها أقسم الله ببيته وعزته من شره ما بعد ما حرمها لا عطشه يوم القيامة ومن تركها بعد ما حرمها لا اسقية اياها في حظيرة القدس وهذا السناد صحيح حديث آخر قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث ان عمرو بن شبيب حدثهم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك الصلاة سكرامرة واحدة فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فسلها ومن ترك الصلاة سكراربع مرات كل حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال قال عصارة أهل جهنم ورواه أحمد بن طريق عمرو بن شبيب حديث آخر قال أبو داود حدثنا محمد بن رافع حدثنا ابراهيم بن عمر الصنعاني قال

سمعت النعمان بن حواري أبي شيبة الجندري يقول عن طاووس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مجزر خروكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا لحست صلاته أربعين صباحا فان تاب الله عليه فان عاد الاربعة فأن حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قبل وماطينة الخبال يا رسول الله قال صديقا أهل النار ومن سقا صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال تقريبا أو داود حديث آخر قال الشافعي رحمه الله تعالى ما ملأ الله نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر في الدنيا لم يتب منها هو في الآخرة أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به وروى مسلم عن أبي الربيع عن حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر خروكل مسكر حرام ومن شرب الخمر فسات وهو يومئذ لم يتب منها لم يشر بها في الآخرة حديث آخر (٤٠٥) قال ابن وهب أخبرني عمرو بن محمد عن

عبد الله بن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول قال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يظفر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمذم من الخمر والمثان بما أعطى ورواه النسائي عن عمرو بن علي عن يزيد بن زريع عن عمرو بن محمد العمري به وروى محمد بن غندر عن شعبة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مذن من خمر ورواه أحمد أيضا عن عبد الصمد عن عبد العزيز بن أسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد به وعن عمرو بن شعبان عن الحسين بن الجعفي عن رائدة عن ابن أبي زياد عن سالم بن أبي الجعد ومجاهد كلاهما عن أبي سعيد حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أي

الاشهاد فتسكون هذا لا يثبت من باب التمثيل كافي قوله تعالى فقال لها والارض انقباطوا أو كرها فانما أي ناطا بعين وبه قال الشيخ أبو منصور والزيحاج والبخاري وقيل المعنى ان الله سبحانه أخرج الارواح قبل خلق الاجساد وانه جعل فيها من المعرفة ما فهمت به خطابه سبحانه وقيل المراد بنبي آدم هنا آدم نفسه كما وقع في غير هذا الموضع والمعنى ان الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية وأخذ عليهم العهد وهو لا يعلم عالم النذر وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه ولا الصبر الى غيره لشبوته مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموقوف على غير واحد من الصحابة ولا يلجئ للمصير الى المجاز وإذا جازم والله بطل خبره مقل وقد ذكرنا ايضا في القولين وكذا الرازي وأبو السعد وغيرهما من المفسرين الذين منسبهم الفلسفة والحق ما ذكرناه واليه ذهب جمهور المفسرين وقد أخرج مالك في الموطأ وأحمد في المسند وعبد بن جند والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات والاضياء في المختارة عن مسلم بن يسار الجعفي ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسئل عنها فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء الجنة ويعمل أهل الجنة بعملهم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء النار ويعمل أهل النار بعملهم فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقل ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله يعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله يعمل أهل النار حتى يموت على عمل من اعمال أهل النار فيدخله النار ومسلم بن يسار لم يسمع من عمرو وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وروى عن الخطيب رجلا قال البغوي قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن زبيعة

الجعد عن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة عاق ولا مذن من خمر ولا مذن من خمر ولا ولد ذرية وكذا رواه عن يزيد بن همام عن منصور عن سالم بن جابر عن عبد الله بن عمرو به وقد رواه أيضا عن غندر وغيره عن شعبة عن منصور عن سالم عن نبط عن بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مذن من خمر ورواه النسائي من حديث شعبة كذلك ثم قال ولا تعلم أحدا تابع شعبة عن نبط بن شريط وقال البخاري لا يعرف لجابر سماع عن عبد الله ولا سالم من جابر ولا نبطه وقد روى هذا الحديث من طريق مجاهد عن ابن عباس ومن طريقه أيضا عن أبي هريرة قال الله أعلم وقال الزهري حدثني أبو بكر بن عبد الكريم بن الحر بن هشام أن أباه قال سمعت عثمان بن عفان يقول اجتنبوا الخمر فانكم أم الخبال ان الله سبحانه رجل فين خلا قبلكم يتبعون بعزل الناس فعلقت امرأته غوبة فأنزلت اليه جاريته بأن تدعوه شهادة فدخل معها فطقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أقضي الى امرأته وضيقه عند غلامه وباطية خمر

فَقَالَتْ اِنِّى وَاللّٰهٖ مَا دَعَوْتُكَ لَشَهَادَةٍ وَلٰكِنْ دَعَوْتُكَ لَتَقَعَ عَلٰى اَوْتُنَ قَتْلَ هٰذَا الْغُلَامِ اَوْ تَشْرَبَ هٰذَا الْخَمْرَ فَتَقْتَدَّ كَاَسَافَقَالَ زَيْدُ رُبِّىْ فَاِيْرَمُ حَتّٰى وَقَعَ عَلَيَّا وَقَتَلَ النَّفْسَ فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَاَنْتُمْ لَا تَجْتَنِبُوهَا وَالْاِيْمَانُ اَبَدُ الْاَوْشَكَ اَحَدُهُمْ اَنْ يَخْرُجَ صَاحِبُهُ رَاوَدَ الْبَيْتَ وَهٰذَا السِّدَّاقُ وَتَقْدَرُوْا اَبُو بَكْرٍ اَبُو الدِّيْنَانِ كَمَا ذَمَّ الْمُسْلِمُونَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ بْنِ بَزْيعٍ عَنْ اَفْضَلِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَمْرِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ بِهِ مَرْفُوعًا عَالِمُ الْمَوْقُوفِ اُتِمَّحَ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ وَلِهَآذُ هَٰذِهِ الْحِكْمَةُ عَنْ رَسُوْلِ اللّٰهِ صَلٰى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَنْهٗ قَالَ لَا يَزْنِي الْاَزْنٰى حَتّٰى يَزْنِيَّ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ سَرْقَةً حَتّٰى يَسْرِقَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حَتّٰى يَشْرَبَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَقَالَ اَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا اُسُوْدُ بْنُ عَامِرٍ حَدَّثَنَا اسْرَآئِيلُ عَنْ سَهْلٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لِمَا حَرَّمَ الْخَمْرَ قَالَ نَاسٌ يَارَسُوْلَ اللّٰهِ اَصْحَابُنَا الَّذِيْنَ مَاتُوْا وَهُمْ يَشْرَبُوْنَ اَفَآتَلَّ اللّٰهُ (٤٠٦) لَيْسَ عَلَى الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوْا اِلَى اٰخِرِ الْاٰيَةِ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الباطن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفيه قصة إعطاء آدم ابنه داود أربعين سنة من عمره واختلاف الناس في كيفية الاستخراج على أقوال لا مستند لها والحق وجوب اعتقاد إخراجهم من ظهر آدم كشأن الله تعالى كما ورد في الصحيح قال المفضل في الأبحاث المسددة ولا يعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات الواردة في ذلك وقال بعضهم الظاهر أنه استخراجهم أحياء لأنه سماهم ذرية والذرية هم الأحياء لقوله أنجلنا ذرية من في الفلك قال ابن عباس أن أول ما أهب الله آدم إلى الأرض أهبط به هناك أرض الهند فسحق ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها إلى يوم القيامة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد كل واحد منهم (أنت بر بكم) أي قائلًا هذا فهو على إرادة القول وفي هذه الآية رد على أهل المعاني في قولهم أن الإغراق غير مقبول ما لم يقارن كاد ونحو هذا مما شهد به الذوق السليم وزكي شهادة الطبع المستقيم قال الشهاب في الرحانة وهذا وإن سلمه علماء المعاني والبيان إلا أنه يحتاج إلى الإيضاح والبيان فإنه يعتز عليه بما يعارضه بذكره ورود ما يناقضه كقوله عز وجل هذا فإنه يعتز به إذا أخرج الذرية من الظهور بسبب الخلق والظهور وأخذ الموائيق والعود مما يقتضي التريب والتهيب وهذا على دليل التحقيق دون التخيل والتقدير وقد ذكره في حديث الصحيحين المعلوم عند علماء الحديث ولهم فيه طريقتان مشهورتان وهما تخفي على كثير من القائلين ولهم فيه كلام يحتاج للإيضاح فأقول العلماء التفسير فيه طريقتان الأولى أنه من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعله وعلى هذا لا يثبت فيه أشكال ولا لبس عنه مجال الثاني أنه له معنى جليلا أم عليه أقوى برهان ودليل ففهم من ذهب إلى أنه استعارة وتنبيل نزل فيه وضوح الأدلة ثمانية على توحيدته إلى صحة أحكام السبعة المركوزة في الفطرة السليمة منزلة برونهم الخارج وأخذ العهود منزلة إتمام ما كروا له والعمل بمقتضاها فلا رد عليه شيء

ولما حوّلت القبلة قال ناس يارسول
الله اخواننا الذي ماؤا وهم يصلون
الى بيت المقدس فأمر الله وما كان
الله ليضغ ايماكم وقال الامام
أجد حدثا دود بن مهران الدباغ
حدثا دود يعنى العطار عن أبي
خيثم عن شهر بن حوشب عن اسماء
بن تين يداها سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من شرب الخمر
لم يرض الله عنه أربعين ليلة إن مات
مات كافرا وإن تاب تاب الله عليه
وإن عاد كان حقا على الله أن يبعه
من طينة الخبال قالت قلت يارسول
الله وما طينة الخبال قال صديد
أهل النار وقال الامش عن ابراهيم
عن علقمة عن عبد الله بن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لماترات لئس على الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا
إذا ما اتقوا وآمنوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قبل أن أت
منهم وهكذا رواه مسلم والترمذي
والنسائي من طريقه وقال عبد الله

ابن الامام أحمد قرأت على أبي حدث شاعلي بن عاصم حدثنا ابراهيم الهجري عن أبي النحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يا أيكم وهذا الكعبان الموسومان اللذان يجران زجر افانهم ماميسر الخيم (يا أيها الذين آمنوا السيلواكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم لعلم الله من يحافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاؤه مثل ما قتل من التمس بحكمه وذو العدل منكم هذا يا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليسوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فنتقم الله منه والله عزير ذو انتقام قال الواحلي عن ابن عباس قوله ليبلواكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم قال هو الضعيف من الصيد وصغره يبتلى الله به عباد من أحرارهم حتى لو شأوا التناوله بأيديهم فنهزم الله أن يقر به وقال جاهد تناله أيديكم يعني (٢) قوله أناكم وهذا الخعكذا بالاصل وحرر الرواية ٥١

صغار الصيد وفراخه ومراحكم بعسي بكاره وقال مقاتل بن حيان أنزل هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم لم ير وأمثله قط فمأخذاً لهم الله عن قتلهم وهم محرمون ليعلم الله من يخافه الغيب يعني أنه تعالى يتعلمهم بالصيد بغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذها الأيدي والرماح سرا وجهراً لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره وأجهره كما قال تعالى إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وقوله إن اعتدى بعد ذلك قال السدي وغيره يعني بعده هذا الأعلام والاندثار والتقدم فلهذا أبى أي تخلفه أمر الله وشرعه ثم قال تعالى ما يأها الذين آمنوا لا يقتلوا الصيد وأنتم حرم وهذا التحريم والاندثار والتقدم فلهذا أبى أي تخلفه أمر الله وشرعه ثم قال تعالى ما يأها الذين آمنوا لا يقتلوا الصيد وأنتم حرم وهذا التحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الأحرار ومنه عن نفاطيه فيه وهذا النفاطيل من حيث المعنى الماء كقول وما يتولد منه ومن غيره فأما ما عدا ذلك من حيوانات البر فينبغي أن يكون من جنس ما يقتلها والوجه ويرى (٤٠٧) تحريم قتلها أيضاً ولا يستثنى من ذلك فأما ما عدا ذلك من حيوانات البر فينبغي أن يكون من جنس ما يقتلها والوجه ويرى (٤٠٧) تحريم قتلها أيضاً ولا يستثنى من ذلك

الامانيب في الصحاح من ضرب
الزهرى عن عروة عن عائشة أم
المؤمنين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جس فواسق يقتلن
في الحبل والحرم الغراب والحداة
والعقرب والناقرة والكلاب العقور
وقال مالك عن نافع عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
جس من الدواب لس على الحرم
في قتلهن جناح الغراب والحداة
والعقرب والناقرة والكلاب العقور
أخرجاه ورواه أيوب عن نافع عن
ابن عمر قال أيوب قتلن لنا نسع
فالحية قال الحية لاشن فيها ولا
يختلف في قتلها ومن العلماء كمالك
واحمد من الحق بالكلب العقور
الذئب والسبع والثور والفهد
لانها أشد ضررا منه فانه أعلم
وقال زيد بن أسلم وسفيان بن
عيينة والكلب العقور يشمل هذه
السماع العادية كلها واستأنس
من قال بهذا بما روي أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لماداعلى

حماد كرم ونحن نقول ان الامر الذي وقع فيه المبالغة لا يتجاوز اما ان يقع بعد زمان بعيد
 كالساعة أو لا يقع وهو اما محال متعذر الوقوع له نظرا ومثابه أو لا الاول مقبول لتزويل
 المحقق الوقوع منزلة الواقع وكذا الثاني لا يمكن ان يراد مجازا أو كناية والاخير هو محال
 الكلام والذي عليه أهل العاني انه مردود ما لم يقترن به موع مثل كاد ونحوها ولا آية
 ليست من هذا القبيل لاسنادها لله الذي أبرزها المعذومات من ارحام العدم ولا يقتضي
 قدرته شي في القدم فاعلمنا الا الايمان بذلك وما اتصل له أنفها ما نكته اليه ونسأله ان
 يهدينا للوقوف عليه وكفى هذا الاحتمال في مثل هذا الحال وما بعد الهدى الا الضلال
 انتهى (قالوا بلى شهدنا) أي على أنفسنا بانك ربنا واختلافوا في الاجابة هذه كيف كانت
 هل كانوا أحماء فاجابوا بلسان المقال أم اجابوه بلسان الحال والظاهر الاول ونكل علم
 كنيتمنا الى الله سبحانه وكان هذا القول على وفق السؤال لانه تعالى سألهم عن تربيتهم
 ولم يسألهم عن الهوسم فقالوا بلى فلما انتهوا الى زمان التكليف وظهر ما قضى الله في سابق
 عمله لكل أحد منهم من وافق ومنهم من خالف قاله أبو طاهر القزويني وقيل يحل الكفار
 بالهيئة ولا مؤمنين بالرجة فقال كلهم بلى قيل وكان ذلك قبل دخول آدم الجنة بين مكة
 والطائف قاله السككي وقيل بعد الهبوط منها وقال علي في الجنة وقيل بسرا نذيب من
 أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم فيه من الجنة وكل ذلك محتمل ولا يضرب الجهل
 بالمكان بعد صحة الاعتقاد باخذ العهد والله أعلم آخر أحمد والتسائي وابن جرير
 والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 قال ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأه
 فنهرا بين يديه كالدرهم كلهم فقال ألتب بكم الى قوله المبطون واسناده لا مطعن فيه
 وأخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي والطبراني وأبو الشيخ عن أبي امامة ان رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرش

صلى الله عليه وآله وسلم قال لما خلق الله الخلق وقضى القصص والنسب بين بني آدم
عنه أن في لهب قال اللهم سلط عليه كلبك بالشام فأكل السبع بالزقاء فالو ا فان قتل ما عدا هن فداه كاضبع والنعلم والور
ن ونحو ذلك مالم وكذلك يستثنى من ذلك صفراء هذه الجنس المنصوص عليها وصفاء الملق بها من السباع العوادي وقال
الشافعي يجوز للمعمر قتل كل ما لا يؤكل لحمه ولا فرق بين صفراء وكرها وجعل العلة الجامعة كونها لا تؤكل وقال أبو حنيفة
بقتل الحرم الكلب العقور والذئب لانه كالبهي فان قتل غيرهما فداه الا أن يصول عليه سبع غيرهما فقتله فلا فداء عليه
وهذا قول الاوزاعي والحسن بن صالح بن حي وقال زفر بن الهذيل يقضى ماسوى ذلك وان صال عليه (٢) وقال بعض الناس
المراد بالبقع ههنا الغراب وهو الذى فى بطنه وظهوره بياض دون الادرع وهو الاسود والاعصم وهو الابيض لما رواه النساى
(٣) قوله وقال بعض الناس المراد بالبقع الخ هكذا بالاصل الذى بائدنا ولعل الظاهر ان يقول وقال بعض الناس المراد بالغراب
ههنا الاتبع وهو الذى الخ فقر اه

عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 نحن يقتلن الحرم والحية والفسانة والحسدة والغراب لا يقتل الغراب الا اذا صال عليه وآذاه وقال مجاهد بن جبر وطائفة لا يقتله
 الصبيحتين من اطلاق لفظه وقال مالك رحمه الله لا يقتل الحرم الغراب الا اذا صال عليه وآذاه وقال مجاهد بن جبر وطائفة لا يقتله
 بل يرميه ويروي منله عن علي وقد روى هشيم حدثنا يزيد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي نعيم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ان سئل عما يقتل الحرم فقال الحية والعقرب والقويسقة ويرى الغراب ولا يقتله والكب العقور والحدأة والسبع
 العادي رواه أبو داود وعن أحمد بن حنبل والترمذي عن أحمد بن منيع كلاهما عن هشيم وابن ماجه عن أبي كريب وعن محمد
 ابن فضيل كلاهما عن يزيد بن أبي زياد (٤٠٨) وهو ضعيفه وقال الترمذي هذا حديث حسن وقوله تعالى

ومن قتله منكم متعمدا فإثم مثل
 ما قتل من النعم قال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن
 علية عن أيوب قال ثبت عن طاوس
 انه قال لا يحكم علي من أصاب
 صيدا خطأ إنما يحكم علي من أصابه
 متعمدا وهذا مذهب غريب عن
 طاوس وهو تحسب بظواهر الآية
 وقال مجاهد بن جبر المراد بالمتعمد
 هنا القاصد الى قتل الصيد الناسي
 لاحرامه فالمتعمد لقتل الصيد
 مع ذكره لاحرامه فذلك أعظم من
 أن يكفر وقد بطل احرامه رواه ابن
 جبر عنه من طريق ابن أبي نجيب
 وأثبت ابن أبي سليم وغيرهما عنه وهو
 قول غريب أيضا والذي عليه
 الجمهور ان العمد والناسي سواء
 في وجوب الجزاء عليه وقال
 الزهري دل الكتاب على العمد
 وجرت السنة على الناسي ومعنى
 هذا ان القرآن دل على وجوب
 الجزاء عن المتعمد وعلى تأنيبه بقوله
 ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف

على الماء فأخذ أهل اليمن بيمنه وأخذ أهل الشمال يده الأخرى وكذا يدي الرحمن
 فقال بأحباب الدين فاستجابوا له فقالوا لبيد ربنا وسعديك قال ألتب ربكم قالوا بلى
 الحديث والأحاديث في هذا الباب كثيرة بعضها مقيد بتفسير هذه الآية وبعضها مطلق
 يشتمل على ذكر اخرج ذرية آدم من ظهره وأخذ العهد عليهم كما في حديث أنس مرفوعا
 في الصبيحتين وغيرهما وأما المروي عن الصحابة في تفسير هذه الآية باخراج ذرية آدم من
 صلبه في عالم الذر وأخذ العهد عليهم واشهادهم على أنفسهم فهي كثيرة جدا وقد روى
 عن جماعة ممن بعد الصحابة تفسير هذه الآية باخراج ذرية آدم من ظهره وفيما قاله
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسيرها فما تمدنا ذكره ما نفى عن التطويل وقال
 أهل الكلام والنظر قولهم بلى شهدنا على الجازا على الحقيقة وهو خلاف مذهب
 جمهور المفسرين من السلف قال ابن الانباري مذهب أححاب الحديث وكبراء أهل العلم
 في هذه الآية ان الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلا أولاده وهم صور كاذبوا أخذ
 عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم
 عقولا يعرفون ما عرض عليهم كما جعل للحيال عقولا حتى خطبوا بقوله يا جبال أقرني
 معهم كما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك الشجرة حتى
 سمعت لآمره وانقادت وقولهم شهدنا اقراره بالربوبية وكلام مستأنف وقيل شهدنا على
 أنفسنا بهذا اقرار وليس في الآية ما يدل على بطلان ما ورد في الأحاديث وقد ورد
 الحديث بثبوت ذلك وحسنه فوجب المصير اليه والاختذ به جماعيتهم ما وحكى الواحدى
 عن صاحب النظم انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله مسح ظهر آدم
 فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بمحمد الله تعالى لانه تعالى اذا أخرجهم من ظهر
 آدم فقد أخرجهم من ظهر وذريته لان ذرية آدم كذرية بعضهم من بعض فان قيل اذا
 سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلا شئ لانه كرهه اليوم والجموب على ما ذكره سليمان

ومن عا دفتقم الله منه وجاءت السنة من أحكام النبي صلى الله عليه وسلم وأحكام أحبابه وجوب الجزاء في الخطا
 كإدال الكتاب عليه في العمد وأيضا فان قتل الصيد اتلاف والاتلاف مضمون في العمد وفي النسيان لكن المتعمد ملوم والنخطي غير
 ملوم وقوله تعالى فإثم مثل ما قتل من النعم حكى ابن جرير أن ابن مسعود قرأ آخراؤه مثل ما قتل من النعم وفي قوله فإثم مثل ما قتل
 من النعم على كل من القراءتين دليل لمذهب اليه مالك والشافعي وأحمد والجمهور ومن وجوب الجزاء في مثل ما قتله الحرم اذا كان له
 مثل من الحيوان الانسي خلافا لابي حنيفة رحمه الله حيث أوجب القيمة سواء كان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي قال وهو مخير ان
 شاء تصدق بقتله وان شاء اشترى به هديا والذي حكم به الصحابة في المثلي أولى بالاتباع فانهم حكموا في النعمة ببدنة وفي بقرة الوحش
 ببقرة وفي الغزال بالغزال بعنزود كرقضها العجا به وواسنادهما مقرر في كلب الاحكام وما اذا لم يكن الصيغ مثليا فقد حكم ابن عباس في

الجل اتنا لم نتذكر هذا العهد لان تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها وعمر والدهور
عليها في أصلاب الآباء وأرحام الامهات وتطور الاطوار والوردية عليها من العلقه والمضغة
والعظم والعظم وهذا كله مما يوجب النسيان وكان علي بن أبي طالب يقول اني لا ذكر العهد
الذي عهد الي ربى وكذا كان سهل بن عبد الله التستري يقول انتهى قلت وكذا روى عن
الشيخ نظام الدين الدهلوي المعروف بسلطان الاولياء ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة
الرسول وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكر ولولم ينسوه لانتفت الخنة والتكليف ولم
يلغنا في كون تلك الذرات مصورة بصورة الانسان دليل والا قرب العقول عدم الاحتياج
الى كونهم بصورة الانسان اذا السمع والطق لا يقتقران الى الصورة بل يقتصران على محلا
حيالا غير ويحتمل أن يكونوا مصورين بصورة الانسان لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم
ولم يقل ذراتهم ولفظ الذرية يقع على المصورين والحكمة في أخذ الميثاق منهم اقامة الحاجة
على من لم يوف بذلك العهد والظاهر انه لما ردهم الى ظهورهم قبض ارواحهم واما ان الارواح
أين رجعت بعد ذرات الى ظهورهم فهذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي باكثر
من ان يقال رجعت لما كانت عليه قبيل حلولها في الذرات وورد ان كتاب العهد والميثاق
مودع في باطن الحجر الاسود ذكره الشعرا في رسائله القواعد الكشوفة في الصفات
الالهية وذكر فيها على هذه الآية اثني عشر سؤالا وأجاب عنها والحق عندي ان كل مالم
يرد فيه نص من كتاب ولا سنة فاطوؤه على غزاه ولى وتركه الخوض فيه أحرى (أن تقولوا)
أي كراهة أن أولئك لا تقولوا (يوم القيامة أنا كنا عن هذا) أي عن كون الله بنا وحده
لا شريك له (عافينا) ويقولوا انما أشركنا آبائنا) أي فعلنا ذلك كراهة ان تعذروا وبالعلة
أو تنسبوا الشريك الى آباءكم دونكم وأولمنع الخاويرون الجمع فقد يعتدرون بجموع الامرين
(من قبل) أي قبل زماننا (وكذا ذرية من بعدهم) أي أتباعا لهم فاقصد بناهم في الشرك
لانتهدي الى الحق ولا نعرف الصواب (أفتملكنا جعل المبطلون) من آباءنا ولا ذنب لنا
بلهنا ولا يجوز ان نأثم ولا نعرف اقتفاءنا آثار سلفنا في الله سبحانه في هذه الآية الحكمة التي
لاجلها أخرجه من ظهر آدم وأشبههم على أنفسهم وانه فعل ذلك بهم ثلاثا يقولوا هذه
المقالة يوم القيامة ويعتادوا بهذه العلة الباطلة ويعتذروا بهذه المعذرة الساقطة في هذه
الآية قطع لعذر الكفار فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل ذلك وقال أهل النظر المراد منه مجرد
نصب الدلائل واطهارها للعقول والحق هو الاول والمعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع
اشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير بعلى اسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في
النفوس (وكذلك) أي مثل ذلك التفصيل البلغ (تفصل الآيات) لهم لتدبروها (ولعلمهم
يرجعون) الى الحق ويتركون ما هم عليه من الباطل وقيل يرجعون الى الميثاق الاول
فيدركونه ويعملون بموجبه ومقتضاه والمآل واحد (واتل عليهم نبأ الذي آتينا آياتنا)
وهي عاوم الكتب القديمة والتصرف بالاسم الاعظم فكان يدعو به حيث شاء فيجيب بعين
ما طلب في الحال وايراد هذه القصة منه سبحانه وتذكيرا لأهل الكتاب بما لانها كانت معذرة
عندهم في التوراة وقد اختلف في هذا الذي أوفى الآيات فقبل هو يلطم بن باعوراء قاله

يتمه يحتمل الى مكثرة واه البهقي
وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم
يعنى انه يحكمهم بالجزاء بالمثل أو بالقيمة
في غير المثل عدلان من المسلمين
واختلف العلماء في القاتل هل يجوز
أن يكون أحد الحكمين على قولين
أحدهما لا لانه قد يتوهم في حكمه
على نفسه وهذا مذهب مالك والثاني
نعم لعدم الآتية وهو مذهب
الشافعي وأجدوا حجج الاولون بأن
الحاكم لا يكون محكوما عليه في

ابن عباس توفي لفظ بلعام بن باعر الذي أوتي الاسم الأعظم كان في بني اسرائيل وبه قال
 مجاهد وكان قد حفظ بعض الكتب المنزلة وقيل كان قد أوتي النبوة وكان محجبا الدعوة
 بعثه الله الى مدين يدعوهم الى الايمان فاعطوه الاعطية الواسعة فابعدهم وتركوا
 ما بعث به فلما أقبل موسى في بني اسرائيل لقتال الجبارين سأل الجبارون بلعام بن باعوره
 ان يدعو على موسى فقام ليدعو عليه فحول لسانه بالدعاء على أصحابه فقبل له في ذلك فقال
 لا أقدر على أكثر مما سمعون وانذبح لسانه على صدره فقال قد ذهبت مني الآن الدنيا
 والاخرة فلم يبق الا المكر والخديعة والحيلة وسأمر لكم وانى أرى ان يخرجوا
 اليهم قريبا تكلم فان الله يعض الزنا فان وقعوا فبه هلكوا فوق بنو اسرائيل في الزنا
 فأرسل الله عليهم الطاعون فمات منهم سبعون ألفا وقيل ان هذا الرجل اسمه باعمر وهو من
 بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مذنبه الطلقاء
 وقال ابن مسعود هو رجل من بني اسرائيل يقال له بلعام بن أبى والقصة ذكرها جماعة من
 المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان يزع عنه الاسم الأعظم والايمان ولا يصح
 ذلك من غير تطريقه ولا يجت وقيل المراد به أمية بن أبى الصلت الثقفي وكان قد قرأ الكتب
 وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حسده
 وكفر به قاله عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وقيل هو أبو عامر
 ابن مسيني وكان بليس المسوح في الجاهلية فكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكانت
 الانصار تقول هو ابن الراهب الذي بنى له مسجد الشقاق وقيل نزلت في البسوس من رجل من
 بني اسرائيل قاله ابن عباس وقيل نزلت في منافق أهل الكتاب قاله الحسن وابن كيسان
 وقيل نزلت في قريش آتاهم الله آياته التي أترها على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا
 بها وقيل نزلت في اليهود والنصارى انتظروا نوح محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكفروا
 به وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى ولم يقبله فقبل والمراد بالآيات
 اسم الله الاكبر قاله ابن عباس وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئا الا اعطاه قال السدي
 كان يعلم اسم الله الاعظم وقيل انه أوتي كتابا وقيل ان الله آتاه حجة وأدله (فانسلخ منها)
 كما تنسلخ الحية والشاة عن جلدها فلم يبق له بها اتصال وقال ابن عباس نزع عنه العلم
 والانسلخ التعري من الشيء وليس في الآية قلب الا لضرورة تدعو اليه وان زعمه
 بعضهم وان أصله فالتخلف منه (فأتبعه الشيطان) عند انسلخه عن الآيات اى لحقه
 فادركه وصار قرينه له أو فاتبعه خطواته وصيرته تابع للنفس وقيل أتبعه بمعنى استتبعه
 (فكان من الغاوين) أى المتكئين في القواية وهم الكفار (ولوشنا) رفعه عما آتياه
 من الآيات (لرفعناه بها) أى بسببها الى منازل العلماء ولكن لم نشأ ذلك لانسلخه عنها
 وتركه للعمل بها وقيل المعنى لوشنا لانسلخه قبل ان يعصى فرفعناه الى الجنة بها أى بالعمل
 بها قاله ابن عباس وقال مجاهد وعطاف فبعنا عنه الكفر وعصمناه بالآيات (ولكنه أخلد)
 أصل الاخلاد الزوم يقال أخلد فلان بالمكان اذا أقام به ولم يمهو المعنى هنا انه مال وسكن
 الى الدنيا ورغب فيها ورضى بها والطمأن وآثرها على الآخرة (الى الارض) هي هنا

صورة واحدة قال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن
 دكين حدثنا جعفر هو ابن برقان
 عن ميمون بن مهران ان اعرابا أتى
 أبابكر فقال قلت صدنا وأنا محرم
 فأتى على من الخزاء فقال أبو
 بكر رضي الله عنه لا يبي بن كعب
 وهو جالس عنده ما ترى فيما قال
 الاعرابي فقال الاعرابي أتيتك
 وأنت خليفة رسول الله صلى الله

عبارة عن الديالان بها المفاوز والقفار والمدن والضياع والمعادن والنبات ومنها
يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدينا كلها هي الارض (واسمع هواء) أي ما هو هواء وترك
العمل بما يقتضيه العلم الذي علمه الله وهو حطام الدينا و قيل كان هو امع الكفار وقيل
اتبع رضاء وجهه وكانت هي التي جعلته على الانسلاخ من آيات الله وهذه الآية من أشد
الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدينا وشهوات النفس ويقعون الهوى (فثله
كذلك الكلب) أي وصار لما انسلخ عن الآيات ولم يعمل بها من خطا إلى أسفل رتبة مشايها
لاخس الحيوانات فان في الدناءة مما لا اله في أفجع وأصاغه (أن تحمل عليه يلهث وأتتركه يلهث)
أي في كلتا الحالتين قصد الانسان له وتركه هو لا هت سواء جزأ أو ترك طرداً ولم يطرده شدة عليه
أو لم يشد وليس بعده هذا في الخسنة والدناءة شيء والمعنى مثله كمثل الكلب حال كونه مستقفا
بهذه الصفة أي ان هذا المنسلخ عن الآيات لا يعزى عن العصبية في جميع أحواله سواء
وعظه الواعظ أو ذكره المذكر أو زجره الزاجر أو لم يقع شيء من ذلك قال القتيبي كل شيء يلهث
فانما يلهث من اعياء وعطش الا الكلب فانه يلهث في حال الكلال وحال الراحة وحال
المرض وحال الصحة وحال الرى وحال العطش فصر به الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال ان
وعظته ضل وان تركته ضل فهو كالكلب ان تركته لهث وان طرده لهث كقوله تعالى
وان تدعهم الى الهدى لا يتبعوك سواء عليكم أذعوتهم أم أنهم صامتون والله
أخرج اللسان لتعجب أو عطش وغير ذلك قاله الجوهري قيل معنى الآية انك اذا جلت
على الكلب نج وولى هاربا وان تركته شدة عليك ونج فيتعجب نفسه متبلا عليك ومدبرا
عندك فمعتر به عند ذلك ما يعتر به عند العطش من اخراج اللسان يقال لهث الكلب
يلهث اذا أدلج لسانه (ذلك) أي التمثيل بتلك الحالة الخسيسة (مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا) من اليهود بعد ان علوا بها وعرفوها فخرقوا وبدلوا وكفوا صفة رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وكذبوا بما وقيل عم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وحدها
وهو الحق لان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فاقصص القصص) الذي هو
صفة الرجل المنسلخ عن الآيات عليهم فان مثل المذكور كمثل هؤلاء القوم المكذبين من
اليهود الذين نقص عليهم (لعلهم يتفكرون) في ذلك ويعملون فيه افهامهم فينزعرون
عن الضلال ويقبلون على الصواب وقيل هذا المثل لكفار مكة ولا وجه لتخصيصه بفرد
دون فرد الاوى هو العموم (سأ مثلاً) هذه الجملة متضمنة لبيان حال هؤلاء القوم
البالغين في القبح الى الغاية يقال سوء الشيء قبيح فهو لازم وساء يسوء مصابة فهو متعد
وهو من افعال الهم كسب والمخصوص بالذم (القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا
ظالمون) أي ما ظلموا بالتكذيب لأنفسهم لا يتعداهما ظلمهم الى غيرها ولا يتجاوزها
وقيل المعنى انهم جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم وهذا أقيد (من يهدي
الله) أي يرشده الى دينه أو يتول هدايته (فهو المهتدى) لما أمر به وشرع له عبادته (ومن
يضل) أي يتول ضلالته (فأولئك هم الخاسرون) الكمالون في الخسران من هدها فلا
مضل له ومن أضله فلا هادي له ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن أخرجه مسلم والنسائي وابن

علمه وسلم أسألك وأنت تسأل غيرك
فقال أبو بكر وما تنكر يقول الله
تعالى فخرأ مثل ما قتل من النعم يحكم
بهذا وعدل منكم فشاورت صاحبي
اذا اتفقنا على أمر أمرناك به
وهذا اسناد جيد لكنه
منقطع بين معون والصديق ومثله
يحتمل ههنا فبين له الصديق الحكم
برفق وتؤذ لم أره أعرايا جاهلا
و اعتمادوا الجهل التعليم فاما اذا

ماجه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة بحمد الله وثني عليه عياها وأهلها ثم يقول من يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشرا الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ثم يقول بعثت أنا والساعة كهاتين فلو كان الهدي من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن اذ البيان ثابت في حقهما فدل انه من الله التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لا هدي كما اهتدى المؤمن (ولقد ذرأنا لجهنم) أي خلقنا للتعذيب بها خلقا (كثيرا من) طائفتي (الجن والانس) جعلهم سبحانه للنار بعدله وبعمل أهلها يعلون وقد علم ما هم عاملون قبل كونهم كائنات في الاحاديث الصحيحة وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن الجارود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لما ذرأ لجهنم من ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله خلق الجنة أهلا خلقهم لاهلها وخلق النار أهلا خلقهم لاهلها وخلق آدم في أصلاب آباءهم أخرجه مسلم (لهم قابض لا يفقهون بها) شيامن أمور الآخرة جعل سبحانه قلوبهم لما كانت غيرة فافقه لما فيه تفهمهم ورشادهم غير فافقه ما تعلقوا وان كانت تدقق في غير ما فيه النفع والرشاد فهو كالعدم والفقه في اللغة الفهم والعلم بالشئ يقال فقه الرجل فهو فقيه اذ افهم وهكذا معني (ولهم أعين لا يبصرون بها) طريق الهدي والحق (ولهم آذان لا يسمعون بها) الحق فان الذي اتى من الاعين والبصائر ما فيه الهداية للتفكير والاعتبار وان كانت مبصرة في غير ذلك والذي اتى من الآذان هو سماع المواظ على النافعة والشرائع التي اشملت عليها الكتب المتزلة وما جاءت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام وان كانوا يسمعون غير ذلك (أو لئلا) المتصفون بهذه الاوصاف (كالانعام) أي البهائم في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر مع وجودها فيهم والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ثم جعلهم شرا من الانعام فقال (بل هم أضل) أي حكم عليهم عليهم بأنهم أضل منها لانهم اندرؤا بهداه الامور ما ينفعها ويضرها فتنفع بما ينفع وتجنب ما يضر وهو لا يعيزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله منهم وكافهم به بل يقدمون على السارعة (أو لئلا هم الغافلون) حكم عليهم بالغفلة الكاملة لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن من له عقل ويصر وسمع (ولله الاسماء) ذكر ذلك في أربع سور في القرآن أولها هذه السورة وثانيها في آخر بني اسرائيل وثالثها في أول طه ورابعها في آخر الحشر وهذه الآية مشتقة على الاخبار من الله سبحانه بحاله من الاسماء على الجمل دون التفصيل (الحسن) تأنيث الاحسن أي التي هي أحسن الاسماء لانها على أحسن معنى وأشراف مدلول وقيل الحسن مصدر وصفيه كالرجعي وأفرده كما أفرده وصف ما لا يعقل وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وأبو عوانة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه وأبو نعيم

كان المعتز منسوباً الى العلم فقد قال ابن جرير حدثنا هناد وأبو هشام الرافعي قال احداثا وكيع بن الجراح عن المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال خرجنا حجاً فكا اذا صلينا الغداة أقفنا واحدا فقمنا شئ يتحدث قال فبينما نحن ذات غداة اذ سمع لنا غلي أو يرح فرماه رجل كان معنا بحجر فبأ خطاً حساه فركب وودعه ميتاً قال فعظمنا

والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن لله تسعة وتسعين
اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة أنه وتر يحب الوتر وفي لفظ ابن مردويه
وأبي نعيم من دعائها استجاب الله دعاءه وزاد الترمذي في سننه بعد قوله يحب الوتر هو الله
الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الى قوله الصبور وهي معروفة هكذا أخرجه الترمذي
هذه الزيادة عن أبي هريرة مرفوعة وقال هذا حديث غريب وقد روي من غير وجه عن
عن أبي هريرة ولا يعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء الا في هذا الحديث قال ابن كثير
في تفسيره والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سر الاسماء مدرج في هذا الحديث
وانهم جمعوه من القرآن ثم قال يعلم ان الاسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة
والتسعين بديل ما رواه أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه قال ما أصاب أحدنا قط هم ولا حزن فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن
أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت
به نفسك أو أنزلت في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو أسألتك به في علم الغيب عندك
الحديث وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه بمثله انتهى وأخرجه البيهقي في الاسماء
والصفات قال النووي اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه
وليس معناه انه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود أن من أحصاها
دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة بأحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء انتهى
قال ابن حزم جاءت في احصائها يعني الاسماء الحسنى أحاديث مضطربة لا يصح منها شيء
أصله وقد أخرجهما هذا العدد الذي أخرجه الترمذي ابن مردويه وأبو نعيم عن ابن
عباس وابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر كراهه ولا أدري كيف استأذنه
وعن أبي جعفر محمد بن الصادق قال هي في القرآن ثم سرد هاسورة فسورة وقد ذكر
ابن حجر في التلخيص انه تتبعها من الكتاب العزيز الى ان حرها منه تسعة وتسعين
ثم سرد هاسورة ويؤيدها ما أخرجه أبو نعيم عن ابن عباس وابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة وهي في القرآن
وقد أطال أهل العلم الكلام على الاسماء الحسنى حتى ان ابن العربي في شرح الترمذي
حكى عن بعض أهل العلم انه جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألقاب اسم ومعنى
أحصاها حفظها قاله البخاري وبه قال أكثر المحققين وبعضه الرواية الاخرى من
حفظها دخل الجنة وقيل العدد أي عددها في الدعاء بها وقيل المعنى من أطاقها وأحسن
المراعاة لها وقيل أحضر سيالها عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها والاول أولى
وقد ذكر الرازي في هذا المقام بحثا في ان الاسم عين المسمين وغيره وهو مع ما تكلف الله
به عباده وفي قوله (فادعوهما) دليل على ان أسماء الله سبحانه وتعالى لا اصطلاحية
والمعنى سموه به وأجروها عليه واستعملوها فيه دعاء ونداء وغبر ذلك فلا تسهوه بغيرها عالم
براطالقه علمه تعالى أمرهم بأن يدعوهما عند الحاجة فانه اذا دعى بأحسن أسمائه
كان ذلك من أسباب الاجابة (وذروا الذين يلحدون) اللحد الميل والانحراف

عليه فلما قدمنا مكة خرجت معه
حتى أتينا عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فقص عليه القصة قال والى
جنبه رجل كأن وجهه قلب فضة
يعني عبد الرحمن بن عوف فالتفت
عمر الى صاحبه فكامه قال ثم أقبل
على الرجل فقال أعمد اقلته أم خطأ
فقال الرجل لقد تعمدت رميه وما
أردت قتله فقال عمر ما رأك الا
أشركت بين العمد والخطا الحمد الى

وترك القصد يقال لحد الرجل في الدين وأخذ إذا مال ومنه اللحد في القبر لأنه في ناحيته
قال ابن عباس الأحاد التكذيب وقال عطاء هو المضاهة وقال الاعمش يدخلون فيها
ما ليس منها وقال قتادة يشركون والأحاد (في أسمائهم) سبحانه يكون على ثلاثة أوجه
أما بالتغير كما فعله المشركون فأنهم أخذوا اسم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة
من المات قاله ابن عباس ومحاهد أو بالزيادة عليها بأن يحترعوا أسماء من عندهم لم يأذن
الله بها قال أهل المعاني هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة
لأن أسماء كلها توقيفية فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل يدعوه بأسمائه التي وردت
في الكتاب والسنة على وجه التعظيم أو بالنقصان منها بأن يدعو ببعضها دون بعض
ولا يسميه باسم لا يعرف معناه ولا باسم فيه من القرابة والمعنى أتركوهما لتساجوهما
ولا تعرضوا لهم وعلى هذا المعنى فالآية منسوخة بآيات القتال وقيل معناه الوعيد كقوله
تعالى ذرني ومن خلقت وحيداً وقوله ذرهم يا كافراً تمتعوا وهذا أولى لقوله (سيحزون
ما كافوا يعملون) فإنه وعيد لهم ينزل العقوبة وتحذير للمسلمين أن يفعلوا كفعالهم
وقد ذكر مقاتل وغيره من المفسرين أن هذه الآية نزلت في رجل من المسلمين كان
يقول في صلاته يا رحمن يا رحيم فقال رجل من المشركين أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم
يعبدون رباً واحداً فقال هذا يدعور بين اثنين حكى ذلك القرطبي (وعن خلقنا) أي
من جملة من خلقه الله (أمة) وعصاة وجماعة (يعبدون) الناس متلبسين (بالحق)
أو يهدونهم يسارعوه من الحق (وبه) أي بالحق (يعبدون) بينهم قبل هم من هذه الأمة
وههم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان قاله ابن عباس وعن الكلبي هم من
آمن من أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين يقول أنهم الفرقة الذين لا يزالون
على الحق ظاهرين كما ورد في الحديث الصحيح عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك أخرجه البخاري ومسلم وعن ابن جريج
قال ذكروا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هذه أمتي يحكمون ويقضون ويأخذون
ويعطون وعن قتادة قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول إذا
قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة الآية وعن
الريبع في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن من أمتي قوماً على الحق
حتى ينزل عيسى بن مريم متى نزل أخرجه ابن أبي حاتم وفي الآية دليل على أنه لا يتحول
زمان من قام بالحق يعمل به ويهدي إليه قبل وفيه دلالة على أن أجماع كل عصر حجة
والبحث في ذلك مفصل في الأصول ثم لما بين حال هذه الأمة الصالحة بين حال من يخالفهم
فقال (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد
بهم أهل مكة والأول أولى لأن صيغة العموم تتناول الكل إلا ما دل الدليل
على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الاستدراج هو الأخذ بالتدريج
منزلة بعد منزلة والدرج كقالب الشيء يقال أدرجته ودرجته ومنه إدراج الميت في أكفانه

شاة فإذا جعها وتصدق بلحمها واستفح
بأهاجها قال فقمنا من عنده فقلت
لصاحبي أيها الرجل عظم شعائر الله
فأدري أمير المؤمنين ما بقيت
حتى سألت صاحبه أعمد إلى نافتك
فأخبرها ففعل ذلك يعني أن يجزئ
عنه قال قبيصة ولا أذكر الآية
من سورة المائدة يحكم به ذو العدل
منكم فبلغ عمر مقاتل فلم يقبل فأمنه
الأومعة الدرة قال فعلا لصاحبي

وقيل هو من الدرجة فالاستدراج ان يخطو درجة بعد درجة الى المقصود ومنه درج
 الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواشياً بعد شئ ودرج القوم مات بعضهم
 في اثر بعض والمعنى نسبتهم قليلاً قليلاً الى ما يملكهم وذلك باذراء النعم عليهم
 وانسانهم شكر هافينهم يكون في الغواية وتنبكون طرق الهداية لا عثارهم بذلك وانه
 لم يحصل لهم الايمان بالله عند الله من المنزلة والرفقة قال الازهرى سناً خذهم قليلاً قليلاً
 من حيث لا يحتسبون وقال السدى سناً خذهم من حيث لا يعلمون قال عذاب بدر وعن
 يحيى بن المني قال كلما أخذوا ذنباً جددنا لهم نعمة تنسبهم الاستغفار وروى قال الفتح
 وقال سفيان نسبهم عليهم النعمة ونعمهم شكرها وعن ثابت البناني انه سئل عن
 الاستدراج قال ذلك مكر الله بالعباد المضيعين قال الكلبي زين أعمالهم ثم ملكهم
 بهاروى ان عمر بن الخطاب لما حل اليه كنوز كثرى قال اللهم انى أعوذ بك أن أكون
 مستدرجاً فاني سمعتك تقول سنة تدريجهم من حيث لا يعلمون (وأولى) الاملاء الامهال
 والتطويل أى أطيل (لهم) المدة وأمهالهم ليقادروا في الكفر والمعاصي وأوخر عنهم
 العقوبة (ان كيدى متين) جملة مقررة لما قبلها من الاستدراج والاملاء وكيدى
 والكد الكيد والمكر والمتين الشديد القوى وأصله من التين وهو اللحم الغليظ الذى على جانب
 الصاب لانه أقوى ما فى الحيوان وقدمت بالضم تين متانة أى قوى والمعنى ان أخذنى
 أو مكرى شديد لبطاق قال ابن عباس كيد الله العذاب والنعمة قال فى الكشف سماه
 كيداً لانه شبهه بالكيد من حيث انه فى الظاهر احسان وفى الحقيقة خذلان وفى الآية
 دليل على مسئلة القضاء والقدر وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل
 وهم يستلون (أولم يتفكروا) الاستفهام للانكار عليهم حيث لم يتفكروا فى شأن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيما جاء به (ما بصاحبهم من حسنة) مالا استفهام
 الانكار والجنه مصدراً وقع منهم التكذيب ولم يتفكروا أى شئ من جنون كائن
 بصاحبهم كما يزعمون فانهم لم يتفكروا والوجدوا زعمهم باطلا وقولهم زورا وجنونا وقيل أى
 ليس بصاحبهم شئ مما يدعون من الجنون فيكون هذا رد القول لهم بأبها الذى نزل عليه
 الذكر انك الجنون ويكون الكلام قد تم عند قوله أولم يتفكروا والوقف عليه من الاوفاف
 الحسنة عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قام على الصفا ف دعا
 قريشاً فخذلوا بنى فلان بنى فلان يحذرون بأس الله ووقائع الله الى الصباح حتى
 قال فائل ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت حتى أصبح فأنزل الله هذه الآية وانما نسبوه
 الى الجنون وهو برى منه لانه صلى الله عليه وآله وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال
 لانه كان معرضاً عن الدنيا وذاً لهم مقبالاً على الآخرة ونعيمها مستغلاً بالادعاء الى الله
 وانذاراً بأسه ونقمته لئلا يؤمنوا من غير ملال ولا خسر فعند ذلك نسبوه الى جنون فبرأه
 الله من الجنون وقال (ان هو الاذير مبين) أى بن الانذار والجملة مقررة لمضنون ما قبلها
 ومبينة لحقيقة حال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أولم ينظروا فى ملكوت السموات
 والأرض) الاستفهام للانكار والتوبيخ والتقريع ولقصد التعجب من اعراضهم عن

ضرباً بالذرة أقتلت فى الحرم وسفقت
 فى الحكم قال ثم أقبل على قتل
 بأمر المؤمنين لأجل لك اليوم
 شياً يحرم عليك منى فقال يا قبيصة
 ابن جابر انى أراك شاب السن فسيح
 الصدر بين اللسان وان الشاب
 يكون فيه تسعة اخلاق حسنة
 وخلق سيئ فبفسد الخلق السيئ
 الاخلاق الحسنة فانك وعثرات
 الشباب وروى هشيم هذه القصة

النظر في الآيات النبوية الدالة على كمال قدرته وقدرته بالالهية

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

والمكتوب من آية المبالغة ومعناه المبالغة العظم وقد تقدم بيانه والمعنى ان هؤلاء
لم يتفكروا حتى ينتفعوا بالتفكير ولا نظروا في مخلوقات الله حتى يهتدوا بذلك الى الاعيان
به بل هم متباعدون في ضلالهم خاضعون في عوايدهم لا يعملون فكرا ولا يعملون نظرا
(وما خلق الله) أي ولم يطرأ فمنا خلق (من شيء) من الاشياء كما ناسا كان فان في جميع
مخلوقاته عبرة للعالمين وموعظة للمتفكرين سواء كانت من حلال من مصنوعاته كالمكتوب
السموات والارض ومن دفاقها من سائر مخلوقاته (وان) أي أو لم ينظروا في أن الشان
والحديث (عنى أن يكون قد اقرب اجلهم) فهوون عن قرب والمعنى انهم اذا كانوا
يجوزون قرب آجالهم فبالهم لا يظنون فينا يتدرون به وينتفعون بالتفكير فيه والاعتبار
به واقتل هنا معنى الفعل المجرد أي قرب وقت اجلهم (فدأى حديث بعده) الضمير للقرآن
وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل للاجل المذكور قبله وقيل الضمير يرجع الى
ما تقدم من التفكير والنظر في الامور المذكورة أي بأى حديث بعد هذا الحديث المتقدم
بيانه (يؤمنون) وفي هذا الاستفهام من التقرير والتوبيخ لا بما يقاد رقدته والجله
الاستفهامية سبقت للتعجب أي اذ لم يؤمنوا بهذا الحديث فكيف يؤمنون بغيره
وجله (من يضلل الله فلا هادي له) مقرر قبلها أي هذه الغفلة منهم عن هذه الامور
الواضحة البينة ليس الا لكونهم عن أضله الله ومن يضله فلا يوقد له من يهتدي الى الحق
ونزعه عن الضلالة البينة (ويزدهم في طغيانهم يعمهون) أي يتبعون وقيل يزددون
ولا يمتدنون سيلا (يسئلونك) استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم
والسائلون هم اليهود وقيل قريش (عن الساعة) أي القيامة وهي من الاسماء العالمة
واطلاقها على القيامة لوقوعها بغتة أو لنزعة حسابها أو لانها ساعة عبد الله مع طولها
في نفسها (آيات) ظرف زمان منبى على الفتح ومعناه متى واشتقاقه من أي وقيل من أين
(مر سادا) أي أي وقت ارساؤها واستقرارها وحصولها وكلمة شبهها بالنسبة القائمة
في البحر مأخوذ من ارساها الله أي أثبتنا وقرى بفتح الميم من رست أي ثبت ومنه وقدور
راسيات ومنه ربي الجبل والمعنى متى يشأها ووقعها ورساها الله وقال الطيبي الرساها
يستعمل في الاجسام الثقلة واطلاقه على الساعة تشبيه للمعاني بالاجسام وقال ابن
عباس منتها أي وقوعها قال والساعة الوقت الذي تتوف فيه الخلائق وظاهر الايمان
السؤال عن نفس الساعة وظاهر آيات من نساها ان السؤال عن وقتها فصل من الجنس
ان السؤال المذكور هو عن الساعة باعتبار وقوعها في الوقت المعين لذلك ثم أمره الله
سجانه بان يحيت عنهم بقوله (قبل ان تعلمها) أي علم وقت ارساها باعتبار وقوعها
(عند ربى) قد استأثر به لا يعلمها غيره ولا يهتدى اليها سواء ليكون ذلك ادعى الى الطاعة
وأزجر عن المعصية (لا يعلمها) التعلية اظهر ان الشيء قال جلى في فلان الخبر اذا أظهره
وأوضحه أي لا يظهرها ولا يكشف عنها وقال مجاهد لا يأتي بها وقال السدي لا رسلها

عن عبد الملك بن عمير عن قيسبة
بنحوه ورواه أيضا عن حصين عن
الشعبي عن قيسبة وذكرها مرسله
عن عمر بن بكر بن عبد الله المزني
ومحمد بن سيرين بنحوه وقال ابن جرير
حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن
حدثنا شعبة عن منصور عن أبي
وائل أخبرني ابن جرير الجلي قال
أصبت طيبا وأنا محرم فذكرت ذلك
لعمر فقال أنت رجل من اخوانك

(وقتها الأهو) سبحانه الذات من غير أن يشعر به أحد من المخلوقين وفي استئثار الله سبحانه بعلم الساعة حكمته عظيمة وتدبيره يبلغ كسائر الأشياء التي أختارها الله واستأثر بعلمها وهذه الجلة مقررة لمخبرون ما قبلها أسينة لاستمرار تلك الحالة إلى حين قيامها (ثقلت في السموات والأرض) أي عظمت على أهلها ما وشقت على العالم العاوي والسمائي قيل معنى ذلك أنه لما خفي عليها على أهل السموات والأرض كانت ثقيلة لأن كل ما خفي عليه ثقل على القلوب وقسل المعنى لاقطعها السموات والأرض لعظمها لأن السماء تنشق والجحوم تنائر والبحار تنضب وقيل عظم وصفها عليهم وقيل ثقلت المسئلة عنها وقال ابن عباس يعني ليس شيء من الخلق إلا يصيبه من ضرر يوم القيامة وقيل ثقلت لأن فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقل على الأفئدة وقيل كل من أهلها من الملائكة والنفوس أهم شأن الساعة حتى أن يغفل عنها ويشتق عليه خفاؤها ونقل عليه وهذه الجلة مستأنفة مقررة لتفهمون ما قبلها أيضا (لأننا نيكتم) الساعة (الابغية) أي خفاء على حين غفله من الخلق وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة صحيحة هي هه روفة وهذه الجلة كالتى قبلها في التقرير (يستأنفونك أن تلقى حقها) استئناف مسوق لبیان خطتهم في توجيه السؤال إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسأله عن زعمهم أنه عالم بالسؤال عنه قال ابن فارس الحق العالم بالشيء والحق المستقصى في السؤال يقال أحق في المسئلة وفي الطلب فهو محض وحقي على التكرير مثل مخضب وخضيب والمعنى يسألونك عن الساعة كأنك عالم بها وكانك مستقصى للسؤال عنها ومستكر منه ومنطلع إلى علم حجبها وعن معنى الباء وقيل المعنى كأنك حقي بهم والاول وهو معنى النظم القرآني على مقتضى المسائل العربي قال ابن عباس يقول كأن ينفك وبينهم مودة وكانك صدق لهم (قل انما علمها عند الله) أمره الله سبحانه بان يذكر ما أجاب به عليهم سابقا لتقرير الحكم وتأكيد كيدته قال في المدارك وعلى هذا تكرير العلماء في كتبهم لا يخالون فائدة انتهى وقيل ليس بشكرير بل أحسد ما معناه استئثار الله بهذا وعدم علم خلقه به لم يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل والآخر الاستئثار بكنهها نفسها ونقلها وشدها ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن علمها عند الله وأنه استأثر به حتى لا يسألوا عنه وقيل لا يعلمون السبب الذي لا جله أخفى علم وقت قيامها عن الخلق (قل لأملك نفسي نفعا ولا ضرا) قال ابن جرير يعني الهدى والضلالة وهذه الجلة متضمنة لتأكد ما قدم من عدم علمه بالساعة أيان تكون ومتى تقع لانه اذا كان لا يقدر على جلب نفعه أو دفع ضرره (الاماشاء الله) سبحانه من النفع له والدفع عنه فبالأولى أن لا يقدر على علم ما استأثر الله بعلمه وفي هذا من اظهار العبودية والقرار بالجزع من الأمور التي ليست من شأن العبيد والاعتراف بالضعف عن التحال ما ليس له صلى الله عليه وآله وسلم ما فيه أعظم زاجر وأبلغ واعظ لمن يدعى لنفسه ما ليس من شأنها ويتكلم علم الغيب بالتحكمة أو الرمل أو الطرق بالحصى أو الزجر قال النسفي أي أنا بعد ضعف لأملك نفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمالك إلا ما شاء ما لم يكن من النفع له والدفع عنه والاستئثار منقطع وبه قال ابن عطية

فليحكم عليك فاني عبد الرحمن
وسعدا حكم على بيتس أغفر وقال
ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا
ابن عينة عن بخارق عن طارق قال
ان رجلا رمى ظميا فقتله وهو محرم
فاني عمر ليحكم عليه فقال له عمر
احكم معي فحكم فيه جدى قد جمع
الماء والشجر ثم قال عمر يحكم به ذوا
عدل منكم وفي هذا دلالة على جواز
كون القاتل احدا الحكمين كما قاله

الشافعي وأحمد وجههما الله
واختلفوا هل تستأنف الحكومة
في كل ما يصيبه المحرم فيجب أن
يحكم فيه ذوا عدل وإن كان قد حكم
من قبله الصحابة يرجع فيه إلى
عدلين وقال مالك وأبو حنيفة بل
يجب الحكم في كل فسر دفرسوا
وجدلوا صحابة في مثل حكم أم لائله
تعالى يحكم به ذوا عدل منكم وقوله
تعالى هديا بالغ الكعبة أي واصلا

وهو أبلغ في اظهار العجز ثم أكد هذا وقرره بقوله (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من
الخير) أي لو كنت أعلم جنس الغيب تعرضت لما فيه الخير فقلت إلى نفسي وبوقت
ما فيه السوء وحتى لا يسئ ولكني عبد لا أدري ما عند ربّي ولا ما قضاه في وقدره في كيف
أدري غير ذلك وأتكلّف علمه وقيل المعنى لو كنت أعلم ما يريد الله عز وجل مني من قبل
أن يعرفني أفعلة وقيل لو كنت أعلم متى يكون لي النصر في الحرب لقانلت فلم أغلب وقيل
لو كنت أعلم الغيب لأجبت عن كل ما أسأل عنه وقيل لو كنت أعلم وقت الموت لاستكثرت
من العمل الصالح وقيل لو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لأعتددت من الخصب الجذب
وقيل غير ذلك والاولى حمل الآية على العموم فمندرج هذه الأمور وغيرها تحتها
(وما سئني السوء) كلام مستأنف أي ليس لي ما تزعمون من الجنون والاولى انه متصل
بعاقبه والمعنى لو علمت الغيب ما سئني السوء وحذرت عنه كما قدمنا ذلك وقال ابن جريج
لا يصيبني الفقر وقال ابن زيد لا تجتنب ما يكون من الشر قبل أن يكون وقال الكرخي
أي ما سئني سوء يمكن التقصّي عنه بالتوقّي عن موجباته والمدا فة بموانعها لسوء ما
فان منه ما لا يدفعه (إن أنا لا أنذير وبشير) أي ما أنا إلا مبلغ عن الله أحكامه (لقوم
يؤمنون) أي كتب في الازل انهم يؤمنون فانهم المتسعدون به فلا شافي كونه بشيرا
ونذيرا للناس كافة واللام في لقوم من باب التنازع فعند البصر بين تتعلق ببشير وعند
الكوفيين ببشير وقيل نذر بالنار للكافرين وبشير بالجنة للمؤمنين وعلى هذا امتعلق
الناذر محمدوف والذي أخير به صلى الله عليه وآله وسلم عن المقيبات وقد جانت بها
أحدث في الصحيح فهو من قبيل المعجزات ومن قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال ذلك على سبيل التواضع والادب فقد أبعد التبعة بل قاله صلى الله عليه وآله
وسلم معتقدا بذلك وإن الله هو المستأنز بعلم الغيب والمعجزات مخصوصة من هذا العموم
كما قال تعالى الامن ارتضى من رسول (هو الذي خلقكم) خطاب لاهل مكة (من نفس
واحدة) أي آدم قاله جمهور المفسرين والتأنيب باعتبار لفظ النفس وهذا كلام مبتدأ
يضمن ذكر نعم الله على عباده وعدم مكافئهم لها بما يجب من الشكر والاعتراف بالعبودية
وانه المتفرد بالالهية (وجعل منها) أي من هذه النفس وقيل من جنسها كما في قوله تعالى
جعل لكم من أنفسكم أزواجا والاول أولى (زوجها) وهي حوا خلقها من ضلع من
أضلاع (ليسكن) عليه للجعل أي لاجل ان يأنس (اليها) ويطمئن بها فان الجنس بجنسه
أسكن واليه أنس وكان هذا في الجنة كما وردت بذلك الاخبار ثم ابتدأ سبحانه بحالة أخرى
كانت بينهما في الدنيا بعد هبوطهما فقال (فلما تغشاهما) أي آدم وزوجه والتغشى كناية
عن الوفاق أي فلما جامعها كنى به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان اتيان الرجل المرأة
وقد غشها وتغشاهما اذا علاها وتجلها (حملت حملا خفيا) أي عقلت به بعد الجماع
والمشهور ان الحمل بالفتح ما كان في بطن أو على شجرة والحمل بالكسر خلافه وقد حكى
في كل منهما الكسر والفتح وهو هنا ما مصدر فتنه صب اتصاب المفعول المطلق أو الجنين
المحول فيكون مفعولا به ووصفه بالخفة لانه عند القاء النطفة أخف منه عند كونه علقه

وعند كونه علقته أخف منه عند كونه مضغعة وعند كونه مضغعة أخف مما بعده وقيل انه
 خف عليها هذا الخلل من ابتدائه الى انتهائه ولم يتجدد منه ثقلا كما تجدد الحوامل من النساء
 لقوله (فرت به) أى استمرت بذلك الحمل تقوم وتقع وتعضى فى حوائجها لا يتجدد ثقلا
 ولا مشقة ولا كلفة وقرئ فرت به بالتحفيف أى فزعت لذلك وقرئ فارت به من اللور
 وهو الحجى والذهب قال سمره جلا خفيفا لم يستن فرت به لما استبان حملها وقال ابن
 عباس فرت به أى شكت أحلت أم لا وعن الحسن سئل عن قوله فرت به قال لو كنت
 عربيا لعرفت انما هى اسقرت بالخل وعن السدي قال جلا خفيفا هى النطفة فرت به
 أى استمرت به وبه قال ابن عباس وعن يعقوب بن مهران قال استخفته والوجه الاول أولى
 لقوله (فأنا أنفقت) فان معناه فلما صارت ذات نسل لكبر الولد فى بطنها (دعوا الله)
 جواب لما أى دعا آدم وحواء (ربهما) ومالك أمرهما (لئن آتينا) ولدا (صاحا) عن
 أى صالح قال أشعثان يكون بهمة فقالا لئن آتينا بشر أسويا وعن مجاهد نحوه وعن
 الحسن قال غلاما سويا أى مستويا الأعضاء ليا عن العرج والعرج وغير ذلك وقيل
 ولذا ذكره الان الذكور من الصلاح (تكون من الشاكرين) لك على هذه النعمة وفى هذا
 الدعاء دليل على انهم قد علموا ان ما حدث فى بطن حواء من أثر ذلك الجماع هو من
 جنسهما وعلموا بثبوت النسل المتأخر عن ذلك السبب (فلا تأها صالحا) أى مطالها من
 الولد الصالح وأجاب دعاهما (جعل له شر كافيا) تأها قرأ سائر أهل الكوفة بالجمع
 وقرأ أهل المدينة شر كاعلى التوحيد وأكرموا لا تخش وأجيب عنه بانها صحت على
 حذف المضاف أى جعل له ذا شر ك أو ذوى شرك وقال أبو عبيدة معناه خطا ونصيا
 قال كثير من المفسرين انه جاء ابليس الى حواء وقال لها ان ولدت ولد اسميه باسمى فقالت
 وما اسمك قال الحثوث ولو سمى لها نفسه لعرفته فسمته عبيد الحثوث فكان هذا شر كافى
 التسمية ولم يكن شر كافى العبادة ولكن قصدت بتسميتها الولد بعبد الحثوث ان الحثوث
 سبب لبقاء الولد فاعتبت على ذلك من حيث انها انظرت الى السبب دون المسبب وقدرت
 هذا بطرق والفاظ عن جماعة من الصحابة ومن بعدهم ويدل له حديث سمره عن النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سمى
 عبيد الحثوث فانه يعيش فسمته عبيد الحثوث فعاش فكان ذلك من وجع الشيطان وأمره
 أخرجه أحد الترمذى وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن أبى حاتم والرويانى والطبرانى
 وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه وفيه دليل على ان الجماع شر كافيا تأها هو
 حواء دون آدم وقوله جعل له شر كافى بصيغة التثنية لا نافية ذلك لانه قد يستعمل الواحد
 الى اثنين بل الى جماعة وهو شائع فى كلام العرب وفى الكتاب العزيز من ذلك الكثير الطيب
 قال تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات ثم قال فى هذه السورة فالان بنا خلقنا أنفسنا وقال فلا
 جناح عليهم ما قبلنا فسمت به والمراد به الزوج فقط قاله القراء وانما ذكره ما جمعا
 لاقتراهما ما وقال تعالى نسبا حوتما وانما الناس يوشع دون موسى وقال تعالى يخرج
 منهمم الاولاد والمرجان وانما يخرج من أحدهما هو والمالح وقال تعالى يا معشر الجن

الى الكعبة والمراد وصوله الى الحرم
 بان يذبح هناك ويفرق لحسه على
 مساكين الحرم وهذا أمر متفق
 عليه هنا وقوله أو كفارة طعام
 مساكين أو عدل ذلك صيا ما أى
 اذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم
 أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات
 الامثال أو قلنا بالتخفيف فى هذا المقام
 بين الجزاء والاطعام والصيام كما
 هو قول مالك وأبى حنيفة وأبى

والانس ألم يأتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس دون الجن لكن لما جعوا مع الجن في الخطاب ضج هذا التركيب وقال تعالى آتينا في جهنم والخطايا لو احدث دون اثنين وفي الحديث المرفوع اذا سافر عما فاذا بالمراد اذ خذعما وقال امرؤ القيس

فقال بل من ذكري خبيب ومنزل وقد كثر الشعر من قولهم خليل والمراد بهما الواحد دون الاثنين وعلى هذا معنى الآية الكريمة جعل الله لهما الشر كما هو حواء واذا عرفت هذا علمت ان المصير الى هذا التأويل الذي ذكرناه متعين وقد يناضه الكتاب والسنة وكلام العرب والحديث المتقدم ليس فيه الاذ كبر حواء وقد استشكل هذه الآية بجمع من

أهل العلم لان ظاهرها صريح في وقوع الاشراك من آدم عليه السلام والانس معصومون عن الشرك ثم اضطررنا الى التفتي من هذا الاشكال فذهب كل الى مذهب واختلف آقوالهم في تأويلها اختلافا كثيرا حتى انكر هذه القصة جماعة من المفسرين منهم الرازي وأبو العود وغيرهما وقال السدي هذا افضل من آية آدم خاصة في آية

العرب وعن أبي مالك نحوه وقال الحسن هذا في الكفار يدعون الله فاذا آتاهما صالحا هوذا ونصرا وقال ابن كيسان هم الكفار سوا اولادهم بعبد العزى وعبد الشمس وعبد الدار ونحو ذلك وقيل هم اليهود والنصارى خاصة قال الحسن كان هذا في بعض أهل

الملل وليس بآدم وقيل هذا خطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم آل قصى وحسنه الزمخشري وقال هذا تفسير حسن لاشكال فيه وقيل معناها على حذف المضاف أي جعل اولادها مشركا وبذلك يبدل ضمير الجمع في قوله الآتي عما يشركون ويأيد ذلك النسبي والفقهاء واربعة ارازي وقال هذا جواب في غاية الصحة

والساددويه قال جماعة من المفسرين وقيل خاطب كل واحد من الخلق بقوله خلقكم وجعل من جنسه زوجة قال البغوي وهذا قول حسن لولا قول السلف بخلافه وقيل ان هذه القصة لم تصح وانما عصى من كان في ظهر آدم من ذريته وكان آدم انموذج التثنية فظهرت ورثت خطايا بني آدم في ذاته كما ترى الصورة في المرأة لان ظهوره كان كالسفيمة

اساير اولاده وقيل معنى من نفس واحدة من هيئة واحدة وشكل واحد فعل منها أي من جنسهم ازوجها فلما تغشاها يعني جنس الذي كثر جنس الانثى وعلى هذا لا يكون لآدم وحواء ذكر في الآية وتكون ضمائر التثنية راجعة الى الجنسين وقيل ان فاعل تغشاها ضمير راجع الى أحدهم والمعنى خلق الله الناس من آدم وكان بدء خلقهم من خلق من آدم

زوجته ليسكن اليها فحصل منهم النسل ثم رجع الى أول الكلام وهو ان الله خلقهم فلم يشكروا له ولم يؤدوا حقه وذلك ان أحدهم لما تغشى امرأته فحملت جلا خفيفا فحصل بسبب ذلك الاختصار غموض في الآية وأصل الكلام عام وكانت حواء من جنس ذلك فلا

يجب صدق جميع خصوصيات الآيات عليها وانما يجب وجود أصل القصة وقد يؤخذ هذا الوجه من قوله تعالى في موضع آخر الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وهذا قال الشيخ أجود لي الله المحدث الذي هو ربه الله وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى متخالف في المبني ولا يتناول كل واحد منها من بعد

يوسف ومحمد بن الحسن وأحمد
قولي الشافعي والمشهور عن أحمد
رجعهم الله لظاهر الآية والقول
الآخر أنها على الترتيب فصورة
ذلك ان يعدل الى القيمة فيقوم
الصدق المقبول عند مالك وأبي حنيفة
وأصحابه وجماد وإبراهيم وقال
الشافعي يقوم مثله من النعم لو كان
موجودا ثم يشتري به طعاما
فيصدق به لكل مسكين مدينه

وضعف وتكلف بوجوه الاول ان الحديث المرفوع المتقدم يدفعه وليس في واحد من تلك الاقوال قول مرفوع حتى يعقد عليه ويصار اليه بل هي تفاسير بالاراء المنهى عنها المتوعد عليها الثاني ان فيه انحراف نظم الكلام سياقا وسباقا الثالث ان الحديث صرح بان صاحبه القصة هي حواء وقوله جعل منها زوجها انما هو لحواء دون غيرها القصة ثابتة ولا وجه لانكارها بالرأى المحض الرابع ان الحديث ليس فيه الا ذكر حواء وكان هذا شركا منها في التسمية ولم يكن شركا في العبادة قيل والشرك في التسمية أهون قلت وفيه بعد ظاهرا لان الله تعالى ساق آيات التشنيع عليها وهو شرك وان لم يكن في العبادة وما قيل انهم انما قصدت ان الحشر كان سبب نجات الولد كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيق فهو خطأ لان الاعلام كما يقصد فيها المعاني العلمية كذلك قد يلاحظ معها المعاني الأصلية بالتبعية كما صرح به أهل المعاني وكان اسم أبي بكر الصديق في الجاهلية عبدا للكعبة واسم أبي هريرة عبد الشمس فغيرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسماهما صديقا وعبد الرحمن وما قيل انها سمته بعد الحرب باذن من آدم فهذا يحتاج الى دليل بل عليه ويصح وان له الدليل وأعلمها سمته بغير اذن منه ثابت من ذلك والحاصل ان ما وقع انما وقع من حواء لامن آدم عليه السلام ولم يشرك آدم قط وعلى هذا فليس في الآية اشكال والذهاب الى ما ذكرناه متعين تبعا للكتاب والحديث وصونا لجانب النبوة عن الشرك بالله تعالى والذي ذكره في تأويل هذه الآية الكريمة يرد كانه ظاهر الكتاب والسنة كانه قدم واذا جامعنا الله بطل من معقل والله أعلم وما ذكرنا من صحة اطلاق المثنى على المفرد هو شائع في كلام العرب ولكنهم لم يذهبوا اليه في هذه الآية ولم يحط بذلك لئلا يهضم مع كونه ظاهرا لاهل الواضع ومع انهم ذكروه وذهبوا اليه في غير هذا الموضع في غير واحد من مواضع القرآن والحديث وغيرهما وهذا عجيب منهم غاية العجب (فتعالى الله عما يشركون) هذا ابتداء كلام مستأنف أراد به انشر الالهة مكة وقيل معطوف على خلقكم وما بينهما اعتراض وقيل أراد به حواء لانه يجوز اطلاق الجمع على الواحد وقيل يعود على آدم وحواء وابليس والاول اولى وبه قال السنين وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلا ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركون قال ابن الجزري في كتابه النفيس قد تأتي العرب بكلمة الى جانب كلمة كأنهم معها وفي القرآن يريد أن يخر حكمهم من أرضكم هذا قول الملا قال فرعون هذا تأمر من انتهى فالضمير في يشركون يعود على الكفار والكلام قد تم قبله (أبشركون ما لا يخافون شيئا) الاستفهام للتوبيخ والتوبيخ أي كيف يجعل أهل مكة لله شركا لا يخافون شيئا ولا يقدر على تقع لهم ولا دفع شر عنهم (وهي مخلوقون) الضمير راجع الى الشركاء أي وهؤلاء الذين جعلوهم شركاء من الاصنام والسياطين مخلوقون وجعلهم جمع العقلاء لا اعتقاد من جعلهم شركاء انهم كذلك (ولا يستطيعون لهم) أي لمن جعلهم شركاء (نصرا) ان طلبوهم منهم (ولا أنفسهم نصرون) ان حصل عليهم شيء من جهة غيرهم ومن عجز عن نصر نفسه فهو عن نصر غيره وأعجز (وان تدعوهم الى الهدى) هذا خطاب للمشركين بطريق الالتفات المثنى عن مزيد الاعتناء بأمر

عند الشافعي ومالك وفقهاء الخبان
واختاره ابن جرير وقال أبو حنيفة
وأصحابه يطعم كل مسكين مدين وهو
قول مجاهد وقال أحمد مدين حذقة
أومدان من غيره فان لم يجدوا قلنا
بالتخفيف صام عن اطعام كل مسكين
يوما وقال ابن جرير وقال آخرون
بصوم مكان كل صاع يوما كما في
جزاء المشرقة بالخلق ونحوه فان
الشارع أمر كعب بن عجرة ان

التوبخ والتبكيك وبيان العجزهم عما هو أدنى من النصر المنقذ عنهم وأيسر وهو مجرد الدلالة
 على المطلوب من غير تحصيله للطالب أي وإن تدعوا هؤلاء الشر كاء إلى الهدى والرشاد
 بأن تطالبوا منهم أن يسيروكم ويرشدوكم (لا يتبعوكم) ولا يجيبوكم إلى ذلك وهو دون
 ما تطالبونه منهم من جلب النفع ودفع الضر والنصر على الأعداء قال لا نخش معناه
 وإن تدعوههم أي الأصنام إلى الهدى لا يتبعوكم وقيل يجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين
 والضمير المنصوب للمشركن عن سبق في علم الله أنه لا يؤمن والمعنى وإن تدعوا أيها
 المؤمنون المشركن لا يتبعوكم وفري لا يتبعوكم مشددا وخففا وهما الغتان وقال بعض
 أهل اللغة أتبعه مخففا إذا مضى خلفه ولم يذكره وأتبعه مشددا إذا مضى خلفه فأذكره
 (سواء عليكم أذعنوهم أم أنتم صامتون) مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها أي دعواكم
 لهم عند الشدائد ودعاهم سواء لا فرق بينهما لأنهم لا ينفعون ولا يضررون ولا يسمعون
 ولا يجيبون وقال أم أنتم صامتون مكان أم صمتكم في الجملة الإجمية من المبالغة في عدم
 إفادة الدعاء ببيان مساواة السكوت الدائم المستمر وقال محمد بن يحيى إنما جاء بالاجمية
 لكونها رأس آية يعني لمطابقة ولا أنفسهم يضررون وما قبله (إن الذين تدعون من دون
 الله عباد أمثالكم) أخبرهم سبحانه بأن هؤلاء الذين جعلتهم لهم آلهة هم عباد الله
 كما أنتم عباد له مع أنكم أكل منهم لأنكم أحياء تنطقون وتعيشون وتسمعون وتبصرون
 وهذه الأصنام ليست كذلك ولكنها أمثالكم في كونها مما يملكه الله مسخرة لأمره وهذا تقرير
 لهم بالغ وتوبيخ لهم عظيم قال مقاتل إنهم الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدونها
 والاولى وأولوا وأما وصفها بأنها عباد مع أنها جاد تنزيلا لها منزلة العقلاء على وفق
 معتقدهم ولذلك قال (فادعوهم فليجيبوا لكم) مقررة لمضمون ما قبلها من أنهم إن
 دعوههم إلى الهدى لا يتبعوهم وأنهم لا يستطيعونهم شيئا أي ادعوا هؤلاء الشر كاء فإن
 كانوا كآتمون فليجيبوا لكم وانما ورد هذا اللفظ في معرض الاستهزاء بالمشركين
 (إن كنتم صادقين) فيما تدعونه لهم من قدرتهم على النفع والضرر وإنها آلهة ثم بين
 غاية عجزهم وفضل عبادهم عليهم فقال (أهل أرجل عيشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم
 لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها) الاستفهام للتوبيخ والتمني أي هؤلاء
 الذين جعلتهم شركاء ليس لهم شيء من الآلات التي هي ثابتة لكم فضلا عن أن يكونوا
 قادرين على ما تطالبونه منهم فانهم كآتمون غير قادرين على عبادتها
 ليست لهم أرجل عيشون بها في نفع أنفسهم فضلا عن أن عيشوا في نفعكم وليس لهم أيدي
 يبطشون بها كآطش غيرهم من الأحياء وليس لهم أعين يبصرون بها كآبصرون
 وليس لهم أذان يسمعون بها كآسمعون فكيف تدعون من هم على هذه الصفة من
 سلب الأدوات وبهذه المنزلة من العجز وأمر في هذه المواضع هي المنطبعة التي بمعنى بل
 والهمزة كاذرة أمة النحوي والاضراب المقادير انتقال من توبيخ إلى توبيخ آخر والبطش
 هو الأخذ بقوة وعنف فلما بين لهم حال هذه الأصنام وتعاور وجوه العجز والنقص لها
 من كل باب أمره الله بأن يقول لهم (قل ادعوا شركاءكم) الذين يزعمون أن لهم قدرة على

يقسم فرقا بين ستة أو بصوم ثلاثة
 أيام والفرق ثلاثة أصع واختلفوا
 في مكان هذا الاطعام فقال الشافعي
 مكانه الحرم وهو قول عطاء وقال
 مجاهد أنه يطعم في المكان الذي
 أصاب فيه الصمد أو أقرب الأماكن
 إليه وقال أبو حنيفة إن شاء أطعم
 في الحرم وإن شاء أطعم في غيره (ذكر
 أقوال السلف في هذا المقام)
 قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا

النفع والضرر واستعينوا بهم في عداوتي حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) أنتم وهم جميعاً
 بما شئتم من وجوه الكيد (فلا تنظرون) أي فلا تهملوني ولا تؤخروا أنزال الضرر
 من جهتهم أو الكيد المكر وليس بعده هذا التحدي لهم والتجيز لاصنامهم شيء ثم قال
 قل لهم (إن ولي الله الذي نزل الكتاب) أي كيف أخاف هذه الاصنام التي هذه صفتها
 ولي ولي ألبأ اليه وأسمنصر به وهو الله عز وجل وهذه الجلة تعدل لعدم المبالغة وأولي
 الشيء هو الذي يحفظه ويقوم بنصرته ويمنع منه الضرر والكتاب هو القرآن أي أوحى
 إلى وأعزى برسائه (وهو) الذي (يتولى الصالحين) أي يحفظهم وينصرهم ويحول
 بينهم وبين أعدائهم والصالحون هم الذين لا يعدلون بالله شيئاً ولا يعصونه وفي هذا مدح
 للصالحين وأن من سنه نصرهم (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفوسهم
 ينصرون) كرسبحانه هذا المزيدي التأكيد والتقرير ولما في تكرار التوبيخ والتقرير من
 الالهة لأمم مشركين والتقص بهم وظاهر اسخف عقولهم وركاكة أحلامهم وقيل الأولى
 على جهة التقرير والتوبيخ والاخرى على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وبين هذه
 الاصنام وبالجلة هم من تمام التعليل لعدم مبالاة بهم المنفهوم من السوق فها جاليا
 (وان تدعوهوم) أي المشركين قاله الحسن وقيل أي الاصنام (إلى الهدى لا يسعوا)
 دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق فضلا عن المساعدة والامداد وهذا بلغ
 من نفى الاتباع (وزاهم) الرؤية بصرية (يتظنون اليك) أي يقابلونك كالناظر
 (وهم) أي حل كونهم (لا يصرون) جلة مبتدأ لبيان عجزهم عن الابصار بعد بيان
 عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلاً أو جلة حالية والمراد الاصنام أي أنهم
 يشبهون الناظرين ولا عين لهم يصرون بها قبل كانوا يجعلون للاصنام أعيناً من جواهر
 مصنوعة فكانوا بذلك في هيئة الناظرين ولا يصرون وقيل المراد بذلك المشركون أخبر
 الله عنهم بأنهم لا يصرون حين لم ينتفعوا ابصارهم وان أبصر وأبصارهم ما فيه نفعهم
 (خذ العفو) لما عذبه الله سبحانه من أحوال المشركين ما عذبه ونسفه ما بهم وضلال
 سعيهم أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأخذ العفو من أخلاقهم يقال أخذت
 حق عفو أي سهلاً وهذا نوع من التيسير الذي كان يأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم كما ثبت في الصحيح انه كان يقول يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا والمراد بالعفو
 هنا ضد الجهد وقيل الفضل وما جاء به لا كافة والعفو التساهل في كل شيء وقيل المراد خذ
 العفو من صدقاتهم ولا تشدد عليهم فيها وتأخذ ما يشق عليهم وكان هذا قبل نزول فريضة
 الزكاة عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت هذه الآية الا في اخلاق الناس رواه البخاري
 قال مجاهد خذ العفو من اخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس (وأمر بالعرف)
 أي بالمعروف وقرئ بالعرف بضمه وهما العفتان والعرف والمعروف والعارفة كل خصلة
 حسنة ترتضيها العقول وتطمئن اليها النفوس وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر
 بقول لا اله الا الله والعموم أولي (وأعرض عن الجاهلین) أي اذا أتت الجلة عليهم في
 أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا فأعرض عنهم ولا تعارهم ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم

يحیی بن المغيرة حمداً ناجراً عن
 منصور عن الحكم عن مقسم
 عن ابن عباس في قول الله تعالى
 فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به
 ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة
 أو كفارة طعام مساكين أو عدل
 ذلك صديماً قال اذا أصاب المحرم
 الصيد يحكم عليه جزاءه من النعم
 فان لم يجد نظر كم غنمه ثم قوم غنمه طعاما
 فصلم مكان كل نصف صاع يوماً

من المراء والسفاهة قيل وهذه الآية هي من جملة ما نسخ بآية السيف قاله عطاء وابن زيد
وقيل هي محكمة قاله مجاهد وقتادة وقيل أول هذه الآية وآخرها منسوخ وأوسطها
محكم قال الشعبي لما أنزل الله هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما هذا
يا جبريل قال لأدري حتى أسأل العالم فذهب ثم رجع فقال ان الله أمرك ان تعفو عن
ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما وعن
قيس بن سعد بن عباد قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حزة بن عبد
المطلب قال والله لا مثلن بسبعين منهم فبأه جبريل بهذه الآية أخرجه ابن مردويه
(وأما نترغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله) النزع الوسوسة وكذا النزع والنخس
والنسخ قال الزجاج النزع أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة وأصل النزع
الفساد يقال نزع مبتأى أفسد وقيل النزع الاغواء والمعنى متقارب أمر الله سبحانه
نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إذا أدرك شيئا من وسوسة الشيطان ان يستعذ بالله وليأ
اليه في دفعه عنه وقيل انه لما نزل قوله خذ العفو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف
يأرب بالغضب فنزلت هذه الآية وفي الآية استعارة تبعية حيث شبه الاغراء على المعاصي
بالنزع واستعير النزع للاغراء ثم اشتق منه نترغتك ووجهه (انه سمع علم) علمه لامره
بالاستعانة أى استعذ به والنجى اليه فانه يسمع ذلك منك ويعلم به وقيل الخطاب لكل أحد
والأول أولى والكلام خرج مخرج التقدير والافتراض فلا يقال لو كان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزع في قلبه ويحتاج إلى الاستعانة
(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) مقرر لمضون ما قبلها أى ان شأن
الذين يتقون الله وحالهم هو التذكروا لما أمر الله به من الاستعانة والالتجاء اليه عند ان
يمسهم طائف من الشيطان وان كان يسيرا وقرئ طيف مخففا ومشددا قال الخحاس كلام
العرب في مثل هذا الطيف بالتخفيف على انه مصدر من طاف بطيف وقال الكسائي هو
مخفف مثل ميت وميت قال الخحاس ومعناه في اللغة ما يتجمل في القلب أو يرى في النوم
وكذا معنى طائف وقيل معنيان مختلفان فالأول التخييل والثاني الشيطان نفسه فالأول
من طاف الخيال يطوف طبقا ولم يقولوا من هذا طائف قال السمعاني لانه يتخيل لاحقة
له وأما قوله طاف عليهم طائف من ربك فلا يقال فيه طيف لانه اسم فاعل حقيقة قال
الزجاج طفت عليهم أطوف وطاف الخيال بطيف وسميت الوسوسة والجنون والغضب
طيفا لانها لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال وذكر في الآية الأولى النزع وهو
أخف من الطيف لان حالة الشيطان مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أضعف من
حاله مع غيرهم وقال ابن عباس الطيف الغضب وقرأ سعيد بن جبير تذكروا بتشديد
الذال قال الخحاس ولا وجه له في العربية وقال السدي تذكروا أى اذا نزلوا تابوا وقيل
معناه عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيدهم وقال سعيد بن جبير هو الرجل
يغضب فيذكر الله فيكظم وقال مجاهد هو الرجل يلزم الذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه
(فأذا هم) بسبب التذكر (مبصرون) أى ينتهون عن المعصية آخذون بأمر الله

قال الله تعالى أو كفارة طعام
مساكين أو عدل ذلك صياما قال
ابن الأثير يد الطعام أو الصيام أنه اذا
وجد الطعام وجد جزاؤه ورواه
ابن جرير من طريق جرير وقال علي
ابن أبي طلحة عن ابن عباس هديا بالغ
الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو
عدل ذلك صياما اذا قتل الحرم شيئا
من الصيد عليه فيه فان قتل طيئا
أو نحوه فعياله شاة تذبح بمكة فان

عاصون للشيطان قاله ابن عباس وقيل على بصيرة وقيل انهم يصرون مواقع الخطا
 بالتذكر والتفكير وقيل مبصرون الحق من غير فيرجعون (واخوانهم يدفونهم) قيل
 المعنى واخوان الشياطين وهم الفجار من ضلال الانس على أن الضمير في اخوانهم يعود
 الى الشيطان المذكور سابقا والمراد به الجنس فجازا رجاء ضمير الجمع اليه والمعنى تقدمهم
 الشياطين (في القبر) وتكون مدد لهم وهذا التأويل هو قول الجمهور وعليه عامة
 المفسرين قال الزمخشري هو أوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا وقيل المعنى
 الشياطين الذين هم اخوان الجاهلين أو غير المتقين يدون الجاهلين أو غير المتقين في القبر
 وهذا تفسير قتادة وقيل المعنى واخوان الشياطين في القبر وهو الجاهل بخلاف الاخوة
 في الله تعالى يدونهم أي يطاعتهم لهم وقيل منهم قال ابن عباس في الآية هم الجن
 يودون الى أوليائهم من الانس وسبغت الفجار من الانس اخوان الشياطين لانهم
 يقبلون منهم ويقعدون بهم وقال الزجاج المعنى والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
 لكم نصرا ولا أنفسهم ينصرون واخوانهم يدونهم في القبر لان الكفار اخوان الشياطين
 وعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يطيل له في
 الاغواء حتى يسقر عليه وقيل يزيدونهم من الضلالة يقال مدأمد وهم الفاعلان قال مكي
 ومدا كثر وقال أبو عبيد وجاعة من أهل اللغة أنه يقال اذا كثرت شيئا بنفسه مده
 واذا كثر بغيره قيل أمدده نحو مددكم وقيل يقال مددت في الشر وأمددت في الخير
 (ثم لا يقصرون) الاقصار الانتهاء عن الشيء وقال ابن عباس لا يسأمون والمعنى لا يقصرون
 الشياطين في مد الكفار في القبر ولا يكفون عن الضلالة ولا يتركوه الكفار لا يترك
 ولا يروى وقال ابن عباس لا الانس يسكنون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين
 تمسك عنهم وعلى هذا يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا (واذا لم
 تأتهم) أي أهل مكة (بآية) مما اقترحوا (قالوا ولا) هلا (اجتبيتها) يقال اجتبت الشيء
 يجتبي جباه لنفسه أي جمعه أي هلا جعته افعالا لها من عند نفسك وقيل لولا
 أحسنتم لولا ثلاثة فأنشأها قاله ابن عباس وقيل المعنى اختلقها يقال اجتبيت
 الكلام اتكلمته واختلقته واخترعته اذا اجتبت به من عند نفسك كما نوا يقولون
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا ترأخى الروح هذه المقالة فأمره الله بأن يجيب
 عليهم بقوله (قل) لست بمن يأتي بالايات من قبلي نفسه ويقترح المجازات كما تزعمون بل
 (أنا أتبع ما يوحى الى من ربي) فبدأ وجاه الى أوثر على أبلغته اليكم (هنا) أي القرآن
 المنزل على هو (بصائر من ربكم) يتصبر بها من قبلها جمع بصيرة وقيل البصائر الحجج
 والبراهين وقال الزجاج الطريق ولما كان القرآن سببا لبصائر العقول أطلق عليه اسم
 البصائر فهو من باب تسجيبة السبب باسم المسبب والبصيرة الحجة والاستبصار في الشيء
 قال الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك (وهدي ورجعة
 لقوم يؤمنون) أي هو بصائر وهدي يهتدي به المؤمنون ورجعة لهم وذلك أن الناس
 متفاوتون في درجات العلوم ففهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالشاهد وهم

لم يجد فاطعام ستة مساكين فان لم
 يجد فصيام ثلاثة أيام فان قتل ابلا
 أو شحوه فعليه بقره فان لم يجدها
 أطعم عشرة من مساكين فان لم يجد
 صام عشرة يوما وان قتل لعامة
 أو حار وحش أو شحوه فعليه
 بدنة من الابل فان لم يجد أطعم
 ثلثة من مساكين فان لم يجد صام
 ثلاثين يوما رواه ابن أبي حاتم وابن
 جرير زاد والطعام مدمدب معهم
 وقال جابر الجعفي عن عمار الشعبي
 وعطاء ومجاهد أو عدل ذلك صياما

أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظروهم أصحاب علم اليقين ومنهم
المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وأصحاب حق اليقين فالقرآن للاولين نصائر
وللمستدلين هدى وللعامة المؤمنين رجة وقال أبو السعود كون القرآن عزلة البصائر
للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الخشية على الجميع وأما كونه هدى ورجة
فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتربون من أنوارهم والمغفون بآثاره والجليل من تمام
القول المأمور به انتهى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) يستعمل انه من عند الله
مستأنف ويحتمل انه من جملة المقول المأمور به أمرهم الله سبحانه بالاستماع للقرآن
والانصات له عند قراءته لينتفعوا به ويتدبروا ما فيه من الحكم والمصالح وقال أبو
الرقاء الضمير لله بمعنى لاجله وفيه بعد قيل هذا الامر خاص بوقت الصلاة عند قراءة الامام
ولا يخفك أن اللفظ أوسع من هذا والعام لا يقصر على سببه فيكون الاستماع والانصات
عند قراءة القرآن في كل حالة وعلى أي صفة مما يجب على السامع وقيل هذا خاص
بقراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للقرآن دون غيره ولا وجه لذلك وظاهر الامر
الوجوب وهو قول الحسن وأهل الظاهر وقيل التذلل والاستحياء قال أبو هريرة نزلت
في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وفي لفظ عنه
انهم كانوا يكلمون في الصلاة بجوامعهم فأمر بالسكوت واليه ذهب جمهور المفسرين
كأبي المعالي والكشاف وأنوار التنزيل وحاشية الكلايين وغيرها وقال ابن عباس يعني
في الصلاة المفروضة وعن محمد بن كعب القرظي ومجاهد وعبد الله بن مغفل وابن مسعود
نحوه وقد روى نحوه اذ عن جماعة من السلف وصرحوا بان هذه الآية نزلت في قراءة
الصلاة من الامام وعن الحسن قال عند الصلاة المكتوبة وعند الذكر وعن ابن عباس
في الصلاة وحين ينزل الوحي وقيل نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وبه قال
سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء واختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكتوبة والجمعة انما
وجبت بالمدينة والاولى وقال ابن عباس في الجمعة والعسدين وقال الرازي انه
خطاب مع الكفار عند قراءة الرسول عليهم القرآن في معرض الاحتجاج بكونه محمدا
على صدق نبوته وعند هذا يسقط احتجاج الخصوم بهذه الآية من كل الوجوه ثم ذكر
ما بقى ان جعل الآية على ما ذكر أو بوجهه وقال لو حملنا الآية على منع المأموم من
القراءة خلف الامام فسد التنظيم واختل الترتيب فثبت ان جملة على ما ذكرناه أولى وهذه
الآية لا دلالة فيها على هذه الحالة انتهى وأشار القاضي الى أن احتجاجهم بهذه الآية
ضعيف وقال بعض محشييه أي مردود بخبر الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب
انتهى أقول رواه الجماعة عن عباد بن الصامت وفي لفظ لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة
الكتاب رواه الدارقطني وقال اسناده صحيح وصححه ابن القطان ولها شاهد من حديث
أبي هريرة بهذا اللفظ مر فوعا أخرجه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهما ولا جد بلفظ
لا تقبل صلاة الا يقرأ فيها بأم القرآن وفي الباب عن أنس عند مسلم والترمذي وعن أبي
قتادة عند أبي داود والنسائي وعن ابن عمر وجابر عند ابن ماجه وعن علي عند البيهقي وعن

قالوا انما الطعام مسد ملين لا يبلغ
الهدى رواه ابن جرير وكذا روى
ابن جرير عن مجاهد وأسباط عن
السدي انها على الترتيب وقال
عطاء وعكرمة ومجاهد في روايته
الضحاك وابراهيم الخفي هي على
الانذار وهي رواية الشيخ عن مجاهد
عن ابن عباس واختار ذلك ابن
جرير رحمه الله وقوله ليدوق وبال
أمره أي أوجبنا عليه الكفارة
ليدوق عقوبة فعله الذي ارتكب
فيه الخيانة عفا الله عما سلف أي

عائشة وأبي هريرة والحديث يدل على تعيين فاتحة الكتاب في الصلاة وأنه لا يجزئ غيرها
 واليه ذهب مالك والشافعي وجهور العلماء والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب المعرة
 لأن النبي المذکور في الحديث يوجهه إلى الذات أن أمكن اتفقاؤها والاتوجه إلى ما هو
 أقرب إلى الذات وهو الصلوة لا الكمال لأن الصلوة أقرب المجازين والكمال أبعدهما
 والحصل على أقرب المجازين واجب وتوجه النبي إلى الذات ههنا يمكن كما قال الحافظ في
 الفتح لأن المراد بالصلاة معناها الشرعي لا اللغوي لما تقر من أن ألفاظ الشارع محمولة
 على عرفه لكونه باعث لتعريف الشرعيات لا لتعريف الموضوعات اللغوية وإذا كان
 المنفي الصلاة الشرعية استقام في الذات ولو سلم أن المراد هنا الصلاة اللغوية لكان
 المتعين توجه النبي إلى الصلوة أو الاجزاء لا إلى الكمال لأنها أقرب المجازين ولأن الرواية
 المتقدمة مصرحة بالأجزاء فيعين تقديره وإذا تقر هذا فالحديث صالح للاحتجاج
 به على أن الفاتحة من شروط صحة الصلاة لأن واجبها فقط لأن عدمه يستلزم عدم
 الصلاة وهذا شأن الشرط وذهب الخنفية وظنفة قليلا إلى أنها لا تجب بل الواجب آية
 من القرآن قاله النووي والصواب ما قاله الحافظ أن الخنفية يقولون بوجوب قراءتها
 لكن ينو على قاعدتهم أنهم اجمع الوجوب ليست شرطا في صحة الصلاة لأن وجودها انما
 ثبت بالسنة والذي لا يتم الصلاة إلا بفرض والقرض عندهم لا يثبت بغيره على القرآن
 وقد قال تعالى فاقروا ما تنسرون القرآن فالقرض قراءتها تنسرون وتعين الفاتحة انما ثبت
 بالحديث فيكون واجبا يأثم من تركه ولا يجزئ الصلاة بدونه وهذا تأويل على رأي فاسد
 حاصله رد كثير من السنة المطهرة بالبرهان ولا حاجة نيرة فكيف موطن من المواطن يقول
 فيه الشارع لا يجزئ كذا ولا يقبل كذا ولا يصح كذا ويقول المتسكون بهذا الرأي يجزئ
 ويقبل ويصح ولمثل هذا حذر السلف من أهل الرأي والكلام في ذلك تعقبا لوراد بطول
 جدا وقد قضى الوطرنه الشوكاني في نيل الاوطار فراجعهم ومن أدلتهم حديث أبي
 سعيد بلطف لاصلاة الا بفاتحة الكتاب وغيرها قال ابن سيد الناس لا ندرى بهذا اللفظ
 من أين جاء وقد صرح عن أبي سعيد عند أبي داود أنه قال أمرنا أن نقرأ فاتحة الكتاب
 وما تنسرون وأنه ثقات وقال ابن سيد الناس اسنادهم صحيح ورجاله ثقات وصححه الحافظ
 أيضا ومن أدلتهم حديث أبي هريرة عند أبي داود بلطف لاصلاة الا بقرآن ولو بفاتحة
 الكتاب ويحجب بانه من رواية جعفر بن عيون وليس بثقة كما قاله النسائي وقال أحمد
 ليس بقوي في الحديث وقال ابن عدي يكتب حديثه في الضعفاء وأيضاً قدرى أبو
 داود هذا الحديث من طريقه عن أبي هريرة بلطف أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم أن نادى أنه لا صلاة الا بقراءة الفاتحة فآزاد ورواه أحمد وليست الرواية الاولى
 بأولى من هذه وأيضاً أين يقع هذه الرواية على فرض صحتها يجنب الاحاديث المصرحة
 بفرضية فاتحة الكتاب وعدم اجزاء الصلاة بدونها وقد نسب القول بوجوب الفاتحة في
 كل ركعة النووي في شرح مسلم والحافظ في الفتح إلى الجمهور ورواه ابن سيد الناس في
 شرح الترمذي عن علي وجابر وعن ابن عيون والاوزاعي وأبي ثور قال واليه ذهب أحمد

في زمان الجاهلية لمن أحسن في
 الاسلام واتبع شرع الله
 ولم يرتكب المعصية ثم قال ومن
 عاد فينتقم الله منه أي ومن فعل
 ذلك بعد توبته في الاسلام وبإلغ
 الحكم الشرعي اليه فينتقم الله
 منه والله عز وجل ذوا نيقام قال ابن
 جرير قلت لعطاء فاعف الله عما
 سلف قال عما كان في الجاهلية قال
 قلت ومن عاد فينتقم الله منه وعليه
 مع ذلك الكفارة قال قلت فهل في
 العود حدث تعلمه قال لا قلت فترى

وداود به قال مالك الثاني واستدلوا أيضا على ذلك بما وقع عند الجماعة واللفظ
للجاري من قوله صلى الله عليه وآله وسلم للمسيء ثم افعل ذلك في صلاتك كلها بعد ان
أخبر بالقراءة وفي رواية لاجد وابن حبان والبيهقي في قصة المسيء صلاته انه قال في آخره
ثم افعل ذلك في كل ركعة وهذا الدليل اذا ضمه الى قوله في حديث المسيء ثم اقرأ ما تيسر
معك من القرآن ثم جملته على الفاتحة لما تقدم انتهى ذلك للاستدلال به على وجوب
الفاتحة في كل ركعة وكان قرينة لجمل قوله في حديث المسيء ثم كذلك في كل صلاتك
فافعل على الجواز وهو الركعة وكذلك حل لاصلاة الا بفاتحة الكتاب عليه وبؤيد وجوب
الفاتحة في كل ركعة حديث أبي سعيد عند ابن ماجه بلفظ لاصلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة
بالحدود سورة في فريضة وغيرها قال الحافظ واسناد ضعيف وحديث أبي سعيد أخرنا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ بفاتحة الكتاب في كل ركعة رواه سعيد بن
سعيد الشاذلي صاحب الامام أحمد وظاهر هذه الأدلة وجوب قراءة الفاتحة في كل
ركعة من غير فرق بين الامام والمأموم وبين سر الامام وجهه ومن جملته المؤيدان لذلك
ما أخرجه مالك في الموطأ والترمذي وصححه عن جابر موقوفا قال من صلى ركعة لم يقرأ
فيها بأمر القرآن لم يصل الامام وما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عائشة قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى صلاة لا يقرأ فيها بأمر القرآن
فهى خداج ومثله عن أبي هريرة عند ابن ماجه من طريق محمد بن اسحق وفيه مقال
مشهور ولكنه يشهد بحسن حديث أبي هريرة عند الجماعة الا البخاري بلفظ من صلى
صلاة لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب فهى خداج ولا يقال ان الخداج معناه النقص وهو
لا يتلزم البطالان لان الاصل ان الصلاة الناقصة لا تسمى صلاة حقيقة وأما حديث
أبي هريرة مرفوعا واذا قرأنا نضتوا رواه الخمسة الا الترمذي وقال مسلم هو صحيح فهو
عام لا يحتاج به على خاص وأما حديث عبد الله بن شداد مرفوعا من كان له امام فقرأه
الامام له قرأه رواه الدارقطني فقال في المتن وقد روى مسندا من طرق كلها ضعاف
والصحيح انه مرسل انتهى قال الدارقطني وهو الصواب وقال الحافظ هو مشهور ومن
حديث جابر وله طرق عن جماعة من الصحابة كلها معادلة وقال في الفتح انه ضعيف عند
جميع الحفاظ وقد استوعب طرقه وعلله الدارقطني وهو عام أيضا لان القراءة مصدر
مضاف وهو من صيغ العموم وحديث عباد في هذا الباب خاص فلا معارضة وقال
في شرح المتن هو حديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج به انتهى وأما قوله تعالى فاستمعوا
له وأنصتوا فذكر الجواب عنه وهو أيضا عام وحديث عباد خاص وبؤيد ذلك
الاحاديث المتقدمه والاشية القاضية بوجوب قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة من غير
فرق بين الامام والمؤتم لان البراءة عن عهدتها انما تحصل بناقل صحيح لا بمثل هذه
العمومات التي اقترنت بما يجب تقديمه عليها وعن عبادة قال صلى بنار رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الصبح فتقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اني اراكم تقرؤن وراء
امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بأمر القرآن فانه لاصلاة لمن لا يقرأ

سدا على الامام أن يعاقبه قال لا
هو ذنب ذنبه فيما بينه وبين الله
عز وجل ولكن يقتدى بروا ابن
جبر وقيل معناه فيتم الله منه
بالكفاة قاله سعيد بن جبيرة وعطاء
ثم الجهر ومن السلف والخلف
على انه متى قتل المحرم الصبي
وجب الجزاء ولا فرق بين الأول
والثاني وان تكرر ما تكرر سواه الخطأ
في ذلك والعمد وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس قال من قتل
شيئا من الصبي خطأ وهو محرم

بهارواه أبو داود والترمذي وفي لفظ فلا تقرأ بشئ من القرآن اذا جهرت به الايام
 القرآن رواه أبو داود والنسائي والدارقطني وقال رجاله كلهم ثقات وعنه أن النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم قال لا يقرأ أحد منكم شئاً من القرآن اذا جهرت بالقراءة الايام
 القرآن رواه الدارقطني وقال رجاله كلهم ثقات وآخرجه أيضاً أحمد والبخاري في جزء
 القراءة وصححه وابن حبان والحاكم والبيهقي من طريق ابن اسحق قال حدثني مكحول
 عن محمود بن ربيعة عن عباد بن عبد الله عن زبدي بن واقد وغيره عن مكحول ومن شواهد ما رواه
 أحمد من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن محمد بن أبي عائشة عن رجل من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلمكم تقرأون
 والامام يقرأ قالوا نال نفعل قال لا الا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب قال حافظ اسناده
 حسن ورواه ابن حبان من طريق أيوب بن أبي قلابة عن أنس وليست بمقبولة ومحمد
 ابن اسحق قد صرح بالتحديث فذهب مظنة تدليس به وتابعه من تقدم قال الشوكاني
 والحديث استدل به من قال بوجوب قراءة الفاتحة خلف الامام وهو الحق وظاهر الحديث
 الاذن بقراءة الفاتحة جهراً لانه استثنى من النهي عن الجهر خلفه ولكنه أخرجه ابن
 حبان من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تقرأ في صلاتكم
 خلف الامام والامام يقرأ فلا تفعوا واوله يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه وآخرجه
 أيضاً الطبراني في الاوسط والبيهقي وآخرجه عبد الرزاق عن أبي قلابة مرسلًا وعن أبي
 هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرف من صلاة جهراً بالقراءة فقال
 هل قرأتم أي أحد منكم أنفاقاً قال رجل نعم يا رسول الله فقال اني أقول ما لي أأزع القرآن
 قال فانهي الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يجهر فيه
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلوات بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وآخرجه
 أيضاً مالك في الموطأ والشافعي وأحمد وابن ماجه وابن حبان وقوله فانهي الناس عن
 القراءة مدرج في الخبر كما يشهد الخطيب واتفق عليه البخاري في التاريخ وأبو داود ويعقوب
 ابن سفيان والذلي والخطابي وغيرهم قال النووي وهذا لا خلاف فيه بينهم
 والاستدلال به على عدم قراءة المؤتم خلف الامام خارج عن محمل النزاع لان الكلام في
 قراءة المؤتم خلف الامام سر والمنازعة انما تكون مع جهر المؤتم لأمع اسرارها وأيضاً
 لو سلم دخول ذلك في المنازعة لكان هذا الاستغهام الذي للانكار عاماً لجميع القرآن
 أو مطلقاً في جميعه وحديث عبادة خاص أو مقيد وقد أجاب الملهدي في البحر عن حديث
 عبادة بأنه معارض بهذا الحديث وهي من معارضة العام بالخاص وهو لا يعارضه اماً على
 قول من قال من أهل الاصول انه يثنى العام على الخاص مطلقاً وهو الحق فظاهر وأما على
 قول من قال ان العام المتأخر عن الخاص ناسخ له وانما يخص المتأخر والمتأخر بمدة
 لا يتسع فكذلك أيضاً لان عبادة روى العام والخاص في حديثه فهو من التخصيص
 بالمقارن فلا يعارض بالمقام على جميع الاقوال وأما الاحتجاج بحديث جابر فلم يصل الا

يحكم عليه فيه كما قتله فان قتل
 عمداً يحكم عليه فيه مرة واحدة
 فان عاد يقال له ينتقم الله منك كما
 قال الله عز وجل وقال ابن جرير
 حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن
 سعيد وابن أبي عدي جميعاً عن
 هشام هو ابن حسان عن عكرمة
 عن ابن عباس فيمن أصاب صيداً
 يحكم عليه ثم عاد قال لا يحكم عليه
 ينتقم الله منه وهكذا قال شريح

وراء الامام فهو مع كونه غير مرفوع مفهوما لا يعارض بمثله منطوق حديث عبادة واذا
تقرر لك هذا فقد عرفت مما سبق وجوب الفاتحة على كل امام وامام في كل ركعة
وعرفنا ان تلك الأدلة صالحة للاحتجاج بها على أن قراءة الفاتحة من شروط صحة
الصلاة أدلة أهل الخلاف عموما وحديث عبادة خاص وبناء الخاص على العام
واجب كما تقرر في الأصول وهذا المحيص عنه والاية الكريمة وما على نحوها من
القرآن والحديث لا دلالة فيها على المقصود في زعم انها تصح صلاة من الصلوات أو ركعة
من الركعات بدون فاتحة الكتاب فهو محتاج الى اقامة برهان يخص تلك الأدلة ومن
ههنا يتبين لك أيضا ضعف ما ذهب اليه الجمهور من أن من أدرك الامام راكعا دخل
معه واعتدلت تلك الركعة وان لم يدرك شأ من القراءة وحاصل الكلام انه لا يحد عن تحتم
المصير الى القول بالقرضية بل القول بالشرطية وقد اختلف أهل العلم في قراءتها هل
تكون عند سكوت الامام أو عند قراءته وظاهر الاحاديث انها تقرأ عند قراءة الامام
وفعلها حال سكوت الامام ان أمكن أحوط لانه يجوز عند أهل الخلاف فيكون فاعل
ذلك أخذ بالاجماع رأيا معتادا قراءتها حال قراءة الامام للفاتحة فقط أو حال قراءته
للسورة فقط فليس عليه دليل بل الكل جائز وسنة نعم قراءتها حال قراءة الامام للفاتحة
مناسب من جهة عدم الاحتياج الى تأخير الاستعاذة عن محلها الذي هو بعد التوجه
وتمام الكلام على هذا المرام في كتابنا هداية السائل الى أدلة المسائل وغيره فراجع
قال التوكانى واختل في القراءة خلف الامام سرا وجهرا وقد وردت السنة المطهرة
بقراءة سورة الفاتحة خلفه مخففة في الصحيحين وغيرهما فالآية في غير الفاتحة وقد جاءنا
بها من جامع القرآن واذا اجابنا من الله بطل شهره مقل (لعلكم ترجحون) أى تناولون الرحمة
وتقوزون بها بماتثال الأمر الله سبحانه (واذ كركبك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله
عليه وآله وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لانه عام لسائر المكائين قبل المراتب المذكورة
ما هو أهم من القرآن وغيره من الاذكار التي يذكر الله بها وقال التماس لم يختلف في
معنى هذا الذكر انه الدعاء وقيل هو خاص بالقرآن أى اقرأ القرآن تأملا وتدبرا أمره أن
يذكره في نفسه سرا فان الاختفاء أدخل في الاختصاص وأقرب الى حسن التفكير وأدعى
للقبول (فتسرعا وخيفة) أى متضرعا وخائفا ومتضرعين وخائشين أو ذوى انزعاج
وخيفة وخليفة الخوف قاله الجوهرى وحكى الفراء انه يقال في جمع خيفة خيفة خفيف
(ودون الجهر) أى دون الجهر وربى يعنى متضرعا وخائفا ومتسكما بكلام هو دون الجهر
(من القول) وفوق السر يعنى قصدا بينهما (بالعدو والاصال) أى وأوقات العدو والاصال
وأوقات الاصال والعدو جمع غلبة يضم الغين وسكون الال وهى من طيلوع الفجر الى
طيلوع الشمس والاصال جمع أصبل قاله الزجاج والاختش مثل عين وإيمان وقيل
الاصال جمع أصل والاصال جمع أصبل فهو على هذا جمع الجمع قاله الفراء وليس للقلة
وليس بجعل الأصل لان فعلا لا يجمع على افعال وقيل انه جمع لاصل مشردا كجمع قال
الجوهرى الأصل الوقت من بعد العصر الى المغرب وجمعه أصل وأصل واصائل

وجاءه وسعيد بن جبيرة والحسن
البصرى وابراهيم النخعي رواه
ابن جرير ثم اختار القول الاول
وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس
ابن يزيد العبدى حدثنا المعتمر بن
سليمان عن زيد بن أبي المعلى عن
الحسن البصرى أن رجلا أصاب
صيدا فقبض عنه ثم عاد فأصاب
صيدا آخر فزات نار من السماء
فاحرقتة فهو قوله ومن عاد فينتقم

كانه جمع أصيلة ويجمع أيضا على أصلان مثل بعبرو بعران وقرأ أبو حجاز واسمه لاحق بن
 حميد السدوسي البصري وهي شاذة والاصال وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصل وهو
 مطابق للغد وفي الافراد والمصدرية قال قتادة الغد صلاة الصبح والاصال الصلاة
 بالعشى وعن أبي صخر قال الاصال ما بين الظهر والعصر وقال ابن زيد بالبكر والعشى
 وقال مجاهد الغد وآخر الفجر صلاة الصبح والاصال آخر العشى صلاة العصر وخص
 هذين الوقتين لشرفهما ولان الانسان يقوم بالغدا من النوم الذي هو أخو الموت
 فاستحب له ان يستقبل حالة الاتباه من النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل
 وأما وقت الاصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو أخو
 الموت فيستحب له ان يشغله بالذكر لان حاله تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة
 فيكون موته على ذكر الله عز وجل وقيل ان أعمال العباد تصعد أول النهار وآخره فصعد
 على الليل عند صلاة الفجر وصعد عمل النهار بعد العصر الى الغروب فاستحب له الذكر
 في هذين الوقتين ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه به وقيل غير ذلك والمراد دوام الذكر
 لله (ولا تنك من الغالين) عن ذكر الله وعما يقربك الى الله (ان الذين عند ربك)
 المراد بهم الملائكة قال القرطبي بالاجماع قال الزجاج وقال عند ربك والله عز وجل بكل
 مكان لانهم قرييون من رحمة وكل قريب من رحمة الله عز وجل فهو عنده فالمراد بالعندية
 القرب من الله بالزاني والرضا المكاتبة والمراد عند عرش ربك قاله الشهاب والمراد
 بقوله والله بكل مكان أي علمه وقدرته وهو بائن من خلقه مستوعلي عرشه كما وصف به
 نفسه في غير موضع من الكتاب العزيز وقال القرطبي يعني انهم في موضع لا يتدفعه
 الاحكام الله وقيل انهم رسل الله كما يقال عند الخليفة جيش كبير وقيل هذا على جهة
 التشریف والتكريم لانهم بالمكان المكرم وهو عبارة عن قربهم في الكرامة لاني
 المسافة (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يتعظمون عنها لانهم عبيده ومعنى
 (ويسجدون) يعظمونه وينزهونه عن كل شين (وله يسجدون) أي يخصونه بعبادة
 السجود التي هي أشرف عبادة وقيل المراد بالسجود الخضوع والذلة وفي ذكر الملائكة
 تعريض لبني آدم وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن والا حاديت
 والامار عن الصحابة في سجود التلاوة وعدد المواضع التي
 يسجد فيها وكيفية السجود وما يقال فيه

مستوفاة في كتب الحديث

والنقطة فلا تفلو

باراذلك

ههنا



* (تم الجزء الثالث و يليه الجزء الرابع وأوله سورة الانفال) *

الله منه وقال ابن جرير في قوله والله
 عزيز ذو انتقام يقول عز ذكره والله
 منيع في سلطانه لا يقهره قاهر ولا
 ينعسه من الانتقام ممن انتقم منه
 ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع
 لان الخلق خلقه والامر امره
 العزة والمنعة وقوله ذو انتقام
 يعني انه ذو عاقبة لمن عصاه
 على معصيته
 اياه

* قال الامام الكامل والهام الفاضل منقسم عصره ومحدث عصره أنجوبة
 الدهر ونبغة الزمان مولانا الشيخ سليمان بن محمد الاهدل مفتي زبيد
 أعلى الله تعالى مقامه وأنتجج مرأته مقترظا هذا التفسير الجليل
 ذا الفضل الجزيل *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أحمد من أتى أحمد صلى الله عليه وآله وسلم جوامع الكلم والكلم الجامعة وأتمده بشمس
 المعارف التي جهرت بها أنوار شمس الآفاق الساطعة وبعمه بالدين الذي حل على ناصيته
 بجواهر ألقافه الالامعة ومنجبه من العلوم والصفات ما لا تحيط بأساقه دائرة النطق
 الواسعة صلى الله عليه وسلم عليه وعلى آله وصحبه ما تركت الألفاظ من حروف مباحاتها
 ودلت على أسرارها ومعانيها * وبعد * فقد دوفقت أن وقتت على هذا التفسير
 العظيم والدر النظيم المبين لعاني القرآن العظيم وأسراره الكاشف لمروزة وأشاراته
 وأنواره تاليف النوايب على الجادة والجناب السيد السند والامام المعتمد والجاه
 أمير الملاك (نواب صدقي حسن خان صاحب بهادر) فاذا هو أجل تصنيف قد فرغ في
 أحسن ترتيب وترصف فاق به وعلا على كل تفسير وتأليف وحوى من النكات السنية
 دريا ومن التوائد القرائد غررا مع إيجاز المباحي وجزالة المعاني كيف لا ومؤلفه راضع
 در التحقيق ولبانه واضع در التدقيق عقد اعلی لبانه رافع طراز سند الحديث وراياته
 كشاف أسرار التنزيل واحكام آياته مجمع بحرى المعقول والمنقول منسج منهرى
 الفروع والاصول صاحب ذيل البلاغة على سحبان وائل مالك أزممة البراعة والبراعة
 والفضائل جامع الننون البعيدة والقريبة والعلوم المعروفة والغريبة لازالت شمس
 العلوم به منالقة وأنهارها من زخار بحره متدفقة ورياض البلاغة به عن أزهارها
 متدفقة فلقد فرغ في كتابه هذا أنهار العلوم ونثر فيه أزهار المنثور والمنظوم ولعمري
 لقد برهن باتشاره على سعة اطلاعه ودل على طول يده في العلوم وباعه وأنه الذي
 تناول أفتان الفنون وفهم طبقات ذهنه اشارات المكنون وأماط عن وجوه المعاني
 البديعة النقاب وأتى في ذلك بالعجب العجيب قاله أسأل وبنيته أن توسل ان يبلغه
 من خيرى الدارين ما أمله ويسهل له كل طريق أم له انه على ما يشاء قد ير وبالاجابة
 جدير أمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم * كسبه
 الفقير الى الله عز وجل المعترف بالقصور وسليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى
 ابن عم الاهدل مفتي زبيد في شهر ردى القعدة الحرام سنة ١٢٩١ عفا الله عنهم
 وغفر لهم آمين